
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة (٣٥٦) هجرية

اعداد

مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي

الجزء الثالث عشر

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان



طبعة جديدة مصححة
الطبعة الأولى

١٩٩٤ ميلادية ١٤١٥/١٤ هجرية

بيروت – لبنان – بناية كليوباترا – شارع دكاش – ص.ب: ١١/٧٩٥٧
تلفون المستودع ٢٧٤٦٩٦-٢٧٣٠٣٢-٢٧٢٧٠٠ المنزل ٨٣٠٧١١-٨٣٠٧١٧
برقياً: التراث – تلكس ٢٣٦٤٤/LE تراث

Beyrouth - Liban - Imm. Kleopatra - Rue Dakkache - B. P. 11/7957
Tél. Dépôt 274696, 273032, 272700 – Domicile 830711, 830717
Télex ALTOURAS – Telex 23644 LE

[٣/١٣]

/ بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

/ أخبار أبي الطّمحان القيني

اسمه ونسبه

أبو الطَّمحان اسمه حَنْظَلةُ بن الشَّرْقِيّ[١]، أحد بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْعِ الله، من قُضاعةَ. وقد تقدّم هذا النسب في عدّة مواضع من الكتاب في أنساب شعرائهم.

إدراكه الجاهلية والإسلام واتصالة بالزبير بن عبد المطلب

وكان أبو الطّمحان شاعراً فارساً خارباً[٢] صُعلوكاً. وهو من المُخَضْرَمين، أدرك الجاهلية والإسلام، فكان خبيث الدِّين فيهما كما يُذكر. وكان تِرْباً للزُّبَير بن عبد المطّلب في الجاهلية ونديماً له. أخبرنا بذلك أبو الحسن الأَسَديّ عن الرِّياشيّ عن أبي عُبَيدة.

وقوع قيسبة السكوني في أسر العقيليين وحمل أبي الطمحان خبره إلى قومه

ومما يدلّ على أنه قد أدرك الجاهلية ما ذكره ابن الكَلْبيّ عن أبيه قال: خرج قَيْسَبة بن كُلْثوم السَّكُونيّ، وكان ملِكاً، يريد الحج - وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يعرِّ[٣]، بعضُها لبعض - فمرّ ببني عامر بن عُقَيل، فوثَبوا عليه فأسروه وأخذوا / ماله وما كان معه، وألقَوْه في القِدّ[٩]، فمكث فيه ثلاثَ سنينَ، وشاع باليمن أن الجنّ [٤/١٣] استطارته[٤]. فبينا هو في يوم شديد البرد في بيتِ عجوزٍ منهم إذ قال لها: أتأذَنين / لي أن آتِيَ الأكمةَ فأتَشرّقَ[٥] ١٣١/١١ عليها فقد أضَرّ بي القُرّ[٦]؟! فقالت له نعم. كانت عليه جُبة له حبِرَة[٧] لم يُترك عليه غيرُها، فتمشّى في أغلاله

---

(١) قال الآمدي في «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء»: «أبو الطمحان القيني اسمه حنظلة بن الشرقي، كذا وجدته في «كتاب بني القين بن جسر». ووجدت نسبه في «ديوانه المفرد»: أبو الطمحان ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر». وفي «الحماسة» طبع أوربا ص ٥٥٨: «واسمه حنظلة بن الشرقي وقيل ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن جسر».

(٢) الخارب: سارق الإبل خاصة، ثم نقل إلى غيره اتساعاً. قال الجوهري: خرب فلان بإبل فلان ويخرب خرابة مثل كتب يكتب كتابة، أي سرقها، وخرب فلان: صار لصاً.

(٣) القد: سير يقد من جلد غير مدبوغ، فتشدّ به الأقتاب والمحامل، ويتخذ منه السوط، ويقيد به الأسير. قال يزيد بن الصعق يعيب بعض بني أسد:

فــرغتــم لتمــريــن السيــاط وكنتــم ... يصــب عليكُــم بــالقنــا كــل مــربــع

فأجابه شاعرهم:

أعبتــم علينــا أن نمــرّن قــدّنــا ... ومــن لــم يمــرّن قــدّه يتقطــع

(٤) استطارته الجن: ذهبت به. وفي حديث ابن مسعود: «فقدنا رسول الله ﷺ فقلنا: اغتيل أو استطير»، أي ذهب به بسرعة، كأن الطير حملته أو اغتاله أحد.

(٥) تشرق: جلس بالمشرقة، وهو موضع القعود للشمس، والموضع الذي تشرق عليه الشمس.

(٦) القرّ، بالضم: البرد، أو هو برد الشتاء خاصة؛ سمي بذلك من الاستقرار والسكون كأنه يسكن الحرّ ويطفئه.

(٧) في «مختار الأغاني الكبير» (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٤٦ أدب): «جبة من حبرة».

وقيوده حتى صعِد الأكمةَ، ثم أقبل يضرب ببصره نحوَ اليمن، وتَغْشَاه عَبْرةٌ فبكَى، ثم رفع طرْفه إلى السماء وقال: اللهم ساكنَ السماء فرِّج لي مما أصبحتُ فيه. فبينا هو كذلك إذ عرض له راكب يسير، فأشار إليه أن أقبِلْ، فأقبل الراكبُ، فلما وقف عليه قال له: ما حاجتك يا هذا؟ قال: أين تريد؟ قال: أريد اليمنَ. قال: ومن أنت؟ قال [أنا][1] أبو الطَّمَحان القَيْنِيّ، فأستعبرَ باكياً. فقال [له][1] أبو الطَّمَحان: من أنت؟ فإني أرى عليك سِيما الخير ولباسَ الملوك، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك. قال: أنا قَيْسَبة بن كُلْثوم السَّكُونيّ، خرجتُ عام كذا وكذا أريد الحج، فوثَب عليَّ هذا الحيُّ فصنعوا بي ما تَرى، وكشف عن أغلاله / وقيوده؛ فاستعبر أبو الطمحان، فقال له قيسبة: هل [٥/١٣] لك في مائة ناقة حمراء؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك! قال: فأَنِخْ، فأناخ. ثم قال له: أمعك سِكِّينٌ؟ قال نعم. قال: ارفع لي عن رَحْلِك، فرفع له عن رَحْلِه حتى بدت خشبةُ مُؤخِره[2]، فكتب عليها قيسبةُ بالمُسْنَد[3]، وليس يكتب به غيرُ أهلِ اليمن:

بَلِّغــا كِنْــدَةَ[4] الملــوكَ جميعــاً	حيثُ سـارت بـالأكـرميـن الجِمـالُ
أنْ رِدُوا العَيْــنَ بـالخميـسِ[5] عِجـالاً	وأصـدُروا عنـه والـرَّوايـا[6] ثِقـال
هَـزِئَـتْ جـارتـي وقـالـت عجيبـاً	إذ رأتنـي فـي جِيـدِيَ الأغـلال
إن تَـرَيْنِـي عـارِيَ العِظـامِ أسيـراً	قـد بَـرانـي تَضَعْضُـعٌ وأختـلال
فلقـد أقْـدُمِ الكَتِيبـةَ بـالسيـ	ـفِ علـيَّ السـلاحُ والسـرْبـال

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطَّمَحان مائة ناقةٍ. ثم قال له: أَقْرِئْهُ هذا قومي؛ فإنهم سيعطونك مائةَ ناقةٍ حمراء. فخرج تسير به ناقته، حتى أتى / حَضْرَمَوْت، فتشاغل بما ورد له ونسِي أمر قيْسبة حتى [٦/١٣] فرَغ من حوائجه. ثم سمع نسوةً من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين، فذكر أمره، فأتى أخاه الجَوْن بن كُلْثوم، وهو أخوه لأبيه وأمه، فقال له: يا هذا، إني أدلُّك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الإبل. قال له: فهي لك. فكشَف عن الرحل، فلما قرأه الجَوْن أمر له بمائة ناقةٍ، ثم أتى قَيْسَ بن مَعْديكرَبَ الكِنْديَّ أبا الأشْعَثِ بن قيس، فقال له: يا هذا، إن أخي في بني عُقَيل أسير، فسر معي بقومك، فقال له: أتسير تحت لوائي حتى أطلبُ ثأرَك وأُنجدك، وإلا فامضِ راشداً. فقال له الجَوْن: مسُّ السماء أيسر من ذلك وأهونُ عليَّ مما خيَّرتَه. وضَجَّتِ

---

(١) زيادة عن نسخة ط.

(٢) يجوز فيه سكون الهمزة مع فتح الخاء وكسرها، وفتح الهمزة مع تشديد الخاء مفتوحة ومكسورة، كما يقال فيه آخرة الرحل وآخره ومؤخرته، وفي «مؤخرته» من اللغات ما في «مؤخره».

(٣) المسند: هو خط حمير وهو مخالف لخطنا. وقد نشرت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول كتاباً في حروف هذا الخط، وحل الآثار اليمنية المكتوبة به من تأليف الأستاذ أغناطيوس جويدي، اسمه «المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة». ويعدّ أجود المراجع في خط اليمن ولغتها.

(٤) كان قيسبة من قبيلة السكون. والسكون: بطن من كندة. لذلك استنجد بملوكهم.

(٥) الخميس: الجيش الكامل، وهو المؤلف من خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة والساقة.

(٦) الروايا: جمع راوية وهي هنا المزادة فيها الماء. وتطلق الرواية أيضاً على البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء. والرجل المستقى أيضاً راوية. ومن الأول قول عمرو بن ملقط:

ذاك سنـان محلـب نصـره	كـالجمـل الأوطـف بـالـراويـه

ومن الثاني قول أبي طالب:

وينهـض قـوم فـي الحـديـد إليكمـو	نهـوض الـروايـا تحت ذات الصلاصـل

السَّكُونُ(١) ثم فاءوا ورجَعوا وقالوا له: وما عليك من هذا! هو آبن عمك ويطلب لك بثارك! فأَنْعَمَ له بذلك(٢).

اجتماع السكون وكندة لإنقاذ قيسبة

وسار قيس وسار الجَوْن معه تحت لوائه، وكِندةُ والسَّكُونُ معه؛ فهو أوّل يوم آجتمعتْ فيه السَّكُون وكِندة لقَيْس، وبه أدرك الشرف. فسار حتى أوقع بعامر بن عُقَيل فقتل منهم مقتلةً عظيمة وآستنقذ قَيْسَبَةَ. وقال في ذلك سَلامَةُ بن صُبَيح الكِنْديّ:

لا تَشْتُمونا إذ جَلبنا لكم ... أَلْفَيْ كُمَيتٍ كلُّها سَلْهَبَهْ(٣)

نحن أبَلْنا(٤) الخيلَ في أرضِكم ... حتى ثَأَرْنا منكُم قَيْسَبَه

/ وآعترضتْ من دُونِهم مَذْحِجٌ ... فصادَفوا من خيلِنا مَشْغَبَه(٥)

١٣٢
١١

[٧/١٣]

/ اعتراف أبي الطمحان بأدنى ذنوبه

حدّثنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال:

بلغني أنّ أبا الطَّمَحان القَيْنِيّ قيل له، وكان فاسقاً خارباً، ما أدْنَى ذنوبك؟ قال: ليلة الدَّيْرِ. قيل له: وما ليلة الدير؟ قال: نزلت بدَيْرانيّةٍ فأكلتُ عندها طَفَيْشَلاً(٦) بلحم خنزير، وشربتُ من خمرها، وزنيت بها، وسرقت كساءها(٧)، ثم آنصرفتُ عنها.

التجاؤه إلى بني فزارة من جناية جناها وإقامته عندهم حتى هلك

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه قال:

جنى أبو الطَّمَحانِ القَيْنِيّ جنايةً وطلبه السلطان، فهرب من بلاده ولجأ إلى بني فَزارة فنزل على رجل منهم يقال له: مالك بن سعد أحد بني شَمْخ؛ فآواه وأجاره وضرب عليه بيتاً وخَلَطه بنفسه. فأقام مدّة، ثم تشوّق يوماً إلى أهلِه وقد شرِب شراباً ثَمِل منه، فقال لمالك: لولا أن يدي تقصُر عن دِيةِ جنايتي لعُدْت إلى أهلي. فقال له: هذه إبِلي فخذ منها دِية جنايتك وأَردُدْ(٨) ما شئت. فلمّا أصبح نِدم على ما قاله وكرِه مفارقة موضِعه ولم يأمن على نفسه، فأتى مالِكاً فأنشده:

سأمدَحُ مالِكاً في كلِّ ركبٍ ... لَقِيتُهمُ وأترُكُ كلَّ رَذْلِ

فما أنا والبِكارةُ أو مَخاضٌ ... عِظامُ جِلّةٍ سُدُسٌ وبُزْلُ(٩)

---

(١) السكون كصبور: بطن من بطون العرب بكندة.

(٢) أنعم له، أي قال له: نعم.

(٣) الكميت: الذي خالط حمرته سواد. السلهب: الطويل من الخيل والناس؛ يقال فرس سلهب وسلهبة إذا عظم وطال وطالت عظامه. وفرس مسلهبّ: ماض.

(٤) أبال الخيل واستبالها: وقفها للبول؛ يقال: لنبيلن الخيل في عرصاتكم.

(٥) مشغبة: من الشغب بسكون الغين، وهو هيجاء القتال.

(٦) الطفيشل كسميدع: نوع من المرق.

(٧) كساء هنا: جمع كسوة مثل كُسى كما ورد في القاموس.

(٨) في «المختار»: «وازدد» ولعلها أصوب.

(٩) البكارة: جمع بكر. والبكر بالفتح: الفتيّ من الإبل بمنزلة الغلام من الناس، والأنثى بكرة. والمخاض: الحوامل من النوق. وجلة الإبل: مسانّها، وهو جمع جليل مثل صبي وصبية. والسدس: جمع سديس كرغيف ورغف، وهي من الإبل ما دخل في السنة =

[٨/١٣] / وقد عرفتْ كلابُكم ثِيابي كأنّي منكُم ونَسِيتُ أهلي

نَمَتْ[١] بِكَ مِن بَنِي شَمْخٍ زِنادٌ لها ما شئتَ من فَرْعٍ وأصلِ

قال فقال مالك: مرحباً! فإنك حبيب أزداد حباً، إنما آشتقتَ إلى أهلك وذكرتَ أنه يحبِسك عنهم ما تُطالَب بِهِ من عَقْلٍ[٢] أو دِيَةٍ، فبذلتُ لك ما بذلتُ، وهو لك على كل حال، فأقِم في الرُّحْبِ والسَّعَة. فلم يزل مقيماً عندهم حتى هلك في دارهم.

قال أبو عمرو في هذه الرواية: وأخبرني أيضاً بمثله محمد بن جعفر النَّحْوي صِهْرُ المبرّد، قال حدّثنا ثَعْلَب عن آبن الأعرابي قال:

شعره في الاعتذار لامرأته من ركوبه الأهوال

عاتبتْ أبا الطَّمَحان القَيْنيّ آمرأتهُ في غاراتِهِ ومُخاطرته بنفسه، وكان لِصًّا خارِباً خبيثاً، وأكثرتْ لومَه على ركوب الأهوالِ ومخاطرته بنفسه في مَذاهبه، فقال لها:

لو كنتُ في رَيْمانَ[٣] تحرُس بابَه أراجيلُ أُحْبوشٍ وأغْضَفُ آلِفُ

إذاً لأتَتْني حيثُ كنتُ مَنِيَّتي يَخُبُّ بها هادٍ بأمرِيَ قائفُ[٤]

فمِنْ رَهْبَةٍ آتِي المَتالِفَ سادِراً وأيَّةُ أرض ليس فيها مَتالِفُ[٥]

[٩/١٣] / ## شعره في بجير بن أوس الطائي وإطلاقه من الأسر

فأمّا البيت الذي ذكرتُ من شعره أنّ فيه لغَريبَ صنعةً وهو:

* أضاءتْ لهم أحسابُهُمْ ووُجوهُهُمْ *

فإنه من قصيدة له مدح بها بُجَير بن أوْس بن حارثة بن لأم الطائيّ، وكان أسيراً في يده. فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزَّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدّة قصائد. وأوّل هذه الأبيات:

إذا قيل أيُّ الناس خيرٌ قَبيلةً[٦] وأصبَرُ يوماً لا تَوارَى كَواكِبُهْ

= الثامنة، وذلك إذا ألقى السن التي بعد الرباعية. والبزل: جمع بازل، وهو الناقة والبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه. وفي قافية البيت إقواء.

(١) كذا في الأصول. والمعروف «ورت». ووري الزناد يضرب مثلاً للظفر والنجاح أي هم ينجحون فيدركون ما يطلبون بك.

(٢) العقل هو الدية، وهي ما يدفع فدية للقتيل.

(٣) ريمان بفتح الراء موضعان: أحدهما حصن باليمن وهو المقصود هنا، وقصر باليمن وصفه الأعشى في أبياته التي يقول فيها:

يا من يرى ريمان أمـ ـسى خاوياً خرباً كعابه

والبيت في «معجم البكري» منسوب لأوس بن حجر. وأراجيل: جمع أرجال، وأرجال: جمع راجل كصاحب وأصحاب، وهو خلاف الفارس. والأحبوش: جماعة الحبش، أو الجماعة أيا كانوا؛ لأنهم إذا تجمعوا اسودّوا. وجمعه أحابيش. والأغضف: المسترخي الأذن من الكلاب والآلف: المستأنس بمن يحرسهم، من الإلف بكسر الهمزة.

(٤) يخب بها: يسير بها خبباً، وهو ضرب من العدو السريع. والهادي بالأمر: العارف به، المهتدي. والقائف: متتبع الآثار العارف بها.

(٥) السادر: الذي لا يهتم بشيء، ولا يبالي ما صنع. والمتالف: المهالك.

(٦) «قبيلة» منصوبة على التمييز، وكذلك «يوماً»، ويعني بذكر اليوم الوقعات والحروب. وقوله لا توارى كواكبه، أي لا تتوارى، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً. ويروى: لا توارى كواكبه (بضم التاء بالبناء للمفعول)، أي لا تستر. والأصل في هذا وما يجري مجرى الأمثال «يوم حليمة». وذلك أن غطيت عين الشمس في ذلك اليوم بالغبار الثائر في الجو فرئيت الكواكب ظهراً، على ما ذكروا فقيل: «ما يوم حليمة بسر» وصار الأمر إلى ما قيل في التوعد «لأرينك الكواكب ظهراً». (عن التبريزي في شرحه على حماسة أبي تمام ج ٤ ص ٧٣ طبع بولاق).

فـإنَّ بنـي لأم بـن عَمْـرٍو أرُومـةٌ عَلَـتْ فـوقَ صَعْـبٍ لا تُنـالُ مَرَاقِبُه(١)
أضـاءَتْ لهـم أحسـابُهـم ووُجـوهُهـمْ دُجَـى الليـلِ حتـى نَظَّم الجَزْعَ(٢) ثاقِبُه
/ /لهم مَجْلِسٌ لا يَحْصَـرون(٣) عـن النَّدَى إذا مَطْلَـبُ المعـروف أَجْـدَبَ راكبـه

١٣٣ / ١١

/ وأمّا خبر أسره والوقعة التي اسِر فيها فإن عليّ بن سليمان الأَخفش أخبرني بها عن أحمد بن يحيى ثعلب عن [١٠/١٣] ابن الأعرابيّ قال:

حرب جديلة والغوث الطائيين

كان أبو الطَّمَحان القَيْنِي مجاوراً في جَدِيلةَ من طَيِّىء، وكانت قد اقتتلت بينها وتحاربت الحربَ التي يقال لها «حرب الفَساد»(٤) وتحزَّبت حزبين: حزبَ جَدِيلةَ وحزبَ الغَوْث، وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام، ثلاثة منها للغوث ويومٌ لجديلة. فأمّا اليوم الذي كان لجديلة فهو «يوم ناصِفة». وأما الثلاثة الأيام التي كانت للغوث فإنها «يوم قارات حُوق»(٥) و «يوم البَيْضة»(٦) و «يوم عِرْنان»(٧) وهو آخرُها وأشدُّها وكان للغَوْث، فانهزمت جَدِيلةُ هزيمةً قبيحةً، وهَرِبتْ فلحقت بكَلْب وحالفتْهم وأقامت فيهم عشرين سنة.

شعر أبي الطمحان لما أسر في هذه الحرب

وأُسِر أبو الطَّمَحان في هذه الحرب: أسره رجلان من طيِّىء وأشتركا فيه، فاشتراه منهما بُجَير بن أَوْس بن حارِثة لمّا بلغه قوله:

/ أَرِقـتُ وآبَتْنـي الهمـومُ الطَّـوارِقُ ولـم يلـقَ مـا لاقَيـتُ قبلـيَ عـاشـقُ [١١/١٣]

---

(١) الأرومة: الأصل. والمراقب: جمع مرقبة، وهي المنظرة في رأس جبل أو حصن. وروى في «الكامل للمبرد» هذا البيت ضمن أبيات في هذه القصيد: لم يذكرها المؤلف، وها هي ذي:

وإنـي مـن القـوم الـذيـن هـم هـم إذا مـات منهـم سيـد قـام صـاحبـه
نجـوم سمـاء كلمـا غـار كـوكـب بـدا كـوكـب تـأوي إليـه كـواكبـه
أضـاءت لهـم أحسـابهـم ووجـوههـم دجـى الليـل حتـى نظـم الجـزع ثـاقبـه
ومـا زال منهـم حيـث كـانـوا مسـود تسيـر المنـايـا حيـث سـارت كتـائبـه

(«الكامل» ص ٣٠ طبع ليبسك).

(٢) الجزع اليماني: الخرز اليماني والصيني، وهو الذي فيه سواد وبياض. وهو يختلط على ناظم العقد في الظلام.

(٣) لا يحصرون عن الندى: لا يبخلون. وفعله من باب فرح.

(٤) حرب الفساد من أيام العرب كانت كما قال المؤلف بين الغوث وجديلة من طيىء، سميت بذلك لما حدث فيها من الفظائع والأهوال؛ فقد قيل إن هؤلاء خصفوا نعالهم بآذان هؤلاء، وهؤلاء شربوا الشراب بأقحاف رؤوس هؤلاء. وفيه يقول جابر بن الحريش الطائي:

إذ لا تخـاف حـدوجنـا قـذف النـوى قبـل الفسـاد إقـامـة ونـذيـرا

ويقال له أيضاً: زمن الفساد، وعام الفساد.

(٥) حوق بالضم: موضع. وهذا اليوم هو المعروف أيضاً بيوم اليحاميم. وسببه أن الحارث بن جبلة النسائي كان قد أصلح بين طيىء، فلما هلك عادت إلى حربها، فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له عرنان فقتل قائد بني جديلة وهو أسبع بن عمرو بن لأم عم أوس بن خالد بن حارثة بن لأم، وأخذ رجل من سنبس يقال له مصعب أذنيه فخصف بهما نعليه. وفي ذلك يقول أبو سروة السنبسي:

نخصـف بـالآذان منكـم نعـالنـا ونشـرب كـرهـاً منكـم فـي الجمـاجـم

وتناقل الحيان في ذلك أشعاراً كثيرة. (ابن الأثير ج ص ٤٧٦ طبع أوروبا). وقارات جمع قارة وهي أصاغر الجبال والآكام.

(٦) البيضة: عين ماء لبني دارم، كما ذكر أبو محمد الأعرابي الأسود.

(٧) عرنان: جبل بين تيماء وجبلي طيىء.

إليكم بني لأم تخبُّ هِجانُها ... بكلِّ طريقٍ صادَفَتْه شَبارِق[١]

لكم نائلٌ غَمْرٌ وأحلامُ سادةٍ ... وألسِنةٌ يومَ الخِطابِ مَسالِق[٢]

ولم يَدْعُ داعٍ مِثلَكم لعَظيمةٍ ... إذا وَزَمَتْ بالساعِدَيْنِ السَّوارِق[٣]

السوارق: الجوامع[٤]، واحدتها سارقة.

قال فابتاعه بُجَير من الطائيّيْن بحكمهما، فجزّ ناصيته واعتقه.

جواره في بني جديلة وقتل تيس له غلاماً منهم وشعره في ذلك

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال: حدّثنا أبو أيّوب المَديني قال: حدّثني مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيري قال:

كان أبو الطَّمَحان القَيْنيُّ مجاوراً لبطنٍ من طَيِّىء يقال لهم بنو جَدِيلة، فنطح تيس له غلاماً منهم فقتله، فتعلَّقوا أبا الطمحان وأسروه حتى أدَّى[٥] دِيَته مائةً من الإبل. وجاءهم نَزيلُه، وكان يدعى هِشاماً، ليدفع عنه فلم يقبلوا قولَه؛ فقال له أبو الطمحان:

أتاني هِشامٌ يَدفَعُ الضَّيمَ جاهِداً ... يقولُ ألا ماذا تَرَى وتَقولُ

فقلتُ له قُمْ يالَكَ الخَيرُ أدِّها ... مُذلَّلةً إنّ العَزيزَ ذَليلُ

فإن يكُ دُونَ القَيْنِ أغبرُ شامِخٌ ... فليس إلى القَيْنِ الغَداةَ سبيلُ[٦]

[١٢/١٣]

/ انتعاش المأمون ببيتين لأبي الطمحان في ساعة اكتئابه

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبدالله بن مالك، عن إسحاق قال:

دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكّراً غير نَشيط، فأخذتُ أحدّثه بمُلَح الأحاديثِ وطُرَفِها، أستَمِيله لأن يضحك أو يَنْشَطَ، فلم يفعل. وخطر ببالي بيتان فأنشدتُه إيّاهما، وهما:

ألا عَلِّلاني قبلَ نَوْحِ النَّوائِحِ[٧] ... وقبلَ نُشوزِ[٨] النفسِ بينَ الجَوانِحِ

وقبلَ غدٍ، يا لَهْفَ نفسي على غدٍ ... إذا راحَ أصحابي ولستُ برائِحِ[٩]

---

(١) تخب: تسير الخبب، وهو العدو السريع. والهجان: كرام الإبل. والشبارق: جمع شبرق بكسر الشين والراء، وهو شجر منبته نجد وتهامة، وثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم منبتها السباخ والقيعان، وإذا يبس فهو الضريع.

(٢) مسالق: ذَرِبة حادة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾.

(٣) في ب، س، ط: «إذا رزمت» وهو تحريف. ووزمت: عضت. ورواية «اللسان» و «أساس البلاغة» (مادة أزم): «إذا أزمت». والأزم: العض كالوزم.

(٤) الجوامع: القيود التي تشد بها سواعد الأسرى والمحبوسين.

(٥) لعلها: يؤدي.

(٦) القين: قبيلة أبي الطمحان منسوبة إلى جدّه القين بن جسر. يقول: إنه منقطع عن قبيلته وأهل نصرته بما يقوم بينه وبينهم من مفازة وجبل، فلا مناص من أداء دية الغلام المقتول. وإذا كان في أدائها معنى من معاني الذل، لأن جرح العجماء جبار (بضم الجيم) وهو يذهب هدراً، فإن العزيز يذل إذا وقع في مثل ما وقع فيه أبو الطمحان.

(٧) وفي «الحماسة»: «ويروى قبل صدح الصوادح». والصدح: شدّة صوت الديك والغراب وغيرهما.

(٨) النشوز: ارتفاع الشيء عن موضعه، ونشوز النفس بين الجوانح: خروجها منها عند الموت. وفي «الحماسة»: «وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح». والجوانح: ضلوع الصدر. وارتقاء النفس فوقها: بلوغها التراقي.

(٩) راح أصحابي: رجعوا في العشية إلى منازلهم وبقيت في قبري منفرداً.

فتنبّه كالمتفزِّع ثم قال: من يقول هذا ويحك؟ قلت: أبو الطَّمَحان القَيْنيُّ يا أمير المؤمنين. قال: صدقَ واللهِ، أعِدْهما عليّ. فأعدتهما عليه حتى حفظهما. ثم دعا بالطعام فأكل، ودعا بالشراب فشرب. وأمر لي بعشرين ألفَ درهم.

استشهاد خالد بن يزيد ببيتين له في ريبة اعتذر عنها الحسن لعبد الملك

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال: حدّثني أحمد بن الحارث الخرّاز قال: [حدّثني] المَدائنيّ قال:

عاتب عبد الملك بن مَرْوان الحسنَ بن / الحسن عليهما السلام على شيء بلغه عنه من دعاء أهل العراق إيّاه إلى الخروج معهم على عبد الملك، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: يا أمير المؤمنين، ألاّ تقبل عذر ٱبن عمك وتُزيلَ عن قلبك ما قد أُشْرِبْتَه إيّاه؟ أمَا سمعتَ قول أبي الطَّمَحان القَيْنيّ: ١٣٤/١١

/ إذا كان في صدر ٱبنِ عَمِّكَ إحْنَةٌ ... فلا تَسْتَثِرْها سوف يَبْدو دَفينُها [١٣/١٣]

وإنْ[1] حَمْأَةَ المعروفِ أعطاك صَفْوَها ... فخُذْ عَفْوَه لا يَلْتَبِسْ بك طِينُها

استئذانه الزبير بن عبد المطلب في الرجوع إلى أهله وشعره في ذلك

قال المدائني: ونزل أبو الطمحان على الزُّبَير بن عبد المطَّلِب بن هاشم، وكانت العرب تنزل عليه، فطال مُقامه لَدَيه، واستأذنه في الرجوع إلى أهله وشكا إليه شوقاً[2] إليهم، فلم يأذن له. وسأله المُقام، فأقام عنده مدّة، ثم أتاه فقال له:

ألاَ حَنَّتِ المِرْقالُ وٱئْتَبَّ[3] ربُّها ... تَذَكَّرُ أوطاناً[4] وأذْكُرُ مَعْشَري

ولو عَرَفَتْ صَرْفَ البُيوعِ لَسَرَّها ... بمكّةَ أن تَبْتاعَ حَمْضاً بإذْخِرِ[5]

أسَرَّكِ لو أنّا بجَنْبَيْ عُنَيْزةٍ[6] ... وحَمْضٍ[7] وضُمرانِ[8] الجَنابِ وصَعْتَرِ

/ إذا شاء راعيها ٱستقَى من وَقيعةٍ[9] ... كعَينِ الغُرابِ صَفْوُها لم يُكَدَّرِ [١٤/١٣]

فلمّا أنشده إيّاها أذِن له فانصرف، وكان نديماً له.

---

(١) الحمأة: الطين الأسود المنتن. والمقصود هنا عين الماء وفيها صفو وكدرة. وهو يوصيه بأخذ الصفو وترك الطين.

(٢) في «المختار»: «شوقه».

(٣) المرقال: الناقة تسرع في سيرها، من الإرقال، وهو ضرب من العدو فوق الخبب. وائتب: تهيأ للذهاب وتجهز، كأب الثلاثي من بابي نصر وضرب.

(٤) رواية الشعر والشعراء ص ٢٢٩: «أرماماً». وأرمام: موضع، وله يوم يعرف بيوم أرمام.

(٥) يقول: إن ناقته لو عرفت صرف البيوع، لسرها أن تنتقل من بلاد الإذخر إلى بلاد الحمض لشوقها إلى البادية. والحمض من النبات كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له كالنجيل والرمث والطرفاء وما أشبهها. ومن الأعراب من يسمي كل نبات فيه ملوحة حمضاً ضد الخلة من النبات وهو ما كان حلواً. والعرب تقول: الخلة خبز الإبل، والحمض فاكهتها. وإذا شبعت الإبل من الخلة اشتهت الحمض. والإذخر: حشيش طيّب الرائحة.

(٦) عنيزة: قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم.

(٧) حمض بفتح أوله هنا: موضع بالبحرين. وإذخر هنا: مكان بمكة.

(٨) الضمران: موضع، وصعتر بفتح أوّله وإسكان ثانيه: موضع. قاله أبو حنيفة عند ذكر الصعتر في أصناف النبات («معجم ما استعجم» ص ٦٠٨). والبيت في رواية أبي حنيفة كما في «تاج العروس» (مادة: صعتر):

بودّك لو أنّا بفرش عنازة ... بحمض وضمران الجناب وصعتر

(٩) الوقيعة: مكان صلب يمسك الماء.

صوت

لا يَغْتَرِي شَرْبَنا اللِّحاءُ وقَدْ تُوهَبُ فينا القِيانُ والحلَلُ[1]
وفِتيةٍ كالسّيوف نادَمتُهم لا حَصَرٌ[2] فيهم ولا بَخَلُ

[١٥/١٣] الشعر للأسْوَدِ بن يَعْفُرَ، والغِناء لسُلَيم، خَفِيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالبِنْصَر. /



(١) الشرب (بالفتح): القوم يجتمعون على الشراب. واللحاء: النزاع. والقيان: جمع قينة، وهي الأمة المغنية. يقول: إنهم قوم لا يعتريهم النزاع، وقد يجود الواحد منهم بالقينة والحلة.

(٢) الحصر هنا: البخل.

أخبار الأسود ونسبه

نسبه ومنزلته في الشعر

الأَسْوَدُ بن يَعْفُرَ ـ ويقال يُعْفُر بضم الياء[١] ـ ابن عبد الأسود بن جَنْدَل بن نَهْشَل بن دارِم بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْدِ مَناة بن تَميم. وأمُّ الأسود بن يعْفُر رُهم بنت العَبّاب، من بني سَهْم بن عِجْل. شاعر متقدِّم فصيح، من شعراء الجاهلية، ليس بالمُكثر. وجعله محمد بن سَلام في الطبقة الثامنة[٢] مع خِداشِ بن زُهَير، والمخَبَّل السعديّ، والنَّمِر بن تَوْلَبِ العُكْلَى. وهو من العَشي ـ ويقال العُشُوُ بالواو ـ المعدودين في الشعراء. وقصيدته الدالية المشهورة:

نــامَ الخَلــيُّ ومــا أحِــسُّ رُقــادي ... والهــمُّ مُحْتَضِــرٌ لَــديَّ وِســادي

معدودةٌ من مختار أشعار العرب وحِكَمِها، مُفَضَّليةٌ مأثورةٌ.

توقف سوّار القاضي في شهادة دارمي يجهل الأسود بن يعفر

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ وأبو الحسن أحمدُ بن محمد الأسَديُّ قالا: حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال:

/ تقدّم رجل من أهل البَصرة من بني دارِم إلى سَوّار بن عبد الله لِيُقيمَ عنده شهادةً، فصادفه يتمثَّل قولَ الأسود بن يَعْفُر[٣]: [١٦/١٣]

ولقــد علمــتُ لَــوَ أنّ عِلمــيَ نــافِعي[٤] ... أنّ السَّبيــلَ سَبيــلُ ذي الأعْــوادِ[٥]

إنّ المَنِيَّــةَ والحُتُــوفَ كــلاهمــا ... يُــوفِـي المَخـارِمَ يَـرْمِيـانِ سَـوادي[٦]

(١) إذا فتحت الياء منع من الصرف لشبهه بالفعل. وإذا ضمت الياء مع الفاء صرف؛ لأنه زال عنه شبه الفعل. ويقال فيه أيضاً: يعفر (بفتح الياء وكسر الفاء) كما يقال: يونس ويوسف (بضم النون والسين وكسرهما).

(٢) كذا في جميع الأصول. وفي «خزانة الأدب» (ج ١ ص ١٩٥ طبع بلاق): «قال السيوطي: وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثانية مع خداش بن زهير، والمخبل السعدي، والنمر بن تولب».
والذي في «طبقات الشعراء» لابن سلام تحت عنوان: الطبقة الخامسة: «وهم أربعة رهط: خداش بن زهير بن ربيعة ذي الشامة بن عمرو ـ وهو فارس الضحياء ـ بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، والأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم، وأبو يزيد المخبل بن ربيعة بن عوف بن قتال ابن أنف الناقة بن قريع، وتميم ابن أبي مقبل بن عوف بن حنيف بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة».

(٣) من قصيدة له هي إحدى مختارات المفضل الضبي، وهي عنده في ستة وثلاثين بيتاً.

(٤) في س: «نافع». ورواية الضبي لهذا الشطر: «ولقد علمت سوى الذي نبأتني».

(٥) ذو الأعواد، من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم. وقيل له ذو الأعواد لسرير كانوا يحملونه عليه لما أسنّ، فكان سريره ملاذ الخائف وملجأ المحتاج. واسم ذي الأعواد مخاشن بن معاوية. يقول الأسود: إن سبيل كل حي سبيل ذي الأعواد بعد أن عمر طويلاً، فكان مصيره إلى الموت.

(٦) في جـ والمفضليات وشعر الأعشين: «يرقبان» بدل «يرميان». ويوفى: يعلو. ورجع الضمير هنا مفرداً وفي «يرميان» مثنى، وهو جائز. والمخارم: أفواه الفجاج والطرق في الجبال، واحدها مخرم. وسواد الرجل: شخصه.

١٣٥ / ١١ [١٣/١٧]

مــاذا أُؤمِّــلُ بعــدَ آلِ مُحَــرِّقٍ ... تَــركــوا مَنــازلَهُــمْ وبعــدَ إيــادِ[1] /

/ أهــلِ الخَــوَرْنَــقِ والسَّــديـر وبــارِقٍ ... والقصــرِ ذي الشُّــرُفــات مــن سِنْــداد[2]

نــزلــوا بــأنقُــرةٍ يَفيــضُ عليهــمُ ... مــاءُ الفُــرات يَفيــضُ مــن أَطْــوَاد[3]

جَــرَتِ الــريــاحُ علــى محــلِّ دِيــارهــم ... فكــأنّمــا كــانــوا علــى مِيعــادِ

ثم أقبل على الدارِميّ فقال له: أترْوي هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أفتعرفُ مَنْ يقولهُ؟ قال: لا. قال: رجلٌ من قَوْمِك له هذه النباهةُ وقد قال مثلَ هذه الحكمةِ لا تَرويها ولا تَعرِفُه! يا مُزاحم، أثْبِتْ شهادتَه عندك، فإني متوقِّفٌ عن قبوله حتى أسألَ عنه، فإني أظنّه ضعيفاً.

أخبرني عميّ قال حدثنا الكُرانيّ عن الرياشيّ عن أبي عُبيدة بمثله.

وعد الرشيد بعشرة آلاف لمن يروي قصيدة «نام الخليّ. . .»

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحَكَم بن موسى السَّلُوليّ قال حدّثني أبي قال:

بينا نحن بالرافِقة[4] على باب الرَّشيد وقوفٌ، وما أَفْقِدُ أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق، إذ خرج وَصِيفٌ كأنه دُرّةٌ فقال: يا مَعشرَ الصحابة، / إنّ أميرَ المؤمنين يقرأ عليكم السلامَ ويقول لكم: مَنْ كان منكم يَروِي قصيدة الأسْوَد بن يَعْفُرَ: [١٣/١٨]

نــام الخَلِــيُّ ومــا أُحِــسُّ رُقــادِي ... والهــمُّ مُحْتَضِــرٌ[5] لَــدَيَّ وِســادِي

فليدخلْ فليُنشدْها أميرَ المؤمنين وله عشرةُ آلاف درهم. فنظر بعضُنا إلى بعضٍ، ولم يكنْ فينا أحدٌ يَرْويها. قال: فكأنما سقطتْ والله البَدْرةُ عن قَرَبُوسي[6]. قال الحكم: فأمرني أبي فَرَوَيْتُ شِعرَ الأسودِ بن يَعْفُرَ من أجل هذا الحديث.

---

(١) آل محرّق هنا: هم ملوك الحيرة من لخم. ومحرّق الذي أضيفوا إليه هو أمرؤ القيس بن عمرو بن عدي أحد ملوكهم، ويقال له: المحرق الأكبر. ولقب به أيضاً من اللخميين عمرو بن هند من ملوكهم، ويقال له: المحرّق الثاني. ومحرق أيضاً: لقب الحارث بن عمرو أبي شمر ملك الشام من آل جفنة؛ لأنه أوّل من حرّق العرب في ديارهم. ويقال لآل جفنة أيضاً: آل محرق. (ملخص عن «اللسان» و «القاموس» و «شرحه» مادة حرق، و «المعارف» لابن قتيبة ص ٣١٧). وإياد: حي من معد بن عدنان، وهم بنو إياد بن نزار، منهم قس بن ساعدة الذي يضرب به المثل في الجود والفصاحة. وكانت ديارهم مع العدنانية، وحين تكاثر بنو إسماعيل وتفردت مضر بالرياسة خرج بنو إياد إلى العراق، وكان لهم مع الأكاسرة أيام مشهودة إلى أن أغار عليهم سابور ذو الأكتاف من ملوك الأكاسرة فأبادهم وأفناهم. راجع كتاب («نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي ص ٨٢ طبع مطبعة الرياض ببغداد).

(٢) الخورنق كسفرجل: قصر من قصور الحيرة، والخورنق هو بالفارسية خورنكاه وهو بيت الضيافة، بناه شخص رومي اسمه سنمار للنعمان بن امرىء القيس اللخمي، وكمله في عشرين سنة، فلما وقف عليه النعمان استجاده وأثنى على سنمار فقال له سنمار: لو شئت أن أجعله يدور مع الشمس لفعلت، فأمر به أن يطرح من أعلى شرفاته، فضرب به المثل فقيل: «جزاه جزاء سنمار». (عن «مسالك الأبصار» جـ ١ ص ٢٣٠ طبع دار الكتب). والسدير: قصر كان ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب. وبارق: ماء بالعراق، أو هو نهر كما في معجم البلدان بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. وسنداد: منزل لإياد، وهو أسفل سواد الكوفة. وقال ابن الكلبي في القصر ذي الشرفات: إن العرب كانت تحج إليه.

(٣) أنقرة: مدينة بالأناضول على طريق القسطنطينية وهي عاصمة الدولة التركية اليوم، لها ذكر في رحلة امرىء القيس إلى الروم، وافتتحها المعتصم في طريقه إلى عمورية سنة ٢٢٣، وكانت إياد قد نزلتها لما نفاها كسرى عن بلاده.

(٤) الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة على ضفة الفرات، ثم خربت الرقة وغلب اسمها على الرافقة، وصار اسم المدينة الرقة، وهي من أعمال الجزيرة، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات (عن «معجم البلدان»).

(٥) المحتضر: الحاضر.

(٦) القربوس: حنو السرج وهو الجزء المعوج في السرج.

التمثل بشعره لما انتهى علي إلى مدائن كسرى

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنباريُّ قال: حدّثني أبي قال: حدّثني عبدُ الله بن عبد الرحمن المَدائنيُّ قال: حدّثنا [أبو][1] أمية بن عمرو بن هشام الحرّانيُّ قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيد بن سِنان قال: حدّثني جَدّي سِنانُ بن يزيد قال:

كنت مع مولاي جَرِيرِ بن سَهْمٍ التميميّ وهو يسير أمامَ عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ويقول:

يا فَرَسي سِيري وأُمّي الشاما   وخَلِّفي الأخوالَ والأعماما

وقطِّعي الأجْوازَ والأعلاما[2]   وقاتِلي مَن خالفَ الإماما

إني لأرجو إن لَقِينا العاما   جَمْعَ بني أُمَيَّةَ الطَّغاما

أنْ نَقْتُلَ العاصيَ والهُماما   وأن نُزِيلَ من رِجالٍ هاما

فلما أنتهى إلى مَدائنِ كسرَى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا، فتمثّل مولاي قولَ الأسودِ بن يَعْفُرَ:

جَرَتِ الرِّياحُ على مَكانِ دِيارِهِمْ   فكأنّما كانوا على مِيعادِ

/ فقال له عليٌّ عليه السلام: فلِمَ لَمْ تقل كما قال الله جلّ وعزّ: ﴿كَم تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُون. وزُرُوعٍ ومَقامٍ كَرِيم. ونَعْمةٍ كانوا فِيها فاكِهِين. كذلِكَ وأوْرَثْناها قَوْماً آخَرِين﴾ [١٣/١٩] ثم قال: يابن أخي، إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلّت بهم النِّقْمةُ، فإيّاكم وكُفْرَ النِّعْمةِ فتَحِلَّ بكم النقمةُ.

التمثل بشعره لما مرّ عمر بن عبد العزيز بقصر لآل جفنة

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

مَرَّ عمرُ بن عبد العزيز ومعه مُزاحِمٌ مولاه يوماً بقَصْرٍ من قصور آل جَفْنة، وقد خَرِب، فتمثّل مُزاحمٌ بقول الأسودِ بن يَعْفُرَ:

جَرَتِ الرِّياحُ على مَحلِّ دِيارِهِم   فكأنّما كانوا على مِيعادِ

ولقد غَنُوا[3] فيها بأنْعَمِ عِيشةٍ   في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوْتادِ

فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلْهَى به   يوماً يَصِيرُ إلى بِلىً ونَفاد

١٣٦/١١

فقال له عمر: هَلاّ قرأتَ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وعُيُونٍ﴾، إلى قوله جلّ وعزّ: ﴿كذلِكَ وأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِين﴾.

ما قاله في استنقاذ إبل له أخذتها بكر بن وائل

نسختُ من كتاب محمد بن حَبيب عن أبن الأعرابيّ عن المُفَضَّل قال:

كان الأسود بن يَعْفُرَ مُجاوِراً في بني قَيْس بن ثَعْلَبَةَ ثم في بني مُرَّة بن عُبَادٍ بالقاعَة[4]، فقامَرَهم فقَمَروه، حتى حَصَل عليه تسعةَ عشرَ بَكْراً، فقالت لهم أمّه وهي رُهْم بنت العَبّاب: يا قوم، أتَسْلُبون أبن أخيكم[5] مالَه؟ قالوا:

---

(١) الزيادة عن نسخة ط.

(٢) الأجواز جمع جوز بقصد الجهات. والأعلام: الجبال.

(٣) غنوا: أقاموا. ويستعمل إذا كانت الإقامة في غنى ونعيم. ومنه المغني وجمعه مغان.

(٤) القاعة من بلاد سعد بن زيد مناة بن تميم قبل يبرين، وقيل منازل بني مرة بن عباد بن قيس بن ثعلبة، وتسمى الأجواف أيضاً. (عن «معجم ما استعجم»).

(٥) في نسخة ط: «ابن أختكم».

[٢٠/١٣] فماذا نصنع؟ قالت: أحبسوا قِدَاحه[١]. / فلما راح القوم قالوا له: أَمسِكْ[٢]. فدخل ليُقامِرَهم فردّوا قداحَه. فقال: لا أقمُ بين قوم لا أضرب فيهم بقِدْح؛ فاحتَمَل قبل دخول الأشهرُ الحُرُم، فأخذت إبلَه طائفةٌ من بَكْر بن وائل؛ فاستسعى الأسودُ بني مُرّة بن[٣] عُباد وذكّرهم الجِوَار وقال لهم:

يـــا آلَ عُبَـــادٍ دَعـــوةً بعـــد هَجْمـــةٍ ... فهـــل فيكُـــم مـــن قـــوّة وزَمـــاعِ[٤]

فَتَسْعَـــوْا لجـــارٍ حـــلَّ وَسْـــطَ بُيـــوتكـــم ... غـــريـــبٍ وجـــاراتٍ تُـــركـــنَ جِيـــاعِ

وهي قصيدةٌ طويلةٌ، فلم يصنعوا شيئاً. فادّعى جِوارَ بني مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبانَ، فقال:

قـــلْ لبنـــي مُحَلِّـــمٍ يَسِيـــروا ... بِـــذمّـــةٍ يَسْعَـــى بهـــا خَفيـــرُ[٥]

* لا قَدْحَ[٦] بعد اليوم حتى تُورُوا *

ويُروى «إن لم تُورُوا». فسعَوْا معه حتى أستنقذوا إبلَه، فمدحهم بقصيدته التي أوّلها:

أجـــارَتَنـــا غُضِّـــي مـــن السَّيْـــرِ أو قِفِـــي ... وإن كنتِ قـد أَزْمَعْتِ بـالبَيْـن فـاصْـرِفـي[٧]

أســـائِلُـــكِ أو أُخبِـــرْكِ عـــن ذي لُبـــانـــةٍ ... سَقِيـــمِ الفُـــؤاد بـــالحِســـانِ مُكَلَّـــفِ[٨]

[٢١/١٣] / يقول فيها:

تَـــدارَكَنـــي أسبـــابُ آلِ مُحَلِّـــمٍ ... وقـد كـدتُ أَهْـوِي بيـن نِيقَيْـنِ نَفْنَـفِ[٩]

هـمُ القـومُ يُمسِـي جـارُهـم فـي غَضـارةٍ ... سَـوِيًّـا سَليـمَ اللَّحـم لـم يُتحـوَّفِ[١٠]

فلما بلغتهم أبياتهُ ساقُوا إليه مثلَ إبلِه التي أستنقذوها من أموالهم.

طلب طلحة من الأسود بن يعفر أن يسعى له في إبله

قال المفضَّلُ: كان رجلٌ من بني سعدِ بنِ عَوْف بنِ مالكِ بنِ حَنْظَلَة يقال له طَلْحةُ، جاراً لبني رَبيعةَ بنِ عِجْل بن لُجَيْم[١١]، فأكلو[١٢] إبله، فسألَ في قومِه حتّى أتى الأسودَ بنَ يَعْفُرَ يسألهُ أن يُعطيَه ويَسْعَى له في إبله. فقال له الأسود: لستُ جامِعَهما لكَ، ولكن اختَرْ أيَّهما شئتَ. قال: أختارُ أنْ تسعَى لي بإبلي. فقال الأسودُ لأخواله من بني عِجْلٍ:

يــا جـارَ طَلْحَـةَ هـلْ تَـرُدُّ لَبُـونَـهُ ... فتكـونَ أدْنَـى للـوَفـاء وأَكـرَمـا

(١) القداح جمع قدح: سهام الميسر التي كانوا يتقامرون بها. وفي س، ش: «أقداحه».
(٢) كذا في ط. وفي سائر الأصول: «أمسك قدحك».
(٣) في س، ب، ط: «فاستسعى الأسود بن مرة بن عباد» وهو تحريف. والتصويب عن نسخة جـ.
(٤) الزماع (كسحاب وكتاب): المضاء في الأمر والعزم عليه.
(٥) الخفير هنا: المانع المجير.
(٦) القدح: طلب الإيراء، يقال: قدح بالزند يقدح قدحاً. واقتدح: رام الإيراء به. وتورون: تستخرجون نار الزند، يقال: ورى الزند خرجت ناره، وأوراه غيره إذا استخرج ناره. ووري الزناد وإيراؤها يراد به الإنجاح وإدراك المطالب.
(٧) الصرف هنا: رد الشيء عن وجهه. يريد: اعدلي عما أزمعته من البين.
(٨) مكلف: مولع.
(٩) النيق: حرف من حروف الجبل، وأرفع موضع فيه. والنفنف: مهواة ما بين جبلين. وكل شيء بينه مهوى، فهو نفنف.
(١٠) الغضارة: النعمة والسعة في العيش. ويتحوف: يتنقص. وفي كل الأصول بالراء بدل الواو وهو تحريف.
(١١) في ب، س، جـ: «جشم» والتصويب من ط وكتب «الأنساب».
(١٢) يريد أخذوها.

تـــالله لـــو جـــاورتُمـــوه بـــأرضِـــه ... حتّـــى يُفـــارِقَكـــم إذاً مـــا أخـــرمَـــا[١]

وهي قصيدةٌ طويلةٌ.

رد الإبل مكرمة للأسود

فبعثَ أخوالهُ من بني عِجْلٍ بإبل طلحةَ إلى الأسودِ بنِ يَعْفُرَ فقالوا: أمّا إذْ كنتَ شَفِيعَه فخُذْها، وتولَّ ردَّها لتُحْرِزَ المَكْرُمةَ عنده دون غيرك.

النعمان يحث خالد بن مالك على المطالبة بثأر عمه الذي قتله وائل وسليط العجليان

وقال ابنُ الأعرابيِّ: قتَل رجلان من بني سَعْدِ بنِ عِجْلٍ يُقال لهما وائلٌ وسَلِيطٌ ابنا عبدِ الله، عَمًّا لخالد بن مالك بن رِبعيٍّ النَّهْشَلِيِّ يقال له عامرُ بن رِبعيّ، وكانَ خالدُ بن مالكٍ عند النُّعمان حينئذٍ ومعه الأسودُ بنُ يَعْفُرَ. فالتفت النعمانُ يوماً إلى / خالد بن مالكٍ فقال له: أيُّ فارسَيْنِ / في العرب تَعرِفُ هما أثقَلُ على الأقرانِ وأخفُّ على مُتونِ الخيلِ؟ فقال له: أبَيْتَ اللّعْنَ! أنتَ أعلم. فقال: خالاَ ابنِ عمِّك الأسْوَدِ بن يَعْفُرَ وقاتِلا عمِّك عامر بن رِبْعيّ (يعني العِجْلِيَّيْن وائلاً وسَلِيطاً). فتغيّر لونُ خالدِ بن مالكٍ. وإنّما أراد النُّعمانُ أن يَحُثّه[٢] على الطَّلَبِ بثأرِ عمِّه. فوثب الأسْودُ فقال: أبَيْتَ اللعنَ! عَضَّ بِهنِ أُمّهِ مَنْ رأى حقَّ أخواله فوقَ حقِّ أعمامِه. ثم التفت إلى خالد بن مالكٍ فقال: يابنَ عمٍّ، الخمرُ عليَّ حرامٌ حتى أثأرَ لكَ بعمكَ. قال: وَعَلَيَّ مثل ذلك. [٢٢/١٣] [١٣٧/١١]

الأسود وخالد يجمعان جمعاً ويغيران على كاظمةَ فقتل وائل وسليط

ونهضا يطلُبان القومَ؛ فجمعَا جَمْعاً من بني نَهْشَلِ بنِ دارمٍ فأغارا بهم على كاظِمَةَ[٣]، وأرْسلا رجلاً من بني زيدِ بنِ نَهْشَلِ بنِ دارمٍ يقال له عُبَيْد يَتَجسَّسُ لهم الخَبَر، فرجع إليهم فقال: جَوْفُ كاظمَةَ ملآن من حُجّاجٍ وتجارٍ، وفيهم وائلٌ وسليطٌ مُتساندان[٤] في جيش. فركِبتْ بنو نَهْشَلٍ حتى أتَوْهم، فنادَوا: مَنْ كان حاجًّا فليَمْضِ لحجه، ومَنْ كان تاجراً فليمض لتجارته. فلمّا خَلَص لهم وائلٌ وسَليطٌ في جيشهما اقتتلوا، فقُتِلَ وائل وسليطٌ، قتَلهما هِزّانُ بنُ زُهيرَ بنِ جَنْدَل بن نَهْشَل، عادَى بينهما[٥]. وادّعى الأسودُ بنُ يعفُرَ أنه قتَل وائلاً. ثم عاد إلى النُّعمان فلما رآه تبسّم وقال: وفي نَذْرَكَ يا أسود؟ قال: نَعَمْ أبَيْتَ اللّعنَ! ثم أقام عنده مدّةً يُنادمه ويؤاكله.

ما قاله الأسود في مرضه

ثم مَرِضَ مرضاً شديداً، فَبعث النعمانُ إليه رسولاً يسألهُ عن خَبرِه وهَوْلِ ما به؛ فقال:

/ نَفْعٌ قليـــل إذا نـــادَى الصَّـــدَى[٦] أُصُـــلاَ ... وحـــانَ منـــه لبـــردِ المـــاءِ تَغْـــريـــدُ [٢٣/١٣]

وودَّعـــونـــي فقـــالـــوا ســـاعـــةَ انطَلَقـــوا ... أوْدَى فـــأوْدَى النَّـــدَى والحـــزمُ والجُـــود

فمـــا أُبـــالـــي إذا مـــا مـــتُّ مـــا صَنَعُـــوا ... كـــلُّ امـــرىء بسبيـــل المـــوتِ مَـــرْصـــود

---

(١) لعلها «ما أجرما».

(٢) في ط: «يبحثه».

(٣) كاظمة: موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان. وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب. وهي الواردة في «بردة البوصيري».

(٤) متساندان: متعاونان يسند كل واحد منهما الآخر ويعضده، وكل منهما تحت راية.

(٥) عادى الفارس بين رجلين، إذا طعنهما طعنتين متواليتين.

(٦) الصدى هنا: الطائر الذي يخرج من هامة الميت إذا بلى، وجمعه أصداء، وهو من خرافات العرب. وأصلاً (بضمتين): جمع أصيل وهو العشيّ.

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمْرو الشَّيبانيّ يأثِرهُ عن أبيه، قال:

ما قاله في فرس أخذها ابنه جراح من بني الحارث بن تيم الله واستولدها أمهاراً

كان أبو جُعَلٍ أخو عمرو بنِ حنظلةَ من البَراجِم قد جمع جَمْعاً من شُذَّاذِ أسَدٍ وتَميم وغيرهم، فغزوا بني الحارثِ بنِ تَيْم الله بن ثَعْلَبَة، فَنَذِروا[١] بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فَضُّوا جمعهم، فلحِق رجلٌ من بني الحارثِ بن تَيْم الله بن ثعلبةَ جماعةً من بني نهشلٍ فيهم جَرّاحُ بن الأسودِ بن يَعْفُر، والحُرُّ بن شَمِر بن هزّانَ بن زُهير بن جَنْدلٍ، ورافعُ بن صُهَيْب بن حارثة بن جَنْدَل، وعمرٌو والحارث أبنا حُرير[٢] بن سَلْمَى بن جندل، فقال لهم الحارثيُّ[٣]: هَلُمَّ إليَّ طُلَقاءَ[٤]؛ فقد أعجبني قِتالُكم سائرَ اليوم، وأنا خيرٌ لكم من العَطَش. قالوا نَعَمْ. فنزل ليُجَّز نواصيَهم. فنظر الجرّاحُ بن الأسودِ إلى فَرَسٍ من خيلهم فإذا هي أجودُ فرس في الأرض، فوثَبَ فركِبها وركَضها ونجا عليها. فقال الحارثيُّ للذين بَقُوا معه: أتعرِفونَ هذا؟ قالوا: نعم نحن لكَ عَلَيه خُفَراءُ. فلمَّا أتى جرّاحٌ أباه أمرَه فهرب بها في بني سعْد فابْتَطَنَها[٥] ثلاثةَ أبْطُنٍ، وكان يُقال لها: العَصْماء. فلما رجع النَّفَرُ النَّهْشَليُّون إلى قومهم قالوا إنّا خُفَراءُ فارسِ العصماءِ، فوالله لنأخذُنَّها، فأوْعَدُوه[٦]. وقال حُرَيْرٌ[٧] ورافعٌ: نحنُ الخفيرَان / بها. [١٣/٢٤] وكان بنو جَرْوَلٍ حُلَفاءَ بني سَلْمَى بن جَنْدَل عَلَى بني حارثة بن جندل، فأعانه على ذلك التَّيْحان بن بَلْج بن جَرْوَل بن نهشل. فقال الأسود بن يَعْفُر يَهْجُوه:

[١٣٨/١١]

// أتاني ولم أخشَ الذي ابْتُعِثا به ... خَفِيرَا بني سَلْمَى حُرَيرٌ ورافعُ

هُمُ خَيَّبوني يومَ كلُّ غنيمةٍ ... وأهلكتُهم[٨] لو أنَّ ذلك نافعُ

فلا أنا مُعْطِيهم عليَّ ظُلامةً ... ولا الحقَّ مَعْرُوفاً لهم أنا مانِعُ

وإني لأَقري الضيفَ وَصَّى به أبي ... وجارُ أبي التَّيْحانِ ظمآنُ جائعُ

فقُولاً لتَيْحانَ ابنِ عاقرةٍ أسْتِها ... أمُجْرٍ[٩] فلاقي الغَيِّ أمْ أنتَ نازعُ[١٠]

ولو أنَّ تَيْحانَ بنَ بَلْجٍ أطاعني ... لأرشدْتُه وللأمور مَطالعُ

وإنْ يكُ مَدلولاً[١١] عليَّ فإنَّني ... أخو الحَرْبِ لا قَحْمٌ[١٢] ولا مُتَجاذِعُ[١٣]

---

(١) نذر بالشيء وبالعدو (بكسر الذال) نذراً: علمه فحذره.

(٢) في الأصول: «حدين» صوابه من نقل البغدادي في «الخزانة» ١: ١٩٥ عن «الأغاني».

(٣) في سائر الأصول: «الحارث» وظاهر أنه تحريف، إذ هو الرجل الذي لحق بجماعة بني نهشل. وهو منسوب إلى بني الحارث بن تيم الله بن ثعلبة، وسيأتي بعد سطور بلفظ «الحارثي».

(٤) طلقاء: جمع طليق، وهو الأسير أطلق عنه إساره.

(٥) ابتطنها: نتجها ثلاث مرات.

(٦) أوعدوه: هددوه.

(٧) كذا في ط. وفي سائر الأصول «جرير» بالجيم.

(٨) كذا في الأصل و«خزانة الأدب».

(٩) مجر: قاصد إلى الشر، يقال: أجرى إلى الشيء قصده؛ وأكثر ما يستعمل الإجراء، محذوف المفعول، في الأمر المنكر المذموم. قال غلاق بن مروان بن الحكم بن زنباع:

هم قطعوا الأرحام بيني وبينهم ... وأجروا إليها واستحلوا المحارما

(١٠) النازع من النزوع وهو الكف عن الشيء، والانتهاء عنه.

(١١) مدلولاً علي: أي اجترأ القوم علي.

(١٢) القحم: الكبير السن.

(١٣) المتجاذع: الذي يرى أنه صغير السن. والجذع: الصغير السن.

ولكــنَّ تَيْحــانَ ٱبْــنِ عَــاقِــرةِ ٱستِهــا ... لــه ذَنَــبٌ[١] مِــن أمْــرِهِ وتَــوابِــعُ

قال: فلمّا رأى الأسودُ أنهم لا يُقْلِعون عن الفَرَس أو يردّوها، أحلَفهم عليها فحلَفوا أنهم خُفراءُ لها، فردّ الفرسَ عليهم وأمسك أمْهارَها، فردّوا الفرسَ إلى صاحِبها. ثم أظهر الأمْهارَ بعد ذلك، فأوْعَدُوه فيها أن يأخُذوها. فقال الأسود:

أحقًّــا بنــي أبنــاءِ سَلْمَــى بــنِ جَنْــدَلٍ ... وَعِيــدُكُــمُ إيــايَ وَسْــطَ المجــالــس

فهــلاّ جَعلتُــمْ نحــوَهُ مــن وَعِيــدِكــم ... علــى رَهْــطِ قَعْقَــاعٍ ورهــطِ ٱبْــنِ حــابِــس

/ هُــمُ مَنَعــوا منــك تُــراثَ أبيكُــمُ ... فصــار التُّــراثُ للكــرام الأكــايِــس [٢٥/١٣]

هُــمُ أوْرَدوكــم ضَفَّــةَ البحــرِ طــامِيــاً ... وهُــمْ تــركــوكــم بيــن خــازٍ[٢] ونــاكــس[٣]

رثاؤه مسروق بن المنذر النهشلي وكان كثير البر به

وقال أبو عمرو: كان مَسْروقُ بنُ المُنْذر بنِ سَلْمَى بن جَنْدلِ بنِ نَهْشَل سيِّداً جواداً، وكان مُؤْثِراً للأسود بن يَعْفُر، كثيرَ الرِّفْد له والبرِّ به. فمات مسروق وٱقتسم أهلُه مالَه، وبانَ فقدُه على الأسْوَدِ بن يَعْفُرَ فقال يَرثيه:

أقــول لمّــا أتــانــي هُلْــكُ سَيِّــدِنــا ... لا يُبْعِــدِ اللهُ ربُّ النــاس مَسْــروقَــا

مَــن لا يشيِّعُــه[٤] عجــزٌ ولا بَخَــلٌ ... ولا يَبِيــتُ لــديــه اللّحــمُ مَــوْشُــوقــا[٥]

مِرْدَى حُروبٍ[٦] إذا مــا الخيلُ ضَرَّجَهــا[٧] ... نَضْــحُ الــدمــاءِ وقــد كــانــتْ أفــاريقــا[٨]

والطــاعــنُ الطعنــةَ النَّجْــلاءَ تحسَبُهــا ... شَنّــاً[٩] هَزيمــاً[١٠] يَمُــجُّ المــاءَ مَخْــروقــا

وجَفْنــةٍ[١١] كنَضِيــحِ[١٢] البِئْــرِ مُتْأَقَــةٍ[١٣] ... تَــرى جَوانبَهــا بــاللحــم مفتــوقــا[١٤]

يَسَّــرْتَهــا ليتامَــى أو لأرْمَلــةٍ ... وكنــتَ بــالبائِــس المتروكِ مَحْقوقا[١٥]

يــا لَهْــفَ أُمّــيَ إذْ أودَى وفــارَقنــي ... أودَى ٱبْــنُ سَلْمَــى نقــيُّ العِــرْض مَــرْمُــوقــا

---

(١) له ذنب: لأمره عواقب.

(٢) الخازي، من خزي بالكسر يخزي خزياً، إذا ذل وهان، كما فسرها البغدادي في «الخزانة».

(٣) الناكس: المطأطىء رأسه.

(٤) يشيعه: يصحبه ويتبعه.

(٥) الموشوق: المقدد. يقال وشق اللحم بشقه إذا شرحه وقدّده، يقول: إنه لكرمه لا يدّخر اللحم إلى غد.

(٦) مردى حروب: شجاع صبور عليها، غالب؛ وأصل المردى: الحجر الذي تكسر به الصخور، ويكسر به النوى، وأكثر ما يقال في الحجر الثقيل.

(٧) ضرجها: لطخها.

(٨) الأفاريق: جمع أفراق، وأفراق جمع فرقة وهي: الطائفة والجماعة.

(٩) الشن: القربة القديمة الصغيرة.

(١٠) الهزيم: اليابس المتكسر.

(١١) الجفنة: القصعة.

(١٢) نضيح البئر: حوضها.

(١٣) المتاقة: الممتلئة.

(١٤) المفتوق: المشقوق. قال في «اللسان» «مادة فتق» بعد أن ذكر هذا الشطر: «إنما أراد مفتوقة فأوقع الواحد موقع الجماعة». وفي ط و«اللسان»: «. . . بالشحم مفتوقا».

(١٥) المحقوق هنا: الخليق. قال في «اللسان»: «قال شمر: تقول العرب: حق علي أن أفعل ذلك، وحق، وإني لمحقوق أن أفعل خيراً، وهو حقيق به، ومحقوق به، أي خليق له، والجمع أحقاء ومحقوقون».

[٢٦/١٣] / ما أجاب به بنته وقد لامته على جوده

وقال أبو عمرو: عاتبتْ سَلْمى بنتُ الأسودِ بن يَعْفُرَ أباها على إضاعتهِ مالَه فيما يَنُوبُ قومَه من حَمالَةَ[(١)] وما يمنحُهُ فُقَراءَهم ويُعين به مُسْتمنِحَهم، فقال لها:

وقـالـت لا أراك تُليـقُ شيئـاً ... أتُهلِـكُ مـا جَمعـتَ وتَستفيـدُ[(٢)]

فقلـتُ بِحَسْبِهـا يَسَـرٌ وعـارٍ ... ومُـرتَحِـلٌ إذا رَحَـل الـوفـودُ[(٣)]

فلُـومـي إنْ بـدا لـكِ أو أفيقـي ... فقَبْلَـكِ فـاتَنـي وهـو الحَمِيـدُ

أبـو العَـوْراءِ لـمْ أكْمَـدْ عليـه ... وقيـسٌ فـاتَنـي وأخـي يـزيـدُ

مَضَـوْا لِسبيلهـم وبَقِيـتُ وَحـدِي ... وقـد يُغْنـي رِبـاعتـه الـوَحِيـدُ[(٤)]

/ فلـوْلا الشـامِتـونَ أخـذْتُ حَقّـي ... وإنْ كـانـتْ بمطلبـه كَـؤُودُ[(٥)]

١٣٩
١١

ويروى:

* وإنْ كانت له عِنْدي كَؤودُ *

ما قاله في ابنه جراح وكان ضئيلاً وضعيفاً

قال أبو عمرو: وكان الجرّاح بن الأسْوَد في صِباه ضئيلاً ضعيفاً، فنظر إليه الأسود وهو يُصارِع صبيًّا من الحيّ ـ وقد صَرَعه الصبيُّ ـ والصبيان يَهْزَءُون منه، فقال:

سيَجْـرَحُ جـرّاحٌ وأعْقِـلُ ضَيْمَـه ... إذا كـان مَخْشِيًّـا مـن الضَّلَـع المُبْـدِي[(٦)]

فـآبـاءُ جـرّاحٍ ذُؤابـةُ دارِمٍ ... وأخـوالُ جـرّاحٍ سَـراةُ بنـي نَهْـد

قال: وكانت أمّ الجرّاح أخِيذةً، أخذها الأسودُ من بني نَهْد في غارةٍ أغارها عليهم.

[٢٧/١٣] / ما قاله لما أسنّ وكف بصره

وقال أبو عمرو: لمّا أسنّ الأسودُ بنُ يَعْفُر كُفَّ بَصَرُه، فكان يُقاد إذا أراد مذهباً. وقال في ذلك:

قـد كنـتُ أهْـدِي ولا أُهْـدَى فعلَّمنـي ... حُسْـنُ المَقـادةِ أنـي أفقِـدُ البَصَـرا

أمْشـي وأتْبَـعُ جُنّـابـاً ليَهْـدِيَنـي ... إنّ الجَنِيبـةَ ممـا تَجْشَـمُ الغَـدَرا[(٧)]

الجُنّاب: الرجل الذي يقوده كما تُقاد الجَنِيبة. الجَشْمُ: المشي ببطء. والغدَرُ: مكانٌ ليس مستوياً.

---

(١) الحمالة: ما يحمله عنهم من مغارم.

(٢) يقال: فلان ما يليق شيئاً أي ما يمسك شيئاً.

(٣) اليسر: القوم المجتمعون على الميسر. والعاري: الذي يعرو القوم يلتمس معروفهم. والمرتحل: الذي يرتحل البعير، أي يركبه بالقتب.

(٤) الرباعة، بالفتح وبالكسر: الشأن والأمر وهي القبيلة أيضاً.

(٥) كؤد صفة لموصوف محذوف وهو العقبة التي تعترض من الطريق، وكان تامة. ورواية ط:

فلـولا الشـامتـون لأخـذ حقـي ... وإن كـانـت بمطلبـه كـؤود

(٦) أعقل: أحمل عنه. الضلع: الاعوجاج خلقة. والمعنى أن هذا العيب لا يمنع من أنه سيقوى فآباؤه وأخواله رؤساء وسادة ولن يتخلف عن صفاتهم وشمائلهم. والمبدي، لعلها «المندي» بالنون، أي المخزي.

(٧) جناب بضم الجيم لا بالفتح: الذي يسير مع الرجل إلى جنبه (كما ورد في «اللسان»). والجنيبة: الدابة تقاد. والغدر: ما واراك وسد بصرك.

شعر لأخيه حطائط وقد لامته أمه على جوده

وذكر محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، عن المفضَّل: أن الأسود كان له أخٌ يقال له حُطَائط بن يَعْفُرَ شاعر، وأن ابنه الجرّاح كان شاعراً أيضاً. قال: وأخوه حُطائط الذي قال لأُمّهما رُهْم بنت العَبّاب، وعاتبته على جوده فقال:

تقـول ابنـةُ العبّـاب رُهْـمُ حَـرَبْتَنـي ... حُطـائـطُ لـم تَتْـرُكْ لنفسـك مَقْعَـدا[1]

إذا مـا جمعنـا صِـرمـةً بعـد هَجْمـةٍ ... تكـون علينـا كـابـن أُمِّـك أسـودا[2]

فقلـتُ ولـم أَعْـيَ الجـوابَ: تـأمَّلِـي ... أكـان هُـزالاً حَتْـفُ زيـدٍ وأَرْبَـدا[3]

أرِينـي جَـواداً مـات هُـزْلاً لعلَّنـي ... أرَى مـا تَـرَيْـن أو بخيـلاً مُخلَّـدا

ذَرِينـي أكُـنْ للمـال ربًّـا ولا يكـن ... لـي المـالُ ربًّـا تَحمـدي غِبَّـه غـدا

/ ذَرِيني فـلا أعيـا بمـا حَـلَّ سـاحَتِـي ... أسُـودُ فـأُكْفَـى أو أطِيـعُ المُسَـوَّدا [٢٨/١٣]

ذرينـي يكـنْ مـالـي لِعِـرضـي وِقـايـةً ... يَقِـي المـالُ عِـرْضِـي قَبـل أن يتبـدَّدا

أجـارةَ أهلـي بـالقَصيمـةِ لا يكـن ... علـيَّ - ولـم أَظْلِـمْ - لسـانُـكِ مِبْـرَدا[4]

صوت

أعـاذِلَتـي ألَا لا تَعـذُلِينـا ... أقِلِّـي اللـومَ إنْ لـم تَنْفَعينـا

فقـد أكثـرتِ لـو أغنيـتِ شيئـا ... ولسـتُ بقـابـلٍ مـا تـأمُـرِينـا

الشعرُ لأَرْطاةَ بن سُهَيَّة، والغناءُ لمحمد بن الأشعث، خفيفُ رَملٍ بالبِنْصَر، من نسخة عمرو بن بانَة.

(١) حربتني: سلبتني مالي.

(٢) في «الحماسة» (طبع أوروبا ص ٧٥٥): «أفدنا» بدل جمعنا. والصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين. والهجمة: أربعون من الإبل إلى سبعين فما دون المائة. فإذا بلغت المائة فهي الهنيدة. وقد روى «عليها» وفي الأصول: «علينا». يريد: تعود عليها سالكاً طريق أخيك الأسود بن يعفر في السخاء بذلك المال.

(٣) يقول: إن زيداً وأربد من كرام قومنا لم يموتا من هزال. وفي «الحماسة»: «نهد» بدل «زيد». وفيها أيضاً: «وقيل إن بهذا وأربد كانا أخوين لحطائط».

(٤) القصيمة: (بالفتح ثم الكسر) الرملة التي تنبت الغضى. وفي «معجم البلدان»: القصيمة بلفظ التصغير، ويضاف فيقال قصيمة الطرّاد. قال الأسود بن يعفر:

بـالجـوّ فـالأمـراج حـول مـرامـر ... فبضـارج فقصيمـة الطـرّاد

[١٣/٢٩]

/ أخبار ازطاة ونسبه

نسبه من قبل أبويه وبيان أن أمه كانت لضرار بن الأزور فصارت إلى زفر وهي حامل بأرطاة

هو أرْطاةُ بنُ زفرَ بن عبد الله بن مالك بن شدّاد بن عُقْفان[١] بن أبي حارثة بن مُرّة بن نُشْبة بن غَيْظِ بن مُرَّة [بن عَوْف][٢] بن سعد بن ذُبْيانَ. وقد تقدّم هذا النسبُ في عدّة مواضِعَ من هذا الكتاب. وسُهَيَّةُ أمُّه؛ وهي بنتُ زامِل بن مَرْوانَ بن زُهَير بن ثَعْلبة بن حُدَيْج بن أبي جُشَم / بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف، سَبِيَّةٌ من كلب، وكانت لضِرَارِ بن الأزْوَر ثم صارت إلى زُفَرَ وهي حاملٌ فجاءت بأرْطاة من ضِرَارٍ على فِرَاش زُفَر؛ فلما ترعرع أرطاة جاء ضِرَارٌ إلى الحارث بن عوف فقال له:

* يا حارِثُ افْكُكْ لي بُنَيَّ من زُفَرْ *

ـ ويروى: «يا حارِ أَطْلِقْ لِي» ـ

* في بعضِ مَنْ تُطلِقُ مِن أسْرَى مُضَرْ *

* إنّ أباه امْرُؤُ سَوْءٍ إن كُفِرْ[٣] *

فأعطاه الحارث إياه وقال: انطلقْ بابْنِك، فأدركه نَهْشَلُ بن حَرّيّ بن غَطَفان فانتزعه وردَّه إلى زُفَرَ. وفي تَصْداق ذلك يقول أرْطاةُ لبعضِ أوْلادِ زُفَرَ:

فـإذا خَمَصْتـم[٤] قلتـمُ يـا عمَّنـا وإذا بَطِنتـمُ[٥] قلتـمُ ابـنَ الأزْوَرِ

[١٣/٣٠] / قال: ولهذا غلبتْ أمه سُهَيَّةُ على نَسَبه فنُسِب إليها. وضِرارُ بن الأزْوَرِ هذا قاتِلُ مالك بن نُوَيْرَة الذي يقول فيه أخوه مُتَمِّم:

نِعْـمَ القتيـلُ إذا الـرِّيـاحُ تَنـاوَحَـتْ تحـتَ البيـوت، قَتلـتَ يـابـنَ الأزْوَرِ

منزلته في الشعر

وأرطاة شاعر فصيح، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمَيّة لم يَسْبِقْها ولم يتأخّر عنها. وكان امرأً صِدْقٍ شريفاً في قومه جَوَاداً.

إنشاده عبد الملك بعض ما ناقض به شبيب بن البرصاء

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّان رُفَيع بن سَلَمة الملقّب بدَماذ، قال: حدّثنا أبو عُبَيْدَةَ قال:

---

(١) في الأصول: «غطفان» والتصويب مما سيأتي في الشعر. وقد صححها كذلك الشنقيطي في نسخته.

(٢) الزيادة من «شرح شواهد المغني للبغدادي» (ج ٢ ص ٥٧٢) نسخة مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢ نحو ـ ش) و«القاموس المحيط» مادة (غيظ) ومما تقدّم في هذا الكتاب ومن ذلك ما ورد في أخبار النابغة ونسبه. (الجزء الحادي عشر الصفحة الثالثة من هذه الطبعة).

(٣) كفر: جحد حقه في أبوّته.

(٤) خمصتم: جعتم.

(٥) بطنتم: شبعتم.

دخل أرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان، فاستنشده شيئاً مما كان يناقض[(١)] به شَبِيبَ بن البَرْصاء، فأنشده:

أبـي كـان خيـراً مـن أبيـكَ ولـم يَـزَلْ جَنيبـاً لآبـائـي وأنـت جنيـبُ[(٢)]

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبتَ، شبيبٌ خيرٌ منك أباً. ثم أنشده:

ومـا زلـتُ خيـراً منـك مـذ عَـضَّ كَـارِهـاً بـرأسـك عـاديُّ النِّجـاد رَسـوب[(٣)]

معرفة عبد الملك مقادير الناس على بعدهم

فقال له عبد الملك: صدقت، أنت في نفسك خيرٌ من شبيب. فعجب من عبد الملك مَنْ حضر ومِنْ معرفته مقاديرَ الناس[(٤)] على بُعْدهم منه في بواديهم، وكان الأمر على ما قال: كان شبيب أشرفَ أباً من أرطاة، وكان أرطاة أشرف فعلاً ونَفْساً من شبيب.

ما قاله لعبد الملك وقد أسنّ

/ أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدثنا عمرو بن بحرٍ الجاحظُ ودَماذُ أبو غسّان، قالا جميعاً، قال أبو [٣١/١٣] عبيدة:

دخل أرطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مَرْوان، فقال له: كيف حالُك يا أرطاة؟ ـ وقد كان أسنّ ـ فقال: ضَعُفتْ أوصالي، وضاع مالي، وقلَّ منّي ما كنت أُحِبّ كثرته، وكثُر مني ما كنت أُحِبّ قِلَّته. قال: فكيف أنت في شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرَبُ ولا أغضبُ ولا أرغَبُ ولا أرهبُ، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع، وعلى أنّي القائل:

رأيـتُ المـرءَ تـأكلُـهُ الليـالـي كـأكـلِ الأرضِ سَـاقِطـةَ الحـديـدِ
ومـا تَبْغـي المَنِيَّـةُ حيـنَ تـأتـي علـى نَفْـسِ ابْـنِ آدمَ مـن مَـزيـدِ
وأعْلَـمُ أنهـا سَتكُـرُّ حتَّـى تُـوَفِّـي نَـذْرَهـا بـأبـي الوَليـدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال: بل تُوَفِّي نَذْرَها بك وَيْلَك! ماليَ ولك؟ فقال: لا تُرَعْ يا أمير المؤمنين، / فإنّما عَنَيْتُ نفسي ـ وكان أرطاة يُكْنَى أبا الوليد فسكّن عبد الملك، ثم استعبر باكياً وقال: أمَا والله على ذلك لتُلِمَّنَّ[(٥)] بي. ١٤١/١١

أخبرني به حبيب بن نَصْر المُهَلَّبيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني أبو غسّان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحِيل[(٦)] معنًى.

مدحه مروان لما اجتمع له أمر الخلافة

أخبرني عبد الملك بن مَسْلَمة القُرَشيّ الهشاميّ بأنْطاكِيَة[(٧)] قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سُهَيَّة دخل على مَرْوان بن الحَكَم لَمّا اجتمع له أمرُ الخلافة.

(١) يناقض: يعارض، والمناقضة هي أن يعارض الشاعر غيره في قصيدته من نفس الوزن والروي.
(٢) الجنيب: الطائع المنقاد.
(٣) النجاد: حمائل السيف. وعادي النجاد: سيف قديم، كأنه لقدمه أدرك زمن عاد، والرسوب: الماضي الذي يغيب في الضريبة ويرسب. وفي ب، س، ط: «ركوب» ولا وجه له.
(٤) في ط «بسائر الناس».
(٥) لتلمنّ بي: لتنزلن بي.
(٦) أحال الكلام يحيله إحالة: غيره وفسده.
(٧) أنطاكية (بتخفيف الياء): بلد معروف في شمال الساحل الشامي.

[٣٢/١٣] / وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلاً. وصَمَدَ[١] لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزُّبَير لمحاربته، فهنّأه وكان خاصًّا به وبأخيه يحيى بن الحكم، ثم أنشده:

تَشَكَّى قَلُوصِي إليَّ الوَجَى ... تَجُرُّ السَّرِيحَ وتُبْلِي الخِدامَا[٢]
تَزُورُ كَرِيماً لَه عندها[٣] ... يدٌ لا تُعَدُّ وتُهْدِي السَّلامَا
وقَلَّ ثَواباً لَه أنّها ... تُجِيدُ القَوافِيَ عاماً فعامَا
وسَادَتْ مَعَدًّا على رَغْمِها ... قُرَيْشٌ وسُدْتَ قريشاً غُلامَا
جُعِلْتَ على الأمرِ فيه صَغاً[٤] ... فما زال غَمْزُك حتى استقامَا
لَقِيتَ الزُّحوفَ فقاتلتَها ... فجرّدتَ فيهنّ عَضْباً حُسَامَا
تَشُقُّ القَوانسَ[٥] حتى تَنا ... لَ ما تحتها ثم تَبْرِي العِظَامَا
نَزَعْتَ[٦] على مَهَلٍ سابقاً ... فما زَادَكَ النَّزْعُ إلاّ تَمامَا
فزاد لَكَ اللهُ سُلطانَهُ ... وزاد لك الخيرَ منه فَدامَا

فكساه مَرْوانُ وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهنَّ له بُرًّا وزَبِيباً وشعيراً.

هجاؤه شبيباً وقد وقع فيه عند يحيى بن الحكم

قال: وكان أرطأة يُهاجي شَبيب بن البَرْصاء، ولكلِّ واحد منهما في صاحبه هجاءٌ كثير، وكان كلُّ واحد منهما [٣٣/١٣] ينفي صاحبَه عن عشيرته في أشعاره، فأصلح بينهما / يحيى بن الحَكَم، وكانت بنو مُرَّةَ تألَفُه وتَنْتَجِعهُ لصِهره فيهم. فلما افترقا سَبَعه[٧] شبيبٌ عند يحيى بن الحكم؛ فقال أرطاة له:

رَمَتْكَ فلم تُشْوِ[٨] الفؤادَ جَنوبُ ... وما كلُّ من يَرْمِي الفؤادَ يُصيبُ
وما زَوَّدَتْنا غيرَ أن خَلَطَتْ لنا ... أحاديثَ منها صادقٌ وكَذوبُ
ألا مُبْلِغٌ فِتيانَ قَومِيَ أنّني ... هَجَانِي ابنُ بَرْصاءِ اليَدَيْنِ شَبيبُ
وفي آل عَوْفٍ من يَهودَ قَبيلةٌ ... تَشَابَهَ منها ناشئون وشِيبُ
أبِي كان خَيراً من أبيكَ ولم يزل ... جَنيباً لآبائي وأنتَ جَنيبُ[٩]

---

(١) صمد: قصد.

(٢) القلوص: الناقة الشابة. الوجي: الحفا. والسريح: الذي تشدّ به الخدمة فوق الرسغ. والخدام جمع خدمة (بالتحريك) هي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشدّ في رسغ البعير ثم يشدّ إليها سرائح نعلها.

(٣) في س: «عنده» وهو تحريف.

(٤) الصغا: الميل.

(٥) القوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة من الحديد.

(٦) نزعت: جريت.

(٧) سبعه: شتمه ووقع فيه بالقول القبيح.

(٨) لم تشو: لم تصب الشوى، والشوى: كل ما كان غير مقتل من الأعضاء. وجنوب: اسم امرأة.

(٩) الجنيب: المنقاد.

وما زلتُ خيراً منكَ مذ عضَّ كارهاً ... برأسك عاديُّ النِّجادِ رَسوبُ
فما ذَنْبُنا إن أمُّ حمزةَ جاورتْ ... بيثْرِبَ أتياساً لهنَّ نَبيبُ[1]
وإنَّ رجالاً بين سَلْعٍ وواقِمٍ[2] ... لأَيْرِ أبيهم في أبيكَ نصيبُ
فلو كنتَ عَوْفيًّا عَمِيتَ وأسْهلتْ ... كُداكَ ولكنَّ المُريبَ مُريبُ[3]

حرص العوفيين على العمى عند الكبر

فأخبرني عمي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال: لمّا قال هذا الشعرَ أرطاة في شبيب بن البرصاء كان كلُّ شيخ من بني عَوْفٍ يتمنّى أن يَعْمَى ـ وكان العَمَى شائعاً / في بني عوف كلّما أسنّ منهم رجل عَمِيَ ـ فعُمِّر أرطاة ولم يَعْمَ، فكان شبيبٌ يعيِّره بذلك. ثم مات أرطاة وعَمِي شبيب، فكان يقول بعد ذلك: ليتَ أرطاةَ عاش حتى يراني أعْمَى فيعلَمَ أنّي عَوْفيّ. ١٤٢/١١

[٣٤/١٣]

/ ما كان له مع شبيب وقد تمنى لقاءه في يوم قتال

ونسخت من كتاب ابن الأعرابيّ في شعر أرطاة قال: كان شبيبُ بنُ البُرصاء يقول: وددت أنّي جمعني وابنَ الأمَة أرطاةَ بنَ سُهَيَّةَ يومُ قتال فأشفي منه غيظي. فبلغ ذلك أرطاة فقال له:

إنْ تَلْقَني لا تَرَى غيري بناظِرةٍ ... تَنْسَ السلاحَ وتَعرِفْ جبهةَ الأسدِ[4]
ماذا تظنُّكَ تُغني في أخي رَصَدٍ ... من أُسْدِ خفّانَ جابِي العَينِ ذي لبدِ[5]

ـ جابي العين وجائب العين: شديد النظر ـ

أبي ضَراغِمَةٍ غُبْرٍ يَعُودُها ... أكلَ الرجالِ متى يَبْدأْ لها يَعُدِ
يا أيها المتمنّي أن يُلاقيَني ... إن تَنْأَ تَنْأَكَ أو إن تَبْغِني تَجِدِ
نَقْضَ اللُّبانةِ مُرَّ شرائعُه ... صَعْبَ المَقادة تَخشاه فلا تعُدِ[6]
متى تَرِدْني لا تَصْدُر لمَصْدَرة ... فيها نجاةٌ وإن أُصْدِرْكَ لا تَرِد
لا تحسبَنّي كفَقْعِ[7] القاعِ يَنقُره ... جانٍ[8] بإصبعه أو بَيْضةِ[9] البَلَد
أنا ابن عُقْفانَ معروفٌ له نَسبي ... إلا بما شاركت أمٌّ على وَلَد

---

(١) النبيب: صياح التيوس عند هياجها.
(٢) سلع: جبل متصل بالمدينة. وواقم: أطم من آطامها وإليه تنسب حرة واقم.
(٣) كدى: جمع كدية (بالضم) والكدية: الأرض الغليظة. يريد: لو كنت من بني عوف بن سعد بن ذبيان لعميت مثل كثيرين منهم ولسهلت أرضك الغليظة.
(٤) الناظرة: العين.
(٥) في ب، س «ماذا أظنك». والتصحيح من نسخة ط. أخي رصد، يقال رصده رصداً ورصداً بفتح الصاد: رقبه، كرصده. والراصد: الأسد. والرصيد: السبع يرصد الوثوب، كما في «القاموس». وخفان: موضع قرب الكوفة كان مأسدة.
(٦) الشرائع: (جمع شريعة) وهي مورد الشاربة، يقول: إن من يطمع في مواردي يجد ماءً مراً.
(٧) فقع القاع: الكمأة.
(٨) الجاني: الذي يجنيها.
(٩) بيضة البلد: الخامل الذي لا يعرف نسبه، ويضرب به المثل للذل.

لاقىْ الملوكَ فأثْأَى[١] في دمائهمُ ... ثم استقرَّ بلا عَقْلٍ ولا قَوَدِ[٢]
مِن عُصْبة يَطعنُون الخيلَ ضاحِيةً[٣] ... حتى تَبَدَّدَ كالمَزْءُودة[٤] الشُّرُدِ[٥]
ويَمنعون نساءَ الحيّ إن عَلِمت ... ويَكشفون قَتامَ[٦] الغارة العمد

[١٣/٣٥] / أنا ابنُ صِرْمة إن تَسأل خِيارَهُم ... أضربْ برِجليَّ في ساداتهم ويَدي[٧]
وفي بني مالك أم وزافِرةٌ ... لا يدفع المجد من قَيْس إلى أحد[٨]
ضربتَ فيهم بأعْرافي كما ضَربت ... عُروقُ ناعمة في أَبْطَح ثَئِدِ[٩]
جَدّي قضاعة معروف ويعرفني ... جَبا رفيدة أهل السَّرو والعدد[١٠]

خبر حبه لوجزة وبعض ما قال فيها

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال:

كان أرطاة بن سُهَيّة يتحدث إلى امرأة من غَنِيّ يقال لها وَجْزَة، وكان يهواها ثم افترقا وحال الزمان بينهما وكبر أرطاة، ثم اجتمعت غَنِيّ وبنو مُرّة في دار، فمرّ أرطاة بوجْزة وقد هرِمت وتغيَّرت محاسنها وافتقرت، فجلس إليها وتحدّث معها وهي تشكو إليه أمرها، فلما أراد الانصراف أمر راعيه فجاء بعشرة من إبله فعقلها بفنائها وانصرف وقال:

مررتُ على حِدْثي[١١] برَمّان[١٢] بعدما ... تَقطَّعَ أقرانُ الصِّبا والوسائلُ
فكنتُ كظَبْيٍ مفلِتٍ ثمّ لم يزل ... به الحَيْن[١٣] حتى أعلقته الحبائل[١٤]

أرطاة ينسب بوجزة

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: وقد ذكر أرطاةُ بنُ سهيةَ وجزةَ هذه، ونسب بها في مواضع شعره، فقال في قصيدة:

[١٣/٣٦] / وداوية[١٥] نازعتُها الليلَ زائرا ... لوِجزةَ تَهديني النجومُ الطوامس[١٦]

(١) أثأى: جرح وطعن.
(٢) أي لم يرزأ بدية ولا قصاص.
(٣) الضاحية: البارزة.
(٤) المزءودة: المذعورة.
(٥) الشرد (جمع شرود): النافر.
(٦) القتام: الغبار.
(٧) صرمة: هو ابن مرة بن عوف بن سعد، من أسلاف أرطاة.
(٨) زافرة الرجل: عشيرته وأنصاره.
(٩) أعراقي: أصولي. والناعمة: النبتة الحسنة الغذاء والري. والأبطح: المسيل الواسع، وثئد: نديّ.
(١٠) قضاعة: جد الشاعر لأمه وهي سهية الكلبية. الجبا، بالفتح: الحوض، وما حول البئر. يعني به جماعة القبيلة. ورفيدة ابن ثور الجد الأعلى لقبائل كلب الذين تنسب إليهم أم الشاعر. والسرو: المروءة والندى.
(١١) الحدث: المحدث والمسامر.
(١٢) رمان: جبل في بلاد طيىء.
(١٣) الحين: الهلاك.
(١٤) الحبائل جمع حبالة (بالكسر) وهي: التي يصاد بها.
(١٥) الداوية، بتشديد الياء وتخفيفها: الفلاة الواسعة المستوية.
(١٦) النجوم الطوامس: التي ذهب نورها.

١٤٣/١١

أعُوجُ[١] بأصحابي عن القصد[٢] تعتلي[٣] ... بنا عُرضِ كِسْريها[٤] المطيُّ[٥] العَرامِس[٦] /

فقد تَركتني لا أعيجُ[٧] بمشرب ... فأرْوَى ولا ألهو إلى من أجالس

ومن عجب الأيام أنْ[٨] كلّ منزل ... لوجزة من أكناف رمّان دارس

وقد جاورت قصرَ العُذَيب[٩] فما يُرى ... برمّانَ إلا ساخطُ العيش بائس

طِلابٌ بعيدٌ واختلافٌ من النوى ... إذا ما أتى من دون وجزة قادسُ[١٠]

لئن أنْجحَ الواشون بيني وبينها ... وطال التنائي والنفوسُ النوافس[١١]

لقد طالما عِشنا جميعاً وودُّنا ... جميعٌ إذا ما يبتغي الأُنسَ آنِس[١٢]

كذلك صَرْفُ الدهر ليس بتاركٍ ... حبيباً ويبقى عمرُه المتقاعِسُ

/ وقال ابن الأعرابيّ: كانت بين أرطاةَ بنِ سُهَيّةَ وبين رجلٍ من بني أسدٍ يقال له حيان مهاجاة، فاعترض بينهما [٣٧/١٣] حُبَاشةُ الأسديّ فهجا أرطاةَ فقال فيه أرطاةُ:

أبلغْ حُبَاشةَ أني غيرُ تاركه ... حتى أذلّلَهُ إذا كان ما كانا

الباعثَ القولِ يُسْديه ويُلحمه ... كالمُجتَدي الثُّكلَ إذ جاورتُ حيانا

إنْ تدعُ خندفَ بغياً أو مكاثرةً ... أدعُ القبائلَ من قيسِ بنِ عَيْلانا

قد نَحْبِس الحقَّ حتى ما يجاوزنا ... والحقُّ يحبسنا في حيثُ يلقانا

نبني لآخرِنا مَجْداً نُشيِّده ... إنّا كذاك ورِثْنا المجدَ أولانا

وقال ابنُ الأعرابيّ: وفدَ أرطاةُ بنُ سُهَيّةَ إلى الشام زائراً لعبد الملك بن مروان عام الجماعة[١٣]، وقد هنّأه

---

(١) أعوج: أميل.

(٢) القصد: استقامة الطريق.

(٣) تعتلي: ترتفع.

(٤) كسرا كل شيء: ناحيتاه.

(٥) المطي: جمع مطية، وهي الناقة التي يركب مطاها أي ظهرها.

(٦) العرامس: جمع عرمس (بالكسر)، وهي الناقة الصلبة الشديدة.

(٧) لا أعيج بمشرب: لا أكترث له ولا أباليه.

(٨) أن هنا: مخففة من الثقيلة.

(٩) العذيب: واد بظاهر الكوفة، أو هو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. وقصر العذيب: هو القصر الذي أشرف منه سعد بن أبي وقاص على جيش المسلمين في قتاله مع جيش الفرس في وقعة القادسية. انظر «معجم ما استعجم للبكري»، و«معجم البلدان لياقوت» و«تاريخ الطبري» (القسم الأول ص ٢٣٥١ طبع أوروبا).

(١٠) النوى: النية، والقصد لبلد غير الذي أنت مقيم فيه، والبعد والتحول. وقادس: أراد بها القادسية. قال الكميت:

كأني على حب البويب وأهله ... يرى بالجباتين العذيب وقادسا

انظر «معجم ما استعجم» في رسم: «الجاب».

(١١) كذا في جـ. والنوافس: جمع نافس، وهو الحاسد. وفي بقية الأصول: «النفائس» وهو تحريف لأن «فعائل» لا يطرد في «فاعل» سواء أكان اسماً أو وصفاً، وإنما الذي يطرد فيه «فواعل». انظر «شرح الأشموني» (ج ٣ ص ١٧٧ طبع بولاق).

(١٢) كذا في ب، س، وفي ط: «إلى ما يبتغي». وفي جـ: «إلى من يبتغي».

(١٣) المعروف أن عام الجماعة هو عام ٤١ هـ حينما تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة إلى معاوية وعبدالملك بن مروان ولي الخلافة سنة ٦٥. وعام الجماعة هنا العام الذي فرغ فيه عبد الملك من قتال الزبيريين والخوارج، وقتله عمرو بن سعيد الأشدق وكان يشارك عبد الملك في الخلافة.

بالظَّفَر، ومدحه فأطال المُقَامَ عنده، وأرجفَ أعداؤه بموته، فلما قدم ـ وقدْ ملأ يدَيْه ـ بَلَغَهُ ما كان منهم، فقال فيهم:

إذا ما طَلَعْنا من ثَنِيَّةِ لَفْلَفٍ[١] فخبِّرْ رجالاً يَكْرهُون إيابي
وخَبِّرهُمُ أني رجعتُ بغبطة أُحَدِّدُ أظْفَاري ويَصْرُفُ[٢] نابي
وإني ابنُ حرب لا تزالُ تَهِرُّني كلابُ عدوِّي أو تهِرُّ كلابي

أرطاة وزميل يتلاحيان

وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: وقع بينَ زُمَيلٍ[٣] قاتلِ ابن دارة وبين أرطاةَ بنِ سُهَيَّةَ لِحاءٌ؛ فتوعده زميل، وقال: إني لأحسَبُك ستَجْرعُ مثل كأس ابن دارة. فقال له أرطاةُ:

[١٣/٣٨] / يا زملُ إني إنْ أكُنْ لك سائقا تَرْكُضْ بِرجْلَيْك النجاة والْحَقِ
لا تحسَبَنِّي كامرىءٍ صادفْتَه بمَضِيعَةٍ فخدشتَهُ بالمِرْفَقِ
إنِّي امرؤٌ أوفِي إذا قارعتكُمْ قَصَبَ الرِّهَانِ وما أشأُ أتعرَّقِ[٤]

فقال له زميل:

يا أرطَ إن تكُ فاعلاً ما قلتَهُ والمرء يستَحيي إذا لم يَصْدُقِ
فافعل كما فعل ابنُ دارةَ سالمٌ ثم امش هَوْنَكَ[٥] سادراً لا تتَّقِ
وإذا جعلتُكَ بين لَحْيَيْ شابِكِ الأ نياب فارعُد ما بدا لك وابرُقِ

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، قال: حدّثنا الرِّياشيُّ، قال: حدثنا الأصمعيُّ قال: قال أرطاة بن سهية للربيع بن قعنبٍ:

لقد رأيتُك عُرْياناً ومؤتَزِراً فما عرفتَ أالأُنثى أنتَ أمْ ذَكَر؟

١٤٤/١١ / فقال له الربيعُ: لكن سُهَيَّةُ قد عرفَتْني. فغلبه وانقطع أرطاة.

عبد الرحمن بن سهيل يتزوّج أم هشام ويأخذ عليها المواثيق عند وفاته ألا تتزوّج بعده ولكنها تزوجت عمر بن عبد العزيز

أخبرني عمي، قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْل العنزي قال: حدثنا قعنبُ بنُ المَحْرز عن الهَيْثم بن الربيع عن عمرو بن جَبَلَةَ الباهليّ قال: تزوّج عبد الرحمن بنُ سُهَيْل بن عمرو أمّ هشام بنتَ عبدِ الله بن عمر بن الخطاب، وكانت مِنْ أجمل نساء قُرَيش[٦]، وكان يجِدُ بها وَجْداً شديداً، فمرِض مَرْضَتَهُ التي هَلَك فيها، فجعل يُدِيمُ النظرَ

(١) لفلف: بلد تجاه برد من حرة ليلي. وهي من أداني ديار بني مرة (عن «معجم ما استعجم للبكري»). وفي هامش ط: «ويروى فبشر رجالاً».
(٢) صريف الأنياب: حرقها وسماع صوتها.
(٣) زميل: هو زميل بن عبد مناف الفزاري، تولى قتل ابن دارة لأنه هجا ثابت بن رافع الفزاري وهجا كذلك فزارة جميعاً فقال:
لا تأمننّ فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار
وابن دارة هذا: هو سالم بن مسافع. ودارة أمه. (انظر «الشعر والشعراء» ص ٢٣٦ طبع ليبسك).
(٤) أتعرق: أذهب.
(٥) الهون ومثله الهويني: التؤدة والرفق. والسادر هنا: الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع.
(٦) في أغلب النسخ: «قيس». والتصويب من جـ ونسخة الشنقيطي.

إليها وهي عندَ رأسِه، فقالت له: إنك لتَنْظُرُ إليّ نظر رَجلٍ له حاجة، قال: إي والله إن لي إليك حاجةً لو ظفرت بها لهان علي ما أنا فيه. قالت: وما هيَ؟ قال: أخافُ أن تتزَوّجي بَعْدي. قالت: فما يُرْضِيكَ مِن ذَلك؟ قال: أن تُوثّقي لي / بالأيمانِ المُغَلَّظَةِ. فحلفتْ له بكُلِّ يمينٍ سكنَتْ إليها نفسُه ثم هَلَك. فلما قَضتْ عِدتها خطبها عمرُ بن عبد [٣٩/١٣] العزيز وهو ـ أميرُ المدينة ـ فأرسَلَتْ إليه: ما أراكَ إلا وقد بلغتكَ يميني، فأرسلَ إليها: لك مكان كُلِّ عبدٍ وأمةٍ عبدان وأمتان، ومكان كلِّ عِلْقٍ[1] عِلْقانِ، ومكانَ كلِّ شيءٍ ضِعفُهُ. فتَزَوَّجَتْهُ، فدخَلَ عليها بطالٌ بالمدينة، وقيل: بل كان رجلاً من مشيخةِ قريشٍ مُغَفَّلاً، فلما رآها مع عمرَ جالسةً قال:

تبدلتِ بعد الخيزرانِ جريدةً ... وبعدَ ثيابِ الخزِّ أحلامَ نائمِ

فقال له عمر: جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم! فقالت أمّ هشام: ليس كما قلتَ، ولكن كما قال أرطاة بن سهية:

وكائنْ تَرَى من ذاتِ بثٍّ وعَوْلَةٍ ... بكت شجوها بعد الحنين المُرَجِّعِ
فكانت كَذاتِ البَوِّ[2] لمَّا تعطفتْ ... على قطعٍ من شِلْوِهِ المُتَمَزِّعِ
متى لا تَجِدْه تَنْصَرِفْ لِطِياتِها[3] ... مِنَ الأرض أو تعمِدْ لإلفٍ فتَرْبَعِ
عَنِ الدهرِ فاصفحْ إنه غيرُ مُعْتِبٍ ... وفي غيرِ مَن قدوارَتِ الأرضُ فاطمَعِ

وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ يرثي بها أرطاةُ ابنه عمراً.

أرطاة يقيم عند قبر ابنه حولاً ويرق قومه لحاله بعد ذلك فيقيمون عامهم ذلك

أخبرني مُحَمَّدُ بنُ عِمْرانَ الصَّيْرَفِيُّ، قال: حدثنا الحسَنُ بن عُلَيْلٍ، قال: حدثنا قَعْنَبُ بنُ المحرزِ عن أبي عبيدة، قال: كان لأرطاة بن سُهَيَّةَ ابنٌ يُقال له: عمرو، فمات، فجزِعَ عليه أرطاة حتى كاد عقله يذهب، فأقامَ على قبرِه، وضرب بيتَه عنده لا يفارقه حولاً. ثم إن الحيَّ أراد الرَّحيلَ بعد حول لنُجعةٍ بَغَوها، فغدا على قبره، فجلسَ عندَه / حتى إذا حان الرواحُ ناداه: رُحْ يا ابنَ سَلْمَى مَعَنا! فقال له قومُه: نَنْشُدُكَ الله في نفسك وعقلِكَ ودينك، [٤٠/١٣] كيفَ يروحُ معك من ماتَ مُذْ حَوْلٍ؟ فقال: أنْظروني الليلةَ إلى الغد. فأقاموا عليه، فلمَّا أصبح ناداه: اغدُ يا ابنَ سلمى معنا، فلم يَزَلْ الناسُ يُذَكِّرونه اللهَ ويُناشِدُونَه، فانتضى سَيْفَهُ وعَقَرَ راحلتَه على قبره، وقال: واللهِ لا أتْبَعُكُمْ فامضُوا إن شئتم أو أقِيمُوا. فرقُّوا له ورحِمُوه، فأقاموا عامهم ذلك، وصبرُوا على منزلِهِمْ. وقال أرطاة يومئذٍ في ابنه عمرو يرثيه:

وقفت على قبرِ ابنِ سلمى فلم يَكُنْ ... وقوفي عليه غيرَ مَبْكَى ومَجْزَعِ
هل أنتَ ابنَ سلمى إن نظرتُكَ رائحٌ ... مع الركبِ أو غادٍ غداةَ غدٍ معي
أألنسى ابنَ سَلْمَى وهو لم يأتِ دونَه ... مِنَ الدهرِ إلا بعضُ صيفٍ ومَرْبَعِ /
وقفتُ على جُثْمانِ عمرٍو فلم أجِدْ ... سوى جَدَثٍ عافٍ ببَيْداءَ بلقعِ

١٤٥/١١

(١) العلق: النفيس من كل شيء.
(٢) البوّ: جلد الحوار يحشى ثماماً أو تبناً أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر.
(٣) طياتها (غير مشددة): أراد بها طيّاتها (بالتشديد) فحذف الياء الثانية. وهي جمع طية. والطية هنا: الوجه الذي يراد ويقصد. وقد نص صاحب «اللسان» على تخفيف ياء هذا الجمع في الشعر.

ضربتْ عمودَي بانة[١] سَمَوَا معا ... فخرَّت ولم أتبِعْ قَلُوصي بدَعْدَعِ

ولو أنها حادت[٢] عن الرمس نلتُها ... ببادرةٍ من سيفِ أشهبَ[٣] مُوقَعِ

تركتك إن تَحْيَيْ تكُوسي[٤] وإن تنُؤْ ... على الجُهْد تَخْذُلْها توالٍ فتَضْرعِ

فدع ذكرَ مَنْ قد حالت الأرضُ دونه ... وفي غير من قد وارت الأرضُ فاطمَعِ

أرطأة يناجي قبر ولده في العشي حولاً كاملاً

وقد أخبرني بهذا الخبرِ محمدُ بن الحسنِ بن دُرَيْدٍ عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، فذكَرَ أن أرطاةَ كان يجيءُ إلى قبرِ ابنهِ عَشِيًّا فيقول: هل أنت رائحٌ معي يا ابن سَلمى؟ ثم ينصرفُ فيغدو عليه ويقولُ له مثلَ ذلك حَوْلاً، ثم تَمثَّلَ قولَ لبيد:

إلى الحول ثمَّ اسمُ السلام عليكُما ... ومن يبك حَوْلاً كاملاً فقد اعتذَرْ

[١٣/٤١] / أخبرني حبيبُ بن نصر المُهَلَّبِيّ، قال: حدثنا عمرُ بن شبة قال حدثنا المدائني قال: قال أرطاةُ بنَ سُهَيَّة يوماً للربيع بن قعنب كالعابث به:

لقد رأيتك عُرْياناً ومُؤتَزِراً ... فما دريتُ أأنثى أنت أم ذَكَرُ

فقال له الربيعُ:

لكن سُهَيَّةُ تدري إذ أتيتكُم ... على عُرَيجاءَ لما احتلَّت الأُزُرُ[٥]

فغلبه الربيع، وَلَجَّ الهجاءُ بينهما، فقال الربيعُ بنُ قَعنبٍ يهجو أرطاةَ:

وما عاشَت بنُو عُقفانَ إلا ... بأحلامٍ كأحلامِ الجوَاري

وما عُقفَانُ من غَطفَانَ إلا ... تَلَمُّسَ مُظْلِم بالليل ساري

إذا نَحَرَتْ بنو غيظ جَزُوراً ... دَعَوْهُمْ بالمراجل والشِّفار

طُهاةَ اللحم حتى يُنْضِجُوه ... وطاهي اللحم في شُغْلٍ وعار

فقال أرطاةُ يُجيبه ويعيِّره بأن أمَّه من عبد القيس:

وهذا الفَسْوُ[٦] قد شاركتَ فيه ... فمَن شاركتَ في أير الحمارِ[٧]

وأيُّ الناس أخبثُ مِنْ[٨] هِبَلٍّ ... فزاريٌّ وأخبثُ ريحَ دار

---

(١) البانة: واحدة شجر البان، وهو شجر يسمو ويطول في استواء. وسموا معاً وارتفعا. وفي النسخ «شمرا» ولا وجه له. شبه بها راحلته التي عقرها على قبر ابنه. ودعدع: كلمة يدعى بها للعاثر في معنى قم وانتعش واسلم.

(٢) في ط: «جارت».

(٣) الأشهب: النصل الذي برد برداً خفيفاً فلم يذهب سواده كله. والموقع هنا: الوقيع. والوقيع من السيوف ما شحذ بالحجر.

(٤) تكوسي: تمشي على ثلاث قوائم.

(٥) عريجاء: موضع. احتلت، كذا وردت. والمعروف «انحلت».

(٦) الفسو عرف به حي من عبد القيس يقال لهم الفساة. حكى أنه جاء رجل منهم يقال له زيد بن سلامة ببردى حبرة إلى سوق عكاظ فقال: من يشتري منا هذا الفسو بهذين البردين، فقام رجل من مهو، يقال له: عبد الله بن بيذرة فارتدى بأحدهما واتزر بالآخر فسمي مشتري الفسو ببردى حبرة فضرب به المثل فقيل «أخيب صفقة من شيخ مهو». انظر اللسان والقاموس وشرحه (مادة فسا).

(٧) نبزه بذلك لما كانت تعير به فزارة من أكل أير الحمار. قال سالم بن دارة:

لا تأمنن فزاريا خلوت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار

لا تأمننه ولا تأمن بوائقه ... من بعد ما اشتل أير العير في النار

(٨) الهبل: الثقيل المسن الكبير من الناس والإبل.

/ مسرف بن عقبة يطرد قومه ومعهم أرطاة لما استرفدوه بعد التهنئة والمديح بفوزه على أهل الحرة [٤٢/١٣]

أخبرني عبدُ الله بنُ محمدٍ اليزيديّ، قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارثِ الخَرّازُ، قال: حدثنا المدائنيُّ عن أبي بكرٍ الهُذَلي، قال: قدم مُسْرِفُ بنُ[1] عقبةَ المريّ المدينة، وأوقعَ بأهلِ الحرة، فأتاه قومُه مِن بني مُرّةَ وفيهم أرطاةُ فهنَّئوه بالظفر واسْتَرْفَدُوهُ[2] فطردهم ونَهَرَهُم، وقام أرطاةُ بن سُهَيّةَ ليمدحه فتجهَّمَهُ بأقبح قولٍ وطرده. وكان في جيش مُسْرفٍ رجلٌ من أهلِ الشام من عُذْرَةَ، يقال له عُمَارةُ، قد كان رأى أرطاة عند معاوية بن أبي سفيان، وسمع شعرَه، وعرفَ إقبالَ مُعاويةَ عليه، ورفده له، فأومأ إلى أرطاة فأتاه، فقال له: لا يغرُرْك ما بدا لك من الأمير، فإنه عليلٌ ضجرٌ، ولو قَدْ صَحَّ واستقامتِ الأمورُ لزال عما رأيتَ من قوله وفعله، وأنا بكَ عارف، وقد رأيتُكَ عند أمير المؤمنين ـ يعني معاوية ـ ولن تعدمَ مني ما تُحِبُّ. ووَصَلَهُ وكساه وحمَلَه على ناقةٍ، فقال أرطاةُ يمدحُه ويهجو مُسْرِفاً:

/ لَحا اللهُ فَوْدَى مُسْرف وابنِ عمه ... وآثارَ نَعْلَيْ مسرف حيث أثّرا [١٤٦/١١]

مررتُ على رَبْعَيهما فكأنّني ... مررتُ بجبّارَيْن[3] من سَرْوِ حِمْيرا

ـ ويروى: «تَضَيّفتُ جَبّارَيْن» ـ

على أن ذَا العَلْيا عُمارةَ لم أجِدْ ... على البُعْدِ حُسْنَ العهد منه تَغَيَّرا

حباني بِبُرْدَيْه وعَنْس[4] كأنما ... بنى فوق متْنَيْها الوليدان قَهْقَرا

/ أرطاة يسب من تطاولت على أمه ويضربها فيلومه قومه [٤٣/١٣]

وقال أبو عمرٍو الشيبانيّ: خاصمتْ امرأةٌ من بني مُرة سُهية أمَّ أرطاة بن سهية، وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه، فاستطالت عليها المرأة وسبَّتْها، فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها، فجاء قومُه، ولاموه، وقالوا له مَالَكَ تُدْخلُ نفسَكَ في خُصُوماتِ النساءِ! فقال لهم:

يُعَيّرُني قومي المَجَاهلَ[5] والْخَنَا ... عليهم وقالوا أنتَ غيرُ حليم

هل الجهلُ فيكم أن أُعاقبَ بعدما ... تُجُوِّزَ سَبِّي واسْتُحِلَّ حريمي

إذا أنا لم امْنع عَجُوزيَ منكُمُ ... فكانت كأُخرى في النساءِ عقيم

وقد عَلِمَتْ أفناءُ[6] مُرّةَ أننا ... إذا ما اجتدانا[7] الشرَّ كلُّ حميم

(١) مسرف: لقب مسلم بن عقبة المرى، لقب به لأنه أسرف في القتل في وقعة الحرة.

(٢) استرفدوه: طلبوا الرفد وهو العطاء.

(٣) الجبار هو: الملك أو هو المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً. وسرو حمير: محلتهم. وبه فسر قول ابن مقبل:

بسرو حمير أبوال البغال به ... أنى تسديت وهناً ذلك البينا

انظر «تاج العروس» مادة (سرو).

(٤) العنس: الناقة الصلبة القوية. والوليد هنا: العبد أو الغلام. والقهقر: جمع القهقرة، وهي الصخرة العظيمة. يريد: إن ما على متنيها من اللحم مثل الصخرة العظيمة. وقد يكون «القهقر» لغة في «القهقور» كعصفور، وهو بناء من حجارة طويل يبنيه الصبيان. «القاموس» (قهر).

(٥) المجاهل: هذا الجمع ليس له واحد يجمع عليه إلا قولهم «جهل» وفعل لا يكسر على مفاعل، فمجاهل هنا: واحده جهل على غير قياس، كما كسروا ملامح ومحاسن على لمحة وحسن على غير قياس.

(٦) كذا في ط. والأفناء: الأخلاط. وفي سائر الأصول «أبناء».

(٧) اجتدانا الشر: طلب إلينا الشر، وهو يريد طلب معونتنا لدفع الشر. فسمى المعونة شراً للمشاكلة.

حمـــاةٌ لأحســـابِ العشيـــرة كلِّهـــا إذا ذَمَّ يـــومَ الـــرَّوعِ كـــلُّ مليـــم[(١)]

وتمامُ الأبياتِ التي فيها الغِناءُ، المذكورة قبل أخبار أرطاة بن سُهَيَّة، وذكرت في قرله في قتلى من قومه قُتِلُوا يوم بناتِ قينٍ[(٢)] - هو:

فَــلاَ وأبيــكَ لا نَنْفَــكُّ نَبْكِــي علــى قتلــى هُنَــا لــكَ مــا بَقِينَــا

علــى قَتْلَــى هنــا لــك أو جَعَتْنــا وأنْسَتْنَــا رِجَــالاً آخــرينَــا

[١٣/٤٤] / سَنَبْكِــي بــالــرِّمــاحِ إذا التقينــا علــى إخــوانِنــا وعلــى بنينــا

بطعــنٍ تَــرْعُــد الأحشــاءُ منــه يــردُّ البيــضَ والأبــدانَ جُــونــا[(٣)]

كــأنَّ الخيــلَ إذْ آنســن كَلْبــا[(٤)] يَــريْــنَ وراءهُــمْ مــا يبتغينــا

صوت

عجبــتُ لِمَسْــراهــا وأنَّــى تَخَلَّصــت إلــيَّ وبــابُ السجــن بــالقفــل[(٥)] مُغْلَــقُ

ألَمَّــتْ فحيَّــتْ ثــم قــامــت[(٦)] فَــوَدَّعــتْ فلمــا تــولــت كــادت النفــسُ تَــزْهَــقُ

الشعر لجعفر بن علبة الحارثيّ، والغناءُ لمعبدٍ ثقيل أوّل بالسبّابة في مَجْرَى البِنْصر عن إسحاق. وذكر عَمرُو بنُ بانة أن فيه خفيفاً ثقيلاً أوّل بالوسْطى لابن سُرَيج. وذكر حمادُ بنُ إسحاقَ أن فيه خفيفَ الثقيل للهُذَلي.

---

(١) المليم: الذي يأتي ذنباً يلام عليه.

(٢) بنات قين: آكام معروفة في ديار بني كلب كانت بها وقعة لبني فزارة على كلب زمن عبد الملك بن مروان. قال عويف القوافي:

صبحنــاهــم غــداة بنــات قيــن ململمــة لهــا لجــب طحــونــا

انظر «اللسان» (مادة قين) و«معجم ما استعجم للبكري».

(٣) البيض: السيوف. والأبدان معناه: الدروع القصيرة. والجون هنا: الحمر من كثرة الدم السائل من الجراح.

(٤) كلب: قبيلة.

(٥) كذا في ب، س. وفي جـ و«أشعار الحماسة» (طبع أوربا ص ٢٢): «دوني مغلق».

(٦) في ط: «ولت»، وكتب بهامشها: كلمة «قامت» وتحتها لفظة (صح).

/ أخبار جعفر بن عُلبة الحارثي ونسبه [١٣/٤٥]

أخبار جعفر بن عُلبة الحارثي ونسبه

هو جَعْفَرُ بنُ علبةَ بن ربيعةَ، بن عبدِ يغوثَ الشاعرِ أسيرِ يومِ الكُلاَب بن مُعاوية[١] بن صلاءةَ بن المُعَقَّل بن كعبِ بن الحارثِ بن كعبٍ، ويكْنَى أبا عَارِمٍ، وعارمٌ ابنٌ له قد ذكَره في شعره. وهو من مُخَضْرَمي الدولتين الأمويةِ والعباسيةِ، شاعرٌ مُقِلٌّ غَزِلٌ فارسٌ مَذكورٌ في قومه، وكان أبوه علبةُ بن ربيعة شاعراً أيضاً، وكان جعفرٌ قتَلَ رجلاً من بني عقيل: قيل: / إنه قتَلَهُ في شأنِ أَمَةٍ كانا يزورانها فتغايرا عليها. وقيل: بل في غارةٍ أغارها عليهم. وقيل: بل كان يُحَدِّث نساءهم فنهَوْه فلم ينْتَهِ، فَرَصدُوه في طريقهِ إليهن فقاتلوه فَقَتَلَ منهم رَجُلاً فاستَعْدَوْا عليه السُّلطان فأقادَ[٢] منه. وأخبارُه في هذه الجهاتِ كلُّها تُذْكر وتُنْسَبُ إلى مَنْ رَوَاها. ١٤٧/١١

أخبرني محمدُ بنُ القاسم الأنباريّ، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني الحسن بن عبد الرحمن الرِّبعيّ، قال: حدثنا أبو مالكٍ اليمانيّ، قال: شرِب جعفرُ بنُ عُلْبَةَ الحارثيّ حتى سَكِرَ فأخذه السّلطانُ فحبسه، فأنشأ يقولُ في حبسه:

لقــد زَعَمُــوا أنــي سكــرتُ ورُبَّمــا ... يكــونُ الفتــى سَكــرانَ وهْــوَ حَليــم

لعمــرُك مــا بــالسّكــرِ عــارٌ علــى الفتــى ... ولكِــنَّ عــاراً أن يُقَــالُ لئيــمُ

وإنّ فَتًــى دامــت مــواثيــقُ عهــده ... علــى دونِ[٣] مــا لاقيتُــه لكــريــمُ

/ قال: ثمّ حُبِسَ معه رجل من قومه من بني الحارث بن كعب في ذلك الحبس، وكان يقال له دَوْران[٤]، [١٣/٤٦] فقال جعفر:

إذا بــابُ دورانٍ تــرنّــم فــي الــدّجَــى ... وشُــدَّ بــأغــلاقٍ علينــا وأقفــالِ

وأظلــم ليــلٌ قــامَ علــجٌ بِجُلْجُلٍ[٥] ... يــدورُ بــه حتّــى الصباحِ بــإعمــالِ

---

(١) كذا في جميع الأصول وفيما سيأتي في أخبار عبد يغوث ونسبه. والمعروف أن عبد يغوث أسير يوم الكلاب هو: عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة. انظر «النقائض» ص ١٤٩ (طبع أوربا) و «الأمالي» ج ٣ ص ١٣٠ (طبع دار الكتب) و «الأغاني» ج ١٥ ص ٧٢ (طبع بولاق).

(٢) أقاد منه: قتله به.

(٣) في جـ: «مثل».

(٤) كذا في جميع الأصول. ولم نهتد إلى مكان هذا السجن فيما لدينا من المصادر. وإنما المعروف ـ كما في «معجم ما استعجم» و «معجم البلدان» ـ «دوّار» بفتح الدال وتشديد الواو. وهو اسم سجن باليمامة. قال جرير، وقد نهى قوماً من بني كليب عن شيء وقع بينهم فلم ينتهوا فحبسوا وقيدوا في سجن اليمامة:

لمــا عصتنــي كليــب اللــؤم قلــت لهــا ... ذوقــي الحــديــد وشمــي ريــح دوّار

وقال السمهري وقد سجن فيه:

كــانــت منــازلنــا التــي كنــا بهــا ... شتّــى فــألّــف بيننــا دوّار

راجع «معجم ما استعجم للبكري» وكذلك «معجم البلدان لياقوت».

(٥) العلج هنا: الرجل الشديد الغليظ. والجلجل: الجرس الصغير.

وحـراسُ سَـوْءٍ مـا ينـامـون حَـوْلـهُ ... فكيـفَ لمظلـومٍ بحيلـةِ مُحْتَـالِ
ويصبـرُ فيـه ذُو الشجـاعـةِ والنّـدى ... علـى الـذّلِ للمـأمـور والعِلْـجِ والـوالـي

جعفر بن علبة وعلي بن جعدب يغيران على بني عقيل

فأما ما ذكر أن السبب في أخذ جعفرٍ وقتلهِ في غارةٍ أغارها على بني عُقيل، فإني نسخت خبره في ذلك من كتاب عمروِ بن أبي عمرو الشيبانيّ يأثُره عن أبيه، قال: خرج جعفر بن علبة وعليٌّ بنُ جُعْدُبٍ الحارثيّ القنانيّ والنضرُ بن مُضارب المُعَاويّ، فأغاروا على بني عُقيل، وإن بني عُقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق ووضعوا عليهم الأرصادَ على المَضَايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصبةٍ لقيتهم أخرى، حتى انتهَوْا إلى بلادِ بني نهدٍ فرجعتْ عنهم بنو عُقيل، وقد كانوا قَتَلُوا فيهم، ففي ذلك يقول جعفر:

[٤٧/١٣] / ألا لا أُبـالـي بعـدَ يـومِ بسَحْبَـلٍ(١) ... إذا لـم أُعَـذَّبْ أن يجـيء حِمـامِيـا
تـركـت بـأعلـى سَحْبـلٍ ومَضيقـه ... مُـرَاقَ دَمٍ لا يبـرح الـدّهـرَ ثـاويـا
شَفَيْـتُ بـهِ غيظـي وجُـرِّب مـوطنـي(٢) ... وكـان سنـاءً(٣) آخـرَ الـدهـر بـاقيـا
أرادوا لِيَثْنـونـي فقلـت تجنبـوا ... طـريقـي فمـالـي حـاجـةٌ مـن ورائيـا
فِـدًى لبنـي عـمٍّ أجـابـوا لـدعـوتـي ... شَفَـوا مـن بنـي القَـرعـاء عمّـي وخـاليـا
كـأنّ بنـي القـرعـاء يـوم لقيتُهـم ... فِـراخُ القطـا لاقَيْـن صُقْـراً يمـانيـا
تـركْنـاهـمْ صَـرْعـى كـأنّ ضَجيجَهُـم ... ضجيـجُ دَبـارَى(٤) النِّيـب لاقـت مُـداوِيـا
أقـولُ وقـد أجْلَـت مـن اليـومِ عـركـةٌ(٥) ... ليبـك العُقَيْليِّيـن مـن كـان بـاكيـا
فـإنّ بقُـرّى(٦) سَحْبـلٍ لأمـارةً ... ونَضْـحَ دمـاء منهـم ومَحَـابيـا

ـ المَحَابي: آثارهُم، حَبَوْا من الضعف للجراح التي بهم ـ

١٤٨/١١ / ولـم أتْـرِكْ لـي ريبـةً غيـر أننـي ... وددت مُعَـاذاً كـان فيمـن أتـانيـا

ـ أراد: وددت أن مُعاذاً كان أتاني معهم فأقْتُلَه ـ.

شفيـتُ غليلـي مـن خشَينـةَ بعـد مـا ... كسـوتُ الهُـذَيْـلَ المَشْـرَفـيّ اليمـانيـا(٧)
أحقّـاً عبـادَ الله أن لسـت رائيـا ... صحـاريَ نجـدٍ والـرّيـاحَ الـذواريـا
[٤٨/١٣] / ولا زائـراً شُـمَّ العـرانيـن أنتمـي ... إلـى عـامـر يحلُلْـنَ رَمْـلاً مُعـاليـا

---

(١) سحبل: موضع في ديار بني الحارث بن كعب. وهو الموضع الذي أدركت فيه بنو عقيل جعفر بن علبة فقاتلهم وقتل منهم كما سيأتي. ويقال لكل ما عظم واتسع سحبل كالجراب والوطب.

(٢) موطني: موقفي.

(٣) السناء (بالمدّ): المجد والشرف والرفعة. والنيب جمع ناب، والناب: الناقة المسنة.

(٤) دبارى النيب: التي أصابها الدبر.

(٥) العركة: المرة من العراك.

(٦) قرى، هنا: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب. وحكى البكري في «معجم ما استعجم» عن أبي حنيفة أن: قرّى ماءة قريبة من تبالة. وفي جميع الأصول: «بقرني» وهو تحريف. وما أثبتناه عن «معجم ما استعجم للبكري» و «معجم البلدان لياقوت» و «أشعار الحماسة» (ص ١٩ طبع أوربا).

(٧) خشينة والهذيل: شخصان كانا فيمن التقى بجعفر من العقيليين فقتل جعفر خشينة وعرقب الهذيل: ضربه في عرقوبه.

إذا مــا أتيــتَ الحــارثيــاتِ فــانْعَنِــي ... لهــن وخبِّــرْهُــنّ أن لا تَــلاقيــا
وقَــوِّد قَلــوصِــي بينهــن فــإنهــا ... سَتُبْــرِد أكبــاداً وتُبْكِــي بــواكيــا[١]
أوصِّيكُــمُ إن مــتُّ يــومــاً بعــارم[٢] ... ليُغْنِــيَ شيئــاً أو يكــونَ مكــانيــا

ويروى:

وعطِّــل قلــوصــي فــي الــرِّكــاب فــانهــا ... ستبــرد أكبــاداً وتبكــي بــواكيــا[٣]

وهذا البيت بعينه يُرْوى لمالكِ بن الرَّيْبِ في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه. وقال في ذلك جعفرٌ أيضاً:

وســـائلـــةٍ عنـــا بغَيْـــب وســـائـــلٍ ... بمَصْـدَقِنـا فـي الحـرب كيـف نُحـاول
عشيـــة قُــرّى سَحبـــل إذ تعطَّفـــت ... علينـا السـرايـا والعـدوُّ المُبـاسِـل[٤]
ففـــرج عنـــا اللهُ مَــرْحَــى[٥] عــدوِّنـــا ... وضــربٌ ببيــضِ المَشْــرِفيَّــةِ خــابِــل
إذا مــا قــرى[٦] هــامَ الــرءوس اعتِــرامُهــا[٧] ... تعــاوَرَهَــا[٨] منهــم أكــفٌّ وكــاهــل[٩]
/ إذا مــا رُصِــدْنــا مَــرْصــدا فــرجــت لنــا ... بــأيمــاننــا بِيــض جلتهــا الصيــاقــل
ولمـــا أبَـــوا إلا المُضِـــيَّ وقـــد رأوا ... بــأن ليــس منــا خشيــةَ المــوت نــاكــل
حلفـــتُ يمينـــاً بَـــرّةً لـــم أُرِدْ بهـــا ... مقـــالـــةَ تسميـــع ولا قـــول بـــاطـــلِ[١٠]
لِيَخْتَضِمَـــنّ الهُنْـــدُوانـــيّ منهـــم ... مَعـــاقِـــدَ يخشـــاهـــا الطبيـــبُ المزاولُ[١١]
وقـــالـــوا لنـــا ثِنْتـــان لا بـــدَّ منهمـــا ... صـــدور رمـــاح أُشْـــرِعـــت أو ســـلاسـلُ

[٤٩/١٣]

---

(١) قوّد: أكثر القياد. والقلوص: الفتية من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء. وفي «أساس البلاغة»: «في الركاب» بدل «بينهن».

(٢) عارم: ابن جعفر بن علبة وبه كان يكنى. وفي «مختار الأغاني الكبير» القسم الثاني ص ٢٤٨ نسخة بالتصوير الشمسي: «أوصيهم» بدل «أوصيكم».

(٣) رواية بيت مالك بن الريب في «الخزانة» (ج ١ ص ٣١٩ طبع بولاق) هي:

وعطــل قلــوصــي فــي الــركــاب فــإنهــا ... ستفلــق أكبــاداً وتبكــي بــواكيــا

وروايته في «الأمالي» (ج ٣ ص ١٣٨ طبع دار الكتب المصرية) هي:

وعــرّ قلــوصــي فــي الــركــاب فــإنهــا ... ستفلــق أكبــاداً وتبكــي بــواكيــا

(٤) السرايا: جمع سرية، وهي الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة رجل. والمباسلة: المصاولة في الحرب. والبيت في «أشعار الحماسة» في إحدى روايتيه وفي «معجم البلدان» و «مختار الأغاني الكبير»:

ألهفــي بقــرّى سحبــل حيــن أحلبــت ... علينــا الــولايــا والعــدوّ المبــاســل

وأحلبت: جاءت من كل أوب للنصرة. والولايا هنا: العشائر والقبائل. وفي «معجم ما استعجم»: «أجلبت» بالجيم بدل «أحلبت» أي صار لها جلبة وضوضاء.

(٥) المرحى: الموضع الذي تدور عليه رحى الحرب.

(٦) قراه: أطعمه القرى، وهو كناية عن كثرة الضرب.

(٧) اعترامها: اشتدادها.

(٨) تعاورها: تداولها.

(٩) الكاهل: مقدّم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الأعلى فيه ست فقر. وفي جـ: «احتدامها» بدل «اعترامها».

(١٠) التسميع: التشهير والتشنيع. والبيت فيه إقواء.

(١١) الاختضام: القطع. وفي الأصل: «ليختصمن».

فقلنـا لهـم تلكـم إذاً بعـد كـرة ... تُغَـادِرُ صـرعـى نَهْضُهـا مُتَخـاذِل[١]

وقتلـى نفـوسٍ فـي الحيـاةِ زهيـدةٍ ... إذا اشتجـر الخَطِّـيُّ والمـوت نـازل

نُـراجِعُهُـمْ فـي قـالـة بـدءُوا بِهَـا ... كمـا راجـع الخصـمَ البـذيّ المُنَاقِـلُ[٢]

لهـم صـدرُ سيفـي يـوم بَطْحَـاءِ سحيـلٍ ... ولـي منـه مـا ضمَّـت عليـه الأنـامـل

عامل مكة أخذ بحق بني عقيل ويقتل جعفر بن علبة

قال: فَاسْتَعْدَت عليهم بنو عُقَيلٍ السَّرِيَّ بنَ عبد الله الهاشميَّ عامِلَ مكةَ لأبي جعفر؛ فأرسل إلى أبيه عُلْبَةَ بن ربيعَةَ فأخذه بهم، وحبسه حتى دفعهُمْ وسائر من كان معهم إليه، فأما النضرُ فاستُقِيدَ[٣] منه بجراحة[٤]، وأمّا عليُّ بنُ جُعْدُبٍ فأفلتَ من الحبسِ، وأما جعفر بن علبة فأقامت عليه بنو عقيل قسامةً[٥]: أنه قَتَلَ صاحبَهم فَقُتِلَ به. هذه رواية أبي عمرو.

وذكر ابنُ الكلبيّ أن الذي هاجَ الحربَ بين جعفر بنِ علبةَ وبني عقيلٍ أن إياسَ بنَ يزيدَ الحارثيَّ وإسماعيلَ بنَ أحمرَ العقيليَّ اجتَمَعا عند أَمَةٍ لشعيبِ بنِ صامتٍ الحارثيّ، وهي في إبلٍ لمولاها في موضع يُقال له صَمْعَرُ من بلاد بَلْحارِثِ[٦]، فتحدّثا / عندها فمالت إلى العقيليّ، / فدخلتهما مؤاسفةٌ[٧] حتى تخانقا بالعمائم، فانقطعت عمامةُ الحارثيّ وخنقه العقيليّ حتى صرعه، ثم تفرّقا. وجاء العُقَيْليّون إلى الحارثيّين فحكّموهم فَوَهَبُوا لهم، ثم بلغهُم بيتٌ قِيلَ، وهو:

[١٣/٥٠] ١٤٩ ١١

ألـم تسـأل العبـدَ الـزيـاديّ مـا رأى ... بصمعـر والعبـدُ الـزيـاديُّ قـائـمُ

فغضب إياسٌ من ذلك فَلَقِيَ هو وابن عمه النضرُ بنُ مضاربٍ ذلك العقيليَّ، وهو إسماعيلُ بنُ أحمر، فشجه شجّتَيْن وخنقه؛ فصار الحارثيّون إلى العقيليّين فحكموهم فوهبوا لهم. ثم لَقى العقيليون جعفَر بن علبةَ الحارثيّ فأخذُوهُ فَضَرَبوه وخنقُوه وربطوه وقادُوه طويلاً ثم أطلقوه. وبلغ ذلك إياسَ بنَ يزيدَ فقال يتوجع لجعفر:

أبـا عـارم كيـف اغتـررت ولـم تكُـن ... تُغَـرُّ إذا مـا كـانَ أمـرٌ تحـاذرُه

فـلا صلْـحَ حتـى يخفِـقَ[٨] السيـفُ خَفْقَـةً ... بكـفُّ فَتًـى جُـرَّتْ عليـه جـرائـره

ثم إن جعفر بنَ علبَة تبعهم ومعه ابنُ أخيه جُعْدبٍ، والنضرُ بنُ مضاربٍ، وإياسُ بنُ يزيدَ، فلقوا المهديَّ بن عاصم وكعب بن محمدٍ بِجِبِرٍ - وهو موضع بالقاعة[٩] - فضربوهما ضرباً مُبَرِّحاً، ثم انصرفوا فَضَلُّوا عن الطريق، فوجدوا العقيليّين وهم تسعةٌ، فاقتتلوا قِتالاً شديداً حتى خلّى لهم العقيليون الطريقَ ثم مَضَوْا حتى وجدوا من عقيل جمعاً آخرَ

(١) في ط: «بعد عركة».

(٢) المناقل: الذي يتحدّث مع غيره ويراجعه.

(٣) استقيد منه: اقتص منه.

(٤) الجراحة: الضربة أو الطعنة.

(٥) القسامة: الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون. ويمين القسامة منسوبة إليهم. وراجع «اللسان» (مادة قسم) ففيه تفصيل واف عن القسامة.

(٦) هم بنو الحارث بن كعب، كما في «معجم البلدان».

(٧) المؤاسفة: المغاضبة.

(٨) خفق السيف: اضطرابه. وفي ط: «خفقة» بالتاء.

(٩) الذي في «معجم البلدان» و «معجم ما استعجم» أنه جبل لبني سليم. وأنشد لابن مقبل:

سل الدار من جنبي حبر فواهب ... إذا ما رأى هضب القليب المضيح

بسَحْبَل فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقَتَلَ جعفر بن علبة رجلاً من عقيل يقال له خشينةُ، فاستعدى العقيليّون إبراهيمَ بن هشام المخزوميَّ عاملَ مكة، فرفع الحارثيين[1] الأربعة من نجران حتى حَبَسَهم بمكة، ثم أفلت منه رجلٌ فخرج هارباً، فأحضرت عقيلٌ قَسَامَةً: حلفوا أن جعفر قَتَلَ صاحبَهُم. فأقاده إبراهيمُ بن هشام. / قال وقال جعفرُ بن علبةَ [٥١/١٣] قبل أن يُقتَل وهو محبوس:

عجِبتُ لمسراها وأنّي تخلّصت ... إليّ وبابُ السجن بالقفل[2] مُغلَقُ

ألَمَّتْ فحيّت ثم قامت فودّعت ... فلما تولّت كادت النفسُ تزهَقُ

فلا تحسبي أنّي تخشّعتُ بعدكم ... لشيء ولا أنّي من الموتِ أفرَقُ

وكيف وفي كفي حسامٌ مُذَلَّقٌ[3] ... يَعَضُّ بهاماتِ الرجال ويعلَقُ

ولا أن قلبي يَزْدهيه وعيدُهم ... ولا أنّني بالمشي في القيد أخرقُ[4]

ولكنْ عرتني من هواكِ[5] صبابةٌ ... كما كنتُ ألقى منك إذ أنا مُطْلَقُ

فأما الهوى والودُّ مني فطامحٌ ... إليكِ وجُثْماني بمكة مُوثَقُ

وقال جعفرُ بنُ علبة لأخيه [ماعز][6] يحرّضه:

وقل لأبي عون إذا ما لقيتَه ... ومن دونه عرْضُ الفلاة يَحُولُ

ـ في نسخة ابن الأعرابي:

. . . . إذا ما لقيتَه ... ودونه من عرض الفلاة مُحولُ

بالميم، وبشمّ الهاء في «دونه» بالرفع وتخفيفها، وهي لغتهم خاصة ـ

/ تَعَلَّمْ وَعَدُّ الشكّ أنّي يَشُفُّني ... ثلاثةُ أحراسٍ معاً وكُبولُ[7] [٥٢/١٣]

إذا رُمتُ مشياً أو تبوّأتُ مَضْجعاً ... يبيتُ لها فوقَ الكِعابِ صَليلُ

وَلَوْ بِكَ كانت لابتعثتُ مطيّتي ... يَعُودُ الحَفا أخفافَها وتجُول [١٥٠/١١]

/ إلى العدل حتى يَصْدُرَ[8] الأمر مَصْدَرا ... وتبرأ منكم قَالةٌ وعُدُول

---

(١) رفعهم: أرسلهم إلى الوالي.

(٢) الرواية في «أشعار الحماسة»: «دوني» بدل «بالقفل».

(٣) مذلق: محدّد.

(٤) في جـ و «أشعار الحماسة» و «مختار الأغاني» و «معاهد التنصيص» (ص ٥٧ طبع بولاق): «وعيدكم». ورواية الشطر في «أشعار الحماسة»:

* ولا أن نفسي يزدهيها وعيدكم *

وقال التبريزي في شرحه لهذا البيت: (ويروى «وعيدهم»). والأخرق هنا: الدهش فزعاً، أو هو القليل الرفق بالشيء.

(٥) كذا في جميع الأصول. وفي معاهد التنصيص وط: «ضمانة». وكتب بهامشها: ويروى:

* ولكنّ مابي من هواك ضمانة *

والضمانة: المرض والزمانة.

(٦) زيادة عن جـ.

(٧) يشفه: يهزله ويضمره ويذهب بعقله. والكبول: القيود، واحدها كبل (بالفتح ويكسر). والكبل: القيد أو هو أعظم ما يكون من القيود.

(٨) في ط: «حتى تصدر» بالتاء.

ونسختُ أيضاً خبرَهُ من كتاب للنضر بنِ حديدٍ، فخالف هاتيْنِ الرّوايتين، وقال فيه: كان جَعفرُ بن علبَة يزور نساءَ مِنْ عقيلِ بنِ كعبٍ، وكانوا مُتَجاوِرِينَ هم وبنو الحارثِ بنِ كعبٍ، فأخَذَتْه عُقيلٌ، فكشفوا دُبُر قميصِه، وربطوه إلى جُمَّتِهِ، وضربوه بالسياط، وكتَّفوه، ثم أقبلوا به وأدْبَروا على النِّسوة اللاتي كانَ يتحدّث إليهن على تلكَ الحال ليغيظوهن، ويفضحوه عندهُنّ، فقال لهم: يا قوم، لا تَفْعَلُوا فإن هذا الفعلَ مُثْلَةٌ، وأنا أحلفُ لكم بما يُثْلِجُ صدورَكُمْ ألا أزورَ بيوتكم أبداً، ولا أَلِجَهَا. فلم يقبَلوا منه. فقال لهم: فإن لم تفعلوا ذلك فحسبكُمْ ما قَد مضى، ومُنُّوا عليّ بالكَفِّ عنِّي فإني أعدُّه نعمةً لكم ويداً لا أكفُرُهَا أبداً، أو فاقتلوني وأريحُوني، فأكونَ رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه. فلم يَفعلوا، وجعلوا يكشفون عورَتَهُ بين أيدي النساءِ، ويضربونه، ويُغْرُون به سفهاءهم حتى شَفَوا أنفسهم منه، ثم خلّوا سبيلَه. فلم تمض إلا أيامٌ قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له، فدفع، راحلتَه حتى أولَجَها البُيوت، ثم مضى. فلما كان في نُقْرَةٍ من الرمل أناخ هو وصاحباه، وكانت عقيلٌ أَقْفَى خلقِ الله لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه، والعقيلِيّون مُغْتَرّون ليس مع أحدٍ منهم عصاً ولا سلاح، فوثب عليهم جعفرُ بنُ عُلبةَ وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا، فاستعدَتْ عليهم عُقَيْلُ السريَّ / ابنَ عبدِ الله الهاشميَّ [١٣/٥٣] عاملَ المنصور على مكةَ، فأحضرهم وحبسَهُم، فأقادَ من الجارحِ، ودافع عن جعفرِ بنِ علبة ـ وكان يُحِبُّ أن يدرأ عنه الحدَّ لخؤولةِ أبي العباس السفاح في بني الحارث، ولأن أختَ جعفرٍ كانت تحتَ السريّ بنِ عبد الله، وكانت حظيةً عنده ـ إلى أن أقاموا عليه قَسَامَةً: أنه قتلَ صاحبهم. وتوعدوه بالخروج إلى أبي جعفر والتظلم إليه، فحينئذٍ دعا بجعفرٍ فأقاد منه، وأفلت عليُّ بنُ جُعدُبٍ من السجن فهربَ. قال وهو ابنُ أخي جعفرِ بنِ علبةَ. فلما أخرِجَ جعفرٌ لِلْقَوَد قال له غلامٌ من قومه: أسقيك شربةً من ماءٍ بارد؟ فقال له: اسكت لا أُمَّ لك، إني إذا لمهيافٌ[١]. وانقطع شِسْعُ نعله[٢] فوقف فأصلَحَهُ، فقال له رجلٌ: أما يَشْغلك عن هذا ما أنت فيه؟ فقال:

أشُدُّ قِبالَ نعلي[٣] أن يراني ... عدوّي للحوادث مُسْتكينا

قال: وكان الذي ضَرَبَ عنُقَ جعفرِ بن علبةَ نَخبَةُ بنُ كليبٍ أخو المجنونِ، وهو أحدُ بني عامرِ بنِ عُقَيلٍ، فقال في ذلك:

شفى النفس ما قال ابنُ عُلبةَ جعفر ... وقولي له اصْبر ليس ينفعُكَ الصبرُ
هَوَى رأسُه من حيثُ كان كما هوى ... عُقَابٌ تدلّى طالباً جانبَ الوكرِ[٤]
أبا عارم، فينا عُرامٌ[٥] وشدّة ... وبَسْطَةُ أيمانٍ سواعدها شُعْرُ
همُ ضربُوا بالسيف هامةَ جعفر ... ولم يُنْجِه بَرٌّ عريضٌ ولا بحرُ
وقُدْناهُ قَوْدَ البَكْرِ قسراً وعَنْوَةً ... إلى القبر حتى ضم أثوابَه القبرُ

[١٣/٥٤] [١٥١/١١] / وقال علبةُ يرثي ابنَه جعفراً:

لعمرُكَ إني يوم أسلمتُ جعفراً ... وأصحابَه للموت لما أقاتِلِ
لمتجنبٌ حبَّ المَنَايا وإنما ... يهيج المنايا كلُّ حقٍ وباطلِ

(١) المهياف: الذي لا يصبر على العطش.
(٢) شسع النعل: أحد سيورها، وهو الذي يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام. والزمام: السير الذي يعقد فيه الشسع.
(٣) قبال النعل (بالكسر): شسعها.
(٤) كذا في الأصول ولا يستقيم بغيره الشعر، وفيه إقواء. والذي في «كتب اللغة»: أن العقاب مؤنثة. وقيل العقاب يقع على الذكر والأنثى، إلا أن يقولوا: هذا عقاب. ذكره في «اللسان» مادة عقب.
(٥) العرام (بالضم): الشدّة والقوّة والشراسة.

فـــراح بهــم قـــومٌ ولا قـــومَ عنـدهــم مُغَلَّلَـــةٌ أيـديهُــمُ فـــي الســلاســلِ
ورب أخٍ لـي غــاب لــو كــان شــاهــداً رآه التبــاليّــون(١) لــي غيــرَ خــاذلِ

وقال علبةُ أيضاً لامرأته أمّ جعفرَ قبل أن يُقتَل جعفرُ:

لعمــرِك إن الليــل يــا أمّ جعفــرٍ علــيّ وإنْ عَلَّلتنِــي لطــويــلُ
أُحــاذِرُ أخبــاراً مــن القــوم قــد دنـت ورجعــةَ أنقــاضٍ لهــنَّ دليــلُ(٢)

فأجابته فقالت:

أبــا جعفــرٍ أسلمــتَ للقــومِ جعفــراً فَمُــتْ كَمَــداً أو عِــش وأنــت ذليــلُ

بنت يحيى بن زياد تبكيه وتستجيد له الكفن وترثيه بأبياته

قال أبو عَمْرو في روايته: وذكر شدادُ بن إبراهيمَ أن بنتاً ليحيى بن زياد بن عُبَيْد الله الحارثيّ حضرت المَوسمَ في ذلك العام لما قُتِل فكفَّنَتْهُ واستجادت له الكفنَ، وبكتهُ وجميعُ من كان معها من جَوَارِيها، وجعلن يندُبْنَه بأبياته التي قالها قبل قَتْله:

أحقــاً عبــادَ الله أن لســتُ رائِيــاً صَحَــاريَّ نجــدٍ والــريــاحَ الــذَّوارِيــا

وقد تقدمت في صدرِ أخباره. وفي هذه القصيدة يقولُ جعفرٌ:

* وددت مُعاذاً كان فيمن أتانيا *

/ فقال مُعاذٌ يُجيبُه عنها بعد قتله، ويخاطبُ أباه، ويُعرِّضُ له أنه قُتِلَ ظُلْماً لأنهم أقامُوا قَسامة كاذبة عليه حين قُتِل، ولم يكونوا عرفوا القاتلَ من الثلاثة بعينه، إلا أن غَيظَهُم على جعفرٍ حملهُمْ على أن ادَّعوا القتل عليه: [١٣/٥٥]

أبــا جعفــر سَلِّــبْ بنَجْــرانَ واحتسـب أبــا عــارمٍ والمُسْمَنَــاتِ العــواليــا(٣)
وَقــوِّد قَلُــوصــاً أتلــفَ السَّيــفُ ربهــا بغيــر دمٍ فــي القــوم إلا تَمَــاريــا(٤)
إذا ذكــرتــهُ مُعصِــر(٥) حــارثيَّــةٌ جــرى دمــعُ عَيْنَيْهــا علــى الخــد صــافيــا
فــلا تحسَبَــنَّ الــدَّيْــنَ يــا عُلَــبَ مُنْسَــأً ولا الثــائــرَ الحــرّانَ يَنْسَــى التقــاضيــا
سنقتُــلُ منكــم بــالقتيــل ثــلاثــةً ونُغْلــي وإن كــانــت دمــاءً غــواليــا
تمنيــتَ أن تَلقــى مُعــاذاً سفــاهَــةً ستلقَــى مُعــاذاً والقضيــبَ اليمــانيــا

وَوَجَدْتُ الأبياتَ القافيَّةَ التي فيها الغناءُ في نسخةِ النَّضرِ بنِ حديدٍ أتَمَّ مما ذكره أبو عمرو الشيبانيّ. وأوّلُها:

ألا هَــلْ إلــى فتيــانِ لهــوٍ ولــذّةٍ سبيــلٌ وتَهْتَــافِ الحمــامِ المطــوق(٦)

---

(١) التباليون: المنسوبون إلى تبالة، وهو بلد باليمن.

(٢) الأنقاض: جمع نقض (بالكسر)، وهو المهزول من الإبل والخيل كأن السفر نقض بنيته. «ذليل» بدل «دليل» وفي «مختار الأغاني»: «هزيل».

(٣) سلب: ألبس ثياب الحداد السود. والأصل في التسلب أن يكون للمرأة الذي يموت زوجها أو حميمها. يقال تسلب المرأة إذا لبست ثياب المأتم السود. والمسمنات: ذوات السمنة.

(٤) قوّد: اجعلها تقاد ولا تركب. والقلوص: الشابة أو الباقية على السير، وأوّل ما يركب من إناثها إلى أن تثنى ثم هي ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالإناث. تمارياً: تكذيباً.

(٥) المعصر: الجارية التي بلغت عصر شبابها وأدركت.

(٦) المطوق من الحمام: ما كان له طوق في عنقه.

وشربةِ ماءٍ من خَدُوراء[١] باردٍ ... جرى تحتَ أظلالِ[٢] الأراكِ المُسَوَّقِ
وسيري مع الفتيان[٣] كلَّ عشيةٍ ... أبَارى مَطَايَاهم[٤] بصهباءَ سَيْلَقِ
/ إذا كَلَحَتْ[٥] عن نابها مَجَّ شِدْقُها ... لُغَامَا[٦] كَمُحِّ البيضةِ المُتَرَقْرِقِ
وأصهبَ جَوْنِيٌّ كأن بُغَامَه ... تَبَغُّمُ مطرودٍ من الوحشِ مُرْهَقِ[٧]
/ بَرى[٨] لحمَ دَفَّيْه وأدمَى أَظَلَّه أجـ ... ـتيابي الفيافي سَمْلَقاً بعدَ سَمْلَقِ[٩]

[٥٦/١٣] ١٥٢ / ١١

وذكر بعده الأبياتَ الماضيةَ. وهذا وهمٌ من النضر، لأن تلك الأبياتَ مرفوعةُ القافيةِ وهذه مخفوضةٌ، فأتيتُ بكل واحدةٍ منهما منفردةً ولم أخلطهما لذلك.

علبة ينحر أولاد النوق والشياه لتصيح مع النسوة بكاء على جعفر

أخبرني الحسينُ بنُ يحيى المِرداسِيُّ عن حمادِ بنِ إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لما قُتِلَ جعفرُ بنُ علبة قام نساءُ الحيّ يبكين عليه، وقامَ أبوه إلى كلّ ناقةٍ وشاةٍ فنحر أولادَها، وألقاها بين أيديها وقال: ابْكِينَ معَنَا على جعفر! فما زالت النوقُ ترغو والشاءُ تَثْغُو والنساءُ يَصِحْن ويبكين وهو يبكي معهُنّ؛ فما رُئي يومٌ كان أوجعَ وأحرقَ مأتماً في العربِ من يَوْمِئِذٍ.

صوت

[٥٧/١٣]

/ عَلِّلانِي إنما الدنيا عَلَلْ ... واسقِيَانِي عَلَلاً بعدَ نَهَلْ[١٠]
أَصْحَبُ الصاحبَ ما صاحَبَني ... وأَكُفُّ اللومَ عنه والعَذَلْ[١١]

الشعر للعُجَيرِ السلولي. والغناءُ لابن سُرَيْج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حُبَيْشٍ. وذكر الهشاميُّ أنه من منحولِ يحيى المَكّيِّ.

---

(١) خدوراء: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب ذكره ياقوت في «معجم البلدان».
(٢) في «معجم البلدان لياقوت» في روايته لهذا البيت: «أفنان» بدل «أظلال».
(٣) في ط: «وسير مع الفتيان».
(٤) كذا أصلحها الشنقيطي في نسخته، وفي سائر الأصول: «نداماهم». والأصهب من الإبل: الذي يخالط بياضه حمرة، وهو أن يحمرّ أعلى الوبر وتبيض أجوافه. وإنما خص الإبل الصهب بالذكر لأنها خير الإبل لسرعتها. والسيلق: الماضية في سيرها. ورواية البيت في «اللسان» (مادة سلق):

وسيري مع الركبان كل عشية ... أباري مطاياهم بأدماء سيلق

والأدماء من الإبل: البيضاء ذات المقلتين السوداوين.
(٥) كلحت: كشرت في عبوس.
(٦) اللغام: زبد أفواه الإبل، وهو من البعير بمنزلة البزاق أو اللعاب من الإنسان. ومح البيضة ومحتها: صفرتها. وفي «اللسان» (مادة محح): «وقال ابن شميل: مح البيض: ما في جوفه من أصفر وأبيض كله مح. ومنهم من قال: المحة: الصفراء. والغرقىء: البياض الذي يؤكل». والمترقرق: المتحرك جيئة وذهوباً.
(٧) يريد: بعيراً جونياً، وهو الأسود المشرب حمرة. وبغامه: صوته. يقال بغمت الناقة تبغم (بالكسر) بغاماً: قطعت الحنين ولم تمده. ويكون ذلك للبعير أيضاً. وتبغم (بالتشديد) لبغم. انظر «اللسان» (مادة بغم).
(٨) في سائر الأصول: «ترى» بالتاء وهو تحريف. وما أثبتنا عن نسخة الشنقيطي مصصحاً بقلمه.
(٩) دفا البعير: جنباه. وأظله: باطن منسمه، أو هو باطن إصبعه. السملق: الأرض المستوية الجرداء لا نبات فيها.
(١٠) العل والعلل (محركة): الشربة الثانية، وقيل الشرب بعد الشرب تباعاً. والنهل (بالتحريك): أول الشرب.
(١١) العذل (بالتحريك): الاسم من عذله يعذله عذلاً فاعتذل وتعذل: لامه فقبل منه وأعتب.

/ أخبار العُجَير السَّلوليّ ونسبه

[١٣/٥٨]

أخبار العجير السلولي ونسبه

هو ـ فيما ذكر محمدُ بن سلاّم ـ العجيرُ بنُ عبدِ الله بن عبيدةَ[١] بن كعب بن عائشة[٢] بن الربيع[٣] بن ضُبَيْطِ بن جابرَ بن عبدِ الله بن سَلُولِ. ونسختُ نسبَهُ من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيديّ عن ابن حبيبٍ قال: هو العجيرُ بنُ عبيد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول[٤] بن مرة بن صعصعة، أخي عامر بن صعصعة. شاعرٌ مقلٌّ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية. وجعله محمدُ بنُ سلامٍ في طبقةِ أبي زبيدٍ الطائيِّ؛ وهي الخامسةُ من طبقاتِ شعراءِ الإسلام.

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال: حدّثنا محمد بنُ سلاّم الجُمَحِيُّ، قال: حدّثنا أبو الغَرّافِ[٥] قال: كان العجيرُ السَّلُوليُّ دلَّ عبدَ الملك بن مروانَ على ماءٍ يقال له مطلوبٌ[٦]، وكان لناسٍ من خثعَم، فأنشأ يقول:

[١٣/٥٩]

/ لا نــومَ إلا غِـرارُ العيــنِ ســاهِـرةً ... إن لــم أرَوِّعْ بغيــظٍ أهــلَ مَطْلــوب[٧]

إن تَشْتُمُــونــي فقــد بــدّلْــتَ أيكتَكُــم ... ذَرْقَ الــدَّجَــاجِ بحَفَّــان اليعــاقيــب[٨]

وكنــتُ أخبِــركُــم أن ســوف يعمُــرهــا ... بنُــو أميّــة وعــداً غيــرَ مكــذُوبِ

العجير يذهب ليلاً إلى عبد الملك حين طلبه

قال: فركب رجلٌ من خثعم يقال له أميّةُ إلى عبد الملك حتّى دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، إنّما أراد العجير أن يصلَ إليك وهو شويعر سآل[٩]. وحَرَّبه[١٠] عليه. فكتب إلى عامله بأن يشدّ يدي العجير إلى عنقه ثم يبعثه في الحديد. فبلغ العجيرَ الخبرُ فركب في الليل حتّى أتى عبدَ الملك فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا عندك فاحتبِسْني

---

(١) عبيدة (بفتح العين وكسر الباء): هكذا ضبطه البغدادي في «خزانة الأدب». ثم قال بعد ذلك: «ويقال ابن عبيدة بضم العين».

(٢) كذا في سائر الأصول ما عدا ط. وفي ط: «ابن عابسة».

(٣) في المؤتلف والمختلف للآمدي: «... بن ضبيط بن رفيع بن جابر بن عمرو بن مرة بن صعصعة وهم سلول».

(٤) في «الخزانة» ما يفيد أن «سلول» اسم امرأة؛ ففيها: «وأم بني مرة سلول بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة غلبت عليهم وبها يعرفون. وجاء في المعارف لابن قتيبة: «فأما بنو مرة فيعرفون ببني سلول وهي أمهم. منهم أبو مريم السلولي ومنهم العجير السلولي الشاعر وعبد الله بن همام الشاعر السلولي». انظر «خزانة الأدب» (ج ٢ ص ٢٩٨ طبع بلاق) والمؤتلف والمختلف (ص ١٦٦ طبع السلفية) و «المعارف لابن قتيبة» (ص ٤٢ طبع أوربا).

(٥) في الأصول: «العراف» بالعين المهملة، وهو تحريف والتصويب من «طبقات الشعراء لابن سلام» (ص ١٣٢ طبع أوربا).

(٦) مطلوب: اسم بئر بين المدينة والشام بعيدة القعر يستقى منها بدلاء.

(٧) غرار العين: قلة نومها.

(٨) الأيكة: الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. وذرق الدجاج: خرؤه. واليعاقيب جمع يعقوب. وهو هنا ذكر الحجل. وحفان اليعاقيب: فراخها.

(٩) السآل: الملحاح في السؤال.

(١٠) حربه: حرضه عليه وأثار عليه حرب الغضب.

وأبعث من يبصر الأَرَضين والضياع، فإن لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حِلٌّ[1] وبِلٌّ، فبعث فاتخذ ذلك الماء، فهو اليوم من خيار ضياع بني أمية.

نافع الكناني يطلبه ليقيم الحد أو يقيم عليه ذلك بنو حنيفة فيهرب

نسخت من كتاب عبيد الله بنِ محمّدٍ اليزيديّ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: هجا العجير قوماً من بني حنيفة وشتمهم، فأقاموا عليه البيّنة عند نافع بن / علقمة الكنانيّ، فأمرهم بطلبه وإحضاره ليقيمَ عليه الحدَّ وقال لهم: إن وجدتموه أنتم فأقيموا عليه الحد وليكن ذلك في ملأ يشهدون به لئلا يدَّعي عليكم تجاوزَ الحق. فهرب العجيرُ منهم ليلاً حتى أتى نافعَ بنَ علقمة، فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد، ثم تعلق بثوبه وقال:

١٥٣ / ١١

[١٣/٦٠] / إليـك سبقنـا السـوطَ والسجـنَ، تحتنـا حيـالٌ يُسَـاميـن الظـلالَ ولُقَّـحُ[2]
إلـى نـافـع لا نـرتجـي مـا أصـابنـا تحـومُ علينـا السـانحـاتَ وتبـرحُ
فـإن أكُ مجلـوداً فكـن أنـت جـالـدي وإن أكُ مـذبـوحـاً فكـن أنـت تـذبـح

فسأله عن المطر وكيف كان أثرُه، فقال له:

يـا نـافـعٌ يـا أكـرم البـريـه[3] والله لا أكـذبـك العشيّـه
إنـا لقينـا سنـةً قَسِيَّـه[4] ثـم مُطِـرْنـا مَطـرةً رويـه

* فنبت البقل ولا رعيه[5] *

- يعني أن المواشي هلكت قبل نباتِ البَقل - فقال له: انجُ بنفسك فإنّي سأرضي خصومَك، ثمّ بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقّهم وضمن لهم أن لا يعاودَ هجاءَهم.

أخبرني الحرميُّ بنُ أبي العلاء قال:

حدّثنا الزبيرُ بنُ بكّار قال: حدّثني عُمَرُ بنُ إبراهيم السعديّ عن عباس بن عبد الصمد السعديّ قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلوليّ: أصدقت فيما قلته لابن عمك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا أني قلت:

فتًـى قُـدَّ قَـدَّ السيـف لا متضـائـلٌ ولا رهـلٌ لَبّـاتُـه وبـآدلـه[6]

[١٣/٦١] / - هذا البيت يُروى لأخت يزيد بن الطَّثْرِيّة[7] ترثيه به -

---

(١) حل: حلال. وبل: مباح مطلق. وبل من برد الماء أي أن دمي يبرد صدرك. وقيل: «بل» إتباع «الحل» أي توكيد. إلا أن أبا عبيدة وابن السكيت لم يرتضيا هذا الإتباع لمكان الواو بينهما. انظر «اللسان» (مادة بلل).

(٢) حيال: جمع حائل. والحائل: الناقة التي ضربها الفحل فلم تحمل. ولقح: جمع لاقح. واللاقح: الناقة الحامل. ويسامين الظلال: يبارينها. وفي ط: «طلح» بدل «لقح» وكتب بهامشها كلمة «لقح» إشارة إلى الروايتين. وطلح: جمع طالح. والطالح: الناقة التي أجهدها السير فأصابها الكلال والإعياء.

(٣) رواية «اللسان» لهذا الشطر منسوباً إلى العجير السلولي (مادة قسا):

* يا عمرو يأكيرم البريه *

(٤) القسية: الشديدة لا مطر فيها، من القسوة.

(٥) الرعية: الماشية الراعية أو المرعية. (كما في «القاموس»).

(٦) الرهل: يقال رهل لحمه اضطرب واسترخى أو ورم من غير داء. اللبة: موضع النحر. والبآدل: جمع بأدلة؛ وهي اللحمة بين العنق والترقوة. وفي «الأغاني» (ج ٨ ص ١٨٣ طبع دار الكتب) وهامش ط: «أباجله». والأباجل: جمع أبجل؛ وهو عرق غليظ في الرجل، وقيل في باطن الذراع.

(٧) في «أشعار الحماسة» (ص ٤١٦ طبع أوربا) ذكر هذا البيت ضمن أبيات ستة منسوبة إلى العجير السلولي، لكن مع اختلاف في تقديم =

جميـــلٌ إذا استقبلَتـــه مـــن أمـــامـــه ... وإن هـو ولّـى أشعـثُ الـرأس جـافلـه[١]
طـويـلٌ سطـيُّ[٢] الـسـاعـديـن عَـذَوَّرٌ[٣] ... علـى الحـيّ حتـى تستقـلّ مـراجلـه
تـرى جـازِرَيْـه يُـرعَـدَان ونـارُه ... عليهـاعـداميـلُ الهشيـم وصـاملُـه[٤]
/ يجـران ثِنيـاً[٥] خيـرُهـا عظـمُ جـاره ... علـى عينـه لـم تعـدُ[٦] عَنهـا مشـاغلـه [١٣/٦٢]
تـركنـا أبـا الأضيـافِ فـي كـل شتـوة[٧] ... بمَـرٍّ[٨] ومِـردى[٩] كـلّ خصـم يجـادلـه
مقيمـاً سلبنـاه دريسـيْ مُفـاضـة ... وأبيـضَ هنـدِيًّـا طـوالا حمـائلـه[١٠]

فقال هشام: هلك والله الرجل.

= الأبيات وتأخيرها وكذلك في ألفاظ بعض الأبيات. وفي «أشعار الحماسة» أيضا (ص ٤٦٨) و «الأمالي» (ج ٢ ص ٨٥ طبع دار الكتب) و «الأغاني» (ج ٨ ص ١٨٢ طبع دار الكتب) ورد هذا البيت ضمن قصيدة لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد بن الطثرية؛ وفي هذه القصيدة أبيات مما نسب للعجير مع اختلاف في اللفظ أيضاً. والطثرية (بإسكان الثاء)؛ هكذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة في ترجمته ليزيد بن الطثرية فقال: «والطثرية بفتح الطاء وإسكان الثاء وبعدها راء ثم ياء النسب وهاء وهي أمة ينسب يزيد المذكور إليها؛ وهي من بني طثر بن عنز بن وائل. والطثرة: الخصب وكثرة اللبن. يقال: إن أمه كانت مولعة بإخراج زبد اللبن». وفي «القاموس وشرحه» (مادة طثر): «وطثرية (محركة): أم يزيد بن الطثرية الشاعر القشيري». وقد ضبط بالقلم في ط بإسكان الثاء. وفي «أشعار الحماسة» و «الشعر والشعراء» و «طبقات ابن سلام» و «الكامل للمبرد» ضبط بالحركة بإسكان الثاء أيضاً.

(١) الشعث: تلبد الشعر واغبراره. يقال: شعث يشعث شعثاً وشعوثة فهو شعث وأشعث وشعثان إذا أغبر شعره وتلبد. وجافله هنا: من الجفال؛ وهو الشعر الكثير. ورواية البيت في «الحماسة» و «الأمالي»:

كـــريـــم إذا لاقيتـــه مبتسمـــاً ... وإمـا تـولـى أشعـث الـرأس جـافلـه

(٢) سطي الساعدين: ذو بطش، وهو مبالغة من سطا عليه وبه سطوا وسطوة، إذا بطش به برفع اليد.

(٣) العذور: السيء الخلق. وإنما جعله عذوراً لشدّة تهممه بأمر الأضياف وحرصه على تعجيل قراهم، حتى تنصب المراجل وتهيأ المطاعم للضيفان ثم يعود إلى خلقه الأول. ورواية البيت في «الحماسة» و «الأمالي»:

إذا نـــزل الأضيـــاف كـــان عـــذوّرا ... علـى الحـيّ حتـى تستقـل مـراجلـه

(٤) يرعدان: تصيبهما الرعدة إما من خوفه لاستعجاله إياهما وإما من البرد. يخبر أنه ينحر في الشتاء والجدب. وإنما جعل له جازرين على عادتهم في جعلهم أصحاب المهن فيهم اثنين اثنين؛ كالبائن والمستعلي في الحلب والماتح والقابل في الاستقاء. انظر «شرح التبريزي للحماسة» ٤٧٠، وفي «اللسان»: «وللناقة حالبان أحدهما يمسك العلبة من الجانب الأيمن، والآخر يحلب من الجانب الأيسر. والذي يحلب يسمى المستعلي والمعلى، والذي يمسك يسمى البائن». والعداميل جمع عدمل: الضخم القديم من الشجر. والصامل والصميل: اليابس. ويروي «عدولي» كما في حـ و «اللسان» «مادة عدل». والعدولي هنا: نسبة إلى عدولي، وهو موضع بنواحي البحرين تنسب إليه السفن. والهشيم هنا: الشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف شاء لأنها بدون ثمر. وصامله: يابسه. يقول: على النار حطب يابس. وفي «اللسان» (مادة صمل) ورد هذا البيت منسوباً للعجير ولبنت الطثرية بلفظ «عداميل» بدل «عدولي». وفي بقية الأصول: «. . . السنام وناصله» وهو تحريف. ورواية الشطر في الحماسة والأمالي:

* عليها عداميل الهشيم وصامله *

(٥) الثنى: الناقة التي ولدت بطنين. وولدها الثاني يسمى ثنياً أيضاً. وخيرها عظم جاره يريد أن خير عظم فيها يهديه لجاره.

(٦) لم تعد: لم تصرف. يريد: لم يشغله عن نحرها ضنه بها لبصرة بقرى الأضياف والنحر لهم. وفي «الحماسة» و «الأمالي»: «بصيراً بها» بدل «على عينه».

(٧) كذا في جميع الأصول. وفي «أشعار الحماسة»: «في ليلة الصبا»، وفي «معجم البلدان»: «في ليلة الدجا».

(٨) «مر»: ماءة لبني أسد بينها وبين الخوة يوم شرقي سميراء وبهامات ابن عم العجير واسمه جابر بن زيد. (انظر «معجم البلدان» في رسم «مر»). وفي «أشعار الحماسة»: «مرو» وهو تحريف.

(٩) المردى في الأصل: صخرة يكسر بها النوى. يقال: فلان مردى الحروب أو الخصوم أي يرمون به فيكسرهم.

(١٠) الدريس هنا: الدرع الخلقة. والمفاضة: الدرع الواسعة. وأبيض هندياً: يريد سيفاً. وجعله طويل الحمائل لطول قوامه. يقول: إنه أنفق ماله فيما نشر له حمداً فلم يكن لإرثه إلا ما ذكر من السلاح. ورواية البيت في «الحماسة» و «اللسان» (مادة درس):

مضـــى وورثنـــاه دريـــس مفـــاضـــة ... وأبيـــض هنـــديـــاً طـــويـــلاً حمـــائلـــه

ونسختُ من كتاب ابنِ حبيبٍ قال ابن الأعرابي: اصطحب العجيرُ وشاعرٌ من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعيّ الحسنَ بنَ الحسن بن عليّ عليهم السلام، وقصد العجيرُ رجلاً من بني عامرِ بنِ صعصعة كان قد نال سلطاناً، فأعطى الحسن بنَ الحسن الخزاعيّ وكساه ولم يعط العامريُّ العجير شيئاً، فقال العجير:

[٦٣/١٣] / **العجير يقول حين حرمه العامري العطاء**

يـا ليتنـي يـوم حـزَّمـتُ القَلُـوصَ لـه ... يَمَّمتُهـا هـاشمِيًّـا غيـرَ ممـذوق[١]

محضَ النِّجـار[٢] مـن البيت الـذي جُعلت ... فيـه النبـوّةُ يَجْـري غَيـر مَسبـوق

لا يُمْسِـك الخيـرَ إلا ريـثَ يُسْـألُـهُ ... ولا يـلاطـم[٣] عنـد اللحـم فـي السـوق[٤]

١٥٤/١١ فبلغت أبياتُ الحسنَ، فبعث إليه بصلة إلى مَحَلّة قومه وقال له: قد أتاك حظّك وإن لم / تتصدَّ له.

العجير يشرب حتى ينتشي فيأمر بنحر جمله ويقول شعراً

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمارٍ قال: حدّثنا محمدُ بنُ الحسن بن دينار الأحولُ قال: حدّثني بعض الرواة أن العجيرَ بنَ عبد الله السلولي مر بقوم يشرَبون فسَقَوه فلما انتشى قال: انحروا جملي وأطعِمونا منه. فنحروا وجعلوا يُطْعمونه ويسقونه، ويغنّونه بشعر قال يومئذ، وهو:

علِّـلانـي إنمـا الـدنيـا عَلَـلْ ... واسقيـانـي علـلاً بعـد نَهَـل

وانشُـلا[٥] مـا اغبـرّ مـن قـدريكمـا ... وأصبحـانـي[٦] أبعـد اللهُ الجمـل

أصحـبَ الصـاحـب مـا صـاحبنـي ... وأكـفُّ اللّـوم عنـه والعـذل

وإذا أتلـف شيئـاً لـم أقـل ... أبـداً يـا صـاحِ مـا كـان فعـل

[٦٤/١٣] / قال: فلما صحا سأل عن جمله فقيل له: نحرته البارحة. فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم وهبوا له بعيراً فارتحله[٧] وانصرف إلى أهله.

ندمه على ذلك بعد صحوه وارتحاله على بعير وهب له

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدّثنا محمدُ بن يزيد قال: حجّ العجيرُ السلوليّ فنظر إلى امرأته وكان قد حجَّ بها معه وهي تلحظ فتى من بُعدٍ وتكلمه فقال فيها:

أيـا ربّ لا تغفـر لَعْثمـة ذنبَهـا ... وإن لـم يعـاقبهـا العجيـر فعـاقـب

أشـارت وعَقـدُ الله بينـي وبينهـا ... إلـى راكـب مـن دونـه ألـفُ راكـبِ

حـرامٌ عليـك الحـجُّ لا تقـرَبِنَّـه ... إذا حـان حَـجُّ المسلمـات التـوائـب

---

(١) المذق: الخلط. يريد أنه هاشمي صريح النسب.

(٢) النجار (بالكسر وبضم): الأصل والحسب. ومحضه: خالصه.

(٣) في جميع الأصول: «يطاعم» وهو تحريف. والتصويب عن المرحوم الشنقيطي في نسخته. والملاطمة: مفاعله من اللطم، وهو ضرب الجسد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة.

(٤) يريد أنه لا يشتري لضيفانه اللحم من السوق وإنما يذبح لهم في بيته.

(٥) انشلا: أمر من نشل اللحم ينشله (بضم الشين وكسرها) نشلاً إذا أخرجه من القدر بيده من غير مغرفة فهو نشيل. والنشيل: ما طبخ من اللحم بغير توابل. وما اغبر: ما بقي.

(٦) أصبحاني: أعطياني الصبوح. وهو هنا ما أكل أو شرب غدوة.

(٧) ارتحله: حط عليه الرحل.

العجير يكل زواجه ابنته إلى خالها ثم يطلقها من المولى بعد قدومه

وقال ابن الأعرابي: غاب العجيرُ غيبة إلى الشأم، وجعل أمرَ ابنته إلى خالها، وأمره أن يزوّجها بكفء. فخطبها مولًى لبني هلال كان ذا مال، فرغبت أمُّها فيه وأمرت خالَ الصبية الموصى إليه بأمرها أن يزوّجها ففعل. فلاذت الجارية بأخيها الفرزدقِ بنِ العجيرِ، وبرجالٍ من قومها، وبابن عمّ لها يقال له قيل، فمنعوا جميعاً منها سوى ابن عمها القيل فإنّه ساعد أمها على ما أرادت، ومنع منها الفرزدق. فلما قدم العجير أخبر بما جرى ففسخ النكاح وخلع ابنته من المولى وقال:

ألا هــل لَبعجــاّن الهــلالِــيّ زاجــرٌ ... وبعجـــانُ مـــأدومُ الطعـــام سميـــنُ

أليــس أميــرُ المــؤمنيــن ابــنَ عمهــا ... وبــالحِنــو[١] آســادٌ لهــا وعــريــنُ

وعــاذت بِحَقْــوَيْ[٢] عــامــر وابــن عــامــر ... ولله قـــد بتـــت علـــيّ يميـــنُ

تنــالــونهــا[٣] أو يخضِــبَ الأرضَ منكــم ... دم خـــرّ عنـــه حـــاجـــب وجبيـــن

[١٣/٦٥] / وقال أيضاً في ذلك:

إذا مـــا أتيـــتَ الخـــاضبـــات أكُفَّهـــا ... عليهـــنّ مقصـــورُ الحجـــال المـــروَّقُ[٤]

فـــلا تـــدعـــونَّ القَيـــلَ[٥] إلا لمشـــربٍ ... رَواء ولكـــنّ الشجـــاع الفـــرزدق

هـــو ابـــنُ لِبَيْضـــاءِ الجبيـــن نَجيبـــةٍ ... تَلَقَّـــت[٦] بطُهـــر لـــم يجـــيءْ وهـــو أحمـــق

تـــداعـــى إليـــه أكـــرمُ الحـــيّ نســـوةً ... أطفـــن بكِســـرَيْ بيتهـــا حِيـــن تُطْلَـــقُ[٧]

فجـــاءت بغُـــريـــانِ اليـــديـــن كـــأنّـــه ... مـــن الطيـــر بـــازٍ ينفُـــض الطّـــلّ أزرق

١٥٥ / ١١ / **قول العجير في رفيق**

وقال أبن الأعرابيّ: كان للعجير رفيقٌ يقال له أصبحُ، وكانا يصيبان الطريق، وفيه يقول العجير:

ومنخـــرِقٍ عـــن مَنْكِبيـــه قميصُـــه ... وعـــن ســـاعـــديـــه، لـــلأخـــلاّء وواصـــلِ

إذا طـــال بـــالقـــوم المطـــافـــى تَنُـــوفَـــةٍ ... وطـــولُ السّـــرى ألفيتَـــه غيـــر نـــاكـــلِ[٨]

دعـــوتُ وقـــد دبّ الكَـــرى فـــي عِظـــامـــه ... وفـــي رأســـه حتّـــى جـــرى فـــي المفـــاصـــلِ

كمـــا دبّ صـــافـــي الخمـــر فـــي مـــخّ شـــاربٍ ... يميـــل بِعِطْفَيْـــه، عـــن اللّـــبّ ذاهـــلِ

---

(١) الحنو: حنو ذي قار قرب الكوفة.

(٢) الحقو (بالفتح ويكسر): معقد الإزار. ويسمى الإزار كذلك حقوا لأنه يشد على الحقو، كما تسمى المزادة الراوية لأنها تحمل على الراوية، وهو الجمل. والعرب تقول: «عذت بحقوه إذا عاذ به ليمنعه».

(٣) تنالونها: لا تنالونها. وحذف «لا» النافية في مثل هذا كثير.

(٤) المروق: ذو الستور. والرواق: ستر دون السقف، أو مقدّم البيت. وورد في هامش ط: «المروق الذي عليه رواق، أي ستر».

(٥) كذا في جـ وهامش ط، وفي سائر الأصول: «فلا يذعرنك القيل». والقيل: اللبن يشرب في القائلة.

(٦) تلقت: علقت، أي حبلت.

(٧) الكسر: جانب البيت أو الشقة السفلى. وتطلق بالبناء للمجهول من طلقت، كعنى، في المخاض أصابها وجع الولادة.

(٨) المطا هنا: التمطي، والتمطي: السير الممتد. والتنوفة كالتنوفية: الأرض الواسعة البعيدة الأطراف وتسمى المفازة. والناكل هنا: الجبان الضعيف.

فلبّـى لِيَثْنِينـي بِثِنْيَـيْ لسـانـه ... ثقيلين من نـوم غَلـوب الغياطِـل [1]

فقلتُ لـه قـم فارتحـل ليس هـا هنـا ... سِوى وقفـةِ السّـاري مُنـاخٌ لنـازِلِ

فقـام اهتـزازَ الـرمـح يسـرُو قميصَـه ... ويحسِـر عـن عـاري الـذّراعيـن نـاحـلِ [2]

[٦٦/١٣] / وقال ابن الأعرابيّ: كانت للعجير امرأة يقال لها أمُّ خالد، فأسرع في ماله فأتلفه وكان جواداً، ثم جعل يدّان حتى أُثقِل بالدين ومد يده إلى مالها، فمنعته منه وعاتبته على فعله، فقال في ذلك:

تقـولُ وقـد غـالبتُهـا أمُّ خـالـد ... علـى مـالهـا أُغـرقـتَ دَيْنـاً فـأقْصـر [3]

أبـي الْقَصْـرَ مَـن يـأوى إذا اللّيـل جَنّنـي ... إلـى ضـوءِ نـاري مِـنْ فقيـر ومُقْتـرِ

أيـا مـوقـدَيْ نـاري ارْفَعـاهـا لعلّهـا ... تُشَـبُّ لِمُقْـوٍ [4] آخـرَ الليـل مقفِـر

أمِـن راكـبٍ أمسـى بظهـر تنُـوفـةٍ ... أوَارِيـكِ أم مـن جـاريَ الْمُتَنَظَّـر

ولا قِـدرَ دون الجـار إلاّ ذميمـةٌ ... وهـذا المُقـاسـي ليلـةً ذاتَ منكـر

تكـاد الصَّبـا تبتَـزُّه مِـنْ ثيـابـه ... علـى الـرَّحْـل إلا مـن قميـص ومئـزر [5]

ومـاذا علينـا أن يخـالِـس ضـوءَهـا ... كـريـمٌ نثـاه شـاحـبُ الْمُتَحَسَّـرِ [6]

ـ المتحسر: ما انكشف وتجرد من جسمه ـ

فيخبِـرنـا عمّـا قليـل ولـو خلـت ... لـه القِـدر لـم نعجـب ولـم نتخَبَّـر

صوت [7]

سلِـي الطـارِق المعتَـرَّيـا أمَّ مـالـكٍ ... إذا مـا أتـانـي بيـن قِـدري ومَجْـزِرى [8]

أأبسُـط وجهـي أنّـه أول القِـرى ... وأبـذلُ معـروفـي لـه دون مُنْكَـرى [9]

فـلا قصـر حتّـى يَفـرج الغيثُ مـن أوى ... إلـى جنـب رَحْلـي كـلّ أشعـث أغبـر [10]

[٦٧/١٣] / أقِـي العِرضَ بـالمـال التِّلادِ [11] ومـا عسى ... أخـوك إذا مـا ضيّـع العـرض يشتـرى

---

(١) الغياطل: جمع غيطلة، والغيطلة هنا: غلبة النعاس.

(٢) يسرو قميصه: يلقيه عنه. يقال: سروت الثوب عن سروا وسريته إذا ألقيته عنك ونضوته.

(٣) الإقصار: الامتناع.

(٤) المقوى: الذي لا زاد معه، يقال: أقوى الرجل إذا نفد طعامه وفني زاده.

(٥) الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش وتبتزه: تجرده. والرحل بالحاء المهملة في ط، ووردت بالجيم في باقي الأصول، وهو تحريف.

(٦) يخالس: ينتهز. والنثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء.

(٧) كلمة «صوت» ليس في ب، ج.

(٨) الطارق: الآتي بالليل. والمعتر: الذي يطيف بك يطلب ما عندك، سألك أو سكت عن السؤال. والجزر، وردت بفتح الزاي في ط خطأ والصواب كسرها مثل مشرق ومغرب.

(٩) ورد في جـ «قبل» بدل «دون».

(١٠) يفرج بكسر الراء.

(١١) التلاد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك من مالك أو نتج. وكل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء. وهو التالد والتليد والمتلد.

يُــؤدِّي إلـــيّ النَّيــل[١] قنيــانَ مــاجِــدٍ   كــريــم ومــالــي ســارحــاً مــال مقتــر

ـ القنيان[٢]: ما اقتنى من المال. يقول: إنه لبَذْله القِرَى كأنه موسر، وإذا سرح مالُه علم أنه مُقتر[٣] ـ

إذا مُــتُّ يــومــاً فــاحضُــري أمَّ خــالــد   تُــراثَــكِ مــن طِــرف وسيــف وأقــدَرِ[٤]

قال ابن حبيب: من الناس من يروي هذه الأبياتَ الأخيرةَ التي أوّلُها:

* سلِي الطارقَ المعترّ يا أمّ مالك *

لعروه بن الوردِ، وهي للعُجَيْر.

العجير يفد على عبد الملك فيقيم ببابه

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال حدّثنا علي بنُ الصَّبّاح عن هشامِ بنِ محمدٍ قال: وفد العجيرُ السَّلُوليُّ ـ وسلولُ بنو مرّةَ بنِ صعصعةَ ـ على عبد الملك بن مروانَ، فأقام ببابه / شهراً لا يصل إليه لشغلٍ عَرَضَ لعبد الملك، ثم وصل إليه فلما مثلَ بين يديه أنشد: ١٥٦ / ١١

/ ألا تلـــك أمُّ الهِبْـــرِزِيّ تَبَيَّنَــتْ   عِظَــامــي ومنهــا نــاحِــل وكسيــرُ[٥] [٦٨/١٣]

وقــالــتْ تضــاءلــتَ الغــداةَ ومَــنْ يكُــنْ   فتًــى قبــلَ عــامِ المــاءِ فَهْــو كبيــرُ[٦]

فقلــتُ لهــا إنّ العُجيــرَ تقلّبَــتْ   بِــه أبطـــنٌ أبلَيْنَــه وظهــورُ

فمنهــنّ إدلاجــي علــى كُــلِّ كــوكــبٍ   لــه مــن عُمَــانــيّ النجــومِ نظيــرُ[٧]

---

(١) النيل والنائل: ما نلته. ورواية ط لهذا الشطر:

* يؤدي إليّ الليل قنوان ماجد *

وفي مثل هذا المعنى قال الشاعر:

ليــس العطــاء مــن الفضــول سمــاحــة   حتــى تجــود ومــا لــديــك قليــل

(٢) يقال بضم القاف وكسرها. وفي ط: «القنوان». وهي صحيحة وقافها مضمونة، بمعنى القنيان.

(٣) في ط: «فقير».

(٤) الطرف هنا: الكريم من الخيل. والأقدر: الفرس الذي يجاوز حافراً رجليه مواقع حافري يديه.

(٥) أم الهبرزي: الحمى. هكذا في «لسان العرب» و «تاج العروس» حيث رويا البيت منسوباً للعجير شاهدا على ذلك، مع اختلاف في بعض ألفاظ الشطر الأول. ومثله كذلك ما أورده المحبيّ في «ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه» حيث قال: «أم الهبرزي هي الحمى». ثم قال في موضع آخر: «أم الهدبذي، بالدال والذال، هي الداهية والحمى». ثم أورد البيت شاهدا على ذلك مع اختلاف في بعض ألفاظ الشطر الأول كذلك. ناحل: مهزول دقيق. وفي جميع الأصول: «ناصل»، والتصويب من «لسان العرب» و «تاج العروس» وما يعول عليه. ورواية البيت في «اللسان» و «التاج» (مادة هبرز):

فــإن تــك أم الهبــرزي تمصــرت   عظــامــي فمنهــا نــاحــل وحسيــر

وتمصرت: اعتصرت. وحسير: تعب. وروايته في (ما يعول عليه):

فمنهــن أم الهبــرزي تتــابعــت   عظــامــي فمنهــا نــاحــل وكسيــر

والكسير: المكسور.

(٦) عام الماء، قال أبو حنيفة: «إذا كان عام خصيب مشهور بالكلأ والكمأة والجراد سمي عام الماء». انظر «المخصص» (١٠: ١٧). ورواية البيت في «اللسان» (مادة عوم):

رأتنــي تحــاذيــت الغــداة ومــن يكــن   فتــى عــام عــام المــاء فهــو كبيــر

قال في «اللسان» هنا: «فسره ثعلب. فقال: العرب تكرر الأوقات فيقولون: أتيتك يوم يوم قمت، ويوم تقوم». وانظر ما سيأتي في ص ٧٥.

(٧) العماني: المنسوب إلى عمان.

وَقَرْعي بكفّي بابَ مَلْكٍ كأنّما | به القومُ يرجون الأَذِينَ نُسُورُ(١)
/ ويومٍ تبارى أَلْسُنُ القوم فيهم | وللموت أرحاءٌ بهنّ تدورُ(٢)
لو أنّ الجِبالَ الصُّمَّ يسمعْن وَقْعَها | لَعُدْن وقد بانت بهنّ فُطورُ(٣)
فرحتُ جَواداً والجوادُ مثابرٌ | على جَرْيِه، ذو علة ويسيرُ

[١٣/ ٦٩]

عطاء عبد الملك له لطول مقامه

فقال له: يا عجيرُ ما مدحتَ إلاّ نفسك، ولكنّا نُعْطِيك لطول مُقَامك. وأمر له بمائةٍ من الإبل يُعطَاها من صدقات بني عامر، فكتب له بها.

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ سعدٍ الكُرَانِيُّ قال: حدّثنا العُمَرِيُّ عَنِ العُتْبِيِّ قال: نظر أبي إلى فتًى مِنْ بني العبّاس يسحب مُطْرِف(٤) خزٍّ عليه وهو سكران ـ وكان فتًى مُتَهَتِّكاً ـ فحرك رأسه مَلِيًّا ثم قال: لله درُّ العُجَيْرِ السَّلُولِيّ حيث يقول:

وما لبس الناسُ من حُلّة | جديدٍ ولا خَلَقاً يُرْتَدَى(٥)
كمثل المُروءةِ للاّبسين | فدعني من المُطْرَف المُسْتدى(٦)
فليسَ يُغَيِّر فضلَ الكريم | خُلُوقةُ أثوابه والبلى(٧)
/ وليس يُغيِّر طبعَ اللّئيم | مطارِف خز رِقاقُ السَّدَى(٨)
يجود الكريمُ على كلّ حالٍ | ويكبو اللئيمُ إذا ما جرى

[١٣/ ٧٠]

قوله في ابنه الفرزدق

أخبرني عمّي قال: حدّثني محمدُ بنُ القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو القاسم اللِّهبيّ عن أبي عبيدة قال: كان العُجيرُ السلولي له ابن يقال له الفرزدقُ، وفيه يقول العجير:

ولقد وضعتُك غيرَ مُتَّرِكٍ | من جابر(٩) في بيتها الضَّخم
واخترتُ أمّكَ من نسائهم | وأبوك كلُّ عَذَوَّرٍ شهم(١٠)

---

(١) الأذين: الحاجب الذي يبلغ إذن الملك للمثول بين يديه، وهو الآذن. والنسور: جمع نسر. وفي جـ بالشين المعجمة، وهو تحريف. والمعنى أن طلاب المغانم يتجمعون على باب الملك مثل تجمع النسور.

(٢) الألسن: جمع لسان، و «اللسان»: المقول يذكر ويؤنث، ففي حالة التذكير يجمع على ألسنة كحصان وأحصنة، وفي حالة التأنيث يجمع على ألسن كذراع وأذرع. (انظر «اللسان» مادة لسن). ورواية البيت في جـ:

ويوم تنادي ألسن القوم فيهم | وللقوم أرحاء بهن تدور

(٣) الفطور: الشقوق جمع فطر بالفتح.

(٤) المطرف (بالضم ويكسر) وأحد المطارف، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام.

(٥) الحلة: إزار ورداء، برداً كان أو غيره. ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة. وخلق: بال، الذكر والأنثى فيه سواء.

(٦) المستدى هنا: المنسوج.

(٧) الخلوقة، بضم الخاء: البلى. وفي الأصل: «خلوقات».

(٨) السدى من الثوب: ما مدّ منه، وهو خلاف اللحمة.

(٩) من جابر: يريد من قبيلة جابر، وجابر من آباء العجير.

(١٠) العذور: السيء الخلق، القليل الصبر فيما يريده ويهم به.

فلئن كذبتَ المنحَ من مائةٍ ... فلتقبلن بسائغ وَخْم[1]

إن الندى والفضل غايتُنا ... ونجاتُنا وطريقُ من يحمي

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرَانيّ قال قال الحرمازي: وقف العجيرُ السَّلولي لبعض الأمراء، وقد علق به غريمٌ له من أهله فقال له:

أتيتك إنّ الباهلي يسوقني[2] ... بدين ومطلوبُ الدُّيون رقيقُ

ثلاثتُنا إن يسَّر اللهُ: فائرٌ ... بأجر، ومُعْطي حقّه، وعتيقُ

فأمر بقضاء دينه.

[٧١/١٣] / بنت عمه تختار العامري عليه وتتزوجه ليساره

وقال ابن الأعرابيّ: كانت للعجير بنتُ عَمٍّ وكان يهواها وتهواه، فخطبها إلى أبيها فوعده وقَارَبه[3]. ثم خطبها رجلٌ من بني عامرٍ موسر، فخيرها أبوها بينه وبين العُجير، / فاختارت العامريَّ ليساره، فقال العجيرُ في ذلك: ١٥٧/١١

أَلِمَّا على دارٍ لزينبَ قد أتى ... لها بِلِوَى ذي الْمَرْخ صيفٌ ومَرْبَع[4]

وقُولا لها قد طالما لم تَكَلَّمي ... وراعاك بالعين الفُؤادُ المُرَوَّع

وقولا لها قال العجير وخَصَّني ... إليك، وإرسال الخليلَيْن ينفع

أأنت التي استودعتُك السرَّ فانتحى ... لي الخَوْنَ مَرَّاحٌ من القوم أفرع[5]

إذا مت كان الناسُ نِصفين: شامتٌ ... ومثنٍ بما قد كنت أُسْدِي وأصنع[6]

ومستلحَم قد صَكَّه القومُ صكّةً ... بَعيدِ الموالي نِيلَ ما كان يمنع[7]

رددتُ له ما أفرط القتل بالضحى ... وبالأمس حتى اقتاله فهو أصلعُ[8]

ولستُ بمولاه ولا بابنِ عمِّه ... ولكن متى ما أملك النفع أنفع[9]

---

(١) من مائة: يريد مائة من الإبل. «فلتقبلن» كذا في ط. وفي سائر الأصول: «فلتقتلن» وهو تحريف. بسائغ: في ط هكذا: «بسائغ» بإهمال الحرفين الأخيرين، وفي سائر الأصول: «بسائغ». الوخم: الذي لا تحمد مغبته. وفي ب وس وط: «وحم» ولا وجه له. وفي جـ: «ضخم».

(٢) كذا في جميع الأصول. وكتب على هامش ط إشارة إلى نسخة أخرى: «خ استرقني». واسترقني: أدخلني في الرق أي العبودة.

(٣) قاربه: قرب منه في الرأي والموافقة.

(٤) اللوى: منقطع الرمل، يقال: ألويتم فأنزلوا، وذلك إذا بلغوا لوى الرمل. وذو المرخ هنا: واد كثير الشجر قريب من فدك.

(٥) انتحى: قصد. والخون: مصدر كالخيانة. ومراح مبالغة من المرح وهو نشاط الروح. وأفرع: له جمة، وافي الشعر.

(٦) مثن في جـ والشواهد الكبرى للعيني و «شرح الحماسة»، وفي بقية الأصول: «مسد». ورواية البيت في الشواهد:

إذا مت كان الناس صنفان: شامت ... وآخر مثن بالذي كنت أصنع

وصنفان خبر الناس لا خبر «كان».

(٧) المستلحم: الذي أرهق في القتال واحتوشه العدو. صكه القوم: ضربوه ضرباً شديداً. ونيل بالبناء للمجهول. أي نال القوم منه ما كان يمنعه، لضعفه.

(٨) القتل، كذا في جـ، وفي بقية الأصول «القيل» بالياء بعد القاف. «اقتاله» يقال اقتاله شيئاً بشيء: بدّله. وفي جـ: «اقتاده»، بالدال قبل الهاء.

(٩) في ط وشواهد العيني «الضر» في مكان «النفع» وهي أبلغ في المعنى، وبيان ذلك أنه في الحالة التي يستطيع فيها أن يضر ينفع.

[١٣/٧٢] / **تحبب العجير إلى امرأة من عامر فانتهبوا ماله، فشكاهم إلى محمد بن مروان**

وقال ابنُ الأعرابيّ: كان العُجيرُ يتحدث إلى امرأة من بني عامر يقال لها جُمْلٌ فألفها وعَلِقَها. ثم انتجَعَ أهلُها نواحيَ نَصِيبِين، فتتبَّعتَها نفسه، فسار إليهم فنزل فيهم مجاوراً[١]، ثم رأوه مُنازلاً مُلازماً مُحادَثَةَ تلك المرأة فنهوه عنها وقالوا: قد رأينا أمرك فإمّا أن انقطعتَ عنها أو ارتحلتَ عنّا، أو فأذنْ بحرب[٢]. فقال: ما بيني وبينها ما يُنكَر، وإنما كنتُ أتحدث إليها كما يتحدّثُ الرجلُ الكريم إلى المرأة الحرّة الكريمة، فأمّا الريبةُ فحاش لله منها. ثم عاود محادثتها؛ فانتهبوا ماله وطردوه. فأتى محمدَ بنَ مروانَ بن الحكم وهو يومئذٍ يتولّى الجزيرة لأخيه عبدِ الملك بنِ مروان، فأتاه مُسْتَعْدِياً عَلى بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خَصوصيّة[٣]، وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن الحسام، وأنشده قوله:

عفـا يـافِـعٌ مـن أهلـه فطَلـوبُ ... وأقفَـرَ لـو كـان الفـؤادُ يثـوب[٤]

وقفتُ بهـا مِـن بعـدِ مـا حـلّ أهلهـا ... نَصِيبِيـن والـرّاقـي الـدمـوعَ طبيـب

وقـد لاح معـروفُ القتيـر وقـد بـدت ... بـك اليـومَ مـن ريـب الـزمـان نُـدوب[٥]

وسـالمـتُ روحـاتِ المطـيّ وأحمـدت ... منـاسـمُ منهـا تشتكـي وصُلـوب[٦]

[١٣/٧٣] / ومـا القلـب أم مـا ذكـرهُ أمَّ صِبيَـةٍ ... أُريكَـةُ منهـا مسكـن فهَـروبُ[٧]

حَصَـان الحُمَيَّـا حـرة حـال دُونَهـا ... حليـلٌ لهـا شـاكـي السلاح غضـوب[٨]

شَمـوسٌ، دُنُـو الفَـرْقـديـن اقترابُهـا ... لغَـيٌّ مقـاريـفِ الـرجـال سَبـوب[٩]

أحقًّـا عبـادَ الله أن لسـتُ نـاظـراً ... إلـى وجههـا إلا علـيّ رقيـبُ

عـدتنـي العِـدا عنهـا بُعَيْـدَ تسـاعـف ... ومـا أرتجـي منهـا إلـيّ قـريـبُ[١٠]

لقـد أحسنـت جُمـلٌ لـو أنّ تبيعهـا ... إذا مـا أرادت أن تُثِيـب يثيـبُ[١١]

تَصُـدّيـن حتّـى يـذهـبَ اليـأسُ بـالمنـى ... وحتّـى تكـادَ النفـسُ عنـكِ تطيـب

---

(١) المجاور: الجار ولو من بعد. والمنازل: الذي ينزل بجانب بيتك. والملازم: الذي لا ينقطع عن البقاء في المنزل الذي يجاور من يهواه.

(٢) يقال ائذن بهذا الأمر، أي اعلمه.

(٣) الخصوصية بفتح الخاء وضمها: اسم من خصه يخصه، أي خاصة.

(٤) يافع: مكان. وطلوب: علم لقليب عن يمين سميراء في طريق الحاج، طيب الماء قريب الرشاء. عن «معجم البلدان لياقوت». وقال أبو عبيد البكري: إنه من مياه بني عوف بن عقيل.

(٥) معروف القتير: هو الشيب الذي لا يمكن نكرانه. ولاح: ظهر. والندوب آثار الجروح على الجلد.

(٦) المراد من سالمت روحات المطي: أنها سلمت من عنائها في الغدو والرواح. وأحمدت: حمدت وأثنت. والمناسم: جمع منسم بفتح الميم وكسر السين: خف البعير. والصلوب بضم الصاد كما ورد في الأصول لم يعثر عليه في المعاجم، وهو جمع قياسي للصلب، والصلب يبدأ من الكاهل إلى أصل الذنب أي المؤخر.

(٧) ما: اسم استفهام. وأم: حرف عطف. وأريكة: اسم جبل بالبادية. وقال الأصمعي أريكة: ماء لبني كعب («معجم البلدان» جـ ١ ص ٢١٢). وهروب: من قرى صنعاء باليمن.

(٨) الحصان: العفيفة أو المتزوّجة. والحميا: الحوزة والجانب.

(٩) الشموس: الجامحة. ومقاريف الرجال: المتهمون. والسبوب: من السب والطعن.

(١٠) التساعف: الدنو والقرب والإقبال الشديد.

(١١) التبيع: المولى والناصر. وتثيب: تعطف.

ـ هذا البيت يروى لابن الدُّمَيْنَة، وهو بشعره أشبه، ولا يُشاكِل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه؛ لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصدّ منها، ولكن / هكذا هو في رواية ابن الأعرابي ـ ١٥٨/١١

وأنـتِ المُنَـى لـو كنـتِ تستـأنِفيننـا ... بخيـر ولكـن مُعْتفـاك جـدِيـب[1]

أيـؤكَـلُ مـالـي وابـنُ مـروانَ شـاهـدٌ ... ولـم يقـضِ لـي وابـن الحُسَـام قـريـب

فتًـى مَحْـضُ أطـرافِ العـروق مسـاورٌ ... جبـالَ العـلا طلـقُ اليـديـن وهـوب[2]

فأمر محمد بنُ مروان بإحضار ابنِ الحسام الكلابي فأُحْضِر، فحبسه حتى ردّ مال العجير، وأمر العجير بالانصراف إلى حيّه وتَرْك النزولِ على المرأة أو في قومها. قال: وقال العجير فيها أيضاً:

/ هـاتيـك جُمْـلٌ بـأرض لا يُقَـرِّبُهـا ... إلاّ هَبِـلٌ مـن العِيـدِي مُعْتَقِـد[3] [٧٤/١٣]

ودونَهـا مَعشـر خـزرٌ عيـونُهـم ... لـو تخمُـدُ النـار مـن حَـرٍّ لمـا خمـدوا[4]

عـدُّوا علينـا ذنـوبـاً فـي زيـارتهـا ... ليحجبـوهـا وفـي أخـلاقهـم نَكَـد[5]

وحـالَ مِـن دونهـا شَكْـسٌ خـلائقُـه ... كـأنّـه نِمـرٌ فـي جِلـده الـرُّبَـد[6]

فليـس إلا عـويـلٌ كلمـا ذُكِـرَتْ ... أو زفـرةٌ طـالمـا أنَّـتْ بهـا الكبـد

وتيّمَتنِـيَ جُمْـل فـاستمـرّ بهـا ... شَحـطٌ مـن الـدار لا أمٌّ ولا صَـدَدُ[7]

قـالـوا غـداة استقلـت: مـا لمقلتـه ... أمِـن قـذى هملـت أم عـارهـا رمـد[8]

فقلـت لا بـل غـدت سلمـى لِطِيَّتِهَـا ... فليتهـم مثـل وجـدي بُكـرةً وَجَـدوا[9]

إن كـان وصلُـك أبلـى الـدّهـرُ جِـدّتـه ... وكـلُّ شـيءٍ جـديـدٍ هـالـكٌ نَفَد[10]

فقـد أُرانِـي ووجْـدِي إذْ تفـارقنـي ... يـومـاً كـوجـدِ عجـوز درعُهـا قِدد[11]

تبكـي علـى بطـل حُمَّـتْ مِنيتـه ... وكـان واتـرَ أعـداء بـه ابتَـرَدوا[12]

وقـد خـلا زمـنٌ لـو تَصـرِميـن لـه ... وَصْلـي لأيقنـتُ أنّـي ميّـتٌ كَمِـدُ[13]

(١) تستأنفيننا: تعودين إلينا بخير وتجدّدين العودة. والمعتفى: الموضع الذي يطلب فيه الحاجة.

(٢) محض أطراف العروق: خالص الأصول طاهرها. والمساور: المواثب. وفي بعض الأصول «حبال» بالحاء، أما في ط فبالجيم.

(٣) الهبل: الضخم أو الطويل يقال بكسر الهاء والباء، وبكسرها مع فتح الباء. والعيدي: منسوب إلى فحل معروف منجب، ويقال النجائب العيدية. والمعتقد: الموثق الظهر الصبور الشديد الصلب.

(٤) خزر العيون: جمع أخزر، وهو ضيق العين، كناية عن العداوة.

(٥) النكد: الشح والعسر والبخل.

(٦) الشكس: الصعب. الربد: جمع ربدة، وهو السواد المتقطع فيه احمرار، أو الغبرة.

(٧) الشحط: البعد. والأم: القصد. وفي الأصول: «أيم». والصدد: القرب. يريد أن المسافة بعيدة وأنها أرض لا يسهل قطعها.

(٨) هملت: فاضت ودام نزول دمعها. وعارها: أصابها.

(٩) طيتها: وجهها الذي تريده ونيتها التي انتوتها. والطية: الحاجة والوطر وتكون منزلاً منتوى. وجدوا بفتح الجيم: اعتراهم الوجد، وهو الحب الشديد.

(١٠) نفد بالتحريك. وفي ط بكسر الفاء، وهو: الفاني.

(١١) القدد: القطع، جمع قدة بالكسر.

(١٢) حمت: نزلت. والواتر: المفزع المدرك الأعداء. وابتردوا، معناه في الأصل: صبوا على أجسامهم الماء أو شربوه، أي أثلجت قلوبهم لموته.

(١٣) من الكمد، وهو الحزن الشديد.

[٧٥/١٣] / أزمـانَ تعجبُنـي جمـلٌ وأكتمُـه ... جُمـلاً حيـاءً، ومـا وجدٌ كمـا أجـد

فقـد بـرِئـتُ علـى أنـي إذا ذُكِـرَتْ ... ينهـلُّ دمعـي وتَحيـا غُصَّـةٌ تَلَـدُ[١]

مـن عهـد سَلمـى التـي هـام الفـؤادُ بهـا ... أزمـانَ أزمـانَ سلمـى طِفلـةٌ رُؤْد[٢]

قـد قلـت للكـاشِـح المبـدِي عـداوتَـه ... قـد طـالمـا كـان منك الغِشُّ والحسـد

ألا تُبَيّـنُ لـي لا زِلـت تُبغِضنـي ... حتّـامَ أنـت إذا مـا سـاعفَـت ضَمِـد[٣]

وصية عبد الملك لمؤدب ولده أن يرويهم مثل قول العجير

وقال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدّب ولده: إذا روَّيتَهم شعراً فلا تروِّهم إلاّ مثلَ قول العُجير السلولي:

يَبيـن الجـارُ حيـن يَبيـن عنّـي ... ولـم تـأنـس إلـيّ كِـلابُ جـاري

وتظعـنُ جـارتـي مـن جَنب بيتـي ... ولـم تُستَـر بستـر مـن جِـداري[٤]

وتـأمـن أن أطـالـع حيـن آتـي ... عليهـا وَهـي واضعـةُ الخِمـار

كـذلـك هَـدْيُ أبـائـي قـديمـاً ... تَـوارثـه النُّجـار عـن النِّجـار

فهـديـي هـديُهـم وهُـمُ افتَلَـوْنـي ... كمـا افتُلِـي العتيـق من المِهارِ[٥]

[٧٦/١٣] / وقال ابنُ حبيب أيضاً: نزل العجيرُ بقوم فأكرموه وأطعموه وسقَوْه، فلما سكر قام إلى جمله فعقره، وأخرج كبدَه وجبَّ سَنامه، فجعل يشوي ويأكل ويُطعِم ويغني:

١٥٩
١١

علّـلانـي إنمـا الـدنيـا عَلَـل ... واسقيـانـي عَلَـلاً بعـد نهـل[٦]

وانشُـلا لـي اللحـم مـن قِـدْريكمـا ... واصبحـانـي أبعـد اللهُ الجمـل[٧]

فلما أفاق سأل عن جمله فأُخبر ما صنع به، فجعل يبكي ويصيح: واغربتاه! وهم يضحكون منه. ثم أعطوه جملاً وزوّدوه، فانصرف حتّى لحق بقومه.

أخبرني عمّي بهذا الخبر قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدّثنا الحكم بن موسى بنُ الحسين بنِ يزيدَ السلولي قال: حدّثني أبي عن عمّه فقال فيه:

مر العجيرُ بفتيان من قومه يشربون نبيذاً لهم فشرب معهم، وذكر باقي القصّة نحواً مما ذكر ابنُ حبيب، ولم يقل فيها: ـ فلما أصبح جعل يبكي ويصيح: واغربتاه! ـ ولكنه قال: فلمّا أصبح ساق قومُه إليه ألفَ بعير مكانَ بعيره.

---

(١) ينهل دمعي: يشتدّ انصبابه. والغصة: ما يعترض في الحلق ويدفع بالماء. قال الشاعر:

لـو بغيـر المـاء حلقـي شـرق ... كنـت كـالغصـان بـالمـاء اعتصـاري

وتلد بفتح التاء واللام، وهي لغة في التلاد، وهو القديم.

(٢) الرؤد: الشابة الحسنة. وانظر ما مضى من الكلام على تكرار الظرف في حواشي ص ٦٨.

(٣) الضمد، يقال ضمد فلان على فلان: حقد عليه.

(٤) في ط «حذار» بالحاء بدل الجيم.

(٥) افتلوني، يقال فلا الصبي والمهر فلواً وأفلاه وافتلاه: عزله عن الرضاع وفصله. وافتليته: فطمته أي: فطموني عن جهل الصبا وعقلت. والعتيق: الفرس الرائع الكريم. والمهار، بكسر الميم: جمع مهر بالضم، وهو ولد الفرس.

(٦) عللاني: أشغلاني بطعام وحديث ونحوهما. والعلل: الشرب الثاني. والنهل: الشرب الأوّل.

(٧) انشلاه: أخرجاه باليد من غير مغرفة. اصبحاني: اسقياني الصبوح من لبن النوق.

سليمان بن عبد الملك يعجب بشعر العجير ويأمر له بثلاثين ألفاً ردها على قومه ووهبها لهم

أخبرني عمّي وحبيبُ بن نصرٍ المهلبيُّ قالا: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدّثني الحكم بنُ موسى بنِ الحسين السلولي قال: حدّثني أبي عن عمه قال: عرض العجيرُ لسليمانَ بن عبدِ الله وهو في الطواف، وعلى العجير بُرْدان يساويان مائةً وخمسين ديناراً، فانقطع شِسعُ[1] نعله فأخذها بيده، ثم هتف بسليمان فقال:

ودلّيــتُ دلــوي فــي دِلاء كثيــرة ... إليــك فكــان المــاءُ ريّــان مُعلمــا[2]

/ فوقف سليمانُ ثم قال: لله درُّه ما أفصحَه، والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلماً، والله إنه لَيُخَيَّلُ إليّ [١٣/٧٧] أنه العُجير، وما رأيته قط إلا عند عبد الملك. فقيل له: هو العجير. فأرسل إليه: أن صِر إلينا إذا حللنا. فصار إليه، فأمر له بثلاثين ألفاً وبصدقات قومه، فردّها العجير عليهم ووهبها لهم.

رثاء العجير لابن عمه

أخبرني الحرمي بنُ أبي العلاء قال: حدّثني هرونُ بن موسى الفروي[3] قال: كان ابن عم للعجير السّلولي إذا سمع بأضياف عند العجير لم يَدَعْهم حتى يأتي بجزور كوماء[4]، فيطعنَ في لَبَّتها عند بيته، فيبيتون في شواء وقدير[5]، ثم مات، فقال العجير يرثيه:

تــركنــا أبــا الأضيــافِ فــي ليلــة الصَّبــا ... بمَــرٍّ ومِــردي كــل خصــم يجــادلــه[6]

وأرعيــه سمعــي كلّمــا ذُكــر الأسَــى ... وفــي الصّدرِ منــي لــوعــةٌ مــا تــزايلــه

وكنــت أعِيــرُ الــدّمــعَ قبلــك مَــن بكــى ... فــأنــت علــى مَــنْ مــات بعــدك شــاغلُــه

هكذا ذكر هرون بنُ موسى في هذا الخبر، والبيتُ الثالثُ من هذه الأبيات للشّمردلِ بنِ شَريك لا يُشَكُّ فيه، من قصيدة له طويلة. فيه غناء قد ذكرته في أخباره.

صــوت

فتـــاةٌ كـــأن رضـــابَ العبيـــر ... بفيهـــا يُعَـــلُّ[7] بــه الــزنجبيــلُ

قتلـــتُ أبـــاهـــا علـــى حبِّهـــا ... فتبخـــلُ إن بخلَـــت أو تُنيـــل

الشعر لخُزَيْمةَ بنِ نهدٍ، والغناءُ لطويس. خفيفُ رملٍ بالبِنصر عن يحيى المكيّ.

(١) الشسع: قبال النعل، والقبال ككتاب: زمام بين الإصبع الوسطى والتي تليها.
(٢) الريان: الكثير. المعلم: ما فيه علامة، أراد أنه مشهور معروف.
(٣) الفروي: نسبة إلى جد له يقال له «أبو فروة».
(٤) الكوماء: الناقة العظيمة السنام.
(٥) القدير: ما يطبخ في القدر.
(٦) مر، بفتح الميم: ماءة لبني أسد مات بها جابر بن زيد، وهو ابن عم العجير. انظر «معجم البلدان» (مر) حيث أنشد المرثية. وفي بعض الأصول: «بصر» تحريف. ومردى الخصومة والحرب: الصبور عليهما.
(٧) يعل به: يخلط.

[١٣/٧٨]

/ أخبار خُزيمة بن نهد ونسبه

٦٦١ / أخبار خزيمة ونسبه
١١

هو خُزيمةُ بنُ نهد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. شاعر مقل من قدماء الشعراء في الجاهلية. وفاطمة التي عناها في شعره هذا: فاطمة بنتُ يذكُر بن عنزةَ بن أسدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزار، كان يهواها فخطبها من أبيها فلم يزوّجه إياها، فقتله غيلة. وإياها عني بقوله:

إذا الجـــوزاءُ أردَفَـــت الثُّـــريـــا ... ظننـــت بـــآل فـــاطمـــة الظنـــونـــا[١]

خزيمة يشبب بفاطمة بنت يذكر بن عنزة

أخبرني بخبره محمدُ بنُ خلفٍ وكيعٌ قال: حدثنا عبيد الله بن سعد الزبيري قال: حدّثني عمّي قال حدّثني أبي ـ أظنه عن الزهري ـ قال: كان بدءُ تفرّقِ بني إسماعيل بنِ إبراهيم عليهما السلامُ عن تهامةَ ونزوعهم عنها إلى الآفاق، وخروجِ من خرج منهم عن نسبه، أنه كان أوّل من ظعن عنها وأخرج منها قضاعةَ بنَ معدّ. وكان سبب خروجهم أن خزيمةَ بنَ نهدِ بنِ زيد بنِ سودِ بنِ أسلم بنِ الحاف بن قضاعة بن معدّ كان مشؤوماً فاسداً، مُتَعَرِّضاً للنساء، فعلق فاطمة بنتَ يذكر بن عَنَزَةَ ـ واسم يذكر عامر ـ فشبب بها وقال فيها:

إذا الجـــوزاء أردفـــت الثـــريـــا ... ظننـــتُ بـــآل فـــاطمـــة الظنـــونـــا

[١٣/٧٩]

وحـــالـــت دون ذلـــك مِـــن همـــومـــي ... همـــومٌ تُخْـــرِجُ الشجـــن الـــدّفينـــا /

أرى ابنـــة يـــذكـــرٍ ظعنـــت، فحلَّـــت ... جَنـــوبَ الحَـــزْن يـــا شَحَطـــا مبينـــا[٢]

مقتل يذكر بن عنزة وإشعاله الشربين قضاعة ونزار

قال: فمكث زماناً، ثم إن خزيمةَ بن نهد قال ليذكر بنِ عنزةَ: أحب أن تخرج معي حتى نأتي بِقَرَظ. فخرجا جميعاً، فلما خلا خزيمةُ بن نهد بيذكر بنِ عنزة قتله، فلما رجع ـ وليس هو معه ـ سأله عنه أهله، فقال: لست أدري، فارقني وما أدري أين سلك. فكان في ذلك شرٌّ بين قضاعةَ ونزار ابني معد، وتكلموا فيه فأكثروا، ولم يصحَّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهد:

فتـــاة كـــأنَّ رضـــابَ العبيـــر ... بفيهـــا يُعَـــلّ بـــه الـــزنجبيـــلُ[٣]

قتلـــت أبـــاهـــا علـــى حبِّهـــا ... فتبخـــلُ إنْ بخِلـــت أو تنيـــلُ

(١) الجوزاء: برج في السماء. أردفت الثريا: ردفتها وتلتها، وذلك يكون في شدّة الحرّ فتكبد السماء في آخر الليل، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف ويتفرق الناس في طلبها. وظنه محتمل أمرين: أن تكون مجاورة له، فهي حينئذ تفارقه مع أهلها لطلب الماء. وقد تكون في موطن آخر، فهو متوقع أن يجمع بينهما ماء من المياه. انظر «الأزمنة والأمكنة» (٢: ١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) ظعنت: رحلت. والحزن: ما غلظ من الأرض. والشحط المبين: البعد الفني.

(٣) بهامش ط: «العصير».

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً، فكانت نزارُ بنُ معد وهي يومئذٍ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد. وحاءٌ وهم يومئذٍ ينتمون فيقولون حاءُ بنُ عمروِ بنِ أدّ بن أُدَد. وكانت قضاعة تنتسب إلى معد، وعك يومئذٍ تنتمي إلى عدنان فتقول: عك عدنان بن أدّ، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد. وكانوا يتبّدون[1] من تهامة إلى الشأم، وكانت منازلهم بالصُّفّاح، وكان مَرّ وعُسْفان لربيعة بن نزار، وكانت قضاعة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغَمر إلى ذات عِرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة. وإياه يعني عمر بن أبي ربيعة بقوله:

[١٣/ ٨٠]

/ إذا سلكـــت غمـــر ذي كنـــدة ... مـع الصبـح قصـدٌ لهـا الفـرقـد[2]

هنـا لـك إمـا تُعَـزى الهـوى ... وإمـا علـى إثـرهـم تكْمَـدُ[3]

وكانت منازلُ حاءِ بن عمروِ بنِ أُدَد، والأشعرِ بنِ أددٍ، وعكُّ بنِ عدنانَ بن أدد، فيما بين جُدّة إلى البحر.

القارظان

قال: فيذكرُ بنُ عنزةَ أحدُ القَارظَيْن[4] اللذين قال فيهما الهذلي:

١٦١ / ١١

/ وحتّى يـؤوب القـارظـان كـلاهمـا ... ويُنْشَـر فـي القتلـى كليـبٌ لـوائـل

والآخر من عنزة، يقال له أبو رُهْم، خرج يجمع القرظ فلم يرجع ولم يُعْرف له خبر.

انهزام قضاعة وقتل خزيمة بن نهد

قال: فلما ظهرت نزارٌ[5] على أن خزيمةَ بنَ نهد قَتَلَ يذكُرَ بنَ عنزةَ قاتلوا قضاعةَ أشدّ قتالٍ، فهزمت قضاعةُ وقُتِل خزيمةُ بنُ نهدٍ وخرجت قضاعةُ متفرقين، فسارت تيمُ اللّات بنُ أسدِ بنِ وبرَة بنِ تغلبَ بنِ حلوانَ بن عِمرانَ بن ألحاف بن قضاعةَ، وفرقة من بني رُفيدةَ بنِ ثور بن كلب بن وبرة، وفرقة من الأشعريين، نحو البحرين حتى وردوا هجر، وبها يومئذٍ قوم من النبط، فنزلت عليهم هذه البطون فأجْلَتْهم، فقال في ذلك مالك بن زهير:

نَـزَعنـا مِـن تهـامـةَ أيَّ حـيٍّ ... فلـم تحفِـل بـذاك بنـو نـزار

ولـم أكُ مـن أنيسكُـم ولكـنْ ... شـرينـا دارَ آنسـةٍ بـدار

الزرقاء بنت زهير تتحدّث بقول الكهان في الرحيل والنزول بأرض عبقر

[١٣/ ٨١]

/ فلما نزلوا هَجَرَ قالوا للزرقاءِ بنتِ زُهَيرٍ ـ وكانت كاهنة ـ ما تقولين يا زرقاء؟ قالت: «سَعَفٌ[6] وإهان، وتمر وألبان، خيرٌ من الهوان». ثم أنشأت تقول:

ودّع تهـامـةَ لا وَداعَ مُخَـالِـق ... بـذِمـامـه لكـن قِلـيً ومـلامِ[7]

لا تُنْكِـري هَجَـراً مُقـام غـريبـةٍ ... لـن تعـدَمـي مـن ظـاعنيـن تَهَـامِ[8]

---

(١) يتبدون: ينزلون البادية.

(٢) وفي «ديوان عمر بن أبي ربيعة» طبع أوربا «قصد» بالرفع، وفي «معجم البلدان» بالنصب.

(٣) في «معجم البلدان» و «ديوان عمر بن أبي ربيعة»: «الفؤاد» بدل «الهوى».

(٤) القرظ محركة: ورق السلم أو ثمر السنط. والقارظ: مجتنبه.

(٥) ظهر على الشيء: عرفه.

(٦) الإهان: العرجون.

(٧) المخالق: الذي يعاشر الناس على أخلاقهم.

(٨) لا تكرهي المقام الجديد الغريب في هجر فستجدين معك مسافرين من تهامة.

فقالوا لها: فما ترين يا زرقاء؟ فقالت: «مُقامٌ وتَنُوخ، ما وُلِد مولودٌ وأنْقفَتْ[١] فروخ[٢]، إلى أن يجيءَ غراب أبقع، أصمع[٣] أنزع[٤]، عليه خلخالاً ذهب، فطار فألهب[٥]، ونَعَق فنَعَب، يقع على النخلة السَّحُوق[٦]، بين الدُّور والطريق، فسِيروا على وَتِيرة، ثم الحيرة الحيرة!». فسُمِّيت تلك القبائل تَنُوخَ لقول الزرقاءِ: «مقام وتنُوخ». ولحق بهم قوم من الأزد فصاروا إلى الآن في تنوخ، ولحق سائرَ قضاعة موتٌ ذريع؛ وخرجت فرقة من بني حُلْوان بن عِمْران بن ألحاف بن قُضَاعة يقال لهم: بنو تَزِيد، فنزلوا عَبْقَرَ من أرض الجزيرة، فنَسَج نساؤهم الصُّوفَ وعمِلوا منه الزرابيّ[٧]؛ فهي التي يقال لها العبقرية، وعمِلوا البرود التي يقال لها التَّزِيدية[٨]. وأغارت عليهم الترك، فأصابتهم، وسَبَتْ منهم. فذلك قول عمرو بنِ مالك:

ألاَ لله ليـــلٌ لَـــمْ نَنَمْـــهُ ... علـى ذات الخِضَـاب مُجَنَّبِينـا[٩]

وليلتُنـا بـآمِـدَ لَـم نَنَمهـا ... كليلتنـا بميَّـافـارقينـا[١٠]

[١٣/٨٢]
بهراء تلحق بالترك وتهزمهم

وأقبل الحارثُ بنُ قُرادٍ البهرانيُّ ليعيث في بني حُلْوان، فعرض له أُباغُ بن سُلَيح صاحبُ العين[١١]، فاقتتلا، فقُتِل أباغ، ومضت بهراءُ حتى لحقوا بالترك، فهزموهم واستنقذوا ما في أيديهم من بنِي تزيد. فقال الحارث بن قُرَاد في ذلك:

كَـأنَّ الـدهـر جُمِّـع فـي ليـالٍ ... ثـلاثٍ بِتُّهـن بشَهْـرزُور[١٢]

صَففْنـا لـلأعـاجـمِ مـن مَعَـدٍّ ... صفـوفـاً بـالجـزيـرة كـالسَّعيـر

سليح بن عمرو ونزولها ناحية فلسطين

وسارتْ سليحُ بنُ عمرو بن الحاف بنِ قُضَاعة يَقُودها الحدْرجانُ بنُ سَلَمَةَ حتى نزلوا ناحية فِلَسْطين على بني أُذَيْنَة بنِ السَّمَيْدَع من عاملة. وسارت أسلم بن الحاف وهي عُذْرةُ ونَهْدٌ وحَوْتَكة وجُهَيْنةُ والحارثُ بن سَعْد، حتى نزلوا من الحِجْر إلى وادي القُرَى، ونزلت تنوخ / بالبحرين سنتين. ثم أقبل غرابٌ في رجليه حَلْقَتا ذهبٍ وهم في مجلسهم، فسَقَط على نَخْلةٍ في الطريق، فنَعَق نَعَقات ثم طار؛ فذكروا قول الزرقاء، فارتحلوا حتّى نزلوا الحِيرةَ.

٤٤٢ / ١١

---

(١) أنفقت فروخ، بالنون والقاف: ثقبت بيضها وخرجت.

(٢) الفروخ: جمع فرخ: وهو ولد الطير.

(٣) الإصمع: صغير الأذن.

(٤) الأبرع: منحسر الشعر من جانبي الجبهة.

(٥) ألهب: اشتدّ في طيرانه كما يلهب الفرس في عدوه.

(٦) السحوق: الطويلة.

(٧) الزرابي: الوسائد والبسط، أو كل ما اتكىء عليه.

(٨) في ط «الزيدية» وهو تحريف.

(٩) المجنبون: الذين انقطعت ألبان إبلهم.

(١٠) ميافارقين بفتح أوله وتشديد ثانيه: أشهر مدينة بديار بكر.

(١١) أي العين المشهورة بعين أباغ.

(١٢) شهرزور: معنى شهر بالفارسية: المدينة. قال مسعر بن مهلهل الأديب: شهرزور: مدينات وقرى فيها مدينة كبيرة، وهي قصبتها في وقتنا هذا يقال لها نيم أزراي. ومن طريف ما ورد فيها قول أبي محمد جعفر بن أحمد السراج:

وعـدت بـأن تـزوري بعـد شهـر ... فـزوري قـد تقضـي الشهـر زوري

ومـوعـد بيننـا نهـر المعلـى ... إلـى البلـد المسمـى شهـرزور

فـأشهـر صـدك المحتـوم حـق ... ولكـن شهـر وصلـك شهـر زور

فهُمْ أوّلُ مَن اختطَّها(١): منهم مالكُ بنُ زهير. واجتمع إليهم لمّا ابْتَنَوا بها المنازلَ ناسٌ كثير من سقَّاط(٢) القرى، فأقاموا بها زماناً؛ ثم أغار عليهم سابور(٣) الأكبر، فقاتلوه فكان شعارهم يومئذٍ: يا آل عباد الله! / فَسُمُّوا العبادَ، [٨٣/١٣] وهزمهم سابُور، فصار معظمُهم ومن فيه نهوضٌ إلى الحَضْر من الجزيرة يقودهم الضَّيْزَنُ بنُ معاويةَ التَنوخي، فمضى حتّى نزل الحَضْر وهو بناء بناه الساطرون(٤) الجُرْمُقاني، فأقاموا به، وأغارت حِميرُ على بقية قضاعة، فخيّروهم بين أنْ يُقيموا على خراجٍ يدفعونه إليهم أو يخرجوا عنهم، فخرجوا عنهم، فخرجوا ـ وهم كلبٌ، وجَرْمٌ والعلاف، وهم بنو زَبّانَ بنِ تغلب بن حلوان، وهو أوّل من عمل الرّحال العِلافية، ـ وعلافٌ لقب زَبّان ـ فلحقوا بالشام، فأغارت عليهم بنو كنانة بنِ خزيمة بعد ذلك بدهر، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وانهزموا(٥) فلحقوا بالسماوة، فهي منازلهم إلى اليوم.

صوت

إنـي امـرؤٌ كفَّنِـي ربـي ونـزهنـي ... عـن الأمـور التـي فـي غبّهـا وخـمُ(٦)

وإنمـا أنـا إنسـانٌ أعيـش كمـا ... عـاش الـرجـالُ وعـاشـت قبلِـي الأمـم

الشعر للمغيرة بن حبناء، من قصيدةٍ مدح بها المهلبَ بنَ أبي صفرة، والغناء لأبي العُبَيس بن حمدون، ثقيلٌ أوّلُ بالبنصرِ، وهو من مشهور أغانيه وجيّدِها.

(١) اختطها: وضع أساسها.
(٢) السقاط بضم السين المشدّدة: جمع ساقط، وهو النازل على القوم. وفي «اللسان»: «يقال سقط إليّ قوم: نزلوا عليّ».
(٣) سابور: ملك من ملوك الفرس.
(٤) الساطرون: ملك من ملوك العجم قتله سابور ذو الأكتاف، وسمي بذلك لأنه كان يخلع أكتاف الأسرى.
(٥) السماوة: موضع بين الكوفة والشام.
(٦) الوخم: الضار الذي لا يوافق.

[١٣/٨٤]

/ نسب المغيرة بن حَبْناء وأخباره

المغيرة بنُ حبناءَ بنِ عمرِو بن ربيعة بنِ أسيدِ بن عبدِ عوف بن ربيعة بنِ عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وحبناء لقبٌ غَلَبَ على أبيه واسمه جُبيرُ بنُ عمرو، ولُقِّبَ بذلك لِحبن[١] كان أصابه. وهو شاعرٌ إسلاميٌ من شعراء الدّولةِ الأمويةِ، وأبوه حبناءُ بن عمرو شاعرٌ، وأخوه صخر بن حبناء شاعر، وكان يهاجيه، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرةٌ، سأذكر منها طرفاً. وكان قد هاجى زياداً الأعجم فاكثر كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه، كانا متكافِئين في مهاجاتِهما يَنْتَصِفُ كلُّ واحد منهما من صاحبه.

مديحه لطلحة الطلحات

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المرزبانِ قال: أخبرني عبيدُ الله بنُ محمد بنِ عبد الملكِ الزيات قال: حدّثني الحسنُ بن جَهْوَرِ عن الحِرْمَازي قال: قدم المغيرة بن حبناء على طلحةِ الطلحات الخُزاعيِّ ثم المُلَيْحِيِّ، أحد بني مُليح، فأنشده قوله فيه:

لقد كنتُ أسعى في هواكَ وأبتغي ... رضاكَ وأرجو منكَ ما لستُ لاقيا
وأبذلُ نفسي في مواطنِ غيرُها ... أحَبُّ، وأعصي في هواكَ الأدانيا
حِفاظاً وتمسكاً لما كان بيننا ... لِتَجْزِيَني ما لا إخالُكَ جازيا[٢]
رأيتُكَ ما تنفكُّ منك رَغيبةٌ ... تقصِّر دوني أو تحلُّ ورائيا[٣]
أُراني إذا استمطرتُ منك رَغيبةً ... لِتُمْطِرَني عادتْ عَجَاجاً وسافِيا[٤]
// وَأدليتُ دلوي في دِلاء كثيرة ... فأُبْنَ مِلاءً غيرَ دلوي كماهِيا
/ ولستُ بلاقٍ ذا حِفاظٍ ونَجدةٍ ... من القوم حُرًّا بالخسيسة راضيا
فإن تدن مني تدنُ منكَ مودتي ... وإن تنأ عني تلْفِني عنكَ نائيا

١٦٣
١١
[١٣/٨٥]

قال: فلما أنشده هذا الشعرَ، قال له: أمَا كُنّا أعطيناك شيئاً؟ قال: لا. فأمر طلحةُ خازِنَه فأخرج دُرْجاً فيه حجارةُ ياقوت، فقال له: اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألفَ درهم. فقال: ما كنتُ لأختار حجارةً على أربعين ألف درهمٍ! فأمر له بالمال. فلما قبضه سأله حجراً منها، فوهبه له، فباعه بعشرين ألف درهم. ثم مدحه، فقال:

أرى الناس قد مَلُّوا الفَعالَ ولا أرى ... بني خلفٍ إلا رِوَاء المواردِ[٥]

---

(١) الحبن: ورم في البطن.
(٢) التمسيك: الصيانة.
(٣) تقصر دوني: لا تصل إلي.
(٤) استمطرت رغيبة: طلبت. والرغيبة: ما يرغب فيه. والعجاج: الغبار. والسافي: الريح التي تحمل التراب، أو الغبار نفسه.
(٥) الرواء: من الري. والرواء بفتح الراء: الماء العذب.

إذا نفعـوا عـادوا لمـن ينفعـونـه ... وكـائـن تـرى مِـن نـافـع غيـرِ عـائـد[١]

إذا مـا انجلـت عنهـم غمـامـةُ غمـرةٍ ... مـن المـوت أجلـت عـن كـرامٍ مَـذَاوِدِ[٢]

تسـود غطـاريـفَ[٣] الملـوك ملـوكُهـم ... ومـاجِـدهُـم يعلـو علـى كـل مـاجـد

مديحة للمهلب بن أبي صفرة

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدّثنا المغيرةُ بن محمد المهلبي عن رواة باهلة، أن المهلب بنَ أبي صفرة لما هَزَم قطريَّ بنَ الفجاءة بسابور[٤] جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده:

[٨٦/١٣]

/ حـال الشّجـا دونَ طَعْـم العيش والسهـرُ ... واعتـاد عينَـك مِـن إدمـانهـا الـدِّرَرُ[٥]

واستَحقَبتـكَ[٦] أمـورٌ كنـتَ تكـرههـا ... لـو كـان ينفـعُ منهـا النّـأيُ والحـذر

وفـي المـوارد لـلأقـوام تَهْلُكـةٌ ... إذا المـواردُ لـم يُعْلـم لهـا صَـدَر[٧]

ليـس العـزيـزُ بمـن تُغْشَـى محـارِمُـه ... ولا الكـريـمُ بمـن يُجْفـى ويُحْتَقَـرُ

حتى انتهى إلى قوله:

أمسـى العِبـادُ بشـرٍّ لا غِيـاثَ لهـم ... إلا المهلـبُ بعـد الله والمطـرُ

كـلاهمـا طيّـبٌ تُـرجـى نـوافلـه ... مبـاركٌ سَيْبُـهُ يـرجـى ويُنْتظـر[٨]

لا يُجمـدانِ عليهـم عنـد جَهـدِهـم ... كـلاهمـا نـافـعٌ فيهـم إذا افتقـروا[٩]

هـذا يـذودُ ويحمـي عـن ذِمـارِهـم ... وذا يعيـش بـه الأنعـام والشّجـر[١٠]

واستسلـم النـاسُ إذ حـلَّ العـدوُّ بهـم ... فـلا ربيعتُهـم تُـرجَـى ولا مضـرُ

وأنـت رأسٌ لأهـل الـديـن منتخَـبٌ ... والـرأسُ فيـه يكـون السمـع والبصـر

إن المهلَّـب فـي الأيـام فضّلـه ... علـى منـازلِ أقـوام إذا ذُكـروا

حـزمٌ وجـود وأيـامٌ لـه سلفـتْ ... فيهـا يُعَـدُّ جسيـمُ الأمـر والخطـرُ

مـاضٍ علـى الهـولِ مـا ينفـكُّ مـرتحِـلا ... أسبـابَ معضلـةٍ يعيـا بهـا البشـر[١١]

سهـلُ الخـلائـق يعفـو عِنـد قـدرتِـهِ ... منـه الحيـاء ومـن أخـلاقـه الخفَـرُ

---

(١) وكائن: بمعنى كم، أي كثير. هؤلاء القوم يكررون النفع ويعودون وغيرهم ينفع مرة واحدة.
(٢) الغمرة: الشدّة. والمذاود: جمع مذود وهو الكثير الذود والدفع عن العشيرة.
(٣) الغطاريف: جمع غطريف: وهو السيد الشريف والسخي السري.
(٤) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس.
(٥) الدرر: جمع درة بالكسر. هي كثرة اللبن، والمراد هنا انسكاب الدموع بغزارة.
(٦) استحقتك: ادخرتك.
(٧) الموارد: جمع مورد، وموارد الأمور: مداخلها. يقول: من لم يعرف عاقبة أمره الذي دخل فيه هلك.
(٨) السيب: العطاء.
(٩) لا يجمدان: لا يبخلان.
(١٠) الذمار بكسر الذال: ما يلزمك حفظه وحمايته.
(١١) مرتحلاً: راكباً، أي هو يركب المعضلات من الأمور حتى يذللها وييسرها.

[٨٧/١٣] / شهـابُ حـربٍ إذا حلّـت بسـاحتـه ... يُخْـزي بـه الله أقـوامـاً إذا غـدروا

تـزيـدُهُ الحـربُ والأهـوال إن حضـرت ... حـزمـاً وعـزمـاً ويجلـو وجهَـه السفـر

مـا إن يـزالُ علـى أرجـاءِ مُظْلِمـةٍ ... لـولا يكفكفُهـا عـن مِصـرهـم دَمَـروا(١)

٤٤١٤ ١١ / سهـلٌ إليهـم حليـم عـن مجاهلهـم ... كـأنمـا بينهـم عثمـانُ أو عِمـر

كهـفٌ يلـوذون مـن ذُلّ الحيـاةِ بـه ... إذا تكنَّفهـم(٢) مِـن هـولهـا ضـرر

أمـنٌ لخـائفهـم فيـضٌ لسـائلهـم ... ينتـاب نـائِلَـه البـادون والحَضَـر

فلما أتى على آخرها قال المهلب: هذا والله الشِّعرُ، لا ما نُعَلَّلُ به، وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرسٍ جوادٍ، وزاده في عطائه خمَسمائةِ درهمٍ.

والقصيدة التي منها البيتان اللذان فيهما الغِناء المذكور بذكرِهِ أخبارُ المغيرة، من قصيدة له مدح بها المهلب بنَ أبي صفرةَ أيضاً. وأوّلها:

أمِـن رسـومِ ديـارٍ هـاجـك القِـدم ... أقْـوَتْ وأقفـر منهـا الطَّـفُ والعلـم(٣)

ومـا يَهيجُـك مـن أطـلالِ منـزلـة ... عفَّـى معـالِمَهَـا الأرواح والـديـم(٤)

بئـس الخليفـةُ مـن جـارٍ تضـنُّ بـه ... إذا طـربـتَ أثـافـي القـدر والحُمَـم(٥)

دارُ التـي كـاد قلبـي أن يُجَـنَّ بهـا ... إذا ألـم بـه مِـن ذِكـرهـا لَمـم(٦)

إذا تـذكـرهـا قلبـي تضيَّفـه ... هـمٌّ تضيـق بـه الأحشـاء والكَظَـم(٧)

[٨٨/١٣] / والبيـنُ حيـن يـروعُ القلـبَ طـائِفُـه ... يبـدي ويظهِـر منهـم بعـضَ مـا كتمـوا

إنـي امـرؤ كفّنـي ربـي وأكـرمنـي ... عـن الأمـور التـي فِـي غِبِّهَـا وخـم(٨)

وإنمـا أنـا إنسـان أعيـش كمـا ... عـاش الـرجـال وعـاشـت قبلـي الأمـم

سبب قوله قصيدة الصوت

وهي قصيدة طويلة، وكان سببُ قوله إياها أنّ المهلب كان أنفذ بعض بنيه في جيشٍ لقتالِ الأزارقة، وقد شدّت مِنهم طائفةٌ تُغِير على نواحي الأهواز، وهو مقيمٌ يومئذٍ بسابور، وكان فيهم المغيرةُ بنُ حبناء، فلما طال مُقامه واستقر الجيش لحق بأهله، فَألَمّ بهم وأقام عندهم شهراً، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلب فقيل له: إن الكُتّاب خطُّوا على اسمه، وكُتِبَ إلى المهلب أنه عصَى وفارق مكتبه بغير إذن، فمضى إلى المهلب، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر إليه فعذره، وأمر بإطلاقِ عطائه وإزالة العتبِ عنه، وفيها يقول يذكر قدومه إلى أهله بغير إذن:

---

(١) يكفكفها: يردها. دمروا: هلكوا.

(٢) يلوذون: يلجئون. تكنفهم واكتنفهم: أحاط بهم.

(٣) الرسوم: الآثار أو بقيتها. أقوت: خلت وأقفرت. والطف والعلم: موضعان. الأرواح: الرياح.

(٤) الديم جمع ديمة بكسر الدال: مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق، أو يدوم خمسة أيام.

(٥) الخليفة هنا: الخلف والبدل. الأثافي: جمع أثفية بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه: الحجارة الثلاثة التي توضع عليها القدر. والحمم بضم الحاء واحدته حممة: الفحم.

(٦) ألم به: نزل به. واللمم: الجنون.

(٧) الكظم: مخرج النفس.

(٨) غبها: عاقبة فعلها. والوخم: المكروه.

ما عاقني عن قُفُولِ الجندِ إذ قفلوا عِيٌّ بما صنعوا حولي ولا صَمَمُ
ولو أردتُ قفولاً ما تجَهَّمني إذنُ الأمير ولا الكتّابُ إذ رقموا[(١)]
إني ليعرفني راعي سريرِهم والمُحْدِجون إذا ما ابتلّت الحُزُمُ[(٢)]
والطالبون إلى السلطان حاجتَهم إذا جفا عنهم السلطان أو كَزَموا[(٣)]
فسوف تُبْلِغُك الأنباءَ إن سلِمت لك الشواحِج والأنفاسُ والأُدم[(٤)]
إن المهلبَ إنْ أشتق لرؤيتِهِ أو امتدِحه فإن الناس قد علموا
إن الكريم من الأقوامِ قد علموا أبو سعيد إذا ما عُدّت النِّعم
والقائلُ الفاعلُ الميمونُ طائره ابو سعيدٍ وإن أعداؤه رَغموا
/ كم قد شهدتُ كراماً من مواطنه ليست بغيب ولا تقوالِهم زعموا[(٥)] [٨٩/١٣]
أيّامَ أيامَ إذ عض الزمان بهم وإذ تمنى رجال أنهم هُزِموا[(٦)]
/ وإذ يقولون: ليتَ الله يُهْلكهم والله يعلم لو زلت بهم قدم ١٦٥/١١
أيامَ سابور إذ ضاعت رَباعَتهم لولاه ما أوطَنوا داراً ولا انتقموا[(٧)]
إذ ليس شيء من الدنيا نصول به إلا المغافرِ والأبدان واللجم[(٨)]
وعاترات من الخَطّيِّ مُحصَدة نفضي بهن إليهم ثم نَدَّعم[(٩)]

سبب التهاجي بين زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء

هكذا ذكر عمرو بن أبي عمروٍ الشيباني في خبر هذه القصيدة، ونسخت من كتابه. وذكر أيضاً في هذا الكتاب أن سبب التهاجي بين زيادِ الأعجم والمغيرة بنِ حبناءَ، أن زياداً الأعجم والمغيرة بن حبناء وكعباً الأشقريّ، اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه، فأمر لهم بجوائز وفضَّل زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشِد شِعره، لأن زياداً كان ألكن لا يُفصِح، فكان راويته يُنْشد عنه ما يقوله، فيتكلف له مؤونة ويجعل له سهماً في صِلاتِه، فسأل المهلبَ يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، فنفِسوا عليه ما فُضِّل به؛ فانتدبَ[(١٠)] له / المغيرةُ [٩٠/١٣] من بينهم، فقال للمهلبِ: أصلح اللهُ الأمير، ما السبب في تفضيل الأمير زِياداً علينا؟ فوالله ما يُغني غَنَاءنا في

---

(١) ما تجهمني: ما استقبلني بغير ما أحب.
(٢) المحدجون: الذين يشدون الأحداج على الإبل.
(٣) كزموا: هابوا.
(٤) الشواحج: البغال. والأدُم جمع أدماء وآدم، وضم داله للشعر. والأدماء: الناقة أشرب لونها سواداً أو بياضاً.
(٥) ولا تقوالهم زعموا: القول المزعوم زوراً وبهتاناً.
(٦) انظر ما سبق من الكلام على تكرير الظروف في ص ٦٨.
(٧) رباعتهم: أمرهم الذي كانوا عليه. وأوطنوا داراً: اتخذوها دار إقامة.
(٨) المغافر جمع مغفر: الزرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها المتسلح، والأبدان جمع بدن بالتحريك: الدرع القصيرة.
(٩) العاترات: المضطربات للينها. والخطي: الرمح المنسوب إلى الخط بلد على سيف البحرين بكسر السين، وموضع في عمان. وكانت الرماح تجلب إلى هذه المواضع فتقوم وتصقل ثم تباع. والمحصدة: بضم الميم وفتح الصاد: المحكمة الصنعة. وندعم: تتكىء عليها ونأخذها دعامة.
(١٠) انتدب له: مطاوع ندبه للأمر: دعاه ووجهه إليه.

الحرب، ولا هو بأفضلنا شَعباً، ولا أصدقنا وداً، ولا أشرفنا أباً، ولا أفصحنا لساناً! فقال له المهلب: أما إنّي والله ما جهلت شيئاً مما قلت، وإن الأمرَ فيكم عندي لمتساو، ولكنّ زياداً يُكْرَمُ لِسِنّه وشِعره وموضعه من قومه، وكلُّكم كذلك عندي، وما فضلته بما يُنْفَسُ[1] به، وأنا أعوّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به. فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه، فقال يهجوه:

أرى كلَّ قومٍ ينسل اللؤمُ عندهم ... ولؤمُ بني حبناءَ ليس بناسِلِ[2]
يَشِبُّ مع المولودِ مثلَ شبابه ... ويَلقاه مولوداً بأيدي القوابلِ
ويُرضِعُه من ثدي أمٍّ لئيمةٍ ... ويُخلَقُ من ماءِ امرىءٍ غير طائلِ[3]
تعالَوْا فعدّوا في الزمانِ الذي مضى، ... وكل أناسٍ مجدُهم بالأوائلِ
لكم بفعالٍ يعرف الناس فضله ... إذا ذُكِر الأملاء عِند الفضائلِ[4]
فغازيكم في الجيش الأم مَن غزا ... وقافِلكم في الناس ألأم قافلِ[5]
وما أنتُم مِنْ مالكٍ غير أنكم ... كمغرورةٍ بالبوِّ في ظِلِّ باطلِ[6]
بنو مالك زُهْر الوجوه وأنتُم ... تَبَيّن ضاحي لؤمِكم في الجحافلِ[7]

يعني برصاً كان بالمغيرة بن حبناء.

[٩١/١٣] / أخبرني عبيد الله بن محمدٍ الرازيّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدّثني المدائني قال:

عَيّر زياد الأعجم المغيرة بن حبناء في مجلس المهلّب بالبرص، فقال له المغيرة إن عِتاق الخيل لا تشينها الأوضاحُ[8]، ولا تعير بالغررِ والحجُولِ، وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجلٍ عَيّره بالبرصِ: «إنما أنا سيف الله جلاه واستلّه على أعدائه» فهل تُغني يا ابن العجماء غنائي، أو تقوم مقامي؟ ثم نشِب الهِجاء بينهما.

نسخت من نسخةِ ابن الأعرابي، قال: كان المغيرة بنُ حبناء يوماً يأكل مع المُفَضّل بنِ المهلّبِ، فقال له المفضل:

فلم أر مِثلَ الحنظليّ ولونه ... أكِيلَ كرامٍ أو جليس أميرِ

٤٤٤ ١١ فرفع المغيرة يدَه وقام مغضباً، ثم قال له:

إني امرؤٌ حنظليٌّ حين تنسُبُني ... لام[9] العتيك ولا أخوالي العَوَقُ[10]

ـ العَوَق مِن يشكر، وكانوا أخوال المفضل ـ

---

(١) ينفس به: يحسد عليه.
(٢) ينسل: من قولهم نسل ريش الطائر: سقط.
(٣) يقال للخسيس الدون: ما هو بطائل.
(٤) الأملاء: جمع ملأ، وهم الأشراف الذين يملئون العين.
(٥) القافل: الراجع، وسميت القافلة وهي ذاهبة قافلة تيمناً برجوعها.
(٦) كمغرورة بالبو: أي مخدوعة بالجلد الذي يحشى تبناً فتحن له. والمراد أن هذه القبيلة تتوهم أن نسبها إلى مالك نسب حقيقي.
(٧) أراد بالجحافل الشفاه، جمع جحفلة. وأصل الجحفلة للخيل والحمر والبغال.
(٨) الأوضاح: جمع وضح: التحجيل في القوائم بالبياض.
(٩) لام العتيك: لا من العتيك. انظر «الحيوان» (٥: ١٦٥).
(١٠) العتيك والعوق: قبيلتان.

لا تحسبَنَّ بياضاً فيّ منقصةً ... إن اللّهاميم[1] في ألوانها بلقُ

وبلغ المهلّب ما جرى، فتناول المفضلَ بلِسانه وشتمه، وقال: أردتَ أن يتمضّغ هذا أعراضَنا، ما حملك على أن أسمعته ما كرِه بعد مواكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أوْ لا تُؤذِه. ثم بَعث إليه بعشرة آلاف درهم، واستصفحه عن المفضل، واعتذر إليه عنه، فقبِل رِفده وعذره، وانقطع بعد ذلك عن مواكلةِ أحدٍ منهم. / ـ رجع الخبر إلى سياقته مع زياد والمغيرة ـ فقال المغيرة يجيب زياداً: [٩٢/١٣]

مناقضات زياد الأعجم والمغيرة بن حبناء

أزيادُ إنّك والذي أنا عبدُه ... ما دون آدمَ من أبٍ لك يُعلمُ

فالحَق بأرضِك يا زيادُ ولا ترُمْ ... ما لا تطيق وأنت عِلجٌ[2] أعجمُ

أظننتَ لؤمَك يا زياد يسدُّه ... قوس سترتَ بها قفاك وأسهمُ

علجٌ تعصَّبَ ثم راقِ بقوسه[3] ... والعلجُ تعرفه إذا يتعمَّمُ

ألقِ العصابة يا زيادُ فإنما ... أخزاك ربِّي إذ غدوتَ ترنَّمُ

واعلم بأنك لست منّي ناجياً ... إلا وأنت ببَظْرِ[4] أمك ملجَمُ

تهجو الكرام وأنت ألأمُ من مشى ... حسباً وأنت العلجُ حين تكلَّمُ

ولقد سألت بني نزارٍ كلّهم ... والعالِمين من الكهول فأقسموا

بالله مالَكَ في معدٍّ كلِّها ... حسبٌ وإنك يا زياد موذَّمُ[5]

فقال زياد يجيبه:

ألم تر أنّني وتّرت قوسي ... لأبقعَ من كلاب بني تميمِ

عوَى فرميته بسهامِ موتٍ ... كذاك يُرَدُّ ذو الحمقِ اللئيمُ[6]

وكنتُ إذا غمزتُ قناةَ قوم ... كسرتُ كعوبها أو تستقيمَ[7]

/ هم الحشوُ القليلُ لكلِّ حيٍّ ... وهمْ تَبَعٌ كزائدة الظليمِ[8] [٩٣/١٣]

---

(١) اللهاميم ومفردها لهموم، وهو الجواد من الخيل.

(٢) العلج: الرجل من كفار العجم.

(٣) راق بقوسه أي ظن أنه راق بها، أي زاد فضلاً.

(٤) البظر: هنة بين أسكتي الفرج.

(٥) الموذم بضم الميم وتشديد الذال: المقطع. وكلب موذم: جعلت في عنقه قلادة.

(٦) بالبناء للمجهول. في جـ «تردد الحمق».

(٧) غمزت: عضضت. وقد نصب سيبويه يستقيم بأو وكذلك جميع البصريين. والحجة لسيبويه في هذا أنه سمع من العرب من ينشد هذا البيت بالنصب. وبالرفع يكون فيه إقواء. ويقال أقوى في الشعر: خالف بين قوافيه برفع بيت وجر آخر. وقلّت قصيدة لهم بلا إقواء. وأما الإقواء بالنصب فقليل .(راجع «اللسان»). والإقواء يغلب على هذه القصيدة. والمعنى إذا اشتدّ على جانب قوم رمت تليينه لإضعافه أو يستقيم. وقد قيل: إنه هجا قوماً زعم أنه أثارهم بالهجاء وهددهم إلا أن يتركوا سبه وهجاءه.)

(٨) الظليم: ذكر النعام. زائدة الظليم: هنة وراء الظلف، أو شبه أظفار الغنم في الرسغ في كل قائمة زائدتان كأنما خلقتا من قطع القرون، والشعرات المدلاة مؤخر رجل الشاة والظبي والأرنب.

فلسـتَ بِسـابقـي هَـرِمـاً ولمـا ... يمـرَّ علـى نـواجـذك القَـدومُ[١]

فحـاولْ كيـف تنجُـو مِـن وقـاعِـي ... فـإنّـك بعـد ثـالثـةٍ رميـمُ[٢]

سَـراتُكـم الكـلابُ البُقْـعُ فيكـم ... للـؤمِكـم ولَيـس لكـم كـريـمُ

فقـد قَـدُمَـتْ عُبـودتُكـم ودُمتـم ... علـى الفَحْشـاء والطبـعِ اللئيـمِ[٣]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثنا المدائني قال: قال زياد الأعجم يهجو المغيرة بن حبناء:

عجبـتُ لأبيـضِ الخُصيـينِ عبـدٍ ... كـأنّ عِجـانـه الشِّعـري العبـورُ[٤]

فقيل له: يا أبا أمامة، لقد شرفته إذ قلت فيه:

* كأنّ عجانه الشعري العبور *

١٦٧/١١ ورفعتَ / منه. فقال: سأزيده رفعةً وشرفاً، ثم قال:

لا يبـرحُ الـدّهـرَ منهـم خـارىءٌ أبـداً ... إلّا حسبـتَ علـى بـابِ أستِـه القمـرا

[١٣/٩٤] / قال، وتَقاوَلا في مجلس المهلَّب يوماً، فقال المغيرة لزياد:

أقـول لـه وأنكَـرَ بعـضَ شـأنـي ... ألـم تعـرف رقـاب بنـي تميـم

فقال له زياد:

بلَـى فعـرفتُهـنّ مقصَّـراتٍ ... جِبـاهَ مـذلَّـةٍ وسِبـالَ لـومِ[٥]

المغيرة يهجو زياداً بتحريض من ربيعة

نسخت من كتابِ عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال: كانت ربيعة تقول لزيادِ الأعجم: يا زياد، أنت لساننا، فاذبب عن أعراضِنا بشعرك، فإنّ سيوفنا معك. فقال المغيرة بن حبناء فيه، وقد بلغه هذا القول مِن ربيعة له:

يقـولـون ذبِّـبْ يـا زيـاد ولـم يكـن ... لِيـوقـظَ فـي الحـرب الملمَّـةِ نـائمـاً

ولـو أنّهـم جـاءوا بـه ذا حفيظـةٍ ... فيمنَعَهُـم أو مـاجـداً أو مـراعمـا

ولكنّهـم جـاءوا بـأقْلَـفَ قـد مضـت ... لـه حِجـجٌ سبعـون يُصبـح رازِمـا[٦]

لئيمـاً ذميمـاً أعجميّـاً لسـانـهُ ... إذا نـال دَنَّـا لـم يبـال المكـارمـا[٧]

---

(١) «يمر» في حـ بالتاء وفي باقي الأصول بالياء، والاثنان جائزتان. والقدوم: التي ينحت بها بفتح أوّله. والمراد أنه لم يجرب مثله ولم تهتم أسنانه.

(٢) بعد ثالثة: أي بعد ليلة ثالثة.

(٣) العبودة: العبودية، وهي الخضوع والتذلل.

(٤) العجان: القضيب الممدود من الخصية إلى الدبر. والشعرى: كوكب يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر. وتقول العرب: «إذا طلعت الشعري جعل صاحب النخل يرى». وسميت الشعرى العبور أونها عبرت السماء عرضاً ولم يعبرها عرضاً غيرها. وكان العرب يعبدونها، فأنزل الله تعالى: ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ أي: رب الشعرى التي تعبدونها. والشعري الغميصاء وسميت بذلك لأن العرب قالت في حديثها: إنها بكت على إثر العبور حتى غمصت.

(٥) السبال: جمع سبلة وهي مقدم الشعر أو مجتمعه في الذقن.

(٦) الأقلف: الذي لم تجر عليه موسى. والرازم: الذي لا يقدر على النهوض ولا يتحرك هزالاً وإعياء.

(٧) الدن: وعاء الخمر.

وما خلقتُ عبد القيس إلا نُفايةً إذا ذَكَر الناس العُلا والعظائما[1]

إذا كنتَ للعبديّ جاراً فلا تَزلْ على حذرٍ منه إذا كان طاعما

أناساً يُعدُّون الفساء لجارهم إذا شَبعوا عند الجُبَاةِ الدراهما[2]

من الفسوِ يقضون الحقوق عليهم ويعطون مولاهم إذا كان غارما

لهم زجَلٌ فيه إذا ما تجاوَبُوا سمعتَ زفيراً فيهم وهَماهِما[3]

/ لعمرك ما نجّى ابنَ زروان إذ عَوَى ربيعةُ مِن يوم ذلك سالما [٩٥/١٣]

أظَنَّ الخبيث ابنُ الخبيثَيْنِ أنّني أسلّم عرضي أو أهابُ المقاوِما

لعمركَ لا تَهدِي ربيعةُ للحجا إذا جعلوا يستنصِرون الأعاجما

عبد القيس تعتذر إلى المغيرة

قال: فجاءت عبد القيس إلى المغيرة، فقالوا: يا هذا، مالنا ولك، تعمُّنا بالهجاء لأنْ نَبحَك منّا كلب، فقال وقلت، قد تبرأنا إليك منه، فإن هجاك فاهجُه، وخلِّ عنا ودَعْنا، وأنت وصاحبُك أعلم، فليس منّا له عليك ناصر. فقال:

لعمرُك إنّي لابنِ زروان إذ عوى لمحتقِرٌ في دعوة الودِّ زاهدُ

وما لك أصلٌ يا زياد تعدُّه وما لك في الأرضِ العريضة والدُ

ألم تَرَ عبد القيس منك تبرّأتْ فلاقيتَ ما لم يلق في الناس واحدُ

وما طاشَ سهمي عنك يوم تبرّأتْ لُكَيزُ بنُ أفصى منك والجند حاشدُ

ولا غابَ قرنُ الشَّمسِ حتى تحدّثت بنفيِك سُكانُ القُرى والمساجدُ[4]

- رفع «المساجد»، لأنه جعل الفِعل لها، كأنه قال: وأهل المساجد، كما قال الله عزّ وجل: ﴿واسألِ القَرْيَةَ﴾. وتحدّثت المساجد، وإنما يريد من يصلّي فيها[5] -

فأصبحتَ عِلجاً من يزُرْك ومن يزر بناتِك يعلمْ أنّهن ولائد[6]

/ وأصبحن قُلفاً يغتزِلن بأجرة حواليكَ لم تَجْرَحْ بهن الحدائد[7] ١٦٨ .١١

نَفَرنَ من الموسى وأقررنَ بالتي يقِرّ عليها المقرِفاتُ الكواسد[8]

/ بإصطخرَ لم يَلْبَسْنَ من طُول فاقةٍ جديداً ولا تُلقَى لهن الوسائد[9] [٩٦/١٣]

---

(١) النفاية بالضم: الرديء.

(٢) في ط: «سبعوا»، وفي س، ش، حـ بالشين المعجمة والياء المثناة، والأصوب ما أثبتناه.

(٣) الزجل: الصوت. والهماهم: تردّد الزئير في الصدر.

(٤) قرن الشمس: ناحيتها.

(٥) في ط: «وصل القصيدة» وكتب في الهامش: «أي وتحدّثت المساجد وإنما يريد من يصلي فيها».

(٦) الولائد: جمع وليدة: وهي الجارية.

(٧) القلف: جمع أقلف: من لم يختتن. والقلفة بالضم ويحرك: جلدة الذكر، هذا في الأصل. وقد استعمله هنا للنساء. ولم تجرح بهن، أي لم تستعمل في ختانهن.

(٨) المقرفات: الهجينات.

(٩) إصطخر: بلدة بفارس من أعيان حصون فارس ومدنها.

وما أنتَ بالمنسوب في آلِ عامرٍ ... ولا ولدَتْكَ المحصَناتُ المواجدُ[١]

ولا ربَّبَتْكَ الحنظليّةُ إذْ غذت ... بنيها ولا جِيبت عليك القلائدُ[٢]

ولكن غذاكَ المشركون وزاحمت ... قَفاكَ وخدَّيكَ البُظُورُ العواردُ[٣]

ولم أرَ مِثلي يا زيادُ بِعِرضه ... وعِرضِك يستبَّانِ والسيفُ شاهدُ[٤]

ولو أنّني غشّيتُك السيفَ لم يقل ... إذا متَّ إلاّ ماتَ عِلجٌ معاهِدُ[٥]

المغيرة وجوائز المهلب

ونسخت من كتاب عمروِ بنِ أبي عمروٍ أيضاً، قال: رجع المغيرة بن حبناء إلى أهلِه وقد ملأ كفَّيه بجوائزِ المهلبِ وصلاتِه والفوائد منه، وكان أخوه صخر بن حبناء أصغرَ منه، فكان يأخذ على يده وينهاه عن الأمر يُنكَر مِثلهُ، ولا يزال يتعتَّب عليه في الشيء بعد الشيء مِمّا ينكِره عليه، فقال فيه صخر بن حبناء:

صخر والمغيرة يتلاحيان لما تعتب المغيرة عليه

رأيتُك لما نِلتَ مالاً وعَضَّنا ... زمانٌ ترى في حدِّ أنيابِه شغْبا[٦]

تجنّى عليّ الدّهرُ أنّيَ مذنِب ... فأمسكْ ولا تجعلْ غِناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه:

لحا الله أنّآنا عن الضّيفِ بالقِرى ... وأقصَرَنا عن عِرضِ والده ذَبّا

وأجدَرَنا أن يدخُلَ البيتَ باستِه ... إذا القفُّ دلّيَ مِن مخارِمِه رَكبا[٧]

أالبَاكَ الأُفّاكُ عنّيَ أنّني ... أحرِّكُ عِرضي إن لعبتَ به لِعبا

[١٣/٩٧] / أخت صخر تشكوه إلى المغيرة

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمروٍ، قال: جاءت أخت المغيرة بنِ حبناء إليه تشكو أخاها صخراً، وتذكر أنّه أسرع في مالِها وأتلفه، وإنّها منعته شيئاً يسيراً بقِيَ لها، فمدّ يده إليها وضربها، فقال له المغيرة معنّفاً:

ألا من مبلِغٌ صخرَ بنَ ليلى ... فإنّي قد أتاني مِن نثاكا[٨]

رسالةَ ناصحٍ لك مستجيبٍ ... إذا لم تَرْعَ حرمتَه رعاكا

وصولٍ لو يراك وأنت رهنٌ ... تُباع، بماله يوماً فَدَاكا

يرى خيراً إذا ما نلتَ خيرا ... ويَشْجَي في الأمور بما شجاكا

---

(١) المواجد جمع ماجدة: الشريفة.

(٢) لاجيبت بالبناء للمجهول: أي ما وضعت.

(٣) العوارد: جمع عاردة، وهي الغليظة الشديدة المنتصبة.

(٤) يستبان بتشديد الباء: يتشاتمان.

(٥) العلج: الكبير من كفار العجم. والمعاهد: الذمي. وهو يقصد أنه لا يقتل إن قتله، لما ورد عن رسول الله قوله: «لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده» أي لا يقتل ذو عهد أي ذو ذمة وأمان ما دام على عهده الذي عوهد عليه.

(٦) الشغب: تهييج الشر.

(٧) القف: بالضم: ما غلظ من الأرض وارتفع. والمخارم: جمع مخرم، وهو الطريق في الجبل.

(٨) نثاك: أخبارك. والنثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء، وهنا يقصد الشر.

فإنّك لا ترى أسماء أختا … ولا تريَنّني أبداً أخاكا

فإن تعنُفْ بها أو لا تصِلْها … فإنّ لأمِّها ولداً سِواكا

يَبَرُّ ويستجيبُ إذا دعته … وإنْ عاصيتَه فيها عصاكا

وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً … على بَعضِ الرِّجالِ وفوق ذاكا

جزاني اللهُ منك وقد جزاني … ومنِّي في مَعَاتبنا[1] جَزَاكا

وأعقَبَ أصدَقَ الخَصْمينِ قولاً … وولَّى اللّومَ أولانا بذاكا

/ فلا واللهِ لو لم تَعصِ أمري … لكنتَ بمعزِلٍ عمَّا هُناكا

مجد ١١

قال: فأجابه أخوه صخر بن حَبْناء فقال:

أتاني عن مُغِيرةَ ذَرْوُ قولٍ … تَعمَّدَه فقلتُ له كذاكا[2]

يعمُّ به بني ليلى جميعاً … فَولُّ هجاءَهم رجلاً سِواكا

/ فإنْ تكُ قد قطعت الوصلَ منّي … فهذا حينَ أخلفَني مُناكا

[٩٨/١٣]

تُمنِّيني إذا ما غبتَ عنّي … وتُخلِفُني مناايَ إذا أراكا

وتُولِيني مَلامةَ أهلِ بيتي … ولا تعطِي الأقاربَ غيرَ ذاكا

فإن تكُ أختُنا عتبَتْ علينا … فلا تَضرِمْ لِظِنّتِها أخاكا

فإنّ لها إذا عتبَتْ علينا … رِضاها صابِرينَ لها بذاكا

وإن تك قد عتبتَ عليَّ جهلاً … فلا واللهِ لا أبغي رضاكا

فقد أعلنتُ قولَك إذ أتاني … فأعلِنْ مِن مقالي ما أتاكا

سيُغنِيني عنك صخراً ربُّ صخرٍ … كما أغناك عن صخرٍ غِناكا

ويغنِيني الذي أغناكَ عنّي … ويكفِيني الإلهُ كما كفاكا

ألم تَرَني أجودُ لكم بمالي … وأرمي بالنَّواقرِ من رماكا[3]

وأنّي لا أقودُ إليك حرباً … ولا أُعصيك إن رجلٌ عصاكا

ولكنّي وراءك شِمَّرِيٌّ … أحامِي ـ قد علِمتَ ـ على حِماكا[4]

وأدفعُ ألسنَ الأعداء عنكم … ويَعنيني[5] العدوُّ إذا عناكا

وقد كانت قُرَيبةُ ذات حقٍ … عليك فلَمْ تطالِعْها بذاكا

رأيتُ الخيرَ يَقصُرُ منك دوني … وتبلُغني القوارِصُ مِن أذاكا

(١) المعاتب: جمع معتبة ومعتب، الملامة. وفي جـ «ومناني» بدل «ومني» وهو تحريف. وفي «المؤتلف والمختلف» ١٠٥: «ومني في مغاتبتي».

(٢) كذا في ط و«المؤتلف والمختلف» ص ١٠٦. والذرو، بالفتح: الطرف من القول. وفي «اللسان» (ذرأ): «ذرء قول»، وهو بمعناه. وفي سائر النسخ: «زور قول».

(٣) النواقر: جمع ناقرة، وهي الداهية.

(٤) الشمري: الماضي في الأمور المجرب، والحركات الثلاثة على الشين والميم لاختلاف اللهجات.

(٥) يعنيني: يقصدني.

حبناء بن عمرو ينتقل إلى نجران وامرأته تلومه لما ضرب ابنه

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمروٍ أيضاً قال: كان حبناءُ بن عمروٍ وقد غضِبَ على قومه في بعضِ الأمر، فانتقل إلى نَجران، وحمل معه أهلَه وولدَه، فنظرتِ امرأتُه سَلمى إلى غلامٍ من أهل نَجْران يضرب ابنَه المغيرة ـ وهو [١٣/٩٩] يومئذٍ / غلام ـ فقالت لحبناء: قد كنتَ غنياً عن هذا الذّل، وكان مُقامكَ بالعراق في قومك أو في حيٍّ قريبٍ من قومك أعزَّ لك! فقال حبناء في ذلك:

تقــول سُليمــى الحنظلِيــةُ لابنهــا ... غــلامٌ بنجــرانَ الغــداةَ غــريــبُ

رأتْ غِلمــةً ثــاروا إليــه بــأرضهــم ... كمــا هَــرَّ كلــبُ الدارِ[1] بيــن كَليــبِ[2]

فقــالــت لقــد أجْــرَى أبــوكَ لِمــا تــرى ... وأنــت عــزيــزٌ بــالعــراقِ مَهيــبُ

وقال أيضاً:

لعمــركَ مــا تــدرِي أشــيءٌ تــريــده ... يلِيــك أمِ الشــيءُ الــذي لا تحــاوِلُــه

متــى مــا يَشَــأ مستقبِــسُ الشــرِّ يَلقَــه ... ســريعــاً وتجْمعــه إليــه أنــاملُــه[3]

زياد الأعجم يهجو أسرة المغيرة بأدوائهم

أخبرني عيسى بن الحسن الورّاق، قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرُويه، قال: حدّثني أبو الشِّبل النَّضْرِي، قال: كان المغيرة بن حبناءَ أبرص، وأخوه صخرٌ أعور، وأخوه الآخر / مجذوماً، وكان بأبيهم حِبْن، فلقِّب حبناء ـ واسمه جبير بن عمروٍ ـ فقال زيادُ الأعجم يهجوهم:

إنّ حبنــاءَ كــان يــدعــى جُبيــراً ... فــدعَــوه مــن لــؤمــه حبنــاءَ

ولَــدَ العُــورَ منــه والبُــرْصَ والجَــذْ ... مَــى، وذو الــداء يُنتَــج الأدواءَ[4]

زياد يمسك عن الهجاء

فيقال: إنّ هذه الأبيات كانت آخرَ ما تهاجيا به؛ لأنّ المغيرة قال ـ وقد بلغه هذا الشعر ـ: ما ذنْبُنا فيما ذكره، هذهِ أدواءٌ ابتلانا الله عزّ وجل بها، وإني لأرجو أن يجمع الله عليه هذه الأدواءَ كلَّها! فبلغ ذلك زياداً من قوله، وإنّه لم يَهْجِه بعقب هذه الأبيات، ولا أجابه بشيءٍ، فأمسك عنه، وتكافأ.

[١٢/١٠٠] / جادة المغيرة في تفضيل الأخ على أخيه

أخبرني محمد بن الحسن بنِ دريدٍ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمهِ، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبيه عن الأصمعي، قال:

لم يقل أحد في تفضيلِ أخٍ على أخيه وهُما لأب وأمٍّ، مثلَ قولِ المغيرةِ بنِ حبناء لأخيه صخر:

أبــوك أبــي وأنــت أخــي ولكِــنْ ... تفــاضلــتِ الطّبــائــعُ والظُّــروف

وأمُّــكَ حيــن تُنسَــب أمُّ صــدقٍ ... ولكــنّ ابنهــا طَبِــع سخيــفُ[5]

---

(١) كذا. وفي الشعر: «سليمى» فلعله صغره في الشعر.

(٢) الكليب جمع كلب: جماعة الكلاب. وفي هذا البيت إقواء.

(٣) المستقبس، يقال قبس يقبس منه ناراً واقتبسها: أخذها. يشير إلى أن من يطلب الشر يجده.

(٤) الجذمي جمع أجذم: المقطوع اليد، أو الذاهب الأنامل.

(٥) الطبع بفتح الطاء وكسر الباء: دنيء الخلق اللئيمة الدنس، لا يستحي من سوأة وعيب. والسخيف: قليل العقل شاذ التصرف. وقد =

قال: وكان عبدُ الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاويةَ ـ وكان ضعيفاً ـ يتمثَّل بهذين البيتين.

قول الحجاج في يزيد بن المهلب

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني أحمد بن محمدِ بنِ جُدَّان، قال: حدثني أحمد بن محمدِ بنِ مخلدٍ المهلبي، قال:

نظر الحجّاج إلى يزيدَ بنِ المهلَّب يخطِر في مِشيته، فقال: لعن الله المغيرةَ بن حبناءَ حيث يقول:

جَميلُ المحيَّا بَختريٌّ إذا مشى ... وفي الدِّرعِ ضخمُ المَنكبين شِناق[١]

فالتفت إليه يزيد، فقال: إنه يقول فيها:

شديدُ القوى من أهلِ بيتٍ إذا وهَى ... من الدِّين فتقٌ حُمِّلوا فأطاقوا[٢]

مَراجيحُ في الَّلأواء إن نزلتْ بهم ... مَيامينُ قد قادُوا الجيوش وساقوا[٣]

/ مصرع ابن حبناء وكتابته اسمه على صدره [١٣/١٠١]

أخبرني محمد بن مَزْيدٍ، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني مَن حضر ابن حبناء لما قتِل ـ وهو يجود بنفسه ـ فأخذ بيده من دمه ـ وكتب بيده على صدره: «أنا المغيرة بن حبناء». ثم مات.

صوت

بسطَتْ رابعةُ الحبلَ لنا ... فوصَلْنا الحبلَ منها ما[٤] اتسعْ

كيف تَرجُون سِقاطي بَعْدَ ما ... جَلَّلَ الرأسَ بياضٌ وصلعْ[٥]

رُبَّ مَن أنضجتُ غيظاً صدرَه ... قد تمنَّى لِيَ موتاً لم يُطَعْ[٦]

وَيَراني كالشَّجا في حَلقِه ... عَسِراً مخرجُه ما ينتزعْ[٧]

ويحيِّيني إذا لاقيتُه ... وإذا أمكِن من لحمي رَتَعْ[٨]

وأبيتُ اللّيلَ ما أهجَعُه ... وبعينيَّ إذا النَّجم طلَعْ[٩]

= ورد في معنى هذا البيت وسابقه قول الشاعر:

أبوك أبي والجد لا شك واحد ... ولكننا عودان آس وخروع

(١) البختري، حسن المشي. والشناق، بالكسر: الطويل.

(٢) الفتق: الشق والخرق. أطاقوا، يقال طاقه طوقاً وإطاقة، وأطاق عليه إطاقة، والاسم: الطاقة. وهو في طوقي أي في وسعي.

(٣) مراجيح: ذوو أحلام وبصر بالأمور.

(٤) اتسع: امتد. ويروى: «فبسطنا الحبل» وروى: «بسطت رابعة الوصل لنا».

(٥) سقاطي: يقال للرجل: «أنه لذو سقطات»، أي لا يزال يفتر فترة بعد فترة، وهي الانكسار والضعف.

(٦) روى: «ربما أنضجت غيظاً قلب من».

(٧) الشجا: الغصص ونحوه مما يعترض في الحلق.

(٨) روى: «وإذا يخلو له» راجع «المفضليات». رتع: أكل. وقد أرتع الرجل إذا ترك إبله ترعى.

(٩) روى: «فأبيت الليل ما أرقده»، ويروى: «ويعنيني»، أي يتعبني. يصف أنه ساهر لا ينام، فهو يراعي النجوم، أي يمكث الليل ساهراً.

الحبل ها هنا: الوصل؛ والحبل أيضاً: السبب يتعلَّق به الرجُل من صاحبه، يقال: عَلِقتُ من فلانٍ بحبل؛ والحبل: العهد، والميثاق، والعقد يكون بين القوم؛ وهذه المعاني كلُّها / تتعاقب ويقوم بعضُها مقام بعض. والشَّجا: كلٌّ ما اغتُصَّ به من لُقمة أو عظم أو غيرهما.

١٧٦ / ١١

الشعر لسُويدِ بنِ أبي كاهلٍ اليشكُرِيِّ، والغناء لعَلُّويه، ثاني ثقيل بالبِنصر، عن عمروِ بنِ بانة في الأولِ والثاني من الأبيات، وليونس الكاتبِ في الثالث والرابع والثاني ما خوري بالوسطى، عن علي بن يحيىٰ، والهشامي. ولمالكٍ فيها ثقيل بالبنصر، عن الهشامي أيضاً، ولابن سريج فيها خفيف ثقيلٍ، عن علي بن يحيى.



/ أخبار سويد بن أبي كاهل ونسبه

[١٠٢/١٣]

سُوَيد بن أبي كاهل بنِ حارثة بن حِسلِ بنِ مالكِ بن عبد سعدِ بنِ جُشَم بن ذُبيان بن كنانة بن يشكُر. وذكر خالد بن كلثومِ أنّ اسم أبي كاهل شبيب، ويكنى سُويد أبا سعدٍ.

أنشدني وَكيعٌ عن حمادٍ، عن أبيه، لسويدِ بن أبي كاهلٍ شاهدا بذلك:

أنـــا أبـــو سعـــدٍ إذَا اللَّيـــلُ دجـــا   دخلْـتُ فـي سـربـالـه ثُـمّ النّجـا[١]

طبقة سويد

وجعله محمّد بن سلامٍ في الطبقة السادسةِ، وقرَنَه بعنترةَ العبسيّ وطبقتِه.

وسويد شاعر متقدِّم من مخضرمي الجاهليةِ والإسلام، كذلك ذكر ابن حبيبٍ. وكان أبوه أبو كاهل شاعراً، وهو الذي يقول:

كـــأنّ رحلِـــي علـــى صَقعـــاءَ حـــادرةٍ   طَيّـا قـد ابتـلَّ مـن طَـلٍّ خَـوافيهـا[٢]

قول الأصمعي في عينية سويد

أخبرني محمد بن العباس اليزيدِي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق البغَوِيّ، قال: حدثنا أبو نصرٍ صاحب الأصمعيّ أنّه قرأ شعرَ سويدِ بنِ أبي كاهلٍ على الأصمعي، فلما قرأ قصيدتَه:

بَسطـــتْ رابعـــةُ الحبـــلَ لنـــا   فـــوصَلْنـا الحبـلَ منهـا مـا اتّسـعْ

فَضّلها الأصمعي، وقال: كانت العرب تفضِّلها وتقدِّمها وتعدُّها من حِكمِها. ثم قال الأصمعي: حدثني عيسى بن عُمَر أنّها كانت في الجاهليّة تسمَّى: «اليتيمة»[٣].

/ بين سويد وزياد الأعجم [١٠٣/١٣]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع، قال: حدثني محمد بن الهيثمِ بنِ عديّ، قال: حدّثنا عبد الله بن عباس، قال: قال زيادٌ الأعجمُ يهجو بني يشكُر:

إذا يشكُـــريٌّ مـــسّ ثـــوبَـــك ثـــوبُـــه   فـــلا تـــذكـــرنّ الله حَتّـــى تَطهّـــرا

فلـــو أنّ مِـــن لـــؤمٍ تمـــوتُ قبيلـــةٌ   إذاً لأمـــاتَ اللـــؤمُ لا شـــكَّ يشكُـــرا

---

(١) روى: «تخال في سواده أرندجا».

(٢) الصقعاء: ما لها بياض في وسط رأسها من الخيل والطير وغيرها. والحادرة من الحدرة بالتسكين: الحط من علو إلى أسفل كالحدور، والإسراع كالتحدير. الطيا: مؤنثة الطيان، وهو الجائع. والطوى: الجوع.

(٣) هي آخر قصيدة في الجزء الأوّل من «المفضليات» طبع المعارف.

قال: فأتت بنو يشكُرَ سويدَ بن أبي كاهلٍ ليهجوَ زياداً، فأبى عليهم، فقال زياد:

وأُنبِئْتُهم يَستصرِخون ابنَ كاهلٍ ... ولِلُّؤم فيهم كاهلٌ وسَنامُ[1]

فإنْ يأتِنا يرجِعْ سويدٌ ووجهُه ... عليه الخَزايا غُبرةٌ وقَتامُ[2]

دعِيٌّ إلى ذُبيانَ طوراً، وتارة ... إلى يشكرٍ ما في الجميعِ كرامُ

فقال لهم سويدٌ: هذا ما طلبتم لِي! وكان سويد مغلَّباً[3]. وأما قوله:

دَعِيٌّ إلى ذُبيان طوراً وتارةً ... إلى يشكر . . . .

خبر أم سويد وسبب تسميته

فإنّ أم سويد بنِ أبي كاهلٍ كانت امرأةً من بني غُبَر، وكانت قبلَ أبي كاهلٍ عند رجلٍ من بني ذبيان بن قيس بنِ عيلان، فمات عنها، فتزوّجها أبو كاهلٍ، وكانت فيما يقال حاملاً، فاستلاط أبو كاهل ابنَها لمّا ولدته[4]، وسَمّاه سويداً، / واستلحقه[5]، فكان إذا غضب على بني يشكر ادَّعى إلى بني ذبيان، وإذا رضِي عنهم أقام على نسبه فيهم.

١٧٢ / ١١

[١٣/ ١٠٤] / وذكر عَلّان الشُّعوبِي، أنّه ولِد في بني ذبيان، وتزوّجت أمُّه أبا كاهل ـ وهو غلام يَفَعة[6] ـ فاستلحقه أبو كاهل وادَّعاه، فلحق به.

انتماء سويد إلى قيس

ولسويدِ بنِ أبي كاهِلٍ قصيدةٌ ينتمِي فيها إلى قيس، ويفتخر بذلك، وهي التي أوّلُها:

أبَى قلبُه إلاّ عميرةَ إن دنَتْ ... وإن حَضرت دارَ العِدا فهو حاضرُ

شَموسٌ حَصانُ السِّرِّ ريّا كأنها ... مُرَبَّبةٌ مِما تضمَّن حائِرُ[7]

ويقول فيها أيضاً:

أنا الغطفانِي زينُ ذُبيانَ فابعدوا ... فَللزُّنجُ أدنَى منكم ويُحابِرُ[8]

أبتْ لِيَ عبسٌ أن أسامَ دَنيّةً ... وسعدٌ وذبيانُ الهِجانُ وعامِرُ[9]

وحيٌّ كرامٌ سادةٌ من هَوازِنٍ ... لهم في المِلمّاتِ الأنوفُ الفواخرُ[10]

---

(١) الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقر، أو ما بين الكتفين أو موصل العنق في الصلب.

(٢) القتام: الغبار.

(٣) المغلب: المغلوب مراراً، والمحكوم له بالغلبة، ضد.

(٤) استلاطه: ادعاه ولداً وليس منه.

(٥) استلحقه: ادعاه إليه.

(٦) اليفع: المناهز البلوغ، من يفع: ترعرع وناهز البلوغ. ويقال رجل يفع ويفعة ورجلان ورجال يفعة.

(٧) الشموس هنا: النافرة التي لا تخضع، ويقال شمس الفرس: منع ظهره. وحصان السر: أي هي عفيفة في السر، بله العلانية. والمربية: عنى بها الدرة التي يربيها الصدف في قعر الماء. وحائر البحر: مجتمع مائه. ومثله في قول حسان:

من درة بيضاء صافية ... مما تربب حائر البحر

ولأنت أحسن إذ برزت لنا ... يوم الخروج بساحة القصر

(٨) يحابر كيقاتل، وهو يحابر بن مالك بن أدد أبو مراد، ثم سميت القبيلة يحابر.

(٩) الهجان: الكريم الحسب النقية.

(١٠) الأنوف والفواخر: كناية عن ارتفاعها شمماً وإباء للضيم.

سويد يهجو بني شيبان لأخذ ماله وينتقل عنهم

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا أحمد بن معتِّب الأَوْدي عن الحِرمازِي[١]، أنّ سويدَ بن أبي كاهلٍ جاور في بني شَيبان، فأساءوا جِواره، وأخذوا / شيئاً من مالِه غصباً، فانتقل عنهم وهجاهم فأكثَرَ، وكان [١٣/١٠٥] الذي ظلمه وأخذَ مالَه أحدَ بني محلِّم، فقال يهجوهم وإخوتَهم بني أبي ربيعة:

حَشَـر الإلـه مـع القُـرودِ محلِّمـا   وأبـا ربيعـة ألأمَ الأقـوامِ
فـلأُهـدِيـنَّ مـع الـرِّيـاحِ قصيـدة   منِّـي مُغلغَلـةً[٢] إلـى هَمّـامِ
الظـاعنيـن علـى العمـى قُـدّامهـم   والنـازليـن بِشـرِّ دار مُقـامِ[٣]
والـوارِديـن إذا الميـاه تُقُسِّمـت   نُـزُحَ الـرَّكـيِّ وعـاتِـمَ الأسـدامِ[٤]

وقال يهجو بني شيبان:

لعمـرِي لبئـس الحـيُّ شيبـانُ إنْ عـلا   عُنيـزةَ يـومٌ ذو أهـابِـيَّ أغبـرُ[٥]
فلمـا التَقـوا بـالمشـرفيـةِ ذَبـذبـت   مـولِّيـةً أستـاهُ[٦] شيبـانَ تقطُـرُ

يعني يوم عنيزة، وكان لبني تغلب على بني شيبان، وفيه يقول مهلهِل:

كـأنّـا غُـدوةً وبنـي أبينـا   بجنـب عُنيـزةٍ رَحَيـا مُـديـرِ[٧]

وقال أيضاً:

فـأدُّوا إلـى بهـراءَ فيكـم بنـاتِـهِ   وأبنـاءه إنّ القضـاعـيَّ أحمـرُ

يعير بني شيبان لأن بهراء ردت نساءهم حبالي بعد الأسر

كانت بهراء أغارت على بني شيبان، فأخذوا منهم نساء، واستاقوا نَعَما[٨]، ثمّ إنهم اشتروا منهم النِّساء وردُّوهنّ[٩]، فعيرهم سُويد بأنهم رُددنَ حَبالى، فقال:

[١٣/١٠٦] / ظَلِلـن يُنـازَعـنَ العضـاريـطَ أُزْرَهـا   وشيبـانُ وسـطَ القُطُقطـانـةِ حُضّـرُ[١٠]
فمنـا يـزيـدٌ إذ تحـدَّى جُمـوعَكـم   فلـم تُفـرِحـوهُ[١١]، المـرزُبـان المسـوَّرُ

ـ يزيد: رجل من يشكر، برز يوم ذِي قارٍ إلى أسوارٍ، وحمل على بني شيبان، فانكشفوا من بينِ يديه ـ

---

(١) الحرمازي من الحرمزة، وهي الذكاء. وبنو الحرمازحي.
(٢) المغلغلة: المحمولة السائرة من بلد إلى بلد.
(٣) الظاعنون: المسافرون.
(٤) نزح: جمع نزوح، وهي البئر التي نفد ماؤها. الركي جمع ركية: البئر. والعاتم: المحتبس البطيء. والأسدام جمع سدم، وهو الماء المندفن.
(٥) ذو أهابيّ: ذو تراب مثار.
(٦) الأستاه: جمع است وسته بفتح وسكون ويحرك، وهي العجز أو حلقة الدبر.
(٧) الغدوة بالضم: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداة والغدية.
(٨) النعم: الإبل والشاء، أو هو خاص بالإبل.
(٩) في ط: «ردوهم».
(١٠) العضاريط: الأتباع والأجراء. والقطقطانة: موضع كان سجن النعمان بن المنذر.
(١١) أفرحوه: غلبوه. والمرزبان: الفارس الشجاع المقدم على القوم، ويقال للأسد أيضاً مرزبان. والمسور: المرتفع.

فاعترضه اليشكريُّ دونَهم، فقتَلَه، وعادت شيبانُ إلى موقفها، ففخر بذلك عليهم، فقال:

١٣٧/١١

وأحجمتُم حتّى علاهُ بصارمٍ حسامٍ إذا مَسَّ الضَّريبةَ يبتُر[1] /

ومنّا الذي أوصى بثُلثِ تُراثِه على كلِّ ذي باعٍ بِقلٍّ ويكثر

ليالي قُلتم يا ابنَ حِلِّزةَ ارتحِلْ فزابِن لنا الأعداءَ واسمَعْ وأبصِر[2]

فأدَّى إليكم رهنكم وسطَ وائلٍ حباه بها ذُو الباعِ عمرُو بنُ منذرِ

يعني الحارث بن حلِّزة، لما خطبه دون بكرِ بنِ وائلٍ حتى ارتجع رهائنهم. وقد ذكر خبره في ذلك في موضعه.

بنو شيبان تستعدي عامر بن مسعود على سويد وقيس تتعصب له

قال: فاستعدت بنو شيبان عليهِ عامر بن مسعودِ الجمحِي، وكان والي الكوفةِ، فدعا بهِ، فتوعَّده، وأمره بالكفِّ عنهم بعد أن كان قد أمر بحبسه، فتعصَّبت له قيس، وقامت بأمره حتى تخلَّصَتْه، فقال في ذلك:

يكفُّ لساني عامرٌ وكأنّما يكفُّ لساناً فيه صابٌ وعلقم[3]

[١٣/١٠٧] / أتتركُ أولادَ البغايا وغِيبتي وتحبِسُني عنهم ولا أتكلَّمُ

ألم تعلموا أنّي سويدٌ وأنّني إذا لم أجد مُستأخَراً أتقدَّمُ

حسِبتُمْ هِجائي إذ بَطِنتم غنيمةً عليَّ دماءُ البُدْنِ إن لم تَندَّموا[4]

سويد وابن الغبري يتهاجيان ثم يهربان لما طلبهما عبد الله بن عامر وعامل الصدقة يحبسهما وبنو حمال يفكون ابن الغبري

قال الحرمازي في خبره هذا: وهاجى سويد بن أبي كاهل حاضر بن سلمة الغبرِي، فطلبهما عبدُ الله بن عامرِ بن كريزٍ، فهربا من البصرة، ثم هاجى الأعرج أخا بني حَمّالِ بن يشكر، فأخذهما صاحبُ الصدقة، وذلك في أيّام ولايةِ عامر بن مسعودِ الجمحِي الكوفةَ، فحبسهما، وأمر أن لا يخرجا من السِّجن حتّى يؤديا مائةً من الإبل، فخاف بنو حَمّالٍ على صاحبهم ففكُّوه، وبقي سويد، فخذله بنو عبد سعد، وهم قومه، فسأل بني غُبَر، وكان قد هجاهم لما ناقض شاعِرهم، فقال:

ويخذل سويداً قومه

مَن سَرَّه النَّيكُ بغير مالِ فالغُبَريّاتُ على طِحالِ[5]

* شواغر يُلْمِعن للقُفّالِ[6] *

(١) الضريبة: المضروب بالسيف.

(٢) زابن: دافع.

(٣) الصاب: جمع صابة: شجر مر. والعلقم: الحنظل، وكل شيء مر.

(٤) بطنتم، يقال بطن بالكسر: عظم بطنه من الشبع. ورجل مبطان: كثير الأكل ورجل بطن: لا هم له إلا بطنه. وبطن الرجل بالبناء للمفعول: اشتكى بطنه.

(٥) طحال، بالكسر: موضع.

(٦) الشواغر: المرفوعة أرجلها للنكاح. والإلماع: الإشارة. والقفال: الراجعون من السفر.

عبس وذبيان تستوهبه لمديحه لهم وإطلاقه بغير فداء

فلما سأل بني غُبَر، قالوا له: يا سويد «ضيعت البِكار بطِحالٍ» فأرسلوها مثلاً. أي إنك عَمَمت جماعتَنا بالهجاء في هذه الأرجوزة، فضاع منك ما قدّرت أنّا نفدِيك به من الإبل. فلم يزل محبوساً حتى استوهبَتْه عبسٌ وذبيان لمديحه لهم، وانتمائه إليهم، فأطلقوه بغير فداء.

[١٠٨/١٣]

/ صـوت

أَخِضْنـي المُقـامَ الغَمْـر إنْ كـان غَـرَّني ... سَنَـا خُلَّـبٍ أو زلّـتِ القـدمـان(١)

أَتتـركُنـي جَـذْبَ المعيشـةِ مقفِـرا ... وكَفّـاك مِـن مـاء النَّـدَى تَكِفـانِ(٢)

الشعر للعَتّابي، والغناء لمُخارِق، ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وقيل: إن فيه للواثِق ثانيَ ثقيلٍ آخر.



(١) الغمر: الغزير. والخلب: البرق الذي لا يعقبه مطر؛ وهو المطمع.
(٢) تكفان: تقطران ماء غزيراً.

[١٣/١٠٩]

/ أخبار العتابي ونسبه

٢/١٢

هو كُلثوم بن عمرو بن أيوب بن عُبيد بن حُبَيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر، وهو ابن مالكِ عتاب بن سعدِ بن زُهيرِ بنِ جُشَم بن بكر بن حبيب بن عَمرو بن غَنْم بن تغلب. شاعر مترسّل بليغ مطبوع، متصرّف في فنون الشّعر ومقدَّم. من شعراء الدولة العباسيةِ، ومنصور النَّمَريّ تلميذه وراويته، وكان منقطِعاً إلى البرامكة، فوصَفُوه للرّشيد، ووصلوه به، فبلغ عنده كلَّ مَبْلغ، وعظُمت فوائدهُ منه، ثم فسدت الحال بينه وبين منصورٍ وتباعدت. وأخبار ذلك تُذكَر في مواضعها.

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدّثني جعفر بن المفضَّلِ، عن رجل من ولد إبراهيم الحرّاني[١]، قال: كثُر الشّعراء بباب المأمونِ، فأوذِن بهم، فقال لعليِّ بنِ صالحٍ صاحبِ المصلَّى: أعرِضْهم، فمن كان منهم مُجيداً فأوصِله إليّ، ومن كان غيرَ مُجيدٍ فاصرِفْه. وصادف ذلك شُغْلاً من عليِّ بن صالحٍ كان يريد أن يتشاغلَ به عن أمرِ نفسه، فقام مغضَباً، وقال: والله لأعمَّنَّهم بالحِرمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون[٢] على القُرب منه، فقال لهم: على رِسلِكم فإنَّ المدى أقربُ من ذلك، هل فيكم مَن يُحسِن أن يقول كما قال أخوكم العتابيّ:

ماذا عسى مادحٌ يثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
فُتَّ الممادحَ إلاّ أنَّ ألسنَنا ... مُستنطَقات بما تحوى الضَّمائر

[١٣/١١٠] / قالوا: لا والله ما بنا أحدٌ يُحسِن أن يقولَ مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً.

قيل في شعر العتابيّ تكلف ونفاه آخرون

٣/١٢ / أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أبو بكرٍ أحمد بن سهلٍ، قال: تذاكرنا شِعر العتّابيّ، فقال بعضُنا: فيه تكلُّف، ونصَرَه بعضُنا، فقال شيخٌ حاضر: وَيْحكم أيقال إن في شعره تكلفاً؟ وهو القائل:

رُسُل الضَّمير إليك تَتْرَى ... بالشّوق ظالعة وحَسْرَى[٣]
متزَجِّياتٍ ما يَنِيـ ... ـنَ على الوَجَى من بُعدِ مَسْرَى[٤]
ما جَفَّ للعينين بعـ ... ـدك يا قريرَ العينِ مَجْرى
فاسلَمْ سَلِمت مبرَّأً ... مِن صَبْوتي أبداً مُعرًّى[٥]

---

(١) حران: مدينة عظيمة مشهورة بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، على طريق الموصل والشام. وقيل إنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان. وحراني: منسوب إليها، ويقال حرناني على غير قياس.

(٢) يتغالبون: يتدافعون ويتسابقون.

(٣) ظالعة: ظلع السائر: غمز في مشيته وظهر عرجه. الحسرى: المتعبة المعياة، من حسر كضرب وخرج: تعب وأعيا.

(٤) المتزجيات: المنساقة. ما ينين: ما يبطئن ولا يفترن. والوجى: الحفا.

(٥) الصبوة: جهلة الفتوة.

إن الصَّبابةَ لم تَدَعْ ... مِنّي سِوى عظمٍ مُبَرّى(١)
ومدامعٍ عَبْرَى على ... كَبِدٍ عليك الدّهرَ حَرّى(٢)

- في هذين البيتين غناء - أو يقال: إنه متكلّف؟ وهو الذي يقول:

فلو كان للشكرِ شخصٌ يَبِينُ ... إذَا ما تأمّلَه النّاظرُ
لمثَّلتُه لك حتّى تراه ... لِتعلمَ أنّي امرؤٌ شاكرُ

رذاذ يضع لحناً

الغناء في هذين البيتين لأبي العُبَيْس، ثقيل أوّل، ولِرذاذٍ خفيف ثقيل. فحدّثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النوبجيّ عن أبي الحسنِ عليّ بن العباس وغيره من أهلهِ قالوا: لما صنع رَذاذ لحنَه في هذا الشعرِ:

* فلو كان للشُّكر شخصٌ يبين *

/ أبو العبيس يسقط لحن رذاذ [١١١/١٣]

فُتِن به الناس، وكان هِجّيراهم زماناً(٣)، حتى صنع أبو العَبيسِ فيه الثّقيل الأول، فأسقط لحن رذاذٍ وغلب عليه.

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن محمدِ بنِ يزيد، قالوا جميعاً:

المأمون يكتب في إشخاص العتابيّ

كتب المأمون في إشخاصِ كلثوم بن عمروٍ العتابي، فلما دخل عليه قال له: يا كلثوم، بلغتني وفاتُك فساءتني، ثم بلغتني وِفادتُك فسرّتْني. فقال له العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قسمت هاتانِ الكلمتانِ على أهلِ الأرضِ لوسِعتاها فضلاً وإنعاماً، وقد خَصَصتني منهما بما لا يتّسِع له أُمنِية، ولا يبسط لسواه أمَل، لأنه لا دِين إلاّ بِك، ولا دنيا إلا معك. فقال له: سلنِي. فقال: يدك بالعطاء أطلَقُ مِن لساني بالسُّؤال. فوصله صلاتٍ سنية، وبلغ به من التقديم والإكرامِ أعلى مَحَلّ.

وذكر أحمد بن أبي طاهرٍ عن عبدِ الله بنِ أبي سعدِ الكُرّاني، أنّ عبد الله بن سعِيدِ بن زرارة، حدّثه عن محمدِ بن إبراهيم اليساري، قال:

المأمون يداعب العتابي

لما قدم العَتّابي مدينةَ السلام على المأمون، أذِن له، فدخل عليه وعنده إسحاقُ بن إبراهيم الموصلي، وكان العتّابي شيخاً جليلاً نبيلاً، فسلَّم فردَّ عليه وأدناه، وقرّبه حتّى قرب منه، فقبّل يده: ثم أمره بالجلوس فجلَس، وأقبل عليه يسائِلُه عن حاله، وهو يجيبه بلسان ذَلَق طَلَقٍ، فاستظرف المأمونُ ذلك، وأقبل عليه بالمداعبةِ والمِزاح، فظنّ الشّيخ أنّه استخفّ به، فقال: يا أمير المؤمنين: الإيناس قبل الإبساسِ(٤).

---

(١) المبرى: المهزول المنحوت.

(٢) الحرّى: المحترقة.

(٣) هجيراهم بكسر الأوّل والثاني مع تشديده: دأبهم وشأنهم.

(٤) الإبساس: أن يمسح ضرع الناقة يسكنها لتدر. والمراد الاطمئنان قبل المداعبة.

إسحاق بن إبراهيم يعارض العتابي

[١٣/١١٢] فاشتبه على المأمون قولُه، فنظر إلى إسحاقَ مستفهماً، فأومأ إليه، وغمزه على معناه[1] حتّى / فهم، فقال: يا غلام، ألف دينارٍ! فأُتِي بذاك، فوضعه بين يدي العتّابي، وأخذوا في الحديث، وغمز المأمونُ إسحاق بن إبراهيم عليه، فجعل العتابي / لا يأخذ في شيءٍ إلاّ عارضَه فيه إسحاق، فبقي العتّابيّ متعجّباً، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتأذَنُ لي في سؤالِ هذا الشيخ عن اسمه؟ قال: نعم، سل. فقال لإسحاق: يا شيخ من أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا مِن الناس، واسمِي كلُ بَصَلْ. فتبسم العتابي وقال: أمّا أنت فمعروف، وأما الاسم فمنكَر. فقال إسحاق: ما أقل إنصافك، أتنكر أن يكون اسمي كُلْ بصل؟ واسمك كُلْ ثُوم، وكُلْ ثُومْ من الأسماء، أو ليس البصل أطيب من الثُّوم؟ فقال له العتّابي: لله درُّك، ما أحجَّك[2]، أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أصِلَه بما وصَلتني به؟ فقال له المأمون: بل ذلك موَفَّر عليك ونأمُرُ له بمثله. ٤/١٢

مصادقة العتابي لإسحاق

فقال له إسحاق: أمّا إذا أقررت بهذا، فتوهَّمْنِي تجِدْني، فقال: ما أظنُّك إلا إسحاقَ الموصليّ، الذي تناهى إلينا خبرُه، قال: أنا حيث ظننت. وأقبَلَ عليه بالتحيّة والسلام، فقال المأمون، وقد طال الحديث بينهما: أمّا إذ قد اتّفقتُما على المودّة، فانصرِفَا متنادِمَين. فانصرف العتّابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

إعجاب عبد الله بن طاهر بشعر العتابي

وذكر أحمد بن طاهرٍ أيضاً أنّ مسعود بن عيسى العبدِيّ، حدّثه عن موسى بنِ عبد اللهِ التميمي، قال: وفد إلى عبد الله بنِ طاهرٍ جَمْعٌ من الشُّعراء، فعَلِم أنهم على بابِه، فقال لخادمٍ له أديبٍ: أخرج إلى القومِ، وقل لهم: مَن كان مِنكم يقول كما قال العتّابيُّ للرّشيد:

مُستنبِـط عَـزَمـاتِ القلـبِ مِـن فِكَـرٍ ... مـا بينهـن وبيـن اللهِ معمـورُ[3]

فليدخُلْ، وليعلم أنّي إن وجدتُه مقصِّراً عن ذلك حَرَمْتُه، فمن وثِقَ من نفسه أنه يقول مِثْلَ هذا فليقم. قال: فدخلوا جميعاً إلاّ أربعةَ نفرٍ.

[١٣/١١٣] / جوائز الرشيد وسرور العتابي بما خلع عليه

أخبرني الحسن بن علي قال، حدّثنا محمد بن القاسِم بن مهرويه، قال: حدّثنا عبد الله بن سعدٍ عن إبراهيم بنِ الحدينِ، قال: وَجِد[4] الرّشيد على العتّابي، فدخل سِرًّا مع المتظلّمين بغيرِ إذنٍ، فَمَثل بين يَدي الرشيد، وقال له: يا أمير المؤمنين، قد آذتني الناس لك ولنفسِي فيك، وردّني ابتلاؤُهم إلى شكرك، وما مع تذكُّرك قناعةٌ بغيرك، ولنِعم الصّائِن لِنفسِي كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفي ذلك أقول:

أخِضْنِـي المَقـام الغَمـرَ إن كـان غـرّنـي ... سنـا خُلّـبٍ أو زلّـتِ القـدمـان[5]
أتتـركُنـي جَـدبَ المعيشـةِ مُقْتِـراً ... وكفّـاك مـن مـاء النـدى تَكِفـان
وتجعلُنـي سَهْـمَ المَطـامـع بعـد مـا ... بَلَلْـت يمينـي بـالنّـدَى ولسـانـي

قال: فأعجَب الرّشيدَ قولُه، وخرج عليه الخِلَعُ، وقد أمر له بجائزةٍ، فما رأيتُ العتّابي قطُّ أبسط منه يومئذٍ.

---

(١) غمزه على معناه: أشار. (٢) ما أحجك: ما أكبر حجتك. (٣) المستنبط: المستخرج. (٤) وجد: غضب.
(٥) الغمر: الماء الكثير. سنا حلب: ضوء البرق الذي لا يعقبه مطر.

بشار يحقد على إجادة العتابي

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدّثنا أحمد بن خلادٍ، قال: حدّثني أبي، قال: جاء العتّابي وهو حَدَثٌ إلى بشّارٍ، فأنشده:

أيَصدِفُ عن أمامةَ أم يُقيمُ ... وعهدُك بالصِّبا عهدٌ قديمُ
أقولُ لِمُستعارِ القَلبِ عَفَّى ... على عَزَماتِه السَّيرُ العديمُ (1)
أما يكفيكَ أنّ دموعَ عيني ... شآبيبٌ يفيضُ بها الهمومُ (2)
أشِيمُ فلا أردُّ الطرفَ إلاّ ... على أرجائِه ماءٌ سَجُومُ (3)

قال: فمدّ بشّارٌ يدَه إليه: ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم. قال: عجباً لبصيرِ ابن زانيةٍ، أن يقول هذا / الشّعر. فخجِل العتابي وقام عنه. ٥/١٢

العتابي ويحيى بن خالد

/ أخبرني محمد بن يونس الأنباري الكاتب، قال: حدثني الحسن بن يحيى أبو الحمار عن إسحاق، قال: [١١٤/١٣]

كلّم العتّابيُّ يحيى بنِ خالد في حاجةٍ بكلماتٍ قليلةٍ، فقال له يحيى: لقد نَدَرَ كلامُك اليومَ وقلّ. فقال له: وكيف لا يقلّ وقد تكتَفَني ذُلُّ المسألة، وحَيرة الطّلَب، وخَوفُ الردّ؟! فقال: والله لئن قلّ كلامُك لقد كثرت فوائدُه. وقضى حاجته.

سخرية العتابي من الناس

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثنا عثمان الورّاق، قال:

رأيتُ العتّابي يأكلُ خبزاً على الطّريقِ بباب الشام، فقلت له: ويحك، أمَا تستحي؟ فقال لي: أرأيتَ لو كنّا في دارٍ فيها بقَر، كنت تستحي وتحتشِم أن تأكل وهي تراك؟ فقال: لا. قال: فاصبِرْ حتى أُعلِمَك أنّهم بقَر. فقام فوعظ وقصّ ودعا، حتّى كثُر الزِّحام عليه، ثم قال لهم: رَوَى لنا غيرُ واحدٍ، أنّه من بلغ لسانُه أرنبةَ أنفِهِ لم يدخُل النّار. فما بقي واحدٌ إلاّ وأخرج لِسانَه يومِىء به نحو أرنبةِ أنفِهِ، ويقدِّره حتّى يبلغها أم لا. فلما تفرقوا، قال لي العتّابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟

إعجاب يحيى البرمكي بالعتابي

أخبرني الحسن حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أبو عصامٍ محمد بن العباس، قال: قال يحيى بن خالد البرمكي لولده: إن قدرتُم أن تكتبوا أنفاسَ كلثوم بن عمروٍ العتابي، فضلاً عن رسائله وشعره، فلن ترَوْا أبداً مثله.

كتاب للعتابي

أخبرني أبي، قال: أخبرنا الحارث بن محمدٍ عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الخرّاز عن ابنِ الأعرابي، قال:

---

(١) عفي: طمس.
(٢) الشابيب: المياه المنصبة، جمع شؤبوب.
(٣) أشيم: أنظر، وأصله أن يشيم البرق ينظر أين يقصد وأين يمطر. السجوم: الكثير.

[١١٥/١٣] / أنكر العتابي على صديقٍ له شيئاً، فكتب إليه: «إما إن تقرّ بذنبك فيكون إقرارُك حجّةً علينا في العفو عنك، وإلاّ فطِب نفساً بالانتصافِ منك، فإنّ الشاعر يقول:

أقْـرِرْ بـذَنـبـك ثـمّ اطلـبْ تجـاوُزَنـا عنـه فـإن جحـودَ الـذّنـب ذنبـان».

يحيى بن أكثم يستأذن المأمون للعتابي

أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا ابن مهرويه، قال: حدّثني عبد الواحد بن محمدٍ، قال:

وقف العتّابيّ بباب المأمونِ يلتمس الوصولَ إليه، فصادف يحيى بن أكثم جالساً ينتظر الإذن، فقال له: إن رأيتَ - أعزك الله - أن تذكُرَ أمري لأمير المؤمنين إذا دخلتَ فافعل. قال له: لستُ - أعزّك الله - بحاجِبه. قال: فإن لم تكنْ حاجباً فقد يفعلِ مثلُك ما سألت، واعلم أنّ الله - عزّ وجلّ - جعل في كل شيءٍ زكاة، وجعل زكاةَ المالِ رَفد[١] المستعين، وزكاةَ الجاهِ إغاثةَ الملهوف. واعلم أنّ الله - عزّ وجلّ - مقبل عليك بالزيادة إنّ شكرت، أو التغييرِ إن كفَرت، وإنّي لك اليوم[٢] أصلَحُ منك لنفسك، لأنّي أدعُوك إلى ازديادِ نعمتِك، وأنت تأبى. فقال له يحيى: أفعَلُ وكرامةً. وخرج الإذن ليحيى، فلما دخل، لم يبدأ بشيءٍ بعد السلام إلاّ أن استأذن[٣] المأمونَ للعتابي، فأذِن له.

كلمتان للعتابي

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أبو الشِّبل، قال:

قال العتابي لرجلٍ اعتذَرَ إليه: إنّي إن لم أقبل عُذرَك لكنتُ ألأمَ منك، وقد قبلتُ عذرك، فدُمْ على لَومِ نفسك في جنايتك، نزدْ في قبول عُذرك، والتّجافِي عن هفوتك.

[١١٦/١٣] / قال: وقيل له لو تزوّجت! فقال: إنّي وجدتُ مكابدةَ العِفّةِ أيسَرَ عليّ من الاحتيالِ لِمصلحةِ العِيالِ.

تقدير المأمون للعتابي وإكرامه لما أسنّ

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: قال جعفر بن المفضل؛ قال لي أبي:

رأيت العتّابيّ جالساً بين يدي المأمونِ وقد أسنَّ، فلما أراد القيام قام المأمون فأخَذَ بيده، واعتمد الشّيخ على المأمون، / فما زال يُنهِضُه رويداً رويداً حتّى أقلّه فنهض، فعجِبت[٤] من ذلك، وقلتُ لِبعضِ الخدم: ما أسوأ أدبَ هذا الشيخ، فمن هو؟ قال: العتابي. [٦/١٢]

دعبل وابن مهرويه يحسدانه ويحقدان عليه

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن الأشعثِ، قال: قال دعبل: ما حسَدتُ أحداً قطُّ على شِعرٍ كما حسَدت العتّابي على قوله:

هَيْبَـةُ الإخـوان قـاطِعـةٌ لأخـي الحـاجـاتِ عـن طَلَبـه

فـإذا مـا هِبـتُ ذا أمَـلٍ مـات مـا أمّلـت مـن سَبَبـه[٥]

---

(١) رفد: إعطاء وصلة.

(٢) في حـ: «الك منذ اليوم».

(٣) في حـ «أذن» وهو تحريف.

(٤) في الأصل: «فعجب»، والسياق يقتضي «فعجبت».

(٥) السبب: الوسيلة، والمودة.

قال ابن مهرويه: هذا سرقه العتّابي من قولِ عليٍّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: «الهَيبة مقرونة بالخَيبة، والحياءُ مقرونٌ بالحِرمان، والفُرصة تمرُّ مَرَّ السحاب».

حدّثني محمد بن داود، عن أبي الأزهرِ، عن عيسى بن الحسن بن داود الجعفري عن أخيه عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بذلك.

عبد الله بن طاهر يجيزه ثلاث مرات وينعم عليه بخلعة سنية بعد إنشاده

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه عن أبي الشُّبل. قال:

دخل العتّابي على عبد الله بن طاهر، فمثل بين يديه، وأنشده:

حُسـن ظنّـي وحسـنُ مـا عـوّدَ اللـ ـهُ سِـواي[1] منـك الغـداةَ أتـى بـي

/ أيُّ شـيءٍ يكـون أحسـنَ مِـن حُسـ ـنِ يقيـنٍ[2] حـدا إليـك رِكـابـي [١١٧/١٣]

قال: فأمر له بجائزةٍ، ثم دخل عليهِ من الغد، فأنشده:

ودكَّ يكفِينِيـك فـي حـاجتـي ورؤيتـي كـافيـةٌ عـن سـؤالْ

وكيـف أخشَـى الفقـر مـا عِشـتَ لِـي وإنَّمـا[3] كفّـاك لـي بيـت مـالْ

فأمر له بجائزةٍ، ثم دخل في اليوم الثالثِ، فأنشده:

بَهجـات الثِّيـابِ يُخلِقهـا[4] الـدّهـ ـرُ وثـوبُ الثّنـاءِ غـضٌ جـديـدُ

فـاكسُنِـي مـا يَبِيـد أصلحَـكَ اللـ ـهُ فـالله يكسُـوك مـا لا يبيـدُ

فأمر له بجائزةٍ، وأنعم عليه بخِلْعةٍ سنِيّةٍ.

العتابي وطوق ابن مالك

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو دِعامة، قال:

قال طوق بن مالكٍ للعتابي: أمَا تَرَى عشيرتَك؟ ـ يعني بني تغلب ـ كيف تُدِلُّ علي، وتتمرغ وتستطيل، وأنا أصبِر عليهم؟! فقال العتابي: أيُّها الأمير، إنّ عشيرَك مَن أحسَنَ عِشرتَك[5]، وإنّ عمَّك من عمَّك خيرُه، وإنّ قريبَك من قرُب منك نفعُه، وإنّ أخفَّ الناسِ عندك[6] أخفُّهم ثِقْلاً عليك، وأنا الذي أقول:

إنِّـي بلـوتُ النّـاسَ فـي حـالاتهـم وخَبَـرتُ مـا وصلـوا مـن الأسبـابِ

فـإذا القـرابـةُ لا تقـرِّبُ قـاطعـاً وإذا المـودّةُ أقـربُ مـن الأنسـابِ

/ **شكوى التمري للعتابي إلى طاهر بن الحسين وإصلاحه ما بينهما** [١١٨/١٣]

أخبرني إسماعيل بن يونسَ الشيعي، قال حدثنا الرياشي، قال:

---

(١) في حـ، س: «سوائي».
(٢) في حـ: «ظن».
(٣) هذا ما في حـ، وفي سائر الأصول: «وهذه».
(٤) يخلقها: يبليها.
(٥) في كل الأصول: «عشرتك».
(٦) في حـ: «عليك».

شكا منصور النمريُّ العتّابيَّ إلى طاهرِ بن الحسينِ، فوجّه طاهر إلى العتّابيّ، فأحضره، وأخفى منصوراً في بيتٍ قريبٍ منهما، وسألَ طاهرٌ العتّابي أن يصالحه، فشكا سوءَ فِعلِه به، فسأله أن يَصفَح عنه، فقال: لا يستحِقُّ ذلك. فأمر منصوراً بالخروج، فخرج وقال للعتابيّ، لم لا أستحِقُّ هذا منك؟ فأنشأ العتابيُّ يقول:

٧/١٢

/ أصْحَبْتُكَ الفضلَ إذ لا أنتَ تعرِفُه ... حقّاً ولا لكَ في استِصحابِه أرَبُ

لم تَرتَبِطْك على وصلِي محافظَةٌ ... ولا أعاذَكَ مما اغتالكَ الأدَبُ

ما مِن جَميلٍ ولا عُرفٍ نطقتَ به ... إلا إليَّ وإن أنكرتَ ينتسِبُ

قال: فأصلح طاهرٌ بينهما ـ وكان منصور من تعليم العتابي وتخريجه(١) ـ وأمر طاهر للعتابي بثلاثين ألف دِرهم.

أخبرني عمر عن عبدِ الله بنِ أبي سعدٍ عن الحسين بن يحيى الفِهري عن العباس بن أبي ربيعة السلمي، قال: شكا منصور النمري كلثومَ بن عمروٍ العتابي إلى طاهرٍ. ثم ذكر مِثله.

العتابي يفضل العلم والأدب على المال

أخبرني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب، قال: حدّثني أبو هفان، قال:

كان العتّابيُّ جالساً ذاتَ يوم ينظُر في كتابٍ، فمرَّ به بعضُ جيرانِه، فقال: أيشٍ ينفَعُ العِلمُ والأدب مَن لا مال له؟ فأنشدَ العتّابي يقول:

[١١٩/١٣]

/ يا قاتلَ اللهُ أقواماً إذا ثَقِفوا ... ذا اللبِّ ينظر في الآداب والحكم(٢)

قالوا وليس بِهِم إلّا نفاستُهُ ... أنافعٌ ذا مِنَ الإقتار والعَدَمِ(٣)

وليس يَدْرُون أنّ الحظَّ ما حُرِموا ... لحاهم الله، مِنْ عِلمٍ ومِن فَهَمِ(٤)

قول العتابي في عزل طاهر بن علي

أخبرني علي بن صالح وعمي، قالا: حدثنا أحمد بن طاهرٍ، قال: حدّثنا أبو حيدرة الأسدي، قال:

قال العتابيُّ في عزل طاهر بن علي، وكان عدوَّه:

يا صاحباً متلوِّنا ... متبايناً فِعلي وفعلُه

ما إنْ أحِبُّ له الرّدَى ... ويَسُرُّني واللهِ عزلُهُ

لم تَعْدُ فيما قلتَ لي ... وفعلتَ بي ما أنت أهلُهُ

كم شاغلٍ بك عَدْوَتَيه ... وفارغٌ مَنْ أنت شُغلُهُ(٥)

أخبرني أحمد بن الفرج، قال: حدّثني أحمد بن يحيى بن عطاءٍ الحراني عن عبيد الله بن عمارٍ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ، قال: حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج، قال:

---

(١) من تعليم العتابي: أي من تلاميذه.

(٢) في الأصل: «نفقوا»، وهو تحريف. ويقال ثقف الرجل الرجل: ظفر به ووجده.

(٣) النفاسة: الحسد. والإقتار: القلة والفاقة. ومثله العدم.

(٤) الفهم، بالتحريك: الفهم، ومثلهما الفهامة.

(٥) العدوتان: جانبا الوادي. يريد: إن كثيراً يشغلون أنفسهم بك في الآفاق ولكن من يشغل نفسه بك فارغ لا ينال شيئاً. وفي الأصل: «ما أنت».

مدحه جعفراً لما أمنه عند الرشيد

لمّا سعى منصورٌ النمريُّ بالعتابيّ إلى الرشيد اغتاظ عليه، فطلبه، فستره جعفر بن يحيى عنه مدّة، وجعل يستعطفُه عليه، حتّى استَلّ ما في نفسه، وأمّنه، فقال يمدح جعفر بن يحيى:

ما زلتُ في غَمَرات[1] الموتِ مُطَّرَحاً ... قد ضاق عني فسيحُ الأرضِ مِن حِيَلي

ولم تَزلْ دائباً تَسعَى بلُطْفِك لي ... حتّى اختلست حياتي من يدَيْ أجلي

عودة عبد الله بن طاهر له في مرضه

/ أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن خلادٍ عن أبيه، قال: [١٣/١٢٠]

عاد عبد الله بن طاهرٍ وإسحق بن إبراهيم بنِ مصعب، كلثومَ بن عمرو العتابيَّ، في عِلّةٍ اعتلّها، فقال الناس: هذه خَطْرةٌ خطرَتْ! فبلغ ذلك العتابيَّ، فكتب إلى عبدِ اللهِ بنِ طاهر:

قالوا الزِّيارةُ خَطرةٌ خطرَتْ ... ونِجارُ بِرِّك ليس بالخَطْرِ[2]

أبطِلْ مقالَتَهم بثانيةٍ ... تستنفد المعروفَ من شُكري

فلما بلغت أبياتهُ عبد الله بن طاهرٍ ضحِك من قوله، وركب هو وإسحاقُ بن إبراهيم، فعاداه مرة ثانية.

عبدالله بن هشام التغلبي يصله بعد العتب والكتابة إليه

أخبرني الحسين بن القاسم الكواكبي، قال: حدّثني / أبو العيناءِ، قال: حدّثني أبو العلاءِ المعري[3]، قال: ٨/١٢

عتب عبد اللهِ بن هشامِ بنِ بسطامٍ التّغلبي على كُلثومِ بنِ عمروٍ التغلبيّ في شيءٍ بلغَه عنه، فكتب إليه:

صوت

لقد سُمْتَني الهِجرانَ حتى أذقتَني ... عقوباتِ زَلّاتي وسُوءِ مناقبي

فها أنا ساعٍ في هواكَ وصابرٌ ... على حدِّ مصقولِ الغِرارينِ قاضبِ[4]

ومنصرف عما كرهتَ وجاعلٌ ... رِضاك مِثالاً بين عيني وحاجبي

قال: فرضي عنه، ووصله صلةً سنيّة.

/ الغناء في هذه الأبيات لسعيد مولى فائدٍ، ثاني ثقيلٍ بالبِنصر، عن يحيى المكي، وذكر الهِشامي أنه منحول يحيى، وذكر أحمد بن المكي في كتابه، أنّه لأبي سعيد، وجعله في باب الثقيل الأوّل بالبِنصر، ولعله على مذهب إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله. [١٣/١٢١]

ربيعة تقتل واحداً من فزارة في خفارته فاستعدى القيسي الحاكم على ربيعة

أخبرني الحسين بن القاسم، قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن يونس السراج، قال: أخبرني الحسين بن داود الفزاري عن أبيه، قال:

---

(١) الغمرات: جمع غمرة، وهي الشدة.

(٢) النجار: الأصل. وفي النسخ: «وبحار».

(٣) هذا غير الشاعر المعروف المتوفي سنة ٤٤٩.

(٤) الغراران: الحدان. والقاضب: القاطع.

كان أخوانِ من فَزارة يخفُرانِ قريةً بين آمِد وسُمَيساط، يقال لها تلّ حُوم، فطال مقامهما بها حتّى أثريا، فحسدهما قومٌ من ربيعة، وقالوا: يخفران هذان الضياع في بلدنا! فجمعوا لهما جمعاً، وساروا إليهما، فقاتلوهما، فقُتِل أحدهما، وعلى الجزيرة يومئذٍ عبد الملك بن صالح الهاشمي، فشكا القيسيُّ أمرَه إلى وجوه قيس، وعرَّفهم قتل رَبيعة أخاه، وأخْذَهم مالَه. فقالوا له: إذا جلس الأميرُ فادخل إليه. ففعل ذلك، ودخل على عبدِ الملك، وشكا ما لحِقه، ثم قال له: وحَسْبُ الأميرِ أنّهم لما قتلوا أخي وأخذوا مالي قال قائلٌ منهم:

اشـربـا مـا شـربتُمـا إنّ قيسـاً ... مِـن قتيـلٍ وهـالـكٍ وأسيـرِ

لا يحـوزَنَّ أمـرَنـا مُضَـرِيٌّ ... بخفيـرٍ ولا بغيـرِ خفيـرِ

فقال عبد الملك: أتندبني[١]: إلى العصبية؟ وزبره[٢]، فخرج الرّجل مغموماً، فشكا ذلك إلى وُجوه قيس، فقالوا: لا تُرَع، فوالله لقد قَذفتَها في سويداءِ قلبِه، فعاوِدْه. فعاودَه في المجلس الآخر، فزبَرَه، وقال له قولَه الأوّل، فقال له: إنّي لم آتك / أندُبك للعصبيّة، وإنّما جئتُك مستعدِيا[٣]، فقال له: حدثني كيف فَعلَ القوم؟ فحدَّثه وأنشده، فغضب [١٢٢/١٣] فقال: كَذب[٤] لعمري، ليحوزَنَّها. ثم دعا بأبي عِصمة أحدِ قواده، فقال: اخرُجْ فجرِّدِ السيفَ في ربيعة، فخرج وقتل منها مَقتلةً عظيمةً، فقال كلثوم بن عمرو العتّابيّ قصيدتَه التي أوّلها:

مـاذَا شجـاكَ بحُـوَّاريـن مـن طَلـلٍ ... ودمنـةٍ كشفَـتْ عنهـا الأعـاصيـرُ[٥]

يقول فيها:

هـذي يمينُـك فـي قـربـاك صـائلـةٌ ... وصـارمٌ مـن سيـوف الهنـدِ مشهـورُ

إن كـان منّـا ذَوُو إفـكٍ ومـارقـةٌ ... وعصبـةٌ دِينُهـا العُـدوان والـزُّور

فـإنَّ منّـا الـذي لا يُستَحـثُّ إذا ... حُـثَّ الجِيـادُ وضمّنهـا المضـاميـرُ

مُستنبِـط عَـزَمـاتِ القلـبِ مـن فِكَـر ... مـا بينهـنَّ وبيـن الله معمـورُ

٩/١٢ / يعني عبد الله بن هشامِ بنِ بسطامِ التغلبي، وكان قد أخذ قوّادَهم.

شعر العتابي يجعل عبد الملك يأمر بالكف عن قتال ربيعة

فبلغت القصيدة عبد الملك، فأمر أبا عِصمةَ بالكفِّ عنهم، فلما قدِم الرّشيد الرّافقة أنشده عبدُ الملك القصيدةَ، فقال: لمن هذه؟ فقال: لرجل من بني عتابٍ يقال له كلثوم بن عمروٍ، فقال: وما يمنعه أن يكون ببابنا. فأمر بإشخاصِه من رأسِ[٦] عينٍ، فوافى الرشيدَ وعليه قميصٌ غليظ، وفَروة وخُفّ، وعلى كتفه مِلحفةٌ جافية بغير سراويل، فلما رُفع الخبر بقدُومه أمَرَ الرشيدُ بأن تفرش له حُجرة، وتقامَ له وظيفة، ففعلوا، فكانت المائدة إذا قدِّمت إليه أخذ مِنها رُقاقةً وملحاً وخلَط الملحَ بالتُّرابِ فأكله بها، فإذا كانت وقتُ النوم نام على الأرض والخدم يتفقّدونه، ويتعجبون من / فِعله. [١٢٣/١٣]

---

(١) أتندبني: أتحثني وتدعوني.

(٢) زبره: زجره وانتهره.

(٣) مستعديا: مستنصراً مستعيناً.

(٤) في س: «كذبت» والسياق يقتضي حذف التاء.

(٥) حوارين بضم أوله وتشديد الواو وكسر الراء وياء ساكنة: قرية من قرى حلب. وضبطها في «القاموس» بفتح الحاء. الدمنة: واحدة الدمن، وهي آثار الدار.

(٦) رأس عين: مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين.

الرشيد يأمر بطرده

وسأل الرشيد عنه، فأخبروه بأمره، فأمَر بطرده.

يحيى بن سعيد العقيلي يشتري له دابة توصله إلى رأس عين وقد فضح سعيداً بأفعاله

فخرج حتّى أتي يحيى بنَ سعيد العُقَيلي وهو في منزله، فسلّم عليه، وانتسَبَ له، فرحّب به، وقال له: ارتفعْ. فقال: لم آتِك للجلوس، قال: فما حاجتُك؟ قال: دابّة أبلغُ عليها إلى رأسِ عين، فقال: يا غلام أعطِه الفرسَ الفلانيّ. فقال: لا حاجة لي في ذلك، ولكنْ تأمرُ أن تشتري لي دابة أتبلّغ عليها. فقال لغلامه: امضِ معه فابتعْ له ما يريد. فمضى معه، فعدل به العتّابيُّ إلى سوقِ الحَمير، فقال له: إنّما أمرني أن أبتاع لك دابّة. فقال له: إنّه أرسلك معي، ولم يرسِلني معك، فإن عملت ما أريد وإلا انصرِفْ. فمضى معه فاشترى حماراً بمائةٍ وخمسين درهماً، وقال: ادفع إليه ثمنه، فدفع إليه، فركب الحمار عُرْياً بمرشحةٍ عليه وبرذعةٍ، وساقاه مكشوفتان، فقال له يحيى بن سعيدٍ: فضحتني، أمثلي يحمل مثلَك على هذا؟ فضَحِك، وقال: ما رأيتُ قدرَك يستوجب أكثرَ من ذلك. ومضى إلى رأس عين.

لوم زوجته له وما قال في ذلك

وكانت تحته امرأةٌ من باهلة، فلامته، وقالت: هذا منصورٌ النمريُّ قد أخذ الأموالَ فَحلَّى نساءَه، وبنى دارَه، واشترى ضياعاً، وأنت ها هنا كما ترى! فأنشأ يقول:

تلومُ على تَركِ الغِنى باهليّةٌ ... زَوي الفقرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ[1]

رأتْ حَولها النِّسوانَ يرفُلْنَ في الثَّرا ... مقلّدةً أعناقُها بالقلائدِ[2]

أسَرَّكِ أنّي نلتُ ما نال جعفرٌ ... من العيشِ أو ما نال يَحيى بنُ خالدِ

وأنَّ أميرَ المؤمنين أغَصَّني ... مُغَصَّهما بالمشرِقاتِ البوارِدِ[3]

[١٢٤/١٣] / رأيتُ رفيعاتِ الأمورِ مشوبةً ... بِمستودَعاتٍ في بُطونِ الأساوِدِ[4]

دعيني تَجِئْني مِيتَتِي مطمئنةً ... ولم أتجشم هولَ تلك المواردِ[5]

وهذا الخبرُ عندي فيه اضطراب؛ لأن القصيدةَ المذكورةَ التي أوّلها:

* ماذا شجاكَ بِحُوّارين[6] من طلل *

للعتّابي في الرشيد، لا في عبدِ الملك، ولم يكن كما ذكره في أيّام الرشيدِ متنقّصاً منه. وله أخبار معه طويلةٌ، وقد حدثني بخبره هذا لَما استوهب رَفْعَ السيفِ عن ربيعةَ جماعةٌ على غير هذه الرواية.

عتب الرشيد على العتابي وقطعه الهبات فينتصل بقصيدته هذه

أخبرني عمي قال: حدّثني عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ، قال: حدّثني مسعودُ بنُ إسماعيلَ العدويُّ عن موسى بنِ عبدِ الله التميمي قال:

---

(١) الطرف: الجديد. والتالد: القديم. وانظر كتاب «الحيوان» للجاحظ (٤: ٢٦٥).

(٢) يرفلن: تجر الواحدة ذيلها وتتبختر.

(٣) أغصني: من الغصة، وهي ما يعترض في الحلق فتحتبس الأنفاس به. ويروى: «أعضني معضهما». المشرقات: السيوف اللوامع. البوارد: التي تثبت في الضريبة لا تنثني.

(٤) الأساود: جمع أسود وهو الحية.

(٥) ورد في كل الأصول «منيتي»، تحريف.

(٦) انظر ما سبق في ص ١٢٢.

عتب الرشيدُ على العتابي أيام الوليدِ بنِ طريفٍ، فقطع عنه أشياءَ كان عوّده إياها، فأتاه متنصِّلاً بهذه القصيدة:

[١٠/١٢] / مـاذا شجـاك بحُـوّاريـن مـن طلـلٍ ... ودمنـةٍ كشفـت عنهـا الأعـاصيـرُ

شجـاك حتّـى ضميـرُ القلـب مشتـرَكٌ ... والعيـن إنسـانهـا بـالمـاء مغمـورُ

فـي نـاظـريّ انقبـاضٌ عـن جفـونهمـا ... وفـي الجفـون عـن الآمـاق تقصيـر

لـو كنـتِ تـدريـن مـا شـوقـي إذا جَعَلَـتْ ... تنـأى بنـا وبـكِ الأوطـانُ والـدورُ

علمـتِ أنّ سُـرَى ليلـى ومُطلعـي ... مـن بيـت نجـران والغَـوْرَيْـن تغـويـر[١]

إذِ الـركـائـبُ مَخْـوفٌ نـواظـرهـا ... كمـا تضمّنـتِ الـدُّهـنَ القـواريـرُ

نـادتـك أرحـامُنـا الـلاتـي نَمُـتُّ بهـا ... كمـا تنـادي جِـلادَ الجِلّـة الخـورُ[٢]

[١٢٥/١٣] / مُستنبـط عَـزَمـاتِ القلـبِ مـن فِكَـرٍ ... مـا بينهـنَّ وبيـنَ الله معمـورُ

فُـتَّ المـدائـحَ إلا أنّ أنفسنـا ... مستنطَقـاتٌ بمـا تحـوي الضّمـائـرُ

مـاذا عَسـى مـادحٌ يُثنـي عليـك وقـد ... نـاداك فـي الـوحـي تقـديـسٌ وتطهيـر

إن كـان منّـا ذَوُو إفـكٍ ومـارقـةٌ ... وعصبـةٌ دينُهـا العُـدوانُ والـزُّور[٣]

فـإنّ منّـا الـذي لا يستحـثُّ إذا ... حُـثَّ الجيـاد وحَـازتهـا المضـاميـر[٤]

ومـن عـرائقـه السّفّـاح عنـدكـم ... مجـرّبٌ مـن بَـلاء الصّـدق مخبـور[٥]

الآن قـد بُعـدت فـي خطـوِ طـاعتكـم ... خُطـاهـم حيـثُ يحتـل الغشـاميـر[٦]

الرشيد يرضى عن العتابي ويرد أرزاقه ويصله

ـ يعني يزيدَ بن مزيدٍ، وهشامَ بن عمرٍ والتغلبيَّ، وهو من ولدِ سُفَيْحِ بن السفاحِ ـ قال: فرضي عنه وردّ أرزاقه ووصله.

صوت

تطـاول ليلـي لـم أنمـه تقلُّبـا ... كـأنّ فـراشـي حـال مـن دونـه الجمـرُ

فـإن تكـن الأيـامُ فـرّقـنَ بيننـا ... فقـد بـانَ منـي تـذكُّـره العـذرُ

الشعر للأبيردِ الرِّياحيِّ، والغناء لبابَوَيَهْ، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وفيه رَملٌ نسبه يحيى المكي إلى ابنِ سريج. وقيل إنه منحول.

---

(١) نجران: موضع بالبحرين وموضع قرب دمشق. والتغوير: الدخول في الغور.

(٢) الجلاد بالجيم والدال: النوق الصلاب وما غزر لبنها أو قل ضد. والجلة: المسان من الإبل. وفي ش: «الحيلة» تحريف. والخور: جمع خوارة على غير قياس، وهي الناقة الغزيرة اللبن.

(٣) الإفك: البهتان. والمارقة: الخارجة على الدين.

(٤) المضامير: جمع مضمار، وهو الموضع الذي تضمر فيه الخيل. وروى في ص ١٢٢: «وضمتها المضامير».

(٥) المخبور: المختبر. وصدر البيت محرف.

(٦) الغشامير بالغين من الغشمرة وهي: التهضم والظلم. وفي ش، حـ بالعين المهملة.

/ أخبارُ الأبيردِ ونسبهُ

[١٢٦/١٣]

أخبار الأبيرد ونسبه

الأبيرد بنُ المعذَّرِ بنِ قيس بن عَتَّاب بن هَرْميّ بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناةَ بنِ تميم. شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ، من شعراء الإسلام وأوّلِ دولةِ بني أمية.

الأبيرد ليس مكثراً ولم يتكسب بشعره

وليس بمكثِرٍ، ولا ممن وفد إلى الخلفاء فمدحهم.

وقصيدتُه هذه التي فيها الغناءُ يرثي بها بُرَيداً أخاه، وهي معدودة من مختار المراثي.

الأبيرد يهوى امرأة من قومه فزوّجت غيره

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزَاعيُّ قال: حدّثنا دَماذُ عن أبي عبيدةَ قال:

كان الرياحيُّ يهوى امرأةً من قومه ويُجَنُّ بها حتّى شُهِرَ ما بينهما، فحجبت عنه، وخطبها فأبَوا أن يزوّجوها إياه، ثم خطبها رجلٌ من ولدِ حاجبِ بنِ زُرارةَ، فزوّجته، فقال الأبيرد في ذلك:

إذا مـا أردتَ الحسـنَ فـانظـر إلـى التـي ... تَبَغَّـى لقيـط قـومَـه وتَخيَّـرا(١)

لهـا بشـرٌ لـو يـدرُجُ الـذرُّ فـوقـه ... لبـانَ مكـانُ الـذَّرِّ فيـه فـأثَّـرا(٢)

/ لعمـري لقـد أمكنـتِ منـا عـدوَّنـا ... وأقـررتِ للعـادي فـأخْنَـى وأهجـرا(٣)

١١/١٢

لم يرضَ الأبيرد من حارثة بن بدر ثوبين يدخل بهما على ابن زياد

أخبرني أبو خليفة الفضلُ بن الحبابِ في كتابه إلي قال: حدّثنا محمد بن سلام الجمحِي قال:

/ قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بنِ بدرٍ فقال: اكسُني بُردَين أدخلُ بهما على الأمير ـ يعني عبيد الله بن زيادٍ ـ [١٢٧/١٣] وكساه ثوبين فلم يرضَهما، فقال فيه:

أحـارثُ أمسِـك فَضْـلَ بـرديـك إنمـا ... أجـاعَ وأعـرى اللهُ مـن كنـتَ كـاسيـا

وكنـتُ إذا استمطـرتُ منـك سحـابـةً ... لِتُمطِـرنـي عـادت عَجَـاجـاً وسـافيـا(٤)

أحـارثُ عـاود شُـرْبَـكَ الخمـرَ إننـي ... أرى ابـنَ زيـادٍ عنـك أصبـح لاهيـا

فبلغت أبياتُه هذه حارثةَ فقال: قَبَحه الله: لقد شَهِد بما لمْ يعلم. وإنما أدعُ جوابه لما لا يعلم. هكذا ذكر محمدُ بنُ سلام.

(١) تبغي لقيط قومه: طلب إليهم أن يساعدوه ويتخيروا له ذات النسب.

(٢) البشر: الجلد. والذر: صغار النمل.

(٣) أقررت: خضعت. للعادي روى في كل الأصول «للوادي» ولعلها ما أثبتنا. أخنى: قال الخنا. وأهجر: قال هجراً.

(٤) العجاج: الغبار. والسافي: الريح تحمل تراباً.

حارثة منع عنه الكسوة لما بلغه هجاؤه

أخبرني حبيبُ بن نُصرٍ المهلبي قال: حدّثنا عُمَر بنُ شبَّةَ قال: حدّثنا الأصمعيُّ قال: هجا الأبيردُ الرياحيُّ حارثةَ بن بدر فقال:

أحـارثُ راجـع شُـرْبَـكَ الخمـرَ إنّنـي ... أرى ابـنَ زيـادٍ عنـك أصبـح لاهيـا

أرى فيـك رأيـاً مـن أبيـه وعمـه ... وكـان زيـادٌ مـاقِتـاً لـك قـاليـا

وذكر البيتين الآخرينِ اللذين ذكرهما محمدُ بنُ سلام، وقال في خبره هذا: فكان حارثةُ يكسوه في كلِّ سنة بردَيْن، فحبسهما عنه في تلك السنة، فقال حارثة بن بدر يجيبه:

فـإن كنـتَ عـن بـرديَّ مستغنِيـاً لقـد ... أراك بـأسمـالِ المـلابـس كـاسيـا[١]

وعشـتَ زمـانـاً أن أعيْنَـكَ كُسـوتـي ... قنعـت بـأخـلاق وأمسيـت عـاريـا[٢]

وبـرديـن مـن حـوك العـراق كسـوتَهـا ... علـى حـاجـة منهـا لأمُّـك بـاديـا[٣]

فقال الأبيرد يهجو حارثةَ بن بدر: / [١٢٨/١٣]

زعمـتْ غُـدانـةُ أن فيهـا سيـداً ... ضخمـاً يـواريـه جَنـاحُ الجنـدبِ[٤]

يُـرْويـه مـا يُـروي الـذّبـابَ وينتشـي ... لـؤمـاً ويشبِعـه ذراعُ الأرنـب

وقال أيضاً لحارثةَ بن بدر:

ألا ليـت حَظِّـي مـن غُـدانـة أنهـا ... تكـون كَفـافـاً لا علـيَّ ولا ليـا[٥]

أبـى الله أن يهـدي غـدانـةَ للهـدى ... وأن لا تكـونَ الـدهـرَ إلا مَـواليـا[٦]

فلـو أننـي ألقـى ابـنَ بـدرٍ بمـوطـن ... نَمُـدُّ بـه مـن أوّلينـا المسـاعيـا[٧]

تقـاصـر حتـى يستقيـدَ وبـذّه ... قُـروم تَسـامَـى مـن ريـاح تَسـاميـا[٨]

أيـا فـارطَ الحـي الـذي قـد حشـالكـم ... مـن المجـد أنهـاءً مـلاء الخـوابيـا[٩]

وعَمِّـي الـذي فـكَّ السَّميـدعَ عنـوةً ... فلسـتَ بنعمَـي يـا ابـن عقـربَ جـازيـا

كـلانـا غنـيٌّ عـن أخيـه حيـاتَـه ... ونحـنُ إذا متنـا أشـدُّ تغـانيـا[١٠]

ألـم تـرنـا إذ سقـتَ قـومَـك سـائـلا ... ذَوِي عـددٍ للسـائليـن مَعـاطِيـا

---

(١) الأسمال: الثوب الخلق أو الأثواب الخلقة.

(٢) عينه: أعطاه. الأخلاق: جمع خلق بالتحريك: الثوب المهلهل.

(٣) حوك العراق: نسجه. وكان مشهوراً بالدقة في ذلك الزمان. وفي جميع الأصول «حول» باللام.

(٤) غدانة: هي من يربوع تسمى به القبيلة. والجندب: الجراد.

(٥) الكفاف: ما يكف عن الناس ويغني.

(٦) الموالي: العبيد.

(٧) المساعي: مآثر أهل الشرف والفضل. في الأصول: «يعينه من أولينا»، وهو تحريف.

(٨) استقاد: ذل وخضع. القروم: السادة. ورياح: قبيلة.

(٩) الفارط: السابق لإصلاح الحوض والدلاء. والأنهاء: جمع نهي، وهو الغدير. والخوابي: جمع خابية، وهي حوض يجتمع فيه الماء.

(١٠) هذا البيت يروى لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، ونقل السيوطي عن «أمالي القالي» أنه لسيار بن هبيرة.

بني الـردِف حمـالِيـن كـلَّ عظيمـةٍ ... إذا طلعـت والمتـرعيـن الجـوابيـا[1]
وإنـا لنعطـي النَّصـفَ مـن لـو نَضِيمـه ... أقـر ولكنـا نحـب العـوافيـا[2]

/ الـردفُ الذي عناه ها هنا: جدُّه عتابُ بنُ هَرمي بن رياح، كان رِدفَ بنِ المنذر، إذا ركب ركب وراءه، [١٣/١٢٩] وإذا جلس جلس عن يمينه، وإذا غزا كان له المِرباع؛ وإذا شرب الملك سُقِيَ بكأسه بعدَه، وكان بعده ابنُه قيسُ بن عَتَّابٍ يَرْدفُ[3] النعمان. وهو جدُّ الأبيردِ أيضاً. $\frac{١٢}{١٢}$

الأبيرد وسعد العجلي

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا أبو غسانَ عن أبي عبيدة قال:

كانت بنو عجلٍ قد جاورت بني رياحِ بنِ يربوع في سنة أصابت عِجْلاً، فكان الأبيردُ يعاشر رجلاً منهم، يقال له سعد، ويجالسه، وكان قصدُه امرأة سعد هذا، فمالت إليه فومقته، وكان الأبيردُ شاباً جميلاً ظريفاً طريراً، وكان سعد شيخاً هِمّاً[4]، فذهب بها كلَّ مذهب حتى ظهر أمرهُما وتُحُدِّث بهما، واتُّهِم الأبيردُ بها، فشكاه إلى قومه واستعذرهم منه[5]، فقالوا له: مالك تتحدّثُ إلى امرأة الرجل؟ فقال: وما بأس بذلك[6]! وهل خلا عربي منه؟ قالوا: قد قيل فيكما ما لا قرار عليه، فاجتنبْ محادثتَها، وإياك أن تعاودها. فقال الأبيردُ: إنّ سعداً لا خيرَ فيه لزوجته. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأني رأيته يأتي فرسَه البلقاءَ، ولا فضل فيه لامرأته، فهي تبغضه لفعله، وهو يتَّهمها لعجزه عنها. فضحكوا من قوله، وقالوا له: وما عليك من ذلك؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاودْها ولا تجلس إليها. فقال الأبيرد في ذلك:

/ ألـم تـر أنَّ ابـن المعـذّر قـد صحـا ... ودَعَ مـا يَلْحـى عليـه عـواذِلُـه[7] [١٣/١٣٠]
غـدا ذو خـلاخيـلٍ علـيّ يلُـومنـي ... ومـا لـومُ عَـذّالٍ عليـه خـلاخلـه[8]
فـدع عنـك هـذا الحَلْـي إن كنـتَ لائمـي ... فـإنِّـي امـرؤ لا تـزدهينـي صَـلاصِلـه[9]
إذا خطـرت عنـس بـه شـدنيـة ... بمطّـرِد الأرواح نـاءٍ منـاهلـه[10]
تبيَّـنَ أقـوامٌ سفـاهـةَ رأيهـم ... تـرحَّـلَ عنهـم وهـو عـفٌّ منـازلـه
لهـم مجلـسٌ كـالـرُّدْن يجمـع مجلسـاً ... لئـامـاً مسـاعيـه كثيـراً هَتَـاملـه[11]
تبـرأتُ مـن سعـد وخُلَّـة بيننـا ... فـلا هـو معطينـي ولا أنـا سـائلـه

---

(١) الجوابي جمع جابية: الحوض يجمع فيه الماء.
(٢) نضيمه: نظلمه، والظلم علامة القوة. العوافي: جمع عافية: السلامة.
(٣) يردف: يقال يردف الملك: يجلس عن يمينه ويشرب بعده.
(٤) الهم والهمة بكسر الهاء: الشيخ الفاني.
(٥) استعذرهم: استعداهم عليه واستنصرهم.
(٦) ما بأس بذلك: ما عيب في ذلك. وفي الحديث أن النبي ﷺ استعذر أبا بكر من عائشة، كان عتب عليها في شيء وقال لأبي بكر: اعذرني منها إن أدبتها. أي قم بعذري في ذلك. ويقال أما تعذرني من هذا، أي أما تنصفني.
(٧) يلحى: أي يلوم.
(٨) أي لا أهتم بلوم من هو كالنساء يلبس الخلاخل.
(٩) صلاصله: رنينه وصوته.
(١٠) العنس: الناقة الصلبة. والشدنية من الإبل: منسوبة إلى موضع باليمن.
(١١) جعله كالردن، وهو أصل الكم، في ضيقه وقلة عددهم. وفي الأصول: «كالدرن». والهتملة: الكلام الخفي.

متى تُنتَجُ البلقاءُ يا سعد أم متى تُلَقَّحُ من ذات الرِّباطِ حوائله[(١)]

يحدِّثُ سعد أنَّ زوجته زنت ويا سعدُ إنَّ المرء تزني حلائله

فإن تَسمُ عيناها إليّ فقد رأت فتًى كحسام أخلصَتْه صياقله[(٢)]

فتى قُدَّ قدَّ السَّيف لا متضائلٌ ولا رهِلٌ لَبّاته وأباجله[(٣)]

ـ وهذا البيت الأخير يروى للعجير السَّلولي، ولأخت يزيدَ بنِ الطثرِية ـ فاعترضه سَلمان العجليّ فهجاه وهجا بني رياح فقال:

[١٣١/١٣] / لعمرك إنّني وبني رياح لكالعاوي فصادف سَهم رامِ

يسوقون ابنَ وجرةَ مزمئرا ليحميَهم وليس لهم بحامِ[(٤)]

وكم من شاعرٍ لبني تميم قصيرِ الباع من نفرٍ لئامِ

كسَونا ـ إذ تخرَّقُ ملبَساه ـ دواهيَ يبترينَ من العظامِ[(٥)]

وإن يُذكر طعامُهم بشَرٍّ فإنَّ طعامُهم شرُّ الطعامِ

١٣/١٢ / شَريجٌ من مَنِيِّ أبي سُواج وآخر خالص من حيض آمِ[(٦)]

وسوداء المغابن من رياح على الكردوس كالفأس الْكَهامِ[(٧)]

إذا ما مرّ بالقعقاع ركبٌ دعتهم مَن ينيكُ على الطَّعامِ[(٨)]

تداولَها غواةُ النّاس حتّى تؤوبَ وقد مضى ليل التّمامِ[(٩)]

وقال الأبيرد أيضاً مجيباً له:

عَوى سَلمانُ من جَوٍّ فلاقى أخو أهلِ اليمامةِ سهمَ رامي

عوى مِن جُبْنه وشقِيٌّ عجلٍ عُواءَ الذئب مُختلَطَ الظلامِ[(١٠)]

بنو عِجلٍ أذلُّ من المطايا ومن لحم الجَزورِ على الثُّمامِ[(١١)]

---

(١) الرباط: الخيل أو الخمس منها فما فوقها، والمرابطة: أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة وكل معد لصاحبه. وسمي المقام بالثغر رباطا. والحوائل: جمع حائل وهي التي حمل عليها فلم تلقح، والتي لم تلقح سنة أو سنتين أو سنوات.

(٢) الصياقل: جمع صيقل.

(٣) الرهل: المسترخي. ولباته جمع لبة: وهي موضع النحر. والأبجل: عرق غليظ في اليد أو الرجل. وفي بعض النسخ «أناصله» تحريف.

(٤) المزمئر: الغاضب.

(٥) في الأصول: «إذ يخرق».

(٦) الشريجان: لونان مختلفان. وأبو سواج، ورد في «القاموس»: «أبو سواج الضبي أخو بني عبد مناة». الآم: جمع أمة، وهي المرأة المملوكة ليست بحرة.

(٧) المغابن جمع مغبن وهو: الإبط. والكردوس: كل عظم كثير اللحم. والكهام: الكليل.

(٨) القعقاع: مكان.

(٩) ليل التمام، بالكسر: أطول ليالي الشتاء.

(١٠) يعني بشقي عجل، سلمان العجلي. مختلط الظلام، أي وقت اختلاط الظلام.

(١١) الجزور: البعير أو خاص بالناقة المجزورة. والثمام: نبت خفيف. ويقصد أنهم كالشريحة الصغيرة يتحملها هذا النبت الضعيف، وذلك لحقارته.

تَحَيَّــا المسلمــون إذا تــلاقَــوا — وعجــلٌ مــا تَحَيَّــا بــالسَّــلام

إذا عجليــةٌ ولــدت غــلامــاً — إلــى عجــلٍ فَقُبِّــحَ مــن غــلام

[١٣٢/١٣] / يَمَــصُّ بشــديهــا فــرخٌ لئيــم — سُــلالــةُ أعبــدٍ ورضيــعُ آم[1]

خبيــث الــريــح ينشــأ بــالمخــازي — لئيــمٌ بيــن آبــاء لئــام

أنــا ابــن الأكــرميــن بنــي تميــم — ذوي الآكــال والهمــم العظــام[2]

وكــائــن مــن رئيــس قَطَّــرتــه — عــواملُنــا ومــن ملــك هُمــام[3]

وجيــشٍ قــد ربَعنــاه وقــومٍ — صبَحْنــاه بــذي لَجِــبٍ لُهــام[4]

وقال أيضاً الأبيرد مجيباً له:

أخــذنــا بــآفــاق السمــاء فلــم نــدَعْ — لسلمــانَ سلمــانِ اليمــامــة مَنْظــرا

مــن القُلْــح فشّــاءٌ ضــروطٌ يُهِــرُّه — إذا الطيــر مــراتٍ علــى الــدوح صــرصــرا[5]

وأقلــح عجلــي كــأن بخطمِــه — نــواجــذَ خنــزيــر إذا مــا تكشــرا[6]

يــزلُّ النــوى عــن ضِــرسِــه فيــردُّه — إلــى عــارضٍ فيــه القــوادح أبخــرا[7]

إذا شــرب العِجْلِــيُّ نَجّــس كــأسَــه — وظلــت بكَفَّــيْ جَــأنَــبٍ غيــرِ أزهــرا[8]

شــديــد ســوادِ الــوجــه تحســب وجهَــه — مــن الــدم بيــن الشــاربيــن مقيَّــراً[9]

إذا مــا حســاهــا لــم تــزده سمــاحــة — ولكــن أرتــه أنّ يصــرَّ ويَحْصَــرا[10]

فــلا يَشْــرَبَــنْ فــي الحــيِّ عجــلٌ فــإنّــه — إذا شــرب العِجْلــيُّ أخنــى وأهجــرا[11]

[١٣٣/١٣] / يقــاســي نــدامــاهــم وتلقــى أُنُــوفهــم — مــن الجــذع عنــد الكــأس أمــراً مذكــرا[12]

ولــم تــك فــي الإشــراك عِجــل تــذوقهــا — ليــالــي يَسبِيهــا مقــاولُ حميــرا[13]

ويُنفــق فيهــا الحنظليــون مــالَهــم — إذا مــا سعــى منهــم سفيــهٌ تجبَّــرا

ولكنهــا هــانــت وحُــرّم شــربهــا — فمــالــت بنــو عجــلٍ لِمَــا كــان أكفــرا

---

(١) الآم جمع أمة: المملوكة غير الحرة.

(٢) في الأصول: «الآطال» تحريف. وذوو الآكال: سادة الأحياء الأخذون للمرباع. وآكال الملوك مآكلهم.

(٣) قطرته: صرعته. وعواملنا: رماحنا.

(٤) اللهام: الجيش العظيم.

(٥) القلح بالضم جمع أقلح وهو: الفاسد الأسنان. يهره: يجعله يهر كالكلاب لفزعه. وفي الأصول: «بمره» وكذا «مرابي الزرع».

(٦) الخطم: مقدم الفم والأنف، وأصله للدواب. وفي النسخ: «مخطه» تحريف.

(٧) القوادح: جمع قادح أكال، بضم أوله، يوجد في الأسنان.

(٨) الجأنب: القميء القصير الذليل وفي بعض الروايات «جانب» بالتسهيل وهو تصحيف.

(٩) مقير: مطلي بالقار، وهو الزفت. وفي الأصول: «مغيرا».

(١٠) يصر: أصل الصر الجمع والشد. يحصر: يبخل.

(١١) أخنى: قال الخنا، وهو الفحش. وفي الأصول: «أخشى». وأهجر: قال هجراً وقولاً منكراً.

(١٢) الجدع: القطع. وفي الأصول: «ويلقي ألوفهم من الجذع». والمذكر: الشديد.

(١٣) يسبيها: يشتريها. والمقاول: جمع مقول كمنبر: الملك من ملوك حمير.

لعمري لئن أزْنِنْتُم أو صحوتم	لبئسَ النّدامى كنتم آلَ أبجرا[١]

مجائل وعرادة يتفاخران بنحر الشياه والإبل

أخبرني عُبيد الله بنُ محمدٍ الرازي قال: حدّثنا أحمدُ بن الحارثِ قال حدّثنا المدائنيُّ قال: كان مجائلُ بنُ مرةَ بنِ مَحْكانَ السعديّ وابنُ عم له يقال له: عَرادة، وقد كان عرادةُ اشترى / غنماً له فأنهبها، وكانت مائةَ شاة، فاشترى مُرّة بن مَحكان مائةً مِن الإبل فأنحر بعضها[٢] وأنهب باقيها، وقال أبو عبيدةَ: إنّهما[٣] تفاخرا، فغلبه مُرّةُ، فقال الأبيردُ لعرادةَ:

[ط١ ١٢]

شرى مائةً فأنهبها جميعاً	وبتَّ تقسم الحذف[٤] النقادا

فبعث عبيدُ الله بنُ زياد فأخذ مرّةَ بنَ محكان فحبسه وقيّده، ووقع بعد ذلك من قومه لِحاء، فكانت بينهم شِجاجٌ[٥]، ثم تكافؤوا وتوافقوا على الدّيات فأُنبيءَ[٦] مرة بن محكان وهو محبوسٌ، فعرف ذلك فتحَمَّلَ جميعَها في ماله، فقال فيه الأبيردُ:

لله عينا من رأى من مكبّل	كمُرّةَ إذ شُدّت عليه الأداهم[٧]
/ فأبلغ عبيدَ اللهِ عني رسالةً	فإنك قاضٍ بالحكومةِ عالم
فإن أنتَ عاقبت ابنَ مَحكان في الندى	فعاقب هداك الله أعظمَ حاتمِ[٨]
تعاقب خِرْقاً أن يجود بماله	سعى في ثأى من قومه متفاقم[٩]
كأن دماء القوم إذ علقت به	على مكفهرٍّ من ثنايا المخارمِ[١٠]

[١٣/١٣٤]

الأبيرد وابن عمه الأحوص يحرضان رجلاً على سحيم بن وثيل الرياحي

أخبرني محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ قال: حدّثنا عبدُ الرحمن ابنُ أخي الأصمعي، قال: حدّثنا عمي قال: أتى رجل الأبيرد الرياحيَّ وابن عَمه الأحوص، وهما من رهطِ ردفِ الملك مِن بني رِياح، يطلب منهما قَطِراناً لإبله فقالا له: إن أنت بلّغت سحيم بنَ وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قَطراناً. فقال: قولا. فقالا: اذهب فقل له:

فإن بُداهَتي وجِراءَ حولي	لذو شِقٍّ على الحُطَم الحرون[١١]

---

(١) أزنتم: اتهمتم.
(٢) أنحرها: أراد جعلها للنحر، ولم نجد هذا الفعل بهذا المعنى في المعاجم.
(٣) في حـ «إنما».
(٤) الحذف بالتحريك وبالفاء لا القاف. في حـ: «الغنم السود حجازية أو جرشية بلا أذناب ولا آذان». وجاء بالدال المهملة والقاف في س، وهو تحريف. والنقاد: جمع نقد بالتحريك: جنس من الغنم قبيح الشكل، وراعيه نقاد.
(٥) الشجاج: جمع شجة، وهي الجرح في الوجه والرأس.
(٦) في الأصول: «فأتى».
(٧) الأداهم: جمع أدهم وهو القيد.
(٨) حاتم، أي جواد كحاتم.
(٩) الثأي كالسعي والثري: الإفساد والجرح والقتل ونحوه وفي هذا البيت وما بعده إقواء كسابقهما.
(١٠) المكفهر: الضارب لونه إلى الغبرة مع غلظ. والمخارم جمع مخرم: الطريق في الغلظ.
(١١) البداهة: أول جري الفرس. والجراء: الجري. والشق: المشقة. والحطم: العسوف العنيف. والحرون، أصله الفرس الذي لا ينقاد. وفي الأصول: «وعشق على الحطم» صوابه من «الأصمعيات» ص ٥ طبع المعارف.

قال: فلما أتاه وأنشد الشعرَ أخذَ عصاه، وانحدر في الوادي، وجعل يُقْبل فيه ويدبِر، ويُهَمْهِمُ بالشعر. ثم قال: اذهبْ فقل لهما:

فـإنّ عُـلالتـي وجـراء حَـولِـي ... لـذو شِقٍّ علـى الضَّـرَعِ الظَّنُـون[١]

أنـا ابـن الغُـرِّ مـن سَلَفَـيْ ريـاح ... كنصـل السيـف وضـاحُ الجبيـن

أنـا ابـنُ جـلا وطـلاعُ الثنـايـا ... متـى أضـع العمـامـة تعرفـونـي[٢]

/ وإنَّ مكـانـنـا مِـنْ حميـريّ ... مكـانُ الليـث مـن وسـط العَـريـن [١٣/١٣٥]

وإنّ قنـاتنـا مَشِـظٌ شظـاهـا ... شـديـد مـدُّهـا عُنُـقَ القـريـن[٣]

ـ قال الأصمعي: إذا مسَسْت شيئاً خشناً فدخل في يدك قيل: مشظت يدي والشظا: ما تشظّى منها ـ

وإنـي لا يعـود إلـيّ قِـرنـي ... غـداةَ الغِـبّ إلا فـي قـريـن[٤]

بـذي لِبَـدٍ يصـدُّ الـركـب عنـه ... ولا تُـؤتـى فـريستـه لحيـن[٥]

غـدرتُ البُـزْلَ إذ هـي صـاوَلتنـي ... فمـا بـالـي وبـالُ ابنـيْ لَبـون[٦]

ومـاذا تبتغـي الشُّعـراءُ منّـي ... وقـد جـاوزتُ رأسَ الأربعيـن[٧]

أخـو الخمسيـن مُجْتَمِـعٌ أشُـدّي ... ونجّـذنـي مـداورةُ الشـؤون[٨]

سـأحيـا مـا حييـتُ وإنّ ظهـري ... لـذو سَنَـدٍ إلـى نَضَـدٍ أميـن[٩]

قال: فأتياه فاعتذرا إليه، فقال: إنّ أحدكم لا يَرَى أن يصنع شيئاً حتّى يقيس شعره بشعرنا، / وحسبَه بحسبنا، ويستطيفَ[١٠] بنا استطافةَ المهر الأرِن[١١]. فقالا له: فهل إلى النّزع من سبيلٍ[١٢]. فقال[١٣]: إننا لم تبلغ أنسابُنا. [١٥/١٢]

/ قال اليزيديّ: أبيات سحيم هذه من اختيارات الأصمعي. [١٣/١٣٦]

---

(١) الضرع بالتحريك: الصغير من كل شيء. والظنون كصبور: الذي لا يوثق بجريه.

(٢) أنا ابن جلا، جلا: من الجلاء والظهور، كناية عن العلو. طلاع الثنايا، الثنايا: جمع ثنيه وهي العقبة أو الجبل كناية عن نسور قمة المجد. متى أضع العمامة تعرفوني: قال ثعلب: «العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم».

(٣) مشظ بظاء المعجمة، وهذا مثل لا متناح جانبه، أي لا تمس قناتنا فينالك منها أذى، وإن قرن بها أحد مدت عنقه وجذبته فذل.

(٤) قرني: نظيري. والقرين: المصاحب. والمعنى أنه لا يأتي منفرداً، لضعفه.

(٥) اللبد بكسر أوّله ويحرك جمع لبدة: الشعر في رقبة الأسد. و «يصد» يصح أن تكون لازمة وأن تكون متعدية. يصف بذلك القرين الذي يستعين به قربه.

(٦) البزل: جمع بازل وهو ما بلغ من الإبل التاسعة. وابن اللبون: ما كان في العام الثاني واستكمله أو إذا دخل في الثالثة. والمعنى: القوي عذر إذا صاولني، فما عذر الضعيف.

(٧) روى «يدري» بدل «يبتغي»، ومعناه يختل بضرب من الحيلة، أي يخدع. و «حد» بدل «رأس».

(٨) نجذني: جعلني مجرباً.

(٩) النضد: الوسائد وما حشي من المتاع، وهو أيضاً الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف.

(١٠) يستطيف: يدور ويحوم.

(١١) الأرن بفتح الهمزة وكسر الراء: النشيط.

(١٢) النزع: تحويل الشيء عن موضعه، وهو أيضاً: الكف.

(١٣) في الأصل: «فقال».

قصيدة الصوت

والقصيدة التي رثى بها الأبيردُ أخاه بريداً وفي أوّلها الغناءُ المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثي، المختار منها قوله:

تطاوَلَ ليلي لم أنمه تقلُّباً ... كأنَّ فِراشي حال من دونه الجمرُ
أُراقب من ليل التَّمام نجومَه ... لدُنْ غاب قرنُ الشّمس حتّى بدا الفجرُ[١]
تذكرت قَرْماً بانَ منّا بنَصرِه ... ونائِله يا حبّذا ذلك الذُّكرُ[٢]
فإن تكن الأيامُ فرّقن بيننا ... فقد عذرتنا في صحابتنا العُذْرُ[٣]
وكنت أرى هَجْرا فراقَكَ ساعةً ... ألا لا بل الموتُ التّفرُّق والهجر
أحقّاً عباد الله أن لستُ لاقيا ... بريداً طَوالَ الدهر ما لألأ العُفْرُ[٤]
فتى إن هو استغنى تخرّق في الغنى ... فإن قلّ مالاً لم يؤُدْ متنَه الفقْر[٥]
وسامي جسيماتِ الأمور فنالها ... على العسر حتى أدرك العُسْرَ اليسر[٦]
ترى القومَ في العَزّاء ينتظرونه ... إذا ضلّ رأيُ القوم أو حَزَبَ الأمر[٧]
فليتك كنتَ الحي في الناس باقيا ... وكنتُ أنا الميتَ الذي غَيّبَ القبرُ[٨]
فتى يشتري حُسنَ الثناء بماله ... إذا السّنةُ الشهباءُ قلّ بها القطر[٩]
كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة ... ولم يأتنا يوماً بأخباره السَّفْرُ
لعمري لنعمَ المرءُ عالي نَعِيُّه ... لنا ابنُ عزيز بعد ما قَصرَ العصر[١٠]
تمضّت به الأخبارُ حتى تغلغلت ... ولم تثنِه الأطباع دوني ولا الجُدرُ[١١]
ولما نعى الناعي بُريداً تغوّلَتْ ... بي الأرض فرطَ الحزن وانقطع الظهر[١٢]
عساكر تغشى النفسَ حتى كأنني ... أخو سكرةٍ طارت بهامَتِه الخمر[١٣]
إلى اللهِ أشكو في بُرَيدٍ مصيبتي ... وبَثّي وأحزاناً تضمّنها الصدرُ

[١٣٧/١٣]

---

(١) لدن: منذ.
(٢) القرم في الأصل: الفحل، وهو السيد. بان من البين: وهو البعد. والذكر بضم الذال: التذكر.
(٣) العذر، بإسكان الذال وأصلها الضم: جمع عذير، كسرير وسرر. والعذير: العاذر. ومثله قول حاتم:
أماوى قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتني في طلابكم العذر
(٤) لألأ العفر: حركت الظباء أذنابها.
(٥) تخرق: صار متلافاً.
(٦) سامي: بارى فنالها بعد الامتناع.
(٧) العزاء مأخوذة من العزاز، وهو الأرض الصلبة الصعبة، وانتقلت مجازاً إلى الشدّة.
(٨) روى «ثاوياً» في جـ.
(٩) الشهباء: السنة الشديدة. ويقال أشهبت السنة القوم: جردت أموالهم.
(١٠) عالي: رفع الصوت به. والنعيّ: خبر الموت. ابن عزيز، هو في «أمالي القالي» (٣: ٣): «ابن عرين».
(١١) في الأصول: «ولا بينها الأصباح»، صوابه من «الأمالي القالي» والأطباع: جمع طبع، وهو النهر.
(١٢) تغوّلت: كادت تميد بي.
(١٣) العساكر: الشدائد، في حـ «مالت» بدل «طارت» وفي «الأمالي»: «دارت».

وقــد كنــت أستعفــي إلٰهــي إذا شكــا ... مــن الأجــر لــي فيــه وإنْ سَــرّنــي الأجــر
ومــا زال فــي عينــيَّ بَعْــدُ غِشــاوةٌ ... وسَمِعِــي عَمَّــا كنــت أسمعــه وقــر[١]
علــى أننــي أقْنَــى الحيــاءَ واتَّقِــي ... شمــاتــة أعــداءٍ عيــونهــم خُــزر[٢]
فحيــاكَ عنّــي الليــل والصبْــح إذْ بــدا ... وهُــوجٌ مــن الأرواح غُــدوتهــا شهــر[٣]
سَقَــى جــدثــاً لــو أستطيــع سقيتــه ... بِــأوْدِ فــروّاه الــروافــد والقطــر[٤]
ولا زال يــرعَــى مــنْ بــلادٍ ثــوى بهــا ... نبــاتٌ إذا صــاب الــربيــعُ بهــا نضــر[٥]
حلفــتُ بــرب الــرافِعيــنَ أكُفَّهــم ... وربِّ الهــدايــا حيــث حــلَّ بهــا النحــرُ
ومُجْتَمــع الحجــاج حيــثُ تــوافقــت ... رِفــاقٌ مــن الآفــاق تكبيــرُهــا جــأرُ[٦]
/ يميــنَ امــرِىءٍ آلــى وليــس بكــاذب ... ومــا فــي يميــنٍ قــالهــا صــادقٌ وِزرُ [١٣/١٣٨]
لئــن كــان أمســى ابــنُ المعــذَّر قــد ثــوى ... بــريــدٌ لنعــم المــرءُ غَيَّبــه القبــر
/ هــو الخلَــفُ المعــروفُ والــديــن والتقــى ... ومِسعــرُ حــرب لا كَهــامٌ ولا غُمْــر[٧] ١٦/١٢
أقــام فنــادى أهلُــه فتحمَّلــوا ... وصُــرِّمــت الأسبــابُ واختلــط النَّجــرُ[٨]
فتــى كــان يُغْلــي اللحــمَ نِيئــاً ولحمُــه ... رَخيــصٌ لجــادِيــهِ إذا تُنْــزَلُ القِــدر[٩]
فتَــى الحــيِّ والأضيــافِ إن روّحتهــم ... بلَيْــل وزادُ السفــرِ إن أرمــل السَّفــرُ[١٠]
إذا جــارةٌ حلَّــتْ لــديــه وفَــى بهــا ... فــآبــت ولــم يُهْتَــك لجــارتــه ستــرُ[١١]
عفيــف عــن الســوآت مــا ألتبســت بــه ... صليــبٌ فمــا يُلْفَــى لعــود بــه كســرُ
سلكــت سبيــلَ العــالميــن فمــا لَهُــم ... وراء الــذي لاقيــت مَعْــدًى ولا قصر[١٢]
وكــلَ امــرىء يــومــاً سيلقــى حمــامَــه ... وإن نــأت الــدعــوى وطــال بــه العمــرُ
وأبليــتَ خيــراً فــي الحيــاة وإنّمــا ... ثــوابُــك عنــدي اليــومَ أن ينطِــق الشّعــرُ

---

(١) الوقر: الصمم. وفي الأصول: «وسمعي كما قد أسمعه» صوابه من «الأمالي».
(٢) أقنى الحياء: يقال قني الحياء قنوا كرضي ورمي: لزمه، كأقنى واقتنى وقنى. الخزر: كسر العين خلقة، أو ضيقها.
(٣) الهوج: الشديدة. والأرواح جمع روح: الرياح العاصفة.
(٤) أود بفتح الهمزة وضمها: مكان.
(٥) ثوى: أطال الإقامة أو نزل.
(٦) في «الأمالي»: «تواقفت» بتقديم القاف.
(٧) في «الأمالي»: «هو المرء المعروف». مسعر حرب: مثيرها. والكهام البطيء عن النصرة والغمر: الذي لم يجرب الأمور.
(٨) صرمت بالباء للمجهول: قطعت. يغلي اللحم: يشتريه غاليا، ويقال أيضا يغلى. قال الشاعر:
تغــالــي اللحــم لــلأضيــاف نيئــاً ... وتــرخصــه إذا نضــج القــدد
والنجر: الأصل.
(٩) الرخيص: أراد به المبذول. والجادي: طالب الجدوى. وهي العطاء.
(١٠) روحتهم: هبت عليهم. وزاد السفر: هو أن يقوم المرء بزاد المسافرين الذين لم يحضروا طعاماً. والسفر بسكون الفاء، هم المسافرون. أرمل: نفذ زاده.
(١١) في «الأمالي»: «وإن جارة حلت إليه وفى لها * فباتت».
(١٢) معدى: مصرف أو مجاز. والقصر وردت في بعض الأصول «مضر» وهو تحريف، والتصويب عن «ذيل الأمالي» ص ٣.

وقال يرثيه أيضاً، وهي قصيدةٌ طويلة:

إذا ذكرَتْ نفسي بريداً تحاملَتْ ... إليَّ ولم أملك لعيني مدمعا

وذكَّرنيكَ الناسُ حين تحامَلُوا ... عليَّ وأضحَوْا جلدَ أجربَ مُولعا[1]

[١٣٩/١٣] / فلا يُبعِدنْكَ اللهُ خيرَ أخي أمرئٍ ... فقد كنتَ طلّاعَ النُّجادِ سَميدَعا[2]

وَصُولاً لذي القربى بعيداً عن الخنا ... إذا أرتادك الجادي من الناس أمرعا[3]

أخو ثقة لا ينتحي القومُ دونه ... إذا القوم حالوا أو رجا الناسُ مَطمعا[4]

ولا يركب الوجناءَ دونَ رفيقِه ... إذا القومُ أزجَوهنّ حَسْرَى وظُلَّعا[5]

صوت

يا زائِرَينا من الخِيامِ ... حيّاكما اللهُ بالسلامِ

يحزُنُني أن أطفتُما بي ... ولم تنالا سِوَى الكلامِ[6]

بُورك هارون من إمامِ ... بطاعة الله ذي اعتصامِ

له إلى ذي الجلال قُربَى ... ليس لِعَذلٍ ولا إمامِ

الشعر لمنصورِ النمري، والغناء لعبدِ الله بن طاهرٍ، رمل، ذكر ذلك عبيدُ الله ابنه، ولم ينسبه إلى الأصابع التي بنى عليها، وفيه للرفّ خفيفُ رمل بالوسطى، عن عمرو بن بانة. وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر مجهول الأصابع. ذكر حبشٌ أنه للرف أيضاً.

(١) المولع: ما فيه خطوط.

(٢) النجاد جمع نجد: المرتفعات. وطلاع النجاد: ضابط الأمور فيما يعجز عنه غيره. والسميدع: الكريم.

(٣) الجادي: طالب العطاء.

(٤) حالوا: ظنوا. وفي الأصول: «حالوا».

(٥) الوجناء: الناقة السريعة. والحسرى: الكليلة. والظلع: جمع ظالع، التي تغمز في مشيها من عرج.

(٦) في الأصول: «أطعتماني»، وهو تحريف.

/ أخبار منصور النمريّ ونسبه [١٣/١٤٠]

أخبار منصور النمري ونسبه

منصورُ بن الزبرقان بنِ سلمة ـ وقيل منصورُ بنُ سلمة بن الزبرقان ـ بنِ شريك بن مُطعم الكبشِ الرَّخَمَ، بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضَّحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَّمرِ بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وإنما سمي عامرٌ الضَّحيان لأنّه كان سيِّدَ قومه وحاكمهم، وكان يجلس لهم إذا أضحى النّهار، فسمِّي الضَّحيان. وسمي جدُّ منصور «مطعِمَ الكبشِ الرخم»، لأنه أطعم ناساً نزلوا به ونحر لهم، ثم رفع رأسَه فإذا رخَمٌ يَحُمْن حول أضيافه، فأمر بأن يُذبَح لهم كبشٌ ويُرْمى به بين أيديهم، فَفُعِل ذلك، فنزلن / عليه، فمزقنَه؛ فسمي مطعمَ الكبش الرخمَ. وفي ذلك يقول أبو نُعيجَةَ النمريّ يمدح رجلاً منهم: ١٧/١٢

أبـوك زعيـمُ بنـي قـاسـط ... وخـالـك ذو الكبش يَقْـرِي الـرخـم[1]

وكان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بنِ عمرو العتابي وروايتهُ، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبَّه. والعتابي وصفه للفضل بن يحيى بنِ خالد وقرَّضه[2] عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالرشيد. وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشةٌ حتى تهاجرا وتناقضا، وسعى كلٌّ واحد منهما على هلاك صاحبِه، وأخبار ذلك تُذْكرُ في مواضعها من أخبارهما ـ إن شاء الله تعالى ـ وكان النمري قد مدح الفضلَ بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابيّ إليه، وأسترفده له، وسأله أستصحابه، فأذن له في القدوم، فحظي عنده، وعرف مذهبَ الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصِل / مدحه إياه بنفي الإمامةِ عن ولدِ علي بنِ أبي طالب ـ عليهم السلام ـ والطعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروانَ بن أبي حفصة، وتفضيلهِ إياه على الشعراء في الجوائز، فسلك مذهبَ مروانَ في ذلك، ونحا نحوه، ولم يصرح بالهجاء والسبِّ كما كان يفعل مروان، ولكنه حام ولم يقع، وأومأ ولم يُحقِّق، لأنه كان يتشيع، وكان مروانُ شديدَ العداوةِ لآل أبي طالب، وكان ينطِق عن نيّةٍ قويّة يقصِد بها طلب الدنيا، فلا يُبْقي ولا يذر. [١٣/١٤١]

منصور النمري يسأل أن يذكر عند الرشيد ثم يمدحه

أخبرني محمدُ بن جعفر النحويّ صهرُ المبرّد قال: حدّثنا محمدُ بنُ موسى بن حَمّاد قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد الكَرّاني، وأخبرني به عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد حديثَ محمدِ بن جعفر النحوي أنه قال: حدّثني محمد بنُ عبد الله بن آدم بنِ جُشَم العبدي قال: حدّثنا ثابتُ بن الحارث الجُشَميُّ قال:

كان منصورٌ النمريّ مُصافياً للبرامكة، وكان مسكَنُه بالشأم، فكتب يسألهم أن يذكُروه للرشيد، فذكروه ووصفوه، فأحبَّ أن يسمعَ كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدِم ونزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله إليه يومَ نوبةِ مروان، على ما سمعه من بيانه، وكان مروانُ يقول قبل قدومه: هذا شاميٌّ وأنا

(١) ذو الكبش: يعني به مطعم الكبش الرخم. يقري: يطعم.
(٢) قرضه: مدحه، ومن معانيها الذم.

حجازي، أفتراه يكون أشعر مني، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغمّ والحسد، واستنشد الرشيدُ منصوراً، فأنشده:

أميـرَ المـؤمنيـن إليـك خُضْنـا ... غِمـارَ الهَـوْل مـن بلـد شَطيـرِ (١)
بخُـوص كـالأهلـة خـافقـاتٍ ... تليـن علـى السُّرى وعلـى الهجيـرِ (٢)
[١٤٢/١٣] / حملـنَ إليـك أحمـالاً ثِقـالا ... ومثـل الصخـر والـدر النثيـر (٣)
فقـد وَقـف المـديـحُ بمنتهـاه ... وغـايتـهِ وصـار إلـى المصيـر
إلـى مَـن لا يشيـر إلـى سِـواه ... إذا ذُكِـر النَّـدَى كـفُّ المشيـرِ

فقال مروان: وددتُ والله أنّه أخذ جائزتي وسكت.

وذكر في القصيدة يحيى بنَ عبد الله بن حسن فقال:

يـذلّـل مـن رقـابِ بنـي علـي ... ومَـنْ ليـس بـالمـنِّ الـصـغـير
١٨/١٢ / مَنَنْتَ علـى ابـن عبـد الله يحيـى ... وكـانَ مـن الحُتـوفِ علـى شفيـر (٤)

مروان ينشد الرشيد

قال مروان: فما برحتُ حتى أمرني هارون أميرُ المؤمنين أن أنشِده، وكان يتبسم في وقتٍ ما كان ينشده النمريّ، ويأخذ على بطنه، وينظر إلى ما قال، فأنشدته:

مـوسـى وهـارون همـا اللـذانِ ... فـي كتـب الأخبـارِ يـوجـدانِ
مـن وَلَـد المهـدي مَهـديّـان ... قُـدًّا عنـانيـن علـى عنـان (٥)
قـد أطلـق المهـديُّ لـي لسـانـي ... وشـدّ أزري مـا بـه حبـانِـي
مـن اللُّجَيـن ومـن العِقيـان ... عِيـديَّـة شـاحِطـةَ الأثمـان (٦)
لـو خـايلـت دجلَـة بـالألبـان (٧) ... إذاً لقيـل اشتبـه النهـران

[١٤٣/١٣] / النمري لا يحتفل بقول مروان

قال: فوالله ما عاج (٨) النمريّ بذلك ولا احتفل به، فأومأ إليّ هارون أن زده؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

خَلُّـوا الطـريـقَ لمعشـر عـاداتهـمْ ... حَطـمُ المنـاكـب كـل يـوم زحـام

---

(١) الشطير: البعيد.

(٢) الخوص: جمع خوصاء، الناقة لما في عينها من غؤور وصغر، وفي س: «نخوض» بالنون في أوله والضاد المعجمة في آخره، وهو تحريف.

(٣) أراد شعراً جزلاً هو الغاية في النفاسة. وفي الأصول: «الصخرة الذر». وقد عابه مروان لهذا التعبير الذي لم يوفق فيه.

(٤) شفير كل شيء: حرفه.

(٥) قدا: قيساً وعملاً. والعنان بكسر العين هو السير يشد به اللجام. والمعنى أنهما يشبهان المهدي في صفاته.

(٦) العيدية: ضرب من نجائب الإبل. وفي الأصول: «عيدته». وشاحط من قولهم شحط فلان في السوم، إذا بلغ أقصى ثمنه. وفي الأصول: «ساخطة الإيمان».

(٧) خايلت: فاخرت وبارت. وفي الأصول: «لو حايلت».

(٨) عاج: إنعطف واهتم بالأمر.

ارضَوْا بما قسم الإلهُ لكم به ... ودَعُوا وراثةَ كلّ أصيد حام[1]

أنّى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثةُ الأعمام

قال: فوالله ما عاج بشيء منها، وخرجت الجائزتان، فأعطى مروانَ مائة ألفٍ، وأعطى النمريّ سبعين ألفاً، وقال: أنت مَزِيدٌ في ولد علي.

قال: ولقد تخلص النمريّ إلى شيء ليس عليه فيه شيء، وهو قوله:

فإن شكروا فقد أنعمتُ فيهم ... وإلا فالنَّدامة للكَفور

وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌّ ... ورُدُّوا ما يناسب للذُّكور

قال: فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه، وإلى قوله:

وما لبني بناتٍ من تراثٍ ... مع الأعمام في ورق الزَّبور

أخبرني بهذا الخبر محمدُ بن عمران الصيرفي، قال: حدثني الغنوي عن محمد بن محمد بن عبد الله بن آدمَ عن أبي معشرٍ العبديّ، فذكر القصة قريباً مما ذكره محمدُ بن جعفر النحويّ يزيد وينقص، والمعنى متقارب.

[١٣/١٤٤]

/ **كان هارون الرشيد يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء ويغضب لمن قال كأنه رسول**

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طهمان السّلمي قال: حدثني أحمدُ بنُ سيار الشيبانيّ الشاعرُ قال:

كان هارون أميرُ المؤمنين يحتمل أن يُمدَح بما تمدح به الأنبياءُ فلا يُنكِر ذلك ولا يردّه؛ حتّى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتّى قال فيه:

* فكأنّه بعد الرسول رسولُ *

فغضب هارون ولم ينتفعْ به أحد يومئذٍ، وحَرَم ذلك الشاعرَ فلم يُعْطه شيئاً، وأنشد منصورٌ النمري قصيدةً مدحَه بها وهجا آلَ علي وثَلَبهم، فَضَجِر هارونُ وقال له: يا ابن اللَّخْناء، أتظنّ أنك تتقربُ إليّ بهجاءِ قومٍ أبوهم أبي، ونسبُهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟! فقال: وما شهدنا إلا بما علمنا. فازداد غضبُه، وأمرَ مسروراً فوجأ[2] في عنقه وأُخرج، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده:

١٩/١٢

/ بني حسنٍ ورهطَ بني حُسينٍ ... عليكم بالسَّداد من الأمور

فقد ذقتم قِراعَ بني أبيكمْ ... غداةَ الرَّوْع بالبيض الذُّكور[3]

أحينَ شَفَوْكمو من كلِّ وِترٍ ... وضمُّوكم إلى كَنَفٍ وَثير[4]

وجادوكم على ظمإٍ شديد ... سُقيتم من نوالهم الغزير[5]

فما كان العقوقُ لهم جزاءً ... بفعلهم وآدى للثؤور[6]

(١) الأصيد: الملك والرافع رأسه كبراً، وحام: هو الذي يحمي الذمار.
(٢) وجأ في عنقه: ضربه.
(٣) البيض الذكور: السيوف القوية.
(٤) الوتر: الثأر. الكنف الوثير: الجناب اللين.
(٥) جاده: أمطره. في الأصول: «وجادتكم».
(٦) الثؤور: جمع ثأر.

وإنــــك حِيــــن تُبلغهــــم أذاةً وإن ظلمـــوا لمحـــزون الضميـــر[١]

فقال له: صدقت، وإلا فعليّ وعليّ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

مروان ينشد الرشيد

أخبرني الحسنُ بن علي قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلبي قال: حدثني عبدُ الصمد بن المعذَّل قال: [١٤٥/١٣] / دخل مروانُ بنُ أبي حفصة وسَلْم الخاسر، ومنصور النمري على الرشيد، فأنشده مروانُ قصيدته التي يقول فيها:

أنّــى يكــون وليــس ذاك بكــائــن لبنــي البنــاتِ وراثــةُ الأعمــامِ

وأنشده سلم فقال:

* حَضَر الرّحيل وشُدَّت الأحداجُ[٢] *

وأنشده النمري قصيدته التي يقول فيها:

إن المكــارمَ والمعــروف أوديــةٌ أحَلَّــك الله منهــا حيــثُ تجتمــعُ

الرشيد يميز شاعره الخاص عن سائر الشعراء

فأمر لكلٍّ واحد منهم بمائةِ ألفِ درهم، فقال له يحيى بنُ خالدٍ: يا أمير المؤمنين، مروانُ شاعِرك خاصّة قد ألحقتهم به. قال: فَلْيُزَدْ مروان عشرة آلاف.

إعجاب الرشيد بشعر منصور

أخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعدٍ قال: حدثني عليُّ بن الحسنِ الشيبانيُّ قال: أخبرني أبو حاتمِ الطائيّ، عن يحيى بنِ ضبيئةَ الطائيّ، عن الفضل قال: حضرتُ الرشيد وقد دخل منصور النمريُّ عليه فأنشده:

مــا تنقضِــي حســرةٌ منــي ولا جــزعُ إذا ذكــرتُ شبــابــاً ليــس يُــرتَجَــعُ

بــانَ الشّبــابُ وفــاتتنــي بلــذّتــه صــروفُ دهــرٍ وأيــامٌ لهــا خُــدَعُ

مــا كنــت أوفــي شبــابــي كُنــهَ غِــرّتــه حتّــى انقضــى فــإذا الــدنيــا لــه تَبَــعُ

قال: فتحرك الرشيد لذلك ثم قال: أحسنَ والله، لا يَتَهَنّأ أحدٌ بعيش حتّى يَخْطُِر في رِداء الشباب.

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن سعدٍ قال: حدّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ آدم العبدي عن أبي ثابت العبديّ عن [١٤٦/١٣] مروان بن أبي حفصة، قال: خرجنا مع الرشيد / إلى بلاد الروم، فظفر الرشيدُ، وقد كاد أن يعطب، لولا الله عز وجل ثم يزيد بن مزيد. فقال لي وللنَّمَري: أنشدا. فأنشدته قولي:

طــرقَتْــك زائــرةً فحــيِّ خيــالهــا غــراءُ تخلــط بــالحيــاءِ دلالهــا[٣]

ووصفتُ الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم، والظفر الذي رُزِقه، فقال: عُدّوا قصيدته؛ فكانت مائةَ بيتٍ، فأمر لي بمائةِ ألفِ درهم، ثم قال للنَّمَري: كيف رأيت فرسي فإني أنكرته؟ فقال النمرِيّ:

---

(١) ب، س: «اذاء» وصوابه ما أثبتنا من ش.

(٢) الأحداج: جمع حدج بالكسر، وهو المحفة كالهودج.

(٣) الغراء: البيضاء.

٢٠/١٢

/ مُضِزٌّ على فأسِ اللجامِ كأنّه ... إذا ما اشتكت أيدي الجيادِ يطير[١]

فظلَّ على الصَّفصافِ يومٌ تباشرت ... ضِباعٌ وذُؤبانٌ به ونسور[٢]

فأقسِمُ لا يَنْسَى لك الله أجرها ... إذا قُسِّمت بين العبادِ أجور

قال النمريّ: ثم قلت في نفسي: ما يمنعني من إذكاره بالجائزة؟ فقلت:

إذا الغيثُ أكْدَى واقشعرّتْ نجومُه ... فغيثُ أميرِ المؤمنين مَطِيرُ[٣]

وما حلَّ هارونُ الخليفةُ بلدةً ... فأخلفَها غيثٌ وكاد يضير[٤]

فقال: أذكرتَني. ورأيتهُ مُتَهَلِّلاً لذلك. قال: فألحقَني بمروانَ وأمر لي بمائةِ ألفِ درهم.

محمد الراوية المعروف بالبيدق ينشد قصيدة النمري

أخبرني عمي، قال: حدثني ابن أبي سعدٍ، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طَهْمان، قال حدثني محمد الراويةُ المعروفُ بالبيدق ـ وكان قصيراً، فلقب بالبيدق[٥] / لقصره، وكان يُنْشِدُ هارونَ أشعارَ المحدثين ـ وكان أحسنَ خلقِ الله إنشاداً ـ قال: دخلت على الرشيد وعنده الفضلُ بنُ الربيع، ويزيدُ بن مَزْيد، وبين يديه خوان لطيف عليه جَديانِ[٦] ورُغْفان سمِيد[٧] ودجاجتان، فقال لي: أنشدني، فأنشدته قصيدة النَّمَرِيّ العينية، فلما بلغت إلى قوله:

[١٣/١٤٧]

أيُّ امرىءٍ بات من هارون في سَخَطٍ ... فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ

إن المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ ... أحلَّك الله منها حيث تتسع

إذا رفعت امرأً فالله يرفعه ... ومن وضعت من الأقوام مُتضِع

نفسي فداؤك والأبطال مُعْلَمَةٌ ... يوم الوغى والمنايا بيْنَها قُزَعُ[٨]

قال: فرمى بالْخِوان بين يديه وصاح، وقال: هذا والله أطيبُ من كل طعامٍ وكل شيءٍ، وبعث إليه بسبعةِ آلافِ دينارٍ، فلم يعطِني منها ما يرضيني، وشخص إلى رأسِ العين، فأغضبني وأحفظني، فأنشدت هارون قوله:

شاءٌ من الناسِ راتِعٌ هامِلٌ ... يعللون النفوس بالباطل[٩]

فلما بلغت إلى قوله:

إلاّ مساعيرَ يغضبون لها ... بسَلَّةِ البِيضِ والقنا الذابِل[١٠]

---

(١) مضز على فأس اللجام: يقال أضز الفرس على اللجام إذا أزم عليه. وفأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك.

(٢) «فظل» في كل الأصول بالطاء المهملة، وهو تحريف. والصفصاف: مدينة غزاها سيف الدولة بن حمدان.

(٣) أكدى الغيث: منع لم يسقط مطره.

(٤) أخلف الغيث: لم يمطر. وكاد يضير: كاد يتلف لغزارته.

(٥) البيدق: الصغير الخفيف. واختلفت النسخ فكتب بعضها بالذال المعجمة وبعضها بالمهملة.

(٦) في الأصل: «جرمان».

(٧) السميد: لباب الدقيق، وهو بالذال المعجمة أفصح.

(٨) المعلمة بكسر اللام التي أعلمت أنفسها في الحرب بعلامة. وبالفتح أيضاً، أي أعلمت بذلك. بينها، أي بين الأبطال. وفي الأصل: «المنايا صابها فزع». وفي «تاريخ بغداد» ١٣ : ٦٨ : «المنايا بيتهم فزع». وصواب ما في الأصل ما أثبتنا.

(٩) في الأصول: «ساد» صوابه من «تاريخ بغداد» و «الشعر والشعراء» ٨٣٦ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر. والراتع: الذي يأكل ما شاء في رغد. والهامل: المتروك سدى ولا يعمل.

(١٠) المساعير: الذين يوقدون نار الحرب، جمع مسعار. سلة البيض: استلال السيوف. والذابل: الدقيق اللاصق الليط، أي القشر.

الرشيد يبعث بمن يقتل النمري في يوم وفاته

[١٤٨/١٣] قال: أراه يحرّضُ عليّ، ابعثوا إليه من يجيءُ برأسِه. فكلّمه فيه الفضلُ بن الربيع / فلم يغنِ كلامه شيئاً، وتوجّه إليه الرسولُ فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودُفِن. قال: وكان إنشادُ محمدِ البيدقِ يُطرِب كما يطرِب الغناء.

سبب غضب الرشيد على النمري

أخبرني عميّ، قال: حدّثنا ابنُ أبي سعدٍ، قال: حدثنا عليّ بن الحسين الشيباني، قال: أخبرني منصور بن جهور، قال: سألت العتابي عن سببِ غضبِ الرشيدِ عليه، فقال لي: استقبلت منصوراً النمري يوماً من الأيام فرأيته مغموماً واجماً كئيباً، فقلت له: ما خَبَرُك؟ فقال: تركت امرأتي تُطْلَقُ[1]، وقد عسر عليها ولادها، وهي يدي ورِجلي، والقَيِّمَةُ بأمري وأمرِ منزلي. فقلت له: لم لا تكتبُ على فَرْجِها «هارون الرشيد»؟ قال: ليكون ماذا؟ قال: لتلد على المكان، قال: وكيف ذلك؟ قلت: لقولك:

٢١/١٢ إن أخلف الغيثُ لم تُخلِف مخايلُه ... أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتّسعُ[2]

/ فقال لي: يا كشخان[3]، والله لئن تخلصتِ امرأتي لأذكرنّ قولك هذا للرشيد. فلما ولدتِ امرأته خبّر الرشيدَ بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيدُ لذلك وأمر بطلبي، فاستترت عند الفضل بن الربيع، فلم يزل يُسأل فيّ حتى أذن لي في الظهور؛ فلما دخلتُ عليه، قال لي: قد بلغني ما قلتَه للنمَريّ، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت: واللهِ يا أمير المؤمنين ما حَمَله على التكذُّبِ عليّ إلاّ وقوفي على مَيْله إلى العَلَويّة، فإنْ أراد أمير المؤمنين أن أُنشِدَه شعره في مديحهم فعلتُ. فقال: أنشدني. فأنشدته قوله:

شاءٌ من الناس راتعٌ هاملْ ... يعلّلون النفوس بالباطلْ[4]

[١٤٩/١٣] / حتى بلغت إلى قوله:

إلاّ مساعير يغضبون لها ... بسَلّة البيضِ والقنا الذّابلْ

غضب الرشيد وطلبه نبش جثة النمري

فغضب من ذلك غضباً شديداً، وقال للفضلِ بنِ الربيعِ: أحضِرْه الساعة. فبعث الفضل في ذلك، فوجده قد تُوُفِّيَ، فأمر بنبشِه ليحرِقه، فلم يزل الفضل يَلطُف له حتى كفّ عنه.

الفضل بن الربيع يحمي النمري

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال: حدثنا يحيى بن الحسنِ بنِ عبدِ الخالقِ، قال: حدثني بعض الزينبيّين، قال: حبس الرشيد منصوراً النمريّ بسبب الرفضِ[5]، فتخلّصه الفضل بن الربيع، ثم بلغه شعره في آلِ عليّ عليه السلام، فقال للفضل: اطلبه. فستّره الفضل عنده، وجعل الرشيدُ يُلحُّ في طلبه، حتّى قال يوماً للفضل:

---

(١) تطلق بالبناء للمجهول: تعاني وجع الولادة.

(٢) مخايله: جمع مخيلة بالفتح، وهي السحابة.

(٣) الكشخان بالفتح والكسر: الديوث.

(٤) بعده في «الشعر والشعراء»:

تقتل ذرية النبيّ ويرجون جنان الخلد للقاتل

(٥) الرفض: ضرب من التشيع لآل علي. ذكر في «القاموس» أن الروافض كل جند تركوا قائدهم. والرافضة: الفرقة منهم وفرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين. فأبى وقال: كانا وزيري جدّي. فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه، والنسبة رافضي.

وَيْحَكَ يا فضلُ تُفَوِّتُني النمريّ؟ قال: يا سيدي، هو عندي قد حصّلته. قال: فجئني. وكان الفضل قد أمره أن يُطَوِّلَ شعره، ويكثر مباشرة الشمس ليشحُبَ وتسوء حالته، ففعل، فلما أراد إدخالَه عليه ألبسه فَروة مقلوبة، وأدخله عليه، وقد عفا[1] شعرُه، وساءت حالته، فلما رآه، قال: السيف! فقال الفضلُ: يا سيدي من هذا الكلبُ حتى تأمرَ بقتله بحضرتك؟ قال: أليس هو القائل:

إلا مساعيرَ يغضبون لها ... بسَلَّةِ البِيضِ والقنا الذابلِ

/ فقال منصور: لا يا سيدي ما أنا قائلٌ هذا، ولقد كُذِب عليّ، ولكني القائل: [١٥٠/١٣]

يا منزل الحي ذا المغاني ... انعِم صباحاً على بِلاكا[2]

هارون يا خير من يُرَجّى ... لم يُطِعِ اللهَ مَنْ عَصاكا

في خير دينٍ وخير دنيا ... من اتّقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخليةِ سبيله، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع:

رأيت المُلْكَ مُذْ آزرتَ قد قامت مَحانيهِ[3]

هو الأوحد في الفضلِ فما يعرف ثانيهِ

عفة النمري

أخبرني عمي، قال: حدثنا ابن أبي سعدٍ، قال: حدثني علي بن مسلم بن الهيثم الكوفيّ عن محمد بن أرتبيل، قال:

اجتمع عند المأمون قبل خلافته، وذلك في أيام الرشيد، منصورٌ / النمري والخزَيْميُّ والعباس بن زفر، وعنده جعفر بن يحيى، فحضر الغداء، فأُتِيَ المأمون بلونٍ من الطعام، فأكل منه فاستطابه، فأمر به فَوُضِع بين يديْ جعفر بن يحيى، فأصاب منه، ثم أمر به فوضِع بين يدَيِ العباس فأكل منه، ثم نحّاه، فأكل منه بعده الخزيمي وغيره ـ ولم يأكل منه النَّمَري ـ وذلك بعين المأمون، فقال له: لِمَ لم تأكل؟ فقال: لئن أكلتُ ما أبقى هؤلاء إني لنهِمٌ. قال: فهل قلتَ في هذا شيئاً؟ قال: نعم، قلت: [٢٢/١٢]

لَهْفي أطعِمها قينسا وآكلها ... إني إذاً لدنيءُ النفسِ والخطرِ[4]

ما كان جدي ولا كان الهُمام أبي ... ليأكلا سؤرَ عباس ولا زُفَرِ

/ شتّانَ مِن سؤر عباس وفضلته ... وسؤر كلبٍ مُغطّى العين بالوبر[5] [١٥١/١٣]

ما زال يلقَمُ والطّباخُ يلحظُه ... وقد رأى لُقَماً في الحلق كالعُجَر[6]

---

(١) عفا شعره: طال وكثر.

(٢) البلى: القدم.

(٣) آزرت: عاونت وصرت وزيراً. محانيه: معاطفه. وفي الأصول:

رأيت الملك وهذا زر ... ت قد قامت أحانيه

(٤) الخطر: القدر والمنزلة.

(٥) السؤر: البقية والفضلة.

(٦) العجر جمع عجرة: وهي العقدة.

نسبة هذه القصيدة إلى منصور بن بجرة

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ وعمي، قالا: حدثنا الحسن بن عليلٍ العنزي، قال: أخبرني علقمة بن نصر بن واصلٍ النمري، قال: سمعتُ أشياخنا يقولون: إن منصور بن بُجْرةَ بن منصور بن صُليل بن أُشَيَمَ بن قَطنٍ بن سعدِ بن عامرٍ بن الضَّحيانِ بن سعد بن الخزرج بن تيم اللهِ بنِ النمرِ بن قاسطٍ، قال هذه القصيدة:

مـــا تنقضِـــي حســـرة منـــي ولا جـــزع ... إذا ذكـــرت شبـــابـــاً ليـــس يُـــرتجـــعُ

بـــان الشبـــاب وفـــاتتنـــي بِشِـــرَّتـــهِ ... صـــروفُ دهـــرٍ وأيـــام لهـــا خُـــدَعُ[1]

مـــا كنـــت أولَ مسلـــوبٍ شبيبَتَـــهُ ... مكســـوِّ شيـــبٍ فـــلا يـــذهـــبْ بـــك الجـــزعُ

منصور بن سلمة يستوهبها منه ويطلبه الرشيد ولكنه يرده فيستنجد بيزيد الشيباني فيدخله

فسمعها منصورُ بنُ سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخمَ بنِ مالكِ بنِ سعدِ بن عامرِ الضحيان فاستحسنها، فاستوهبها منه فوهبها له، وكان منصور بن بجرة هذا موسراً لا يتصدَّى لمدح ولا يفِد إلى أحد ولا ينتجعه بالشعر، وكان هارون الرشيد قد جَرد السيفَ في ربيعة، فوجّه منصورُ بن سلمة هذه القصيدة إلى الرشيد، وكان رجلاً تَقْتَحمه[2] العين جداً، ويزدريه من رآه لدمامة خَلْقِهِ فأمر الرشيدُ لمّا عُرِضَتْ عليه بإحضار قائلها. قال منصور: فلما وصلت إليه عرّفني الحاجب أنّه لما عُرِضت عليه قرأها واختارها على جميع شعر الشعراء جميعاً، وأمره بإدخالي، فلما قرُبت من حاجبه الفضل بن الربيع ازدراني لدمامةِ خلقي، وكان قصيراً أزرقَ أحمرَ أعمش[3] نحيفاً. قال: فردَّني، وأمر بإخراجي فأُخرجت، / فمرّ بي ذات يوم يزيد بن مَزْيدٍ الشيبانيُّ[4]، فصحت به: يا أبا خالد، أنا رجلٌ من عشيرتك، وقد لحقني ضيم، وعذت بك. فوقف، فعرّفته خبري، وسألته: أن يَذكرني إذا مَرّت به رقعتي، ويتلطّفَ في إيصالي، ففعل ذلك، فلمّا دخلت على أمير المؤمنين أنشدته هذه القصيدة: [١٣/١٥٢]

* أتسلو وقد بانَ الشبابُ المزايلُ *

الرشيد يرفع السيف عن ربيعة

فقال لي: غداً إن شاء الله آمر برفع السيف عن ربيعة ـ وخرج يزيد يركُض، فما جاءت العصر من الغد حتّى رفِع السيف عن ربيعة بنَصِيبين وما يليها، وأنشدته القصيدة، فلما صرت إلى هذا الموضع:

وعـــانٍ بجُـــودٌ كلهـــم متحـــامـــل[5] / ... يُجـــرِّد فينـــا السيـــفَ مـــن بيـــن مـــارقٍ

جلساء الرشيد يظنون في هذا البيت حتف منصور

/ قالوا: فلما سمع الجلساءُ هذا البيت، قالوا: ذهب الأعرابي وافتضح، فلما قلت: ٢٣/١٢

وقـــد علـــم العُـــدوان والجـــورُ والخنـــا ... بـــأنّـــك عيّـــافٌ لهـــنّ مُـــزايِـــلُ[6]

ولـــو علِمـــوا فينـــا بـــأمـــرك لـــم يكـــن ... يَنـــال بـــريِّـــا بـــالأذى متنـــاولُ

---

(١) فاتتني: تخطتني ولم تصبني. والشرة: النشاط.

(٢) تقتحمه: تتخطاه إلى غيره، وذلك لضعف شأنه.

(٣) الأعمش: ضعيف البصر مع سيلان الدمع.

(٤) في الأصل: «مزيد بن يزيد الشيباني».

(٥) العاني: الأسير. بجود: جمع بجد: الجماعة من الناس. وقد وردت في كل الأصول بالخاء بدل الجيم، والمعنى لا يستقيم بهذا.

(٦) العياف: الشديد الكراهة. والمزايل: المفارق.

لنـا منـكَ أرحـام ونحتـدُ طـاعـةً ... وبـأسـاً إذا اصطـكَّ القنـا والقنـابـلُ[١]

ومـا يَحفـظ الأنسـابَ مثلَـك حـافـظٌ ... ولا يصِـلُ الأرحـامَ مثلَـك واصـلُ[٢]

جعلنـاك، فسامنعنـا، مَعَـاذاً ومفـزعـا ... لنـا حيـن عضتنـا الخطـوبُ الجلائـلُ[٣]

وأنـت إذا عـاذت بـوجهـك عُـوَّذ ... تَطـامـنَ خـوفٌ واستقـرّت بَـلابِـلُ[٤]

/ فقال الجلساء: أحسَنَ والله الأعرابيُّ يا أمير المؤمنين! فقال الرشيد: يُرفَع السّيف عن ربيعة ويُحسنُ إليهم. [١٥٣/١٣]

منصور النمري ينشد الرشيد ومعه الكسائي ويأمر له بجائزة

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبدُ الله بن أبي سعدِ، قال: حدثني عليُّ بنُ الحسين بن عبيدِ البكريُّ قال: أخبرني أبو خالد الطائي عن الفضل، قال:

كنا عند الرشيد وعنده الكسائي، فدخل إليه منصورٌ النمريّ، فقال له الرّشيد: أنشِدني. فأنشده قوله:

مـا تنقضـي حَسـرةٌ منـي ولا جـزعُ ... إذا ذكـرتُ شبـابـاً ليـس يُـرتَجَـعُ

فتحرّك الرشيد، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله:

مـا كنـت أوفِـي شبـابـي كُنـهَ عِـزّتـه ... حتـى انقضـى فـإذا الـدُّنيـا لـه تَبَـعُ[٥]

فطرب الرُّشيدُ، وقال: أحسنتَ والله، وصدقتَ، لا والله لا يتهنَّا أحد يعيش حتى يَخطِر في رداء الشباب! وأمر به بجائزة سنية.

جماعة من الشعراء يتهكمون بالنمري لعدم اشتراكه في الشراب

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعدِ، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن طَهمان السلمي، قال: حدثني أحمد بن سنانِ البيساني، وأخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعدِ، قال: حدثنا مسعود بن عيسى، عن موسى بن عبد الله التميمي: أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد وفيهم منصور النمري، وكانوا على نبيذٍ، فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا له: إنما تعاف الشربَ لأنّك رافضي، وتسمع وتُصْغي إلى الغناء، وليس تركك النبيذ من ورعٍ. فقال منصور:

/ صوت [١٥٤/١٣]

خَـلا بيـن نَـدمـانـيَّ مـوضـعُ مجلِسـي ... ولـم يَبـقَ عنـدي للـوِصـال نصيـبُ

/ وَرُدَّت على السّـاقـي تفيـض وربّمـا ... رَددتُ عليـه الكـأسَ وهـي سليـب[٦]

وأيُّ امـرىءٍ لا يستَهِـشُّ إذا جـرت ... عليـه بَنـانٌ كفُّهـنّ خضيـبُ

٢ـ/١٢

الغناء لإبراهيم، خفيفُ ثقيل، مطلق في مجرى البِنصرِ. ومن الناس من ينسبه إلى مخارق، هكذا في الخبر.

---

(١) القنابل: جمع قنبلة بفتح القاف: الطائفة من الناس والخيل.
(٢) في الأصول: «الإنسان».
(٣) فامنعنا، بالنون كما في ش، أما في س، ب فبالتاء وهو تصحيف. والجلائل: العظيمات.
(٤) عوذ جمع عائذ: هو الملتجىء. البلابل: الوساوس والهواجس.
(٥) الكُنه: القدر.
(٦) السليب: الفارغ. يعني الكأس. وفي بعض الأصول: «وهو سليب» تحريف. والكأس مؤنثة.

قصيدة للعتابي كتبها إلى منصور النمري

وقد حدثني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرِّد، قال: كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى منصور النمري قوله:

تَقَضَّتْ لُبَاناتٌ ولاح مشيب ... وأشفَى على شمس النَّهار غروبُ
وودَّعت إخوانَ الصِّبا وتصرَّمت ... غَوايةُ قلبٍ كانَ وهو طروبُ[1]
ورُدَّت على السّاقي تفيض وربَّما ... رددت عليه الكأسَ وهي سليب
وممّا يَهِيجُ الشّوقَ لي فيَرُدُّه ... خفيفٌ على أيدي القِيان صَخوبُ[2]
عَطَوْن بهِ حتّى جرى في أديمه ... أصابيغ في لبّاتهنّ وطيبُ[3]

فأجابه النمري وقال:

أوحشَةَ نَدمانيك تبكي فربَّما ... تلاقيهما والحِلم عنك عَزُوب[4]
ترى خَلَفاً من كل نَيْلٍ وثروةٍ ... سماعَ قيانٍ عودهنّ قريبُ[5]
[١٣/١٥٥] / يغنيك يابنتي فتستصحب النُّهى ... وتحتازك الآفاتُ حين أغيب[6]
وإنّ امرأً أودى السماعُ بلُبِّه ... لعُريانُ من ثوب الفلاح سليبُ

النمري ينشد يزيد بن مزيد فيعطيه مائة دينار

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي أبو مسعر، قال: أتى النمري يزيد بن مزيد ويزيد يومئذٍ في إضاقة[7] وعسرة، فقال: اسمع منّي جُعِلت فِداك. فأنشده قصيدةً له، يقول فيها:

لو لم يكن لبني شيبانَ من حَسَب ... سوى يزيدَ لفاتوا الناس في الحسب
تأوِي المكارم من بكر إلى مَلِكٍ ... من آل شيبانَ يحويهنّ من كَثَب
أبٌ وعمٌّ وأخوالٌ مناصبُهم ... في منبت النَّبع لا في منبت الغَرَبِ[8]
إنّ أبا خالد لما جَرى وجرت ... خيلُ الندى أحرزَ الأُولَى من القَصَب
لما تلغَّبهنَّ الجريُ قدّمه ... عِتقٌ مُبينٌ ومحضٌ غير مؤتشَب[9]

---

(١) تصرمت: تقطعت. وفي الأصول «تغرمت». طروب وردت في ب، جـ أما في س فهي «حروب».
(٢) في الأصول: «فترده» تحريف، أي فيرد الشوق. والخفيف، يعني به العود.
(٣) عطون به: تناولنه ومددن أعناقهن. أصابيغ: جمع للصبغ، عنى به الزعفران ونحوه من الطيب ذي اللون. وفي الأصول: «أصابيع» تحريف. واللبات: مواضع النحر.
(٤) العزوب: الشديد البعد.
(٥) أي قريب المتناول.
(٦) تحتازك: تلم بك.
(٧) الإضاقة: ذهاب المال والضيق.
(٨) الغرب بالتحريك: ضرب من الشجر.
(٩) تلغبهن: أطال الطرد. والعتق: الكرم. وغير مؤتشب: غير مختلط.

إن الـذيـن اغتَـزَوا بـالحُـرّ غـرّتـه ... كمغتـزي الليـث فـي عِـرّيسِـهِ الأشـب[١]

ضـربـاً دِرَاكـاً وشَـدّاتٍ علـى عَنَـقٍ ... كـأنّ إيقـاعهـا النّيـرانُ فـي الحطـب[٢]

لا تقـرَبـنّ يـزيـداً عنـد صـولتـه ... لكِـنْ إذا مـا احتبـى للجُـود فـاقتـرب[٣]

فقال يزيد: والله ما أصبح في بيتِ مالي شيء، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته. فجاءه بمائةِ دينارٍ وحلفَ أنّه لا يملك يومئذٍ غيرها.

/ **منصور يتحسر على شبابه لما نظرت الغانية إلى غيره** [١٥٦/١٣]

وقد أخبرني عمي بهذا الخبر، قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدثني عمي عن جدي، قال: قال لي منصور النمريّ: كنت واقفاً على جسرِ بغداد أنا وعبيدُ الله بن هشام بن عمرو التغلبي، وقد وَخَطني الشَّيب يومئذٍ، وعبيد الله شابٌ حديث السن، فإذا أنا بقَصْرية[٤] ظريفة قد وقفت، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفَتْ، وقلت فيها:

لمّـا رأيـتِ سَـوَامَ الشيـبِ منتشِـراً ... فـي لِمّتـي وعبيـدَ الله لـم يشِـبِ[٥]

سَللـتِ سهميـنِ مـن عينيـكِ فـانتضـلا ... علـى سبيبـة ذي الأذيـال والطـربِ[٦]

كـذا الغـوانـي نـرى منهـن قـاصـدة ... إلـى الفـروع معـرّاة عـن الخشـب[٧]

لا أنـتِ أصبحـت تعتـدِّيننـا أربـاً ... ولا وعيشِـك مـا أصبحـتِ مـن أربـي[٨]

إحـدى وخمسيـن قـد أنضيـت جِـدّتهـا ... تحـول بينـي وبيـن اللهـو والـلعـبِ[٩]

/ لا تحسَبِنّي وإن أغضيـتُ عـن بصـري ... غَفَلـتُ عنـك ولا عـن شـأنـك العجـبِ ٢٥/١٢

ثم عَدلت عن ذلك فمدحتُ فيها يزيد بن مزيد فقلت:

لـو لـم يكـن لبنـي شيبـانَ مـن حسـبٍ ... سـوى يـزيـدَ لفـاقـوا النـاسَ بـالحسَـب

لا تحسـب النـاسَ قـد حـابَـوْا بنـي مطـرٍ ... إذا أسلِـمَ الجـودُ فيهـم عـاقد الطنبِ[١٠]

الجـود أخشَـنُ لمسـاً يـابنـي مطـر ... مـن أن تَبـزُّكُمـوهُ كـفُّ مستلِـب

/ مـا أعـرفَ النـاسَ أنّ الجُـود مَـدفَعـةٌ ... للـذمّ لكنّـه يـأتِـي علـى النشـب[١١] [١٥٧/١٣]

قال: فأعطاني يزيدُ عشرة آلاف درهم.

---

(١) اغتزوا: قصدوا. والمغتزي: القاصد. وفي الأصول: «اعتروا» و «كمنتزي». وهاتان الكلمتان محرفتان. والعريس: مأوى الأسد. والأشب: الشجر الملتف.

(٢) الدراك: لحاق الفرس الوحش وإتباع الشيء بعضه بعضاً. والعنق بالتحريك: سير سريع.

(٣) احتبى بالثوب: اشتمل به، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو غيرها.

(٤) القصرية: نسبة إلى القصر، صفة للغانية.

(٥) السوام في الأصل: الإبل الراعية، وعنى به الشيب المتفرق في جوانب الرأس. واللمة: الشعر المجاور شحمة الأذن.

(٦) انتضلا: خرجا. والسبيبة: الخصلة من الشعر. وفي الأصول: «سبية».

(٧) القاصدة: المتجهة. معراة عن الخشب: أي تحب الشباب وبهجته، ولا يروقها كبار السن.

(٨) تعتدّيننا: تعدّيننا. وفي الأصول: «تعقد بيننا أرباً» وفي «تاريخ بغداد»: «تفيدينني»، وصواب هذه الأخيرة: «تعتدينني».

(٩) أنضيت: أخلقت وأبليت.

(١٠) الطنب: حبل طويل يشد به سرادق البيت.

(١١) النشب بالشين المعجمة في ش، وبالمهملة في جـ، س وهو تحريف. والنشب: المال والعقار.

النمري لم يعد مدحاً ولكنه أطال المعنى فيما قال فينال صلة

حدثني عمي، قال: حدثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبل، قال: حدثني عمرو بن عثمان الموصلي، قال حدثني ابن أبي رَوْق الهمداني، قال:

قال لي منصور النمري: دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعددتُ له مدحاً، فوجدته نشيطاً طيّب النفس، فرمتُ شيئاً فما جاءني، ونظر إليّ مستنطقاً، فقلت:

إذا اعتاصَ المديحُ عليك فامدَحْ ... أميرَ المؤمنين تَجِدْ مقالا[1]

وعُذْ بِفنائه واجْنَحْ إليه ... تَنَلْ عُرْفاً ولم تُذْلِلْ سؤالا

فِناءٌ لا تزال به رِكابٌ ... وضَعن مدائحاً وحَمَلن مالا

فقال: والله لئن قصّرت القولَ لقد أطلتَ المعنى. وأمرَ لي بصلةٍ سنيّة.

صوت

طربتَ إلى الحيِّ الذين تحمّلوا ... بِبُرقةِ أحواذ وأنت طروب[2]

فبِتُّ أسَقّاها سُلافاً مُدامةً ... لها في عظامِ الشَّاربين دبيب[3]

الشعر لعبد الله بن الحجاج الثعلبي، والغناء لِعَلُّوَيْه، رمل بالوسطى، عن الهشامي، وفيه لسليم خفيفُ رملٍ، مطلقٌ في مجرى الوسطى.

---

(١) اعتاص: تعسر.

(٢) أحواذ، جمع حاذ: شجر تألفه بقر الوحش. وبرقة أحواذ: موضع كما في «معجم البلدان». في س: «أحوان» ب «اخوان» محرفتان.

(٣) السلاف: الخمر.

/ نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره [١٣/١٥٨]

نسب عبد الله بن الحجاج وأخباره

هو عبدُ اللهِ بن الحجاجِ بنِ محصنِ بن جندُبِ بنِ نصرِ بنِ عمرِو بنِ عبدِ غنم بنِ جحاشِ بنِ بَجالة بنِ مازنِ بنِ ثعلبة بنِ سعدِ بنِ ذبيان بنِ بغيض بنِ الريث بنِ غطفان بنِ سعدِ بنِ قيس بنِ عيلان بنِ مضر. ويكنى أبا الأقرع. شاعرٌ فاتكٌ شجاعٌ من معدودي فرسان مُضرَ ذوي البأس والنَّجدة فيهم، وكان ممَّن خرج مع عمرو بنِ سعيدٍ على عبدِ الملكِ بنِ مروان، فلما قتل عبد الملك بنُ مروان عَمراً خرج مع نجدةَ بن عامرٍ الحنفيّ ثم هرب، فلحق بعبد الله بن الزبير، فكان معه إلى أن قُتِل، ثم جاء إلى عبد الملك متنكِّراً، واحتال عليه حتى أمّنه.

وأخباره تُذْكر في ذلك وغيره ها هنا.

الحجاج وتسرعه إلى الفتن

أخبرني بِخبره في تنقُّله من عسكرٍ إلى عسكر، ثم استئمانه، جماعةٌ من شيوخنا، فذكروه متفرِّقاً فأبتدأتُ بأسانيدهم، وجمعتُ خبره من روايتهم.

فأخبرنا الحَرميّ ابنُ أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكارٍ، قال: حدثني اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس ببعضه، قال: حدثني سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا يحيى بنُ سعيدٍ الأموي؛ / وأخبرنا محمدُ بنُ عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزيُّ، قال: حدثنا محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثنا محمد بن كُناسةَ؛ وأخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني علي بنِ مسلمِ بنِ الهيثم الكوفي عن محمدِ بنِ أزتَيل؛ ونسخت بعض هذه الأخبار من نسخة أبي العباس ثعلبٍ، والألفاظُ تختلف في بعضها والمعاني قريبةٌ، قالوا: [ددد ١٢]

كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي شجاعاً فاتكاً صعلوكاً من صعاليك العرب، وكان متسرعاً إلى الفتنِ، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص، فلما ظفر به عبدُ الملك / هرب إلى ابن الزُّبير، فكان معه حتّى قُتِل، ثم اندسّ إلى عبد الملك فكُلِّم فيه فأمّنه. [١٣/١٥٩]

دخوله على عبد الملك بتحايل منه أو من غيره

هذه رواية ثعلب، وقال العنزيُّ وابن سعد في روايتهما:

لما قُتل عبدُ الله بن الزبير، وكان عبدُ الله بن الحجاج مِن أصحابه وشيعته احتال حتى دخل على عبد الملك بن مروان وهو يطعم الناس، فدخل حجرةً، فقال له: مَالكَ يا هذا لا تأكُل؟ قال: لا أستَحِلُّ أن آكل حتى تأذنَ لي. قال: إنّي قد أذنتُ للناس جميعاً. قال: لم أعْلَمْ فآكلَ بأمرك. قال: كلْ. فأكل، وعبد الملك ينظرُ إليه ويعجبُ من فِعاله، فلما أكل الناسُ [و] جلس عبدُ الملك في مجلسه، وجلس خواصُّه بين يديه، وتفرّق الناس، جاء عبد الله بن الحجاج فوقف بين يديه، ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده:

أبلِغْ أميرَ المؤمنين فإنّني ... مما لقيتُ مِن الحوادثِ موجَعُ

مُنِعَ القَرَارُ فجئتُ نحوك هارباً ... جيش يَجُرُّ ومِقْنَبٌ يتلمعُ[١]

فقال عبدُ الملك: وما خوفُك لا أُمَّ لك، لولا[٢] أنك مُريبٌ! فقال عبد الله:

إنّ البلادَ علي وهي عريضةٌ ... وعُرَت مذاهبُها وسُدَّ المطلعُ

فقال له عبدُ الملِكِ: ذلك بما كَسَبَتْ يداك، وما الله بظلّامٍ للعبيد. فقال عبد الله:

كنا تَنَحّلْنا البصائرَ مَرّةً ... وإليك إذ عمِي البصائرُ نرجعُ[٣]

إن الذي يَعْصِيك منا بعدها ... مِن دينه وحياته متودِّعُ

آتي رِضاك ولا أعودُ لمثلها ... وأطيعُ أمرَك ما أمرتَ وأسمعُ

أعطِي نصيحتيَ الخليفةَ ناخِعاً ... وخِزامةَ الأنفِ المقودِ فأتبعُ[٤]

[١٣/١٦٠] / فقال له عبد الملك: هذا لا نقبلُه منك إلا بعد المعرفة بك وبذنبك، فإذا عُرِفَت الحَوْبةُ قبلنا التوبةَ. فقال عبد الله:

ولقد وطئتَ بني سعيد وطأةً ... وابنَ الزبير فعرشه متضَعْضِعُ

فقال عبد الملك: لله الحمد والمِنة على ذلك. فقال عبد الله:

ما زلتَ تضربُ مَنكِباً عن منكِبٍ ... تعلو ويسفل غيركم ما يُرفعُ

ووَطِئتم في الحرب حتى أصبحوا ... حدثاً يكُوس وغابراً يتجعجعُ[٥]

فحوى خلافتَهم ولم يظلم بها ... القرمُ قرمُ بني قصيٍّ الأنزعُ[٦]

لا يستوي خاوي نجوم أُفَّلٍ ... والبدرُ منبلجاً إذا ما يطلعُ[٧]

٢٧/١٢ / وُضعَتْ أميةُ واسِطِين لقومهم ... ووُضِعت وَسْطَهمُ فنعم الموضعُ[٨]

بيتٌ أبو العاصي بناه بِربوةٍ ... عالي المَشارف عزُّه ما يُدْفعُ[٩]

فقال له عبد الملك: إنّ توريتك عن نفسك لتُريبني، فأيُّ الفسقة أنت؟ وماذا تريدُ؟ فقال:

حَرَبَتْ أُصَيْبِيَتي يدٌ أرسلتها ... وإليك بعد مَعادِها ما ترجعُ[١٠]

---

(١) المقنب: الخيل زهاء الثلاثين أو ما بين الثلاثين إلى الأربعين تجتمع للغارة. يتلمع: يبرق ويضيء بما فيه من لمعان السيوف والسلاح.

(٢) في حـ: «إلا».

(٣) تنحله وانتحله: ادّعاه لنفسه وهو لغيره. وفي حـ: «إن».

(٤) في الأصول: «ناجعاً»، تحريف. ويقال نخع فلاناً الود والنصيحة: أخلصهما له. الخزامة: حلقة في أنف البعير أو في لحمة أنفه.

(٥) في الأصل: «يؤس» تحريف. ويكوس، من قولهم كاس البعير: مشى على ثلاث قوائم بعدما عرقب. يتجعجع: يضرب بنفسه الأرض من وجع.

(٦) الأنزع: من ينحسر عنه الشعر من أعلى الجبين حتى يصعد في الرأس. وفي صفة عليّ رضي الله عنه «البطين الأنزع». والعرب تحب النزع وتتيمن بالأنزع.

(٧) الخاوي من النجوم: الماحل الذي لا يمطر.

(٨) الواسطون: الخيار.

(٩) المشارف: الأعالي.

(١٠) حربت: سلبت المال ولم تترك شيئاً. وفي حـ، ب بالجيم المعجمة. أصيبيتي: تصغير أصبية بفتح الهمزة وسكون الصاد وكسر الباء جمع صبي.

وأرى الـذي يـرجـو تُـراثَ محمـدٍ أفَلَتْ نجـومهـمُ ونجمُـك يسطـع[١]

[١٦١/١٣] / فقال عبد الملك: ذلك جزاءُ أعداءِ الله. فقال عبد الله بن الحجاج:

فـانعـش أُصَيْبِيتـي الأُلاءِ كـأنّهـم جَحَـلٌ تـدرَّجُ بـالشـرَبّـة جُـوَّعُ[٢]

فقال عبد الملك: لا أنعَشَهُمُ الله، وأجاع أكبادَهم، ولا أبقى وليداً من نسلهم، فإنهم نسلُ كافرٍ فاجرٍ لا يبالي ما صنع[٣]. فقال عبد الله:

مـالٌ لهـم ممـا يُضَـنُّ جمعتُـه يـومَ القليـب فَحيـزَ عنهـم أجمـع[٤]

فقال له عبد الملك: لعلك أخذتَهُ من غير حِلِّهِ، وأنفقته في غيرِ حقِّه، وأرصدت به لِمُشاقَّةِ[٥] أولياءِ الله، وأعدَدْتَه لِمعاونةِ أعدائه، فنزعه منك إذ استظهرتَ به على معصيةِ الله. فقال عبد الله:

أدنـو لِتَـرْحَمَنـي وتجبـرَ فـاقتـي فـأراك تـدفَعُنـي فـأيـن المـدفـع[٦]

فتبسم عبد الملك، وقال له: إلى النار، فمن أنت الآن؟ قال: أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبيُّ، وقد وطئتُ دارَكَ وأكلتُ طعامك، وأنشدتك، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه، وأنتَ بما عليك في هذا عارف. ثم عاد إلى إنشادِه، فقال:

ضـاقـت ثيـابُ المُلبِسيـن وفضلُهـم عنِّـي فـألبِسنـي فثـوبُـك أوسـعُ

فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه، وقال: البسه، لا لبستَ! فالتحف به، ثم قال له عبدُ الملك: أوْلَى لك والله، لقد طاولتُك طمَعاً في أن يقوم بعض / هؤلاء فيقتلَكَ، فأبى الله ذلك، فلا تجاوزني في بَلَدٍ، وانصرِفْ آمناً، [١٦٢/١٣] قُمْ حيثُ شئتَ.

ـ قال اليزيدي في خبره: قال عبد الله بن الحجاج: ما زلتُ أتعرَّفُ منه كلّ ما أكره حتى أنشدتُه قولي:

ضـاقـت ثيـابُ الملبِسيـن وفضلُهـم عنـي فـألبِسنـي فثـوبُـك أوسـعُ

فرمى عبد الملك مُطْرفه[٧]، وقال: البسه. فلبستُه ـ

ثم قال: آكل يا أمير المؤمنين؟ قال: كل. فأكل حتى شبع، ثم قال: أمِنتُ وربِّ الكعبة؟ فقال: كن من شئتَ إلا عبد الله بن الحجاج. قال: فأنا والله هو، وقد أكلتُ طعامك، ولبست ثِيابَك، فأيُّ خوفٍ عليَّ بعدَ ذلك؟ فأمضى له الأمان.

التجاؤه إلى أحيح بن خالد وهجاؤه إياه حين غدر به

ونسخت من كتاب أحمدِ بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي، قال:

---

(١) هذا البيت في كل الأصول، وليس في حـ. والذي هنا بمعنى الذين. كما في قوله تعالى: ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ وكقول الشاعر:
وإن الـذي حـانـت بفلـج دمـاؤهـم هـم القـوم كـل القـوم يـا أم خـالـد

(٢) الألاء لغة في الألى، مثل ما جاء في قوله:
أبـى الله للشـم الألاء كـأنهـم سيـوف أجاد القيـن يـومـاً صقـالهـا
وروى: «فارحم أصيبيتي هديت فإنهم». الحجل: ضرب من الطير، واسم الجمع منه الحجلى. والبيت في «اللسان» (حجل) برواية: «حجل تدرج». الشربة: الأرض المعشبة لا شجر بها، وموضع بنجد.

(٣) الكلام من «ولا أبقى» إلى هنا ساقط من حـ.

(٤) ورد في حـ: «ما إن لهم مما تظن». حيز عنهم: أبعد.

(٥) المشاقة: المعاداة والمحاربة.

(٦) فأين المدفع: أين الجهة التي تدفعني إليها لأنال منها.

(٧) المطرف بضم الأوّل وكسره: رداء من خز مربع ذو أعلام.

كان عبد الله بن الحجاج قد خرج مع نجدة بن عامرٍ الحنفيّ الشاري، فلما انقضى أمرُهُ هرب، وضاقت عليه الأرضُ من شدّة الطلب، فقال في ذلك:

رأيــت بــلادَ الله وهْــيَ عــريضــةٌ ... علـى الخـائـفِ المطـرودِ كِفّـةَ حـابِـلِ (١)

تــؤدّي إليــه أن كــلّ ثَنِيَّــة ... تيمّمَهـا تـرمِـي إليـه بـقـاتـلِ (٢)

٢٨/١٢ / قال: ثم لجأ إلى أُحَيْح بن خالد بن عُقبةَ بن أبي مُعيطٍ، فسَعَى به إلى الوليدِ بن عبدالملك، فبعث إليه بالشُّرَط، فأُخِذ من دار أحيح، فَأُتِيَ به الوليدَ فحبسه، فقال وهو في الحبس:

[١٦٣/١٣] / أقــول وذاك فــرطُ الشـوقِ منّــي ... لعينــي إذ نــأت ظميــاءُ فِيضِــي (٣)

فمــا للقلــب صبــرٌ يــوم بــانــت ... ومــا للــدمــع يُسفَــح مــن مَغيــض

كــأن مُعَتَّقــاً مــن أذرعــات ... بمــاء سحــابــة خَصِــرٍ فضيــضِ (٤)

بِفيهــا، إذ تخــافِتُنــي حيــاةً ... بســرٍّ لا تبــوح بــه خفيــضِ

يقول فيها:

فــإن يُغْــرِضْ أبــو العبّــاس عنّــي ... ويــركــبْ بــي عَــروضــاً عــن عَــروضِ

ويجعــلْ عُــرْفَــه يــومــاً لِغيــري ... ويُبغضْنــي فــإنّــي مِــن بغيــضِ

فــإنّــي ذو غِنًــى وكــريــمُ قــوم ... وفــي الأكفــاءِ ذو وجــهٍ عــريــض

غلبــتَ بنــي أبــي العــاصــي سَمَاحــاً ... وفــي الحــرب المــذكّــرةِ العضــوضِ (٥)

خــرجــتَ عليهــمُ فــي كــلّ يــوم ... خــروجَ القِــدْح مــن كــفِّ الْمُفِيــض (٦)

فِــدًى لــك مَــنْ إذا مــا جئــتُ يــومــاً ... تلقّــانــي بجــامعــةٍ ربــوض (٧)

علــى جنــب الْخُــوان وذاك لــؤمٌ ... وبئســت تُحفَــةُ الشيــخ المــريــضِ (٨)

كــأنّــي إذْ فــزِعــتُ إلــى أُحَيْــح ... فــزعــتُ إلــى مُقَــوْقِيــةٍ بَيُــوض (٩)

إوزةِ غَيضــةٍ لِقحــت كِشــافــاً ... لِقُحْقحِهــا إذا درجــت نقيــضُ (١٠)

---

(١) الكفة للصائد: حبالته، وهي المصيدة بكسر الميم وسكون الصاد.

(٢) تؤدي إليه: تخيل إليه. والثنية: الطريق الصعبة والطريقة في الجبل كالنقب، وقيل هي العقبة، وقيل هي الجبل نفسه.

(٣) ظمياء: اسم امرأة. والظمياء من الشفاه: الذابلة في سمرة، ومن العيون: الرقيقة الجفن.

(٤) المعتق: الشراب عتق زماناً. وفي جـ، س بالباء بدل التاء وهو تصحيف. أذرعات: بلدة بالشام مشهورة بالخمر. والخصر: البارد، وفي جـ: «خضر» بالضاد المعجمة وهو تصحيف. والفضيض: المنتشر.

(٥) المذكرة العضوض: الشديدة.

(٦) المفيض: الذي يضرب بقداح الميسر ليظهر الفائز وغير الفائز.

(٧) الجامعة: الغُلّ، الربوض: الضخمة الثقيلة.

(٨) التحفة: ما أتحفت به الرجل من طعام ونحوه. وفي الحديث: «تحفة الكبير». وفي كل الأصول: «دسست بخفة». وروى في «الحيوان» (٢: ٣٠٢): «وبئست خبزة».

(٩) المقوقية: المصونة.

(١٠) الكشاف: أن تلقح حين تبيض. والقحقح بضم القافين: العظم المطيف بالدبر. والنقيض: الصوت. وفي هذا البيت إقواء.

/ قال: فدخل أحيحٌ على الوليد بن عبد الملك، فقال يا أميرَ المؤمنين: إنّ عبد الله بن الحجاج قد هجاك، [١٣/١٦٤] قال: بماذا؟ فأنشده قوله:

فإن يُعْرِضْ أبو العبّاس عنّي ... ويركبْ بي عَروضاً عن عَروضِ
ويجعلْ عُرْفه يوماً لِغيري ... ويُبغضْني فإنّي من بغيضِ

فقال الوليد: وأيُّ هجاءٍ هذا! هو من بغيض إن أعرضتُ عنه، أو أقبلت عليه، أو أبغضته، ثم ماذا؟ فأنشده:

كأني إذْ فزِعتُ إلى أُحَيْحٍ ... فزِعتُ إلى مُقَوْقِيَةٍ بَيُوض

فضحك الوليد، ثم قال: ما أراهُ هجا غيرك. فلما خرج من عنده أحيح أمر بتخلية سبيل عبدِ الله بن الحجاج، فأُطْلِق. وكان الوليدُ إذا رأى أحيحاً ذكر قول عبد الله فيه فيضحك منه.

هجاؤه لكثير بن شهاب بن الحصين

حدثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريُّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثنا خلادُ بنُ يزيدَ الأرقط عن سالم بنِ قتيبةَ. وحدثني يعقوبُ بنُ القاسم الطلحي، قال: حدثني غير واحدٍ، منهم عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ الطَّلْحيُّ، قال: حدثني أحمد بن معاوية، قال: سمعت أبا علقمة الثقفيَّ يحدث. قال أبو زيدٍ[١]: وفي حديث بعضِهم ما ليس في حديث الآخر، وقد ألَّفتُ ذلك، قال:

كان[٢] كَثِيرُ بن شهاب بن الحصين بن ذي الغُصّة بن يزيد بن شدّاد بن قَنَان بنِ سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارثِ بنِ كعبٍ، على ثغر الرَّيّ، ولاّه إياه المغيرةُ بنُ شعبة إذ كان خليفةَ / معاوية على الكوفة، وكان عبدُ الله بنُ / الحجاج معه، فأغار الناس على الدّيلم، فأصاب عبدُ الله بنُ الحجاج رجلاً منهم، فأخذ سَلَبَهُ، فانتزعه [١٣/١٦٥] منه كَثِير، وأمر بضربه، فضُرب مائةَ سوطٍ، وحبِس، فقال عبد الله في ذلك[٣]، وهو محبوس:

تسائِلُ سلمى عن أبيها صِحابَه ... وقد علِقَتْه من كَثِيرٍ حبائِل[٤]
فلا تسألِي عنّي الرفاقَ فإنّه ... بأبهَرَ لا غازٍ ولا هو قافِل[٥]
ألستُ ضربتُ الدَّيلميَّ أمامَهم ... فجدَّلْتُه فيه سِنانٌ وعامِل[٦]

فمكث في الحبس مدةً، ثم أُخلِيَ سبيلُه، فقال:

سأترك ثغر الري ما كنت والياً ... عليه لأمرٍ غالني وشجاني
فإن أنا لم أُدرك بثأري وأتّئِرْ ... فلا تَدعنِي للصِّيدِ من غطفان[٧]
تمنَّيْتَنِي يا بنَ الحصينِ سَفاهةً ... وما لك بي يا بنَ الحصينِ يدان[٨]
فإنّي زعيمٌ أنْ أجلِّلَ عاجلاً ... بسيفي كِفاحاً هامةَ ابنِ قَنَان

---

(١) أبو زيد: كنية عمر بن شبة.

(٢) «كان»، ليس في الأصول، وأثبتناها لتستقيم العبارة.

(٣) «في ذلك»: ليست في جـ.

(٤) الحبائل: جمع حبالة: المصيدة.

(٥) فلا تسألي، في جـ «فإن». وأبهر: مدينة بين قزوين وزنجان.

(٦) جدلته: صرعته. والعامل من الرمح: صدره.

(٧) اتئر: أدرك ثأري، ومثله «اثئر» و «اثتئر». انظر «مقاييس اللغة» (ثأر). والصيد، جمع أصيد: وهو الملك.

(٨) في الأصول: «تميتني».

عبد الله بن الحجاج يضرب كثيراً بعمود عند خروجه من دار المغيرة

قال: فلما عُزِل كَثِيرٌ وقدم الكوفةَ كَمِنَ لَه عبد الله بن الحجاج في سوق التَّمَّارين ـ وذلك في خلافة معاوية وإمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة ـ وكان كثير يخرج من منزله إلى القصر يحدِّثُ المغيرةَ، فخرج يوماً من داره إلى المغيرة يحدِّثه فأطال، وخرج من عنده مُمْسِياً يريد دارَه، فضربه عبدُ الله بعمودٍ حديدٍ على وجهه فهتَّم مقاديم أسنانه كُلِّها، وقال في ذلك:

[١٦٦/١٣] / مَـنْ مُبْلِـغٌ قَيْسـاً وخنـدفَ أنّنـي ... ضـربـتُ كثيـراً مضْـرِب الظَّـربـان(١)

فـأقسِـمُ لا تَنْفَـكُ ضـربـةُ وجهِـه ... تُـذِل وتُخْـزِي الـدَّهـرَ كـلَّ يَمـان(٢)

فـإن تَلقَنِـي تلـق أمـرأً قـد لقيتـه ... سـريعـاً إلـى الهيجـاء غيـر جبـانِ

وتلـق أمـرأً لـم تلـق أمُّـك بِـرَّه ... علـى سـابـح غَـوْجِ اللَّبـان حِصـان(٣)

وحـولـيَ مِـن قيـسٍ وخنـدِفَ عصبـةٌ ... كـرامٌ علـى البَـأْسـاء والحـدثـان

وإن تـك للسِّنْـخِ الـذي غَـصَّ بـالحصَـى ... فـإنّـي لِقَـرمٍ يـا كثيـرُ هِجَـانِ(٤)

أنـا ابـنُ بنـي قيـس علـيّ تعطفـت ... بغيـضُ بـن ريـثٍ بعـدَ آل دجـان

وقال في ذلك أيضاً عبد الله بن الحجاج:

مـن مبلـغ قيسـاً وخنـدف أننـي ... أدركـت مَظلِمَتـي مـن ابـن شهـابِ

أدركتُـه أجـرى علـى مَحْبُـوكـةٍ ... سُـرُح الجـراءِ طـويلـةِ الأقـرابِ(٥)

جـرداءَ سُـرحـوبٍ كـأنّ هُـوِيَّهـا ... تعلُـو بجُـؤجُئِهَـا هُـوِيُّ عُقـاب(٦)

خُضـتُ الظـلام وقـد بـدت لـي عـورةٌ ... منـه فـأضـربـه علـى الأنيـاب

فتـركتُـه يكبـو لِفِيـهِ وأنفِـهِ ... ذَهِـلَ الجَنـان مضـرّجَ الأثـواب(٧)

[١٦٧/١٣] / هـلا خشِيـتَ وأنـت عـادٍ ظـالـمٌ ... بقصـور أبْهَـر نصـرتـي وعقـابـي(٨)

إذ تستحِـلُّ، وكـان ذاك مُجَـرَّمـاً، ... جَلـدي وتَنـزِعُ ظـالمـاً أثـوابـي

مـا ضـرّه والحُـرُّ يطلـب وتـره ... بـأشـمَّ لا رعـشٍ ولا قبقـاب(٩)

(١) الظربان: دويبة كالهرة نتنة الرائحة لا تخرج رائحتها من الثوب حتى يبلى. وفي «اللسان»: «وقوله مضرب الظربان، أي ضربته في وجهه، وذلك أن للظربان خطاً في وجهه».

(٢) تنفك في ش، وفي باقي الأصول بالياء.

(٣) غوج بالغين المعجمة. واللبان كسحاب: أي واسع جلد الصدر. والحصان بالكسر: الفرس الذكر أو الكريم المضنون بمائه.

(٤) السنخ: الأصل، وجاء في س، ب بالحاء المهملة. والقرم: السيد الشجاع، أي إن نسبتي إلى آباء سادة شجعان. والهجان: الرجل الحسيب.

(٥) المحبوكة: الفرس القوية. في بعض الأصول: «مرح» وفي بعضها: «مرخى». والسرح: المنسرحة في سيرها السريعة. والجراء: الجري. والأقراب: جمع قرب بالضم أو بضمتين: الخاصرة.

(٦) الجرداء: قصيرة الشعر. السرحوب: الفرس الطويلة، توصف به الإناث دون الذكور. هويها، يعني به سرعتها. وفي الأصول: «كأن هبوبها». والجؤجؤ: مقدم الصدر.

(٧) يكبو: ينكب لوجهه.

(٨) نصرتي ويروى: «ثؤرتي» وهي المكافأة بجناية جنيت عليك «مهذب الأغاني».

(٩) الحر تصحيح ش، روي في س، ب «الحرب» وهو تحريف. والأشم: ذو الأنفة. وورد في س، ب «بأتم». والرعش: المضطرب. والقبقاب: الكذاب أو المهذار.

انتصار معاوية لعبد الله بن الحجاج

/ قال: فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة إلى معاوية: إن سيّدنا ضربه خسيسٌ من غطفان، فإن رأيتَ أن تُقيدنا[١] من أسماء بن خارجة. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: ما رأيتُ كاليوم كِتابَ قوم أحمقَ من هؤلاء. وحَبَس عبد الله بن الحجاج، وكتب إليهم: «إنّ القودَ ممن لم يجنِ محظورٌ، والجانيَ محبوسٌ، حبسته فليقتصَّ منه المجنيُّ عليه». فقال كثيرُ بن شهابٍ: لا أستقيدها إلاّ من سيدِ مضر. فبلغ قوله معاوية فغضب وقال: أنا سيِّدُ مضرَ فليستقِدها منِي، وأمَّن عبد الله بن الحجاج، وأطلقه، وأبطل ما فعله بابنِ شِهاب، فلم يقتصَّ ولا أخذ له عقلاً. ٣٠/١٢

عفو كثير عن عبد الله بن الحجاج

قال أبو زيد: وقال خلاّدٌ الأرقطُ في حديثه.

إن عبد الله بن الحجاج لمّا ضربه بالعمود، قال له: أنا عبدُ الله بن الحجاج صاحبُك بالريّ، وقد قابلتُك بما فعلتَ بي، ولم أكن لأكتمَك نفسي، وأقسِمُ بالله لئن طالبتَ فيها بِقودٍ لأقتلنَّك. فقال له: أنا أقتصُّ من مثلِك، والله لا أرضى بالقِصاصِ إلا من أسماء بن خارجة! وتكلمتِ اليمانيةُ وتحارب الناسُ بالكوفةِ، فكتب معاويةُ إلى المغيرة: أن أحضِر كثيراً وعبدَ الله بن الحجاج فلا يبرحانِ من مجلسِك حتى يقتصَّ كَثِير أو يعفوَ. فأحضرهما المغيرة، فقال: قد عفوت؟ وذلك / لخوفه من عبدِ الله بن الحجاج أن يغتاله. قال: وقال لي: يا أبا الأقيرِع، والله لا نلتقي أنت ونحن جميعاً أهتمان، وقد عفوتُ عنك. [١٣/١٦٨]

الحراث ينبش قبر جندب بن عبد الله بن الحجاج

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال:

كان لعبد الله بن الحجاج أبنان يقال لأحدِهما: عُوَيْن، والثاني جُندب، فمات جندب وعبدُ الله حيٌّ فدفنه بظهر الكوفة، فمرّ أخوه عوين بحرّاثٍ إلى جانب قبرِ جندب، فنهاه أن يقربَه بفدّانه، وحذّره ذلك، فلما كان الغدُ وجده قد حرث جانبه، وقد نبشه وأضرَّ بِهِ، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدانه[٢]. وقال:

أقــول لحــرَّاثــيَّ حــريمــي جنِّبــا	فَــدَانَيْكمــا لا تُحــرثــا قبــر جنــدبِ[٣]
فــإنكمــا إن تحــرثــاه تُشَــرَّدا	ويــذهــبْ فَــدَانٌ منكمــا كــلَّ مــذهــب[٤]

عبد الله بن الحجاج يستوهب جرم ابنه من عبد الملك

قال: فأخذ عوين، فاعتقله السجّان، فضربه حتّى شغَلَه بنفسه، ثم هرب، فوفد أبوه إلى عبد الملك فاستوهب جرمَه فوهبه، وأمر بِألاّ يُتَعقَّبَ، فقال عبد الله بن الحجاج، يذكر ما كان مِن ابنِهِ عوين:

لَمثلُــكَ يــا عــويــنُ فــدتــك نفســي	نجــا مــن كُــرْبَــةٍ إن كــان نــاجــي
عَــرَفتــك مــن مُصــاصِ السِّنْــخِ لمــا	تــركــت ابــن العُكــامِــسِ فــي العجــاج[٥]

(١) تقيدنا: أقاد القاتل بالقتيل: قتله، ومعناه هنا القصاص.

(٢) الفدان: الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث، أو هو آلة الثورين، يقال بتشديد الدال وبتخفيفها.

(٣) فدانيكما بالتثنية، وروى: «فديتكما» («مهذب الأغاني» ج ٤ ص ١١٧) ٧ ش، ب.

(٤) كذا في جـ و«مهذب الأغاني»، وفي سائر النسخ: «ويذهب كل».

(٥) مصاص السنخ، يقال فلان مصاص قومه، إذا كان أخلصهم نسباً. ويقال للمفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد. والسنخ: الأصل، وورد في س، ب بالحاء المهملة، تحريف.

إنشاده عبد الملك أرجوزة يستعطفه بها

قال: ولما وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد الملك بسبب ما كان من ابنه عوين مَثَل بين يديه، فأنشده:

[١٣/١٦٩] / يـابـن أبـي العـاصـي ويـا خيـر فتَـى ... أنـت النجيـبُ والخِيـارُ المصطفـى

أنـت الـذي لـم تـدَعِ الأمـرَ سُـدَى ... حيـنَ كشفـتَ الظلمـاتِ بـالهـدى

مـا زلـتَ إن نـازٍ علـى الأمـر انتـزَى ... قَضَيتـه إن القضـاء قـد مضـى[١]

كمـا أذقـتَ ابـن سعيـدٍ إذ عصـى ... وابـنَ الـزبيـر إذ تسمَّـى وطغـى

[٣١/١٢] / وأنـتَ إن عُـدَّ قـديـم وبُنَـى ... مـن عبـد شمـس فـي الشَّماريخ العُلَى[٢]

جِيبـت قـريـشٌ عنكُـم جَـوبَ الـرَّحَـى ... هـل أنـت عـافٍ عـن طـريـد قـد غـوى[٣]

أهْـوَى علـى مَهـواةِ بِئـرٍ فهَـوَى ... رَمَـى بـه جُـولٌ إلـى جُـول الـرجـا[٤]

فتجبـرَ اليـومَ بـه شيخـاً ذَوَى ... يعـوِي مـع الـذئـب إذا الـذئـب عـوى

وإن أراد النـومَ لـم يَقـضِ الكـرى ... مـن هَـولِ مـا لاقـى وأهـوال الـردى

يشكـرُ ذاك مـا نفـت عيـنٌ قـذَى ... نفسـي وآبـائـي لـك اليـوم الفِـدا

فأمر عبد الملك بتحمُّل ما يلزمُ ابنَه مِن غُرْم وعَقْل، وأمّنه.

مغاضبته عبد العزيز بن مروان، ثم رجوعه إليه

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابيّ، قال:

وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروانَ ومدحه، فأجزل صِلته، وأمره بأن يقيمَ عنده ففعل، فلما طال مُقامُه اشتاق إلى الكوفةِ وإلى أهله، فاستأذن عبدَ العزيز فلم يأذَنْ له، فخرج مِن عندهِ غاضباً، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشرٍ / أن يمنعه عطاءَه، فمنعه، ورجع عبد الله لما أضَرَّ بِهِ ذلك إلى عبد العزيز، وقال يمدحه: [١٣/١٧٠]

تـركـتُ ابـنَ ليلـى ضَلَّـةً وحَـرِيمَـه ... وعنـد ابـنِ ليلـى معقِـل ومُعَـوَّلُ[٥]

ألـم يَهـدِنـي أنَّ المُـراغَـم واسـعٌ ... وأنّ الـديـار بـالمقيـم تَنَقَّـلُ[٦]

سـأحكـم أمـري إن بـدا لـي رشـدُه ... وأختـار أهـلَ الخيـرِ إن كنـتُ أعقِـل

وأتـرك أوطـاري والحـقُ بـامـرئ ... تَحَلَّـبُ كفـاه النَّـدَى حيـن يسـأل[٧]

أبـت لـك يـا عبـدَ العـزيـزِ مـآثـرٌ ... وجَـريٌ شـأَى جـرْيَ الجيـاد وأوّلُ[٨]

---

(١) النازي: المتوثب. ويقال قضى عليه وقضاه، أي أهلكه.
(٢) البنى بكسر الباء وضمها جمع بنية بالكسر والضم: ما بنيته. والشماريخ مفردة شمراخ، وهي رؤوس الجبال وأعالي السحاب.
(٣) جيبت بالجيم، ووردت بالحاء تصحيفاً. وجاء في حديث أبي بكرٍ رضي الله عنه أنه قال للأنصار يوم السقيفة: «إنما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحى عن قطبها»، أي خرقت العرب عنا فكنا وسطاً وكانت العرب حوالينا كالرحى، وقطبها الذي تدور عليه.
(٤) الجول: جدار البئر. والرجا: ناحية البئر.
(٥) المعوّل: ما يعوّل عليه ويعتمد.
(٦) المراغم: المهرب والمتسع.
(٧) الأوطار: الحاجات.
(٨) شأى: سبق.

أبـي لـك إذ أكـدَوْا وقـلَّ عطـاؤهـم ... مـواهـبُ فيّـاض ومجـدٌ مـؤثَّـل [١]

أبـوك الـذي يَنْميـك مـروانُ للعلـى ... وسعـدُ الفتـى بـالخـال لا مـن يُخـوِّل [٢]

فقال له عبد العزيز: أمّا إذ عرفت موضِع خطئك، واعترفتَ به فقد صفحتُ عنك. وأمر بإطلاق عطائه، وَوَصَلَه، وقال له: أقِم ما شئت عندنا، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت.

عبد الله بن الحجاج يعاونه قومه على عمر بن هبيرة

ونسخت من كتابه أيضاً:

كان عمرُ بنُ هبيرةَ بنِ معيَّة بنِ سكينٍ قد ظلم عبد الله بن الحجاج حقاً له، واستعان عليه بقومه، فَلَقُوه في بعلبك، فعاونوا عبدَ الله بن الحجاج عليه، وفرّقوه [٣] بالسياط حتى انتزعوا حقَّه منه، فقال عبد الله في ذلك:

[١٧١/١٣] / ألا أبلِـغ بنـي سعـدٍ رسـولاً ... ودونهـم بُسَيْطـةُ فـالمعـاط [٤]

أميطُـوا عنكـم ضـرطَ ابـن ضـرطٍ ... فـإنّ الخبـثَ مِثلهـم يُمـاط [٥]

ولـي حـقٌّ فَـرَاطـةُ أوّلينـا ... قـديمـاً والحقـوق لهـا افتـراط [٦]

فمـا زالـت مباسطتـي ومَجـدي ... ومـا زال التهـايُـط والمِيـاط [٧]

وجـدِّي بـالسيـاط عليـك حتّـى ... تُـرِكـتَ وفـي ذُنـابـاكَ انبسـاط [٨]

مَتـى مـا تعتـرِضْ يـومـاً لحقّـي ... تـلاقِـك دونـه سُعْـرٌ سبـاط [٩]

مـن الحيَّـنِ ثعلبـةَ بـن سعـدٍ ... ومـرةَ أخـذُ جمعِهـم اعتبـاط [١٠]

تـراهـم فـي البيـوت وهُـم كسـالى ... وفـي الهيجـا إذا هِيجـوا نِشـاط

/ والقصيدةُ التي فيها الغناء بذكر أمر عبد الله بن الحجاج أولُها: ٣٢/١٢

نـأتـك ولـم تخـشَ الفِـراقَ جَنـوبُ ... وشطّـت نـوًى بـالظـاعنيـن شَعـوب [١١]

طـربـتَ إلـى الحـيِّ الـذيـن تحمّلـوا ... بِبُـرْقَـةِ أحـوازٍ وأنـت طـروب [١٢]

فظَلْـتُ كـأنّـي سـاورتنـي مُـدامـةٌ ... تمنـى بهـا شَكْـسُ الطِّبـاع أريـب [١٣]

---

(١) أكدوا: قل خيرهم وعطاؤهم. وفي س، ب «كروا».

(٢) الخال: أخو الأم. ويخول: يدعى أنه خال وليس به. وفي الأصول: «وسعد الفتاة الخال».

(٣) التفريق: التخويف. وفي الأصول: «فوّقوه»، تحريف.

(٤) بسيطة بلفظ التصغير: أرض في البادية بين الشام والعراق، سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب من مصر. «معجم البلدان». والمعاط: لعله مكان.

(٥) يماط: يكشف.

(٦) الفراطة: السابقة. لها افتراط: يخاف فوتها.

(٧) التهايط والمياط ضدان، وهما الدنوّ والتباعد.

(٨) الذنابي: الذنب.

(٩) السعر جمع أسعر: القليل اللحم الظاهر العصب. والسباط: الطوال.

(١٠) الاعتباط: إلقاء النفس في الحرب غير مكره. ووردت في الأصول بالغين المعجمة محرفة.

(١١) شعوب: مفرقة.

(١٢) برقة أحواز سبق شرحها آخر ترجمة منصور النمري.

(١٣) ساورتني: أخذت برأسي. والشكس: الصعب الخلق.

تُمِرُّ وتستحلي على ذاك شَرْبُها ... لِوجه أخيها في الإناء قُطوبُ
كميت إذا صبت وفي الكأس وردة ... لها في عظام الشاربين دبيب[١]
تذكرت ذِكرى من جنوبَ مصيبة ... ومالك من ذكرى جنوب نصيبُ
[١٣/١٧٢] / وأنّى ترجّي الوصلَ منها وقد نأت ... وتَبخلُ بالموجود وَهْيَ قريب
فما فوقَ وجدي إذ نأتْ وجد واجدٍ ... من النّاس لو كانت بذاك تثيب[٢]
بَرهرهةٌ خَود كأنَّ ثيابها ... على الشّمس تبدو تارةً وتغيب[٣]

وهي قصيدةٌ طويلة.

الحجاج يحرض عبد الملك على قتل عبد الله بن الحجاج

ونسخت من كتاب ثعلبٍ عن ابن الأعرابي، قال:

كتب الحجاج إلى عبدِ الملك بن مروان يُعرِّفُه آثار عبد الله بن الحجاج، وبلاءَه من محاربته، وأنه بلغه أنه أمَّنَهُ، ويحرضه ويسأله أن يوفده[٤] إليه لِيتولّى قتلَه، وبلغ ذلك عبدَ الله بن الحجاج، فجاء حتّى وقف بين يدَيْ عبد الملك، ثم أنشده:

أعوذُ بثوبَيْك اللّذَيْنِ ارتداهما ... كريمُ الثّنا مِن جَيبه المسكُ ينفحُ[٥]
فإن كنتُ مأكولاً فكن أنتَ آكلي ... وإن كنتُ مذبوحاً فكن أنتَ تذبحُ

فقال عبد الملك: ما صنعْتَ شيئاً. فقال عبدُ الله:

لأنتَ وخيرُ الظّافرين كرامُهم ... عن المذنب الخاشي العقابَ صَفُوحُ
ولو زَلِقتْ من قبلِ عفوك نعلهُ ... ترامى به دَحْض المَقَام بريحُ[٦]
نمى بك إن خانت رجالاً عُروقهم ... أُرُومٌ ودينٌ لم يَخُنْكَ صحيح[٧]
وَعَرْفٌ سَرَى لم يَسرِ في الناس مثلُه ... وشأوٌ على شأو الرجال مَتوح[٨]
[١٣/١٧٣] / تداركَني عفوُ ابن مروانَ بعدما ... جَرَى لي من بعد الحياة سنيح[٩]
رفعتُ مريحاً ناظريَّ ولم أكد ... من الهمِّ والكرب الشديد أريح

عبد الملك يمنع الحجاج من التعرض لعبد الله

فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إني قد عرفت من خُبثِ عبد الله وفسقه ما لا يزيدني علماً به، إلا أنه اغتفلني

---

(١) الكميت: الذي خالط حمرتها سواد. والوردة: الحمراء.
(٢) الواجد بالجيم: المشوق. وورد في ب، س بالخاء المهملة.
(٣) البرهرهة: المرأة البيضاء الشابة والناعمة. والخود بالفتح: الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة.
(٤) في حـ، س: «يفده».
(٥) الثناء: ما أثنيت به على المرء من مدح أو ذم.
(٦) الدحض بفتح الدال وسكون الحاء: الزلق. وفي الأصول بالراء. والبريح: المتعب.
(٧) الأروم جمع أرومة بالفتح والضم: الأصل. وفي الأصول: «ودين لم يجبك»، تحريف.
(٨) الشأو: السبق والغاية. والمتوح: البعيد. وروى بالنون في س، ش، ب.
(٩) السنيح: السانح. وكانت العرب إذا جرت الطير من شمال الإنسان إلى يمينه تفاءلوا ويسمى بالسانح، فإذا مر من الميامن إلى المياسر تشاءموا ويسمى بالبارح. ويقال: «من لي بالسانح بعد البارح»، أي بالمبارك بعد المشئوم.

متنكِّراً، فدخل داري، وتحرّم بطعامي، واستكساني فكسوته ثوباً من ثيابي، وأعاذني فأعذته، وفي دون هذا ما حَظَر عليَّ دَمَه، وعبدُ الله أقلُّ وأذلُّ من أن يُوقِعَ أمراً، أو ينكثَ عهداً في قتله خوفاً من شره، فإنْ شَكَرَ النعمة وأقامَ على الطاعة فلا سبيل عليه، وإن كفر ما أُوتِيَ وشاقَّ اللهَ ورسولَه وأولياءه فالله قَاتِلُه بسَيف البغي الذي قتِل به نظراؤه ومن هو أشدُّ بأساً وشكيمة منه، من الملحدين، فلا تعرِضْ له ولا لأحدٍ من أهل بيتهِ[1] إلا بخيرٍ، والسلام.

الوليد وابن هبيرة يأمران عبد الله بمبارزة رجل في بركة ماء

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرٍو الشيباني، قال:

كانت في القريتين[2] بركةٌ من ماء، وكان بها رجل من كلبٍ يقال له دَعْكنةُ،/لا يدخل البركةَ معه أحدٌ إلا ٣٣/١٢ غطّه[3] حتى يغلِبَه، فغطّ يومها فيها رجلاً من قيس بحضرة الوليد بن عبد الملك حتّى خرج هارباً، فقال ابنُ هبيرة وهو جالس عليها يومئذٍ: اللهم اصببْ علينا أبا الأقيرع عبدَ الله بن الحجاج. فكان أوّلَ رجلٍ انحدرت به راحلته، فأناخها ونزل، فقال ابن هُبيرة للوليد: هذا أبو الأقيرع والله يا أمير المؤمنين، أيهما أخزى الله صاحبه به. فأمره الوليد أن ينحطّ عليه في البركة / والكلبيُّ فيها واقفٌ متعرضٌ للناس وقد صدّوا عنه. فقال له: يا أمير المؤمنين إني [١٣/ ١٧٤] أخاف أن يقتلني فلا يرضى قومي إلاّ بقتله، أو أقتلَه فلا تُرضي قومُه إلاّ بمثل ذلك، وأنا رجلٌ بدويٌّ ولستُ بصاحب مال. فقال دعكنةُ: يا أمير المؤمنين هو في حِلّ وأنا في حلّ. فقال له الوليد: دونك. فتكأكأ[4] ساعةً كالكارهِ حتى عزم عليه الوليد، فدخل البركة، فاعتنق الكلبيَّ وهوى به إلى قعرها، ولزمَه حتّى وجد الموت، ثم خلّى عنه، فلما علا غطّه غطّةً ثانية، وقام عليه ثم أطلقه حتى تَرَوَّح، ثم أعاده وأمسكه حتّى مات، وخرج ابنُ الحجاج وبقي الكلبيُّ، فغضب الوليد وهمّ به، فكلّمه يزيد وقال: أنت أكرهته، أفكان يُمَكِّنُ الكلبيَّ من نفسه حتّى يقتله؟ فكفّ عنه. فقال عبد الله بن الحجّاج في ذلك:

نجّـانـي اللهُ فـرداً لا شـريـك لـه ... بـالقـريتيـن ونفسٌ صُلبـةُ العـودِ

وذِمَّـةٌ مِـن يـزيـدٍ حـالَ جـانِبُهـا ... دونـي فـأنجيـتُ عفـواً غيـرَ مجهـود[5]

لـولا الإلـهُ وصبـري فـي مغـاطستـي ... كـان السليـمَ وكنـت الهـالـكَ المـودي

صـوت

يـا حَبَّـذا عمـلُ الشيطـان مـن عمـلٍ ... إنْ كـان مـن عمـلِ الشيطـان حُبُّهـا[6]

لنَظْـرةٌ مـن سليمـى اليـومَ واحـدةٌ ... أشهَـى إلـيَّ مـن الـدُّنيـا ومـا فيهـا[7]

الشعر لناهض بن ثومة الكلابِيِّ، أنشدنيه هاشمُ بن محمدٍ الخزاعيُّ، قال: أنشدنا الرياشيُّ قال: أنشدنا ناهضُ بنُ ثومةَ أبو العطاف الكلابيُّ هذين البيتين لنفسه. وأخبرني بمثل ذلك عمي من الكُرَانِيِّ عن الرياشي. والغناءُ لأبي العبيس ابن حمدون ثقيلٌ أوّل يُنشد بالوُسطى.

---

(١) فيما عدا ش: «أهله سيئة».

(٢) القريتان: قرية بحمص.

(٣) غطه: غطسه.

(٤) تكأكأ: نكص وجبن.

(٥) فأنجيت بالجيم في ش، أما في حـ، س فبالحاء، وهو تصحيف.

(٦) حبيها: أي حبي إياها.

(٧) لنظرة بالنون، وروى في ش، حـ بالقاف، وهو تحريف.

[١٣/١٧٥]

/ أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

أخبار ناهض بن ثومة ونسبه

هو ناهض بن ثُومة بن نصيح بن نَهِيك بنِ إمامِ بن جهضَم بن شهاب بن أَنِس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر بدويٌّ فارس فصيح، من الشعراء في الدولة العباسية، وكان يقدَم البصرة فَيُكْتَبُ عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة. روى عنه الرياشي، وأبو سراقة، ودَماذ وغيرُهم من رواة البصرة. وكان يهجوه رجلٌ من بني الحارث بن كعبٍ، يقال له: نافعُ بنُ أشعر الحارثيُّ، فأثرى عليه ناهض[1]. فمما قاله في جوابِ قصيدةٍ هجا بها قبائل قيسٍ، قصيدةُ ناهضٍ التي أوّلها:

٣٤/١٢

/ ألا يـا أسلمـا يـا أيُّهـا الطللانِ ... وهـلْ سـالـمٌ بـاقٍ علـى الحـدَثـانِ

أبينـا لنـا، حُيِّيتُمـا اليـومَ، إننـا ... مبينـان عـن مَيْـلٍ بمـا تَسَـلانِ

متـى العهـدُ مِـنْ سلمـى التـي بتَّـت القُـوى ... وأسمـاءَ إن العهـد منـذ زمـان[2]

ولا زال ينهـلُّ الغمـامُ عليكمـا ... سبيـلَ الـرّبـى مـن وابـلٍ ودِجـانِ[3]

فـإن أنتمـا بيّنتمـا أو أجبتمـا ... فـلا زلتمـا بالنبـتِ ترتديـان

وجُـرَّ الحريـرُ والفِـرِنـدُ عليكمـا ... بـأذيالِ رَخْصَـاتِ الأكُـفِّ هِجـان[4]

نظـرت ودونـي قِيـدُ رمحيـن نظـرةً ... بعينيـن إنسانـاهمـا غِـرقـان[5]

إلـى ظُعُـنٍ بـالعـاقِـرَيـن كـأنّهـا ... قـرائـنُ مـن دوحِ الكثيـبِ ثمـانِ[6]

[١٣/١٧٦]

/ لسلمـى وأسمـاءَ اللتيـن أكَنَّتـا ... بقلبـي كَنِينَـيْ لـوعـةٍ وضمـان[7]

عسـى يُعقِـبُ الهجـرُ الطـويـل تـدانيـا ... ويـا ربَّ هجـرٍ معقـبٍ بتـدانـي

---

(١) فأثرى عليه: كان أكثر منه.

(٢) بتت: قطعت. وفي بعض الأصول: «تبت» وفي بعضها «فتت» محرّفتان.

(٣) الوابل: المطر الشديد الضخم القطر. والدجان: الأمطار الكثيرة.

(٤) الفرند: ضرب من الثياب. والهجان: البيض.

(٥) القيد بكسر القاف: القدر والمقدار.

(٦) الظعن بضم الأول والثاني جمع ظعينة وهي: الهودج فيه امرأة أم لا، وهي أيضاً المرأة ما دامت في الهودج. والعاقرين بفتح الراء: أرضان في وادي العقيق متكافئتان، ويحيطان بقرية لبني أسد. والقرائن: المتماثلات المتكافئات. والدوح: الشجر. والكثيب: الرمل.

(٧) اللتين في ش، وفي سائر الأصول «البنين» وهو تحريف. كنيني: مثنى كنين، أي مكنون.

خليليَّ قد أكثرتما اللومَ فاربَعا ... كَفَانِيَ ما بي لو تُركتُ كفاني (١)

إذا لم تصلْ سَلمى وأسماءُ في الصِّبا ... بحبليهما حَبْلي فمن تصلانِ

فدع ذا ولكن قد عجبتُ لنافع ... ومَعواه من نَجرانَ حيث عواني (٢)

عوى أسداً لا يزدهيه عواؤه ... مقيماً بِلوذيْ يَذْبُلٍ وذقان (٣)

لعمري لقد قال ابنُ أشعَرَ نافعٌ ... مقالةَ موطوءِ الحريم مهان (٤)

أيزعم أنّ العامريّ لفعله ... بِعاقِبةٍ يُرمَى به الرجوان (٥)

ويذكر إن لاقاه زلّةَ نعلِه ... فجيءُ للذي لمْ يستبن ببيان

كذبت ولكن يابن علبة جعفرٍ ... فدَع ما تمنّى زلّتِ القدمان

أصيب فلم يُعقَل وطُلّ فلم يُقَد ... فذاك الذي يَخزَى به الأبوانِ (٦)

وحُقَّ لمن كان ابنُ أشعر ثائراً ... به الطَّلُّ حتّى يحشر الثَّقَلانِ (٧)

ذليلٌ ذليلُ الرهط أعمَى يسومُه ... بنو عامر ضَيْماً بكل مكان

/ فلم يبق إلاّ قوله بلسانه ... وما ضَرَّ قولٌ كاذبٌ بلسانِ [١٣/١٧٧]

هجا نافعٌ كعباً ليدرك وِتره ... ولم يهجُ كعبٌ نافعاً لأوانِ

ولم تعفُ من آثار كعبٍ بوجهه ... قوارعُ منها وُضَّحٌ وقوان (٨)

وقد خضّبوا وجهَ ابنِ علبةَ جعفرٍ ... خضابَ نجيع لا خضابَ دِهان (٩)

فلم يهج كعباً نافعٌ بعد ضربةٍ ... بسيف ولم يطعُنْهُم بِسِنان

فما لك مَهْجيَّ يا بن أشعر فاكتِعم ... على حجر واصبر لكل هوان (١٠)

إذا المرء لم ينهض فيثأرْ بعمّه ... فليس يُجَلّى العارُ بالهذيان

أبي قيسُ عيلانٍ وعمِّيَ خندفٌ ... ذَوا البذخِ عند الفخر والخطران (١١)

---

(١) أربعا: أمسكا وتوقفا.

(٢) معواه: صوته.

(٣) اللوذ: جانب الجبل وما يطيف به. ويذبل وذقان: جبلان.

(٤) في الأصول: «لقد كان». الموطوء: المداس المحتقر. في ش «أصرع» وفي ج «أضرع» وإنما هو نافع بن أشعر، كما سبق في أوّل الحديث.

(٥) الرجوان، يقال رمى به الرجوان أي استهين به استهزاء وطرح في المهالك. وهو مثل، كأنه رمى به رجوي بئر. والرجا: الناحية، وناحية البئر، والجمع أرجاء.

(٦) لم يعقل: لم تؤد ديته. والطل: هدر الدم. لم يقد: يقال أقاد القاتل بالقتيل أي قتله به.

(٧) في س، ش «الطل» بالطاء المهملة وفي جـ بالمعجمة. وفي الأصل: «ابن أصفر» تحريف.

(٨) القوارع: الإصابات. الوضح: جمع واضحة، وهي الشجة التي تبدي وضح العظم. والقواني: الشديدة الحمرة.

(٩) النجيع: دم الجوف.

(١٠) اكتعم لم توجد في المعجمات، ويوجد كعم البعير: شدّ فاه لئلا يعض. وفي الأصول: «ابن أصفر».

(١١) الخطران: أن يرفع الإنسان رمحه وسيفه مرة ثم يضعهما أخرى، وفي المشي أن يرفع يديه ويضعهما.

إذا مــا تجمَّعْنــا وســارت جِــذاءنــا ... ربيعــة لــم يُعــدَل بنــا أخــوانِ

٣٥/١٢ / أليــس نبــيُّ الله منّــا محمــد ... وحمــزةُ والعبــاسُ والعمــرانِ

ومنــا ابــنُ عبــاسٍ ومنــا ابــن عمّــه ... علــيُّ إمــامُ الحــق والحسنــانِ

وعثمــان والصِّــدِّيــقُ منــا وإننــا ... لنعلــم أن الحــقَّ مــا يَعــدان

ومنــا بنــو العبــاس فضــلاً فمــن لكــم ... هَلُمُّــوه أولا ينطِقَــنَّ يمــان

ناهض ينشد أيوب بن سليمان قصيدة من شعر جدّه نصيح

قال: فأنشد ناهضٌ هذه القصيدة أيوب بنَ سليمان بنِ علي بالبصرة، وعنده خالٌ له مِن الأنصار، فلما خَتَمها بهذا البيت قال الأنصاري: أخرسنا أخرسه الله!

وكان جدّه نصيحٌ شاعراً، وهو الذي يقول:

ألا مَــن لقلــبٍ فــي الحِجــاز قسيمُــه ... ومنــه بــأكنــافِ الحجــاز قسيــمُ

[١٣/١٧٨] / معــاوِدِ شكــوى أن نــأت أمُّ ســالِــم ... كمــا يشتكِــي جُنــح الظــلامِ سليــم[١]

سليــمٌ لِصِــلٍّ أسلمتــه لمــا بِــهِ ... رُقَــى قــلّ عنــه دفعُهــا وتميــم[٢]

فلــم تَــرِم الــدارَ البــريصــاءَ فــالصفــا ... صَفــاهــا فخَــلَّاهــا فــأيــن تــريــم[٣]

وقفــت عليهــا بــازلاً نــاهِجِيَّــةً ... إذا لــم أزُعهــا بــالــزمــامِ تَعُــوم[٤]

كِنــازاً مــن الــلاتــي كــأنَّ عِظــامهــا ... جُبِــرْنَ علــى كســر فهــنَّ عشــوم[٥]

الفضل بن العباس يتحدث في بداوة ناهض

أخبرني الحسنُ بن علي الخفّافُ، قال: حدثنا محمدُ بن القاسم، قال: حدثني الفضل بن العباس الهاشمي من ولد قُثَم بن جعفر بنِ سليمان عن أبيه، قال:

ناهض يصف وليمة وصف البدوي لما لم يره من قبل

كان ناهض بن ثُومة الكلابيّ يفد على جدّي قثم فيمدحه، ويَصِلَهُ جدّي وغيره، وكان بدويًا جافياً كأنّه من الوحش، وكان طيِّب الحديث، فحدّثه يوماً: أنهم انتجعوا ناحيةَ الشام، فقصد صديقاً له من ولدِ خالد بن يزيد بن معاوية كان ينزل حلب، فإذا نزل نواحيها أتاه فمدحه، وكان برًّا به، قال: فمررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله

---

(١) السليم: اللديغ.

(٢) الصل: الحية. الرقي: التعاويذ. والتميم: جمع تميمة.

(٣) الخل بالفتح: الطريق النافذ في الرمل. وتريم: تفارق.

(٤) البازل ورد في س، ب بالنون وهو تصحيف، وهو ما كان من الإبل في السنة التاسعة، وليس بعده سن تسمى. في س، ب، جـ: «لم أردها».

(٥) كناز: كثيرة اللحم صلبته. والعثوم: المنجبرة على غير استواء.

الهلالي، فرأيت دوراً متباينة وخصاصاً[١] قد ضمّ بعضها إلى بعض، وإذا بها ناسٌ كثير مقبلون ومدبرون، عليهم ثيابٌ تَحْكِي ألوان الزهر، فقلت في نفسي: هذا أحد العيدين: الأضحَى أو الفطر. ثم ثاب إليّ ما عزَب عن عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك، فما هذا الذي أرى؟ فبينا أنا واقفٌ متعجّب أتاني رجل فأخذ بيدي، / فأدخلني داراً قَوْراء[٢]، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِّد في وجهه فُرُش ومُهِّدت، [١٣/ ١٧٩] وعليها شابٌّ ينال فروع شعره منكبيه، والناس حوله سِماطانِ[٣]، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي حُكِي لنا جلوسُه على الناس وجلوسُ الناس بين يديه، فقلت وأنا ماثل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته. فجذب رَجُلٌ يدي، وقال: اجلس فإن هذا ليس بأمير. قلت: فما هو؟ قال: عروس. فقلت: واثكل أمّاه، لربَّ عَرُوس رأيته بالبادية أهونُ على أهلِه من هَنِ أمه[٤]. فلم أنْشَب[٥] أن دخل رجالٌ يحملون هَناتٍ[٦] مدوَّراتٍ، أمّا ما خفَّ منها فيُحمل حملاً، وأما ما كبر وثقُل فيدحرج فوضع ذلك أمامنا، وتحلّق القومُ عليه حلقاً، ثم أُتِينا بِخِرقٍ بيضٍ فأُلقِيَتْ بين أيدينا، فظننتُها ثياباً، وهممتُ أن أسأل القوم منها خِرقاً أقطَعها قميصاً، وذلك أني رأيتُ نسجاً مُتلاحِماً / لا يبين له سَدًى ولا لحمة، فلما بسطَهُ القومُ بين أيديهم إذا هو يتمزَّق سريعاً، وإذا هو ـ فيما زعموا ـ صِنفٌ من [٣٦/ ١٢] الخُبزِ لا أعرفه؛ ثم أُتينا بطعام كثيرٍ بين حلوٍ وحامضٍ، وحار وباردٍ؛ فأكثَرتُ منه وأنا لا أعلم ما في عَقِبه من التَّخَم والبَشَم؛ ثم أُتينا بشرابٍ أحمرَ في عِساس[٧]، فقلت: لا حاجة لي فيه، فإني أخاف أن يقتلني. وكان إلى جانبي رجل ناصح لي أحسن الله جزاءه، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابي إنك قد أكثرتَ من الطعام، وإن شربت الماء هَمَى[٨] بطنُك. فلما ذكر البطن تذكَّرت شيئاً أوصاني به أبي والأشياخُ من أهلي، قالوا: لا تزال حيًّا ما كان بطنُك شديداً فإذا اختلف فأوصِ[٩]. فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به، وجعلت أُكْثِر منه فلا أَمَلُّ شربَه، فتداخلني من ذلك / صلفٌ لا أعرفه من نفسي، وبكاءٌ لا أعرِف سببَه ولا عهدَ لي بمثله، واقتدارٌ على [١٣/ ١٨٠] أمري أظنُّ معه أني لو أردتُ نيل السَّقف لبلغتهُ، ولو ساورتُ[١٠] الأسد لقتلته، وجعلت ألتفت إلى الرجل الناصح لي فتُحدِّثُني نفسي بهَتْم أسنانه وهَشْم أنفه، وأهُمُّ أحياناً أن أقول له: يا ابن الزانية! فبينا نحن كذلك إذ هجم علينا شياطِينُ أربعة، أحدهم قد علّق في عنقه جَعبة فارسيّة مشنّجة[١١] الطرفين دقيقة الوسط، مشبوحة بالخيوط شبحاً منكراً؛ ثم بدر الثاني فاستخرج من كمِّه هَنَةً سوداء كفيشلة الحمار[١٢]، فوضعها في فيه، وضرط ضُراطاً لم أسمع ـ وبيتِ الله ـ أعجَبَ منه، فاستتمّ بها أمرهم، ثم حرّك أصابِعه على أجْحِرةٍ فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ

---

(١) الخصاص: البيوت من القصب، جمع خص.
(٢) القوراء: واسعة.
(٣) السماطان: الصفان.
(٤) الهن: الفرج.
(٥) فلم أنشب، يقال ما نشبت أفعل كذا أي ما زلت.
(٦) هنات: أشياء، جمع هنة.
(٧) عساس بكسر العين جمع عس بالضم: هي القداح الكبيرة.
(٨) همى بطنه: أي انطلق.
(٩) اختلف: أصابه إسهال.
(١٠) ساورت الأسد: واثبته. وفي ب، س: «شاوت».
(١١) المشنجة: المنقبضة.
(١٢) الفيشلة: الحشفة ورأس كل مدور.

تشبه بالضراط ولكنّه أتى منها لمّا حرك أصابِعَه بصوتٍ عجيبٍ متلائم متشاكلٍ بعضُه لبعض، كأنه، علم الله، ينطِق. ثم بدا ثالث كزٌّ[1] مقيت عليه قميص وسخ، معه مِرآتانِ، فجعل يصفّق بيديه إحداهما على الأخرى فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان[2]، ثم بدا رابع عليه قميص مصون وسراويل مصونة وخفان أجذمان[3] لا ساق لواحدٍ منهما، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقاربِ، ثم التبط[4] به على الأرض، فقلت: معتوهٌ وربِّ الكعبةِ! ثم ما برح مكانه حتّى كان أغبط القومِ عِندي. ورأيت القوم يحذفونه[5] بالدراهم حذفاً منكراً، ثم أرسل النساء إلينا: أن أمتِعونا / من لهوكم هذا. فبعثوا بهم، وجعلنا نسمع أصواتهنّ من بعدٍ، وكان معنا في البيت شابٌّ لا آبه[6] له، فعلتِ الأصواتُ بالثناء عليه والدعاءِ، فخرج فجاء بخشبةٍ عيناها في صدرِها، فيها خيوطٌ أربعة، فاستخرج من خِلالها عوداً فوضعه خلف أذنِه، ثم عرك آذانها وحرّكها بخشبة في يده فنطقت ـ وربِّ الكعبة ـ وإذا هي أحسنُ قينةٍ[7] رأيتُها قطُّ، وغنّى عليها، فأطربني حتى استخفني من مجلِسي، فوثبتُ فجلست بين يديه، وقلتُ: بأبي أنت وأمي، ما هذه الدابةُ فلست أعرفها للأعراب وما أراها خُلِقَتْ إلا قريباً. فقال: هذا البربط؟[8] فقلت بأبي أنت وأمّي، فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزير[9]. قلت: فالذي يليه؟ قال: المَثْنَى[10]. قلت: فالثالث؟ المَثْلث[11]. قلت: فالأعلى؟ قال: البمُّ[12]. قلت: آمنت بالله أوّلاً، وبك ثانياً، وبالبربط ثالثاً، وبالبم رابعاً.

[١٣/١٨١]

قال: فضحك أبي، والله، حتّى سقط، وجعل ناهضٌ يعجب من ضحكهِ، ثم كان بعد ذلك يستعيده هذا / الحديث، ويُطْرف به إخوانه فيعيده ويضحكون منه.

[٣٧/١٢]

وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عليُّ بن محمد النوفليُّ، عن أبيه، قال: كان محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية بحلب، فأتاه أعرابيٌّ، فقال له: حدّث أبا عبد الله ـ يعني الهيثم بن النّخعي ـ بما رأيت في حاضر المسلمين. فحدثَه بنحوٍ من هذا الحديث، ولم يُسَمِّ الأعرابيَّ باسمه، وما أجدَرَه بأن يكون لم يعرفه باسمه ونسبه أو لم يعرفْهُ الذي حدّث به النوفلي عنه.

[١٣/١٨٢]

/ الكعبي يستعدي قومه بني كلاب على من عقر إبله

نسخت من كتاب لعلي بن محمد الكوفي فيه شعرُ ناهض بن ثُومة قال: كان رجلٌ من بني كعب قد تزوّجَ امرأة من بني كلاب، فنزل فيهم ثم أنكر منها بعضَ ما ينكره الرجلُ من زوجته فطلّقها، وأقام بموضعه في بني كلاب، وكان لا يزالون يستخفُّون به ويظلمونه، وإن رجلاً منهم أوردَ إبله الماء فوردت إبلُ الكعبيِّ عليها، فزاحمتْه، لكنها

---

(١) الكز: الجهم المنقبض. والمقيت: الممقوت.
(٢) في الأصول: «فخالطت بصوته».
(٣) الأجذمان: من قولهم «أجذم»، أي مقطوع اليد.
(٤) التبط به، المعروف «لبط به» أي صرع.
(٥) يحذفونه: يرمونه.
(٦) لا آبه له: لا أفطن أو نسيته ثم فطنت له.
(٧) القينة: المغنية.
(٨) البربط: العود.
(٩) الزير: أدق أوتار العود.
(١٠) المثنى: من أوتار العود بعد الأوّل.
(١١) المثلث من أوتار العود.
(١٢) البم: الوتر الغليظ من أوتار المزهر.

ألقته على ظهره فتكَشَّفَ، فقام مُغْضَباً بسيفه إلى إبل الكعبي، فعقر منها عدَّةً، وجَلَاها عن الحوض، ومضى الكعبيُّ مستصرخاً بني كلابٍ على الرجل، فلم يُصْرِخوه، فساق باقيَ إبله واحتمل بأهله حتى رجع إلى عشيرته، فشكا ما لقي من القوم واستصرخَهم، فغضبوا له، وركبوا معه حتى أتَوْا حِلَّة بَني كلاب، فاستاقوا إبلَ الرجل الذي عَقَرَ لصاحبهم، ومضى الرجُلُ فجمع عشيرته، وتداعت هي وكعبٌ للقتال، فتحاربوا في ذلك حرباً شديداً، وتمادَى الشرُّ بينهم، حتى تساعَى حلماؤهم في القضية، فأصلحوها على أن يُعقَل القتلى والجرحى، وتُردَّ الإبل، وتُرْسَلَ من العاقر عدةُ الإبل التي عقرها للكعبي، فتراضوا بذلك واصطلحوا، وعادوا إلى الألفة، فقال في ذلك ناهضُ بنُ ثومةَ:

أمِـن طلـل بـأخطـبَ أبْـدَتـه ... نِجاءُ الـوبـل والـدِّيَـمُ النِّضاحُ (١)

ومَـرُّ الـدهـر يـومـاً بعـد يـوم ... فمـا أبقـى المسـاءُ ولا الصبـاح

فكـل محَلَّـة عُنيـت بسلمـى ... لـرَيـدات الـريـاح بهـا نُـواح (٢)

تَظُـلُّ علـى الجفـون الحـزن حتـى ... دمـوعُ العيـن نـاكـزةٌ نـزاح (٣)

/ وهي طويلةٌ يقول فيها: [١٣/١٨٣]

هنيئـاً للعـدَى سخـطٌ ورغـمٌ ... وللفَـزعيـن بينهمـا اصطـلاحُ

وللعيـن الـرقـادُ فقـد أطـالـت ... مسـاهـرةً وللقلـب انتجـاحُ

وقـد قـال العُـداةُ نـرى كـلابـاً ... وكعبـاً بيـن صلحهمـا افتتـاحُ

تـداعَـوْا للسَّـلام وأمـر نُجْـح ... وخيـر الأمـر مـا فيـه النجـاح

ومـدُّوا بينهـم بحبـال مَجْـد ... وشـدي لا أجَـدُّ ولا ضَيَـاح (٤)

ألـم تـر أنَّ جمـع القـوم يُخشـى ... وأن حـريـم واحـدِهـم مبـاح

وأن القـدْح حيـن يكـون فـردا ... فيُهْصَـر لا يكـون لـه اقتـداح (٥)

وإنـك إن قبضـت بهـا جميعـاً ... أبـت مـا سُمْـت واحـدَهـا القـداح

/ أنـا الخطّـارُ دون بنـي كـلاب ... وكعـبٍ إن أتيـح لهـم مُتـاحُ (٦) [٣٨/١٢]

أنـا الحـامـي لهـم ولكـل قَـرْم ... أخٌ حـامٍ إذا جـد النِّضـاحُ (٧)

أنـا الليـثُ الـذي لا يـزدهيـه ... عُـواءُ العـاويـات ولا النُّبـاح

سـل الشعـراءَ عنـي هـل أقـرت ... بقلبـي أو عفـت لهـم الجـراح (٨)

---

(١) أخطب: اسم جبل بنجد. وأبدته: أوحشته. نجاء بالنون والجيم: جمع نجو، وهو السحاب الذي قد هراق ماءه. والديم: جمع ديمة، وفي الأصل: «الضيم». والنضاح: التي تنضح بالماء، ووردت في الأصول بالصاد المهملة.

(٢) عنيت: عمرت، في ش، جـ بالعين المهملة وهو تصحيف. الريدات: جمع ريدة، وهي الريح الكثيرة الهبوب. وفي الأصول: «لريدان».

(٣) تطل في س، ش بالطاء المهملة، أما في جـ فالظاء المعجمة. أراد أنها تهدر الحزن وتبطله، وذلك لكثرة ما استنزفت من الدمع. والناكزة: التي فني ماؤها، والنزاح كذلك.

(٤) الأجد: المقطوع. والضياح: اللبن الرقيق الممزوج.

(٥) القدح: العود. ويهصر: يكسر. والاقتداح: الضرب به.

(٦) الخطار: الذي يخطر بالسيف ويهزه معجباً. والمتاح: ما يتاح ويقدر.

(٧) القرم: السيد. النضاح: الدفاع، يقال هو يناضح عن قومه، أي يذب عنهم.

(٨) عفت: زالت وانقطعت.

فمــا لكــواهــل الشُّعَــراء بُــدٌّ ... مــن القَتَــب الــذي فيــه لَحَــاح[١]
ومــن تــوريــك راكبــه عليهــم ... وإن كـرهـوا الـركـوب وإن ألاحـوا[٢]

[١٨٤/١٣] / **ما وقع بين بني نمير وبني كلاب وشعر ناهض في ذلك**

ونسخت من هذا الكتاب الذي فيه شعره، أنّ وقعةً كانت بين بني نمير وبني كلاب بنواحي ديار مضر، وكانت لكلابٍ على بني نُمير؛ وأن نميراً استغاثت ببني تميم، ولجأت إلى مالكِ بن زيدٍ سيد تميم يومئذٍ بديار مضر، فَمَنَعَ تميماً من إنجادهم، وقال: ما كنا لِنُلْقَى بين قيس وخِندف دِماءً نحن عنها أغنياء، وأنتم وهم لنا أهلٌ وإخوة، فإن سعيتم في صلح عاونّا، وإن كانت حَمالة[٣] أعنّا، فأمّا الدماء فلا مدخلَ لنا بينكم فيها. فقال ناهض بن ثُومةَ في ذلك:

ســلام الله يــا مــالِ بــنَ زيــد ... عليـك وخيـر مـا أُهْـدى السلامـا
تعلــم أينــا لكــم صــديــق ... فــلا تستعجلــوا فينــا المـلامـا
ولكنــا وحــيُّ بنــي تميــم ... عــداةٌ لا نــرى أبــداً ســلامــا
وإن كنــا تكــافَفْنــا قليــلا ... كحـرف السِّيـفِ ينهـار انهـدامـا[٤]
وهَيْــضُ العظــمُ يصبــح ذا انصــداع ... وقــد ظَــنَّ الجَهـول بـهِ ٱلتئـامـا[٥]
فلــن ننســى الشبــابَ الْمُــرْدَ منّــا ... ولا الشِّيـب الجحـاجِـحَ والكِـرامـا[٦]
ونــوحَ نــوائــح منّــا ومنهــم ... مـآتِـم مـا تجِـفّ لهـم سجـامـا[٧]
فكيــف يكــون صلــحٌ بعــد هــذا ... يـرجّـي الجـاهلـون لهـم تِمـامـا
ألا قــل للقبــائِــل مــن تميــم ... وخُـصَّ لمـالِـكٍ فيهـا الكـلامـا
فــزيــدُوا يــا بنــي زيــدٍ نُميــرا ... هَــوانــا إنــه يــدنــي الفِطــامـا
ولا تُبقــوا علــى الأعــداء شيئــاً ... أعــزَّ الله نصــرَكــم ودامــا
[١٨٥/١٣] / وجــدت المجــد فــي حَيّــيْ تميــم ... ورَهْـطِ الهَـذْلـق المـوفـي الـذمـامـا[٨]
نجــوم القــوم مــا زالــوا هُــداةً ... ومــا زَالُــوا لآبيهــم زمــامــا[٩]
هــم الــرأس المقــدم مــن تميــم ... وغــاربُهــا وأوفــاهــا سَنــامــا[١٠]
إذا مــا غــاب نجــمٌ آب نجــم ... أغـرُّ نـرى لطلعتِـه ٱبتسـامـا

---

(١) القتب: الرحل. اللحاح: العقر والكسر.
(٢) التوريك: الاعتماد على الورك. وألاحوا: أعرضوا.
(٣) الحمالة: الدية التي يحملها قوم عن قوم.
(٤) تكافقنا: كف بعضنا عن بعض. السيف بكسر السين: جانب الشاطىء.
(٥) الهيض: الكسر بعد الجبور.
(٦) الجحاجح: السادة من القوم، جمع جحجح.
(٧) السجام، يقال سجم العين والدمع والماء يسجم سجوماً وسجاماً، إذا سال.
(٨) الهذلق: هو ٱبن بشير أخو بني عتيبة ٱبن الحارث بن شهاب.
(٩) الآبي: الكاره.
(١٠) الغارب: الكاهل أو ما بين السنام والعنق.

فهذي لابن ثُومَةَ فانسُبُوها إليه لا اختفاءَ ولا اكتتاما[1]
وإن رغِمَت لذاك بنو نُمَيْرٍ فلا زالت أُنُوفُهم رَغاما[2]

قال: يعني بالهذلق الهذلقَ بنَ بشير، أخا بني عتيبة بن الحارث بن شهاب، وابنيه علقمةَ وصباحاً.

فخر ناهض بقومه

قال: وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين فلم تُصب كلاباً ولا نميراً، فلما ظفرت كلابٌ قال لهم ناهض:

/ ألا هل أتى كعباً على نأي دراهم وخذلانهم أنا سَرَرنا بني كعب
بما لقيت منا نميرٌ وجمعُها غَداةَ أتينا في كتائبنا الغُلْب[3]
فيالك يوماً بالحمى لا نرى له شبيهاً وما في يوم شيبان من عَتْب
أقامت نمير بالحمى غير رغبة فكانَ الذي نالت نمير من النهب
رؤوسٌ وأوصالٌ يزايل بينها سباعٌ تدلَّت من أبانَيْن والهضْب[4]
/ لنا وقَعاتٌ في نمير تتابعت بضيمٍ على ضيم ونكبٍ على نكب[5]
وقد علمت قيسُ بن عيلان كلُّها وللحرب أبناءٌ بأنا بنو الحرب
ألم ترهم طُرًّا علينا تحزّبوا وليس لنا إلا الرُّدَيْنِّي من حزب[6]
وإنا لنقتادُ الجيادَ على الوجى لأعدائنا مَن لا مُدان ولا صَقْبُ[7]
ففي أي فجٍّ ما ركزنا رماحنا مخوفٍ بنصب للعِدا حين لا نصبُ[8]

٣٩/١٢ [١٨٦/١٣]

شعر عمارة في تحريض كعب وكلاب على بني نمير

أخبرنا جعفرُ بن قدامة بن زيادٍ الكاتبُ، قال: حدثني أبو هِفَّان، قال: حدثني عُزَيْزُ بن ناهض بن ثومة الكلابي، قال: كان شاعر من نمير يقال له: رأسُ الكبش، قد هاجى عُمارة بنَ عقيلِ بن بلال بن جرير زماناً، وتناقضا الشعر بينهما مدة، فلما وقعت الحرب بيننا وبين بني نمير قال عمارة يحرّض كعباً وكلاباً ابني ربيعة على بني نمير في هذه الحرب التي كانت بينهم، فقال:

رأيتكما يا بنَيْ ربيعةَ خُرْتُما وعَوّلتُما والحربُ ذات هرير[9]
وصدقتما قول الفرزدق فيكما وكذبتما بالأمس قول جرير

---

(١) الاكتتام: الاختفاء.
(٢) رغم: ذل. وأنوفهم رغام أي ذليلة.
(٣) في الأصول: «في كتائبها القلب». والغلب: جمع غلباء، وهي العزيزة الممتنعة.
(٤) يزايل: يفرق. الأبانان: جبلان يقال لأحدهما: الأبان الأبيض وهو لبني فزارة، ثم لبني جريد منهم، والأبان الأسود لبني أسد، ثم لبني والبة، ثم للحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد. وقال صاحب «اللسان»: «إن الأبيض لبني أسد والأسود لبني فزارة».
(٥) النكب كالنكبة، وهي المصيبة.
(٦) الرديني: الرمح المنسوب إلى (ردينة)، وهي امرأة كانت تقوم الرماح.
(٧) الوجى: الحفا، وهو أن يرق القدم أو الحافر، وفي «الصحاح»: هو الوجع، والمداني: القريب، وكذلك الصقب.
(٨) النصب: يقال نصبه الشر وناصبه، إذا أظهره له.
(٩) خرتما: ضعفتما. وعوّل الرجل: رفع صوته بالبكاء والصياح. وفي كل الأصول: «وعوّدتما».

فـإن أنتمـا لـم تقـذعـا الخيـل بـالقنـا … فصِيـرا مـع الأنبـاط حيـث تصيـر[١]

تسـومكمـا بغيـا نميـرٌ هضيمـةً … ستُنجـد أخبـارٌ بهـم وتغـور[٢]

[١٨٧/١٣] / قال: فارتحلت كلابٌ حين أتاها هذا الشعر، حتى أتوا نميراً وهم في هضبات يقال لهنّ وارداتٌ[٣]، فقتلُوا واجتاحوا، وفضحوا نميراً، ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومةَ يجيب عُمارة عن قوله:

يحضضنـا عمـارةُ فـي نميـر … ليَشْغَلهـم بنـا وبـه أرابـوا[٤]

ويـزعـم أننـا حـزنـا وأنـا … لهـم جـار المقـربـة المصـاب

سلـوا عـن نميـراً هـل وقعنـا … بنـزوتهـا التـي كـانـت تُهـاب

ألـم تخضـع لهـم أسَـدٌ ودانـت … لهـم سعـد وضبـة والـربـاب

ونحـن نَكُـرُّهـا شُعْثـاً عليهـم … عليهـا الشَّيـبُ منـا والشبـاب

رغبنـا عـن دمـاء بنـي قُـرَيـع … إلـى القَلْعيـن إنهمـا اللبـاب[٥]

صَبَحْنَـاهـم بـأرعـنَ مكفهـرٍّ … يـدفُ كـأن رايتَـه العُقـاب[٦]

أجـشَّ مـن الصـواهـل ذي دويٍّ … تلـوح البِيـضُ فيـه والحـراب[٧]

فـأشْعَـلَ حيـن حـلّ بـواردات … وثـار لنقعـه ثـمَّ انصبـاب[٨]

صبحنـاهـم بهـا شُعْـث النـواصي … ولـم يُفْتَـق مـن الصبـح الحجـاب

/ فلم تُغمَـد سيـوفُنا الهند حتـى … تعيلـت الحليلـةُ والكَعـاب[٩]

٤٠/١٢

[١٨٨/١٣] / صوت

أعـرفـت مـن سلمـى رسـومَ ديـار … بـالشـط بيـن مُخَفَّـقٍ وصحـار[١٠]

---

(١) القذع: الكف والمنع، ومثله القدع، بالدال المهملة. فصيرا في س، ش، وفي جـ «فصيروا» وهو تحريف. النبط: جيل من العجم ينزل بين العراقين سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء، واستعمل في أخلاط الناس وعوامهم، ومنه كلمة نبطية أي عامية، في «تصير» إقواء، وكذلك في «تغور» في البيت التالي.

(٢) تنجد: تأتي نجداً. تغور: تأتي الغور.

(٣) واردات: اسم مكان عن يسار طريق مكة للذاهب إليها، وقال أبو عبيدة إنها عن يمين سميراء، ويوم واردات معروف بين بكر وتغلب قتل فيه بجير بن الحارث بن عباد بن مرة. وفيه يقول المهلهل:

فـإنـي قـد تـركـت بـواردات … بجيـرا فـي دم مثـل العبيـر

(٤) يحضضنا: يحملنا عليهم. أرابوا: تشككوا.

(٥) القلعان: هما صلاءة وشريح ابنا عمرو بن خويلفة بن عبد الله بن الحارث بن نمير.

(٦) الأرعن: يقال جيش رعن أي له فصول. يدف: يدب ويسير بلين.

(٧) الأجش: الغليظ الصوت.

(٨) أشعلت الغارة: تفرقت.

(٩) تعيلت: أهملت لموت عائلها. والكعاب: من نهد ثديها وبرز.

(١٠) الشط: موضع باليمامة. والمخفق: رمل في أسفل الدهناء من ديار بني سعد.

وكـــأنمـــا أثـــرُ النعـــاج بجَـــوِّهـــا بمَـــدَافـــع الـــرَّكَبَيْـــنِ ودعُ جـــواري[١]

وســـألتهـــا عـــن أهلهـــا فـــوجـــدتهـــا عميـــاءَ جـــاهلـــةً عـــن الأخبـــار

فكـــأنَّ عينـــي غَـــربُ أدهـــمَ داجـــنٍ متعـــوِّدِ الإقبـــال والإدبـــار[٢]

الشعرُ للمخبل السعدي، والغناءُ لإبراهيم، هزجٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاقَ. قال الهشامي: فيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ، ولِعنانَ بنت خوطٍ خفيفُ رمل.



(١) الجوّ: ما أتسع من الأرض واطمأن وبرز. والمدافع: جمع مدفع، وهو مسيل الوادي. والركبان: موضع.

(٢) الغرب: الدلو العظيمة. والأدهم: الأسود، عنى به البعير. والداجن: البعير السانى، أي الذي يستقى عليه.

[١٣/١٨٩]

/ أخبار المخبل[1] ونسبه

أخبار المخبل ونسبه

قال ابنُ الكلبي: اسمه الربيع بن ربيعة، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة. وقال ابنُ حبيب وأبو عمرو: اسمه ربيعةُ بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال[2] بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناةَ بن تميم. شاعرٌ فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ويكنى أبا يزيد. وإياه عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابغُ إذ مضَوْا ... وأبو يزيد وذو القروح وجَرْوَل

طبقته في الشعراء

ذو القروح: امرؤُ القيس. وجرول: الحطيئة. وأبو يزيد: المخبل. وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بن زهير، والأسود بن يعفر، وتميم بن مقبل. وهو من المقلين، وعمر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً، وأحسبه مات في خلافة عمرَ أو عثمانَ (رضي الله عنهما) وهو شيخ كبير. وكان له ابن، فهاجر إلى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً، حتى بلغ خبره عمر، فردّه عليه.

جزعه على ولده شيبان حين هاجر

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد. قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ، عن ابن الأعرابي قال:

هاجر شيبانُ بن المخبل السعدي، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبَّل جزعاً شديداً، وكان قد أسنَّ وضعُف، فافتقرَ / إلى ابنه فافتقدَه، فلم يَملك الصبر عنه، فكاد أن يُغْلَبَ على عقله، فعمد [١٣/١٩٠] إلى إبله وسائر ماله فعَرَضه ليبيعَه ويلحقَ بابنه، وكان به ضنيناً، فمنعه علقمةُ بنُ هَوذة بن مالك، وأعطاه مالاً وفرساً، وقال: أنا أكلِّم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك، فإن فعلَ غَنمتَ مالك. وأقمتَ في قومك، وإن أبى استنفقْتَ ما أعطيتُك ولحقتَ به، وخلّفتَ إبلَكَ لعيالك. ثم مضى إلى عمر ـ رضوان الله عنه ـ فأخبره خبر المخبَّل، وجَزَعَه على ابنه، وأنشده قوله:

أيُهلكني شيبانُ في كلِّ ليلة ... لقلبي من خوف الفِراق وجيبُ[3]

أشيبانُ ما أدراك أنّ كلُّ ليلة ... غبقتُك فيها والغَبُوق حبيبُ[4]

غَبقتُك عُظْماها سناماً أو انبرى ... برِزقك برّاق المُتون أريب[5]

---

(١) المخبل بفتح الباء المشددة: اسم مفعول من خبله تخبيلاً. وفي الشعراء من يقال له المخبل غير هذا ثلاثة. وهم المخبل الزهيري والثمالي وكعب المخبل. «المؤتلف والمختلف للآمدي» ١٧٧.

(٢) في الأصول «ابن قبال» صوابه بالتاء كما في «المؤتلف» و «الخزانة» (٢: ٥٣٥).

(٣) في حـ: «أهلكني». والوجيب: الخفقان.

(٤) الغبوق: الشرب في العشي.

(٥) عظماها: تفضيل من العظم. براق المتون: عنى به السيف. الأريب: المغتال.

٤١ / ١٢

/أشيبان إن تأبى الجيوش بحدّهم يقاسون أياماً لهنّ خطوب(١)
ولا همّ إلا البزّ أو كلّ سابح عليه فتى شاكي السلاحِ نجيب(٢)
يذودون جُند الهُرْمُزَانِ كأنّما يذودون أوراد الكلاب تلوب(٣)
فإن يكُ غصني أصبحَ اليوم ذاوياً وغصنُك من ماء الشباب رطيبُ
فإنّي حَنَتْ ظهري خطوبٌ تتابعت فمشيِ ضعيفٌ في الرجال دبيبُ
إذا قال صحبي يا ربيعُ ألا ترى أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيبانُ أن لن يعقّني تَعُقُّ إذا فارقتني وتحوب(٤)
/ فلا تُدْخِلنَّ الدّهرَ قبرَكَ حوبةً يقوم بها يوماً عليك حسيب(٥)

[١٣/١٩١]

ـ يعني بقوله «حسيب» الله عز ذكره ـ

عمر بن الخطاب يأمر بعودة شيبان إلى أبيه

قال: فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبياتَ بكى ورق له، فكتب إلى سعد يأمره أن يُقْفل شيبان بن المخبل ويردَّه على أبيه، فلما ورد الكتابُ عليه أعلم شيبانَ وردّه فسأله الإعفاء عنه، وقال: لا تَحرِمنّي الجهاد. فقال له: إنّها عزمةٌ من عمر، ولا خيرَ لك في عصيانه وعقوقِ شيخك. فانصرَفَ إليه، ولم يزل عنده حتى مات.

رواية أخرى في ذلك

وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمارٍ والجوهريّ، قالا:

حدثنا عمرُ بن شَبّة أن شيبانَ بن المخبل كان يرعى إبلَ أبيه، فلا يزال أبوه يقول: أحسِن رعيةَ إبلك يا بنيّ، فيقول: أراحني الله من رعْية إبلك. ثم فارق أباه وغزا مع أبي موسى، وانْحَدَرَ إلى البَصْرة، وشهد فتح تُسْتَرَ(٦)، فقال: فذكر أبوه(٧) الأبيات، وزاد فيها قوله:

إذا قلتُ تَرعَى قال سوف تريحني من الرَّعي مِذْعانُ العشي خَبُوب(٨)

قال: أبو يزيد وحدثناه عتابُ بنُ زيادٍ، قال: حدثنا ابن المبارك، قال حدثنا مسعودٌ عن معن بن عبد الرحمن فذكر نحوه، ولم يقل: شيبان بن المخبّل، ولكنه قال: «انطلق رجُلٌ إلى الشام»، وذكر القصةَ والشعرَ.

الزبرقان لا يزوّج أخته خليدة المخبل

أخبرنا محمدُ بنُ العباس اليزيدي، قال: حدثني عمّي عبيد الله، عن ابن حبيب، قال: خطب المخبّلُ السعديّ

---

(١) حدّهم: سيفهم.
(٢) البز: السلاح. وفي الأصول: «البر». السابح: الفرس يسبح في جريه.
(٣) الهرمزان والهرمز والهارموز: الكبير من ملوك العجم. وتلوب: تحوم.
(٤) تحوب بالحاء المهملة: تأثم.
(٥) الحوبة: الذنب.
(٦) تستر: أعظم مدينة بخوزستان.
(٧) في الأصل: «فقال أبوه فذكر أبوه».
(٨) المذعان: الناقة السلسة المنقادة. والخبوب: من الخب، وهو ضرب من العدو. وفي الأصول: «جنوب» وصححها الشنقيطي بما أثبتناه.

إلى الزِّبرقانِ بن بدرٍ أختَه خُليدةَ، فمنعه إيّاها، وردّه لشيء كان في عقله، وزوّجها رجلاً من بني جُشَم بن عوفٍ، يقال له: مالكُ بنُ أميّة / ابن عبد القيس، من بني محارب. [١٣/١٩٢]

هزال وعبد عمرو يضربان قاتل الجلاس حتى يموت

فقتل رجلاً من بني نهشلٍ يقال له الجُلاّس بن مخرَبة بنِ جندل بنِ جابرِ بنِ نهشل اغتيالاً، ولم يعلم به أحدٌ، ففقد ولم يعلم له خبر، فبينما جارُ الزبرقانِ الذي من عبد القيس قاتلُ الجُلاّس ليلةً يتحدث إذ غلط، فحدث هَزّالاً بقتله الرجل، وذلك قبل أن يتزوّج هَزّالٌ إلى الزبرقان، فأتى هَزّال عبد عمرِو بنِ ضَمْرة بن جابر بن نهشلٍ فأخبره، فدعا هزّالٌ قاتلَ الجلاس فأخرجه عن البيوت، ثم اعتوره هو وعبد عمرو فضرباه حتى قتلاه، ورجع هزالٌ إلى الحيّ وضرب عبد عمرو حتّى لجأ إلى أخواله بني عُطَارِدِ بن عوفٍ.

امرأة مالك تحرض على من قتل زوجها

فقالت امرأةُ مالكِ بن أمية المقتول:

أجيرانَ ابنِ ميةَ خبّروني ... أعينٌ لابنِ مَيّةَ أم ضِمارُ[١]

تجلّل خِزيَها عوفُ بنُ كعبٍ ... فليس لنسلِهم منها اعتذارُ

المخبل يعير الزبرقان لتزويج هزال بعد قتله جاره وتلاحيهما

[٤٢/١٢] / قال: فلما زوّج الزبرقانُ أخته خليدةَ هزّالاً بعد قتله جاره عيبَ عليه، وعُيِّر به، وهجاه المخبل، فقال:

لعمرك إن الزبرقانَ لدائمٌ ... على الناس تعدو نوكُه ومجاهلُه[٢]

أأنكحت هزالاً خليدة بعدما ... زعمت بظهر الغيب أنك قاتلُه

فأنكحتَه رَهْواً كأنّ عِجانها ... مَشَقُّ إهابٍ أوسعَ السَّلْخَ ناجلُه[٣]

يلاعبها فوق الفراش وجارُكم ... بذي شُبْرُمانٍ لم تَزَيَّلْ مفاصلُه[٤]

قال: ولجّ الهجاءُ بين المخبل والزبرقان حتى توافقا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما فاجتمعا لذلك ذاتَ يوم، وكان الزبرقانُ أسودَهما، فابتدأ المخبل فأنشده قصيدته:

[١٣/١٩٣] / أُنبئتُ أن الزبرقانَ يُسبُّني ... سفهاً ويكْرَهُ ذو الحِرَيْنِ خصالي[٥]

قال: وإنما سماه ذا الحرينِ لأنه كانَ مُبَدَّناً، فكان له ثديان عظيمان، فسبَّه بهما وشبَّهَهُما بالحِرَين. ويقال: إنه إنما عيّره بأخته وابنته، ولم يكن للمخبَّل ابن في الجاهلية، قال:

أفلا يفاخرني ليعلم أيُّنا ... أدنى لأكرمِ سُودَدٍ وفِعالِ

فلما بلغ إلى قوله:

وأبوك بدر كان مشترِط الخصى ... وأبي الجوادُ ربيعةُ بنُ قِتالِ[٦]

فلما أنشده هذا البيت، قال:

وأبوك بدرٌ كان مشترِط الخُصَى ... وأبي . . . .

---

(١) الضمار من المال: ما لا يرجى رجوعه، ومن الدين ما كان بلا أجل.

(٢) النوك: الحمق. (٣) العجان: الاست. والناجل: الشاق للجلد. وقد ذكر في «اللسان» (وهو) تعليل تسمية خليدة «رهوا».

(٤) شبرمان بضم أوّله وسكون ثانيه وضم ثالثه: موضع. وتزيل: تفرق.

(٥) في حـ: «نبئت». ذو الحرين: صاحب الفرجين. (٦) مشترط الخصى، المشترط: القاطع. والخصى: جمع خصية وخصى كقفل.

ثم انقطع عليه كلامه، إمّا بشَرَق أو انقطاع نَفَس، فما علم الناس ما يريد أن يقوله بعد قوله: «وأبي». فسبقه الزبرقان قبل أن يتم ويبين، فقال: صدقت، وما في ذاك إن كان شيخانا قد اشتركا في صنعةٍ. فغلبه الزبرقان، وضحكوا من قوله وتفرّقوا، وقد انقطع بالمخبل قوله.

زرارة بن المخبل يضرب الطباوي بحجر فيطلب أبوه إلى بغيض بن عامر أن يحمل الدية ثم يكسوه

أخبرنا اليزيديُّ، قال: حدثني عمي عن عبيد الله عن ابن حبيب، قال: كان زرارةُ بنُ المخبَّل يَلِيط[1] حوضه، فأتاه رجلٌ من بني عِلباءِ بن عوف، فقال له: صارِعْني. فقال له زرَارةُ: إني عن صراعك لمشغولٌ. فجذب بحُجْزته وهو غافلٌ فسقط، فصاح به فتيانُ الحي: صُرِع زرارةُ وغُلِبَ. فأخذ زرارة حجراً، فأخذ به رأسَ العلباويّ، فسأل المخبلُ بغيضَ بن عامر بن شماس أن يتحمَّل عن ابنه / الدية، فتحملها وتخلّصه، وكسا المخبلَ حلةً حسنةً، [١٣/١٩٤] وأعطاه ناقة نجيبةً، فقال المخبل يمدحه:

لعمـرُ أبيـك لا ألقـى ابـن عَـمٍّ ... علـى الحـدثـان خيـراً مـن بَغِيـض

أقـلَّ مـلامـة وأعـزَّ نصـراً ... إذا مـا جئـتُ بـالأمـر المـريـض

كسـانـي حُلَّـةً وحبـاً بعَنْـس ... أَبُسُّ بهـا إذا اضطـربـت غُـروضـي[2]

غـداةَ جنـى بُنَـيَّ علـى جـرمـاً ... وكيـف يـداي بـالحـرب العضـوض[3]

فقـد سـدّ السبيـل أبو حميـد ... كمـا سـدّ المخـاطَبـةَ ابـنُ بيـض[4]

خبر ابن بيض

ـ أبو حميد: بغيضُ بن عامرٍ. وأما قوله: «كما سدَّ المخاطَبَةَ ابنُ بيض»، فإنّ ابن بيض: رجل من بقايا قوم عاد، كان تاجراً، وكان لقمانُ بن عادٍ يجيز له تجارته في كل سنة بأجرٍ معلوم، فأجازه سنة وستين، وعاد التاجر ولقمان غائبٌ، فأتى قومه فنزل فيهم، ولقمانُ في سفره، ثم حضرت / التاجرَ الوفاةُ فخاف لقمانَ على بنيه وماله ٤٣/١٢ فقال لهم: إن لقمانَ صائر إليكم، وإنّي أخشاه إذا علم بموتي على مالي، فاجعلوا مالَه قبلي في ثوبه، وضعوه في طريقه إليكم، فإن أخذه واقتصر عليه فهو حقُّه، فادفعوه إليه واتَّقوه، وإن تعدّاه رجوت أن يكفِيَكُمُ الله إياه. ومات الرجل، وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقه على طريقه، فقال: «سدَّ ابنُ[5] بَيضٍ الطريقَ»، فأرسلها مثلاً، وانصرف وأخذ حقه. وقد ذكرتْ ذلك الشعراء، فقال بشامةُ بنُ عمروٍ:

كثـوبِ ابـنِ بيـضٍ وقـاهـم بـهِ ... فسـدّ علـى السـالكيـن السبيـلا

/ قال ابن حبيب: ولما حَشَدت بنو علباء للمطالبة لدمِ صاحبهم، حَشَدت بنو قُريع مع بَغيض لنصر المخبَّل، [١٣/١٩٥] ومشت المشيخة في الأمر، وقالوا: هذا قُتِل[6] خطأ، فلا تُواقعوا الفتنة، واقبلوا الدية. فقبِلوها وانصرفوا، فقال زرارةُ بنُ المخبل يفخر بذلك:

---

(١) يليط: يطين، وفي حـ: «يلط».

(٢) العنس: الناقة الصلبة. أبس يقال بس الإبل: ساقها سوقاً ليناً وزجرها. والغروض: جمع غرض بالفتح، وهو للرحل كالحزام للسرج.

(٣) العضوض: الشديدة.

(٤) البيت والمثل عند الميداني في قوله: «سد ابن بيض الطريق».

(٥) ابن بيض بكسر الباء، ويروى بفتحها.

(٦) في حـ: «قتيل».

فـاز المخـالِـسُ لمـا أن جـرى طَلَقـاً ... أمّـا حُطَيْـمُ بـن عِلبـاء فقـد غُلِبـا[١]
إنـي رميـت بجُلمـود علـى حَنَـق ... مِنـي إليـه فكـانـت رميـةً غَـرِبـاً[٢]
ليثـا إلـيّ يَشُـقُّ النـاسَ منفـرجـاً ... لحَيـاهُ عنّـانـةٌ لا يَتّقـي الخَشبـا[٣]
فـأورثتنـي قتيـلاً إن لقيـتُ وإن ... أفلتُّ كـانـت سمـاع السّـوء والْحَـرَبَـا[٤]

سعي المخبل في إبل جار بني قشير

ثم أخذ بنو[٥] حازم جاراً لِبني قُشير، فأغار عليه المُنتَشِر بنُ وهب الباهِليّ، فأخذ إبله، فسأل في بني تميم حتّى انتهى إلى المخبل، فلما سأله قال له: إن شِئتَ فاعترِض إبلي فخذ خيرها ناقةً، وإن شِئت سعيتُ لك في إبِلك. فقال: بل إبلي. فقال المخبل[٦]:

إنّ قشيـراً مـن لِقـاح ابـن حـازِم ... كـراحِضـة حيضـاً وليسـت بطـاهـر[٧]
فـلا يـأكلهـا البـاهِلـيّ وتَقعـدوا ... لـدى غـرضٍ أرميكُـمُ بـالنـواقِـر[٨]
أغـرّك أنْ قـالـوا لعـزة شـاعـر ... فنـاك أبـاه مـن خفيـرٍ وشـاعـر

فلما بلغهم قولَ المخبلِ سعَوْا بإبله، فردّها عليهم حزنُ بن معاوية بن خفاجة بن عقيل، فقال المخبل في ذلك:

[١٣/١٩٦] / تـدارك حـزنٌ بـالقنـا آلَ عـامـر ... قَفَـا حَضَـنٍ والكرُّ بـالخيـل أعسـرُ[٩]
فـإنّـي بـذا الجـار الخفـاجـيّ واثـقٌ ... وقلبـي مـن الجـارِ العِبـاديّ أوجـر[١٠]
إذا مـا عقيلـيٌّ أقـامَ بِـذِمّـة ... شـريكيـنِ فيهـا فـالعِبـادِي أوجـر[١١]
لعمـري لقـد خـارَت خفـاجـة عـامِـراً ... كمـا خِيـرَ بيـتٌ بـالعـراق المشقَّـر[١٢]
وإنّـك لـو تعطـي العِبـادي مِشقصـاً ... لـراشي كمـا راشـى علـى الطبـع أبخر[١٣]

ـ راشَى من الرّشوة ـ

---

(١) في حـ: «فار المخالس» بالخاء وفي ط «المجالس» بالجيم وفي ب، س، ش «فاز» بدل «فاز» والمخالس: الذي يأخذه غيره خلسة.
(٢) الجلمود: الحجر. والرمية الغرب: التي لا يدري من رماها.
(٣) عنانة: مبالغة من العنن، وهو اعتراض الموت.
(٤) الحرب: الهلاك.
(٥) في حـ «بني» بالياء وهو تحريف.
(٦) في حـ أضافة «فقال المخبل قوله».
(٧) الراحضة بالحاء المهملة: الغاسلة.
(٨) النواقر: بالقاف، أي الدواهي.
(٩) قفا حضن، أي خلفه. وحضن: جبل بأعلى نجد. قال:

فمـا قلـص وجـدن معقـلات ... قفـا حضـن بمختلـف التجـار

وفي الأصول: «قنا حصن»، تحريف.
(١٠) الأوجر: الخائف.
(١١) في الأصول: عقيلياً. الأوجر هنا: الكاره الناقض للعهد.
(١٢) المشقر: موضع ببلاد العرب. وفي الأصل: «جارت خفاجة» و «جير». وخاره: صار خيراً منه. وخير: اصطفى.
(١٣) المشقص: النصل العريض، وقيل: سهم يرمى به.

المخبل وخليدة بنت بدر

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدثنا الأصمعي، قال: مر المخبلُ السَّعدي بِخليدةَ بنتِ بدرٍ، أختِ الزِّبرقان بن بدرٍ، بعد ما أسنّ وضعف بصره، فأنزلته وقرّبته وأكرمته ووهبت له وليدة، وقالت له إنّي آثرتك بها يأبا يزيدَ[1] فاحتفظ بها. فقال: ومن أنت حتى أعرفَكِ وأشكُرَكِ؟ قالت: لا عليك، قال: بلى والله أسألك. قالت: أنا بعض من هتكتَ بِشعرك ظالِماً، أنا خليدةُ بنت بدرٍ. فقال: واسوأتاه / مِنكِ؛ فإني أستغفرُ الله عز وجل، وأستقيلك وأعتذِرُ إليك. ثم قال:

٤٤
١٢

لقد ضلَّ حِلمِي فيّ خليدةَ إنَّني ... سأُعتِب نفسي بعدها وأموت

فأقسمُ بالرحمن إنّي ظلمتُها ... وجُرتُ عليها والهِجاءُ كَذوبُ

/ **من قصيدة الغناء** [١٣/١٩٧]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور بشعر المخبّل وأخباره يمدح بها علقمة بن هَوذة ويذكُر فعله به وما وَهَبه له من ماله، ويقول:

فجزى الإلٰهُ سَراةَ قومي نَضْرةً ... وسقاهُمُ بمشارب الأبرار

قومٌ إذا خافوا عِثارَ أخيهِمُ ... لا يُسْلمونَ أخاهُمُ لعِثارِ

أمثالُ عَلقمةَ بنِ هوذةَ إذْ سعى ... يخشى عَليّ متالفَ الأبصار

أثنَوْا عليَّ وأحسنوا وترافَدُوا ... لي بالمَخاض البُزْل والأبكارِ[2]

والشَّولِ يتبعُها بناتُ لَبونها ... شَرِفاً حناجرُها من الجَرْجار[3]

المخبل والزبرقان وعبدة وعمرو يحكمون في شعرهم

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمن، عن عمه، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب. وأخبرني عمّي، قال: حدثنا الكُرَانيّ، قال: حدثنا العمريّ، عن لقيطٍ قالوا:

اجتمع الزبرِقانُ بن بدر والمخبل السعديّ وعَبْدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يُسلِموا، وبعدَ مبعث النبي ﷺ، فنَحروا جَزُوراً، واشتَروا خمراً ببعير، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال بعضهم: لو أنّ قوماً طاروا من جَودة أشعارهم لطِرْنا. فتحاكموا إلى أوّل من يَطْلُعُ عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار[4] الأسديّ، وقال اليزيدي: فجاءهم رجلٌ من بني يربوع يسأل عنهم، فَدُلَّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون، فلما رأوه سرهم، وقالوا له: أخبرنا أيُّنا أشعرُ؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فآمَنُوه من ذلك، فقال: أما عمرو فشعره برودٌ / يمنية تنشر وتطوى، وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جَزوراً قد نُحِرت[5]، فأخذ من أطايِبها وخلطه بغير ذلك. [١٣/١٩٨]

---

(١) في حـ: «أبا زيد».

(٢) المخاض: الحوامل من النوق، أو العشار التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر. والبزل: ما بلغ من الإبل التاسعة. والأبكار: النوق التي ولدت أوّل بطن. والشول جمع شائلة: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها. وابن اللبون: ولد الناقة إذا كان من العام الثاني واستكمله أو إذا دخل في الثالثة.

(٣) الجرجار: عشبة لها زهرة صفراء.

(٤) حذار في س، ش، أما في حـ فخدار بالخاء المعجمة والدال المهملة، تحريف. وفي القاموس: «وربيعة بن حذار، كغراب: جواد معروف».

(٥) حـ: «ذبحت».

وقال لقيط في خبره، قال له ربيعةُ بن حُذار: وأمّا أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكلَ، ولم يُترك نيئاً فَيُنْتَفَع به، وأما أنت يا مخبَّلُ فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء[1]، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادةٍ[2] أُحْكِم خرزها فليس يقطر منها شيء.

استمناح روق للمخبل

أخبرنا اليزيدي، عن عمه، عن ابن حبيب، قال: كان رجل من بني امرىء القيس يقال له رَوقٌ مُجاوراً في بكرِ بنِ وائل باليمامة، فأغاروا على إبله وغدروا به، فأتى المخبل يستمنِحُه، فقال له: إن شئتَ فاختر خير ناقة في إبلي فخُذْها، وإن شِئتَ سعيتُ لك. فقال: أن تَسعَى[3] بي أحبُّ إليّ. فخرج المخبل فوقف على نادي قومه، ثم قال:

أدُّوا إلى رَوْح بن حَسّانَ بنِ حارثةَ بن منذر
كوماءَ مدفأةً كأنّ ضروعَها حَمّاءُ أجفر[4]
تأبى إلى بصص تَسُحُّ المحضَ باللبن الفضنفر[5]

فقالوا: نَعَم ونُعمة. فجمعوا له بينهم الناقةَ والناقتين من رجلين حتى أعطَوْه بِعدّة / إبله. ٤٤ / ١٢

وقال ابنُ حبيب في هذه الرواية: «كان رجل من بني ضبّة».

[١٣/ ١٩٩]

صوت

اسألْ عن ليلى علاكَ المشيبُ وتصابي الشيخ شيءٌ عجيبُ
وإذا كان النسيبُ بِسلمى لذَّ في سلمى وطابَ النسيبُ
إنما شبَّهتُها إذ تراءت وعليها من عيون رقيبُ
بطلوع الشّمس في يوم دَجْنٍ بُكرةً أو حانَ منها غروبُ
إنني فاعلم وإنْ عزَّ أهلي بالسُّويداءِ الغداةَ غريبُ[6]

الشعر لغيلان بن سلمة الثَّقفيّ، وجدتُ ذلك في جامعِ شعره بخط أبي سعيد السكريّ، والغناءُ لابن زُرزورٍ الطائفي، خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى، عن يحيى المكي، وفيه ليونس الكاتب لحن ذكره في كتابه، ولم يُجنّسه[7].

---

(١) على من يشاء، ساقطة من حـ.

(٢) المزادة: الراوية. وقيل لا تكون إلا من جلدين بينهما ثالث لتتسع.

(٣) في الأصول: «بل يسعى بي».

(٤) الكوماء: الناقة العظيمة الضخمة السنام. والمدفأة: الكثيرة الوبر والشحم. والأجفر يقال: جفر ولد الشاة، إذا عظم واستكرش أو بلغ أربعة أشهر. والحماء: الاست. وفي الأصول: «جماة».

(٥) تسح: تنزل. والمحض: اللبن الخالص. وفي البيت تحريف ظاهر.

(٦) السويداء: موضع بالحجاز بعد المدينة على طريق الشام.

(٧) لم يجنسه: لم يذكر نوع لحنه.

/ أخبار غيلان ونسبه [١٣/٢٠٠]

أخبار غيلان ونسبه

غيلانُ بن سلمة بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِيّ ـ وهو ثقيف. وأمّه سبيعةُ بنتُ عبدِ شمس بن عبد مناف بن قصي، أخت أمية بن شمس بن عبد مناف.

أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، وأسلم ابنه عامر قبله، وهاجر، ومات بالشام في طاعونِ عمواس[١] وأبوه حيٌّ.

وغيلانُ شاعرٌ مقل، ليس بمعروف في الفحولِ.

وصف بادية بنت غيلان

وبنتُه باديةُ بنت غيلان التي قال هِيتٌ المخنَّثُ لعمرَ بن أم سلمة أمّ المؤمنين، أو لأخِيه سلمة[٢]: «إنْ فتح الله عليكم الطائفَ فسَلْ رسولَ الله ﷺ أن يهَبَ لك باديةَ بنتَ غيلان، فإنها كحلاءُ؛ شموعٌ نجلاء[٣]، خمصانة هيفاء[٤]، إن مشت تثنَّت، وإن جلسَتْ تبنت[٥]، وإن تكلَّمت تغنت، تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ، وبين فخذيها كالإناءِ المُكْفَا[٦]».

قول له قبل إسلامه

وغيلان فيما يقال أحدُ مَن قال مِن قريش للنبيّ صلى الله عليه وسلم وآله: ﴿لولاَ أنزِلَ هذا القُرآن على رَجُلٍ من القَرْيَتَين﴾.

اتهام ولده عمار بسرقته وما كان بينهما من تدابر

قال ابن الكلبيّ: حدثني أبي، قال: تزوّج غيلانُ بن سلمة خالدةَ بنت أبي العاص، / فولدت له عمّاراً وعامراً، [١٣/٢٠١] فهاجر عمّار إلى النبي ﷺ، فلما بلغه خبرهُ عَمَد خازنٌ كان لغيلانَ إلى مالٍ له فسرقهُ وأخرجه من حِصنِه فدفنه، وأخبرَ غيلانَ أنّ ابنَه عمّاراً سرق مالَه وهرب به، فأشاع ذلك غيلانُ وشكاه[٧] إلى الناس، وبلغ خبرُه عماراً فلم يعتذر إلى أبيه، ولم يذكر له بَراءتَه مما قيل له، فلما شاع ذلك جاءت أمَةٌ لبعض ثقِيفٍ إلى غيلان، فقالت له: أيّ شيءٍ لي عليك إن دللتُك على مالِك؟ قال: ما شِئتِ. قالت: تبتاعني وتعتِقُني؟ قال: ذلك لكِ. قالت: فاخرج

---

(١) عمواس بالكسر والفتح وسكون الميم أو فتحها وفتح الأوّل: كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، كانت العاصمة في القديم، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة.

(٢) في «اللسان» (بنى): «وروى شمر أن مخنثاً قال لعبد الله بن أبي أمية» ثم ساق الخبر.

(٣) الشموع: المزاحة اللعوب. والنجلاء: الواسعة العينين.

(٤) الخمصانة: الضامرة البطن. والهيفاء: الدقيقة الخصر.

(٥) تبنت: أي صارت كالمبناة، وهي القبة من أدم، وذلك لسمنها وكثرة لحمها.

(٦) كذا في «اللسان» وحـ. وفي سائر النسخ: «المكفوء». وهما سيان، يقال كفأ الإناء وأكفأه: قلبه. يعني بذلك ضخم ركبها ونهوده.

(٧) في ط، حـ: «تشكاه».

معي. فخرج معها، فقالت: إني رأيت عبدَك فلاناً قد احتَفَر هاهنا ليلةَ كذا وكذا ودفَنَ شيئاً، وإنه لا يزال يعتادُه ويراعِيه، ويتفقّدُه في اليوم مرّاتٍ، وما أراه إلا المالَ. فاحتفر الموضعَ فإذا هو بماله، فأخذه وابتاعَ الأمة فأعتقَها، وشاع الخبرُ في الناس حتّى بلغ ابنَه عماراً، فقال: والله لا يراني غيلانُ أبداً، ولا ينظُر في وجهِي. / وقال: [٤٦/١٢]

حلفــتُ لهــم بمــا يقــولُ محمــدٌ وبـــالله إنَّ الله ليـــس بغـــافـــل

بــرِئــتُ مِــن المــالِ الــذي يَـدفنــونــه أبــرِّىءُ نفســي أنْ أَلِــطَّ بِبــاطِــلِ[1]

ولــو غيــرُ شيخــي مــن معــدٍّ يقــولُــه تيمّمتُــه بــالسيــفِ غيــر مُــواكِــلِ

وكيــف انطِــلاقــي بــالسِّلاح إلــى امــرِىءٍ تُبَشِّــره بِــي يبتــدِرن قــوابلــي

فلما أسلم غيلان، خرج عامرٌ وعَمّارٌ مغاضِبَين له مع خالد بن الوليد، فتوفي عامر بعمواس، وكان فارسَ ثقيفٍ يومئذٍ، وهو صاحب شَنوءةَ يومَ تثليث[2]، وهو قتل سيِّدَهم جابرَ بنَ سِنانٍ أخا دِهنة، فقال غيلان يرثي عامراً:

[٢٠٢/١٣] / غيلان يرثي ولده عامراً

عينــي تجــودُ بــدمعهــا الهتّــانِ سحّــا وتبكــي فــارِسَ الفُــرســانِ[3]

يــا عــامُ مَــن للخيــل لمّــا أجحمَــتْ عــن شَــدّة مــرهــوبــة وطِعــان

لــو أستطيــعُ جعلــت مِنّــي عــامــراً بيــن الضُّلــوع وكــلُّ حــيٍّ فــان

يــا عيــن بَكّــي ذا الحــزامــة عــامــراً للخيــل يــومَ تــواقُــف وطِعــان

ولــه بتثليثــاتِ شــدّةُ مُعْلَــمٍ منــه وطعنــةُ جــابــرِ بــن سنــان[4]

فكــأنّــه صــافــي الحــديــدة مِخْــذَمٌ ممّــا يُحِيــر الفُــرْس للبــاذان[5]

ما قاله فيما حدث لجاره الباهلي

نسخت من كتاب أبي سعيد السُّكَّري، قال: كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة، وكانت له إبل يرعاها راعيه في الإبل مع إبل غيلان، فتخطّى بعضُها إلى أرضٍ لأبي عقيلِ بنِ مسعود بن عامر بن معتِّب، فضرب أبو عقيل الراعيَ واستخفَّ به، فشكا الباهليُّ ذلك إلى غيلان، فقال لأبي عقيل:

ألا مــن يــرى رأى امــرىءٍ ذي قــرابــة أبــي صــدرُه بــالضغــن إلا تطلعــا

فَسِلْمُــكَ أرجــو لا العــداوةَ إنّمــا أبــوك أبــي وإنّمــا صفقُنــا معــا[6]

وإنّ ابــنَ عــم المــرءِ مثــل سـلاحِــه يقيــه إذا لاقــى الكمــيَّ المقنّعــا

فــإن يكثــر المــولــى فــإنّــك حــاســدٌ وإن يفتقــر لا يُلْــفِ عنــدك مَطمَعــا

فهــذا وعيــدٌ وادّخــارٌ فــإن تُعــدْ وجَــدْكَ أعلــمْ مــا تسلّفــتَ أجمعــا[7]

---

(١) في ش، حـ: «لبرئت» ولا يستقيم الوزن بهذا. وألط: ألصق.

(٢) شنوءة: قبيلة. تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة. ويوم تثليث: من أيام العرب بين بني سليم ومراد. قال أعشى باهلة:

وجــاشــت النفــس لمــا جــاء فلهــم وراكــب جــاء مــن تثليــث معتمــر

(٣) في حـ: «بدمعها الشتان».

(٤) المعلم: الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب.

(٥) المخذم: القاطع. يحير: يرد ويرجع. والباذان: اسم للذين دخلوا حديثاً في الإسلام، كما في «معجم استينجاس».

(٦) الصفق: الضرب. وهو أيضاً ضرب الأيدي عند المبايعة.

(٧) تسلف في المادة والشيء: اقترض. والمعنى إن عدت فسأقف على ما وقع منك.

/ **تهديده لامرأته حين ملته** [٢٠٣/١٣]

ونسخت من كتابه، قال: لما أسنَ غيلانُ وكثرت أسفارُه ملَّته زوجتُه، وتجنَّت عليه، وأنكر أخلاقَها، فقال فيها:

يــا ربَّ مثلــكِ فــي النِّســاء غــريــرةٍ ... بيضــاءَ قــد صبَّحتُهــا بطَــلاقِ

لــم تــدرِ مــا تحتَ الضُّلــوع وغــرَّهــا ... منــي تحمُّــل عِشــرتــي وخَــلاقــي

ثقيف تنتصر على بني عامر وغيلان يصف تخلف بني نصر عنهم

ونسخت من كتابه: إنّ بني عامر بن ربيعة جمعوا جموعاً كثيرةً من أنفُسهم وأحلافِهم، ثم ساروا إلى ثقِيفٍ بالطّائف، وكانت بنو نصرِ بن معاويةَ أحلافاً لثقيف، فلما بلغ ثقيفاً مسيرُ بني عامر استنجدوا بني نصر، فخرجت ثقيف إلى بني عامرٍ وعليهم يومئذٍ غَيلانُ بن سلمة بن معتِّب، فَلَقُوهم وقاتلتهم ثقيفٌ قتالاً شديداً، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومن كان معهم، وظهرت عليهم ثقيفٌ، فأكثروا فيهم القتلَ، فقال غيلانُ في ذلك، ويذكر / تخلفَ بني نصر عنهم: ٤٧/١٢

شعره في انتصار ثقيف على عامر

ودَّع بِــذمٍّ إذا مــا حــانَ رِحلتُنــا ... أهــلَ الحظــائــر مــن عــوفٍ ودهْمــانــا

القــائليــن وقــد حلَّــت بســاحتهــم ... جُشَرٌ تحسحس عــن أولاد هِصَّــانــا[١]

والقــائليــن وقــد رابَــتْ وطــابُهــم ... أسيفَ عــوفٍ تــرى أم سَيــف غيــلانــا[٢]

أغْنُــوا المــوالــيَ عنَّــا لا أبــالَكُــم ... إنَّــا سَتُغني صــريــحَ القــوم مَن كــانــا[٣]

لا يمنــع الخطــرَ المظلــومُ قُحْمَتــه ... حتّــى يــرى . . . بــالعيــن مــن كــانــا[٤]

شعر غيلان في هزيمة خثعم

ونسخت من كتابه، قال: جمعت خثعمُ جموعاً من اليمن، وغزت ثقيفاً بالطائف؛ فخرج إليهم غيلانُ بن سلمة في ثقيف، فقاتلهم قِتالاً شديداً، فهزمهم وقتل منهم مَقتلةً عظيمة، وأسر عِدّةً منهم، ثم منَّ عليهم وقال في ذلك:

/ ألا يــا أُخــتَ خَثعــمَ خبِّــرينــا ... بــأيِّ بــلاءِ قــومٍ تفخــرينــا [٢٠٤/١٣]

جَلَبْنــا الخيــلَ مــن أكنــافِ وَجٍّ ... ولِيــثٍ نحــوكــم بــالــدَّارِعِينــا[٥]

رأينــاهــنَّ مُعلمــةً رواحــا ... يُقيتــان الصبــاحَ ومعتــدينــا[٦]

---

(١) هصان: قبيلة. وفي الأصل: «عن أولادها الضانا».

(٢) راب: خثر وفسد. والوطاب: سقاء اللبن.

(٣) الصريح: الخالص النسب. وهذا تصحيح س. وفي سائر النسخ: «سيغنى صريخ».

(٤) القحمة بالقاف تفتح وتضم: الاقتحام في الشيء والمهلكة. وفي كل الأصول بالفاء وهو تحريف. وفي البيت نقص.

(٥) وج: اسم واد بالطائف. وليث، بالكسر: واد بأسفل السراة. وهذا تصحيح س. وفي سائر النسخ: «وليت». والدارعون: لابسو الدروع.

(٦) المعلمة: المميزة. يقيتان، يقال أقات الشيء: قدر عليه. والصباح: الغارة تفجأ صباحاً. وهذا تصحيح ش. وفي سائر النسخ: «يقينان».

فأمست مُنْسِيَ خامسةٍ جميعاً تُضابعُ في القياد وقد وجينا[1]
وقد نظرت طوالُ العكم إلينا بأعينهم وحققنا الظنونا
إلى رجراجةٍ في الدار تُعْشي إذا استنَّتْ عيون الناظرينا[2]
تركن نساءكم في الدار نَوحا يبكُّون البُعولة والبنينا[3]
جَمعتم جَمعكم فطلبتُمونا فهل أُنبِئتَ حالَ الطَّالبينا

كيسان ينشد عبد الله الثقفي شعر غيلان

أخبرنا محمدُ بن خَلفٍ وكيعٌ، قال: أخبرني محمد بن سعد الشامي، قال: حدثني أبو عبد الرحمن عبد الله بن عَمرو الثقفي، قال: خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره، فأنشدني شعرَ غيلان بن سلمة، ما أنشدني لغيره، حتَّى صدَرنا عن الأُبُلَّة، ثم مرَّ بالطَّف وهو يريد الطَّابَق[4]، فأنشدني له:

[١٣/٢٠٥] / وليلةٍ أرَّقتْ صِحابَكَ بالطَّـ ـفُ وأُخرى بجنب ذي حُسُمِ[5]
فالجسرُ فالقصرانِ فالنَّهر الْمُرْبَـ ـدُ بين النَّخيل والأجُمِ[6]
معانق الواسطِ الْمُقَدَّم أو أدنو من الأرض غيرَ مقتحمِ[7]
أستعمِلُ العنسَ بالقيادِ إلى الـ ـآفاق أرجو نوافلَ الطُّعَمِ[8]

وصية غيلان بن سلمة لبنيه

أخبرني عميّ قال: حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدثني عمرُ بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه، قال:

لما حضرت غيلانَ بنَ سلمةَ الوفاةُ، وكان قد أحصنَ عشراً من نِساءِ العرب في الجاهلية، قال: «يا بنَيَّ، قد أحسنتُ خدمة أموالِكم، وأمْجَدْتُ أمهاتِكم فلن تزالوا بخيرٍ ما غذوتم من كريم وغذا منكم، فعليكم ببُيوتات العرب، فإنها معارجُ الكرم، وعليكم بكلِّ رمكاء[9] مكينةٍ ركينةٍ، أو بيضاءَ رزينة، في خِدر[10] بيت يُتْبَع، أوجدُ

(١) مسي خامسة: في مساء الليلة الخامسة. تضابع: تمد أضباعها في الجري. والقياد: المقود، ما تقاد به الدابة. وجين: حفين ووجعن.
(٢) الرجراجة: الكتيبة العظيمة. تعشي من العشا، وهو سوء البصر. وهذا تصحيح س، وفي سائر النسخ: «تغشى». واستنت: أسرعت. وفي الأصول: «استلمت».
(٣) النوح: جمع نائحة. في س، ش، حـ: «يبكون». كما أثبتنا. وفي «مهذب الأغاني»: «يبكون».
(٤) الطابق: نهر ببغداد. وفي الأصول: «الطائف».
(٥) الطف: مكان بالعراق قتل به الحسين. ذو حسم: موضع. وفي الأصول: «وأجرى بذي جسم».
(٦) الجسر: الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة. والقصران بالصاد: ناحيتان كبيرتان بالري. وفي كل الأصول: «القطران» بالطاء.
(٧) الواسط: المقدم وأول الشيء. ويقصد به قادمة الرحل.
(٨) العنس: الناقة الصلبة. والآفاق: وردت في كل الأصول: «الآفات» بالفاء بدل القاف، تحريف.
(٩) الرمكاء: ما كان في لونها حمرة مختلطة السواد.
(١٠) حـ: «في حديث».

يُرتَجى، وإيّاكم والقصيرةَ الرَّطلة(١)، فإنّ أبغضَ الرجال إليّ أن يقاتِلَ / عن إبلي أو يناضل عن حسبي، القصيرُ الرَّطل». ثم أنشأ يقول: ٤٤ ١٢

وحُـرّةِ قـومٍ قـد تَنَـوَّق فِعلهـا ... وزيَّنَهـا أقـوامُهـا فتـزيَّنـتِ

رَحلـت إليهـا لا تُـرَدُّ وسيلتـي ... وحَمّلتُهـا مـن قـومهـا فتحمَّلَـتِ

/ وفود غيلان على كسرى [١٣/٢٠٦]

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكُرَاني، قال:

كان غيلان بن سلمة الثّقفيُّ قد وفَدَ إلى كسرى فقال له ذاتَ يوم: يا غيلان، أيُّ ولدك أحبُّ إليك؟ قال: «الصغير حتى يكبرَ، والمريضُ حتّى يبرأ، والغائب حتى يَئُوبَ». قال له: ما غذاؤك؟ قال: خبزُ البر. قال: قد عجبت من أن يكون لك هذا العقلُ وغذاؤك غِذاءُ العرب، إنّما البرُّ جعل لك هذا العقل.

رواية أخرى في هذا الخبر

قال: الكراني، قال العُمَري: روى الهيثَمُ بنُ عدي هذا الخبر أتَمَّ مِنْ هذه الرواية، ولم أسمعه منه. قال الهيثم: حدثني أبي، قال:

خرج أبو سفيان بن حرب في جماعة من قريش وثقيف يريدون(٢) العراق بتجارة، فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان، فقال لهم: إنّا من مسيرنا هذا لعلى خَطَر، ما قُدومنا على ملكٍ جبّارٍ لم يأذَنْ لنا في القُدوم عليه، وليست بلاده لنا بمَتْجَر؟! ولكن أيُّكمْ يذهب بالعير، فإن أُصيبَ فنحن براءٌ من دمه، وإن غنِم فله نصفُ الرِّبح؟ فقال غيلان بن سلمة: دعوني إذاً فأنا لها. فدخل الوادي، فجعل يَطوفه ويضرب فروعَ الشجر ويقول:

ولـو رآنـي أبـو غيـلانَ إذ حَسَـرت ... عنـي الأمـورُ إلـى أمـرٍ لـه طَبَـق(٣)

لقـال رُغـبٌ ورُهـب يُجمعـان معـاً ... حـبُّ الحياة وهَـول النَّفس والشفـقُ(٤)

إمّـا بقيـتَ علـى مجـدٍ ومَكـرمـة ... أو أسـوة لـك فيمـن يَهْلِـك الـورق(٥)

/ ما دار بين غيلان وبين كسرى [١٣/٢٠٧]

ثم قال: أنا صاحبكم. ثم خرج في العِير، وكان أبيض طويلاً جعداً ضخماً، فلما قدِم بلادَ كسرى، تخلَّق(٦) ولبِس ثوبَين أصفرين، وشَهر أمرَه، وجلس بباب كسرى حتّى أذن له، فدخل عليه وبينهما شُبّاكٌ من ذهب، فخرج إليه التَّرجُمان؛ وقال له: يقول لك الملك: مَنْ أدخلك بلادي بغير إذني؟ فقال: قل له: لستُ من أهل عداوةٍ لك، ولا أتيتُك جاسوساً لِضدٍّ من أضدادك، وإنما جئتُ بتجارةٍ تستمتعُ بها، فإن أردتَها فهي لك، وإن لم تُرِدْها وأذِنْتَ في بيعها لرعيَتِك بعتُها، وإن لم تأذنْ في ذلك رددتُها. قال: فإنّه ليتكلّم إذ سمع صوت كسرى فسجَد، فقال له الترجمان: يقول لك الملك: لم سجدت؟ فقال: سمعت صوتاً عالياً حيث لا يَنْبَغي لأحدٍ أن يعلو صوتُه إجلالاً

(١) الرطلة بفتح الراء وكسرها: المرأة الحمقاء الضعيفة. هذا. والوصية نسبت في «البيان والتبيين» (٢: ٦٧) طبع لحنة التأليف، إلى عثمان بن أبي العاصي.

(٢) حـ: «يريد».

(٣) حسر: انكشف. الطبق: الحال والخطر، والذي له ما بعده.

(٤) الرغب: الرغبة. وفي الأصول: «رعب».

(٥) الورق: الفضة.

(٦) تخلق: تطيب بالخلوق.

للملك، فعلمت أنه لم يُقْدِم على رفع الصَّوت هناك غيرُ الملك فسجدتُ إعظاماً له. قال: فاستحسن كسرى ما فَعَل، وأمر له بمرفقةٍ تُوضَع تحته[1]، فلما أُتي بها رأى عليها صورةَ الملك، فوضَعَها على رأسه، فاستجهله كسرى واستحمَقَه، وقال للترجمان: قل له: إنَّمَا بعثنا إليك بهذه لتجلسَ عليها. قال: قد علمتُ، ولكنِّي لما أُتِيتُ بها رأيتُ عليها صورةَ الملك، فلم يكن حقُّ صورتِه علَى مثلي أن يجلس عليها، ولكن كان حقُّها التعظيم، فوضعتها على رأسي، لأنه أشرفُ أعضائي وأكرمُها عليّ. فاستحسن فِعلَه جدًّا، ثم قال له: ألك ولد؟ قال: نعم. قال: فأيُّهم أحبُّ إليك؟ قال: الصَّغير حتى يكبر، والمريضُ حتَّى يبرأ، والغائب حتى يؤوب. فقال كسرى: زِه، ما أدخلك عليّ ودلَّك على هذا القول والفِعل إلا / حظُّك، فهذا فِعلُ الحكماء وكلامُهم، وأنت من قوم جُفاةٍ لا حكمةَ فيهم، فما غذاؤك؟ قال: خبز البُرّ. قال: هذا العقل من البُرّ، لا من اللبن والتمر. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها، وكَسَاه وبعث معه من الفُرس مَنْ بَنَى له أُطماً[2] بالطَّائف، فكانَ أوّلَ أُطم بني بها.

٤٩
١٢

رثاؤه لأخيه نافع وقد قتل بدومة الجندل

[٢٠٨/١٣] / أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا الزبيرُ بن بكّار، قال: حدثني عمر بن أبي بكر الْمَوْصِلِيُّ عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال:

استُشْهِد نافعُ بن سلمةَ الثَّقفي مع خالد بن الوليد بدُومة الجَندل، فجزع عليه غيلان وكثر بكاؤه، وقال يرثيه:

مـا بـالُ عينـي لا تُغمِّـضُ سـاعـةً ... إلا اعتـرتنـي عَبْـرةٌ تغشـانـي

أرعَـى نجـوم الليـل عنـدَ طُلـوعِهـا ... وَهْنـاً وهُـنَّ مـن الغـروب دوانِ[3]

يـا نـافعـاً مَـن للفـوارس أحجمـت ... عَـن فـارس يعلـو ذُرَى الأقـران

فلـو آستطعـتُ جعلـتُ منّـي نـافعـاً ... بيـن اللَّهـاةِ وبيـن عَكْـدِ لسـانـي[4]

قال: وكثُرَ بكاؤه عليه، فعُوتِب في ذلك، فقال: والله لا تسمحُ عيني بمائها فأضنُّ بِهِ على نافع. فلمَّا تطاولَ العهدُ انقطع ذلِك من قوله، فقيل له فيه، فقال: «بَلِيَ نافع، وبلي الجرع، وفني وفنيتِ الدموع، واللَّحاق به قريب».

صـوت

ألا علِّـلانـي قبـل نـوح الـسوادبِ ... وقبـل بُكـاء المُعْـولاتِ القـرائـب

وقبـلَ ثَـوائـي فـي تُـرابٍ وجنـدلٍ ... وقبـلَ نشوزِ النفس فـوقَ الترائـب[5]

فـإنْ تـأتنـي الـدُّنيـا بيـومـي فجـاءة ... تجـدْنـي وقـد قضَّيـتُ منهـا مـآربـي

الشعر لحاجز الأزديّ، والغناء لنبيه هزج، بالبنصر، عن الهشامي.

---

(١) المرفقة: المتكأ والمخدة.

(٢) الأطم بضمتين: القصر وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع مسطح.

(٣) الوهن: نحو منتصف الليل أو بعده بساعة.

(٤) اللهاة: قطعة من اللحم مشرفة على الحلق. والعكد: وسط الشيء.

(٥) نشوز النفس: ارتفاعها، كناية عن الاحتضار. وفي الأصول: «نشور» بالراء المهملة، تحريف.

/ أخبار حاجز ونسبه

[٢٠٩/١٣]

أخبار حاجز ونسبه

هو حاجزُ بنُ عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذُهلِ بنِ مالكِ بن سَلامان بن مُفَرِّج بنِ مالكِ بنِ زهران بن عوف بن مَيدَعان بن مالك بنِ نصر بنِ الأزدِ. وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وفي ذلك يقول:

قومي سلامان إما كنتِ سائلةً ... وفي قريش كريمُ الحِلفِ والحسَب

إنّي متى أدعُ مخزوماً تريْ عُنُقاً ... لا يَرعَشون لضربِ القوم من كَثَب[١]

يُدعى المغيرةُ في أولى عديدِهم ... أولادُ مَرْأَسةٍ ليسوا من الذنب[٢]

وهو شاعر جاهليّ مقلّ، ليس من مشهوري الشعراء، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجليه عدواً يستبق به الخيل.

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بن دريد، قال: حدثني العباس بن هشام، عن أبيه، عن عوف بن الحارث الأزدي، أنه قال لابنه حاجز بن عوف: أخبِرْني يا بُنَيّ بأشدّ عدوك. قال: نعم، أفزَعتني خثعمُ فنزوتُ نزواتٍ، ثم استفَزّتني الخيل واصطفّ لي ظبيانِ، فجعلت أنهنهُما[٣] بيديَّ عن الطريق، ومنعاني / أن أتجاوزَها في العَدْو لِضيق الطريق حتى اتسع واتسعتْ بنا، فسبقتهما. فقال له: فهل جاراك أحدٌ في العَدْو؟ قال: ما رأيت أحداً جاراني إلّا أُطَيلِس أغيبِرُ من النُّقوم[٤]، فإنا عدونا معاً فلم أقدِر على سبقِه. ١٢

ـ قال: النُّقوم[٤] بطن من الأزدِ من ولدِ ناقمٍ، واسمه عامر بن حوالة بن الهِنْو بن الأزد ـ

/ نسخت أخبار حاجز من رواية أبي عمرو الشيباني

[٢١٠/١٣]

من كتاب بخط المرهِبيّ الكوكبيّ، قال: أغار عوفُ بنُ الحارث بن الأخثم على بني هلالِ بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلمٍ، فقال لأصحابه: انزلوا حتى أعتبر لكم. فانطلق حتى أتى صِرماً من بني هلال[٥]، وقد عصب على يد فرسه عِصاباً ليظلع[٦] فيطمعوا فيه، فلما أشرف عليهم استرابوا به، فركِبوا في طلبه، وانهزَم من بين أيديهم، وطمِعوا فيه، فهجم بهم على أصحابه بني سلامان، فأصِيب يومئذٍ بنو هلال، وملأ القوم أيديهم من الغنائم[٧]، ففي ذلك يقول حاجزُ بن عوف:

---

(١) العنق: الجماعة الكثيرة من الناس.

(٢) مرأسة: رآسة.

(٣) النهنهة: الرد والكف.

(٤) في الأصل: «البقوم».

(٥) الصرم، بالكسر: الجماعة.

(٦) الظلع: غمز في المشي شبيه بالعرج.

(٧) من الغنائم، ساقطة من حـ.

صبـاحـك واسلمـي عنـا أمـامـاً تحيّـةَ وامـقٍ وعِمِـي ظـلامـا
بَـرَهْـرَهَـةٌ يحـار الطـرف فيهـا كحُقّـةِ تـاجـر شُـدّت ختـامـا[1]
فـإن تمـس ابنـةُ السهمـيّ منّـا بعيـداً لا تكلّمنـا كـلامـا
فـإنّـكِ لا محـالـةَ أن تـريـنـي ولـو أمسـت حبـالكـم رمـامـا
بنـاجيـة القـوائـم عَيْسَجُـورٍ تَـدَارَكَ نِيُّهـا عـامـاً فعـامـا[2]
سلـي عنّـي إذا اغبَـرتْ جمـادي وكـان طعـام ضيفِهـم الثمـامـا[3]
ألسنـا عِصمـةَ الأضيـاف حتـى يُضَحّـي مـالُهـم نَفَـلاً تـوامـا[4]
[١٣/٢١١] / أبـى رَبْـع الفـوارِس يـوم داجٍ وعمّـي مـالـكٌ وضـع السّهـامـا[5]
فلـو صـاحبتِنـا لـرضيـت منـا إذا لـم تغبِـق المـائـة الغـلامـا[6]

يعني بقوله: وضع السهام، أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صقعب بن دُهمان بن نصر بن زهران، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربع، لأنّ الرياسة في الأزد كانت لقومه، وكان يقال لهم: «الغطاريف» وهم أسكنوا الأسْدَ بلد السراة، وكانوا يأخذون للمقتول منهم دِيتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم، فغزتهم بنو فُقَيْم بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبدِ مناة بن كنانة، فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم، حتّى هزموا بني فُقيم وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم، فأراد الحارثُ أن يأخذ الرُّبع كما كان يفعل، فمنعه مالكُ بن ذُهل بن مالك بن سلامان، وهو عمّ أبي حاجز، وقال: «هيهاتَ، ترك الرُّبع غدوة»[7] فأرسلها مثلاً، فقال له الحارث: أتراك يا مالك تقدِر أن تسود؟ فقال: هيهات، الأزد أمنع من ذاك. فقال: أعطني ولو جَعْباً - والجَعْب: البعر في لغتِهم ؛ لئلا تسمع العرب أنك منعتني. فقال مالك: «فمن سماعها أفرّ»[8]، ومنعه الربيع، فقال حاجز في ذلك:

ألا زعمـت أبنـاءُ يشكـرَ أنّنـا بِـربعِهـم بـاءوا هنـالـك نـاضِـلِ[9]
[١٣/٢١٢] / ستمنعنـا منكـم ومـن سـوءِ صُنعكـم صفـائـحُ بيـضٌ أخلصتهـا الصيـاقـلُ
وأسمـرُ خطّـيٌّ إذا هُـزّ عـاسـلٌ بـأيـدي كُمـاةٍ جـرّبتهـا القبـائـلِ[10]

ش ١٢/ وقال أبو عمرو: جمع حاجزٌ ناساً من فَهم وعَدْوان، فدلّهم على خثعم، فأصابوا منهم غرّة وغنِموا ما شاءوا، فبلغ حاجزاً أنهم يتوعدونه ويرصدونه، فقال:

---

(١) برهرهة: بضه غضة. والحقة بضم القاف: وعاء من خشب أو من عاج.
(٢) الناجية: السريعة، ولا يوصف بها البعير. والعيسجور: الناقة الصلبة السريعة. تدارك: تلاحق. والني بكسر النون وفتحها: الشحم.
(٣) اغبرت جمادي: قل الخير وذلك في الشتاء. والثمام: نبت ضعيف.
(٤) ضحى إبله: رعاها وقت الضحى. وفي الأصول: «يفحى». والنفل: الهبة والعطية. والتوام: تسهيل تؤام، وهو المزدوج.
(٥) ربعهم: أخذ منهم المرباع، وهو ربع الغنيمة. وفي الأصول: «عبر».
(٦) تغبق: تسقي الغبوق، وهو الشرب بالعشي.
(٧) ترك الربع غدوة: مثل «الصيف ضيعت اللبن».
(٨) في حـ: «أقر» بالقاف.
(٩) باءوا: فخروا. الفاضل: الغالب.
(١٠) العاسل: الرمح المهتز.

إنِّيَ مِـن إرعـادِكـم وبـروقِكـم ... وإيعـادكـم بـالقتـل صُـمٌّ مسـامِعـي[١]
وإنـي دَلـيـل غيـرُ مخـفٍ دَلالتـي ... علـى ألِـف بيـتٍ جَـدُّهـم غيـرُ خـاشـع
تَـرى البيـض يـركُضْـنَ المجـاسِدَ بـالضّحـى ... كـذا كـلُّ مشبـوح الـذراعيـن نـازعِ[٢]
علـى أيِّ شـيء لا أبـا لأبيكـم ... تشيـرون نحـوي نحـوكـم بـالأصـابـع

عمرو بن معد يكرب يطعن حاجزاً

وقال أبو عمرو: أغارت خثعم على بني سَلامان وفيهم عمرو بن معدِيكرب، وقد استنجدت به خثعم على بني سلامان، فالتقَوْا واقتتلوا، فطعن عمرو بن معديكرب حاجزاً فأنفذ فخذه، فصاح حاجز: يا آل الأزد! فندِم عمرو وقال: خرجت غازياً وفجعت أهلي. وانصرف، فقال عُزَيِّل الخثعمي يذكر طعنةَ عمرٍو حاجزاً، فقال:

أعجـز حـاجـزٌ مِنّـا وفيـهِ ... مشلشِلـة كحـاشِيـة الإزارِ[٣]
فعـز علـيّ مـا أعجـزت مِنّـي ... وقـد أقسمـت لا يفـربْـك ضـارِ[٤]

فأجابه حاجز فقال:

إنْ تـذكـروا يـومَ القـريّ فـإنـه ... بَـواءٌ بـأيـامٍ كثيـرٍ عـديـدهـا[٥]
/ فنحـن أبحنـا بـالشخيصـةِ واهِنـاً ... جهـاراً فجئنـا بـالنسـاءِ نَقُـودهـا[٦] [٢١٣/١٣]
ويـومِ كَـراءٍ قـد تـداركَ ركضُنـا ... بني مـالـكٍ والخيـلُ صُعـرٌ خـدودهـا[٧]
ويـوم الأراكـاتِ اللـواتـي تـأخّـرت ... سـراةُ بنـي لهبـان يـدعـو شـريـدُهـا[٨]
ونحـن صبَحْنـا الحـيَّ يـوم تَنـومـةٍ ... بملمـومـة يهـوى الشجـاع وئيـدُهـا[٩]
ويـوم شَـروم قـد تـركنـا عِصـابـة ... لـدى جـانـب الطـرفـاء حُمـراً جلودها[١٠]
فمـا رغمـت حلفـاً لأمـرٍ يصيبهـا ... مـن الـذل إلا نحـنُ رغمـاً نـزيـدهـا

خثعم تحيط بحاجز وعجوز تسحر سلاحه ثم ينجو

وقال أبو عمرو: بينما حاجز في بعض غزواته إذ أحاطت به خثعم، وكان معه بشير ابنُ أخيه، فقال[١١] له: يا بشير، ما تشير؟ قال: دعهم حتى يشربوا ويَقفلوا[١٢] ويَمضُوا ونمضي معهم فيظنّونا بعضهم. ففعلا، وكانت في ساق

---

(١) الإيعاد: التهديد.
(٢) المجاسد: الثياب المعصفرة بالزعفران.
(٣) المشلشلة: الضربة التي تفيض دماً.
(٤) في الأصول: «ما أعجزت دمنى».
(٥) القري: واد. البواء: الكفء، والنظير.
(٦) الشخيصة: اسم مكان.
(٧) كراء: ثنية بالطائف.
(٨) الأراكات: أودية قرب مكة.
(٩) الملمومة: الكتيبة المجتمعة. وفي الأصول: «وبيدها».
(١٠) شروم: قرية كبيرة باليمن بها عيون وكروم. والطرفاء: نخل لبني عامر بن حنيفة باليمامة.
(١١) في حـ: «فقال» فقط.
(١٢) يقفلوا في حـ: «ينقلوا» وهو تحريف.

حاجز شامةٌ، فنظرت إليها امرأةٌ من خثعم، فصاحت: يا آل خثعم، هذا حاجز. فطاروا يتبعونه، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة: أكفيكم سلاحَه أو عَدْوه. فقالوا: لا نريد أن تكفينا عدوه فإن معنا عوفاً وهو يعدو مثلَه، ولكن اكفينا سلاحه. فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوفُ بن الأغر[1] بن همام بن الأسرّ بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفزع الخثعمي، حتى قاربه، فصاحت به خثعم: يا عوف ارم حاجزاً، فلم يُقدم عليه، وجبُن، فغضِبوا وصاحوا: يا حاجزُ، لك الذمام، فاقتل عوفاً فإنه قد فضحنا. فنزع في قوسه ليرميه، فانقطع وترُهُ، لأنّ [٢١٤/١٣] المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سِلاحه، فأخذ قوسَ بشير ابن أخيهِ فنزع فيها فانكسرت، / وهربا من القوم ففاتاهم ووجد حاجز بعيراً في طريقهِ فركِبه فلم يسر في الطريق الذي يريده ونحا به نحو خثعم؛ فنزل حاجز / عنه، فمرّ فنجا وقال في ذلك:

فِدى لكما رِجْليَّ أمي وخالتي بسعيكما بين الصفا والأثائب[2]

أوانَ سمعتُ القوم خلفي كأنّهم حريق أباءٍ في الرّياح الثواقب

سيوفهم تغشى الجبان ونَبْلُهم يُضيء لدى الأقوامِ نار الحُباحِب[3]

فغير قِتالي في المضِيقِ أغاثني ولكن صَريح العَدْو غير الأكاذِب

نجوت نجاءً لا أبيك تبثه وينجو بشير نَجوَ أزعرَ خاضِبِ[4]

وجدت بعيراً هامِلاً فركِبته فكادت تكون شرَّ رِكبةِ راكب[5]

حاجز يغير على بني هلال

وقال أبو عمرو: اجتاز قوم حُجّاجٌ من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة، فعرّفهم ضَمرة بن ماعز سيد بني هلال، فقتلهم هو وقومه، وبلغ ذلك حاجزاً، فجمع جمعاً من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم، وقال في ذلك يخاطِب ضمرة بن ماعز:

يا ضمرُ هل نِلناكم بدمائنا أم هل حذونا نَعْلكم بمثال[6]

نبكي لِقتلى من فُقَيْم قُتِّلوا فاليوم تبْكِي صادقاً لهلال

[٢١٥/١٣] / ولقد شفاني أن رأيت نساءكم يبكين مردفة على الأكفال[7]

يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا لقِحت على الدكّاء بعد حِيال[8]

---

(١) في حـ: «ابن الأعسر».

(٢) الأثائب: جمع أثاب، وهو شجر ينبت في بطون الأودية.

(٣) الحباحب: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج، وربما جعلوا الحباحب اسما لما يرى في ذنبه كأنه نار. وقيل هو اسم رجل بخيل كان لا يوقد ناراً إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا بها المثل حتى قيل «نار الحباحب» لما تقدحه الخيل بحوافرها من حيث لا ينتفع به.

(٤) لا أبيك: لعله أراد: لا وأبيك. ويقال نجا ينجو نجواً: خلص. وفي الأصول: «نحو»، تحريف. والأزعر: القليل الشعر. والخاضب: الظليم إذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه وقوادمه، وهو الذكر من النعام.

(٥) الهامل: المتروك سدى ليلا ونهارا.

(٦) في الأصول: «نفلكم بمثال».

(٧) المردفة: التي أركبت خلف الراكب. والأكفال جمع كفل: العجز.

(٨) الدكاء: رابية من طين. والحيال: العقم.

أخت حاجز ترثيه حين انقطعت أخباره

قال أبو عمرو: خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعُدْ، ولا عُرِف له خبر، فكانوا يَرون أنه مات عطشاً أو ضلّ، فقالت أخته ترثِيه:

أحـيٌّ حـاجـزٌ أم ليـس حيّـا ... فيسلـك بيـن جَنـدَف والبهيـم[1]

ويشـربُ شـربـةً مـن مـاء تـرج ... فيصـدرَ مِشيـةَ السبـع الكليـم[2]

ما قيل من الشعر في فرار حاجز

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة، قال:

كان حاجز الأزدي مع غاراتِه كثيرَ الفِرارِ، لقي عامراً فهرب منهم فنجا، وقال:

ألا هـل أتـى ذاتَ القـلائـد فـرّتـي ... عشيةَ بيـن الجُـرف والبحـر مـن بعـر[3]

عشيـةَ كـادت عـامـرٌ يقتلـونـنـي ... لـدى طَـرفِ السلمـاءِ راغيـةَ البكـر[4]

فمـا الظبـي أخطـت خلفـة الصقـر رجلَـه ... وقـد كـاد يلقـى المـوتَ فـي خِلفـة الصقـر[5]

بِمثلـي غـداةَ القـومُ بيـن مُقَنَّـع ... وآخـرَ كـالسكـرانِ مـرتكِـزٍ يفـري[6]

/ وفرَّ من خثعم وتبعه المرقع الخثعميّ ثم الأكلُبيّ، ففاته حاجز، وقال في ذلك: [٢١٦/١٣]

وكـأنمـا تبـع الفـوارسُ أرنبـا ... أو ظبـيَ رابيـةٍ خُفـافـاً أشعبـا[7]

وكـأنّمـا طـردوا بـذي نمـراتـه ... صَـدَعـا مـن الأروَى أَحَـسَّ مكلَبـا[8]

أعجَـزْتُ منهـم والأكـفُّ تنـالـنـي ... ومضـت حيـاضهـم وآبـوا خُيَّبـا

أدعـو شَنـوءةَ غثّهـا وسمينَهـا ... ودعـا المـرقّـع يـوم ذلـك أكلُبـا[9]

وقال يخاطب[10] عوض أمسى:

أبلِـغ أميمـةَ عـوض أمسـى بـزّنـا ... سلبـاً ومـا إن سَـرَّهـا نُنكبـا[11]

/ لـولا تقـارب رأفـة وعيـونهـا ... حمشـاً مصعـداً ومصـوِّبـا[12]

٥٣/١٢

---

(١) «جندف» بالجيم المفتوحة مع الدال تصحيح الشنقيطي: جبل باليمن. وفي بعض النسخ «خندف». والبهيم: جبل أيضاً.

(٢) ترج وبيشة: قريتان متقابلتان بين مكة واليمن.

(٣) فرتي: فراري، والجرف بضم الجيم: موضع باليمن. والبعر: مكان بين مكة واليمامة، ماء لبني ربيعة بن عبد الله بن كلاب.

(٤) راغية البكر: صوته. والبكر: الفتى من الإبل، يراد به بكر ناقة صالح، وهو مثل في الشؤم.

(٥) أخطت: أخطأت. وخلفه الصقر: اختلافه مرة بعد مرة. وفي الأصول: «خلفه الصقر» ثم «حلقة الصقر».

(٦) يفري: يبالغ في النكاية والقتل.

(٧) الرابية والرباة: كل ما ارتفع عن الأرض. والظبي الأشعب: البعيد ما بين القرنين.

(٨) الصدع بالعين المهملة تصحيح الشنقيطي: الفتى الشاب القوي من الأوعال وقيل هو الوسط منها. قال الأزهري: هو الوعل بين الوعلين. وفي الأصل: «صدغا». والأروى: أنثى الوعل، أو هو تيس الجبل.

(٩) شنوءة بالشين: قبيلة، وكذلك أكلب.

(١٠) وقال يخاطب، زيادة عن بعض الأصول.

(١١) في الأصول: «سلبا ما إن سرها أن تسكبا».

(١٢) كذا ورد البيت محرفاً منقوصاً.

صوت

يـــا دارُ مـــن مـــاوِيَّ بـــالسَّهـــب بنيـت علـى خطـب مـن الخطـب[1]
إذ لا تـــــرى إلا مُقَـــــاتلـــــة وعَجَـانسـاً يُـرقِلـن بـالـرَّكْـب[2]
/ ومُــدَجَّجــاً يسعــى بِشكَّتِــه مُخْمَـرَّةً عينـاهُ كـالكلـبِ[3] [٢١٧/١٣]
ومعـاشـراً صـدأ الحـديـدِ بِهـم عَبَـقَ الهِنـاءِ مَخَـاطِـمَ الجـربِ[4]

الشعر للحارث بن الطفيل الدَّوْسِي، والغناءُ لمعبد، رمل بالبِنصرِ، من رواية يحيى المكي، وفيه لابن سريج خفيفُ ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصرِ عن إسحاق، والله أعلم.



(١) السهب: اسم موضع.
(٢) العجانس: جمع عجنس: الشديد الضخم من الإبل.
(٣) الشكة: السلاح.
(٤) الهناء يقال هنأ الإبل يهنؤها مثلثة النون: طلاها بالهناء، ككتاب وهو القطران. عبق الهناء، أن يحكى عبق الهناء. والعبق: مصدر عبق به، أي لصق. والمخاطم: جمع مخطم كمجلس ومنبر: مقدم أنفها وفمها.

/ أخبار الحارث بن الطفيل ونسبه

[٢١٨/١٣]

هو الحارثُ بنُ الطفيل بنِ عمرِو بنِ عبد الله بن مالكِ بن فهم بن غَنْم بن دوس بن عبد الله بن عُدْثان بن عبيد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزدِ، شاعرٌ فارسٌ، من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام، وأبوه الطفيل بن عمروٍ شاعر أيضاً، وهو أوّل من وفد من دوس على النبي ﷺ، فأسلم وعاد إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام.

وفود الطفيل على رسول الله ﷺ

أخبرني عمي قال: حدّثنا الْحَزَنْبَلُ بن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، واللفظ في الخبر له، والله أعلم.

وأخبرني به محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حدّثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه:

إنّ الطفيل بنِ عمرو بن عبد الله بن مالك الدوسيّ خرج حتى أتى مكة حاجًا، وقد بعث رسول الله ﷺ وهاجر إلى المدينة، وكان رجلاً يعصو ـ والعاصي البصير بالجراح ـ ولذلك يقال لولده: بنو العاصي ـ فأرسلته قريشٌ إلى النبي ﷺ وقالوا: انظر لنا ما هذا الرجل، وما عِنده؟ فأتى النبيَّ ﷺ فعرض عليه الإسلام، فقال له: إنّي رجلٌ شاعر، فاسمعْ ما أقول. فقال له النبي ﷺ: هات. فقال:

لا وإلَـــه النـــاس نـــألَـــمُ حَـــربَهـــم ... ولـــو حـــاربَتْنـــا مُنهِـــبٌ وبنـــو فهـــم

ولمَّـــا يكـــن يـــومٌ تـــزول نجـــومُـــه ... تطيـــر بـــهِ الـــرُّكبـــانُ ذو نبـــأٍ ضخـــمِ[١]

/ أسلمـــاً علـــى خَســـف ولســـتَ بِخـــالِـــدٍ ... ومـــالـــي مـــن واقٍ إذا جـــاءنـــي حتـــمِـــي

[٢١٩/١٣]

فـــلا سلَـــم حتّـــى تحفِـــزَ النـــاسَ خِيفـــةٌ ... ويصبـــحَ طيـــرٌ كـــانِســـاتٍ علـــى لحـــمِ[٢]

فقال له رسول الله ﷺ: وأنا أقول فاستمع، ثم قال: ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾. ثم قرأ: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وعاد إلى قومِه، فأتاهم في ليلةٍ مطيرةٍ ظلماءَ، حتى نزل بَرُوق، وهي قرية عظيمةٌ لدوس فيها مِنبر، فلم يبصِر أين يسلك، فأضاء له نور في طرفِ سوطه، فبهر الناسَ ذلك النور، وقالوا: نار أحدِثت على القَدوم ثم على بَرُوق / لا تطفأ. فعلِقوا يأخذون بِسوطه فيخرج النور من بين أصابعهم، فدعا أبويهِ إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمّه، ودعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة، وكان هو وأهله في جبل يقال له ذو رِمَع[٣]، فلقيه بِطَريق يزحزح، وبلغنا أنه كان يزخف في العقبة من الظلمة ويقول:

٥٤/١٢

يـــا طـــولهـــا مـــن ليلـــةٍ وعنـــاءهـــا ... علـــى أنهـــا مـــن بلـــدةِ الكفـــرِ نَجَّـــت

---

(١) حـ: «تطير نجومه».

(٢) كانسات: مقيمات.

(٣) في س، ش: «ذو رمعا». وفي حـ: «ذو منعا»، صوابه ما أثبتنا. قال ياقوت: «موضع باليمن».

النبي يدعو لدوس بالهداية

ثم أتى الطفيلُ بنُ عمرو النبيَّ ﷺ ومعه أبو هريرة، فقال له: ما وراءك؟ فقال: بلادٌ حصينة وكفر شديد. فتوضأ النبي ﷺ ثم قال: «اللهم اهد دوساً» ثلاث مراتٍ. قال أبو هريرة: فلما صلى النبي ﷺ خفت أن يدعو على قومي فيهلِكوا، فصحت: واقوماه! فلما دعا لهم سُرِّيَ عني، ولم يحب الطفيل أن يدعو لهم لخلافِهم عليه، فقال له: لم أحِبَّ هذا منك يا رسول الله. فقال له: إن فيهم مثلَك كثيراً. وكان جندبُ بن عمرو بن حممة / بن عوف بن [١٣/٢٢٠] غويَّة بن سعد بن الحارث بن ذبيان بن عوف بن مُنْهِب بن دوس يقول في الجاهلية: إن للخلق خالقاً لا أعلم ما هو. فخرج حينئذٍ في خمسةٍ وسبعين رجلاً حتى أتى النبي ﷺ. فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: ما زلت ألوي الآجرة[١] بيدي، ثم لويت على وسطي حتى كأنّي بِجادٌ[٢] أسود، وكان جندب يقرّبهم إلى النبيّ ﷺ رجلاً رجلاً، فيسلمون.

سبب أبيات الغناء

وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدةٍ للحارثِ بن الطفيل، قالها في حربٍ كانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحرث بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دَهْمان بن نصرِ بن زهران.

وكان سبب ذلك فيما ذكر عن أبي عمرو الشيباني أن ضماد بن مُسَرِّح بن النعمان بن الجبّار بن سعدِ بن الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارثِ بن يشكر، سيد آل الحارث، كان يقول لقومه: أحذركم جرائر أحمقَين من آل الحارثِ يبطِلانِ رياستكم. وكان ضِمادٌ يتعيف[٣]، وكان آل الحارث يسودون العشيرة كلَّها، فكانت دوسٌ أتباعاً لهم، وكان القتيلُ من آلِ الحارثِ تؤخذ له دِيتانِ، ويعطون إذا لزمهم عقلُ قتيلٍ من دوس ديةً واحدة، فقال غلامان من بني الحارث يوماً: ائتوا شيخ بني دوس وزعيمَهم الذي ينتهون إلى أمرِهِ فلنَقْتله[٤]. فأتياه، فقالا: يا عم، إن لنا أمراً نريد أن تحكم بيننا فيه. فأخرجاه من منزله. فلما تنحيا به قال له أحدهما: يا عم، إن رِجلي قد دخلت فيها شوكة، فأخرجها لي. فنكس الشيخ رأسه لينتزعها وضربه الآخر فقتله، فعمَدت دوس إلى سيِّد بني الحارث، وكان [١٣/٢٢١] نازلاً بقَنَوْنَى[٥] فأقاموا له في غيضةٍ في الوادي، وسرحت إبله فأخذوا / منها ناقة فأدخلوها الغيضةَ وعقَلوها، فجعلت الناقةُ ترغو وتحِنّ إلى الإبل، فنزل الشيخ إلى الغيضة ليعرفَ شأنَ الناقةِ، فوثبوا عليه فقتلوه، ثم أتَوا أهله، وعرفت بنو الحارثِ الخبر، فجمعوا لِدَوس وغَزَوْهُم فَنَذِروا[٦] بهم فقاتلوهم فتناصفوا، وظفِرت بنو الحارثِ بِغِلمةٍ من دوس فقتلوهم، ثم إنّ دوساً اجتمع منهم تِسعةٌ وسبعون رجلاً، فقالوا: مَن يكلّمنا، مَنْ يُمانينا[٧] حتى نغزوَ أهل ضِماد؟ فكان ضِماد قد أتى عُكاظ، فأرادوا أن يخالِفوه / إلى أهله، فمرّوا برجل من دوسٍ وهو يتغنى: ٥٥/١٢

فــإنَّ السلـــمَ زائِـــدة نـــواهــــا وإنّ نـــوى المحـــارب لا تـــروب[٨]

فقالوا: هذا لا يتبعُكم، ولا ينفعكم أن تِبعكم، أما تسمعون غِناءه في السِّلم. فأتوا حُمَمَة بن عمرو، فقالوا: أرسِل إلينا بعض ولدك. فقال: وأنا إن شِئتم. وهو عاصب حاجِبَيه من الكِبر، فأخرج معهم ولَده جميعاً، وخرج معهم،

---

(١) الآجرة: واحدة الآجر، الطين المحروق.

(٢) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به. وفي الأصل: «كان بجاد».

(٣) يتعيف: يتكهن.

(٤) فلنقتله في س، ش أما في حـ فبالياء بدل النون وهو تحريف.

(٥) قنوني: من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة.

(٦) يقال نذر بالعدوّ بكسر. الذال نذرا: علمه فحذره.

(٧) مانا: لزمه، وانتظره، وداراه. في الأصول: «يمانين».

(٨) تروب: تفتر. وفي حـ «تروه».

وقال لهم: تفرّقوا فِرقتين، فإذا عرف بعضُكم وجوهَ بعض فأغيروا، وإياكم والغارةَ حتّى تتفارقوا لا يقتلْ بعضكم بعضاً. ففعلوا، فلم يلتفتوا حتّى قتلوا ذلك الحيَّ من آل الحارثِ، وقتلوا إبنا لضمادٍ، فلما قدِم قطع أذني ناقته وذنبها، وصرخ في آل الحارث، فلم يزل يجمعُهم سبع سنين ودوسٌ تجتمع بإزائه، وهم مع ذلك يتغاورون[1] ويتطرَّفُ بعضهم بعضاً[2]، وكان ضِماد قد قال لابنِ أخٍ له يكنى أبا سفيان لما أراد أن يأتي عكاظ: إنْ كنتَ تحرز[3] أهلي، وإلاّ أقمتُ عليهم. فقال له: أنا أحرزهم من مائة؛ فإنْ زادوا فلا. وكانت تحت ضِمادٍ امرأةٌ من دوس، وهي أخت مربان[4] بن سعدِ الدوسيّ الشاعر، فلما أغارت دوسٌ على بني الحارث قصَدها / أخوها، فلاذت به، وضمّت [١٣/٢٢٢] فخذَها على ابنها من ضِمادٍ، وقالت: يا أخي اصرِف عنّي القوم، فإنّي حائض لا يكشِفوني. فنكزسِيةَ القوس في دِرعِها، وقال: لست بحائِض، ولكن في دِرعِك سَخْلَةٌ بكذا من آل الحارِث، ثم أخرج الصبيَّ فقتله، وقال في ذلك:

ألا هـل أتـى أمَّ الحُصَيْـن ولـو نـأت ... خِـلافتُنـا فـي أهلـهِ ابـنُ مُسَـرَّحِ
ونضـرةُ تـدعـو بـالفِنَـاءِ وطَلقُهـا ... تـرائِبـه ينفحـن مـن كـلِّ مَنْفَـحِ[5]
وفـرّ أبـو سفيـانَ لمـا بـدا لنـا ... فِـرارَ جبـانٍ لأمِّـهِ الـذلُّ مُقْـرَحِ[6]

يوم حضرة الوادي

قال: فلم يزالوا يتغاورون حتّى كان يومَ حضرةِ الوادي، فتحاشَدَ الحيّان، ثم أتتهم بنو الحارث ونزلوا لقتالِهم، ووقف ضِماد بن مسرّح في رأس الجبل، وأتتهم دوس. وأنزل خالدُ بنُ ذي السبلة بناتِه هنداً وجندلةَ وفطيمة ونضرة، فبنين بيتاً، وجعلن يَستَقِين الماء، ويحضُضْنَ[7]. وكان الرجل إذا رجع فارًا أعطينه مُكحُلة وَمجمراً[8]، وقلن: معنا فانزل ـ أي إنك من النساء ـ وجعلت هندُ بنت خالدٍ تحرّضهم وترتجز وتقول:

مَــنْ رجــلٌ ينــازِل الكتيبـه ... فــذلكــم تَــزنــي بــه الحبيبــه

فلما ألتقوا رمي رجلٌ من دوس رجلاً من آلِ الحارث، فقال: خُذْها وأنا أبو الزبن[9]، فقال ضِماد وهو في رأسِ الجبلِ وبنو الحارث بحضرة الوادي: يا قوم زُبِنتم فارجعوا. ثم رجل آخر[10] من دوس، فقال: خذها وأنا أبو ذِكْر[11]. فقال ضماد: ذهب القوم / بذكرها، فاقبلوا رأيي وانصرِفوا. فقال: قد جبُنت يا ضِماد. ثم ألتقوا، فأبيدت [١٣/٢٢٣] بنو الحارث. هذه رواية أبي عمرو.

وأما الكلبي فإنه قال: كان عامر بن بكر بن يشكر يقال له الغِطريف ويقال لبنيه الغطاريف، وكان لهم دِيتان،

---

(١) يتغاورون بالغين المعجمة: يغير بعضهم على بعض.
(٢) يقال: تطرف عليهم، أي أغار. «اللسان» (طرف).
(٣) تحرز: تحصن.
(٤) مران في س، ش بالباء، أما في حـ فبالنون بدل الباء.
(٥) نضرة وردت في حـ بالصاد المهملة. والطلق، أصل معناه الظبي، ويقال أيضاً: ناقة طلق: لا عقال عليها. والترائب: عظام الصدر. ينفحن: ينضحن بالدم.
(٦) مقرح: مجروح.
(٧) التحضيض: الحث.
(٨) المكحلة: وعاء الكحل. والمجمر: ما يوضع فيه الجمر.
(٩) الزبن: الدفع. وحرب زبون: يدفع بعضها بعضاً. وزابنه: دافعه.
(١٠) أي ثم رمى رجل اخر.
(١١) أبو ذكر: أي أبو الصيت والثناء.

ولسائر قومه دِية، وكانت لهم على دوس إتَاوةٌ يأخذونها كلَّ سنة، حتى إنْ كان الرجل منهم ليأتي بيت الدَّوْسِيّ فيضع سَهمه أو نعلَه على الباب، ثم يدخل، فيجيءُ / الدوسي، فإذا أبصر ذلك انصرف ورجَع عن بيته، حتّى أدرك عمرو بن حُمَمَة بن عمرو فقال لأبيه: ما هذا التطوُّل[1] الذي يتطوّل به إخواننا علينا؟ فقال: يا بُنَيّ، إن هذا شيءٌ قد مضى عليه أوائلنا، فأعرِضْ عن ذكره. فأعرضَ عن هذا الأمر، وإنّ رجلاً من دوس عرَّس بابنةِ عم له، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يَشْكُر، فجاء زوجُها فدخل على اليشكريّ، ثم أتى عَمرو بن حممة فأخبره بذلك، فجمع دوساً وقام فيهم، فحرّضهم وقال: إلى كم تصبرون لهذا الذلّ، هذه بنو الحارثِ، تأتيكم الآن تقاتِلكم، فاصبروا تعيشوا كِراماً أو تموتوا كِراما. فاستجابوا له، وأقبلت إليهم بنو الحارث فتنازلوا، واقتتلوا، فظفِرت بهم دوس، وقتلتهم كيف شاءت، فقال رجل من دوس يومئذٍ:

قـد علمـت صفـراءُ حـرشـاءُ الـذيـل[2] شـرّابـةُ المحـض تـروكٌ للقيـل[3]

تـرخـي فـروعـاً مِثـلَ أذنـابِ الخيـلْ أنّ بَـرُوقـاً دونهـا كـالـويـل

* ودونها خرطُ القتادِ بالليل[4] *

[١٣/٢٢٤] / وقال الحارث بن الطفيل بن عمرو الدوسي في هذا اليوم، عن أبي عمرو:

يـا دارُ مِـن مـاوِيّ بـالسَّهـبِ بُنِيـت علـى خَطْـبٍ مـن الخطْـبِ

إذ لا تـرى إلا مقـاتلـةً وعَجـانِسـاً يُـرْقِلـن بـالـركـبِ[5]

ومُـدَجّجـاً يسعـى بِشكتـه محمـرّةً عينـاه كـالكلـبِ[6]

ومَعَـاشـراً صـدأُ الحـديـد بهـم عبـق الهِنـاء مخـاطِـم الجُـربِ[7]

لمـا سمعـت نَـزَالِ قـد دُعِيـت أيقنـت أنّهـمُ بنـو كعـبِ[8]

كعـبِ بـنِ عمـرو لا لِكعـبِ بنـي الـ ـعنقـاء والتّبيـانِ فـي النسـبِ

فـرميـتُ كبـشَ القـوم مُعْتَمِـداً فمضـى وراشـوه بـذي كعـبِ[9]

شكّـو بحَقْـوَيْـه القـداحَ كمـا نـاط المُعَـرِّضُ أقـدحَ القضْـبِ[10]

---

(١) التطوّل: وردت في جـ: «الطول».

(٢) الحرشاء: الخشنة.

(٣) المحض: الخالص، وفي الأصول: «المخض»، تحريف. والقيل بالياء: اللبن يشرب نصف النهار. ويقال هو شروب للقيل، إذا كان مهيافاً دقيق الخصر يحتاج إلى شرب نصف النهار.

(٤) القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر.

(٥) العجانس: ومفردها عجنس كعملس بتشديد اللام وحذفت النون الثقيلة في الجمع لأنها زائدة: الجمال الضخمة الصلبة الشديدة مع ثقل وبطء.

(٦) الشكة: السلاح.

(٧) الهناء بالكسر: القطران. والمخاطم: ما يقاد منه البعير مكان الخطام.

(٨) بنو كعب روى كلب في جـ.

(٩) الكبش: الرئيس. راشوه حابوه من الرشوة، والكلام تهكم، وذي كعب: الرمح.

(١٠) شكوا: يقال شكه بالرمح انتظمه وفي السلاح دخل. والحقو: الخصر. والقداح: السهام. ناط: علق. والمعرض: الرامي الذي يعرض القوس عرضا إذا أضجعها ثم رمى عنها. والأقدح جمع قدح بالكسر: السهم قبل أن يراش أو ينصل. والقضب جمع قضيب، وهو القوس عملت من قضيب أو من غصن غير مشقوق.

فكـــأنّ مُهـــري ظـــلّ مُنْغمســـاً بشبـــا الأسِنـــة مَغْـــرَةُ الجـــأب[١]

يـــا ربّ مـــوضـــوعٍ رفعـــتُ ومـــر فـــوع وضعـــتُ بمنـــزل اللّصـــبِ[٢]

وحَليـــل غـــانِيـــة هتكـــتُ قـــرارهـــا تحـــت الـــوغـــى بِشـــديـــدةِ العضـــبِ[٣]

كـــانـــت علـــى حُـــبّ الحيـــاة فقـــد أحللتهـــا فـــي منـــزلِ غـــربِ[٤]

«جـــانِيـــك مَـــنْ يَجْنـــي عليـــكِ وقـــد تُعْـــدى الصِّحـــاحَ مبـــارِكُ الجـــربِ»[٥]

/ هذا البيت في الغناء في لحن ابن سُرَيج؛ وليس هو في هذهِ القصيدةِ، ولا وُجد في الرواية، وإنما ألحقناه [١٣/٢٢٥] بالقصيدةِ لأنه في الغِناء كما تُضِيف المغنون شعراً إلى شعر، وإن لم يكن قائلهما واحداً إذا اختلف الروِيّ والقافية.

صــوت

صـــرفـــتُ هـــواكَ فـــانصـــرفـــا ولـــم تـــدع الـــذي سلفـــا

وبِنـــتَ فلـــم أمـــتْ كلفـــا عليـــك ولـــم تَمُـــتْ أسفـــا

كـــلانـــا واجـــد فـــي النـــا س مِمّـــن ملّـــه خلفـــا[٦]

/ الشعر لعبد الصمد بن المعذّل، والغناء للقاسم بن زُرْزُور، رملٌ بالوسطى، وفيه لعمرَ الميداني هزجٌ. ٥٧/١٢



(١) المغرة بالفتح: لون إلى الحمرة. والجأب: موضع.

(٢) اللصب بالكسر: مضيق الوادي. واللواصب: الآبار البعيدة القعر.

(٣) العضب: الطعن والقطع.

(٤) الغرب: البعيد.

(٥) تعدى بالتاء المثناة الفوقية في س، ش أما في جـ فبالباء الموحدة. والصحاح: الصحيحة من الإبل.

(٦) واجد في ش، أما في س، جـ فبالحاء المهملة وهو تحريف.

[٢٢٦/١٣]

/ أخبار عبد الصمد بن المعذل ونسبه

عبد الصمد بن المعذل بن غِيلان بن الحكم بن البَخْتري[١] بن المختار بن ذَرِيح بن أوس بن هَمّام بن ربيعة بن بشير بن حُمْران بن حِدرجان بن عساس[٢] بن ليثِ بن حُدَاد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لُكَيز بن أفصى[٣] بن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نِزارٍ. وقيل: ربيعة بن ليث بن حمران.

وجدت في كتابٍ بخطّ أحمد بن كامل: حدثني غيلانُ بن المعذل أخو عبد الصمد، قال: كان أبي يقول: أفصى أبو عبد القيس هو أفصى بن جديلة بن أسد، وأفصى جدُّ بكر بن وائل هو أفصى بن دُعميّ. والنسابون يغلطون في قولهم عَبْدُ القيس بن أفصى بن دُعميّ. ويكنى عبد الصمد أبا القاسم، وأمه أم ولد يقال لها: الزَّرقاء. شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية، بصرِيّ المولد والمنشأ. وكان هجاء خبيث[٤] اللسان، شديد العارضة، وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً، إلا أنه كان عفيفاً، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة، وله جاه[٥] واسع في بلدِه وعند سلطانه، لا يقاربه عبد الصمد فيه، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجدّه غيلان شاعرين، وقد روى عنهما شيء[٦] من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير، والمعذَّل بن غيلان هو الذي يقول:

[٢٢٧/١٣]

/ إلـى الله أشكـو لا إلـى النـاس أنّنـي ... أرى صـالـح الأعمـال لا أستطِيعهـا

أرى خلّـةً فـي إخـوة وأقـارِبٍ ... وذي رحِـم مـا كـان مِثلـي يُضِيعهـا

فلـو سَـاعَـدَتنـي فـي المكارم قـدرةٌ ... لفـاض عليهـم بـالنـوالِ ربيعهـا

أنشدنا ذلك له علي بن سليمان الأخفش، عن المبرِّد، وأنشدناه محمدُ بنُ خلف بن المرزُبانِ عن الرّبعي أيضاً. قالا: وهو القائل:

ولسـتُ بميّـالٍ إلـى جـانِـب الغِنـى ... إذا كـانـت العلياءُ فـي جـانِـبِ الفقـرِ

وإنّـي لصَبّـار علـى مـا ينـوبُنـي ... وحسبُـكَ أنّ الله أثنـى علـى الصبـر

تهاجي أبان والمعذل

أخبرني محمد بن خلفٍ، قال: حدثنا النّخَعيّ وإسحاق، قال: هجا أبان اللاحقيّ المعذَّل بنَ غَيْلان، فقال:

كنـتُ أمشـي مـع المعـذَّلِ يـومـاً ... ففسـا فَسـوةً فكـدتُ أطيـرُ

---

(١) س، ش: «البحتري».
(٢) عساس: في س، ش. وفي جـ «غسان».
(٣) أفصى: بالصاد المهملة في س، ش أما في جـ فبالضاد المعجمة، وهو تحريف.
(٤) خبيث اللسان في س، ش أما في جـ فيسبقهما كلمة «خبيثاً».
(٥) وله جاه: في س، ش أما في جـ فبأسقاط لفظ «له».
(٦) حـ: «شيء عنهما».

فتلفتُّ هل أرى ظَربانا ... من ورائي والأرضُ بي تستدير[1]
فإذا ليس غيرُه وإذا إعـ ... ـصارُ ذاك الفُساءِ منه يفورُ
فتعجَّبت ثم قلتُ لقد أعـ ... ـرِفُ، هذا فيما أرى خنزيرُ

فأجابه المعذَّل فقال[2]:

/ صَحَّفتْ أمُّك إذ سمَّـ ... ـتك بالمهد أبانا
قد عَلِمنا ما أرادت ... لم تُرِدْ إلا أتانا
صَيَّرتْ باءَ مكان الـ ... ـتاء واللهِ عِيانا
قَطَعَ الله وشيكاً ... مِنْ مُسمِّيك اللسانا

٥٨ / ١٢

/ المعذل وعبد الله بن سوار

[٢٢٨/١٣]

أخبرني عمي قال: حدثنا المبردُ قال: مرَّ المعذلُ بن غيلان بعبد الله بن سَوّار العنبريّ القاضي، فاستنزلَه عبدُ الله، وكان من عادةِ المعذَّل أن ينزل عنده، فأبى، وأنشده:

أمِن حق المودةِ أن نُقَضّي ... ذِمامَكُم ولا تَقْضُوا ذِماما[3]
وقد قال الأديبُ مقالَ صِدقٍ ... رآه الآخَرُون لهم إماما
إذا أكرمتُكم وأهنتُموني ... ولم أغضَب لذلكُم فَذاما[4]

قال: وانصرف، فبَكَّر إليه عبد الله بن سوار، فقال له: رأيتك أبا عمرو مُغْضَباً. فقال: أجل ماتت بنتُ أختي ولم تأتني. قال: ما علمت ذلك. قال: ذَنْبُك أشد من عذرك، ومالي أنا أعرف خَبَر حقوقك، وأنت لا تعرف خبرَ حقوقي؟! فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضيَ عنه.

هجاء عبد الصمد لشروين المغني

حدثني الحسن بن علي الخَفَّاف، قال: حدثنا ابن مهرويه عن الحَمْدوني، قال: كان شروينُ حسنَ الغناء والضَّرب، وكان من أراد أن يغنّيه حتى يخرج من جلده جاء بجويريةٍ سوداء فأمرها أن تطالعه، وتُلوّح له بخرقة حمراء، ليظنَّها امرأةً تطالِعه، فكان حينئذٍ يغنّي أحسَنَ ما يقدر عليه تصنُّعاً لذلك، فغضب عليه عبد الصمد في بعض الأمور، فقال يهجوه:

مَن حلّ شرويـنُ له منزلاً ... فلتنههُ الأولى عن الثانيه
فليسَ يدعوه إلى بيته ... إلاّ فتًى في بيته زانيه

هجاؤه لزان متزوج زانية

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مَهرويه، قال: حدثني أبو عمرو البصري، قال: قال عبدُ الصمد بن المعذَّل في رجلٍ زانٍ من أهل البصرة كانت له امرأةٌ تزني، فقال:

---

(١) الظربان: دويبة صغيرة منتنة جداً، ويقال إنها إذا فست في ثوب لم تذهب رائحته حتى يبلى.
(٢) «فقال» ساقطة من حـ.
(٣) حـ: «يقضي ذمامكم».
(٤) أي ماذا يسمى ذلك.

[٢٢٩/١٣] / إن كنتِ قد صفَّرتِ أذْنَ الفتى فطالما صَفَّرَ آذاتا
لا تعجبِي إن كنتِ كَشْخَنْتِه فإنَّما كشخنتِ كشخانا[١]

شعره في الفتى الكاتب الذي عشق جارية ابن الجوهري

أخبرني جعفر بن قُدامة بن زيادٍ الكاتب، قال: حدثنا سَوّار بن أبي شُراعة، قال:

كان بالبصرة رجلٌ يعرف بابن الجوهري، وكانت له جاريةٌ مغنيةٌ حسنةُ الغناء، وكان ابنُ الجوهري شيخا هِمًّا قبيحَ الوجه، فتعشَّقَتْ فتًى كاتباً كان يعاشره ويدعوه، وكان الفتى نظيفاً ظريفاً، فاجتمعت معه مِراراً في منزله، وكان عبدُ الصمد يعاشره، فكان الفتى يكاتِمه أمرَه، ويحلِف له أنّه لا يهواها، فدخلتُ عليهما ذاتَ يومٍ بغتةً، فبقِيَ الفتى باهتاً لا يتكلَّم، وتغير لونهُ وتخلَّج في كلامه، فقال عبد الصمد:

لسانُ الهوى ينطقْ وَمَشْهَدُه يَصدقْ[٢]
لقد نمَّ هذا الهوى عليك وما يُشْفقْ[٣]
إذا لم تكن عاشقا فقلبُك لِمْ يخفقْ[٤]
[٥٩/١٢] / ومالَكَ إمَّا بدَتْ تَحارُ فلا تنطِقْ
أشمسٌ تجلّت لنا أم القمرُ المشرقْ

الغناءُ في هذه الأبياتِ لرذاذٍ، ويقال للقاسم بن زرزور، رملٌ مطلقٌ.

[٢٣٠/١٣] / قال: ثم طال الأمر بينهما، فهربتْ إليه جملةً، فقال عبد الصمد في ذلك:

إلى امرىءٍ حازم ركِبَتْ أيّ امرىء عاجزٍ تركَتْ[٥]
فتنةُ ابن الجوهريِّ لقد أظهرَتْ نُصحاً وقد أفِكتْ
أكذبَتْها عزمةٌ ظهرت لا تبالي نفسَ مَن سفكتْ
ظفِرتْ فيها بما هوِيَتْ ونَجَت من قُرب من فَرِكت[٦]
ثمّ خدودٌ بعدها لُطِمَتْ وجيوبٌ بعدها هُتكتْ
وعيون لا يُرقّأن على حُسْنِ وجه فاتَهُنَّ بكت[٧]
خرجَتْ والليل مُعْتكِرٌ لم يَهُلْها أيّةً سلكَتْ
وعيونُ النّاس قد هجعت وَدُجَى الظّلماء قد حَلَكتْ
لم تَخفْ وجداً بعاشقها حُرمةَ الشّهرِ الذي انتهكتْ

(١) كشخن الرجل: صار لا يغار واتهم بالدياثة، وهي أن يرى الرجل العمل الفاضح في أهله ولا يغار.
(٢) مشهده، وفي كل الأصول: «مشاهده» ولا يستقيم الوزن.
(٣) في كل الأصول: «تم» وهو تصحيف.
(٤) لم يخفق: أي لماذا يخفق.
(٥) في ب، ش: «إلى امرىء».
(٦) فركت: كرهت.
(٧) فاتهن بالتاء، وفي كل الأصول بالنون وهو تحريف.

وَرأتْ لمّا سَقَتْ كَمَداً ... أنّها في دينها نَسَكَتْ
مُلْثَتْ كَفٌّ بها ظَفِرت ... دونَ هذا الخلقِ ما مَلَكَتْ
أيُّ ملكٍ إذا خلا وخلَتْ ... فشكا أشجانَه وشَكَتْ
تَجتلي من وجهِه ذهباً ... وهو يَجلُو فضّةً فتكت[١]
هكذا فعلُ الفتاةِ إذا ... هي في عشّاقها محكَت[٢]

هجاؤه لجار له يمشي مشية منكرة

أخبرني الحسنُ بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه، قال: حدثني بعض أصحابنا قال:

نظر عبد الصمد بن المعذَّل إلى جارٍ له يخطِر في مِشيته خطرةً منكرة، وكان فقيراً رثَّ الحال، فقال فيه:

/ يتمشّى في ثوب عَصْبٍ من العُزْ ... ى على عظم ساقِه مسدولِ[٣] [١٣/٢٣١]
دبَّ في رأسه خُمارٌ من الجو ... عِ سُرَى خُمرةِ الرحيق الشمولِ[٤]
فبكى شَجْوَه وحنَّ إلى الخُـ ... ـبز ونادى بزفرةٍ وعويلِ
مَن لقلبٍ متيَّم برغيفيـ ... ـن ونفس تاقت إلى طِفْشِيلِ[٥]
ليس تسمو إلى الولائم نفسي ... جلّ قدرُ الأعراس عن تأميلي[٦]
هاتِ لوناً[٧] وقُلْ لتلك تغنّي ... لستُ أبكي لدارساتِ الطُّلولِ[٨]

رثاؤه لأبي سلمة الطفيلي

أخبرنا سَوّارُ بنُ أبي شُراعة، قال: كان بالبصرة طُفَيْليٌّ يُكنَّى أبا سلمة، وكان إذا بلغه خبرُ وليمة لبس لِبْسَ القضاةِ، وأخذ ابنَيْه معه وعليهما القلانس الطُّوال، والطَّيَالِسَةُ الرقاق[٩]، فيقدّم ابنيه، فيدقُّ البابَ أحدُهما ويقول: افتح يا غلام لأبي سلمة. ثم لا يُلبِثُ البوابَ حتى يتقدّم لآخرُ، فيقول: افْتَحْ ويلك فقد جاء أبو سلمة. ويتلوهم، فيدقّون جميعاً الباب، / ويقولون: بادِرْ ويلك، فإنّ أبا سلمة واقف. فإن لم يكن عَرَفهم فتح لهم، وهابَ منظرهم[٩]، وإن كانت معرفتُه إياهم قد سبقتْ لم يلتفِت إليهم، ومع كلِّ واحد منهم فِهْرٌ مدوَّر يسمونه[١٠] «كَيسان»، فينتظِرون حَتَّى يجيءَ بعضُ من دُعِيَ، فيفتح له البابُ، فإذا فَتح طرحوا الفِهرَ في العتَبة حيث يدور البابُ، فلا يقدر البواب على غلقه، ويهجُمون عليه فيدخلونَ. فأكل أبو سلمة / يوماً على بعضِ الموائد لُقمةَ حارّة من فالوذج[١١]، وبَلَعها لشدّةِ حرارتها، فجمعت أحشاؤه فماتَ على المائدة، فقال عبدُ الصمد بنُ المعذل يرثيه: [١٣/٢٣٢]

ج١٣ ٦٤

---

(١) في الأصول: «من وجهه».
(٢) محكت: لجت وأمعنت. ومن معانيه عسر الخلق.
(٣) العصب: ضرب من البرود.
(٤) الخمار بضم الخاء: ألم الخمر وصداعها، ومثله الخمرة بالضم. والشمول: الباردة.
(٥) الطفشيل: نوع من المرق، أو ضرب من الطعام. انظر تحقيقه في «حواشي الحيوان» (٣: ٢٤). س، ش: «التطفيل».
(٦) التأميل: التثبت في الأمر والنظر.
(٧) روى «طولاً» بدل «لوناً».
(٨) القلانس: ألبسة الرأس. والطيالسة: ملابس سود. والرقاق هي في حـ: «الزرق».
(٩) في س، ش: «وهاب منظرهم» أما في حـ حذف هذه الجملة.
(١٠) الفهر: الحجر.
(١١) الفالوذج: حلوى من الماء والدقيق والعسل.

أحــزان نفســي عليهــا غيــرُ مُنْصَــرِمــة وأدمُعي مــن جفــونــي الــدَّهــرَ منسجِمَــة[١]

علــى صــديــقٍ ومــولًــى لــي فُجِعْــتُ بــهِ مــا إنْ لــهُ فــي جميــع الصــالحيــن لُمَــه[٢]

كــم جفنــةٍ مِثــلِ جَــوفِ الحــوض مُتْــرَعَــةٍ كــومــاءَ جــاء بهــا طبــاخُهــا رِذمــه[٣]

قــد كلَّلتهــا شحــومٌ مِــن قَلِيتِّهــا ومــن سَنــام جــزورٍ عَبْطــةٍ سنِمــه[٤]

غُيِّبْــتَ عنهــا فلــم تَعــرف لــه خبــراً لهفــي عليــكَ وويلــي يــا أبــا سلمــه

ولــو تكــون لهــا حيًّــا لمــا بَعُــدت يــومــاً عليــك ولــو فــي جــاحــمٍ حُطَمــه[٥]

قــد كنــت أعلــم أنَّ الأكــلَ يقتلــه لكنَّنــي كنــت أخشــى ذاك مــن تُخمَــه

إذا تعمَّــم فــي شبليْــهِ ثــم غــدا فــإنّ حــوزةَ مــن يــأتيــه مصطَلَمــه[٦]

شعره في فتى عشقه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبانِ، قال: حدثني أحمد بن يزيدَ المهلبي عن أبيه، قال:

كان عبد الصمد بن المعذل يتعشَّق فتًى من المغنين، يقال له: أحمد، فغاضَبَه الفتى وهَجَره، فكتب إليه:

[١٣/٢٣٣]

/ صوت

سَلْ جَــزَعــي مُــذْ صــددت عــن حــالــي هــل خَطَــر الصبــرُ علــى بــالــي

لا غيَّــرَ الله ســوءَ فِعلِــك بــي إن كنــتُ أعتبــتُ فيــك عُــذَّالــي

ولا ذممــتُ البكــا لــي علبــك ولا حَمِــدتُ حُســنَ السلُــوِّ مــن ســالِ

لــو كنــتُ أبغــي سِــواكَ مــا جهِلَــتْ نفســيَ أنَّ الصُّــدود أعفــى لــي[٧]

لجحظةَ في هذه الأبيات رملٌ مطلق.

هجاؤه لقينة بصرية

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه، قال: حدثني عليُّ بنُ محمدٍ النَّوفلي، فقال:

هجا عبدُ الصمد بنُ المعذَّل قينةً بالبصرة قال فيها:

تفتَّــر عــن مضحَــكِ السَّــدْرِيِّ إن ضحكــت كَــرْفَ الأتــان رأت إدلاءَ أعيــار[٨]

---

(١) منسجمة: منصبة سائلة.

(٢) اللمة، بالضم: المثل والشكل.

(٣) الكوماء: المرتفعة. والرذمة: التي تسيل دسماً.

(٤) الجزور: الناقة المذبوحة. والعبطة: ما ذبحت من غير علة. والسنمة: العظيمة السنام.

(٥) الجاحم الحطمة: النار الشديدة.

(٦) الشبلان: عنى بهما الولدين. والمصطلمة: المستأصلة.

(٧) أعفى: أطيب وأحسن.

(٨) السدري، عنى به أبا نبقة السدري انظر ص ٢٥٠. كرف الأتان: يقال كرف الحمار وغيره بكرف، شم بول الأتان ثم رفع رأسه وقلب جحفلته. وربما قيل كرفت الأتان. وكل ما شممته فقد كرفته. الإدلاء: يقال أدلى الفرس أو البعير: أخرج ذكره ليبول. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار.

يفوحُ ريحُ كنيفٍ من ترائبها ... سوداءُ حالكةٌ دهماءُ كالقار[1]

قال: فكَسَدت والله تلك القينةُ بالبصرة، فلم تُدْعَ ولم تُسْتَبع حتّى أخرِجَتْ عنها.

عتابه لبعض الأمراء

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال:

كتب عبد الصمد بن المعذل إلى بعض الأمراء رُقعةً فلم يجبه عنها، لِشيء كان بلغه عنه، فكتب إليه:

قد كتبتُ الكتاب ثم مَضَى اليو ... م ولم أدرِ ما جوابُ الكتاب

/ ليتَ شِعري عن الأمير لماذا ... لا يراني أهلاً لردِّ الجواب / [٢٣٤/١٣]

لا تَدعني وأنت رفَّعتَ حالي ... ذا انخفاضٍ بهجرتي واجتنابي

إن أكنْ مذنباً فعندي رجوعٌ ... وبلاءٌ بالعذر والإعتاب

وأنا الصادقُ الوفاءِ وذو العهـ ... ـدِ الوثيقِ المؤكَّد الأسباب

هجاؤه للمهلبي الذي كان يخدع الفتيات

أخبرني الحرميّ بن عليّ، قال: حدثني أبو الشبل، قال:

كان بالبصرة رجلٌ من ولدِ المهلَّب بن أبي صُفْرة، يقال له: صبيانة، وكان له بستان سِريٌّ في منزله، فكان يدعو الفتياتِ إليه، فلا يعطيهنَّ شيئاً من الدراهم، ويُقْصِرُ بهن على ما يحملنه مِن البستانِ معهنَّ، مثلَ الرُّطَب والبقول والرياحين، فقال فيه عبد الصمد قوله[2]:

قومٌ زناةٌ مالهم دراهمُ ... جذرهم النَّمَّامُ والحَمَاحِم[3]

أنذلُ من تجمعُه المواسم ... خَسُّوا وخسَّتْ منهم المطاعِمُ

* فعدلُهم إن قِسْتَه المظالِمُ[4] *

جزع عبد الصمد من هجاء الجماز

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني سَوّار بن أبي شُراعة، وأخبرنا به سوار أجازة، قال: حدثني أبي، قال:

لمّا هجا الجماز عبد الصمد بن المعذَّل جاءني فقال لي: أنقِذني منه. فقلت له: أمثلك يَفْرَقُ[5] من الجماز؟ فقال: نعم، لأنه لا يبالي بالهجاء ولا يَفْرَقُ منه، ولا عِرض له، وشعره ينفُق[6] على من لا يدري. فلم أزل حَتَّى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه:

/ ابن المعذَّل مَنْ هُو ... وَمَنْ أبوه المعذَّل [٢٣٥/١٣]

سألت وَهبانَ عنه ... فقال بَيْضٌ مُحَوَّل[7]

(١) الترائب: عظام الصدر، أو ما بين الثديين، أو أربع أضلاع من جانبي الصدر، أو موضع القلادة.
(٢) قوله، ليست في س، ش.
(٣) الجذر: الأصل. والنمام نبت طيب مدر. والحماحم: الحبق البستاني العريض الورق.
(٤) حـ: «مظالم».
(٥) يفرق: يخاف ويفزع.
(٦) ينفق: يروج وينتشر.
(٧) محول: أي حضنه غير أبويه.

وهبان وعبد الصمد

قال: وكان وَهبان هذا رجلاً يبيع الحمام[١]، فجمع جماعةً من أصحابه وجيرانه، وجعَلَ يغشَى المجالِسَ، ويَحْلِفُ أنّه ما قال: إن عبدَ الصمد بيضٌ محوَّل، ويسألهم أن يعتذِرُوا إليه؛ فكان هذا منه. قد صار بالبصرة طُرفةً ونادرة، فجاءني عبد الصمد يستغيث منه، ويقول لي: ألم أقُلْ لك إنَّ آفتي منه عظيمةٌ، والله لدَوَرانُ وهبانَ على النَّاس يحلف لهم: إنه ما قال: إني بيضٌ محوَّل، أشدُّ عليَّ من هجائه لي. فبعثتُ إلى وهبانَ فأحضرته، وقلت له: يا هذا، قد عَلِمْنا أنّ الجمّازَ قد كَذَب عليك، وَعَذرناك فنحبُّ أن لا تَتَكلفَ العذرَ إلى الناس في أمرنا، فإنّا قد عذرناك. فانصَرَفَ وقد لقي عبد الصمد بلاء.

تدخل الحمدوي بين عبد الصمد ومضرطان

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحويّ صِهر المبرد، قال: حدثني إسحاق بن محمَّد النخعي قال: قال لي أبو شُرَاعةَ القيسيُّ:

بَلَغَ أبا جعفر مَضْرَطان أن عبد الصمد بن المعذَّل هجاه، واجتمعا عند أبي واثِلةَ السَّدوسيِّ، فقال له مضرطان: بلغني أنك هَجَوْتَني. فقال له عبد الصمد[٢]: من أنت حتى أهْجُوَكَ؟ قال: هذا شرٌّ مِن الهجاءِ. فوثب إلى عبدِ الصَّمدِ يضربه، فقال الحَمْدَوِيّ، وهو إسماعيلُ بن إبراهيم بنِ حَمْدَوَيْه، وحمدويهِ جدُّه، وهو الذي كان يقتل الزنادقة:

[٢٣٦/١٣] / ألــذُّ مِـن صُحبـة القَنـانِـي ... أو اقتـراحِ علـى قِيـان[٣]

لَكْـزُ فتـى مـن بنـي لُكَيْـزٍ ... يُهْـدَى لـه أهـونُ الهـوان[٤]

[٦٢/١٢] أهـوَى لـه بـازل خِـدَبٌّ ... يطحَـنُ قـرنَيـه بـالجـران[٥] /

فنـال منـه ثُـؤُورَ قـوم ... بـاليـد طـوراً وبـاللِّسـان[٦]

وكـان يفسُـو فصـار حَقًّـا ... يضـرِطُ مـن خـوفِ مَضْـرَطـان

قال: وبلغ عبدَ الصَّمد شِعرُ الحمدويّ، فقال: أنا له. ففزع الحمدويُّ منه، فقال:

تَـرَحٌ طُعِنـتُ بـه وهـمٌّ واردُ ... إذْ قِيـل إنّ ابـنَ المعـذّل واجـد[٧]

هيهـاتَ أن أجـدَ السَّبيـلَ إلـى الكَـرى ... وابـنُ المعـذَّلِ مـن مِـزاحـي حـارِد[٨]

فرضي عنه عبد الصمد.

تهاجي الجماز وعبد الصمد

أخبرني محمدُ بنُ عمران الصيرفيُّ قال: حدثنا الْعَنَزِيّ، قال: حدّثني إبراهيم بنُ عُقْبةَ اليشكريُّ، قال:

---

(١) في س، ش: «يتبع الحمام». وفي حـ: «يتبع الحمار» وهو تحريف.
(٢) الكلام بعده إلى «عبد الصمد» لا يوجد في حـ، وزيدت كلمة «فجعل» قبل «يضربه» في حـ.
(٣) في الأصول: «من محنة». القناني: جمع قنينة.
(٤) اللكز: الضرب. ولكيز كزبير ابن أفصى بن عبد القيس. ويهدي بالياء في س، ش أما في حـ فبالنون.
(٥) الخدب بتشديد الباء هو الجمل الشديد الصلب. والقرنان: الجانبان.
(٦) الثؤور: جمع ثأر.
(٧) الترح: الهم.
(٨) الحارد: الغضبان المغتاظ.

قال لي عبد الصمد بن المعذل، هجاني الجمازُ بِبَيْتَيْن سخيفين فسارا في أفواهِ الناسِ، حتى لم يبق خاصٌ ولا عامٌ إلا رواهما، وهما:

ابــنُ المعــذل مَــنْ هــو ... ومــن أبــوه المعــذّل
ســألــتُ وهبــانَ عنــه ... فقــال بيــضٌ مُحَــوَّل

/ فقلت أنا فيه شعراً تركتُه يتحاجَى[1] فيه كلُّ أحدٍ، فما رواه أحد ولا فكَّر فيه، وذلك لضعتِه، وهو قولي: [٢٣٧/١٣]

نســبُ الجمّــاز مقصــو ... ر إليــه مُنْتَهــاه
يتــراءَى نســبُ النــا ... س فمــا يخفَــى سِــواهُ
يتحــاجــى فــي أبــي الجـ ... ـمّــاز مــن هُــو كــاتبــاهُ
ليــس يَــدْري مَــنْ أبــو الجـ ... ـمّــاز إلا مَــن يــراه

شعره في بستان له

أخبرني الأخفش، قال: كان لعبدِ الصمدِ بستانٌ نظيف عامر، فأنشدَنا لنفسه فيه:

إذا لــم يــزرنــيَ[2] نَــدْمــانِيَــهْ ... خلــوتُ فنــادمــتُ بستــانيــه
فنــادمتُــه خَضِــراً مُــؤنقــاً ... يُهَيِّــجُ لــي ذكــرَ أشجــانيَــه
يقــرِّب مَفْــرَحَــةَ المُستَلِــذّ ... ويُبعِــد همِّــي وأحــزانيَــه
أرى فيــه مثــلَ مــداري الظِّبــاء ... تظــلُّ لأطــلائهــا حــانيــه[3]
ونَــوْرَ أقــاح شتيــتِ النبــاتِ ... كمــا ابتسَمَــتْ عجبــاً غــانيــه[4]
ونــرجسُــه مثــلُ عيــن الفتــاة ... إلــى وجــهِ عــاشقهــا رانِيَــه[5]

/ شعره في يزيد والجارية التي عشقها واشتراها [٢٣٨/١٣]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة بن زيادٍ الكاتبُ، قال:

كان يزيد بن عبد الملك المسمعيُّ يَهوى جاريةً من جواري القِيان، يقال لها: عُلَيْم، وكان يعاشر عبد الصمد، ويزيدُ يومئذٍ شابٌ حديثُ السن، وكان عبد الصمد يسمِّيه ابني، ويسمِّي الجارية ابنتي، فباع الفتى بستاناً له في مَعْقِل، وضيعةً بالقِندَل[6]، فاشترى الجاريةَ بثمنها، فقال عبد الصمد:

بُنَيَّتــي أصبحَــتْ عَــرُوســاً ... تُهــدَى مــن ابنــي إلــى عــروس
زُفَّــتْ إليــه لخيــرِ وقــتٍ ... فــاجتمعــا ليلــةَ الخميــس

---

(١) يتحاجي: يتفاطن، من الأحجية، وهي مثل اللغز في الكلام.

(٢) في الأصول: «إذا لم يزرنا». والندمان، بالفتح: النديم على الشراب، والندماء أيضاً.

(٣) المداري: القرون. والطلا بالفتح: ولد الظبي ساعة يولد، وهو أيضاً الصغير من كل شيء.

(٤) النور: الزهر. والأقاحي: جمع أقحوانة، نبت تشبه به الأسنان.

(٥) الرانية من رنا: إذا أدام النظر في سكون.

(٦) نهر معقل: نهر معروف بالبصرة، منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني. والقندل: موضع بالبصرة ذكر في أخبار مكة.

يـــا معشـــرُ العــاشقِيـــن أنتـــم ـــ بـــالمنـــزل الأرذلِ الخسيــــس
يـــزيـــدُ أضحـــى لكـــم رئيســـاً ـــ فــاتّبعـــوا مَنهـــج الـــرئيـــس
مَـــن رام بَـــلاً لـــرأسِ أيْـــر ـــ ذلَّـــل نفســـاً بِحَـــلّ كِيـــس[1]

هجاؤه للجماز وأبي قلابة

٦٣/١٢ / أخبرني محمدُ بن خلفِ بن المرزبان، قال: حدثني يزيد بن محمدِ المهلبي، قال:

بلغ عبدَ الصمد بنَ المعذل أنّ أبا قِلابة الجَرْميّ تدسَّس إلى الجماز لمّا بلغه تعرّضه له، وهجاؤه إياه، فحمله على الزيادة في ذلك، ويضمن له أن ينصرَه ويعاضِدَه، وقد كان عبد الصمد هجا أبا قِلابةَ حتّى أفحمَه، فقال عبد الصمد فيهما:

يـــا مَـــن تـــركـــتُ بصخـــرة ـــ صَمّـــاءَ هـــامتَـــه أمِيمـــه[2]
إن الـــذي عـــاضـــدتَـــه ـــ أشبهتَـــه خُلُقـــاً وشيمـــه[3]
وكفِعـــل جـــدَّتـــك الحـــدي ـــ ثـــة فعـــلُ جـــدّتـــه القـــديمـــه
فتنـــاصـــرا، فـــابـــنُ اللئيـ ـــ ـمـــة نـــاصـــرٌ لابْـــنِ اللئيمـــه

[٢٣٩/١٣] / **عتابه لصديق ارتفعت حاله**

حدثني جعفر بن قُدامةَ، قال: حدثني أبو العيناء، قال: كان لعبد الصَّمد بن المعذَّل صديقٌ يعاشره ويأنَس به، فتزوَّج إليه أمير البصرة، وكان من ولد سليمان بن عليّ، فَنَبُلَ الرّجلُ وعلا قدرُه، وولّاه المتزوِّج إليه عملاً، فكتب إليه عبدُ الصمد:

أحُلْتَ[4] عمّـــا عهـــدتُ مـــن أدبـــكْ ـــ أم نلـــتَ مُلْكـــاً فتِهـــتَ فـــي كُتبِـــكْ
أم هـــل تـــرى أنَّ فـــي منـــاصفـــة الإخـ ـــ ـــوان نقصـــاً عليـــك فـــي حَسَبِـــك
أم كـــان مـــا كـــان منـــك عـــن غضـــبٍ ـــ فـــأيُّ شـــيء أدنـــاك مـــن غضبـــك[5]
إنَّ جفـــــاءَ كتـــاب ذي ثقـــــة ـــ يكـــون فـــي صـــدره «وأمتـــعَ بـــك»
كيـــفَ بـــإنصـــافنـــا لـــديـــكَ وقـــد ـــ شـــاركـــتَ آلَ النبـــيِّ فـــي نسبِـــك
قـــلْ للـــوفـــاء الـــذي تقـــدَّره ـــ نفســـك عنـــدي مَلِلـــت مـــن طلبـــك
أتعبـــتَ كفَّيْـــكَ فـــي مـــواصلتـــي ـــ حسبُـــك مـــاذا كفيـــت مـــن تعبـــك

فأجابه صديقُه:

كيـــف يحُـــول الإخـــاءُ يـــا أملـــي ـــ وكـــلُّ خيـــرٍ أنـــال مـــن نسبِـــك[6]

(١) في الأصول: «ذلك نفساً لحل».
(٢) الأميم: المشجوج الرأس، الذي بلغت الطعنة أم دماغه.
(٣) الشيمة: الطبع والسجية. س، ش: «وسيمه». والسيمة: العلامة.
(٤) حلت: تغيرت.
(٥) في الأصول: «عن غضبك».
(٦) في الأصول: «كيف أحول».

إن يـكُ جهـلٌ أتـاك مِـن قِبَلـي فـامنُـنْ بفضـلٍ علـيَّ مـن أدبـك
أنكـرتَ شيئـاً فلسـتُ فـاعِلَـه ولا تـراه يُخَـطُّ فـي كتبـك

هجاؤه لصديق كذوب

حدثني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال:

كان لعبد الصمد بن المعذَّل صديقٌ كثيرُ الكذب، كان معروفاً بذلك، فوعده وعداً فأخلفه، ومَطَله به مَطْلاً طويلاً، فقال عبد الصمد:

لـي صاحـبٌ فـي حـديثـه البـركـة يـزيـدُ عنـد السّكـون والحـركَـهْ
لـو قـال «لا» فـي قليـلٍ أحـرُفِهـا لـردَّهـا بـالحُـروف مشتبِكـه[1]

/ **شعره في هجاء بن المنجاب** [١٣/٢٤٠]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني سوّار بن أبي شُراعة، قال:

كان يحيى بن عبد السميع الهاشميّ يعاشِرُ عبدَ الصمد بن المعذل، ويجتمعان في دارِ رجلٍ من بني المنجاب له جاريةٌ مُغَنِّيَةٌ، وكان ينزِل رحبةَ المنجاب بالبصرة، ثم استبدّ بها الهاشميّ دونَ عبدِ الصمد، فقال فيهم عبد الصمد:

قـل ليحيـى[2] مِلِـلـتُ مـن أحبـابـي فليَنِكْهُـمْ مـا شـاء مـن أصحـابـي
/ قد تـركنـا تَعَشُّـقَ المُـرْدِ لمّـا أنْ بلَـونـا تنعُّـم العـزّاب
وشنِئنـا المـؤاجـريـن فمِلْنـا بعـد خُبْـرٍ إلـى وصـالِ القِحـاب[3]
حبّـذا قينـةٌ لأهـل بنـي المِنـ ـجابِ حلّـتْ فـي رحبـة المِنجـاب
صـدَّقَـتْ إذ يقـول لـي خُلِـقَ الأحـ ـراح ليـس الفِقـاح لـلأربـاب[4]
حبّـذا تلـك إذ تُغنّيـك يـا يحـ ـيـى وتَسْقيـك مـن ثنـايـا عِـذابِ
«ذكَـرَ القلـب ذِكْـرَةً أمَّ زيـدٍ والمطـايـا بـالسَّهْـب سهـب الركـاب»[5]
حبّـذا إذ ركبْتَهـا فتجـافـت تتشكـى إليـكَ عنـد الضِّـراب
وتَغَنَّـتْ وأنـت تـدفَـعُ فيهـا غيـرَ ذي خِيفـة لهـم وارتقـاب
«إن جنبَـي عَـنِ الفـراش لنـابِ كتجـافـي الأسَـرُ فـوق الظِّـراب»[6]
ليـت شعـري هـل أسمعـنَّ إذا مـا زاحَ عنـي وسـاوسُ الكتّـاب

٦٤
١٢

(١) مشتبكة، في كل الأصول «مستكة» وهو تحريف.
(٢) في الأصول: «ملكت» تحريف.
(٣) شنئنا: أبغضنا. حـ: «شنقنا» صواب هذه بالفاء. المؤاجر: الذي ينال الأجر لقاء الاستمتاع به. والخبر: الاختبار. وفي الأصول: «بعد خير» تحريف.
(٤) الأحراح: الفروج. والفقحة: حلقة الدبر.
(٥) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٩٩. والسهب: موضع.
(٦) الأسر: البعير به ورم في جوفه. والظراب: جمع ظرب ككتف، وهو ما نتأ من الحجارة وكان طرفه حاداً. وهذا البيت لمعد يكرب، كما في «اللسان» (سرر).

مِـــنْ فتـــاةٍ كـــأنهـــا خُـــوطُ بـــانٍ مَـــجَّ فيهـــا النعيـــمُ مـــاءَ الشبـــابِ[(١)]

[٢٤١/١٣] / إذْ تُغَنِّيـــك خلـــف سَجْـــفٍ رقيـــق نَغَمـــاتٍ تحبُّهـــا بصـــواب[(٢)]

شـــفَّ عنهـــا محقَّـــق جَنَـــدِيٌّ فهـــي كـــالشَّمـــس مـــن خـــلال سَحـــاب[(٣)]

ربَّ شِعـــرٍ قـــد قلتُـــه بتبـــاهٍ ويُغَـــرَّى بـــه ذوو الألبـــاب[(٤)]

قـــد تـــركـــتُ الملحِّنيـــن إذا مـــا ذكـــروه قـــامـــوا علـــى الأذنـــاب[(٥)]

قال: وشاعت الأبيات بالبصرة، فامتنع مولى الجارية مِنْ مُعاشرة الهاشميّ، وقطعه بعد ذلك.

ما وقع بينه وبين ابني هشام الكرنباني وشعره في ذلك

أخبرني محمدُ بنُ عمران الصيرفيُّ وأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا الحسن بنُ عُلَيلٍ العَنَزيُّ، قال: حدثني أحمد بن صالح الهاشميّ، قال:

كان الحسين بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن سلمانَ مائلاً إلى عبد الصمد بن المعذَّل، وكان عبد الصَّمد يهجو هِشاماً الكرنباني، فجرى عن ابنَيْ هشام الكرنباني ـ وهما أبو وائلةَ وإبراهيم ـ وبين الحرّ بن عبد الله، لحاءٌ في أمر عبد الصَّمد، لأنَّهما ذكراه وسبَّاه، فامتعض له الحسين وسبَّهما عنه، فرمَيَا الحسينَ بابن المعذَّل، ونسباه إلى أنَّ عبد الصمد يرتكبُ القبيح، وبلغ الحسينَ ذلك، فلقيهما في سكة المِرْبَد، فشدَّ عليهما بسوطه وهو راكب، فضربَهما ضرباً مُبَرِّحاً، وأفلت أبو وائلة، ووقع سبيب[(٦)] السَّوط في عين إبراهيم، فأثر فيها أثراً قبيحاً، فاستعان بمَشيخَةٍ مِنْ [٢٤٢/١٣] آل سليمان بن علي، وهرب أبو وائلةَ إلى الأمير عليِّ بن عيسى وهو والي البصرة، فوجَّه معه / بكاتبه ابن فِراس إلى باب الحسين بن عبد الله، فطلبه وهربَ حسين إلى المُحْدَثة[(٧)]، فلما كان من الغد جاء حسينٌ إلى صالح بن إسحاق بن سليمان، وإلى ابن يحيى بن جعفر بن سليمان، ومشيخةٍ من آل سليمان، فصاروا معَه إلى عليّ بن عيسى، وأقبل عبدُ الصمد بن المعذَّل لما رآهم، فدخل معهم لنُصرة حسين، فكلَّموا عليَّ بنَ عيسى في أمره وقام عبد الصمد، فقال: أصلح الله الأمير، هؤلاء أهلُكَ، وأجِلَّةُ أهلِ مِصرك[(٨)]، تصدَّوْا إليك في ابنهم وابنِ أخِيهم، و [هو و] إن كان حدثاً لا ينبسِطُ لِلحجَّة بحداثته[(٩)]، فإن ها هنا من يُعبِّر عنه، وقد قلت أبياتاً، فإن رأى / الأمير أن يأذن[(١٠)] في إنشادها فعلَ. قال: قل. فأنشده عبد الصمد قوله: ٦٥/١٢

يـــا ابـــنَ الخـــلائـــف وابـــنَ كـــلِّ مُبـــارَكٍ رأسَ الـــدعـــائـــم ســـابـــقَ الأغصـــان

إنّ العلـــوج علـــى ابـــنِ عمـــك أصفقُـــوا فـــأتـــوك عنـــه بـــأعظـــم البهتـــان[(١١)]

قـــرفُـــوه عنـــدَك بـــالتعـــدِّي ظـــالمـــا وهـــم ابتـــدَوْه بـــأعظـــمِ العـــدوان

---

(١) الخوط، بالضم: الغصن الناعم.

(٢) السجف: الستر. وفي الأصول: «سحق».

(٣) المحقق: المحكم النسج من الثياب، أو الذي له وشم على صورة الحق. والجند: بلد من بلاد اليمن.

(٤) في الأصول: «يتساه». يغري: من التغرية، وهي بمعنى الإغراء. يقال أغراه بالشيء وغراه به تغرية.

(٥) في الأصول: «الملتحين».

(٦) السبيب: ذرابة السوط. حـ: «شيب» وفي سائر النسخ «سبب» صوابه ما أثبتنا.

(٧) المحدثة بضم الميم: ماء ونخل في بلاد العرب، ولها جبل يسمى عمود المحدثة.

(٨) أجلة، كذا وردت في النسخ. وصوابها وقياسها «جلة».

(٩) في س، ش: «لا ينسبك للخسة»، صوابه في حـ.

(١٠) يأذن، وردت في حـ: «يأذن لي».

(١١) العلوج: جمع علج وهو كبير العجم. أصفقوا: اجتمعوا.

شَتَمُوا لـه عِـرضـاً أغَـرَّ مُهَـذَّبـاً أعـراضُهـم أولـى بكـلِّ هـوان
وسَمَـوْا بـأجسـامٍ إليـه مَهينـةٍ وُصِلـت بـألأَمِ أذرعٍ وبنـان
خُلِقـت لمـدِّ القَلْـس لا لتنـاوُلِ عِـرضَ الشّـريـف ولا لمـدِّ عنـان[1]
لـم يحفَظُـوا قـربـاه منـك فينتهـوا إذْ لـم يَهـابُـوا حـرمـةَ السُّلطـان
/ أيُـذَلُّ مظلـومـاً وجـدُّك جَـده كيمـا يعـزَّ بِـذُلِّـهِ عِلجـان [٢٤٣/١٣]
وينـال أقلـفُ، كَـربـلاءُ بـلادُه، ذلَّ ابـنِ عـمِّ خليفـةِ الـرحمـن[2]
إنـي أُعِيـذُك أن تُنـالَ بـك التـي تطغَـى العلـوجُ بهـا علـى عَـدنـان

فدعا عليُّ بن عيسى حُسَيْناً، فضمَّه إليه، فقال: انصرِفْ مع مشايخك. ودعا بهشام الكرنباني وابنَيه، فَعَذَلَهُمْ[3] في أمره، ثمَّ أصلح بينهم بعد ذلك.

عتبه لعبد الله بن المسيب

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ، قال: حدثنا محمدُ بن يزيد، قال: كان عبدُ الصمد بن المعذَّل يعاشِرُ عبدَ الله بنَ المُسَيَّب ويألفُه، فبلغه أنّه اغتابه يوماً وهو سكران، وعاب شيئاً أنشده من شعره، فقال فيه وكتب بها إليه:

عَتْبـي عليـك مُقـارِنُ العُـذرِ قـد زال عنـد حفيظتـي صبـري[4]
لـك شـافـعٌ منّـي إلـيّ فمـا يَقْضـي عليـك بهفـوةٍ فكـري
لمّـا أتـانـي مـا نطقـتَ بـه فـي السُّكـر قلـتُ جنـايـةُ السكـر
حـاشـا لعبـدِ الله يـذكُـرنـي مُستَعْـذِبـاً بنقيصتـي ذكـري
إنْ عـابَ شعـري أوْ تَحَيَّفَـهُ فَلْيَهنِـهِ مـا عـاب مِـن شعـري
يـا ابـنَ المسيـب قـد سبقـتَ بمـا أصبحـتَ مـرتهنـاً بـه شكـري
فمتـى خُمِـرتَ فـأنـتَ فـي سَعـةٍ ومتـى هَفـوت فـأنـت فـي عـذر
تَـرْكُ العتـاب إذا استحـقَّ أخٌ منـك العتـابَ ذريعـةُ الهجـر

/ هجاؤه لشروين المغني [٢٤٤/١٣]

أخبرني الأخفشُ، قال: حدثنا المُبرِّدُ، قال:

دعا عبدُ الصمد بنِ المعذَّل شرْوينَ المغنِّيَ، وكان مُحْسِناً متقدِّماً في صناعته، فتعالَلَ عليه ومضى إلى غيره، فقال عبدُ الصَّمد: والله لأَسِمَنَّه مِيسَماً لا يدعوه بعدَه أحدٌ بالبصرة إلاَّ بعد أن يبذل عِرضَه وحريمَه. فقال فيه:

مَـنْ حَـلَّ شـرويـنُ لـه منـزِلا فلتنهَـهُ الأولـى عـن الثـانيـة
فليـس يـدعـوه إلـى بيتـه إلا فتًـى فـي بيتـه زانيـة

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطُر إلى أن خرج إلى بغداد وسُرَّ مَنْ رأى.

---

(١) القلس: الحبل الضخم من ليف أو خوص أو غيرهما. عنى أنهم ملاحون ضعاف الشأن.
(٢) الأقلف: الذي لم يختن.
(٣) عذلهم: لامهم.
(٤) في حـ: «قد زاد عنك حفيظتي نصري».

هجاء أبي قلابة لأبي رهم

أخبرني محمدُ بنُ عمران الصيرفيُّ وأحمدبن العباس العسكريُّ، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا الفضل بن أبي جرزةَ، قال:

٦٦/١٢ كان أبو قِلابة الجَرْميُّ وعبد الصمد بن المعذَّل وعبد الله / بن محمد بن أبي عيينة المهلَّبيّ أرادوا المسير[1] إلى بيت بَحرِ البكراويّ، وكانت له جاريةٌ مغنية، يقال لها: جبلةُ[2]، وكان أبو رِهْم إليها مائلاً يتعشَّقها، ثم اشتراها بعد ذلك، فلما أرادوا الدُّخولَ إليها وافاهم أبو رِهم، فأدخلوه وحدَه وحجبوهم، فانصرفوا إلى بستان ابنِ أبي عيينة، فقال أبو قِلابة: لا بدّ أن نهجوَ أبا رهم. فقالوا: قل. فقال:

ألا قــل لأبــي رهــمٍ سيهــوى نعتَــك الـوصـفُ
كمــا حــالفـك الغـيُّ كـذا جـانَبَـك الظَّـرفُ
أتـانـا أنـه أهـدى إلى بحـرٍ من الشَّغْـفِ[3]
[١٣/٢٤٥] / حُـزَيمـات مــن الصِّيـر فهـلاّ معـهُ رُغْـفُ[4]
فنـادَوْا اقسمـي فينـا فقـد جاءكـم اللُّطْـفُ[5]

سبب هجاء عبد الصمد أبا رهم

فقال له عبد الصمد: سخنت عينُك أيْشٍ هذا الشعرُ، بمثل هذا يُهْجى مَنْ يُرَادُ به الفضيحة. فقال أبو قلابة: هذا الذي حضرني، فقل أنت ما يحضرك. فقال: أفعله وأجوِّد. فكان هذا سببَ هجاءِ عبد الصمد أبا رهم، وأوّلُ قصيدةٍ هجاهُ بها[6] قوله:

دعُـوا الإسـلامَ وانْتَحِلُـوا المجـوسـا وألْقُـوا الـرِّيـطَ واشتَمِلُـوا القُلـوسـا[7]
بنــي العبــدِ المُقيــم بنهــر تِيــرَى لقـد أنهضـتُ طيـركـم نحـوسـا[8]
حــرامٌ أن يبيــت لكــم نــزيــلٌ فــلا يُمسِــي بــأمِّكــم عَــروسـا
إذا رَكَــد الظــلامُ رأت عُسَيْــلاً يَحُــثُّ علــى نَــدامــاهُ الكــؤسـا[9]
ويُــذْكِــرُهــم أبــو رهــم بهجــوٍ فيستــدعــي إلــى الحُــرَمِ النُّفــوسـا
ويُخْلِيهـــم هِشـــامٌ بـــالغـــوانـــي ويُحمِــي الفضــلُ بينهــم الـوطيسـا[10]

---

(١) في حـ: «المصير».
(٢) جبلة هي في حـ: «جبل».
(٣) الشغف، بالفتح والتحريك: أن يبلغ الحب شغاف القلب. وفي البيت إقواء.
(٤) الحزيمات: جمع حزيمة. وفي كل الأصول بالخاء المعجمة. والصير: سمكات مملوحات.
(٥) اللطف، بالضم والتحريك: البر والتكرمة والتحفي.
(٦) في الأصول: «هجاها».
(٧) الريط جمع ريطة: كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة. والقلس: الحبل الضخم من حبال السفينة.
(٨) نهر تيري: بلد في الأهواز حفره أردشير الأصغر.
(٩) عسيل: اسم علم.
(١٠) الوطيس: التنور. ويقال حمي الوطيس: اشتدّت الحرب.

فتسمع في البيوت لهم هبيباً ... كما أهملت في الزّرب التيوسا[1]
لقد كان الزناةُ بلا رئيس ... فقد وجد الزناةُ بهم رئيسا
هم قَبَلُوا الزّناء وأنشؤوه ... وهم وسموا بجبهته حبيسا[2]
لئن لم تنفِ دعوتَهم سَدُوسٌ ... لقد أخزى الإله بهم سَدوسا

/ وقال فيه: [٢٤٦/١٣]

لو جادَ بالمال أبو رهم ... كجُودِهِ بالأخت والأمّ
أضحى وما يُعرفُ مِثلٌ لَه ... وقيل أسخى العُربِ والعُجم
من بَرَّ بالحرمة إخوانَه ... أحَقُّ أن يُشْكر بالشتمِ[3]

وله فيه من قصيدة طويلة:

هو والله مُنصِفٌ ... زوجُه زوجُ زوجته
يقسِمُ الأيرَ عادلا ... بين حِرْها وفقحته

وصف عبد الصمد لنزهة

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا العَنَزيّ، قال: حدثني أبو الفضلِ بن عبدان، قال: خرج عبد الصمد بن المعذَّل مع أهله إلى نزهة وقال:

/ قد نزلنا بِروضةٍ وغديرٍ ... وهجرنا القصر المنيف المشِيدا[4] [٦٧/١٢]
بعريشٍ ترى من الزاد فيه ... زُكرتَيْ خَمرةٍ وصقراً صَيودا[5]
وغريرين يطرِبان الندامى ... كلما قلتُ أبديا وأعيدا[6]
غنِّياني، فَغنَّياني بلحن ... سلِس الرّجْع يصدع الجلمودا
«لا ذَعرتُ السَّوامَ في فلق الـ ... صُّبح مغيراً ولا دُعِيتُ يزيدا»[7]
حيٌّ ذا الزورَ وانهَهُ أن يعودا ... إنّ بالباب حارِسينِ قعودا[8]
/ من يزُرْنا يجدْ شِواءَ حُبارَى ... وقديراً رخصاً وخمراً عَتيدا[9] [٢٤٧/١٣]

(١) الهبيب: صوت التيس عند السفاد. والزرب بالزاي: موضع الغنم. وفي كل الأصول بالدال، تحريف. والتيس: الذكر من الظباء والمعز والوعول أو إذا أتى عليه سنة.

(٢) قبلوا الزناء: كانوا له كالقابلة، وهي التي تتلقى المولود. وفي كل الأصول: «اقتلوا الزناة». والإنشاء والتنشئة: التربية. والحبيس: الموقوف، أي وضعوا علامة على وجهه ليعلم أنه حبيس.

(٣) العبارة تهكم. وفي الأصول: «استحق أن يسكر».

(٤) المنيف: المرتفع. والمشيد: ما طلي بالجص ونحوه.

(٥) الزكرة، بالضم: زقيق للشراب. وفي الأصول: «ذكرتي» بالذال المعجمة، تحريف.

(٦) الغرير: من لا تجربة له.

(٧) السوام: الإبل الراعية.

(٨) الزور: الزائر، ويطلق كذلك على الزوّار والزائرين.

(٩) الحباري: طائر للذكر والأنثى والواحد والجمع وألفه للتأنيث. والقدير بفتح القاف وكسر الدال: ما يطبخ في القدر. والرخص: اللين.

وكـــرامــــاً معــــذَّليـــــن وبيضـــــاً خلعــــوا العُـــذْر يسحبــون البُـــرودا[1]

لســـتُ عـــن ذا بمُقْصِـــرٍ مـــا جـزائـي قـــرِّبــت لــي كـــريمـــةٌ عنقـــودا[2]

شعره في الأفشين وهو غلام أمرد

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيد المبرد، قال: نظر عبد الصمد بن المعذَّل إلى الأفشين بِسُرَّ من رأى وهو غلامٌ أمرد، وكان من أحسن الناس، وهو واقفٌ على بابِ الخليفة مع أولاد القوّاد، فأنشدنا لنفسه فيه، قال:

أيهـــا الـــلاحِظِـــي بطـــرفٍ كليـــلِ هـــل إلـــى الـــوصـــل بيننـــا مِـــن سبيـــلِ

عِلـــــم الله أننــــــي أتمنـــــى زورةً منـــك عنـــد وقـــتِ المقِيـــلِ

بعـد مـا قـد غـدوتَ فـي القُـرْطُـق الجَـو نِ تَهـادَى وفـي الحسـام الصقِيـل[3]

وتكفَّيـــتَ فـــي المـــواكـــب تختـــا ل عليهـــا تميـــل كـــلَّ مَميـــل[4]

وأطلـــتَ الـــوقـــوف منـــك بِبـــا بِ القصـــر تلهـــو بكـــلِّ قـــال وقيـــل

وتحـــدّثـــتَ فـــي مطـــاردة الصَّيـــد بخبـــرٍ بِـــهِ ورأى أصيـــل[5]

[٢٤٨/١٣] / ثـــمَّ نـــازعـــتَ فـــي السنـــان وفـــي الـــرمـــح وعلـــم بمـــرهَفـــات النصـــول[6]

وتكلَّمـــتَ فـــي الطِّـــراد وفـــي الطَّعـــن ووثـــبٍ علـــى صِعـــابِ الخيـــولِ[7]

فـــإذا مـــا تفـــرّقَ القـــومَ أقبلـــتَ كـــريحـــانـــةٍ دنَـــتْ لـــذبـــول

قـــد كســـاك الغبـــارُ منـــه رِداءً فـــوقَ صُـــدغ وجَفـــنِ طـــرفٍ كحِيـــل

ويـــدتْ وُردةُ القَســـامـــة مـــن خَـــدِّكَ فـــي مُشـــرقٍ نقـــي أسيـــل[8]

تـــرشَـــح المســـكَ منـــه ســـالفـــةُ الظبْـــي وجيـــدُ الأُدمـــانـــة العطبـــول[9]

فـــأســـوف الغبـــار ســـاعـــة ألقـــاك بـــرشـــفِ الخـــدّيـــن والتقبيـــل[10]

وأحُـــلُّ القَبَـــاء والسَّيـــف مـــن خَصـــرِكَ رِفقـــاً بـــاللُّطـــف والتعليـــل[11]

ثـــم تُـــؤتـــى بمـــا هـــويـــتَ مـــن التَّشـــريـــفِ عنـــدي والبـــر والتبجيـــل

---

(١) المعذل: من يعذل كثيراً لإفراط جوده. وفي الأصول: «معذلين». والعذر مع تسكين الذال للشعر: جمع العذار، وهو من اللجام ما سال على خدّ الفرس. كناية عن عدم الحياء.

(٢) في الأصل: «لما قربت».

(٣) القرطق: القباء، معرب كرته. والجون بفتح الجيم: الأبيض والأسود، من الأضداد.

(٤) تكفيت: أي تكفأت وتمايلت.

(٥) الخبر، بالضم والكسر: العلم بالشيء. في الأصول: «بخبرية».

(٦) في حـ: «في السنان وفي الدرع».

(٧) الطراد: مزاولة الصيد.

(٨) الوردة، بالضم: الحمرة. والقسامة: الحسن. وفي الأصول: «اليشامة».

(٩) السالفة: ما تقدّم من العنق. والأدمانة، بالضم: الشديدة السمرة. والعطبول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

(١٠) السوف: الشم.

(١١) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب، وقيل يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه. والتعليل: يقال علله بطعام وغيره، إذا شغله.

ثم أجلوكَ كالعروسِ على الشَّر ... بِ تَهادَى في مُجْسَدٍ مصقولِ[1]

ثم أسقيك بعد شربيَ مِنْ رِيـ ... ـقِك كأساً من الرحيق الشمول[2]

وأغنّيك إن هَويتَ غِناءً ... غيرَ مستكرَهٍ ولا مملولِ

لا يزال الخَلخال فوق الحشايا ... مثل أثناء حيةٍ مقتول

/ فإذا ارتاحت النفوسُ اشتياقاً ... وتمنّى الخَليلُ قربَ الخليـ

ـلِ كان ما كان بيننا، لا أسمّيـ ... ـهِ ولكنّه شفاءُ الغليل

٦٨/١٢

/ **شعره في متيم وما جرى بينه وبين ابن أكثم بسبب ذلك**

[٢٤٩/١٣]

أخبرني أحمدُ بن عبيدِ الله بنِ عمار، قال: حدثني الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ والمبرّد وغيرهما، قالوا:

كانت مُتَيّم جاريةً لبعضِ وجوه أهل البصرة، فعلقها عبد الصَّمد بن المعذَّل، وكانت لا تخرج إلا مُنْتَقِبَةً، فخرج عبد الصمد يوماً إلى نزهةٍ، وقدمت متيّمُ إلى عبيدِ الله بنِ الحسنِ بن أبي الحرّ القاضي، فاحتاج إلى أن يُشهد عليها، فأمرها بأن تُسفِر، فلما قدم عبد الصمد قيل له: لو رأيتَ مُتيّمَ وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم يُرَ مثله. فقال عبد الصمد قوله:

ولما سَرَت عنها القناعَ متيمٌ ... تَروَّحَ منها العنبريُّ متيَّما

رأى ابنُ عبيدِ الله مُحَكَّمٌ ... عليها لها طَرفاً عليه محكَّما

وكان قديماً كالحَ الوجهِ عابساً ... فلما رأى منها السفورَ تبسَّما

فإنْ يَصْبُ قلبُ العنبريِّ فقبلَه ... صبا باليتامى قلبُ يحيى بنِ أكثما

فبلغ قولُه يحيى بنَ أكثم، فكتب إليه: عليك لعنة الله، أيّ شيء أردت منّي حتى أتاني شِعرك مِن البصرة؟ فقال لِرسوله: قل له: متيّمُ أقعدَتْك على طريق القافية!

هجاؤه لأخيه أحمد بن المعذل

أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني عبد الله بن أحمد العبديّ، قال: حدثني الأنِيسيّ، قال:

كنت عِند إسحاق بن إبراهيم وزاره أحمدُ بن المعذَّل، وكان خرج من البصرة على أن يغزو، فلما دخل على إسحاق بنِ إبراهيم أنشده:

أفضلتَ نُعمي على قومٍ رعيت لهم ... حقاً قديماً من الودّ الذي دَرَسا[3]

/ وحرمةَ القصدِ بالآمال إنّهمُ ... أتَوا سواكَ فما لاقَوا به أنَسا

[٢٥٠/١٣]

لأنت أكرمُ منه عند رفعته ... قولاً وفعلاً وأخلاقاً ومُغتَرسا[4]

---

(١) المجسد: الثوب المعصفر بالزعفران.

(٢) الشمول: الباردة.

(٣) درس: عفت آثاره وزالت معالمه لقدمه.

(٤) المغترس: عنى به الأصل.

فأمر له بخمسمائة دينارٍ، فقبضها ورجع إلى البصرة، وكان خرج عنها ليجاور في الثَّغر، وبلغ عبدَ الصمد خبرُه، فقال فيه:

يُرى الغزاةَ بأنّ الله هِمّتُه ... وإنما كان يَغزو كيسَ إسحاقِ
فباع زُهداً ثواباً لا نَفادَ له ... وأبتاعَ عاجلَ رِفدِ القوم بالباقي (١)

صلة إسحاق بن إبراهيم لعبد الصمد

فبلغ إسحاق بن إبراهيم قوله، فقال: قد مسّنا أبو السمّ عبدُ الصمد بشيءٍ من هجائه. وبعث إليه بمائة دينار، فقال له موسى بن صالح: أبَى الأميرُ إلاّ كرماً وظَرْفاً.

هجاؤه لأبي نبقة

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ، قال: حدثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ، قال: حدثني الحسن الأسدي، قال:

قدم أبو نبقةَ من البحرين وقد أهدى إلى قوم من أهل البصرة هداياه، ولم يُهدِ إلى عبد الصَّمد شيئاً فكتب إليه:

أما كان في قَسْب اليمامةِ والتمر ... وفي أدَمِ البحرين والنَّبِق الصُّفر (٢)
ولا في مناديل قَسَمْتَ طريفَها ... وأهديتَها حَظٌّ لنا يا أبا بكر
سَرَتْ نحو أقوامٍ فلا هَنَأتْهُمُ ... ولم ينتصف منها المُقِلُّ ولا المثري
أأنتَ إلى طالوتَ ذِي الوفرِ والغنى ... وآلِ أبي حرب ذوي النَّشْب الدثْر (٣)
/ ولم تأتِني ولا الرياشيَّ تمرةٌ ... غَصِصتَ بباقي ما أدّخرتَ من التمر (٤)
ولم يُعطَ منها النهشليُّ إداوةً ... تكون له في القَيظِ ذُخراً مَدَى الدهر (٥)
أقول لفتيانٍ طويتُ لطيّهم ... عُرَى البيد، منشورَ المخافةِ والذعر (٦)
لئن حُكِّم السدريُّ بالعدل فيكم ... لما أنصف السدريُّ في ثَمَر السدرِ
لئن لم تكنْ عيناك عذرَك لم تكن ... لدينا بمحمودٍ ولا ظاهرِ العذرِ

[٢٥١/١٣]
٦٩
١٢

هجاؤه يزيد المهلبي ونسبه إلى الشؤم

أخبرنا الحسن بن عُليلٍ، قال: حدثنا أحمد بن يزيدَ المهلبي، قال:

وقع بين أبي وبين عبد الصمد بن المعذل تباعُدٌ، فهجاه ونسبه إلى الشؤم، وكان يقال ذلك في عبد الصمد، فقال فيه:

يقول ذوو التَّشؤُّم ما لقينا ... كما لقي ابن سهلٍ من يَزيدِ

---

(١) الرفد: العطاء.

(٢) القسب: التمر اليابس. والأدم جمع أديم، وهو الجلد. والنبق: حمل شجر الدر، الواحدة نبقة.

(٣) أأنت بهمزة الاستفهام أي أنتسب إلى طالوت ذي الوفر. والنشب: المال الأصيل من الناطق والصامت. والدثر بالفتح: المال الكثير، لا يثنى ولا يجمع، وقيل هو الكثير من كل شيء.

(٤) غص بالماء والطعام: اعترض في حلقه شيء ومنعه من التنفس.

(٥) الإداوة: إناء يتطهر به. وفي الأصول: «من الدهر».

(٦) طيهم: نيتهم التي انتووها.

أتتـه منيّـةُ المـأمـونِ لمّـا ... أتـاه يـزيـدُ مـن بلـدٍ بعيـدِ
فصيّـر منـه عسكـرَه خـلاءً ... وفـرّق عنـه أفـواجَ الجنـودِ
فقلـت لهـم وكـم مشؤوم قـوم ... أبـادَ لهـم عَـديـداً مـن عـديـدِ
رأيـتَ ابـنَ المعـذّلِ يـالَ عمـرو ... بشُـؤم كـان أسـرعَ فـي سعيـد
فمنـه مـوتُ جِلَّـةِ آل سَلـم ... ومنـه قـض آجـامِ البـريـد[1]
ولـم ينـزل بـدارٍ ثـم يمسـي ... ولمّـا يستمـعْ لَطْـمَ الخـدود
وكـلُّ مـديـح قـومٍ قـال فيهـم ... فـإنّ بعَقْبـه «يـا عيـنُ جـودي»
إذا رجـلٌ تسمَّـع منـه مـدحـاً ... تنسَّـمَ منـه رائحـةَ الصعيـد[2]
/ فلـو حصـف الـذيـن يُبيـح فيهـم ... أثـاروا منـه رائحـة الطـريـد[3]
فليـس العـزُّ يمنـع منـه شـؤمـاً ... ولا عتبـاً بـأبـواب الحـديـد[4]

[٢٥٢/١٣]

هجاؤه لأخيه أحمد

حدثني الأخفش، قال: حدثنا المبرد، قال:

مرّ أحمد بن المعذلِ بأخيه عبدِ الصمدِ وهو يَخطِر، فأنشأ يقول:

إن هـذا يَـرَى أرَى ... أنّـه ابـن المهلَّـبِ
أنـت والله مُعْجِـبٌ ... ولنـا غيـر مُعْجِـب

شعره في غلام له يدعى المغيرة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا أبي وغيره، وحدثني به بعض آل المعذّل، قال:

مرّ عبد الصمد بن المعذل بغلام يقال له: المغيرةُ، حسنِ الصوتِ حسن الوجهِ، وهو يقرأ ويقول القصائد، فأعجب به، وقال فيه:

أيهـا الـرافـع فـي المسـ ... ـجد بـالصّـوتِ العَقيـره
قتلَتنـي عينُـك النّجـ ... ـلاءُ، والقتـلُ كبيـره
أيُّهـا الحكـام أنتـمْ ... فـاصِلُـو حُكـمِ العشيـره
أحَـلالٌ مـا بقلبـي ... صنعـت عينـا مُغيـره

قصيدة له في صفة الحمى

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا زكريا بن مهران بن يحيى، قال:

---

(١) القض: الهدم. وفي جميع الأصول: «قبض» ولعل الصواب ما أثبتنا. والآجام: الحصون.
(٢) الصعيد: القبر.
(٣) الحصف: الإقصاء والطرد. أثاروا: هيجوا. والطريد: ما يطرد.
(٤) العتب: جمع عتبة، وهي أسكفة الباب وما يدور عليه، وقد عنى عتب أبواب السجون.

[١٣/٢٥٣] / جاءنا عبد الصمد بن المعذَّل إلى منزل محمد بن عمر الجرجرائيّ، فأنشدَنا قصيدةً له في صفة الحُمَّى، فقال لي محمد بن عمر: أمضِ إلى منزلِ عبد الصمد حتى تكتبها. فمضيت إليه حتى كتبتها، / وهي: [٧٥/١٢]

هجــرتُ الصِّبــا ايَّمــا هَجْــره وعِفــت الغَــوانِــيَ والخمــره

طــوتنــي عــن وصلهــا سكــره بكــأس الضّنــا ايَّمــا سَكــره

هجاؤه لأبي تمام

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثنا ابنُ مهرويه، قال: حدثني عبد الله بن يزيد الكاتب، قال:

جَمَعَ بين أبي تمّام الطائيّ وبين عبد الصمد بن المعذّل مجلسٌ، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر، وكان في أبي تمام إبطاء، فأخذَ عبدُ الصمد القرطاس وكتب فيه:

أنــت بيــن اثنتيــن تبــرُزُ للنــا س، وكلتــاهمــا بــوجــهٍ مُــذال[١]

لســت تنفَــكُّ طــالبــاً لــوصــلٍ مــن حبيــبٍ أو طــالبــاً لنــوال

أي مــاء لِحَــرّ وجهــك يبقــى بيــن ذُلّ الهــوى وذل الســؤال

هجاء أبي تمام له

قال: فأخذ أبو تمامٍ القرطاسَ وخلا طويلاً، وجاء به وقد كتب فيه:

أفــيَ تنظِــمُ قــولَ الــزُّور والفَنَــدِ وأنــت أنْــزَرُ مــن لا شَــيءَ فــي العــدِدِ[٢]

أشــرَجْتَ قلبــك مِــن بُغضــي علــى حُــرَق كــأنّهــا حَــركــاتُ أرْوح فــي الجســد[٣]

نقد عبد الصمد لأبي تمام

فقال له عبد الصمد: يا ماصّ بَظْرِ أمّه، يا غثّ، أخبرْني عن قولِك «أنزر من لا شيء»، واخبرني عن قولك «اشرجتَ قلبك»، قلبي مِفرشٌ أو عَيبة[٤] أو خُرجٌ / فأُشرِجَه، عليك لعنة الله فما رأيت أغثَّ منك. فانقطع أبو تمامٍ انقطاعاً ما يرى أقبحُ منه، وقام فانصرف، وما راجَعَه بحرف. [١٣/٢٥٤]

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان في ابن مهرويه تحاملٌ على أبي تمّامٍ لا يضرُّ أبا تمامٍ هذا منه، وما أقلَّ ما يقدح مثلُ هذا في مثل أبي تمام.

هجاء عبد الصمد لرجل من ولد جعفر

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعي، قال: حدثني الْعَنَزِي، قال:

كان عبد الصمد بن المعذَّل يستثقِل رجلاً من ولدِ جعفر بن سليمان بن عليّ يعرف بالفَرّاش، وكان له ابنٌ أثقلُ منه، وكانا يفطران عند المنذر بن عمرو ـ وكان يخلفُ بعضَ أمراء البصرة ـ وكان الفرّاش هذا يصلّي به، ثم يجلس فيفطرُ هو وابنه عندَه، فلما مَضَى شهرُ رمضان انقطع ذلك عنهما، فقال عبد الصمد بن المعذَّل:

غَــدَرَ الــزمــان وليتَــه لــم يَغْــدر وحَــدَا بشهــر الصــومِ فطــرُ المفطــرِ

---

(١) المذل: المهان، أذاله: أهانه.

(٢) الفند: الكذب.

(٣) أشرجت العيبة: شددتها بخيط أو نخره. وفي حـ بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٤) العيبة: الحقيبة من جلد: وما يوضع فيه الثياب.

وثــوَتْ بقلبــك يــا محمّــدُ لــوعــةٌ ... تَمْــري بــوادرَ دمعِــك المتحــدّرِ (١)
وتقسمتــــك صبــــابتــــان لِبينِــــه ... أســفُ المَشُــوق وخَلَّــة المتفكــرِ (٢)
فــاستبــق عينــك واحــشُ قلبَــكَ يــأســه ... واقْــرَ الســلامَ علــى خُــوان المنْــذر
سَقيــاً لــدهــرك إذ تَــروَّحَ يــومُــه ... والشّمــسُ فــي عَليــاءَ لــم تتهــوّرِ (٣)
حتّــى تُنِيــخَ بكلكــل متــزاورٍ ... وتَمَــد بُلعــومــاً قَمُــوصَ الحنجــرِ (٤)
/ وتَــرُود منــك علــى الخُــوان أنــامــلٌ ... تَــدَع الخــوانَ ســرابَ قــاعٍ مقفــرِ (٥) [٢٥٥/١٣]
وَيَسح الصِّحــافِ مــن ابــن فَــرّاش إذا ... أنْحَــى عليهــا كــالهِــزَبْــر الهَيْصَــرِ (٦)
ذو دُرْبَــة طَــبٌّ إذا لمعَــتْ لــه ... بُشْــرُ الخــوان بَــدَا بخَــلِّ المنــزرِ (٧)
ودَّ ابــنُ فَــرّاش وفــرّاشٌ معــاً ... لــو أنَّ شهــرَ الصــوم مــدّةُ أشهــرِ
يُــزرِي علــى الإســلامِ قِلّــةَ صبــره ... وتــراه يَحْمــد عِــدّة الْمُــتَنَصِّــرِ
/ لا تَهلِكــنَّ علــى الصِّيــام صبــابــةً ... سيعــود شهــرُك قــابــلاً فــاستبشــر [٧١/١٢]
لا درّ دَرُّك يــا محمّــدُ مــن فتــى ... شَيــنِ المغيــب وغيــرِ زَيــنِ المَحْضَــرِ

هجاءه ليزيد المهلبي

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد البصريّ وكان جاراً لعبد الصمد بن المعذَّل، قال:
كان يزيد بن محمد المهلبيّ يُعادي عبد الصمد ويهاجيه ويسابُّه، ويرمي كلُّ واحد منهما صاحبه بالشؤم، وكان يزيد بالبصرة وأبوه يتولّى نهر تيرى ونواحيها، فقال عبد الصمد يهجوه:

أبــوك أميــرُ قــريــةِ نهــر تيــرى ... ولســتَ علــى نســائــك بــالأميــرِ
وأرزاقُ العبــاد علــى آلــه ... لهــم وعليــك أرزاقُ الأيــور
فكــم فــي رزق ربــك مــن فقيــرٍ ... ومــا فــي أهــل رزقــك مــن فقيــرِ (٨)

/ شعره في علي بن عيسى وقد شرب الدهن [٢٥٦/١٣]

أخبرني محمد بن خلفِ بنِ المرزبانِ، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن، قال: حدثني أحمد بن منصور، قال:

---

(١) تمري: تستدر.
(٢) الخلة: الخصلة. وفي كل الأصول بالحاء المهملة.
(٣) تروح: راح وانقضى. لم تهور: لم تسقط.
(٤) المتزاور: المنحرف. القموص: السريع. وفي «اللسان»: «يقال للكذاب: إنه لقموص الحنجرة».
(٥) السراب: ما تراه نصف النّهار كأنه ماء.
(٦) الهيصر: الأسد يفترس ويكسر ويميل.
(٧) الطب: الخبير. بشر الخوان بضمتين، جمع بشير، أخذه من قول أعشى باهلة:

كــأنــه بعــد صــدق القــوم أنفسهــم ... بــاليــأس تلمــع مــن قــدامــه البشــر

انظر «الخزانة» (١: ٩٦). وفي الأصول: «نشر الخوان» تحريف. وفي الأصول أيضاً: «بدار بخل المتزر»، والوجه ما أثبتناه.
(٨) في الأصول: «فكم من رزق».

شرب علي بن عيسى بنِ جعفر وهو أمير البصرة الدُّهن، فدخل إليه عبدُ الصَّمَد بن المعذَّل بعد خروجه عنه، فأنشده قوله:

بـأيمـنِ طـائـرٍ وأسـرَ فـالِ ... وأعلـى رُتبـةٍ وأجَـلِّ حـالِ[1]

شـربـتَ الـدهـنَ ثـم خـرجـتَ عنـه ... خـروج المشـرفـيِّ مـن الصقـال

تكشَّـفَ عنـك مـا عـانَيْـتَ عنـه ... كمـا انكشـف الغمـامُ عـن الهـلال[2]

وقـد أهـديـتُ ريحـانـاً طـريفـاً ... بـه حـاجيـتُ مستمِعًـا سـؤالـي[3]

ومـا هـو غيـرَ يـاءٍ بعـد حـاء ... وقـد سبقـا بميـم قبـل دال[4]

وريحـانُ الشبـاب يعيـش يـومـاً ... وليـس يمـوت ريحـانُ المقـال

ولـم يـك مـؤثـراً تُفّـاحَ شـمٍّ ... علـى تفّـاحِ أسمـاع الـرجـال

جوابه بالشعر عن رقعة رفعت إلى الإسكافي

أخبرني[5] جحظة، قال: حدثني ميمون بن مِهران[6]، قال: حدثني أحمد بن المغيرة العجليُّ، قال: كنت عند أبي سهل الإسكافيّ وعنده عبد الصمد بن المعذَّل، فرفع إليه رجلٌ رقعة، فقرأها فإذا فيها:

هـذا الـرحيـلُ فهـل فـي حـاجتـي نظـرٌ ... أو لا فـأعْلَـمَ مـا آتـي ومـا أذَرُ

[٢٥٧/١٣] / فدفَعها إلى عبد الصمد، وقال: الجواب عليك. فكتب فيها:

النفـس تسخـو ولكـن يمنـع العُسُـرُ ... والحـرُّ يعـذِر مـن بِـالعسـر يعتـذر[7]

ثم قال عبد الصمد لعليّ بن سهل: هذا الجوابُ قولاً، وعليك أعزك الله الجوابُ فِعلاً، ونُجْحُ سَعْي الآمِلِ حقٌّ واجب على مثلك. فاستحيا وأمر للرجل بمائة دينار.

هجاؤه لابن أخيه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي وعلي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد الأزدي، قال: كان لابن المعذَّل ابنٌ[8] ثقيلٌ تيّاهٌ الذَّهاب بنفسه، وكان مُبغَضاً عند أهل البصرة، فمرّ يوماً بعمِّه عبد الصمد، فلما رآه قال لمن معه:

إن هـذا يَـرَى أرَى ... أنّـهُ ابـنُ المهلَّـبِ

أنـت واللهِ مُعْجِـبٌ ... ولنـا غيـر معجِـب

(١) أجل: أعظم. وفي الأصول: «أحل» بالمهملة.
(٢) في الأصول: «ما عاينت».
(٣) حاجيت، هي في الأصول: «جاثيت».
(٤) أراد «مدحي». وفي الأصول: «بعد دال».
(٥) أخبرني ساقطة من حـ.
(٦) في حـ: «هارون».
(٧) بالعسر هي في حـ: «بالصدق».
(٨) يعني ابن أخيه أحمد بن المعذل. وقد مضى أن الهجاء في أحمد بن المعذل لا ابنه.

قال: وقال فيه أيضاً:

/ لو كان يُعطَى المُنَى الأعمامُ في ابن أخٍ ... أصبحتَ في جوف قُرقورٍ إلى الصين[١]

قد كان همًّا طويلاً لا يقامُ له ... لو كان رؤيتُنا إياك في الحينِ

فكيفَ بالصَّبر إذْ أصبحتَ أكثَرَ في ... مجال أعيننا من رملِ يَبرين[٢]

يا أبغَضَ النّاسِ في عُسْرٍ ومَيْسَرةٍ ... وأقذَرَ الناس في دُنْيا وفي دين

لو شاء ربِّي لأضحَى واهباً لأخي ... بمُدٍّ ثُكلِكَ أجراً غيرَ ممنون

/ وكان خيراً له لو كان مؤتزرا ... في السّالِفات على غُرْمول عِنِّين[٣]

وقائلٍ ليَ ما أضناكَ قلتُ له ... شخصٌ ترى وجهَه عيني فيُضنيني

إن القلوبَ لتُطوَى منك يا ابن أخي ... إذا رأتك على مثل السّكاكينِ

٧٢/١٢ [٢٥٨/١٣]

صوت

أتتك العيسُ تنفُخ في بُراها ... تَكَشَّفُ عن مناكبها القطوع[٤]

بأبيضَ مِن أميةَ مَضرِحيٍّ ... كأن جَبينَه سيفٌ صَنيعُ[٥]

الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، والغناء لابن المهربد[٦]، رمل بالبِنصر عن الهشامي. والله أعلم.

---

(١) القرقور: ضرب من السفن عظيم طويل.

(٢) يبرين: موضع من أصقاع البحرين، رمله موصوف بالكثرة.

(٣) الغرمول: الذكر أو الضخم الرخو.

(٤) العيس: النوق البيض يخالط بياضها شقرة. والبرى: جمع برة بضم ففتح، وهي حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل في أنف البعير. والقطوع بضم القاف: جمع قطع بالكسر، وهو الطنفسة تكون تحت الرحل على كتفي البعير.

(٥) المضرحي: السيد الكريم، والأبيض من كل شيء. والصنيع: السيف المجرب المجلوّ.

(٦) في حـ: «الهربد».

[٢٥٩/١٣]

/ أخبار عبد الرحمن ونسبه

هو عبد الرحمن بنِ الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد منافٍ. وأمّه أمّ أخيه مروان، آمنة بنت صفوان بنِ أمية بنِ محرِّث بنِ شِق بنِ رقبة بن مخدج من بني كِنانة. ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف، شاعر إسلامي متوسِّط الحال[١] في شعراءِ زمانه، وكانِ يهاجِي عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت فيقاومُه وينتصِفُ كلُّ واحدٍ منهما من صاحبه.

خبر قدومه على معاوية معاتباً لعزله أخاه مروان

أخبرني محمد بن العبّاس العسكريُّ قال: حدثنا الحسن بن عَلَيل العَنَزيّ، عن العمريّ، عن العتبيّ والهيثم بن عديّ، عن صالح بن حسان.

وأخبرني به عمي عن الكراني، عن العمريّ، عن الهيثم، عن صالح بن حسانٍ قال:

قدِمَ عبدُ الرحمن بن الحكم على معاوية بن أبي سفيان، وقد عزل أخاه مروان عن الحجاز وولّى سعيد بن العاص، وكان مروانُ وجَّه به وقال له: القَه أمامي فعاتبْه لي واستصلِحْه. وقال عُمي[٢] في خبره: كان عبد الرحمن بدِمشق، فلما بلغه خبرُ أخيه خرج إليه فتلقّاه، وقال له: أقِمْ حتى أدخل إلى الرجل، فإن كانَ عَزَلَك عن موجِدة دخلتُ إليه منفرداً. وإن كان عن غير مَوجِدة دخلت إليه مع الناس. قال: فأقام مروانُ ومضى عبد الرحمن أمامَه، فلما قدم عليه دخَلَ إليه وهو يعشِّي الناس، فأنشأ يقول:

أتتـك العِيـسُ تنفُـخ فـي بُـراهـا ... تَكشَّـفُ عـن منـاكبهـا القُطـوعُ

بـأبيـضَ مـن أمَيَّـة مضـرِحـيٍّ ... كـأنَّ جبينـه سَيـفٌ صنيـعُ

[٢٦٠/١٣] / فقال معاوية: أزائراً جئت أم مُفاخراً أم مُكاثراً؟ فقال: أيّ ذلك شئتَ. فقال له: ما أشاء من ذلك شيئاً[٣]، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذي عنّ له، فقال: على أيِّ الظهر أتيتنا؟ قال: / على فرسي. قال: وما صِفته؟ قال: أجشُّ هزيم»، يعرِّض بقول النَّجاشي له: ٧٣/١٢

ونجّـى ابـن حـربٍ سـابـحٌ ذو عُـلالـة ... أجَـشٌ هـزيـم والـرمـاحُ دوانـي[٤]

إذا خلَّـتَ أطـرافَ الـرِّمـاح تنـالُـه ... مَـرَتْـه بـه السَّـاقـانِ والقـدمـانِ[٥]

قدوم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية مغاضباً

فغضب معاوية، وقال: أمَا إنَّه لا يركَبه صاحبُه في الظُّلَم إلى الرِّيَبِ، ولا هو ممَّن يتسوّر على جاراته ولا

---

(١) في حـ: «متوسط المحل».

(٢) في الأصول: «عمر».

(٣) شيئاً، ساقطة في حـ.

(٤) السابح: الفرس السريع، كأنه يسبح بيديه. والعلالة: البقية من السير ومن كل شيء. والأجش: الغليظ الصوت من الإنسان ومن الخيل ومن الرعد وغيره. والهزيم: الفرس الشديد الصوت.

(٥) مرته: استدرت جريه.

يتوثّب على كنائنه[1] بعد هجعة الناس ـ وكان عبد الرحن يُتهم بذلك في امرأة أخيه ـ فخجل عبدُ الرحمن وقال: يا أمير المؤمنين، وما حَمَلك على عزل ابن عمِّك، ألجنايةٍ أوجَبَتْ سُخطاً، أم لرأيٍ رأيتَه، وتدبيرٍ استصلحتَه؟ قال: لتدبير استصلحتُه. قال: فلا بأس بذلك، وخَرج من عنده فلقي أخاه مروان، فأخبره بما جَرَى بينه وبين معاوية، فاستشاط غيظاً، وقال لعبد الرحمن: قَبَحَك الله، ما أضعفَك، أعرَضْتَ للرجل بما أغضبَه حتى إذا انتصفَ منك أحجمتَ عنه؟ ثم لَبِسَ حُلّته، وركبَ فرسَه، وتقلّدَ سيفَه، ودخل على معاوية، فقال له حين رآه وتبيَّنَ الغضبَ في وجهه: مرحباً بأبي عبد الملك، لقد زُرتَنا عند اشتياقٍ منّا إليك. قال: لاهَا[2] الله ما زرتُك لذلك، ولا قدمتُ عليك فألفيتك إلاّ عاقّاً قاطعاً، والله / ما أنصفتَنا ولا جَزَيْتَنا جزاءنا. لقد كانت السابقةُ من بني عبد شمس لآلِ أبي العاص، [٢٦١/١٣] والصِّهر برسول الله ﷺ لهم، والخلافةُ فيهم، فوصلوكم يا بني حرب وشرَّفوكم، وولَّوكم فما عزلُوكم ولا آثَرُوا عليكم، حتّى إذا وُلِّيتم وأفضَى الأمرُ إليكم، أبيتم إلا أثَرَة وسوءَ صنيعة، وقُبْحَ قطيعة، فرُويداً رُويداً، قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نَيِّفاً وعشرين، وإنما هي أيامٌ قلائل حتى يُكمِلوا أربعين ويعلم امرؤٌ أين يكون منهم حينئذٍ، ثم هم للجزاء بالحُسنى وبالسوء بالمرصاد.

قال عُمي في خبره: فقال له معاوية: عزلتُك لثلاثٍ لو لم يكنْ منهنّ إلاّ واحدةٌ لأوجَبْت عزلَك: إحداهنّ إنّي أمَّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما، فلم تستطعْ أن تشتفيَ منه. والثانية كراهتُك لأمرِ زياد. والثالثة أن ابنتي رَملةَ استعدَتك[3] على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعدِها[4]. فقال له مروان: أما ابن عامرٍ فإنّي لا أنتصر في سلطاني، ولكن إذا تساوت الأقدامُ علم أين موقعُه. وأمّا كراهتي أمرَ زياد فإنّ سائر بني أمية كرهوه، ثم جعل الله لنا في ذلك الكُره خيراً كثيراً. وأما استعداء رملةَ على عمرو فوالله إنّي لتأتي عليَّ سنةٌ أو أكثرُ وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوباً ـ يعرِّض بأن رملة إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح ـ فقال له معاوية: يا ابن الوزَغ[5]، لستَ هناك. فقال له مروان: هو ذاك الآن، والله إني لأبو عَشَرة وأخو عشرة وعمُّ عشرة، وقد كاد ولدي أن يُكملوا العِدّة ـ يعني أربعين ـ ولو قد بلغوها لعلمتَ أين تقع منّي! فانخزل معاوية ثم قال:

/ فــإن آكُ فـــي شِــرارِكُــم قليــلاً ... فــإنّــي فــي خيــارِكُــم كثيــرُ [٢٦٢/١٣]

بُغــاثُ الطَّيــرِ أكثــرُهـــا فِــراخــاً ... وأمُّ الصَّقــــرِ مِقْـــلاتٌ نَـــزورُ[6]

قال: فما فرغَ مروانُ من كلامه حتى استخذى معاويةُ في يده وخَضَع له، وقال: لك العُتبى[7]، وأنا رادُّك إلى عملك. فوثب مروان وقال له: كَلاَّ والله وعيشِك لا رأيتَني عائداً إليه أبداً. / وخرج، فقال الأحنف لمعاوية: ما رأيت لك قطُّ سَقطةً مِثلَها، ما هذا الخضوعُ لمروان؟ وأيُّ شيء يكون منه ومن بني أبيه إذا بلغوا أربعين؟ وأيّ شيءٍ تخشاه منهم؟ فقال له: ادن منّي أخبرْك بذلك. فدنا منه، فقال له: إنَّ الحكَم بن أبي العاص كان أحد مَن وفد مع أختي أمِّ حَبيبة[8] لما زُفّت إلى النبيّ ﷺ، وهو الذي تولّى نقلها إليه، فجعل رسول الله ﷺ يُحِدُّ النّظرَ إليه، فلما خَرَج من عنده قيل له: يا رسول الله، لقد أحدَدْتَ النَّظرَ إلى الحكم! فقال: «ابن المخزومية؟ ذلك رجلٌ إذا بلغ

٧٤/١٢

---

(١) كنائن: جمع كنة بفتح الكاف: امرأة الابن أو الأخ، وهو جمع نادر توهموا فيه «فعيلة» ونحوها، مما يجمع على فعائل.

(٢) ها، في مثل هذا الأسلوب للتنبيه دخلت على حرف القسم المحذوف، أو هي بدل من تاء القسم. انظر «مغني اللبيب» و «حاشية الأمير».

(٣) استعدتك: استغاثت بك واستنصرتك.

(٤) أعداه عليه: نصره وأعانه.

(٥) الوزغ: جمع وزغة: سام أبرص، سميت بها لخفتها وسرعة حركتها.

(٦) بغاث الطير: أضعفها. والمقلات: الناقة التي تضع واحداً ثم لا تحمل، والمرأة التي لا يعيش لها ولد. والنزور: القليلة النسل.

(٧) العتبى بالضم: الرضا.

(٨) أم حبيبة، هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، زوج الرسول ﷺ.

ولده ثلاثين ـ أو قال: أربعين ـ ملكوا الأمر بعدي». فوالله لقد تلقَّاها مَروانُ من عينٍ صافية. فقال له الأحنف: لا يسمعنَّ هذا أحدٌ منك، فإنَّك تضع من قَدْرك وقدرِ ولدِك بعدَك، وإنْ يَقضِ الله عزّ وجل أمراً يكنْ. فقال له معاوية: فاكتُمْها عليّ يا أبا بحر إذاً، فقد لعمري صدَقْتَ ونصحت.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال، حدثنا عُمَر بن شبة قال: حدثني يعقوب بن القاسم الطَّلْحي قال: حدثني ثِمالٌ عن أيوب بن دِرْباسِ بن دَجاجة قال:

[١٣/٢٦٣] / شخص مروان بن الحكم ومعه أخوه عبد الرحمن، إلى معاوية، ثم ذكر نحواً من الحديث الأول، ولم يَذكُرْ فيه مخاطبةَ معاوية في أمرهم للأحنف، وزاد فيه: فقال عبد الرحمن في ذلك:

أتَقطُرُ آفاقُ السماءِ له دماً ... إذا قيل هذا الطِّرْفُ أجردُ سابحُ [١]

فحتَّى متَى لا نَرفعُ الطَّرْفَ ذِلَّةً ... وحتَّى متى تعيا عليك المنادحُ [٢]

بكاء عبد الرحمن حين رأى رأس الحسين وما قال في ذلك

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعيد قال: حدثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه، قال:

كان عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي عند يزيد بنِ معاوية، وقد بعث إليه عُبيد الله بن زِياد برأس الحسين بن عليّ ـ عليهما السلام ـ فلما وضِع بين يدي يزيد في الطَّشت بكى عبد الرحمن ثم قال:

أبلغْ أميرَ المؤمنين فلا تكُنْ ... كمُوترِ أقواسٍ وليس لها نَبْلُ [٣]

لَهامٌ بجنب الطَّفِّ أدنى قرابةً ... مِن ابن زيادِ الوغدِ ذي الحسبِ الرذلِ [٤]

سُمَيَّةُ أمسَى نسلُها عَدَدَ الحصَى ... وبنتُ رسولِ الله ليس لها نسلُ

[١٣/٢٦٤] / فصاح به يزيد: اسكتْ يا ابن الحمقاء، وما أنت وهذا؟!

بكاء ابن عباس لما حدث بين الأمويين والعباسيين

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبَّةَ قال: حدثني هارون بن معروف قال: حدثنا بشر بن السري قال: حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مليكة قال: رأيتهم ـ يعني بني أميَّة ـ يتتايَعُون[٥] نحو ابن عبّاس حين نفى ابنُ الزبير بني أمية عن الحجاز، فذهبتُ معهم وأنا غلامٌ، فلقينا رجلاً خارجاً من عندِه، فدخلْنا عليه، فقال له عُبيد بن عُمير، مالي أراك تذرِف عيناك؟ فقال له: إن هذا ـ يعني عبد الرحمن بن الحكم ـ قال بيتاً أبكاني، وهو:

وما كنت أخشَى أن تَرى الذلَّ نِسوتي ... وعبدُ منافٍ لم تَغُلْها الغوائلُ

فذكر قرابةَ بيننا وبين بني عمِّنا بني أمية، وإنَّا إنّما كنّا أهلَ بيتٍ واحد في الجاهلية، حتّى جاء الإسلام فدخَلَ الشيطان بيننا أيَّما دخل.

---

(١) الطرف بالكسر: الكريم من الخيل كرم طرفاه، أي أبواه. والأجرد: القصير الشعر. والسابح: السريع الجري، كأنه يسبح بيديه.

(٢) تعيا عليك، أي تعييك وتعجزك. والمنادح: جمع مندوحة، وهو المتسع من الأرض.

(٣) أوتر القوس: شد وترها. والنبل: السهام لا واحد لها، أو واحدها نبلة، جمعه أنبال ونبال.

(٤) الهام: جمع هامة، عنى بهم القتلى من آل الرسول. والهامة: الرأس والشريف، أو هو انسياق مع ما كان يزعم العرب في جاهليتهم أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره تقول: اسقوني اسقوني! فإذا أدرك بثأره طارت. والطف: موضع قرب الكوفة كان به مقتل الحسين.

(٥) يتتايعون: يتهافتون ويسرعون في اللجاجة. وفي حـ بالباء الموحدة قبل العين.

ولوع عبد الرحمن بن الحكم بجارية مروان، وما قال في ذلك

أخبرني عمي قال: حدثنا الكرانيّ قال: / حدثنا العمريّ عن الهيثم قال: حدثني أخي عباسٌ: أنّ عبد الرحمن بن الحكم كان يُولَع بجاريةٍ لأخيه مروان يقال لها «شنْباء» ويهيم بمحبّتها، فبلغ ذلك مروان، فشتَمَه وتوعّده وتحفَّظَ منه في أمر الجارية وحَجَبها، فقال فيها عبد الرحمن: [٧٥/١٢]

لعَمْرُ أبي شنباء إنّي بذكرها ... وإن شَحَطَتْ دارٌ بها لحقيقُ[1]

وإنّي لها، لا ينزع الله ما لها ... عليّ وإن لم ترعه، لصديقُ

ولمّا ذكَرتُ الوصلَ قالت وأعرَضَتْ ... متى أنت عن هذا الحديث مُفيقُ

شعر عبد الرحمن في إدعاء معاوية لزياد وغضب معاوية عليه

/ أخبرني عمي قال: حدثنا الكُراني قال: حدثنا الخليل بنْ أسد عن العمري، ولم أسمعه من العُمريّ، عن الهيثم بن عَدِيّ قال: [٢٦٥/١٣]

لما ادّعى معاويةُ زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك ـ والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد، وذلك غلط ـ قال:

ألا أبلغ معاويةَ بنَ حربٍ ... مُغلغَلةً من الرجُلِ الهجانِ[2]

أتغضبُ أن يقالَ أبوك عفٌّ ... وترضى أن يقالَ أبوك زانِ

فأشهَدُ إن رِحْمَكَ من زيادٍ ... كرِحْمِ الفيلِ من وَلَدِ الأتانِ

وأشهدُ أنها ولدَتْ زياداً ... وصخرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ داني

فبلغ ذلك معاوية بن حرب، فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد، فخرج عبد الرحمن إلى زياد، فلما دخل عليه قال له: إيه[3] يا عبد الرحمن، أنت القائل:

ألا أبلغ معاويةَ بنَ حربٍ ... مُغلغَلةً من الرجُلِ الهجانِ

قال: لا أيُّها الأمير، ما هكذا قلت، ولكنّي قلت:

ألا من مبلغٌ عنّي زياداً ... مغلغلةً من الرّجُلِ الهجانِ

مِن ابن القَرمِ قرمَ بني قُصَيّ ... أبي العاصي بن آمنةَ الحصَانِ[4]

حلفتُ بربِّ مكّةَ والمصلّى ... وبالتّوراة أحلفُ والقُرآنِ

لأنت زيادةٌ في آل حرب ... أحبُّ إليَّ من وُسْطَى بناني

/ سُرِرتُ بقُربه وفرِحْتُ لمّا ... أتاني الله منهُ بالبيانِ [٢٦٦/١٣]

وقلتُ له أخو ثقةٍ وعمٌّ ... بعون الله في هذا الزمانِ[5]

كذاك أراكَ والأهواءُ شتّى ... فما أدري بغيبٍ ما تراني

---

(١) شحطت: بعدت.

(٢) المغلغلة: الرسالة تحمل من بلد إلى بلد. الهجان: الرجل الحسيب.

(٣) إيه بالكسر وتنون: كلمة استزادة.

(٤) القرم: السيد. الحصان، بالفتح: العفيفة المصونة.

(٥) في حـ: «إني أخو ثقة» وفي ش: «وقلت أخو ثقة» ولا يستقيم الوزن فيهما.

فرضيَ عنه زيادٌ، وكتب له بذلك إلى معاوية، فلما دخل عليه بالكتاب قال: أنشِدْني ما قلتَ لزياد. فأنشدَه، فتبسَّم ثم قال: قَبَح الله زياداً، ما أجْهَلَه، واللهِ لَمَا قلتَ له أخيراً حيث تقول:

* لأنت زيادةٌ في آل حربٍ *

شرٌّ من القول الأوّل، ولكنّكَ خدعتَه فجازت خديعتُك عليه.

هجاء عبد الرحمن لأخيه الحارث حين استعفى من الغزو

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عُمَر بن شبة قال: استعمل معاويةُ بن أبي سفيان الحارث بن الحكم بن أبي العاصي على غُزَاة البحر، فنكَص واستعفى، فوجَّه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان، فمضى وأبْلَى وحسُن بلاؤه، فقال عبد الرحمن بن الحكم لأخيه الحارث:

٧٦/١٢ / شَنِئتُك إذ رأيتُك حَوْتكيّاً ... قريبَ الخُصيتَين من التراب (١)

كأنَّكَ قملةٌ لَقِحَت كِشافاً ... لبُرغوثٍ ببعرةِ أوصُوأبِ (٢)

كفاكَ الغزو إذا أحجَمْتَ عنه ... حديثُ السن مُقتبَلُ الشَّباب (٣)

فليتَك حيضةٌ ذهبَتْ ضلالاً ... وليتَكَ عند مُنقطَع السَّحاب (٤)

[٢٦٧/١٣] / **هجاؤه لمروان حين أعدى عليه الحناط**

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: لطَمَ عبد الرحمن بن الحكم مولًى لأهل المدينة حَنَّاطاً، وأخوه مروانُ يومئذٍ والٍ لأهل المدينة، فاستعداه الحناط عليه، فأجلسَهُ مروانُ بين يديه وقال له: الطِمه ـ وهو أخو مروان لأبيه وأمه ـ فقال الحناط: واللهِ ما أردتُ هذا، وإنَّما أردت أن أعْلِمه أنّ فوقَه سلطاناً ينصرُني عليه، وقد وهبتُها لك. قال: لستُ أقبلُها منك فخُذْ حقَّك. فقال: واللهِ لا ألطمُه، ولكنّي أهبها لك. فقال له مروان: إن كنتَ تَرى أن ذلك يُسخِطني فوالله لا أسخَطُ، فخذْ حقَّك. فقال: قد وهبتَها لك، ولست والله لاطِمَه. قال: لستُ والله قابِلَها، فإن وهبتَها فهَبْها لمن لطمك، أو لله عزَّ وعلا. فقال: قد وهبتُها لله تعالى. فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان:

كلُّ ابنِ أم زائدٌ غير ناقصٍ ... وأنت ابنُ أمٍّ ناقصٌ غير زائدِ

وهبتُ نصيبي منك يا مَرْوَ كلَّه ... لعَمْروٍ وعثمانَ الطَّويلِ وخالدِ

رثاؤه لقتلى قريش يوم الجمل

أخبرني هاشم بن محمدٍ أبو دلفٍ الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال:

نظر عبدُ الرحمن بن الحكمِ إلى قتلَى قريشٍ يومَ الجملِ فبكى، وأنشأ يقول:

أيا عينُ جُودي بدَمْعٍ سَرَبْ ... على فِتيةٍ من خِيار العرب (٥)

وما ضَرَّهم، غيرَ حَيْنِ النّفوس، ... أيُّ أميرَيْ قريشٍ غَلَبْ (٦)

(١) الحوتكي: القصير الضاوي، أو الشديد الأكل.

(٢) الكشاف: أن تلقح الناقة حين تنتج أو أن تحمل عليها في كل سنة، وذلك أردأ النتاج. والصواب: جمع صؤابة: بيض القمل.

(٣) يعني بذلك عبد الملك بن مروان.

(٤) منقطع السحاب: طرفه الذي ينقطع عنده.

(٥) السرب، بالتحريك: السائل المنسرب. وفي الأصول: «شرب» تحريف.

(٦) الحين: الهلاك، أي ما قدر لهم من ذلك. وفي الأصل: «جبن».

غضب معاوية على عبد الرحمن ثم عفوه عنه

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثني عمر بن شبّة قال: حدثني المدائني عن شيخ من أهل مكة قال:

/ عرَضَ معاويةُ على عبدِالرحمن بنِ الحكم خيلَه، فمرَّ به فرسٌ فقال له: كيف تراه؟ فقال: هذا سابح. ثم [٢٦٨/١٣] عرض عليه آخر فقال: هذا ذو عُلالةٍ. ثم مرَّ به آخر فقال: وهذا أجشُّ هزيم. فقال له معاوية: قد علمتُ ما أردتَ، إنّما عرّضْتَ بقول النجاشيّ فِيَّ:

ونجّـى ابـنَ حـرب سـابـحٌ ذو عُـلالـةٍ أجـشُّ هَـزيـمٌ والـرمـاحُ دوانِ[1]

سَليمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسا كسِيدِ الغَضَى باقٍ على النَّسلانِ[2]

أخرجْ عنّي فلا تساكِنّي في بلد، فلقي عبدُ الرحمن أخاه مروانَ فشكا إليه معاوية، وقال له عبد الرحمن: وحتّى متى نُستذَلُّ ونُضام؟ فقال له مروان: هذا عملك بنفسك. فأنشأ يقول:

أتقطُـر آفـاقُ السَّمـاءِ لنـا دمـاً إذا قُلت هـذا الطِّرفُ أجردُ سابـحُ

فحتَّى متى لا نَرفعِ الطَّرفَ ذِلّـةً وحتَّى متى تَعيـا عليـك المنـادح[3]

فدخل مروان على معاوية، فقال له مروان: حتَّى متى هذا الاستخفاف بآل أبي العاصي؟ أمَا والله إنّك لتعلمُ قولَ النبي صلى الله عليه وسلم وآله فينا، ولقَلَّ ما بقي من الأجل[4]. فضحِكَ معاوية وقال: لقد عفوتُ لك عنه[5] يا أبا عبد الملك. والله أعلم بالصواب[6].

[٢٦٩/١٣]

/ **صوت**

٧٧
١٢

قـولاَ لنـائِـلَ مـا تَقضِيـنَ فـي رجُـلٍ يَهـوى هـواكِ ومـا جَنّبتِـهِ اجتَنَبـا

يُمسِـي معـي جَسـدِي والقلبُ عنـدكُـم فمـا يعيـشُ إذا مـا قلبُـه ذَهَبـا[7]

الشعر لمسعدة بن البَختريّ، والغناء لعَبادل، ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتَر في مُجرَى الوسطى عن إسحاق، وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ آخرَ عن ابن المعتزّ، ولها فيه أيضاً خفيفُ رملٍ عنه.

---

(١) العلالة: البقية. والأجش: غليظ الصوت. والهزيم: شديد الصوت.

(٢) الشظى: عظم لازق بالركبة أو بالذراع. العبل: الضخم من كل شيء. الشوى: اليدان والرجلان والأطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل. والشنج بكسر الشين: القبض في الجلد. وفرس شنج النسا مدح، لأنه لم تسترخ رجلاه. والنسا بالفتح مقصور: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النسا بينهما واستبان. والسيد: الذئب. والغضا: ضرب من الشجر. ويقال ذئب الغضا لأنه لا يباشر الناس إلا إذا أراد أن يغير، ويزعمون أنه أخبث الشجر ذئاباً.

(٣) هو وسابقه سبق إنشادهما في ص ٢٦٣.

(٤) في حـ: «الأمل» بالميم.

(٥) وفي حـ: «قد عفوت لك» فقط.

(٦) كذا وردت هذه العبارة.

(٧) في الأصول: «إذا ما قلته».

[١٣/٢٧٠]

/ أخبار مسعدة ونسبه

هو مَسعدةُ بن البَختريِّ بنِ المغيرةِ بن أبي صُفرة، بنِ أخي المهلَّب بن أبي صفرة. وقد مضَى نسبهُ متقدِّماً في نسبِ يزيد بنِ محمدِ المهلبي وابن أبي عُيَينة وغيرهما.

وهذا الشعر يقوله في نائلة بنتِ عمرَ بنِ يزيد الأسَيْدِيّ وكان يهواها.

تشبيب مسعدة بنائلة

أخبرني بخبره في ذلك أبو دلف هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدثني عيسى بن إسماعيل تِينة، عن القحذميّ قال:

كان مسعدةُ بنِ البَختريِّ بن المغيرةِ بن أبي صُفرة، يشبِّب بنائلةَ بنتِ عُمَر بنِ يزيد الأسَيْديّ أحدِ بني أُسَيّد بن عمرو بن تميم[١]، وكان أبوها سيِّداً شريفاً، وكان على شُرَطِ العراقِ مِن قِبَلِ الحجّاج، وفيها يقول:

أنائلَ إنَّني سَلْمٌ لأهلِكِ فاقبَلِي سَلْمِي

قال القَحذميّ: وأمُّ نائلة هذه عاتكةُ بنت الفُراتِ بن معاوية البَكّائي، وأمُّها المُلاءة بنت زُرارةَ بن أوفَى الجُرشِيّة، وكان أبوها فقيهاً محدِّثاً من التابعين. وقد شبَّب الفرزدقُ بالملاءة وبعاتِكةَ ابنتها.

عاتكة بنت الفرات وما قيل فيها

قال عيسى: فحدثني محمد بن سلام قال: لا أعلم أنّ امرأةً شُبِّب بها وبأمِّها وجدتها غير نائلة. فأمّا نائلة فقد ذكر ما قال فيها مسعدة، وأمّا عاتكة فإنّ يزيد بن المهلب تزوّجها؛ فقُتِل عنها يوم العَقْر، وفيها يقول الفرزدق:

[١٣/٢٧١]

/ إذا ما المَزُونيات أصبحنَ حُسَّرا وبكَّينَ أشلاءً على غير نائلِ[٢]

فكم طالبٍ بنتَ المُلاءةِ إنّها تذكر رَيعانَ الشَّبابِ المزايِلِ[٣]

ما قيل في أمها الملاءة

وفي الملاءة أمِّها يقول الفرزدق:

كم للمُلاءةِ من طيفٍ يؤرّقني إذا تَجرثَمَ هادِي الليل واعتكرا[٤]

قصة عاتكة بنت الملاءة

أخبرني الحرمي بن العلاء قال: حدثني الزُّبير بن بكّارٍ قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله قال:

---

(١) في «الاشتقاق» ١٢٧: «وأسيد تصغير أسود في لغة تميم، وسائر العرب يقول: أسيود. فإذا نسبوا إليه قالوا أسَيْديّ، كرهوا كثرة الكسرات، واستثقلوا أن يقولوا: أسيِّدي».

(٢) الحسر: كاشفات الوجوه. الأشلاء: الأعضاء، عنى بها القتلى.

(٣) المزايل: المفارق.

(٤) تجرثم: اجتمع. وهادي الليل: أوّله. اعتكر: اشتد ظلامه.

خرجَتْ عاتكة بنت المُلاءةِ إلى بعض بوادي البَصرة فلقِيَتْ بدوياً معه سمن فقالت له: أتبيعُ هذا السَّمن؟ فقال: نعم. قالت: أرِنَاه. ففتح نِحياً[1] فنظَرَتْ إلى ما فيه، ثم ناولتْه إياه وقالت: افتحْ آخر. ففتح أخَرَ فنظَرتْ إلى ما فيه ثم ناولته إياه، فلما شَغَلَتْ يديه أمرَتْ جوارِيَها فجعلْنَ يركُلْنَ في استِه وجعلت تنادي: يا لثَاراتِ ذاتِ النِّحيين!

قصة ذات النحيين

قال الزُّبير: تعني ما صُنع بذاتِ النِّحيين في الجاهلية؛ فإنّ رجلاً يقال له: خَوَّات بن جُبير رأى امرأةً معها نِحيَا سمنٍ فقال: أريني هذا. ففتحت له أحَدَ النِّحيين، فنظر إليه ثم قال: أريني الآخر. ففتحَتْه، ثم دفَعه إليها، فلما شَغَلَ يديها وقَعَ عليها، فلا تقدر على الامتناع خوفاً من أن يذهبَ السمن، فضربت / العربُ المثلَ بها، وقالت: «أشغَلُ مِنْ ذاتِ النِّحيَينِ». فأرادت عاتكةُ بنت الملاءةِ أنّ هذا لم يفعلْه أحدٌ من النساءِ برجلٍ كما يفعله الرّجُل بالمرأة غيرها، وأنّها ثأرَتْ للنّساء ثأرَهنَّ من الرّجال بما فعلَتْه. ٧٨/١٢

/ **ما جرى بين الملاءة وعمر بن أبي ربيعة** [١٣/٢٧٢

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثنا أبو هفّان عن إسحاق الموصليّ عن الزبير والمسيَّبي[2] ومحمَّد بن سلام وغيرهم من رجاله: أنَّ المُلاءة بنت زُرارة لقيت عمر بن أبي ربيعة بمكة وحوله جماعةٌ ينشدهم، فقالت لجاريةٍ: من هذا؟ قالت: عمرُ بن أبي بربيعةَ، المتنقلُ من منزله من ذات ودادٍ إلى أُخرَى، الذي لم يدُمْ على وصلٍ، ولا لقوله فرعٌ ولا أصل، أمَا واللهِ لو كنتُ كبعضِ من يواصِل لما رضِيتُ منه بما ترْضَين، وما رأيت أدنَا مِن نساءِ أهلِ الحجازِ ولا أقرّ منهنَّ بخَسْفٍ، والله لأمةٌ من إمائنا آنَفُ منهنّ! فبلغ ذلك عمر عنها، فراسلَها فراسلَتْه، فقال:

حَـيِّ المنـازل قـد عَمِـرن خَـرابـا	بيـن الجُـرَيـنِ وبيـن رُكـنِ كُسـابـا[3]
بـالثِّنْـي مـن مَلِكـانَ غيّـر رَسمَهـا	مَـرُّ السحـابِ المُعقِبـاتِ سحـابـا[4]
وذيـولُ مُعصِفـةِ الـرّيـاح تجـرُّهـا	دُقَقـاً فـأصبحـت العِـراصُ يبـابـا[5]
ولقـد أراهـا مَـرّةً مـأهـولـةً	حَسَنـاً جَنـابُ مَحلِّهـا مِعشـابـا[6]
دارُ التـي قـالـتْ غـداةَ لقيتُهـا	عنـد الجِمـار فمـا عييـتُ جـوابـا
هـذا الـذي بـاعَ الصَّـديـق بغيـره	ويـريـد أن أرضَـى بـذاك ثـوابـا
/ قلـت اسمعِـي منّـي المقـالَ ومَـن يُطِـعْ	بصـديقـه المتملِّـقَ الكَـذّابـا

[١٣/٢٧٣

(١) النحي، بالكسر: الزق، أو ما كان للسمن خاصة.
(٢) المسيبي في س، ش بدون واو بين العلمين، واعتمدنا ما في حـ.
(٣) عمر: بقي زماناً. الجرين بهيئة التصغير: موضع بين سواج والنير باللعباء من أرض نجد. كساب بالضم: موضع، وقال عبد الله بن إبراهيم الجمحي: كساب، بالفتح على وزن قطام: جبل في ديار هذيل قرب الحزم لبني لحيان.
(٤) الثنى من كل نهر أو جبل: منعطفه، وملكان بكسر اللام: واد لهذيل على ليلة من مكة.
(٥) دقق التراب بضم ففتح: دقاقة، واحدها دقة بالضم. وفي الأصول: «وقفا» صوابه في «الديوان» ١١٤. العراص جمع عرصة، بالفتح، وهي البقعة الواسعة بين الدور. واليباب: المقفرة. وهذا تصحيح ش، وفي سائر النسخ: «العرائص بابا».
(٦) الجناب: الناحية والفناء.

[وتكــنْ لــديــه حبــالُــه أنشــوطــةً ... فــي غيــر شــيءٍ بقِطِــع الأسبــابــا][1]

إن كنــت حــاولــتِ العتــاب لتعلمــي ... مــا عنــدنــا فلقــد أطلــتِ عتــابا

أو كـــان ذلــك لِلبِعـــاد فـــإنّـــه ... يكفيــكِ ضــربُــكِ دونــك الجِلبــابــا

وأرى بـــوجهـــك شَــرق نُــورٍ بيّــنٍ ... وبــوجــهِ غيــرِك طَخْيَــةً وضبــابــا[2]

صوت

أسعِـــدانـــي يـــا نخلتَـــيْ حُلـــوانِ ... وارثِيــا لــي مــن ريــبِ هــذا الــزمــانِ

واعلمــا أنَّ ريبَــهُ لــم يــزل يَفـ ... ـــرُقُ بيــن الأُلاَّفِ والجيــران

أسعِـــدانـــي وأيقِنَـــا أنّ نحســاً ... ســوف يلقــاكمــا فتفتــرقــانِ

ولَعمــرِي لــو ذُقتمــا ألَــمَ الفُــرْ ... قَــةِ أبكــاكمــا كمــا أبكــانــي

كــم رَمَتْنــيَ بــه صــروفُ الليــالــي ... مــن فــراق الأحبــابِ والخُــلّان

الشعر لمطيع بن إياس، والغناء لحكمٍ الواديّ، هزج بالوسطى عن عمروٍ والهِشامي.



(١) التكملة من «ديوان عمر» ١١٥.
(٢) الطخية بالفتح: الظلام.

/ أخبار مطيع بن إياس ونسبه [١٣/ ٢٧٤]

هو مطيع بن إياس الكناني. ذكر الزُّبير بن بكارٍ أنه من بني الدِّيلِ بن بكرِ بن عبد مناة بن كنانة. وذكر إسحاقُ الموصليُّ عن سعيد بن سَلْمٍ أنه من بني ليثِ بن بكرٍ. والدِّيل وليث أخوانِ لأبٍ وأمٍّ، أمُّهما أمُّ[1] خارجة، واسمها عمرة بنت سعدِ بن عبد الله بن قُراد بن ثعلبة بن / معاوية بن زيد بنِ الغوث بنِ أنمارِ بنِ أراشِ بن عمرو بن الغوثِ بنِ نبتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بن كهلان بن سبأ بن يشجب بنِ يعرب بنِ قحطان. وهي التي يضرب بها المثل فيقال: «أسرع مِن نِكاحِ أم خارجة». وقد ولدت[2] عِدَّةَ بطونٍ من العرب حتَّى لو قال قائل: إنه لا يكاد يتخلَّص من ولادتها كبير أحدٍ منهم كان مقارباً. فمَّن ولدت الديل وليث والحارث وبنو بكر بنِ عبدِ مناة بنِ كنانة، وغاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بنِ أسدِ بنِ خزيمة، والعنبر وأُسيِّد والهُجيم، بنو عمروِ بنِ تميم، وخارجة بن يشكر ـ وبه كانت تكنى ـ ابن سعدِ بنِ عمرو بنِ ربيعة بنِ حارثة بنِ مزيقيا، وهو أبو المصطلق.

٧٩/١٢

نكاح أم خارجة

قال النسابون: بلغ من سرعةِ نكاحِها أنَّ الخاطب كان يأتيها فيقول لها: خطْبٌ، فتقول له: نِكْح.

وزعموا أنّ بعض أزواجها طلَّقها فرحل بها ابنٌ لها عن حَيِّهِ إلى حيِّها، فلقيها راكبٌ فلما تبيَّنَتْه قالت لابنها: هذا خاطبٌ لي لا شكَّ فيه، أفتراه يُعجلني أن أنزلَ عن بعيري[3]؟ فجعل ابنُها يسبُّها.

/ ولا أعلم أنّي وجدتُ نسبَ مطيع متصلاً إلى كنانة في روايةِ أحدٍ إلاَّ في حديثٍ أنا ذاكره؛ فإن راويَه ذَكَر أن أبا قُرعة الكنانيَّ جدُّ مطيع، فلا أعلمُ أهو جدُّه الأدنى فأصِلَ نسبَه بِهِ، أم هو بعيدٌ منه، فذكرت الخبَرَ على حاله. [١٣/ ٢٧٥]

تشاحن ابن الزبير وجد مطيع

أخبرني به عيسى بن الحسن الورّاق قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بنِ فراس قال: حدّثني العُمري وأبو فراس عمّي جميعاً، عن شُراحِيل بن فراس، أنّ أبا قرعة الكناني، واسمه سلمى بن نوفلٍ ـ قال: وهو جدُّ مطيع بنِ اياس الشّاعر ـ كانت بينه وبين ابن الزُّبير قبل أن يلي مقارضه[4]، فدخل سلمى وابن الزبير يخطب الناس، وكان منه وجِلاً، فرماه ابن الزُّبير ببصره حتّى جلس، فلما انصرفَ من المجلس دعا حَرَسِيًّا فقال: امضِ إلى موضع كذا وكذا من المسجد، فادْعُ لي سلمى بن نوفلٍ. فمضَى فأتاه به، فقال له الزبير: إيهاً أيُّها الضبّ. فقال: إنّي لستُ بالضبِّ ولكنّ الضبَّ بالضَّمر[5] من صخر. قال: إيهاً أيُّها الذِّيخ[6]. قال: إن أحداً لم يبلُغْ سنّي وسنَّك إلاّ سمِّي ذيخاً.

(١) أم، تكملة من ش.

(٢) حـ: «في عدة».

(٣) ولفظ الميداني: «كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب فتقول: نكح. فيقول: أنزل. فتقول: أنخ. ذكر أنها كانت تسير يوماً وابن لها يقود جملها فرفع لها شخص فقالت لابنها: من ترى ذلك الشخص؟ فقال: أراه خاطبا. فقالت: يا بني تراه يعجلنا أن تحل، ماله غل وأل».

(٤) المقارضة: تبادل الذم أو المدح.

(٥) الضمر: رملة بعينيها.

(٦) الذيخ: ذكر الضباع.

قال: إنّك لها هنا يا عاضّ بظرِ أمّه. قال: أعيذك بالله أن يتحدث العرب أنَّ الشيطان نَطَقَ على فيك بما تنطقُ به الأمَة الفَسْلة، وايمُ الله ما ها هنا داد أريده على المجلس أحدٌ[1] إلّا قد كانت أمُّه كذلك.

والد مطيع بن إياس

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه قال: كان إياسُ بن مسلم، أبو مطيع بن إياسٍ شاعراً، وكان قد وفد إلى نصر بن سَيّار بخراسان فقال فيه:

[٢٧٦/١٣] / إذا ما تعالِي من خُراسانَ أقبلت وجاوزتُ منها مَخرِماً ثم مَخْرِما[2]

ذكرتُ الذي أوليتَني ونشرْتُه فإن شئتُ فاجعلني لشكرِكَ سُلَّما

جد مطيع بن إياس

فأما نَسب أبي قُرعة هذا فإنه سلمَى بن نوفلٍ بنِ معاويةَ بن عُروة بن صخر بن يعمر بن نُفاثةَ بنِ عديّ بن الدِّيلِ بنِ بكر بنِ عبد مناة. ذكر ذلك المدائني. وكان سلمى بن نوفل جواداً. وفيه يقول الشاعر:

يسوّدُ أقوامٌ وليسوا بسادةٍ بل السيِّد الميمونُ سلمى بن نوفلِ[3]

٥٠/١٢ / رجع الخبر إلى سياقة نسب مطيع بن إياس وأخباره

صفة مطيع وذكر نشأته

وهو شاعرٌ من مخضرَمي الدّولتين الأموية والعباسية، وليس من فحول الشعراء في تلك، ولكنه كان ظريفاً خليعاً حُلو العِشرةِ، مليحَ النّادرة، ماجناً متّهَماً في دينه بالزّندقة، ويكنى أبا سُلْمَى. ومولده ومنشؤه الكوفة، وكان أبوه من أهل فِلَسطِينَ الذين أمَدَّ بهم عبدُ الملك بن مروان الحجاج بنَ يوسف في وقت قتاله ابنَ الزبير وابن الأشعث، فأقام بالكوفة وتزوَّج بها، فوُلد له مُطيع.

صلته بالولاة والخلفاء

أخبرني بذلك الحسين بن يحيى، عن حمّادٍ عن أبيه، وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد بن عبدِ الملكِ، ومتصرِّفاً بعدَه في دولتهم، ومع أوليائهم وعُمّالهم وأقارِبهم لا يَكْسُد عند أحدٍ منهم، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بنِ أبي جعفر المنصورِ، فكان معه حتّى مات، ولم أسمع له مع أحدٍ منهم خبراً إلا حكايةً بوفوده على سليمان بن علي، وأنّه ولاّه عملاً. وأحسبَه ماتَ في تلك الأيام.

[٢٧٧/١٣] / رأي بعض الناس فيه

حدثني عمي الحسن بن محمد، قال: حدثني محمد بن سعد الكرانيُّ عن العمري عن العُتبي عن أبيه قال:

قدم البصرة علينا شيخٌ من أهل الكوفة لم أر قطُّ أظرفَ لساناً ولا أحلَى حديثاً منه، وكان يحدِّثني عن مُطيع بن إياس، ويحيى بن زيادٍ، وحمادِ الراوية، وظرفاء الكوفة، بأشياءَ من أعاجيبهم وطُرَفهم، فلم يكنْ يحدِّث عن أحدٍ بأحسنَ مما كان يحدِّثني عن مطيع بن إياس، فقلت له: كنتُ والله أشتهي أن أرى مُطيعاً، فقال: والله لو رأيتَه للقِيتَ

(١) كذا وردت هذه العبارة وفي حـ «أحداً».

(٢) عنى بالنعال ذوات النعال، وهي الإبل. أو لعلها: «بغالي». مخرم الجبل والسيل: أنفه. والمخارم: الطرق في غلظ.

(٣) وكذا في «الإصابة» ٣٤٠٧. وفي «الكامل» ٧٤، ٧٥ ليبسك: «سلم بن نوفل».

منه بلاءً عظيماً. قال: قلت: وأيُّ بلاءٍ ألقاه من رجل أراه؟ قلت: كنتَ ترى رجلاً يصبر عنه العاقلُ إذا رآه، ولا يصحبه أحدٌ إلاّ افتضح به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو سعيدٍ السكري عن محمد بن حبيب قال: سألتُ رجلاً من أهل الكوفةِ كان يصحَب مطيعَ بن إياسٍ عنه فقال: لا تُرِدْ أن تسألَني عنه. قلت: ولم ذاك؟ قال: وما سؤالك إيّايَ عن رجلٍ كان إذا حَضَر مَلَكك[1]، وإذا غابَ عنك شاقك، وإذا عُرِفتَ بصحبته فَضَحك.

إعجاب الوليد بن يزيد بمطيع

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن عمرو قال: حدثني أبو توبةَ صالحُ بن محمدٍ عن محمدِ جبير، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: حدثني إبراهيم بن المهدي قال: قال لي جعفر بن يحيى: ذكر حكمٌ الواديّ، أنه غَنّى الوليدَ بن يزيدَ ذاتَ ليلةٍ وهو غلامٌ حديث السنّ، فقال:

إكليلُهـــــا ألـــــوانٌ ووجهُهـــــا فتّـــــانُ
وخـــالُهـــا فـــريـــدٌ لـيـــس لهـــا جيـــران
إذا مشَـــتْ تثنَّـــت كـــأنّهـــا ثعبـــانُ

/ فطرِب حتّى زحف عن مجلسه إليّ، وقال: أعِدْ فديتك بحياتي. فأعدتُه حتى صِحِل صوتي[2]، فقال لي: [٢٧٨/١٣] ويحك، من يقول هذا؟ فقلت: عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. فقال: ومن هو فديتك؟ فقلت: مطيع بن إياسٍ الكناني. فقال: وأين محله؟ قلت: الكوفة. فأمر أن / يُحمَل إليه على البريد، فحمِل إليه، فما أشعر يوماً إلا ٨١/١٢ برسوله قد جاءني، فدخلتُ إليه ومطيعُ بن إياس واقفٌ بين يديه، وفي يد الوليدِ طاسٌ من ذهب يشربُ به، فقال له: غنّ هذا الصوت يا واديّ. فغنّيتُه إياه، فشرِبَ عليه، ثم قال لمطيع: مَن يقول هذا الشعر؟ قال: عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: ادن مني. فدنا منه، فضمّه الوليد وقبّل فاه وبينَ عينيه، وقبّلَ مطيعٌ رجلَه والأرض بين يديه، ثم أدناه منه حتّى جلس أقربَ المجالس إليه، ثم تمّ يومُهُ[3] فاصطبح أسبوعاً متوالِيَ الأيام على هذا الصوت.

لحنُ هذا الصوتِ هزَجٌ مطلقٌ في مُجرى البِنصر، والصنعة لحَكمٍ. وقد حدثني بخبرِه هذا مع الوليد جماعةٌ على غير هذه الرواية، ولم يذكروا فيها حضورَ مطيع.

حدثني به أحمد بن عُبيد الله بن عمّارٍ قال: حدثنا عليّ بن محمد النوفلي عن أبيه قال: بلَغني عن حكمٍ الواديّ، وأخبرني الحسين بن يحيى، ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أمّه عن حكم الواديّ قال:

وفدتُ على الوليد بن يزيد مع المغنّين، فخرج يوماً إلينا وهو راكبٌ على حمارٍ، وعليه دُرّاعة وشي[4]؛ وبيده عقد جوهرٍ، وبين يديه كيسٌ فيه ألفُ دينارٍ، فقال: / من غَنّاني فأطربَني فله ما عليّ وما معي. فغنّوه فلم يطربْ، [٢٧٩/١٣] فاندفعتُ وأنا يومئذٍ أصغرُهم سنّاً فغنّيتُه:

إكليلُهـــــا ألـــــوانٌ ووجهُهـــــا فتّـــــانُ

---

(١) كذا في حـ وفي سائر النسخ: «ملك».
(٢) صحل صوته: بح.
(٣) في حـ: «تمم» برسم ميمين.
(٤) س، ش «عليه» بدون واو. والدراعة، كرمانة: جبة مشقوقة المقدم.

وخـــالُهـــا فـــريـــدٌ ليـــس لـــه جيـــرانُ
إذا مشَـــتْ تثنَّـــت كـــأنّهـــا ثعبـــانُ

فرمىْ إليه بما معه من المال والجوهرِ، ثم دخلَ فلم يَلبث أن خرج إليَّ رسوله بما عليه من الثّياب والحمارِ الذي كان تحته.

صحبته لجماعة من الزنادقة

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ قال:

كان مطيعُ بن إياسٍ، ويحيى بن زيادٍ الحارثيُّ، وابنُ المقفّع ووالبةُ بن الحُبابِ يتنادَمون ولا يفترقون، ولا يستأثر أحدهم على صاحبِه بمالٍ ولا مِلكٍ، وكانوا جميعاً يُرمَون بالزَّندقة.

صلته بعبد الله بن معاوية

حدّثني أحمد بن عبيد الله بنِ عمارٍ قال: حدثني عليُّ بن محمدٍ النوفليّ عن أبيه وعُمومته، أنَّ مطيع بن إياس وعُمارة بن حمزة من بني هاشِم، وكانا مرميّين بالزندقة، نزعا إلى عبدِ الله بنِ معاوية بنِ جعفر بنِ أبي طالبٍ لمَّا خرج في آخر دولة[1] بني أمية، وأوّلِ ظهورِ الدّولة العباسيةِ بخراسان، وكان ظَهَرَ على نواحٍ من الجبل: منها أصبهان وقُمّ ونَهاوَند، فكان مطيعٌ وعُمارة ينادمانِه ولا يفارقانه.

قال النوفلي: فحدثني إبراهيم بن يزيد بن الخشك قال:

[١٣/٢٨٠] / دخل مطيع بن إياس على عبدِ الله بن معاوية يوماً وغلامٌ واقف على رأسه يذبُّ عنه بمنديلٍ ـ ولم يكن في ذلك الوقت مَذابُّ، إنّما المذابُّ عباسيةٍ ـ قال: وكان الغلام الذي يذُبُّ أمردَ حسنَ الصُّورة، يروقُ عينَ الناظر، فلما نظَرَ مطيعٌ إلى الغلام كادَ عقلُه يذهب، وجعل يكلِّم ابن معاوية يلجلج، فقال:

إنِّـــي ومـــا أعْمَـــلَ الحجيـــجُ لـــه أخشـــى مُطيـــع الهـــوى علـــى فـــرج[2]
أخشَـــى عليـــه مغـــامسـاً مَـــرِســـاً ليـــس بـــذي رِقْبـــةٍ ولا حَـــرَج[3]

ما قاله هو وعمارة في صاحب شرطة ابن معاوية

٨٢/١٢ / أخبرني أحمد بن عبيد الله قال: حدثنا عليُّ بن محمد النوفلي قال: حدثني أبي عن عمه عيسى قال:

كان لابن معاوية صاحِبُ شُرطة يقال له: قيس بن عيلان العنسيّ النوفلي [وعيلان] اسم أبيه، وكان شيخاً كبيراً دُهريًّا لا يؤمن بالله، وكان إذا عَسَّ لم يبقَ أحدٌ إلا قتَلَه، فأقبلَ يوماً فنظر إليه ابنُ معاوية ومعه عُمارة بن حمزة ومطيع بن إياس، قال:

إن قيســـاً وإنْ تَقَنَّـــع شيبـــاً لخبيـــثُ الهَـــوَى علـــى شَمَطِـــه[4]

أجزيا عُمارة. فقال:

ابـــنُ سبعيـــنَ منظـــراً ومَشِيبـــاً وابـــنُ عَشـــرٍ يُعَـــدُّ فـــي سقطـــه[5]

---

(١) كلمة «دولة» زيادة في ش.
(٢) الحجيج: جماعة الحجاج.
(٣) المغامس: الشديد الشجاع. والمرس: الشديد. الرقبة: التحفظ والخشية. والحرج؛ التهيب. وفي الأصول: «خرج» تحريف.
(٤) الشمط: بياض الرأس يخالطه السواد.
(٥) السقط: الفضيحة.

فأقبل على مطيع فقال: أجز. فقال:

ولـــــه شُـــرطـــــةٌ إذا جَنَّـــه الليـــــلُ فعُـــوذوا بـــالله مـــن شُـــرَطِـــه

/ احتجاجه للأبنة [٢٨١/١٣]

قال النوفليُّ: وكان مطيعٌ فيما بلغني مأبوناً، فدخل عليه قومه فلاموه على فعله، وقالوا له: أنت في أدبك وشرفك وسُؤددك وشَرفك تُرمَى بهذه الفاحشة القذِرة؟ فلو أقصرت عنها! فقال: جَرِّبوه أنتم ثم دَعُوا إن كنتم صادقين. فانصرفوا عنه، وقالوا: قَبح الله فعلَك وعُذْرَك، وما استقبلتَنا به.

ما حدث بينه وبين ظبية الوادي

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا حمّاد عن أخيه عن النضر بن حديدٍ قال: أخبرني أبو عبد الملك المرواني قال: حدّثني مطيع بن إياس قال:

قال لي حمّاد عجردٍ: هل لك في أن أُرِيَك خُشَّةَ صديقي[١]، وهي المعروفة بظَبْيَة الوادي؟ قلت: نعم. قال: إنّك إن قَعدتَ عنها وخَبُثت عينُك في النَّظر أفسدْتَها عليّ. فقلت: لا والله لا أتكلَّمُ بكلمةٍ تسوءك، ولأسُرَّنّك. فمضى وقال: والله لا أتكلَّم، لئن خالفتَ ما قلتُ لأخرجنّك. قال: قلت: إنْ خالفتُ ما تَكرهُ فاصنَعْ بي ما أحببت. قال: امضِ بنا. فأدخلني على أظرفِ خَلْق الله وأحسنِهم وجهاً، فلما رأيتُها أخذني الزَّمَع[٢] وفطِن لي: فقال: اسكنْ يا ابن الزانية. فسكنتُ قليلاً، فلحظتني ولحظتُها أخرى، فغضِبَ ووضع قُلَنسِيَتَه عن رأسه، وكانت صَلعَتَه حمراء كأنّها استُ قردٍ، فلما وضعها وجدتُ للكلام موضعاً فقلت:

وَارِ السَّـــــوأة الســـــوآ ءَ يـــا حَمّـــاد عـــن خُشَّـــه[٣]

عـــن الأتـــرجَّـــةِ[٤] الغضّـــةِ والتفـــاحـــةِ الهشَّـــه

/ إفساد مطيع لها على حماد [٢٨٢/١٣]

فالتفت إليّ، وقال: فعلتَها يا ابن الزّانية؟ فقالت له: أحسن والله، ما بلغ صفتك بعد[٥]، فما تريد منه؟ فقال لها: يا زانية! فقالت له: الزانية أمُّك! وثاورته[٦] وثاوَرَها، فشقّت قميصَه، وبَصقت في وجهه، وقالت له: ما تصادقُك وتدعُ مثلَ هذا إلاّ زانية! وخرجنا وقد لقي كُلٌّ بلاء، وقال لي: ألم أقُلْ لك يا ابنَ الزانيةِ: إنّك ستفسِدُ عليَّ مجلسي. فأمسكتُ عن جوابه، وجعل يهجوني ويسبُّني، ويشكوني إلى أصحابنا، فقالوا لي: اهجُه ودعنا وإيّاه. فقلت فيه:

هجاؤه حماداً

ألا يـــا ظبيـــةَ الـــوادي وذاتَ الجســـد الـــرادِ[٧]

(١) صديقي: أي صاحبتي. وفي «اللسان»: «خش»: الطيب بالفارسية، عربته العرب وقالوا في المرأة: خُشَّة. قال ابن سيده: «أنشدني بعض من لقيته لمطيع بن إياس يهجو حماداً الراوية» وأنشد البيتين التاليين.

(٢) الزمع: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.

(٣) سبق تفسير «الخشة». وفي «اللسان»: «نح السوأة».

(٤) الأترجة: فاكهة حماضها يسكن شهوة النساء، ويجلو اللون والكلف، وقشره في الثياب يمنع السوس. وفي «اللسان»:

عـــن التفـــاحـــة الصفـــرا والأتـــرجـــة الهشـــه

(٥) كذا على الصواب في حـ. وفي سائر النسخ: «صنعتك بعد».

(٦) ثاورنه. واثبته.

(٧) الراد: مسهل الرأد، وهو الرخص اللين.

وزيـــنَ المِصـــر والـــدّارِ ... وزيــــنَ الحـــيِّ والنـــادي
وذاتَ المَبســـم العـــذبِ ... وذات الميسَـــم البـــادي(١)
أمَـــا بـــالله تستحْيِيـ ... ـــنَ مـــن خُلَّـــة حَـــمّاد(٢)
/ فحمّـــادٌ فتـــى ليـــس ... بـــذي عِـــزٍّ فتَنقـــادي(٣)
ولا مـــالٍ ولا عـــزٍّ(٤) ... ولا حَـــظٌّ لمـــرتـــاد
فتُـــوبـــي واتَّقـــي الله ... وبُتِّـــي حَبْـــلَ جَـــرّاد(٥)
فقـــد مُيِّـــزتِ بـــالحسـ ... ـــن عـــن الخَلْـــق بـــإفـــراد
وهـــذا البيـــنُ قـــد حُـــمَّ ... فجُـــودي منـــكِ بـــالـــزّادِ

٨٣٠/١٢

[٢٨٣/١٣] / - في الأوّل والثاني والسابع والثامن مِن هذه الأبيات لحكمِ الواديِّ رمَلٌ.

قال: فأخذ أصحابُنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها، وألقوها في الطريق، وخرجتُ أنا فلم أدخل إليهم ذلك اليوم(٦)، فلما رآها وقرأها قال لهم: يا أولادَ الزّنا، فعلها ابنُ الزانية، وساعدتموه عليّ!

جزع حماد من هجائه

قال: وأخذها حكمٌ الواديُّ فغنَّى فيها، فلم يبقَ بالكوفة سَقّاءٌ ولا طَحّان ولا مُكارٍ إلّا غنّى فيها، ثم غَنِيتُ مُدّةً وقدِمتُ(٧)، فأتاني فما سلّمَ عليّ حَتّى قال لي: يا ابن الزانية، ويلك أمَا رحمتَني من قولك لها:

أمَـــا بـــالله تستحْيِيـ ... ـــنَ مـــن خُلـــة حمّـــادِ

اجتماعهما بصاحبة مطيع وما كان في ذلك

بالله قتلتَني قتَلك الله! والله ما كلّمتني حتّى الساعة. قال: قلت: اللهم أدِمْ هجرَها له وسوءَ آرائها فيه، وآسِفْه(٨) عليها، وأغرِه بها! فشتمني ساعةً. قال مطيع: ثم قلت له: قمْ بنا حتّى أمضيَ بك فأريَك أختي. قال مطيع، فمضينا فلمّا خرجَتْ إلينا دعوت قيّمةً لها فأسررت إليها في أنْ تصلحَ لنا طعاماً وشراباً، وعرّفتُها أنَّ الذي معي حمّاد. فضحكَتْ ثم أخذَتْ صاحبتي في الغناء، وقد علمتُ بموضعه وعَرَفته، فكان أوّل صوت غنت:

أمَـــا بـــالله تستحْيِيـ ... ـــنَ مـــن خُلّـــةَ حَمَّـــادِ

فقال لها: يا زانية! وأقبل عليّ فقال لي: وأنت يا زاني يا ابن الزانية. وشاتَمْته صاحبتي ساعةً، ثم قامت فدخلت، وجعل يتغيّظ عليّ فقلت: أنتَ ترى أنّي أمرتُها أن تغنّيَ بما غنّت؟ قال: أرى ذلك وأظنُّه ظنّا، لا والله، ولكنّي أتيقّنُه! فحلفتُ له / بالطلاق على بُطلان ظنه، فقالت: وكيف هذا؟ فقلت: أراد أن يفسد هذا المجلس مَنْ أفسد ذلك المجلس. فقالت: قد والله فعَلَ. وانصرفنا. [٢٨٤/١٣]

---

(١) الميسم: أثر الجمال والعتق، ويقال: إنها لوسيمة قسيمة.

(٢) الخلة: بالضم: الصداقة.

(٣) في الأصول: «فينقاد».

(٤) كذا وردت هذه الكلمة.

(٥) بتي: اقطعي. والجراد: جلاء آنية الصفر، كما في «القاموس».

(٦) «اليوم» ساقطة من حـ.

(٧) غنيت: أقمت.

(٨) آسفه: أغضبه. وفي «التنزيل»: «فلما آسفونا انتقمنا منهم».

إفسادة صديقة يحيى الحارثي عليه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجلٍ من أصحابه قال:

قال يحيى بن زيادٍ الحارثيُّ لمطيع بن إياس: انطلِقْ بنا إلى فلانةَ صديقتي؛ فإنّ بيني وبينها مُغاضَبة، لتُصلحَ بيننا، وبئس المصلحُ أنت. فدخلا إليها فأقبلا يتعاتبان، ومطيعٌ ساكت، حتّى إذا أكْثَرَ قال يحيى لمطيع: ما يُسكتك، أسكتَ الله نأمَتك[1]؟ فقال لها مطيع:

أنــتِ مُعتَلّــة عليــه ومــا زا ... ل مُهينــاً لنفســه فــي رضــاك

فأعجَبَ يحيى ما سمع، وهَشَّ له مطيع:

فــدَعِيــه وواصلــي ابــنَ إيــاسٍ ... جُعِلَــتْ نفسِــيَ الغــداةَ فِــداكِ

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت، فما زال يَجلِد بها رأسَه ويقول: ألهذا جئتُ بك يا ابنَ الزانية! ومطيع يُغوِّث[2] حتّى ملَّ يحيى، والجارية تضحكُ منهما، ثم تركه وقد سَدِر[3].

عتاب حماد على مطيع

حدثني الحسنُ بن عليٍّ الخفّاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بنِ مهرويه قال: حدثني محمد بن عُمر الجُرجاني قال:

٨٤/١٢

مَرِضَ حمّادُ عجردٍ، فعاده أصدقاؤه جميعاً إلّا مطيعَ بن إياس، وكان خاصّةً به، فكتب إليه حمّاد:

[٢٨٥/١٣] / كفــاكَ عيــادتــي مَــن كــان يــرجــو ... ثــوابَ الله فــي صِلــة المــريــض

فــإن تُحــدِثْ لــك الأيــامُ سُقمــاً ... يحــول جــريضُــه دونَ القــريــضِ[4]

يكــنْ طــولُ التــأوُّهِ منــك عنــدي ... بمنــزلــة الطَّنيــنِ مــن البعــوض

ما حدث بينهما حين اجتماعهما بصديقتيهما

أخبرني محمد بنِ أبي الأزهر عن حمّادٍ عن أبيه قال: قدُم مطيع بن إياس من سفر فقدِم بالرغائب، فاجتمع هو وحمّادُ عجردٍ بصديقته ظَبيةِ الوادي، وكان عجرد على الخروج مع محمد بن أبي العباس إلى البصرة، وكان مطيعٌ قد أعطى صاحبتَه من طرائفِ ما أفاد، فلما جلسوا يشربون غَنّتْ ظبيةُ الوادي فقالت[5]:

أظــنُّ خليلــي غُــدوةً سيسيــر ... وربّــي علــى أن لا يسيــرَ قــديــرُ

فما فَرَغت من الصوتِ حتّى غنّت صاحبةُ مطيع:

مــا أبــالــي إذا النّــوى قــربتهــمْ ... ودنــونــا مــن حَــلَّ منهــم وســاروا

فجعل مطيعٌ يضحك وحمادٌ يشتمها.

---

(١) النأمة: الصوت.

(٢) التغويث: أن يقول: واغوثاه!

(٣) السادر: المتحير.

(٤) الجريض، يقال جرض بريقه: ابتلعه على هم وحزن. ويقال: «حال الجريض دون القريض» مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق. قاله جوشن بن منقذ الكلابي حين منعه أبوه من الشعر فمرض حزناً فرق له وقد أشرف فقال: انطق بما أحببت. انظر «القاموس».

(٥) في الأصول: «عتب ظبية الوادي فقال».

نسبة هذا الصوت

صوت

أظُـــنُّ خليلـــي غـــدوةً سيسيـــر ... وربِّـــي علـــى أن لا يسيـــرَ قـــديـــرُ
عجبتُ لمـن أمسـى محبًّـا ولـم يكـن ... لـــه كفَـــنٌ فـــي بيتـــه وســـريـــرُ

غنَّى في هذين البيتين إبراهيم الموصليُّ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبَّابة في مُجرى البِنصر، وفيهما لحنٌ يمانٍ قديمٌ خفيفُ رملٍ بالوسطى.

معاتبة عمر بن سعيد له في أمر مكنونة وما قال في ذلك

[٢٨٦/١٣] / حدثني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجرجاني قال:

كان لمطيع بن إياس صديقٌ يقال له: عُمَر بنُ سعيد، فعاتَبَه في أمر قينةٍ يقال لها «مكنونة» كان مطيعٌ يهواها حتى اشتُهِر بها، وقال له: إن قومك يشكونك ويقولون: إنّك تفضحهم بشُهرتك نفسَك بهذه المرأة، وقد لحِقَهم العيبُ والعارُ من أجلها! فأنشأ مطيع يقول:

قـــد لامَنـــي فـــي حبيبتـــي عُمَـــرُ ... واللَّـــومُ فـــي غيـــرِ كُنهِـــهِ ضجَـــرُ[1]
قـــال أفِـــقْ، قلـــتُ لا، قـــال بلـــى ... قـــد شـــاعَ فـــي النـــاس عنكمـــا الخبـــرُ
قلـــتُ قـــد شـــاع فـــاعتـــذارِيَ ممّـــا ... ليـــس لـــي فيـــه عنـــدهـــم عُـــذُرُ
عَجـــزٌ لعمـــري وليـــس ينفعُنـــي ... فكُـــفَّ عنـــي العتـــابَ يـــا عمـــرُ
وارجـــعْ إليهـــم وقـــل لهُـــمْ قـــد أبَـــى ... وقـــال لـــي لا أُفيـــقُ فـــانتحـــروا[2]
أعشِـــق وحـــدي فيُـــؤخَـــذون بـــه ... كـــالتُّـــرك تَغـــزُو فيُقتـــل الخَـــزَرُ[3]

رأي مطيع في النساء

٨٥/١٢ أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن أبي أحمد عن أبي العِبَر / الهاشميّ قال: حدثني أبي أنَّ مطيع بن إياس مرّ بيحيى بن زيادٍ، وحماد الراوية وهما يتحدَّثان، فقال لهما: فيم أنتما؟ قالا: في قَذْف المحصَنات. قال: أو في الأرض محصَنة فتقذِفانها؟!

ابتداعه حديثاً مصنوعاً وإحراجه للعباس بن محمد حين استشهد به

حدثني عيسى بن الحسن الورّاق قال: حدثني عُمَر بن محمدِ بنِ عبدِ الملك الزياتِ. وحدثنيه الحسنُ بن عليّ عن ابن مهرويه عن عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني محمد بن هارون قال:

[٢٨٧/١٣] / أخبرني الفضل بن إياس الهذليُّ الكوفيّ أنّ المنصور كان يريد البيعةَ للمهديّ، وكان ابنه جعفرٌ يعترض عليه في ذلك، فأمَرَ بإحضار الناس فحضَروا، وقامت الخطباءُ فتكلَّموا، وقالت الشعراء فأكثَرُوا في وصف المهديّ وفضائِله، وفيهم مطيعُ بن إياس، فلما فَرَغَ من كلامهِ في الخطباءِ وإنشادِهِ في الشعراء قال للمنصور: يا أميرَ المؤمنين، حدَّثنا فلانٌ عن فلانٍ أنّ النبي ﷺ قال: «المهديُّ منا محمد بن عبدِ اللهِ وأمّه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما

---

(١) الكنه: الوجه والحقيقة.
(٢) يقال انتحروا: تشاحوا عليه فكاد بعضهم ينحر بعضاً من شدّة حرصهم.
(٣) الخزر: اسم جيل من الناس خزر العيون ضيقوها.

مُلِئت جَوراً» وهذا العباسُ بن محمدٍ أخوك[١] يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس، فقال له: «أنشُدُكَ اللهَ هل سمعتَ هذا؟ فقال: نعم. مخافةً من المنصور، فأمر المنصورُ الناس بالبيعة للمهديّ.

قال: ولمَّا انقضى المجلسُ، وكان العباس بن محمد لم يأنَسْ به، قال: أرأيتم هذا الزنديقَ إذْ كذَبَ على الله عزّ وجلّ ورسولهِ ﷺ حَتَّى استشهدني على كِذْبه، فشهدتُ له خوفاً، وشهِد كلُّ مَن حَضَر عليَّ بأني كاذب؟! وبلغ الخبرُ جعفرَ بن أبي جعفرٍ، وكان مطيعٌ منقطعاً إليه يخدُمه، فخافه، وطرده عن خدمته. قال: وكان جعفرٌ ماجناً، فلما بلغه قولُ مطيع هذا غاظه، وشَقَّتْ عليه البيعةُ لمحمدٍ، فأخرج أيره ثم قال: إنْ كان أخي محمدٌ هو المهديَّ فهذا القائمُ من آلِ محمدٍ.

خشية أبي جعفر على ابنه جعفر من مطيع

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: كان مطيعُ بن إياس يخدُم جعفر بن أبي جعفر المنصور وينادمُه، فكره أبو جعفرٍ ذلك، لِما شُهِر به مطيعٌ في الناس وخشِيَ أن يُفسِدَه، فدعا بمطيع وقال له: عزمت على أن تفسِدَ ابني عليَّ وتعلِّمَه زندقتك؟ فقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن / تظنَّ [١٣/٢٨٨] بي هذا، والله ما يسمع منِّي إلا ما إذا وعاه جَمَّله وزيَّنَه ونبَّله! فقال: ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضُرُّه ويغرُّه. فلما رأى مطيعٌ إلحاحه في أمره قال له: أتُؤمِنُني يا أمير المؤمنين عن غضبك حتَّى أصدُقَك؟ قال: أنت آمن. قال: وأيُّ مُستصلَح فيه؟ وأيُّ نهايةٍ لم يبلُغها في الفساد والضَّلال؟ قال: ويلك، بأيّ شيء؟ قال: يزعم أنَّه ليَعشِقُ امرأةً من الجنّ وهو مجتهدٌ في خِطبتها، وجَمَعَ أصحابَ العزائِم عليها، وهم يُغرونه ويَعِدُونه بها ويمُنّونه، فوالله ما فيه فضلٌ لغير ذلك من جِدٍّ ولا هزل ولا كفرٍ إيمان. فقال له المنصور: ويلك، أتدري ما تقول؟ قال: الحق والله أقول. فسل عن ذلك، فقال له: عُد إلى صحبته واجتهدْ أن تُزيلَه عن هذا الأمر، ولا تعلّمه أنّي علمت بذلك حتَّى أجتهد في أزالته عنه.

إصابة جعفر بن المنصور بالصرع

أخبرني عمي قال: حدثني الكَراني عن ابن عائشة قال:

كان مطيعُ بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن أبي جعفر المنصورُ، فدخل أبوه المنصور عليه يوماً، فقال لمطيع: قد أفسدتَ ابني يا مطيعُ. فقال له مطيع: إنَّما نحن رعيَّتُك فإذا أمرتَنا بشيءٍ فَعلْنا.

قال: وخرج جعفرٌ من دار حَرَمِه فقال / لأبيه: ما حَمَلك على أن دخلتَ داري بغير إذن؟ فقال له أبو جعفر: ٨٦/١٢ لَعَن الله من أشبَهَك، ولعَنَك! فقال: والله لأنا أشبه بك منك بأبيك ـ قال: وكان خليعاً ـ فقال: أريد أن أتزوَّج امرأةً من الجنّ! فأصابه لمم، فكان يُصرَع بين يدَيْ أبيه والربيعُ واقف، فيقول له: يا ربيع، هذه قدرةُ الله.

وقال المدائنيُّ في خبره الذي ذكرته عن عيسى بن الحسين عن أحمد بن الحارث عنه: فأصاب جعفراً من كثرة ولَعِهِ[٢] بالمرأة التي ذكر أنه يتعشَّقُها من الجنّ صَرَعٌ، / فكان يُصرَع في اليوم مَرَاتٍ حتَّى مات، فحزن عليه [١٣/٢٨٩] المنصورُ حُزناً شديداً، ومشى في جِنازته، فلما دُفِن وسوِّي قبرُه قال للربيع: أنشِدْني قول مُطيع بن إياس في مرثية يحيى بن زيادٍ. فأنشده:

يـا أهلـيَ ابكُـوا لقلبـيَ القـرِح ... وللـدّمـوع الـذّوارف السُّفُـح[٣]

---

(١) في حـ: «وقال العباس بن محمد أخوك».

(٢) يقال ولع بالشيء ولعاً وولوعاً بفتح الواو: لهج به واشتد حبه له.

(٣) في حـ: «يا أهل بكراً».

راحُـوا بيحيـى ولـو تطـاوِعُني الـ ـأقـدارُ لـم يَبتكِـر ولـم يَـرُحِ[1]

يـا خيـرَ مـن يَحْسُـن البكـاءُ لـه الـ ـيـومَ ومَـن كـان أمس لِلمَـدح

قال: فبكى المنصور، وقال: صاحبُ هذا القبر أحقُّ بهذا الشعر.

أخبرني به عمّي أيضاً عن الخزاز عن المدائني، فذكر مثله.

شعره في جارية خرجت من قصر الرصافة

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني المغيرةُ بن هشامٍ الرَّبعيّ قال: سمعت ابن عائشة يقول:

مرّ مطيعُ بن إياسٍ بالرُّصافة، فنظَرَ إلى جاريةٍ قد خرجَتْ من قصر الرُّصافة كأنَّها الشمسُ حسناً، وحواليْها وصائفُ يرفَعنَ أذيالَها، فوقف ينظرُ إليها إلى أن غابت عنه، ثم التفت إلى رجلٍ كان معه وهو يقول:

لَمَّـا خَـرجْـنَ مـن الـرُّصـا فـة كـالتَّمـاثيـل الحسـانِ

يَحففْـنَ أحـورَ كـالغـزا لِ يميـسُ فـي جُـدُل العِنـانِ[2]

قطّعْـنَ قلبـي حسـرةً وتقسَّمْـنَه بيـن الأمـانـي

ويلـي علـى تلـك الشمـا ئِـلِ واللطيـفِ مـن المعـانـي

يـا طُـولَ حَـرِّ صبـابتـي بيـنَ الغـوانـي والقيـان

[١٣/ ٢٩٠] / **بكاه بنته حين عزم على الرحلة إلى السند، وما قال في ذلك**

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد، عن ابن توبة صالح بن محمد، قال: حدثني بعضُ ولدِ منصور بن زياد عن أبيه قال: قال محمَّدُ بن الفضل بن السَّكونيّ:

رَحَل[3] مطيعُ بن إياسٍ إلى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له، فلما رأته بنتُه قد صَحَّح العزم على الرّحيل بَكت، فقال لها:

اسكُتي قد حَزَزْتِ بالدَّمع قلبي طالمـا حَزَّ دمعُكنَّ القُلـوبـا

وَدَعـي أن تقطِّعـي الآنَ قلبـي وتُـريني فـي رِحلتي تعـذيبـا

فعسـى اللهُ أن يُـدافِـعَ عنـي ريـبَ مـا تحـذريـن حَتَّى أءُوبا

ليس شيءٌ يشـأُوه ذو المعـالـي بعـزيـزٍ عليـه فـادعـي المُجيبـا

أنـا فـي قبضـةِ الإلـه إذا مـا كنت بُعداً أو كنت منك قـريبـا[4]

ووجدت هذه الأبيات في شعر مطيعٍ بغير رواية، فكانَ أوّلها:

٨٧/١٢ / ولقـد قلـتُ لابنتـي وهـي تكـوِي بـانسِكـابِ الـدُّمـوعِ قلبـاً كئيبـا

وبعده بقيةُ الأبيات.

---

(١) يبتكر: يخرج بكرة. ويروح: يرجع في الرواح.

(٢) الجدل: جمع جديل، وهو الزمام المجدول. والعنان: سير اللجام، عنى بذلك دقة الخصر.

(٣) في الأصول: «دخل».

(٤) البعد، مصدر، أراد به البعيد. وفي الأصول: «بعيداً» ولا يستقيم به الوزن.

شعره في قينة أومأ إليها بقبلة فصدته

أخبرني الحسن بن علي الخَفّاف قال: حدثنا محمد بن القاسِم بنِ مهرويه قال: حدثني عليُّ بن محمدٍ النوفليّ، عن صالح الأصمّ قال:

كان مطيعُ بن إياسٍ مع إخوانٍ له على نبيذٍ، وعندهم قينةٌ تغنيهم، فأومأ إليها مُطيعٌ بقُبلةٍ، فقالت له: تُراب! فقال مطيع:

[٢٩١/١٣]

/ صوت

إنَّ قلبـي قـد تصـابَى — بعـد مـا كـان أنـابـا
ورَمـاه الحـبُّ منـه — بسهـامٍ فـأصـابـا
قـد دَهـاه شـادِنٌ يَلْـ — ـبَسُ فـي الجِيـد سِخـابـا[1]
فهـو بـدرٌ فـي نِقـابٍ — فـإذا ألقـى النقـابـا
قلـتَ شمـسٌ يـوم دَجْـنٍ — حَسَـرتْ عنهـا السَّحـابـا
ليتنـي منـه علـى كَشْـ — ـحَيـنِ قـد لانـا وطـابـا[2]
أحضَـرُ النّـاس بمـا أكْـ — ـرَهُـه منـهُ جـوابـا
فـإذا قلـتُ أنِلْنـي — قبلـةً قـال تُـرابـا

لحكمٍ الواديّ في هذه الأبياتِ هزجٌ، بالبِنصر، من رواية الهشاميّ.

سرعة بديهته

أخبرنا أبو الحسن الأسدِي قال: ذكر موسى بن صالح بن سنح بن عميرة أنَّ مطيعَ بنَ إياس كان أحضَرَ الناس جواباً ونادرة، وأنّه ذاتَ يوم كان جالساً يعدِّد بطونَ قريشٍ ويذكر مآثِرَها ومَفاخرَها، فقيل له: فأيْنَ بنو كنانة؟ قال:

* بِفَلَسْطين يُسرِعون الرُّكوبا *

أراد قول عبيدِ الله بنِ قيسِ الرقياتِ:

حَلَـقٌ مِـن بنـي كنـانـةَ حـولـي — بِفلَسطيـن يُسـرعـون الـرُّكـوبـا

[٢٩٢/١٣]

/ فضيحته لأبي دهمان

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُراني عن العُمَري عن العتبيّ قال:

كان أبو دهمان صديقاً لمطيع، وكان يُظهر للناس تألُّهاً[3] ومروءةً وسمتاً حسناً، وكان ربّما دعا مُطيعاً ليلةً من الليالي أن يصير إليه، ثم قَطَعه عنه شُغل، فاشتَغَل وجاء مطيعٌ فلم يَجِدْه، فلما كان من الغدِ جلس مطيعٌ مع أصحابه، فأنشدهم فيه:

---

(١) الشادن: الظبي الصغير. السخاب: القلادة من القرنفل.
(٢) الكشح: الخاصرة.
(٣) التأله: التنسك والتعبد.

ويلـي ممّـن جفـانـي وحُبُّـه قـد بـرانـي[١]
وَطيفُـه يلقـانـي وشخصُـه غيـر دانِ
أغَـرٌ كـالبـدرِ يغشَـى بحسنـه العينـان[٢]
جـارَيّ لا تَعـذلانـي فـي حبّـه ودعـانـي
فـربَّ يـومٍ قصيـرٍ فـي جَـوْسـق وجِنـان
بـالـراح فيـه يُحَيّـا والقصـفِ والـريحـان[٣]
وعنـدنـا قينتـانِ وجهـاهمـا حَسَنـانِ
عُـوداهُمـا غَـرِدانِ كـأنّمـا ينطقـانِ[٤]
/ وعنـدَنـا صـاحبـانِ للـدّهـر لا يَخضعَـانِ
فكنـتُ أوّل حـامٍ وأوّلَ السُّـرَعـانِ[٥]
فـي فتيـةٍ غيـرِ ميـلٍ عنـد اختـلافِ الطُّعـانِ
مـن كـلِّ خـوفٍ مُخيـفٍ فـي السـرِّ والإعـلانِ
/ حَمّـالِ كـلِّ عظيـم تضيـق عنـد اليـدان
وإنْ ألـحّ زمـانٌ لـم يستكِـنْ للـزمـانِ
فـزالَ ذاك جميعـاً وكـلُّ شـيء فـانِ
مَـن عـاذري مِـن خليـلٍ مُـوافـقٍ مِلْـدانِ[٦]
مُـداهـنٍ متـوانٍ يكنـى أبـي دهمـان[٧]
متـى يَعِـدْك لقـاء فـالنّجـمُ والفـرقـدانِ
وليـس يُعتِـمُ إلاّ سكـرانَ مَـعْ سكـرانِ[٨]
يسقيـه كـلُّ غـلامٍ كـأنّـه غُصـنُ بـانِ
مِـن خَنـدريـسٍ عُقـارٍ كحُمْـرة الأرجُـوانِ[٩]

قال: فلقيه بعد ذلك أبو دُهمان، فقال: عليك لعنةُ الله فضحتني، وهَتَفْتَ بي، وأذَعْتَ سرِّي، لا أكلّمُك أبداً، ولا أُعاشِرك ما بقيت، فما تفرَّق بين صديقك وعدوِّك.

88/12 [١٣/٢٩٣]

---

(١) في حـ: «عن من» وهو تحريف.
(٢) العشا: ضوء البصر. في الأصول: «يغشى»، تحريف.
(٣) القصف: الجلبة والإعلان باللهو، ويقال إنها مولدة. وقصف علينا بالطعام قصفاً أي تابع، والمقصود هنا اللهو والغناء.
(٤) في الأصول: «عوداهما غيردان»، والوجه ما أثبتنا.
(٥) سرعان القوم، بالتحريك: أوائلهم المستبقون.
(٦) الملدان: عنى به اللين الناعم.
(٧) المداهن: المنافق.
(٨) يعتم: يدخل في العتمة، وهي ثلث الليل الأوّل. وفي الأصول: «يغنم».
(٩) الخندريس: الخمرة القديمة. والعقار: التي تذهب الوعي. والأرجوان: الشديدة الحمرة.

خبر مطيع مع علي بن القاسم

أخبرني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجليّ العطّار بالكوفة، قال: حدثني عليُّ بن عُمْروسٍ عن عمّه عليِّ بن القاسِم قال:

كنتُ آلَفُ مطيع بنَ إياس، وكان جاري، وعنَّفَني في عشرته جماعةٌ، وقالوا لي: إنه زنديق. فأخبرته بذلك، فقال: وهل سمعتَ منّي أو رأيتَ شيئاً يدلُّ على ذلك، أو هل وجدْتني أُخِلُّ بالفرائض في صلاةٍ أو صوم؟ فقلت له: والله ما اتَّهمتُك ولكنّي خبّرتك بما قالوا. واستحْيَيت منه. فعجل على السكر ذاتَ يومٍ في منزله، فنمت عنده ومُطِرْنا[1] في جوف اللّيل وهو معي، فصاح بي مَرَّتين أو ثلاثاً، / فعلمتُ أنّه يريد أن يصطبِح، فكَسِلت أن أجيبَه، [١٣/٢٩٤] فلما تيقَّن أنّي نائمٌ جعل يردِّد على نَفْسه بيتاً قاله، وهو قوله:

أصبحَــتُ جَــمَّ بــلابــلِ الصَّــدرِ ... عَصَــراً أكــاتُمــه إلــى عَصْــرِ[2]

فقلت في نفسي: هذا يَعمَل شعراً في فنّ من الفُنون. فأضاف إليه بيتاً ثانياً، وهو قوله:

إن بُحْــتُ طُــلَّ دمــي وإن تُــرِكَــتْ ... وَقَــدَتْ علــيَّ تــوقُّــدَ الجمــر[3]

فقلت في نفسي: ظفرت بمطيع. فتنحنحتُ، فقال لي: أما ترى هذا المطر وطِيبَه، أقعدْ بنا حتّى نشربَ أقداحاً. فاغتنمتُ ذلك، فلما شربْنا أقداحاً قلت له: زعمتُ أنكَ زنديق. قال: وما الذي صَحَّحَ[4] عندك أنّي زنديق؟ قلت: قولك: «إن بُحتُ طلَّ دمي» وأنشدتُه البيتين، فقال لي: كيف حفظتَ البيتين ولم تحفظ الثالث؟ فقلت: والله ما سمعتُ منك ثالثاً. فقال: بلى قد قلت ثالثاً. قلت: فما هو؟ قال:

ممَّــا جنَــاه علــيَّ أبــي حســنٍ ... عُمــرٌ وصــاحبُــه أبــو بــكــرِ[5]

من سرعة بديهته

/ وحدثني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني إبراهيم بن المدبّر قال: حدّثني محمد بن عمر الجرجاني قال: [١٢/٨٩]

جاء مطيع بن إياس إلى إخوان له وكانوا على شَراب، فدخَلَ الغلامُ يستأذن له، فلمَّا سمع صاحبُ البيت بذِكره خرج مبادراً، فسمعَه يقول:

/ أمسيــتُ جــمَّ بــلابــلِ الصــدر ... دهــراً أزجّيــه إلــى دهــرِ[6] [١٣/٢٩٥]

إن فُهــتُ طُــلَّ دمــي وإن كُتِمَــتْ ... وقَــدَت علــيَّ تــوقُّــدَ الجمــرِ

فلما أحسَّ مطيعٌ بأنَّ صاحب البيت قد فتح له استدرك البيتين بثالث فقال:

ممَّــا جنــاه عَلَــيَّ أبــي حســن ... عمــرٌ وصــاحبُــه أبــو بكــر

وكان صاحبُ البيت يتشيَّع، فأكبَّ على رأسه يُقَبّله ويقول: جَزاكَ الله يا أبا مسلم خيراً!

---

(١) مطرنا: نزل علينا المطر.

(٢) الجم: الكثير. والبلابل. وساوس الصدر وشدّة الهموم.

(٣) طل دمه، بالبناء للمجهول: أبيح، وقيل لم يثأر به.

(٤) في الأصول: «صح».

(٥) هذا ما في ش. وفي سائر النسخ: «ما جناه». وأبو حسن: كنية علي بن أبي طالب.

(٦) أزجيه: أسوقه. وقد سبق برواية أخرى.

بنت مطيع بن إياس، وما رميت به من الزندقة

وذكر أحمدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيل الكاتب:

أنَّ الرشيد أُتِيَ ببنت مطيع بن إياس في الزَّنادقة، فقرأت كتابَهُم واعترفَتْ به، وقالت: هذا دينٌ علَّمَنيه أبي، وتُبتُ منه. فقبِل توبتَها وردّها إلى أهلها.

عقب مطيع بن إياس

قال أحمد: ولها نسلٌ بجبلٍ في قريةٍ يقال لها: «الفراشيَّة» قد رأيتُهم، ولا عِقب لمطيع إلاّ منهم.

دعوته يحيى بن زياد للشراب

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني عن ابن عائشة قال: كان مطيع بن إياس نازلاً بكرخ بغداد، وكان بها رجلٌ يقال له: الفهميّ، مغنٍّ مُحسِّن، فدعاه مطيعٌ ودعا بجماعةٍ من إخوانه وكتب إلى يحيى بن زيادٍ يدعوه بهذه الأبيات. قال:

عنـــدنـــا الفهمـــيُّ مَســـرُو ... رٌ وزَمّـــارٌ مُجيـــد

ومُعـــاذٌ وعِيـــاذٌ ... وعُمَيـــرٌ وسعيـــد

ونَـــدامـــى يُعْمِلـــون الـ ... ـقَلْـــزَ والقَلْـــزُ شـــديـــد

بعضُهـــم ريحـــانُ بعـــض ... فهـــم مِســـكٌ وعُـــودُ

[٢٩٦/١٣] / قال: فأتاه يحيى، فأقام عندَه وشرِبَ معهم، وبلغت الأبيات المهديّ، فضحِك منها، وقال: تنايَكَ القومُ وربِّ الكعبة.

قال الكراني: القَلْز: المبادلة[1].

وجدتُ هذا الخبر بخطِّ ابن مهرويه، عن إبراهيم بن المدبّر عن محمد بن عمر الجريدي. فذكر أنَّ مطيعاً اصطبَحَ يوم عَرفة وشرب يومَه وليلَته، واصطبح يوم الأضحى، وكتب إلى يحيى من اللَّيل بهذه الأبيات:

قـــد شـــربنـــا ليلـــةَ الأضـ ... ـحَـــى وسقينـــا يـــزيـــدُ

عنـــدنـــا الفهمـــيُّ مســـرو ... رٌ وزَمَّـــار مُجيـــد

وسليمـــان فَتَـــانـــا ... فهـــو يُبـــدي ويُعيـــدُ

ومُعـــاذٌ وعِيـــاذٌ ... وعُمَيـــر وسَعيـــد

ونـــدامَـــى كلُّهـــم يقْـ ... ـلِـــزَ والقَلْـــزُ شـــديـــد

بعضهـــم ريحـــانُ بعـــضٍ ... فهـــمُ مِســـكٌ وعـــودُ

غـــالـــتَ الأنحـــس عنهـــم ... وتلقَّتْهـــم سُعـــودُ

فتَـــرَى القـــوم جُلـــوســـاً ... والخَنَـــا عنهـــمْ بـــعيـــدُ

٩٠/١٢ / ومطيـــعُ بـــنُ إيـــاس ... فهـــو بـــالقَصْـــف ولِيـــدُ

وعلـــى كـــرِّ الجـــديـــدَيْـ ... ـــنِ ومـــا خَـــلَّ جليـــدُ

---

(١) الذي تعرفه المعاجم أن القلز ضرب من الشرب، أو الوثب، فقد كني بذلك عن هذا الفعل.

دعوة عوف بن زياد لمطيع وجوابه على ذلك

ووجدت في كتاب بِعقبِ هذا: وذكر محمد بن عمر الجرجاني أنَّ عوف[١] بن زياد كتب يوماً إلى مطيع: «أنا اليومَ نشيطٌ للشُّرب، فإن كنت فارغاً فَسِرْ إليّ، وإن / كان عندك نبيذٌ طيِّب، وغناءٌ جيّد جِئتُك». فجاءته رقْعتُه[٢] [٢٩٧/١٣] وعنده حمادٌ الراويةُ وحكمٌ الواديّ، وقد دَعَوْا غلاماً أمرد، فكتب إليه مطيع:

نَعَـــمْ لنـــا نبيـــذٌ ... وعنـــدنَـــا حمّـــادُ
وخيـــرُنـــا كثيـــرٌ ... والخيـــر مُستـــزادُ
وكُلّنـــا مـــن طَـــرَبٍ ... يطيـــرُ أو يكـــاد
وعنـــدنـــا واديُّـــنـــا ... وهـــو لنـــا عِمـــادُ
ولهـــوُنـــا لـــذيـــذٌ ... لـــم يَلْهُـــهُ العِبـــادُ
إنْ تشتـــهِ فســـاداً ... فعنـــدنـــا فســـادُ
أو تشتـــهِ غـــلامـــاً ... فعنـــدنـــا زيـــادُ
مـــا إنْ بـــه التـــواهْ ... عنـــا ولا بِعـــاد

قال: فَلَمّا قرأ الرقعة صار إليهم، فأتم به يومه معهم.

مدح مطيع للغمر بن يزيد

أخبرنا محمد بن خلف بن الْمَرْزُبان قال: حدثني أبو بكرٍ العامريُّ عن عنبسة القرشيُّ الكُرَيزيّ عن أبيه قال: مدح مطيع بن إياس الغمر بن يزيد بقصيدته التي يقول فيها:

لا تَلْـــحَ قلبـــك فـــي شَقـــائِـــه ... ودَعِ المتيَّـــم فـــي بـــلائـــه[٣]
كفكِـــفْ دمـــوعَـــكَ أنْ يَفِضْـ ... ـــنَ بنـــاظـــرٍ غـــرقٍ بمـــائـــه
ودع النسيـــبَ وذكـــرَه ... فبحَســـب مِثلـــك مـــن عنـــائـــه
كـــم لـــذّةٍ قـــد نلتَهـــا ... ونعيـــم عيـــشٍ فـــي بهـــائـــه
/ بنَـــواعـــم شبْـــهِ الـــدُّمَـــى ... واللّيـــلُ فـــي ثِنْيَـــيْ عمـــائـــه[٤] [٢٩٨/١٣]
واذكـــر فتًـــى بيمينـــه ... حَتْـــفُ الـــزمـــان لـــدى التـــوائـــه
وإذا أُميَّـــةُ حُصِّلـــتْ ... كـــان المهـــذَّبَ فـــي انتمـــائـــه
وإذا الأمـــورُ تفـــاقَمَـــتْ ... عِظَمـــاً فمصـــدرُهـــا بـــرائـــه[٥]
وإذا أردتَ مـــديحـــه ... لـــم يُكْـــدِ قـــولُـــك فـــي بنـــائـــه[٦]

---

(١) في حـ: «أن عون».
(٢) في الأصول: «رقعة».
(٣) لا تلح: لا تلم.
(٤) ثني عمائه: كناية عن شدة الظلام وازدواجه.
(٥) برائه: برأيه، أي تصدر عن رأيه.
(٦) لم يكد: لم يخب. يقال حفر فأكدى، أي بلغ الصلابة.

فـي وجهـه عَلَـمُ الهـدى ... والمجـدُ فـي عِطْفَـيْ ردائـه
وكـأنّمـا البـدر المنـ ... ـير مُشَبَّـه بـهِ فـي ضيائـه [(١)]

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّلَ قصيدة أخذ بها جائزة سنية، وحرّكته وَرَفَعَتْ منْ ذكره، ثم وصلَه بأخيه الوليد فكان من نُدَمائه.

استعطافه ليحيى بن زياد

أنشدني محمد بن العباس اليزيديُّ عن عمِّه، لمطيع بن إياسٍ يستعطفُ يحيى بنَ زياد في هجرةٍ [(٢)] كانت بينهما وتباعُد: / ٩١/١٢

يـا سمِـيَّ النبـيِّ الـذي خـ ... ـصَّ بـه الله عبدَه زكـريـا [(٣)]
فـدعـاه الإلـهُ يحيـى ولـم يَجْـ ... ـعَلْ لـه الله قبـلَ ذاك سَمِيّـا
كـنْ بصـبٍّ أمسـى بحبـكَ بـرًّا ... إنّ يحيـى قـد كـان بَـرًّا تقيـا

رثاؤه له

وأنشدني له يرثي يحيى بعد وفاته:

قـد مضـى يَحْيَـى وغـودِرْتُ فـردا ... نُصْـبَ مـا سَـرَّ عيـونَ الأعـادي [(٤)]
/ وأرى عَيْنِـيَ مُـذْ غـابَ يحيـى ... بُـدِّلـت مـن نَـومهـا بـالسُّهـادِ [٢٩٩/١٣]
وسُـدتْـهُ الكـفُّ منّـي تـرابـاً ... ولقـد أرثـي لـه مـن وِسـاد
بيـن جِيـرانٍ أقـامـوا صُمـوتـاً ... لا يُجِيـرونَ جـواب المنـادِي
أيُّهـا المـزن الـذي جـاد حَتَّـى ... أعشبَـتْ منـه متـونُ البـوادي
اسـقِ قبـراً فيـه يحيـى فـإنّـي ... لـك بـالشكـرِ مُـوَافٍ مُغـاد [(٥)]

شعره في جوهر حين بيعت

نسختُ من نسخةٍ بخط هارُونَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الملك قال:

لما بيعت جوهر التي كان مطيع بن إياس يُشَبِّب بها قال فيها ـ وفيه غناء من خفيف الرملِ أظنه لحكَم ـ:

صـاح غـرابُ البيـنِ بـالبيـن ... فكـدتُ أنقـدُّ بنصفيـن
قـد صـار لـي خِـدنـانِ مِـن بَعـدهـم ... هـمٌّ وغـمٌّ شـرُّ خِـدنَيـن
أفـدِي التـي لـم ألْـقَ مِـن بعـدهـا ... أُنسـاً وكـانـت قُـرَّةَ العيـن
أصبحـتُ أشكـو فـرقـةَ البيـن ... لمّـا رأت فُـرقتَهـم عينـي

(١) في الأصول: «بسته في ضيائه».
(٢) الهجرة: الجفوة والهجران.
(٣) في الأصول: «باسم النبي» تحريف.
(٤) النصب، يقال هو نصب عيني، للشيء الظاهر الذي لا يخفى.
(٥) أوفى فلاناً حقه: أعطاه إيفاء، كوفاه ووافاه. والمغادي: الذي يغادي، أي يباكر. وفي الأصول: «مغادي» تحريف.

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخزاعي قال: حدثنا العباس بنُ ميمون [بن] طائع قال: حدثني ابن خرداذبة قال: خرجَ مطيع بن إياس، ويحيى بن زيادٍ حاجَّين، فقدَّما أثقالَهما وقال أحدُهما للآخر: هل لك في أن نمضِيَ إلى زُرارةَ فنقصفَ ليلتنا عنده، ثم نَلْحَقَ أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبَهم حتَّى انصرف الناس من مكة. قال: فركبا بعيريهما وحلقا رؤسهما ودخلا مع الحجّاج المنصرفين. وقال مطيعٌ في ذلك:

/ ألم ترني ويحيى قد حجَجْنا ... وكان الحجُّ من خيرِ التجاره [٣٠٠/١٣]

خرجنا طالِبَيْ خيرٍ وبِرٍّ ... فمال بنا الطريقُ إلى زُراره

فعادَ الناس قد غنموا وحَجُّوا ... وأُبْنا موقَرين من الخساره

وقد رُوِي هذا الخبر لبشّارٍ وغيره.

شعره في ريم

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا الفضل بن محمدٍ اليزيديُّ عن إبراهيم الموصلِّي عن محمّد بن الفضل قال:

خرج جماعةٌ من الشُّعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلبِ المعاشِ، فخرج يحيى بن زيادٍ إلى محمّد بن العباس وكنت في صحابته، فمضى إلى البصرة، وخرج حمادُ عجردٍ إليها معه، وعاد حمّادٌ الراويةُ إلى الكوفة، وأقام مطيعٌ بن إياس ببغداد وكان يهوَى جاريةً يقال لها: «ريم» لبعض النخّاسين وقال فيها:

لولا مكانُكِ في مدينتهمْ ... لظعنتُ في صَحبِي الألى ظَعَنُوا[1]

/ أوطنتُ بَغْداداً بحبِّكمُ ... وبغيرها لولاكُم الوطن[2] ٩٢/١٢

قال: وقال مطيعٌ في صبوحٍ اصطَبَحَه معها:

ويومٍ ببغداد نعِمْنَا صباحَه ... على وجه حوراء[3] المدامع تُطْرِبُ

ببَيتٍ ترى فيه الزُّجاجَ كأنه ... نجومُ الدُّجى بين النَّدامى تَغَلَّبُ

يُصَرِّفُ ساقينا ويقطب تارةً ... فيا طيبَها مقطوبةً حين يَقْطِبُ[4]

علينا سحيقُ الزعفران وفَوقَنا ... أكاليلُ فيها الياسَمينُ المُذَهَّبُ

فما زِلتُ أُسقَى بين صَنْجٍ ومِزهَرٍ ... من الرّاح حتَّى كادت الشمس تغرُب[5]

/ وفيها يقول: [٣٠١/١٣]

أمسى مطيعٌ كلِفَا ... صبًّا حزيناً دَنِفا[6]

حُرٌّ لمن يعشَقُه ... بِرقِّه معترفا

---

(١) في الأصول: «أظعت في صحبي»، تحريف.

(٢) أوطن المكان: اتخذه وطناً.

(٣) الحور: شدّة بياض بياض العين وسواد سوادها. وفي الأصول: «حمراء».

(٤) يقطب: يمزج.

(٥) الصنج: آلة بأوتار يضرب بها، معرب.

(٦) الدنف: المريض.

يـا ريـمُ فـاشفِـي كَبِـداً حَـرَّى وقلبـاً شَغِفـا[1]
ونـوِّلينـي قبلـةً واحـدةً ثـمَّ كفَـى

قال وفيها يقول:

يـا ريـمُ قـد أتلفـتِ رُوحي فما منها معـي إلاّ القليـلُ الحقيـرْ
فـأذنِبـي إن كنـتِ لـم تُـذْنِبي فـيّ ذُنـوبـاً إنَّ ربِّـي غفـورْ
مـاذا علـى أهلِـكِ لـو جُـدتِ لـي وزُرْتِنـي يـا ريـمُ فيمـن يـزورْ
هـل لـك فـي أجـرٍ تُجـازَيْ بـه فـي عـاشـقٍ يـرضيـه منـكِ اليسيرْ
يَقبَـل مـا جـدتِ بـه طـائعـاً وهـو وإن قـلَّ لـديـه الكثيـرْ
لعمـريَ مَـن أنـتِ لـه صـاحـبٌ مـا غـاب عنـه فـي الحيـاة السُّرورْ

قال وفيها يقول:

يـا ريـمُ يـا قـاتلتـي إن لـم تجـودي فَعِـدِي[2]
بَغَّضْـتِ بـالمطـل وإخـلا فِ وعـدي كَبِـدي
حـالَـفَ عينـي سُهُـدي ومـا بهـا مـن رَمَـدِ[3]
يـا ليتَنـي فـي الأحـد أبليـتِ منِّـي جسـدي
لمـن بـه مـن شِقْـوتـي أخـذتُ حتفـي بيَـدي

[١٣/٣٠٢] / **من شعره في جوهر**

أنشدني علي بنُ سليمان الأخفشُ قال: أنشدني محمدُ بن الحسن بنِ الحرونِ عنِ ابنِ النطّاحِ لمطيعِ بن إياس، يقوله في جوهر جاريةِ بَرْبَر:

يـا بـأبـي وجهُـك مِـن بينهـمْ فـإنّـه أحسـنُ مـا أبصِـرُ
يـا بـأبـي وجهـكِ مـن رائـعٍ يشبهـه البـدرُ إذا يَـزْهَـرُ
جـاريـةٌ أحسَـنُ مـن حَلْيِهـا والْحلـيُ فيـه الـدرُّ والجـوهـرُ
وجِـرمُهـا أطيـبُ مـن طيبهـا والطِّيـب فيـه المسـكُ والعنبـرُ[4] /
جـاءت بهـا بـربـرُ مكنـونـةً يـا حبَّـذا مـا جَلبـتْ بَـربـرُ
كـأنَّمـا رِيقَتُهـا قهـوةٌ صُـبَّ عليهـا بـاردٌ أسمـرُ[5]

٩٣
١٢

عبث مطيع بأبي العمير

أخبرني الحسين بن القاسم قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني منصور بن بشر العُمركي عن محمد بن الزبرقانِ قال:

(١) الحرى. العطشى.
(٢) في الأصول: «يا قاتلي».
(٣) في الأصول: «حالفت».
(٤) الجرم: الجسم.
(٥) يعني العسل. وفي الأصول: «كأن ريقها».

كان مطيعُ بن إياسٍ كثيرَ العبثِ، فوقَفَ على أبي العمير: رجلٍ من أصحاب المُعَلَّى الخادم، فجعل يَعبثُ به ويمازحُه إلى أن قال:

ألا أبلِـــغْ لـــديـــك أبـــا العُميـــرِ ... أرانـــي اللهُ فـــي استِـــكَ نصـــفَ أيـــر

فقال له أبو العُمَير: يا أبا سلمى، لوجدت لأحدٍ بالأيرِ كلِّه لجدتَ به إلى ما بيننا من الصداقة، ولكنك بِحُبّك لا نريدُه كلَّه إلا لك. فأفحمه، ولم يُعَاودِ العبثَ به.

قال: وكان مطيع يُرْمى بالأُبنةِ.

ما دار بينه وبين صديق له حين سقط له حائط

قال: وسقطَ لمطيع حائط، فقال له بعضُ أصدقائه: احمَد اللهَ على السلامة! قال: احمد الله أنت الذي لم تَرُعك هَدَّتُه، ولم يُصِبْكَ غبارُه، ولم تَعدَم أجرةَ بنائه.

مدحه جرير بن يزيد

/ أخبرني إسماعيل بن يونس بن أبي اليَسَع الشِّيعيّ قال: حدثنا عُمَر بن شبّة قال: [٣٠٣/١٣]

وفد مطيعُ بن إياسٍ إلى جريرِ بن يزيد بن خالدِ بن عبدِالله القسريّ وقد مدحه بقصيدته:

أمِـــن آل ليلـــى عَـــزمـــتَ البُكـــورا ... ولـــم تَلْـــقَ ليلـــى فَتَشْفِـــي الضَّمِيـــرا

وقـــد كنـــتَ دهـــرك فيمـــا خـــلا ... لليلَـــى وجـــاراتِ ليلـــى زَءُورا

ليـــالـــي أنـــت بهـــا معجَـــبٌ ... تَهِـــيم إليهـــا وتَعصِـــي الأميـــرا

وإذْ هـــي حـــوراءُ شِبـــهُ الغـــزا ... لِ تُبصِـــرُ فـــي الطَّـــرف منهـــا فُتُـــورا[1]

تقـــول أبنتـــي إذْ رأت حـــالتـــي ... وقـــرَّبْـــتُ للبيـــن عَنْســـاً وكُـــورا[2]

إلـــى مَـــن أراكَ، وقتـــك الْحُتـــو ... فَ نفســـي، تجشَّمـــتَ هـــذا المَسيـــرا

فقلـــتُ: إلـــى البَجَلـــيِّ الـــذي ... يُفـــكُّ العُنـــاةَ ويُغنـــي الفقيـــرا[3]

أخِـــي العُـــرف أشْبـــهَ عنـــد النـــدَى ... وحَمْـــلِ المئيـــنَ أبـــاهُ جـــديـــرا[4]

عَشِيـــرِ النـــدى ليس يـــرضـــى النَّـــدى ... يـــدَ الـــدُّهـــرِ بعـــد جَـــريـــرٍ عشيـــرا

إذا استكثـــر المجتـــدُون القليـــ ... ـــلَ للمُعْتَفِيـــنَ أستقـــلَّ الكثيـــرا

إذا عَسُـــر الخيـــر فـــي المجتـــديـــ ... ـــن كَـــان لـــديـــه عَتيـــداً يسيـــرا

وليـــس بمـــانِـــع ذِي حـــاجـــةٍ ... ولا خـــاذلٍ مَـــن أتـــى مُستجِيـــرا

فَنَفســـي وَقَتْـــك أبـــا خـــالـــدِ ... إذا مـــا الكُمـــاةُ أغـــاروا النُّمـــورا[5]

/ إلـــى ابـــن يـــزيـــدَ أبـــي خـــالـــدِ ... أخـــي العـــرفِ أعملتُهـــا عيسجـــورا[6] [٣٠٤/١٣]

---

(١) الفتور: الضعف.

(٢) العنس: الناقة الصلبة. والكور: بالضم: الرحل أو هو بأداته.

(٣) العناة: جمع عان، وهو الأسير.

(٤) في الأصول: «إياه جديراً».

(٥) الكماة: جمع كمي، وهو الرجل الشجاع المدجج بالسلاح. والنمور: جمع نمر، أراد أنهم فاقوا النمور في شجاعتهم.

(٦) العيسجور: الناقة الصلبة والسريعة.

لِنَلْقَى فواضلَ من كفِّه فصادفت منه نوالاً غزيرا
فإن يكنِ الشُّكرُ حُسْنَ الثنا ءِ بالعرف مِنِّي تجدْني شكورا
بصيراً بما يستلذُّ الرُّوا ةُ من مُحْكَم الشِّعر حتَّى يسيرا

إجازة جرير له سراً

فلما بلغ يزيدَ خبرُ قدومهِ دعا بهِ ليلاً، ولم يعلم أحد بحضوره، ثم قال له: قد عرفت خبرَك، وإنِّي متعجِّل لك جائزتك ساعتي هذه، فإذا حضرتَ غداً فإني سأخاطبك مخاطبةً فيها جفاء، / وأزوِّدُك نفقة طريقِك وأصرفُك، لئلاً يبلغ أبا جعفرٍ خبري فيُهلكني. فأمر له بمائتي دينار، فلما أصبحَ أتاه، فاستأذنه في الإنشاد، فقال له: يا هذا لقد رميتَ بآمالك غير مرمًى، وفي أيِّ شيءٍ أنا حتَّى ينتجِعَني الشعراء؟ لقد أسأتَ إليَّ لأني لا أستطيع تبليغك مَحَابَّك[1]، ولا آمَن سُخطك وذمَّك. فقال له: تسمع ما قلتُ فإنِّي أقبل ميسورَك، وأبسطُ عُذْرَك. فاستمَعَ منه كالمتكلِّف المتكره، فلما فرغ قال لغلامه: يا غلامُ كم مبلغُ ما بقي من نفقتنا؟ قال: ثلاثمائةِ درهم. قال: أعطه مائة درهمٍ لنفقةِ طريقهِ، ومائة درهمٍ ينصرف بها إلى أهله، واحتبِس لنفقتنا مائة درهم. ففعل الغلام ذلك، وانصرف مطيعٌ عنه شاكراً، ولم يعرف أبو جعفرٍ خبره.

بعض ما غني فيه من شعره

أنشدني وكيع عن حمّادِ بنِ إسحاق عن أمِّه، لمطيعِ بن إياس، وفيه غناء:

واهاً لشخص رجوتُ نائلَه حتَّى أتَى لي بِوُدِّهِ صَلَفَا
لانَتْ حواشيهِ لي وأطمَعَني حتَّى إذا قلتُ نلتُه انصرفا

قال: وأنشدَني حمّاد أيضاً عن أبيه، لمطيع بن إياسٍ، وفيه غناءٌ أيضاً:

خليلي مخلفٌ أبداً يمنِّيني غداً فغدَا
/ وبعد غدٍ وبعد غدٍ كذا لا ينقضِي أبدا [٣٠٥/١٣]
له جمرٌ على كبِدي إذا حرَّكتُه وقَدا
وليس بلابثٍ جَمْرُ الـ ـغَضَى أن يُحرِق الكَبِدا[2]

وفي هذه الأبيات لعَريب هزج.

أطيب الأشياء عند مطيع

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكري قال: حدثنا العنزي عن مسعود بن بشرٍ قال:

قال الوليد بنُ يزيدَ لمطيع بنِ إياسٍ: أيُّ الأشياء أطيبُ عندك؟ قال: «صهباءُ صافية، تمزجها غانية، بماءِ غادية».

قال: صدقت.

---

(١) محابك: ما تحب وتتمنى.
(٢) اللابث: المتوقف.

عربدة مطيع على يحيى بن زياد وذمه له ثم استرضاؤه

أخبرني محمد بن خلفِ بنِ المرزُبانِ قال: حدّثني أبو عبد الله التميمي قال: حدثنا أحمدُ بنُ عبيدٍ. وأخبرني عمّي قال: حدثنا الكُراني عن العمَريّ عن العُتْبي قال:

سكر مطيعُ بن إياسٍ ليلةً، فعربد على يحيى بنِ زيادٍ عربدة[1] قبيحة وقال له وقد حلَف بالطلاق:

لا تحلِفـــاً بطـــلاقِ مَـــنْ ... أمسَــتْ حــوافــرهــا رقيقــه
مهـــلاً فقـــد علـــم الأنَـــا ... مُ بـــأنَّهـــا كـــانــت صــديقــه

فهجر يحيى وحَلَف ألاَّ يكلِّمه أبداً، فكتب إليه مطيع:

إنْ تصِلْنـــي فمثلُـــك اليـــوم يُـــرْجَـــى ... عفــوُه الـــذَّنــبَ عـــن أخيـــه ووَصْلُـــه
ولئـــن كنـــت قـــد هممـــتَ بهجـــري ... لِلـــذي قـــد فعلـــتُ إنِّـــي لأَهلُـــه
/ وأحَـــقُّ الـــرِّجـــال أن يَغفِـــر الـــذَّنْـ ... ـــبَ لإخـــوانـــه المـــوفَّـــرُ عقلُـــه [٣٠٦/١٣]
الكـــريـــمُ الـــذي لـــه الحسَـــب الثَّـــا ... قـــبُ فـــي قـــومـــه ومـــن طـــاب أصلُـــه
ولئـــن كنـــتَ لا تصـــاحِـــب إلاَّ ... صـــاحبـــا لا تَـــزِلّ مـــا عـــاشَ نعلُـــه[2]
لا تجـــدْه وإن جهـــدْتَ، وأنَّـــى ... بـــالـــذي لا يكـــاد يُـــوجَـــد مثلُـــه
إنَّمـــا صـــاحبـــي الـــذي يغفـــر الـــذنـ ... ـــبَ ويكفيـــه مـــن أخيـــه أقلُّـــه
/ الـــذي يَحفـــظُ القـــديـــمَ مـــن العهـ ... ـــد وإنْ زَلَّ صـــاحـــبٌ قـــلَّ عـــذلُـــه ٩٥/١٢
ورعَـــى مـــا مضـــى مِـــن العهـــد مِنـــه ... حيـــن يـــؤذِي مـــن الجهـــالـــة جهلُـــه[3]
ليـــس مَـــن يُظهِـــرُ المـــودّةَ إفْكـــاً ... وإذا قـــال خـــالـــفَ القـــولَ فِعلُـــه
وَصْلُـــه للصَّـــديـــق يـــومـــاً فـــإنْ طـــا ... لَ فيـــومـــانِ ثـــم ينبـــتُّ حبلُـــه

قال: فصالحه يحيى وعاوَدَ عِشرته.

نزوله بدير كعب وشعره في جليس ثقيل

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا هارون بن محمدِ بنِ عبدِ الملك قال: حدثني أبو أيُّوبَ المدنيّ قال: حدثني أحمدُ بنُ إبراهيمَ الكاتب قال: حدثني أبي عن رجلٍ من أهلِ الشأم قال:

كنتُ يوماً نازلاً بدَير كعب، قد قدمتُ من سفرٍ، فإذا أنا برجلٍ قد نزل الدَّير معه ثَقَلٌ[4] وآلةٌ وعَيبة، فكان قريباً من موضعي، فدعا بطعام فأكل، ودعا الراهبَ فوهَبَ له دينارين، وإذا بينَه وبينه صداقةٌ، فأخرج له شراباً فجلس يشربُ ويحدِّث[5] الراهب، وأنا أراهما، إذْ دخل الدَّير رجل فجلس معهما، فقطع / حديثَهما وثقُل في مجلسِه، [٣٠٧/١٣]

---

(١) العربدة: أن يؤذي النديم النديم بما يكره.

(٢) زلة النعل: كناية عن الخطأ. وهو من قول النابغة:

ولســـت بمستبـــق أخـــاً لا تلمـــه ... علـــى شعـــث أي الـــرجـــال المهـــذب

(٣) في الأصول: «يؤدي»، بالدال المهملة.

(٤) الثقل، بالتحريك: متاع المسافر وحشمه.

(٥) في الأصول: «ويجذب».

وكان غثَّ الحديثِ، فأطال. فجاءني بعض غِلمانِ الرجلِ النازِلِ فسألتُه عنه، فقال: هذا مطيعُ بن إياس. فلمّا قام الرجلُ وخرج كتب مطيعٌ على الحائطِ شيئاً، وجعل يشرب حتّى سكِر، فلما كان من غدٍ رَحَلَ، فجئت موضِعَه فإذا فيه مكتوب:

طَرِبْـةَ مـا طـرِبْـتُ فـي دَيْـر كعـبِ كـدتُ أقضـي مـن طَـرَبتـي فيـه نَحْبِـي

وتـذكّـرتُ إخـوتـي ونَـدَامـا يَ فهـاج البكـاءَ تَـذْكـارُ صحبـي[1]

حيـنَ غـابـوا شَتَّـى وأصبحـتُ فـرداً ونـأوْا بيـنَ شـرقِ أرضٍ وغـرب

وهُـم مـا هُـم، فحسبِـيَ لا أبْـ ـغـي بـديـلاً بهـم لعمـرُكَ حسبـي

طلحـةُ الخيـرِ منهـمُ وأبـو المُنْـ ـذِرِ خلّـي ومـالـكٌ ذاكَ تِـرْبِـي[2]

أيُّهـا الـداخِـلُ الثقيـلُ علينـا حيـنَ طـاب الحـديـثُ لـي ولِصَحْبـي

خِـفَّ عنـا فـأنـت أثقَـلُ واللـْ ـهِ علينـا مـن فَـرسَخَـيْ دَيْـر كعـبِ

ومِـن النّـاس مَـن يَخِـفُّ ومنهـم كَـرَحَـى البَـزْرِ رُكِّبـت فـوقَ قلبـي

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عمر بن محمد قال: حدثنا الحسين[3] بن إياس، ويحيى بن زيادٍ، وزاد العمل[4] حتّى حلَفَ يحيى بن زياد على بُطلانِ شيء كلَّمه به مما دار بينهما، فقال مطيع:

[٣٠٨/١٣] / لا تحلِفَـا بطـلاقِ مَـنْ أمسـتْ حـوافِـرُهـا رقيقـه

هيهـاتَ قـد علـمَ الأميـ ـرُ بـأنّهـا كـانـت صـديقـه

فغضِب يحيى وحَلَفَ ألاّ يُكلِّم مطيعاً أبداً، وكانا لا يكادانِ يفترقانِ[5] في فَرَحٍ ولا حزنٍ، ولا شِدّةٍ ولا رخاء، فتباعد ما بين يحيى وبينه، وتجافَيَا مدّة، فقال مطيعٌ في ذلك، وندم على ما فَرَطَ منه إلى يحيى؛ فكتب إليه بهذا الشّعر، قال:

كنـت ويحيـى كيـد واحـدةٍ نَـرمِـي جميعـاً وتـرانـا معـا

إن عَضّنـي الـدّهـرُ فقـد عَضّـه يُـوجِعُنـا مـا بعضَنـا أوجعـا

[٩٦/١٢] / أو نـامَ نـامـتْ أعيـن أربـعٌ منّـا وإن أسهـرْ فلـن يَهْجَعـا

يسُـرنـي الـدّهـرُ إذا سَـرّه وإنْ رمـاه فَلَنـا فَجّعـا

حتّـى إذا مـا الشّيـب فـي مَفرِقـي لاحَ وفـي عـارضـه أشـرَعـا

سعـى وُشـاةٌ فمشَـوْا بيننـا وكـاد حبـلُ الـودّ أن يُقطَعـا

فلـم ألُـمْ يحيـى علـى فِعْلِـه ولـم أقُـلْ مَـلَّ ولا ضَيّعـا

لكـنَّ أعـداءً لنـا لـم يكـن شيطـانُهـم يـرى بنـا مَطمَعـا

(١) كذا على الصواب في حـ، وفي س: «ندماي» وفي ش: «الندماني».
(٢) الترب بكسر التاء: ما ولد معك، وأكثر ما يستعمل في المؤنث يقال «هذه ترب فلانة».
(٣) كذا في الأصول. وظاهر أن هناك سقطاً بين السند وأول الخبر.
(٤) تكملة للخبر الذي سبق في ص ٣٠٥. ولعلها: «وزاد في العربدة».
(٥) في حـ: «أن يفترقا».

بينا كذا غاش على غرة ... فأوقد النيرانَ مستجمعا[1]

فلم يزل يوقدها دائباً ... حتى إذا ما اضطرمت أقلعا

أخبرنا الحسين بن يحيى المِرداسيّ، عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السّكوني. وأخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه. قال إسحاق في خبره: «دخل على إخوانٍ يشربون»، وقال الأصمعيّ:

/ دخل سُراعة بن الزندبور على مطيع بن إياس ويحيى بن زياد، وعندهما قينةٌ تغنّيهما، فسقَوه أقداحاً وكان [٣٠٩/١٣] على الريق، فاشتدَّ ذلك عليه، فقال مطيعٌ للقينة: غنِّي سراعةَ. فقالت له: أيَّ شيءٍ تختار؟ فقال: غني:

طبيبيَّ داويتُما ظاهراً ... فمن ذا يداوي جَوًى باطنا

ففطِن مطيعٌ لمعناه، فقال: إيك أكل؟ قال: نعم. فقدَّم إليه طعاماً فأكل ثم شرب معهم. والله أعلم.

قول مطيع لمحمد بن سالم وشعره فيه

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن هارون الأزرَقيّ مولى بني هاشم أخي أبي عشانة قال: حدثني الفضل بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال:

كان مطيع بن إياس [يهوَى] ابنَ مولًى لنا يقال له محمد بن سالم، فأخرجتُ أباه إلى ضيعةٍ لي بالريّ لينظر فيها، فأخرجه أبوه معه، ولم أكن عرفت خبر مطيع معه حتّى أتاني، فأنشدني لنفسه:

أيا ويحَه لا الصَّبر يملك قلبه ... فيصبرَ لَمَّا قيل سار محمد

فلا الحزنُ يُفنيه ففي الموت راحةٌ ... فحتَّى متى في جهده يتجلَّد

قد أضحى صريعاً باديات عظامُه ... سوى أنَّ روحاً بينها تتردَّد

كئيباً يمنِّي نفسَه بلقائه ... على نأيه واللهُ بالحزن يشهد

يقول لها صبراً عسى اليوم آئبٌ ... بإلفك أو جاء بطلعته الغَدُ

وكنتَ يداً كانت بها الدهر قُوّتي ... فأصبحت مُضنًى منذ فارقني يدي

في أخبار مطيع التي تقدّم ذكرها آنفاً أغانٍ أغفلتُ عن نِسبتها حتى انتهيت إلى هذا الموضع فنسبتها فيه:

/ صوت

[٣١٠/١٣]

طبيبيَّ داويتُما ظاهراً ... فمن ذا يداوي جوًى باطنا

فقوما اكويانِي ولا ترحَما ... من الكيِّ مستحصِفاً راصِنا[2]

/ ومُرَّا على منزل بالغُمَيم ... فإنِّي عهدتُ به شادنا[3]

فَتورَ القيام رخيمَ الكلا ... مِ كانَ فؤادي به راهنا

٩٧/١٢

(١) في حـ: «غاس» بالسين المهملة، وكلاهما تحريف.

(٢) المستحصف: الشديد. والراصن، كذا صحح في «مهذب الأغاني». ولعله وصف من رصن رصانة. وفي الأصول: «راضيا»، وهو تحريف.

(٣) الشادن: الغزال الصغير.

الشعر فيما ذكر عبد الله بن شبيبٍ عن الزبير بن بكّارٍ، لعمرِو بنِ سعيدِ بنِ زيدِ بن عمرِو بنِ نُفيلٍ القرشيّ العدويّ، والغناء لمعبدٍ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق وعمروٍ، وفيه لأبي العبيس بنِ حمدون ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر، وهو من صدور أغانيه ومختارِها وما تَشبَّه فيه بالأوائل. ولو قال قائل: إنه أحسَنُ صنعةٍ له صَدَق.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عنِ أبيه، أن غيلان بن خرشةَ الضَّبِّيّ دخل إلى قومٍ من إخوانه وعندهم قينة، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هُمْ، حتَّى غنت القينة:

طبيبـــيَّ داويتُمـــا ظـــاهـــراً فمـــن ذا يـــداوي جـــوًى بـــاطنـــا

وكان أعرابيًا جافياً به لُوثة[1]، فغضِب ووثَبَ وهو يقول: السوطُ وربُّ غيلانَ يُداوِي ذلك الجوى! وخرج من عندهم.

وهذا الخبر مذكورٌ في أخبار معبدٍ من كتابي هذا وغيرِه، ولكنَّ ذكرَه ها هنا حسن فذكرته.

[٣١١/١٣] / وما فيها من الأغاني قول مطيع

صوت

أمسيـــتُ جَـــمَّ بـــلابـــلِ الصـــدرِ دهـــراً أزجّيـــه إلـــى دهـــر

إن فُهـــت طُـــلّ دمـــي وإن كُتِمـــتْ وقَـــدَت علـــيّ تـــوقّـــدَ الجمـــر[2]

الغناء لحكم الواديّ، هزج بالبنصر عن حَبَشٍ الهشاميّ.

مطيع وجوهر المغنية

أخبرني ابن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن صباح بنِ خاقان قال:

دخلت علينا جوهر المغنية جاريةُ بربر[3]، وكانت محسنةً جميلة ظريفة، وعندنا مطيع بنُ إياسٍ وهو يلعب بالشطرنج، وأقبل عليها بنظره وحديثه، ثم قال:

ولقـــد قلـــتُ مُعلنـــاً لسعيـــدٍ وجعفـــرِ

إن أتتنـــي مَنيّتـــي فـــدمِـــي عنـــد بـــربـــر[4]

قتلَتنـــي بمنعهـــا [لِـــيَ] مـــن وصْـــل جـــوهـــر

قال: وجوهر تضحك منه.

هجاء مطيع لحماد عجرد

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيدٍ عن أبي توبة قال:

---

(١) اللوثة: الحمق ومس الجنون.

(٢) في جـ: «إني فهمت طل يدي».

(٣) في جـ: «جارية يزيد».

(٤) في كل الأصول: «إن ابنتي منيتي»، وهو تصحيف.

بلغ مطيع بن إياس أن حماد عجرد عابَ شعراً ليحيى بن زيادٍ قاله في مُنقذ بن بدرٍ الهلالي، فأجابه مُنقذٌ عنه بجَوابٍ، فاستخفَّهما [حَمَّاد] عجرد، وطعن عليهما، فقال فيه مطيع:

[٣١٢/١٣]

/ أيهــا الشــاعِــرُ الــذي عــاب يحيَــى ومُنقِــذا
أنــتَ لــو كنــتَ شــاعــراً لــم تقــل فيهمــا كــذا
لســتَ والله فــاعــلــمــنّ لــديَ النقــدِ جهبــذا[١] /
تعــدِلِ الصبــرَ بــالــرضَــى شــائِــبَ الصَّفــوِ بــالقــذى[٢]

٩٨/١٢

مطيع ومكنونة جارية المروانية

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن أبي توبة عن ابن أبي منيع الاحدب قال:

كنت جالساً مع مطيع بن إياس، فمرّت بنا مكنونة جارية المروانِيةِ، وكان مطيعٌ وأصحابنا يألفونها، فلم تسلِّم، وعبِث بها مطيعُ بن إياسٍ فشتمَته، فالتفت إليّ وأنشأ يقول:

فــديــتُ مــن مــرّ بنــا يــومــاً ولــم يتكلــمْ
وكــان فيمــا خــلا منــه كلمــا مــر سلّــمْ
وإنْ رآنــي حيَّــا بطــرفــه وتبسّــم
لقــد تبــدّل ـ فيمــا أظــنّ ـ والله أعلــم
فليــت شِعــريَ مــاذا علــيّ فــي الــود ينْقَــم
يــا ربِّ إنــك تعلــمْ أنــي بمكنــونَ مغــرَم
وأننــي فــي هــواهــا ألقَــى الهــوان وأعظَــم
يــا لائمــي فــي هــواهــا احفــظْ لســانــك تسْلــم
واعلــم بــأنــك مهمــا أكــرمــت نفسَــك تُكــرَم

[٣١٣/١٣]

/ إنّ الملــولَ إذا مــا مــلّ الــوصــالَ تجــرّم[٣]
أو لا فمــا لِــيَ أُجفَــى مــن غيــر ذنــب وأُحــرَم

مطيع يشبب بجوهر ثم يهجوها

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان مطيع بن إياسٍ يألف جواري بربر، ويهوى منهنّ جاريتها المسماة جوهر، وفيها يقول؛ ولحكم فيه غناء:

خــافِــي اللهَ يــا بــربــرْ لقــد أفســدتِ ذا العسكــرْ[٤]

---

(١) الجهبذ: النقاد الخبير.
(٢) في كل الأصول: «من وصفوا لي القذى».
(٣) تجرم عليه: ادعى عليه ذنباً لم يفعله.
(٤) في التفعيلة الأولى من الشطر الأول «خرم».

إذا مــا أقبلــت جــوهــرْ يفــوح المســكُ والعنبــر
وجـــوهـــرُ دُرّة الغـــوّا ص مـــن يملكُهـــا يُحبَـــر[١]
لهـــا ثغـــرٌ حكـــى الـــدرّ وعَيْنـــا رَشَـــإٍ أحـــوز[٢]

في هذه الأبياتِ هزج لحكمِ الواديّ. قال وفيها يقول:

أنتِ يا جوهرُ عنـدي جـوهـرةْ فــي قيـاس الـدرر المشْتَهِـرةْ
أو كشمـسٍ أشـرقـت فـي بيتهـا قـذفـتْ فـي كـل قلـب شـرَرَه
وكـــأنّـــي ذائـــقٌ مـــن فمهـــا كلمـــا قبّلـــتُ فـــاهـــا سُكَـــره
وكـــأنّـــي حيـــن أخلـــو معهـــا فـــائـــز بـــالجّنـــة المختَضِـــرَه

قال: فجاءها يوماً، فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها، فعرف أن فتى مِن أهلِ الكوفة يقال له ابنُ الصَّحَّاف يهواها متخلٌّ[٣] معها، فقال مطيع يهجوها:

نـــاكَ والله جـــوهـــرَ الصَّحّـــافُ وعليهـــا قميصُهـــا الأفـــوافُ[٤]
[٣١٤/١٣] / شـــامَ فيهـــا أيـــراً لـــه ذا ضُلـــوعِ لـــم يشِنْـــه ضعـــفٌ ولا إخطـــاف[٥]
جَـدَّ دفعـاً فيهـا فقـالـت تـرفّـقْ مـــا كـــذا يـــا فتـــى تُنـــاكُ الظِّـــرافُ

المهدي يسمع شعر مطيع في جوهر فيقول اجمعوا بينهما

٩٩/١٢ / أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هرون بن محمد بن عبد الملك قال، قال محمد بن صالح بن النطاح: أُنشِد المهديُّ قولَ مطيع بن إياسٍ:

خـــافـــي اللـــهَ يـــا بـــربـــرْ لقـــد أفتنـــتِ ذا العسكـــرْ
بـــريـــح المســـك والعنبـــر وظبـــي شـــادنٍ أحـــور[٦]
وجـــوهـــر درّة الغـــوّا مـــن يَملكُهـــا يُحْبَـــر[٧]
أمـــا واللّـــه يـــا جـــوهـــر لقـــد فُقـــتِ علـــى الجوهر
فلا واللـــه مـــا المهـــديّ أولَـــى منـــك بـــالمِنبر
فـإن شئـتِ ففـــي كفّـيـ ـــكِ خلـــعُ ابـــن أبـــي جعفر

فقال المهدي: اللهم العنهما جميعاً، ويلكم! أجمَعوا بين هذين قبل أن تخلعَنا هذه القحبة. وجعل يضحك من قول مطيع. ووَجَدتُ أبياتَ مطيع الثلاثة التي هجا بها جوهرَ في رواية يحيى بن علي أتمّ من رواية إسحاق وهي بعد البيتين الأوّلين:

---

(١) يحبر: يسر. وفي الأصول: «يجبر».
(٢) الرشأ: الظبي إذا قوي ومشي مع أمه. أحور: الحور شدة سواد سواد العين وبياض بياضها.
(٣) متخل: متفرغ.
(٤) الأفواف: الرقيق. وفي حديث عثمان «خرج وعليه حلة أفواف».
(٥) في الأصول: «شام فيها إنزاله» وهو تصحيف. شام: أدخل. والإخطاف: الضمور.
(٦) الظبي الشادن: الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه.
(٧) في الأصول: «يجبر». وانظر ما مضى في الصفحة السابقة.

زعموها قالت وقد غاب فيها قائماً في قيامه استحصاف
وهو في جارة أستها يتلظى يا فتى هكذا تُناك الظِّراف[1]
ناكها ضيفُها وقبَّل فاها يا لقَومِي لقد طغَى الأضياف
لم يزَل يرهَز الشهيَّةَ حتى زال عنها قميصُها والعِطاف[2]

[٣١٥/١٣] / وقال هارون بن محمدٍ في خبره:

بِيعت جوهرُ جارية بربر، فاشترتها امرأة هاشمية من ولدِ سليمانَ بنِ علي كانت تغني بالبصرةِ وأخرجتها، فقال مطيع فيها:

لا تبعدي يا جوهرُ عنَّا وإن شطَّ المزارُ
ويْلي لقد بُعدت ديا رُك سُلِّمت تلك الديار
يُشفى بريقتها السَّقا مُ كأنَّ ريقتَها العُقار[3]
بيضاءُ واضحة الجبين كأنَّ غُرّتها نهار
القلب قلبي وهْو عنـ ـد الهاشميَّةِ مستعار

مطيع يهجو كلواذي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدثنا العَنَزي قال: حدّثنا علي بن منصورٍ المؤدب أن صديقاً لمطيع دعاه إلى بستانٍ له بِكَلواذي[4]، فمضى إليها، فلم يستطِبها، فقال يهجوها:

بلدة تُمطِر الترابَ[5] على النا س كما يُمطر السماءُ الرذاذا
وإذا ما أعاذ ربي بلاداً من خرابٍ كبعضِ ما قد أعاذا
خرِبت عاجلاً[6] ولا أُمهلَتْ يو ما ولا كان أهلُها كَلْواذي

أثر مطيع وأصحابه في معامل من تجار الكوفة

أخبرني محمد بن جعفرٍ النحوي قال حدثنا طلحة بن عبد الله أبو إسحاق الطلحي قال حدثني عافية بن شبيب بن خاقان التميمي أبو معْمَر قال:

كان لمطيع بن إياس مَعامِل من تجار الكوفة، فطالت صحبته إياه وعشرته له / حتى شرب النبيذ، وعاشر تلك [٣١٦/١٣] الطبقة، وأفسدوا دينه، فكان إذا شرب يعمل كما يعملون، وقال كما يقولون، وإذا صحا تهيّب ذلك / وخافه، فمرّ ١٠٠/١٢ يوماً بمطيع بن إياس وهو جالس على باب داره، فقال له: مِن أين أقبلت؟ قال: شيَّعتُ صديقاً لي حجّ، ورجعتُ كما ترى ميّتاً من ألمِ الحرِّ والجوعِ والعطشِ. فدعا مطيع بغلامه وقال له: أيّ شيءٍ عندك؟ فقال له: عندي من الفاكهة كذا، ومن البَوارِدِ والحارّ كذا، ومن الأشربةِ والثلج والرياحين كذا، وقد رُشّ الخيشُ وفُرغَ مِن الطعام. فقال

(١) في الأصول: «وهي في» وفي س، ب «حارة استها تتلظى» وهو تصحيف.
(٢) يرهز: يحرك. العطاف: الرداء.
(٣) في حـ وب: «ريقها». العقار: الخمر.
(٤) كلواذي: مدينة قرب مدينة السلام.
(٥) في س، ب: «السحاب»، وفي «معجم البلدان»: «التراب»، وهو ما أثبتناه.
(٦) في س، ب، حـ: «عاملاً» وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه.

له: كيف ترى هذا؟ فقال: هذا والله العيشُ وشِبْهُ الجَنة. قال: أنتَ الشريك فيه على شريطةٍ إن وفَيتَ بها وإلا انصرفتَ. قال: وما هي؟ قال: تشتِمُ الملائكة وتنزل. فنفَر التاجرُ وقال: قَبَح الله عِشرتكم قد فضحتموني وهتكتموني. ومضى فلم يبعدْ حتى لقيه حمّادُ عجردٍ فقال له: ما لي أراك نافراً جزعاً؟ فحدثه حديثه. فقال: أساء مطيعٌ ـ قبحه الله ـ وأخطأ، وعندي والله ضِعف ما وصَفَ لك؛ فهل لك فيه؟ فقال: أجَلْ[1]، بي والله إليه أعظمُ فاقة. قال: أنت الشريك فيه على أن تشتم الأنبياء فإنهم تعبّدونا بكل أمرٍ مُعنِتٍ متعِبٍ، ولا ذنب للملائكة فنشتمهم. فنفر التاجر وقال: أنت أيضاً فقبحَك الله، لا أدخلُ! ومضى فاجتاز بيحيى بن زيادٍ الحارثيّ فقال له: ما لي أراك يا أبا فلان مُرْتاعاً؟ فحدثه بقصّته. فقال: قَبَحَهما الله لقد كلّفاك شططاً، وأنت تعلم أن مروءتي فوق مروءتهما، وعندي والله أضعافُ ما عندهما، وأنت الشَّريكُ فيه على خصلةٍ تنفعك ولا تضرُّك، وهي خلاف ما كلفاك إيّاهُ من الكفر. قال: ما هي؟ قال: تصلي ركعتين تُطِيل ركوعَهما وسجودَهما، وتصليهما وتجلس، فنأخذ في شأننا، فضجِر التاجرُ وتأفَّف وقال: هذا شرٌّ من ذاك، أنا تعِب ميِّت، تكلِّفني صلاةً طويلةً في غيرِ برٍّ / ولا لإطاعةٍ يكون ثمنُها أكلَ سُحتٍ[2] وشربَ خمرٍ وعِشرةَ فَجَرةٍ وسماع مغنياتٍ قِحابٍ. وسبّه وسبّهما ومضى مغضَباً. فبعث خلفَه غلاماً وأمره بردّه، فردّه كَرْهاً، وقال: انزل الآن على ألا تُصلّيَ اليوم بتةً. فشتمه أيضاً وقال: ولا هذا. فقال: انزلِ الآن كيف شئتَ وأنت ثقيل غيرُ مُساعدٍ. فنزل عنده. ودعا يحيى مطيعاً وحماداً، فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه، ثم قُدّم الطعام، فأكلوا وشربوا وصلّى التاجر الظهر والعصر، فلما دبّت الكأس فيه قال له مطيع: أيُّما أحب إليك: تشتم الملائكة أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له حماد: أيما أحب إليك: تشتم الأنبياء أو تنصرف؟ فشتمهم. فقال له يحيى: أيما أحب إليك: تصلي ركعتين أو تنصرف؟ فقام فصلّى الركعتين، ثم جلس فقالوا له: أيما أحب إليك: تترك باقيَ صلاتك اليوم أو تنصرف؟ قال: بل أتركها يا بَنِي الزانية ولا أنصرف. فعمل كلَّ ما أرادوه منه. [٣١٧/١٣]

رأي المهدي في أخلاق مطيع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل السَّكوني قال:

رفع صاحب الخبر إلى المنصور أنّ مطيع بن إياس زنديقٌ، وأنه يعاشر ابنه جعفراً وجماعةً من أهلِ بيته، ويوشِك أن يفسِدوا أديانهم ويُنسَبوا إلى مذهبه. فقال له المهدي: أنا به عارف، أمّا الزندقةُ فليس من أهلها، ولكنه خبيثُ الدين فاسق مستحِلٌ للمحارم. قال: فأحضِره وانهَهُ عن صحبةِ جعفر وسائر أهله. فأحضره المهدي وقال له: يا خبيثُ يا فاسق، قد أفسدتَ أخي ومن تصحبه من أهلي، والله لقد بلغني أنهم يتقادعون[3] عليك، ولا يتِمّ لهم سرورٌ إلا بك، فقد / غرّرتهم وشهّرتهم في الناس، ولولا أني شَهِدت لك عند أميرِ المؤمنين بالبراءة مما نُسِبتَ إليه بالزندقة، لقد كان أمر بضربِ عنقِك. وقال للربيع: اضربه مائتي / سوطٍ واحبِسه. قال: ولمَ يا سيدي؟ قال: لأنك سِكّير خِمِّير[4] قد أفسدت أهلي كلّهم بصحبتك. فقال له: إن أذِنتَ وسمعتَ احتججتُ. قال: قل. قال: أنا امرؤ شاعر، وسُوقِي إنما تنفُق مع الملوك، وقد كسدت عندكم، وأنا في أيامكم مُطَرَّحٌ، وقد رضيتُ فيها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك، لا يتبع ذلك عَشيرة، وأصفيته على ذلك شكري وشِعري، فإن كان ذلك عائباً عندك تبتُّ منه. فأطرق، ثم قال: قد رفع إليّ صاحب الخبر أنك تتماجَنُ على السُّؤّال وتضحك منهم. قال: لا، والله ما ذلك من فعلي ولا شأني، ولا جرى مني قط إلا مرة؛ فإنّ سائلاً أعمى اعترضني ـ وقد عَبرتُ الجسرَ على بغلتي ـ

[١٠١/١٢] [٣١٨/١٣]

(١) في الأصول: «أشد».

(٢) السحت: ما خبث من المكاسب وحرم فلزم عنه العار.

(٣) التقادع: التهافت. وفي الأصول: «يتقارعون» تحريف.

(٤) الخمير: الدائم الشرب للخمر.

وظنّني من الجُندِ، فرفع عصاه في وجهي ثم صاح: اللهم سخر الخليفة لأن يُعطِيَ الجندَ أرزاقَهم، فيشتروا من التجار الأمتِعةَ، ويربَح التجار عليهم فتكثر أموالهم، فتجبَ فيها الزكاة عليهم، فيصدّقوا عليّ منها. فنفرت بقلبي من صياحه ورفعه عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء، فقلت: يا هذا ما رأيتُ أكثرَ فضولاً منك، سلِ الله أن يرزقك ولا تجعل هذه الحَوَالاتِ والوسائطَ التي لا يُحتاج إليها، فإن هذه المسائلَ فضول، فضحك الناس منه، ورُفعَ عليّ في الخبر قولي له هذا. فضحك المهدي وقال: خلّوه ولا يُضرَب ولا يُحبَس. فقال له: أدخل عليك لِمَوْجِدة[1] وأخرج عن رضًى وتبرأ ساحتي من عَضِيهة[2] وأنصرف بلا جائزة؟ قال: لا يجوز هذا، أعطوه مائتي دينارٍ ولا يعلم بها الأمير، فيتجدّد عنده ذنوبُه.

تولية مطيع صدقة البصرة

قال: وكان المهدي يشكر له قيامه في الخطباء ووضعه الحديث لأبيه في أنه المهديُّ. فقال له: اخرج عن بغداد ودَعْ صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين غداً. فقال له: فأين أقصد؟ قال: / أكتُب لك إلى سليمان بن علي فيُولّيك [٣١٩/١٣] عملاً ويُحسِن إليك. قال: قد رضيتُ. فوفد إلى سليمانَ بكتابِ المهدي، فولّاه الصدقة بالبصرة وكان عليها داود بن أبي هندٍ، فعزله به.

حدثني محمد بن هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تِينَة عن ابن عائشة أن مطيع بن إياسٍ قدِم على سليمان بن علي بالبصرة ـ وواليها على الصدقة داود بن أبي هند ـ فعزله وولّى عليها مطيعاً.

مطيع يهجو مالك بن أبي سعدة

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة عن بعض البصريين قال:

كان مالك بن أبي سَعدة عمّ جابرٍ الشطرنجي جميلَ الوجه حسنَ الجسم، وكان يعاشر حمادَ عجردٍ ومطيعَ بن إياس وشرب معهما فأفسد بينهما وبينه وتباعد. فقال حمادُ عجردٍ يهجوه:

أتـــوبُ إلـــى الله مـــن مـــالـــكٍ ... صـــديقـــاً ومـــن صُحبتـــي مـــالـــكـــا

فـــإن كنـــتُ صـــاحبتُـــهُ مـــرةً ... فقـــد تبـــتُ يـــا ربُّ مـــن ذلكـــا

قال: وأنشدها مطيعاً، فقال له مطيع: سخِنت عينُك! هكذا تَهجو الناس؟ قال: فكيف كنتُ أقول؟ قال: كنتَ تقول:

نظـــرةً مـــا نظـــرتُهـــا ... يـــوم أبصـــرتُ مـــالكـــا

/ فـــي ثيـــابٍ مُعَصْفَـــرا ... تِ علـــى الـــوجـــه بـــارِكـــا [١٠٢/١٢]

تـــركتْنِـــي ألُـــوطَ مـــن ... بعـــدمـــا كنـــتُ نَـــاسكـــا

نظـــرةٌ مـــا نظـــرتُهـــا ... أو ردتْنـــي المهـــالكـــا

/ مطيع يشكو الفقر أيام المنصور ويمدح أيام بني أمية [٣٢٠/١٣]

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال حدثنا حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال:

كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور، فطالت صحبتُه له بغير فائدة، فاجتمع يوماً مطيعٌ وحماد

---

(١) الموجدة: الغضب. وفي أ، ب: «الموجدة».
(٢) العضيهة: الإفك، والبهتان، والنميمة.

عجرد ويحيى بن زياد، فتذاكروا أيام بني أمية وسَعتَها ونَضرتَها وكثرةَ ما أفادوا فيها، وحسْنَ مملكتِهم[١] وطيبَ دارهم بالشأم، وما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصور، وشدّة الحرّ، وخشونة العيش، وشكو الفقرَ فأكثروا، فقال مطيع بن إياس: قد قلتُ في ذلك شعراً فاسمعوا. قالوا: هات. فأنشدهم:

حبّــذَا عيشُنـــا الــــذي زال عنــــا ... حبـــذا ذاك حيـــن لا حَبَّـــذا[٢] ذا

أيـــن هـــذا مـــن ذاك سَقيـــاً لهـــذا ... ك ولسنـــا نقـــول سَقيـــا لهـــذا[٣]

زاد هـــذا الـــزمـــانُ عُســـراً وشـــراً ... عنـــدنـــا إذ أحلّنـــا بغْـــدَاذَا

بلـــدة تُمطـــر التُـــرابَ علـــى النـــا ... س كمـــا يمطـــر السمـــاءُ الـــرّذاذا

خَـــرِبـــت عـــاجـــلاً وأخـــرب ذو العـــر ... ش بـــأعمـــالِ أهلِهـــا كَلْـــواذي[٤]

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال:

لما خرج حماد بن العباس إلى البصرة، عاشر جماعةً من أهلها وأدبائها وشعرائها، فلم يجدْهم كما يريد، ولم يستطِبْ عِشرتَهم واستغلظ طبعَهم، وكان هو ومطيعُ بن إياسٍ وحمادٌ الراويةُ ويحيى بن زيادٍ كأنّهم نفْس واحدة، وكان أشدَّهم أُنساً به مطيع بن إياس، فقال حمادٌ يتشوَّقه:

[٣٢١/١٣]

/ لســـتُ واللهِ بنـــاسٍ ... لِمطيـــعِ بـــنِ إيـــاس

ذاك إنســـانٌ لـــه فضـــلٌ علـــى كـــلّ أُنـــاس

غـــرَسَ اللـــه لـــه فـــي ... كبـــدي أحلَـــى غِـــراس

فـــإذا مـــا الكـــأسُ دارتْ ... واحتســـاهـــا مَـــن أُحـــاسِـــي

كـــان ذِكـــرانـــا مُطيعـــاً ... عنـــدهـــا رَيحـــانَ كـــاســـي

مطيع يصف ليالي قضاها في بستان له بالكرخ ويتشوّق إلى يحيى بن زياد

حدثنا عيسى بن الحسين عن حمادٍ عن أبيه قال:

دعا مطيعُ بن إياسٍ صديقاً له من أهل بغداد إلى بستانٍ له بالكرخ، يقال له بستان صَبَّاح، فأقام معه ثلاثة أيام في فتيانٍ من أهل الكرخ مُردٍ وشبَّان، ومغنِّين ومُغنِّيات، فكتب مطيع إلى يحيى بن زيادٍ الحارثي يخبره بأمره ويتشوّقه، قال:

كـــم ليلـــةٍ بـــالكـــرخ قـــد بِتُّهـــا ... جـــذلانَ فـــي بستـــانِ صَبَّـــاحِ

فـــي مجلـــسٍ تنفَـــحُ أرواحُـــه ... يـــا طِيبَهـــا مِـــن ريـــح أرواحِ

يُـــدِيـــر كـــأســـاً فـــإذا مـــا دَنـــت ... حُفَّـــت بـــأكـــوابٍ وأقـــداحِ

فـــي فِتيـــةٍ بيـــضٍ بهـــاليـــلَ مـــا ... إن لَهـــمُ فـــي النـــاس مـــن لاحِ[٥] /

١٠٣/١٢

(١) في س، ب: «ملكتهم» وفي حـ «مملكتهم».
(٢) في س، ب: «ذاك لا حبذا» وفي حـ: «ذاك حين لا حبذا» وهو الصحيح.
(٣) في س، ب: «لذا» وفي حـ: «لهذا» وهو الصواب.
(٤) كذا: في س، ب، حـ. وفي «معجم البلدان»:

خـــربـــت عـــاجـــلاً ولا أمهلـــت يـــو ... مـــا ولا كـــان أهلهـــا كلـــواذى

(٥) بهاليل: جمع بُهلول وهو الضحّاك أو السيد الجامع لكل خير. لاح: لائم.

لــم يَهْنِنــي ذاك لفقْــد امــرىء　　　أبيــضَ مثــلِ البــدر وضّــاحِ
كــأنمــا يُشــرق مــن وجهــه　　　إذا بــدا لــي ضــوءُ مِصْبــاحِ

قال: فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته، فركب إليهم، وحمل إليهم ما يُصلِحُهم من طعام وشراب وفاكهة، فأقاموا فيه أياماً على قصْفهم حتى ملّوا، ثم انصرفوا.

/روايته شعراً لفتى كوفي

[٣٢٢/١٣]

أخبرني محمد بن خلفِ بن المرزُبانِ قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمدِ بن الفضلِ قال: قال مطيع بن إياس:

جلستُ أنا ويحيى بن زياد إلى فتى من أهل الكوفة كان ينسب إلى الصَّبْوةِ[١] ويكتم ذاك، ففاوضناه وأخذنا في أشعار العربِ ووصفِها البيدَ وما أشبه ذلك، فقال:

لأُحسَــن مــن بِيــد يحــارَ بهــا القَطــا　　　ومِــن جَبَلــيْ طَــيٍّ ووصفِكمــا سَلْعــا[٢]
تَــلاحُــظُ عَيْنَــيْ عــاشِقَيــن كــلاهمــا　　　لــه مُقلــةٌ فــي وجــه صــاحِبــه تــرعَــى

المهدي يعاتب مطيع بن إياس

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو المَضاء قال:

عاتب المهدي مطيع بن إياس في شيء بلغه عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كان ما بلغك عني حقاً فما تُغني المعاذير، وإن كان باطلاً[٣] فما تضر الأباطيل. فقبِل عذره وقال: فإنّا ندعُك على حملتِك ولا نكشفك. والله أعلم.

مطيع وأصحابه يشربون ومعهم جوهر المغنية

حدثني عمي الحسن بن محمدٍ قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عَدِيّ قال:

اجتمع حماد الراوية ومطيع بن إياسٍ ويحيى بن زيادٍ وحكَمٌ الواديُّ يوماً على شراب لهم في بستانٍ بالكوفة، وذلك في زمن الربيع، ودعَوْا جوهرَ المغنيّة، وهي التي يقول فيها مطيع:

أنــتِ يــا جــوهــرُ عنــدي جــوهــره　　　فــي قيــاسِ الــدُّررِ المشتهــرَه

فشربوا تحت كرْمٍ معروشٍ حتى سكِروا، فقال مطيع في ذلك:

/ صـــوت

[٣٢٣/١٣]

خــرجنــا نمتطــي الــزهــرا　　　ونجعــلُ سقفَنــا الشجــرا
ونشــربُهــا مُعتَّقَــةً　　　تَخــالُ بكــأسِهــا شــرَرا
وجــوهــرُ عنــدنــا تحكــي　　　بِــدَارةِ وجهِهــا القمــرا
يــزيــدك وجهُهــا حُسْنــاً　　　إذا مــا زدتَــه نظــرا
وجــوهــرُ قــد رأينــاهــا　　　فلــم نَــرَ مثلَهــا بَشَــرا

(١) الصبوة: جهلة الفتوّة واللهو من الغزل.
(٢) القطا: جمع قطاة وهي طائر في حجم الحمام، وقد يطلق الحمام عليه للمشابهة. سلع: موضع بقرب المدينة، وقيل جبل بالمدينة.
(٣) في ب، حـ: «وإن باطلاً».

غنى فيه حكم غناء خفيفاً، فلم يزالوا يشربون عليه بقية يومهم. وقد رُوي أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنه قال منه واحداً، وأجازه بالباقي بعض الشعراء. وهذا أصح. لحنُ حكمٍ في هذا الشعر خفيفُ رملٍ بالوسطى.

مطيع يهجو أباه

حدثنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثني حمادٌ عن أبيه قال:

كان مطيع بن إياس عاقاً بأبيه شديدَ البغض له وكان يهجوه، فأقبل يوماً من بُعْد، ومطيع يشرب مع إخوان له، فلما رآه أقبل على أصحابه فقال:

هـــــذا إيـــــاسٌ مُقبـــــلاً جـــاءت بـــه إحـــدى الهَنَـــاتْ[1]

هــــوَّزٌ فُــــوه وأنفُــــه كَلَمُــنٌ فــي إحـدى الصِّفـات /

١٠٤/١٢

وكــــأنّ سعْفَــــصَ بطنُــــه والثغــرَ شيـــن قُـــرَيِّشــات[2]

لمــــا رأيتـــك آتيـــاً أيقنـــتُ أنـــكَ شـــرُّ آتْ

مطيع يمدح معن بن زائدة

حدثني جعفر بنُ قدامة بن زيادٍ الكاتب قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمدِ بن الفضلِ السكوني قال:

مدح مطيع بن إياس معنَ بن زائدة بقصيدته التي أوّلها:

[٣٢٤/١٣]

/ أهــلاً وسهـــلاً بسيِّـــد العـــرب ذي الغُـــرَرِ الـــواضحـــاتِ والنُّجُـــبِ

فتـــى نـــزارٍ وكهْلِهـــا وأخـــي الـ ـجُودِ حَـوَى غَـايَتَيْـهِ مـن كَثَـب[3]

قيـل أتـاكـم أبـو الـوَليـد فقـا ل النـاس طُـرّافـي السهـل والـرَّحَـب

أبـو العُفـاةِ الـذي يلـوذُ بـه مـن كـانَ ذا رغبـةٍ وذا رهَـبِ

جـاء الـذي تُفـرَجُ الهمـومُ بـه حيـن يُلَـزُّ الـوَضِيـنُ بـالحَقَـبِ[4]

جـاء وجـاء المضـاءُ يقـدُمُـه رأيٌ إذا هـمّ غيـرُ مـؤتَشِـبِ[5]

شهْـمٌ إذا الحـربُ شـبّ دائـرُهـا أعـادهـا عَـوْدةً علـى القُطُـبِ[6]

يطفـىء نيـرانَهـا ويـوقـدُهـا إذا خَبَـت نـارُهـا بـلا حطـبِ

إلاّ بـوقـعِ المُـذكَّـراتِ يُشَبِّهْـ ـنَ إذا مـا انتُضِيـنَ بـالشُّهُـبِ[7]

---

(١) الهنات: الشرور والفساد.

(٢) في ب، جـ: «سين قريسات». وقد تصرف الشاعر في أخوات أبجد، كما ترى: فقريشات هي «قرشت».

(٣) في كل الأصول: «حوى عانيه».

(٤) يلز: يقرن. الوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر. الحقب: الحزام الذي يلي حقو البعير.

(٥) هذه رواية «مهذب الأغاني». وفي الأصول:

جــاء وجــاء المضــا بقــدومــه رأى إذا هــم غيــر مــؤتشــب

مؤتشب: مختلط. يريد أنه غير متردّد.

(٦) في كل الأصول: «الحب». وفي س: «أعاد» وفي ب، ج: «أعاده» وهو خطأ.

(٧) المذكرات: جمع مذكر، وهو السيف ذو الماء.

لـم أرَ قِـرْنـاً لـه يُـبارِزُه | إلا أراه كـالصقْـر والخَـرَبِ[1]
ليْـثٌ بخَفَّـانَ قـد حَمَـى أجَمـاً | فصـار منهـا فـي منزل أشِـبِ[2]
شِبْـلاه قـد أُدِّبـا بـه فهُمـا | شِبْهـاهُ فـي جِـدِّه وفـي لعِـبِ[3]
قـد وِمقـا شكلَـه وسيـرتَـه | وأحكمـا منـه أكـرمَ الأدبِ[4]
نعـم الفتـى تُقـرَنَ الصِّعـابُ بـه | عنـد تَجَاثِـي الخصوم للـرُّكَـبِ[5]
/ ونعـم مـا ليلـةُ الشتـاءِ إذا اسْـ | ـتُنْبِـحَ كلـبُ القِـرى فلـم يُجِـبِ [٣٢٥/١٣]
لا ونَعَـمْ عنـده مخـالفـة | مثـل اختـلاف الصَّعـود والصَّبَـب[6]
يَحْضَـرُ مِـن لا فـلا يهُـمُّ بهـا | ومنـه تُضحـي نَعَـمْ علـى أرَبِ[7]
تـرى لـه الحِلْـمَ والنُّهَـى خُلُقـاً | فـي صـولـة مثـل جاحِـم اللَّهَـبِ
سيـف الإمـاميـن ذاكَ وذَا إذا | قـلّ بنـاةُ الـوفـاءِ والحسـبِ
ذا هَـوْدَةٍ لا يُخـاف نبـوتُهـا | ودينُـه لا يُشـابُ بـالـريـب[8]

فلما سمعها معن قال له: إن شئتَ مدحناك كما مَدَحْتَنا وإن شئت أثبناك. فاستحيا مطيع من اختيار الثوابِ على المديح وهو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعنٍ:

ثنـاءٌ مـن أميـرٍ خيـرُ كسْـبٍ | لصاحـبِ فـاقـةٍ وأخـي ثـراءِ[9]
ولكـنّ الـزمـانَ بَـرَى عِظـامِـي | ومـا مِثْـلُ الـدراهـمِ مـن دواءِ

فضحك معن حتى استلقى وقال: لقد لَطَفتَ[10] حتى تخلصتَ منها، صدقت، لَعمري ما مِثل الدراهمِ من دواء! وأمر له بثلاثين ألف درهمٍ، وخلعَ عليه وحمَلَه[11].

مطيع وصديق له عربي

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المهلّبي عن أبيه عن إسحاق قال: كان لمطيع بن إياس صديق من / العرب يُجالسُه، فضرِط ذات يومٍ وهو عنده، فاستحيا وغاب عن المجلس، فتفقّده مطيع وعرف سبب انقطاعه، فكتب إليه وقال: [ش١٢]

(١) الخرب: ذكر الحُبارى، وهي طائر.
(٢) خفان: موضع معروف قرب الكوفة، وهو مأسدة فيه غياض ونزوز. أشب: كثير الشجر.
(٣) في الأصول: «أزيابه»، «يشبهاه»، «جدة».
(٤) ومقا: أحبا.
(٥) جثا: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها.
(٦) في الأصل: «لا نعم».
(٧) في ب، س «يحضر هزلاً» وفي جـ «يحضر من لا» وما أثبتناه هو الأوفق.
(٨) الهودة: التوبة والرجوع إلى الحق.
(٩) في ب، ج: «لصاحب معن».
(١٠) لطف: رفق.
(١١) حمله: أعطاه دابة تحمله.

أظهـرت منـك لنـا هجـراً ومَقْلِيـةً وغبـتَ عنـا ثـلاثـاً لسـت تغشـانـا [1]

هَـوِّن عليـك فمـا فـي النـاس ذو إبـلٍ إلا وأنيقُـه يَشْـرُدْن أحيـانـا

مجون مطيع وأصحابه في الصلاة

[٣٢٦/١٣] / أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال حدثنا بعض شيوخنا البصريين الظرفاء وقد ذكرنا مطيع بن إياس، فحدثنا عنه قال:

اجتمع يحيى بن زيادٍ ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم، فشربوا أياماً تباعاً، فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سُكارى: ويْحكم! ما صلينا منذ ثلاثةِ أيامٍ فقوموا بنا حتى نصلي. فقالوا: نعم. فقام مطيع فأذَّن وأقام، ثم قالوا: من يتقدم؟ فتدافعوا ذلك، فقال مطيع لِلْمُغَنِّية: تقدّمي فصلي بنا. فتقدمت تصلي بهم عليها غلالةٌ رقيقة مطيَّبة بلا سراويل، فلما سجدت بان فرجها، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبَّله وقطع صلاته، ثم قال:

ولمـا بـدا فـرجهـا جـاثمـاً كـرأس حليـقٍ ولـم تَعتمِـدْ

سَجـدتُ إليـه وقبَّلتُـه كمـا يفعـل السـاجـدُ المجتهـد

فقطعوا صلاتهم، وضحكوا وعادوا إلى شربهم.

إعجاب المهدي بتهنئة مطيع

حدثني عمي الحسن بن محمدٍ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن القاسم مولى موسى الهادي قال:

كتب المهدي إلى أبي جعفر يسأله أن يُوَجّه إليه بابنه موسى، فحمله إليه، فلما قدم عليه قامتِ الخطباء تهنئه، والشعراء تمدحه، فأكثروا حتى آذوه وأغضبوه، فقام مطيع بن إياس فقال:

أحمـدُ اللّـه إلـهَ الـ ـخلـق ربَّ العـالمينـا

الـذي جـاء بمـوسـى سـالمـاً فـي سـالمينـا

الأميـرِ ابـن الأميـرِ ابـ ـن أميـرِ المـؤمنينـا

فقال المهدي: لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع. فأمسك الناس، وأمر له بصلة.

مطيع ينصح يحيى بن زياد

[٣٢٧/١٣] / قال أبو الفرج:

ونسخت من كتاب لأبي سعيدٍ السكري بخطه. قال: حدثني ابن أبي فنن. أخبرني يحيى بن علي بن يحيى بهذا الخبر فيما أجاز لنا أن يرويه عنه عن أبي أيوب المدائني عن ابن أبي الدواهي، وخبر السكري أتم واللفظ له، قال:

كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ له قِيانٌ، وكان له ابن وضِيء حسن الصورة يقال له الأصبغ [2]، لم يكن بالكوفة أحسنُ وجهاً منه، وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحماد عجردٍ وضرباؤهم يألفونه ويعشقونه

---

(١) مقلية: بغضاً.

(٢) في الأصل: «الأصبع» في جميع مواضعه من هذا الخبر. والمعروف في أعلامهم: «الأصبغ» بالغين المعجمة، وكذا «ذو الإصبع».

ويُطرِفونه(١)، وكلهم كان يعشق ابنه أصبَغ، حتى كان يوم نَوروز(٢) وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبِحَ مع يحيى بن زياد، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جِداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً، فقال أبو الأصبغ لجواريه: إن يحيى بن زيادٍ يزورنا اليوم، فأعدِدْن له كلَّ ما يصلح لمثلِهِ. ووجَّه بغلمانٍ له ثلاثةٍ في حوائجه، ولم يبق بين يديه أحد، فبعث بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل، فلما جاءه أستأذن له الغلام، فقال له يحيى: قل له يدخل، وتنحّ أنت وأغْلقْ / الباب ولا تَدَعِ الأصبغ يخرج إلا بإذني. ففعل الغلام ودخل الأصبغ، فأدّى إليه رسالة أبيه، فلما فرغ راودَه [١٠٦/١٢] يحيى عن نفسه، فامتنعَ، فثاوره(٣) يحيى وعاركه حتى صرعه، ثم رالم حَلّ تِكّته، فلم يقدر عليها، فقطعها وناكه، فلما فرغ أخرج من تحت مُصَلّاه أربعين دينار، فأعطاه إياها، فأخذها، وقال له يحيى: امض فإني بالأثر. فخرج أصبغُ من عنده، فوافاه مطيعُ بن إياس، فرآه يتبخّر ويتطيّب ويتزيّن، فقال له: كيف أصبحت؟ فلم يُجبه، وشمَخَ بأنفه، وقطّب حاجبيه، وتفخّم؛ فقال له: ويحك مالك؟ نزل عليك / الوحي؟ كلمتْك الملائكة؟ بويع لك بالخلافة؟ [٣٢٨/١٣] وهو يومىء برأسه: لا لا، في كل كلامه، فقال له: كأنك قد نكتَ أصبغ بن أبي الأصبَغ قال: إي والله الساعة نكته، وأنا اليوم في دعوة أبيه. فقال مطيع: فامرأتُه طالق إن فارقتك أو نقبّل متاعَك. فأبداه له يحيى حتى قبّله، ثم قال له: كيف قدَرتَ عليه؟ فقال يحيى ما جرى وحدثه بالحديث، وقام يمضي إلى منزل أبي الأصبَغ، فتبعه مطيع، فقال له: ما تصنعُ معي والرجل لم يدْعُك؟ وإنما يريد الخَلوة. فقال: أشَيّعُك إلى بابه ونتحدث. فمضى معه، فدخل يحيى وردّ الباب في وجه مطيع، فصبَر ساعة، ثم دقّ البابَ فاستأذنَ، فخرج إليه الرسول، وقال له: يقول لك أنا اليوم على شغُل لا أتفرّغ معه لك. فتعذّر(٤). قال: فابعث إليّ بدواةٍ وقرطاس، فكتب إليه مطيع(٥):

يا أبا الأصبغ لا زلتَ على ... كلّ حالٍ ناعماً مُتّبَعا
لا تصيّرنّي في الودّ كمن ... قَطَعَ التِّكّةَ قطْعاً شَنِعا
وأتى ما يشتهي لم يَثْنِه ... خيفةٌ أو حفظُ حقٍّ ضَيّعا
لو ترى الأصبغَ مُلقىً تحته ... مستكيناً خَجِلاً قد خَضَعا
ولَهُ دفْعٌ عليه عَجِلٌ ... شِبقٌ شاءَكَ ما قد صنَعا(٦)
فادعُ بالأصبغِ واعلم حالَه ... سترى أمراً قبيحاً شنِعا

قال فقال أبو الأصبغ ليحيى: فعلتَها يا ابن الزانية؟ قال: لا والله. فضرب بيده إلى تِكّة ابنه، فرآها مقطوعة، وأيقن يحيى بالفضيحة، فتلكأ الغلام، فقال له يحيى: قد كان الذي كان، وسعى بي إليك مطيعٌ ابن الزانية، وهذا ابني وهو والله أفره(٧) من ابنك، وأنا عربي ابن عربية وأنت نَبَطيٌّ ابن نَبَطية، فنِك ابني عشر مرات / مكان المرّة التي [٣٢٩/١٣] نكتُ ابنك، فتكونَ قد ربحتَ الدنانير، وللواحد عشرة. فضحك وضحك الجواري، وسكن غضبُ أبي الأصبغ، وقال لابنه: هات الدنانير يابن الفاعلة. فرمى بها إليه، وقام خجلاً، وقال يحيى: والله لا أُدخِل مطيعٌ الساعي ابن الزانية. فقال أبو الأصبغ وجواريه: والله ليَدخلَنّ، فقد نصحَنا وغشَشْتنا. فأدخلناه وجلس يشرب ومعهم يحيى يشتمهم بكل لسان، وهو يضحك، والله أعلم.

---

(١) يطرفونه: يهدون إليه الطريف.
(٢) نوروز: أوّل يوم من السنة الشمسية. وعند الفرس عند نزول الشمس أو الحمل.
(٣) ثاوره: واثبه.
(٤) تعذر: اعتذر واحتج لنفسه.
(٥) في الأصول: «فكتب إليه الاصبغ».
(٦) شاءك: حزنك. وفي الأصول «شاك».
(٧) الفاره من الناس: المليح الحسن.

مطيع يغلب خمسة ممن يكايدونه

أخبرني عمي الحسن بن محمدٍ قال حدثنا الكُرَاني عن العُمَري عن العتبي قال:

حضر مطيع بن إياس وشُراعةُ بن الزندبوذ ويحيى بن زياد ووالبة بن الحُبابِ وعبد الله بن العيّاشِ المنتوف وحماد عجرد، مجلِساً لأميرٍ من أمراءِ الكوفةِ، فتكايدوا جميعاً عنده، ثم اجتمعوا على مطيع / يكايِدونه ويهجونه فغلبهم جميعاً، حتى قطعهم ثم هجاهم بهذين البيتين وهما. ١٠٧/١٢

وخَمسةٍ قد أبانوا لي كِيادَهُمُ ... وقد تلظَّى لهم مِقْلًى وطِنْجيرُ[١]

لو يقدرون على لحمي لمزّقه ... قردٌ وكلبٌ وجِرْواهُ وخِنزيرُ[٢]

احتجاج مطيع لفسقه

أخبرني وكيعٌ عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن الفضل قال:

دخل صديق لمطيع بن إياس، فرأى غلاماً تحته ينيكه، وفوق مطيع غلام له يفعل كذلك، فهو كأنه في تَخت[٣]، فقال له: ما هذا يا أبا سلمى؟ قال: هذه اللذة المضاعفة.

تعريض حماد بأبنة مطيع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال:

كان حمادٌ الراوية قد هجر مطيعاً لشيء بلغه عنه، وكان مطيع حَلَقياً، فأنشد شعراً ذات يوم وحماد حاضر، فقيل له: من[٤] يقول هذا يا أبا سلمى؟ قال: الحطيئة. / قال حماد: نعم هذا شعر الحطيئة لما حضر الكوفة وصار بها حَلَقياً. يعرّض حماد بأنه كذاب، وأنّه حلقي، فأمسك مطيع عن الجواب وضحك. [١٣/٣٣٠]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا بن الأعرابي عن الفضل قال:

جاء رجل إلى مطيع بن إياس فقال: قد جئتك خاطباً. قال: لمن؟ قال: لمودّتك. قال: قد أنكحتكها وجعلت الصداق ألا تقبلَ فيّ قولَ قائلٍ. ويقال إن الأبيات التي فيها الغناء المذكور بذِكرها أخبار مطيع بن إياس يقولها في جارية له يقال لها جودانة[٥] كان باعها فندم، فذكر الجاحظ أن مطيعاً حلف أنها كانت تستلقي على ظهرها فيشخص كتِفاها ومَأكمتاها، فتدحرج تحتها الرمانَ فينفذ إلى الجانب الآخر. ويقال إنه قالها في امرأة من أبناء الدّهاقين[٦] كان يهواها، وشعره يدل على صحة هذا القول، والقول الأوّل غلط.

مطيع يشتاق إلى جاريته جودانة

أخبرني بخبره مع هذه الجارية أبو الحسن الأسدي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سعيد بن سالمٍ قال:

---

(١) المقلي والمقلاة: ما يقلى فيه الطعام. الطنجير: وعاء تعمل فيه الحلوى المخبوصة، وهو معرب.
(٢) في الأصول: «جروات»، والصواب ما أثبتاه.
(٣) التخت: وعاء تصان فيه الثياب. وفي الأصول «تحت».
(٤) في كل الأصول: «مرة» وهو تحريف.
(٥) في «معجم البلدان» برسم حلوان: «جُوذَابة».
(٦) الدهقان: رئيس الإقليم، فارسي معرب.

أخبرني مطيع بن إياس الليثي ـ وكان أبوه من أهل فلسطين من أصحاب الحجاج بن يوسف ـ أنه كان مع سَلْم[1] بن قتيبة، فلما خرج إبراهيم بن عبدِ الله بن الحسنِ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، كتب إليه المنصور يأمره باستخلاف رجلٍ على عمله والقدوم عليه في خاصَّتِه على البريد، قال مطيع: وكانت لي[2] جارية يقال لها جودانة كنتُ أحبها، فأمرني سَلْم بالخروج معه، فاضطررت إلى بيع الجارية، فبعتُها وندمتُ على ذلك بعد خروجي وتمنيت أن أكون أقمتُ، وتتبَّعَتْها نفسي، ونزلنا / حلوان، فجلست على العقبة أنتظر ثَقَلي وعنانُ دابّتي في [١٣/ ٣٣١] يدي وأنا مستند إلى نخلة على العقبة وإلى جانبها نخلة أخرى، فتذكرت الجاريةَ واشتقتُها وقلت:

أسعِدَانـي يـا نخلتَـيْ حُلْـوانِ ... وابكيـا لِـي مـن ريْـبِ هـذا الـزمـانِ[3]

واعلمـا أنّ ريْبَـه لـم يـزل يفـ ... ـرُق بيـن الأُلأف والجيـرانِ

ولَعمـري لـو ذقتمـا ألَـم الفُـر ... قـة قـد أبكـاكمـا الـذي أبكـانـي[4]

أسعِـدانـي وأيْقنـا أن نحسـاً ... سـوف يلقـاكمـا فتفتـرقـان

كـم رمتنـي صـروفُ هـذِي الليالـي ... بفـراق الأحبـابِ والخُـلّانِ / ١٠٨/ ١٢

غيـر أنـي لـم تلـق نفسِـي كمـا لا ... قيـت مـن فُـرقـة ابنـة الـدُّهقـان

جـارة لـي بـالـرّيِّ تُـذهِـبُ همِّـي ... ويُسَلِّـي دنُـوهـا أحـزانـي[5]

فجعتنـي الأيـامُ أغبـطَ مـا كنـ ... ـتُ بصـدعٍ للْبيـن غيـر مُـدان

وبـرغمـي أن أصبحَـتْ لا تـراهـا الـ ... ـعيـنُ منـي وأصبحَـتْ لا تـرانـي

إنْ نكـنْ ودّعـتْ فقـد تـركـتْ بـي ... لَهبـاً فـي الضميـر ليـس بـوان

كحـريـق الضّـرام فـي قصـب الغـا ... ب زفَتْـهُ رِيحَـانِ تختلفـان[6]

فعليـكِ السـلام [مِنِّـيَ][7] مـا سـا ... غَ سـلامـا عقلـي وفـاض لسـانـي

هكذا ذكر أبو الحسن الأسديُّ في هذا الخبر وهو غلط.

نسخت خبر هذا من خط أبي أيوب المدائني عن حماد، ولم يقل عن أبيه عن سعيد بن سالم عن مطيع قال: كانت لي بالرّي جارية أيام مُقامي بها مع سَلْم بن قتيبة، فكنتُ أتستَّر بها، وكنتُ أتعشق امرأةً من بنات الدَّهاقين كنت نازلاً / إلى جنبها في دار لها، فلما خرجنا بعتُ الجارية وبقيَتْ في نفسي علاقةٌ من المرأة التي كنت أهواها، [١٣/ ٣٣٢] فلما نزلنا عَقَبة حُلوان جلست مستنداً إلى إحدى النخلتين اللتين على العقبة فقلت:

أسعِـدانـي يـا نخلتـي حُلـوان ... وارثيـا لـي مـن ريـب هـذا الـزمـانِ

وذكر الأبيات، فقال لي سَلْم: ويلك فيمن هذه الأبيات؟ أفي جاريتك؟ فاستحييتُ أن أصدُقَه فقلت: نعم. فكتب من وقته إلى خليفته أن يبتاعها لي، فلم ألبَثْ أن ورد كتابه: إني وجدتُها قد تداولها الرجال، فقد عزفت نفسي

---

(١) في الأصول: «سالم». والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصول: «وكانت له».

(٣) حلوان: حلوان العراق في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد.

(٤) في ب، حـ: «الفرقة أبكاكما».

(٥) في الأصول: «وتسلي ذنوبها» وهو تحريف.

(٦) زفته: طردته واستخفته. وفي الأصول «رمته».

(٧) تكملة يستقيم بها الوزن.

عنها. فأمر لي بخمسة آلاف درهم، ولا والله ما كان في نفسي منها شيء، ولو كنت أحبها لم أبالِ إذا رجعتْ إليّ بمن تداولها، ولم أبالِ لو ناكها أهلُ مِنَى كلُّهم.

أخبرني عمي عن الحسن عن أحمد بن أبي طاهر عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن الفضل الهاشمي عن سلام الأبرش قال:

الرشيد يتداوى بالجمار ويقطع إحدى نخلتي حلوان

لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم بحُلوان، فأشار عليه الطبيب أنْ يأكل جُمَّاراً[1]، فأحضر دُهقان حلوان وطلب منه جُمَّاراً، فأعلمه أن بلده ليس بها نخل، ولكن على العقبة نخلتان، فَمُرْ بقطع إحداهما. فقطعت، فأُتِيَ الرشيدُ بجمارتها، فأكل منها وراح[2]. فلما انتهى إلى العقبة نظر إلى إحدى النخلتين مقطوعة والأخرى قائمة، وإذا على القائمة مكتوب:

أسعداني يا نخلتي حلوانِ ... وابكيا لي من ريب هذا الزمانِ

أسعداني وأيقنا أنّ نحساً ... سوف يلقاكما فتفترقان

فاغتم الرشيد، وقال: يعزُّ عليّ أن أكون نحسكُما، ولو كنتُ سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم.

[١٣/٣٣٣] / أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارثي بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن أبي محمد القيسيّ عن أبي سمير عبد الله بن أيوب قال:

لما خرج المهدي فصار بعقبة حُلوان استطاب الموضعَ فتغدّى ودعا بحسنةَ فقال لها: أما ترين طيب هذا الموضع؟ غنيني بحياتي حتى أشربَ ها هنا أقداحاً، فأخذت مِحكّة كانت في يده وأوقعت على / مَخَدّة[3] وغنّته: [١٠٩/١٢]

أيا نخلتَيْ وادي بُوانَةَ حبَّذا ... إذا نام حراسُ النخيل جَناكُما

فقال: أحسنت، ولقد هَمَمْت بقطع هاتين النخلتين ـ يعني نخلتي حلوان ـ فمنعني منهما هذا الصوتُ. وقالت له حسنة: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون النحس المفرق بينهما. فقال لها: وما ذاك؟ فأنشدته أبيات مطيع هذه. فلما بلغت إلى قوله:

أسعداني وأيقنا أن نحساً ... سوف يلقاكما فتفترقان

قال: أحسنتِ والله فيما قلْت، إذ نبهتني على هذا، والله لا أقطعهما أبداً، ولأوكلَنّ بهما من يحفظهما ويسقيهما ما حييتُ. ثم أمر بأن يُفعَلَ، فلم يزل في حياته على ما رسمه إلى أن مات.

نسبة هذا الصوت الذي غنته حسنة

أيا نخلتي وادي بُوانة حبّذا ... إذا نام حُرّاسُ النخيل جناكما

فطِيبُكما أربى على النخل بهجةً ... وزاد على طُول الفَتاءِ فَتاكما[4]

---

(١) الجمار: شحم النخل. وفي حـ: «بأكل جمار».

(٢) راح: نشط وارتاح.

(٣) في «معجم البلدان»: «على فخذه».

(٤) الفتاء: الشباب.

يقال إن الشعر لعُمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وفيه لعطرد رمل بالوسطى من روايته ورواية الهشاميّ.

/ المنصور ونخلتا حلوان [١٣/ ٣٣٤]

أخبرني عمي عن أحمد بن طاهر عن الخرّاز عن المدائني أن المنصور اجتاز بنخلتي حلوان وكانت إحداهما على الطريق، فكانت تُضيّقه وتزحم الأثقال عليه، فأمر بقطعهما، فأُنشِد قولَ مطيع:

واعلمــا مــا بقيتمــا أنّ نحسـاً ... ســوف يلقـاكمــا فتفتــرقــان

قال: لا والله ما كنت ذلك النحس الذي يفرق بينهما، وتركهما.

وذكر أحمد بن إبراهيم عن أبيه عن جده إسماعيل بن داود أنّ المهدي قال: قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان ولهممْت أن آمر بقطعهما. فبلغ قولُه المنصورَ، فكتب إليه:

«بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان، ولا فائدة لك في قطعهما، ولا ضرر عليك في بقائهما، فأنا أعيذك بالله أن تكون النَّحْسَ الذي يلقاهما، فتفرق بينهما». يريد قول مطيع.

قول حماد عجرد في نخلتي حلوان

ومما قالت الشعراء في نخلتي حلوان قول حماد عجرد، وفيه غناء قد ذكرتُه في أخبار حماد:

جعـلَ اللّــهُ سِـدرتَـيْ قصـرِ شيـريـ ... ـن فـداءً لنخلتَـيْ حلـوان[١]

جئـت مستعـداً فلـم يُسعـدانـي ... ومطيـعٌ بكـت لـه النخلتـان[٢]

لشاعر آخر فيهما

وأنشدني جحظةُ ووكيعٌ عن حماد عن أبيه لبعض الشعراء ولم يُسَمّه:

أيُّهـا العـاذلان لا تعـذلانـي ... ودعـانـي مـن الملام دَعـانـي

وابكيـا لـي فـإنّنـي مستحـق ... [منكُمـا] بـالبكـاء أن تسعـدانـي[٣]

إننـي منكمـا بـذلـك أولَـى ... مـن مطيـع بنخلتـي حُلـوان

فهمـا تجهـلان مـا كـان يشكـو ... مـن هَـواه وأنتمـا تعلمـان

/ لأحمد بن إبراهيم فيهما [١٣/ ٣٣٥]

١١٠
١٢

/ وقال فيهما أحمد بن إبراهيمَ الكاتبُ في قصيدة:

وكـذاك الـزمـانُ ليـس وإنْ ألّـف يبقـى عليـه مُـؤتلفـان[٤]

سلبـت كفُّـه الغَـريَّ أخـاه ... ثـم ثنّـى بنخلتَـيْ حُلـوان[٥]

---

(١) شيرين: قصر شيرين بين حلوان وهمذان. وفي كل الأصول: «نخلتي قصر شيرين». وما أثبتناه رواية «معجم البلدان».

(٢) في كل الأصول: «مستعدياً»، وهو تحريف.

(٣) [منكما]: زيادة يستقيم بها الوزن ولا يأباها المعنى.

(٤) في كل الأصول «ليس بوان» والصواب ما أثبتناه.

(٥) في جميع الأصول: «العزيز أخاه» وجاء في «معجم البلدان»: «الغريّ» وهي من غرى به غراة فهو غرى إذا لزق به ولزمه. والغريّ: واحد الغريّين، وهما بناءان مشهوران كانا بالكوفة.

فكــأنّ الغــريَّ قــد كــان فــرداً وكــأنْ لــم تُجــاور النخلتــان[١]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب الزبيري عن أبيه قال:

جلس مطيع بن إياس في العلة التي مات فيها في قبة خضراء وهو على فُرش خضر، فقال له الطبيب: أي شيء تشتهي اليوم؟ قال: أشتهي ألا أموت. قال: ومات في علته هذه، وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة الهادي.

قال أبو الفرج: ما وجدت فيه غناء من شعر مطيع، قال:

صوت

أمَـرُّ مـدامـةً صِـرْفـا كـأنّ صبيبهـا وَدَجُ[٢]

كـأنّ المِسـك نفحتُهـا إذا بـزِلـت لهـا أرَجُ[٣]

فظـلّ تخـالُـه ملكـا يصـرفهـا ويمتـزج[٤]

[١٣/٣٣٦] / الغناء لإبراهيمَ، ثاني ثقيل بالخنصر والوسطى عن ابن المكي. وفيه لحن آخرُ لابن جامع. وهذه الطريقةُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاقَ.

صوت

جُـدِلَـت كجـدْل الخيـزرا ن وثُنيـت فتثنـت

وَتيقّنَـتْ أن الفـؤا د يُحبهـا فـأدلّـت

الغناء لعبد الله بن عباس الربيعي خفيف رمل، وذكر حبش أنه لمقامة.

صوت

أيهـا المبتغـي بَلْـوى رشـادي الـهُ عنّـي فمـا عليـك فسـادي[٥]

أنـتَ خِلْـو مـن الـذي بـي ومـا يعـ ـلـم مـا بـي إلا القـريـحُ الفـؤاد[٦]

الغناء ليونس رمل بالبنصر من كتابه ورواية الهشامي.

---

(١) في كل الأصول: «العزيز مذ»، «يجاوز» وصوابه «الغرى قد»، «تجاور».

(٢) الودج: عرق في العنق.

(٣) بزل: يقال بزل الخمر وغيرها إذا ثقب إناءها.

(٤) يصرفها: يجعلها صرفاً، أي خالصة. والمعروف في امتزج أنه مطاوع «مزج» ولكن ورد نظيره في شعر أبي محجن الثقفي شاهداً للامتزاج بمعنى جعلها ممزوجة، وهو قوله:

فقـد أبـا كـرهـاً ربّـا وأشـربهـا صـرفـاً وأطـرب أحيـانـاً وامتـزج

وسبق نظيره أيضاً في قول الأقيشر («الأغاني» ١١: ٢٧٣ طبعة الدار):

فقـد أبـا كـرهـا صـرفـاً وأشـربهـا أشفـى بهـا غلتـي صـرفـاً وامتـزج

(٥) بلوى: اختبار وتجربة.

(٦) القريح: الجريح. وفي س، ب: «الفراغ الفؤاد».

صوت

إلا إن أهـلَ الـدارِ قـد ودّعـوا الـدارا وقـد كـان أهـلُ الـدار فـي الـدار أجْـوَارا(١)

يبكّـي علـى إثـرِ الجَميـعِ فـلا يـرى سـوى نفسـه فيهـا مـن القـوم ديّـارا(٢)

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة. وذكر ابن المكي أن فيه لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر.

انقضت أخبار مطيع ولله الحمد.

صوت

فـيّ انقبـاضٌ وحشمـةٌ فـإذا صـادفـتُ أهـلَ الـوَفَـاءِ والكـرمِ

أرْسلـتُ نفسـي علـى سجيّتهـا وقلـتُ مـا قلـتُ غيـرَ محتشِـم / ١١١/١٢

الشعر لمحمد بن كُناسة الأسديّ، والغناء لقلم الصالحية، ثقيل أوّل بالوسطى. وذكر ابن خرداذبة أنّ فيه لإسماعيل بن صالح لحناً.



(١) الأجوار: جمع جار، كالجيرة والجيران.

(٢) ما بها ديار: أي ما بها أحد.

[١٣/٣٣٧]

/ أخبار محمد بن كناسة ونسبه

هو محمد بنُ كُناسةَ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عُبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أُنَيف بن مازن بن صهبان ـ واسم صهبان كعب ـ بن دويبة[1] بن أسامة بن نصر بن قُعَين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة؛ ويكنى أبا يحيى. شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية، كوفي المولد والمنشأ، قد حُمل عنه شيء من الحديث؛ وكان إبراهيمُ بن أدهم الزاهد خالَه، وكان امرأ صالحاً لا يتصدّى لمدح ولا لهجاء؛ وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير؛ وكان أهلُ الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر.

ما قاله ابن كناسة في إبراهيم بن أدهم

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثني إبراهيمُ بن أبي عثمان قال حدثني مصعب الزُّبَيري قال:

قلت لمحمد بن كناسة الأسدي ونحن بباب أمير المؤمنين: أأنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد:

رأيتُـك مـا يُغنيـك مـا دونـه الغِنـى ... وقـد كـان يُغنـي دون ذاك ابـنَ أدهمـا

وكـان يـرى الـدنيـا صغيـراً عظيمهـا ... وكـان لِحَـقِّ الله فيهـا معظِّمـا

وأكثـر مـا تلقـاه فـي القـوم صـامتـاً ... فـإن قـال بـذَّ القـائليـنَ وأحكمـا

فقال محمد بن كناسة: أنا قلتها وقد تركتَ أجودها. فقال:

أهـان الهـوَى حتـى تجنَّبـه الهـوَى ... كما اجتنب الجاني الدّمَ الطالبَ الدّما

رأي ابن كناسة في حديثه

أخبرني محمدُ بن خلف بنِ المرزُبان قال حدثني عليّ بن مسرور العَتَكي[2] قال حدثني أبي قال قال ابن كناسة:

[١٣/٣٣٨] / لقد كنتُ أتحدّثُ بالحديث فلو لم يجد سامِعهُ إلا القُطنَ الذي على وجهِ أمه في القبر لتعلّل عليه حتى يستخرجَه ويهديَه إليّ، وأنا اليوم أتحدثُ بذلك الحديث فما أفرغُ منه حتى أهيّئَ له عذراً.

ابن كناسة يداعب جويرية

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان إجازةً قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني عبيد الله بن يحيى بن فَرْقَدٍ قال سمعت محمد بن كناسة يقول:

كنتُ في طريق الكوفة، فإذا أنا بجُوَيرِيةٍ تلعب بالكِعاب[3] كأنها قضيب بانٍ، فقلت لها: أنتِ أيضاً لو ضِعتِ لقالوا ضاعت جارية، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا أصدقَ. فقالت: ويلي عليك يا شيخ! وأنت أيضاً تتكلم بهذا الكلام؟ فكُسفتُ والله إلى بالي ثم تراجعت فقلت:

---

(١) كذا ورد في الأصول. ولعلها «رويبه» بالراء.

(٢) في جـ: «العسكري».

(٣) الكعاب: فصوص النرد.

وإنّــي لحُلــوٌ مخبَــري إن خبــرتنــي ولكــنْ يُعَطّينــي ولا ريــبَ بــي شَيْــخ [1]

فقالت لي وهي تلعب وتبسمت: فما أصْنَعُ بك أنا إذاً؟ فقلت: لا شيء. وانصرفت.

تفسير ابن كناسة لبيت فيه ذكر الجوزاء والثريا

أخبرنا ابن المرزُبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

سألت محمد بن كناسة عن قول الشاعر [2]:

إذا الجــوزاءُ أردفــت الثــريَــا ظننــتُ بــآل فــاطمــةَ الظنــونــا

فقال: يقول إذا صارت الجوزاء في الموضع الذي تُرى فيه الثريا خِفْت تفرّق الحيّ من مجمعهم؛ والثريا تطلعُ بالغداة في الصيف، والجوزاء تطلعُ بعد ذلك في أوّل القيظ.

أخبرني / ابن المرزبانِ قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني صالح بن أحمد بن عباد قال: ١١٢/١٢

/ **تعريض ابن كناسة بامرأته التي كان يبغضها** [١٣/٣٣٩]

مرّ محمد بن كناسة في طريق بغدادَ، فنظر إلى مصلوب على جذعٍ، وكانت عنده امرأة يبغضُها، وقد ثقل عليه مكانُها، فقال يَعْنيها:

أيــا جِــذعَ مَصْلُــوبٍ أتــى دون صَلْبِــه ثــلاثــون حــولاً كــامِــلاً هــل تُبــادِلُ

فمــا أنــت بــالحِمْــل الــذي قــد حمَلتَــه بــأضجــرَ منــي بــالــذي أنــا حــامــل

قول ابن كناسة فيمن يخدم عياله

أخبرني ابن المرزبانِ قال حدثنا عبد الله بن محمد. وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهْرويْه عن محمد بن عمران عن عُبيد بن حسن قال:

رأى رجل محمد بن كناسة يحمل بيدة بطنَ شاة، فقال: هاته أحمِله عنك. فقال: لا. ثم قال:

لا يَنقُــصُ الكــامِــلَ مــن كمــالِــه مــا جــرّ مــن نفــعٍ إلــى عيــالِــه

ابن كناسة ينوه بذكاء جاريته دنانير

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدّنيا قال حدثني محمد بن علي بن عثمان عن أبيه قال:

كنت يوماً عند ابن كناسة، فقال لنا: أعرّفكم شيئاً من فهم دنانير؟ يعني جاريته. قلنا: نعم. فكتب إليها: «إنك أمَةٌ ضعيفةٌ لكعاءُ، فإذا جاءكِ كتابي هذا فعجِّلي بجوابي. والسلام». فكتبت إليه: «ساءني تَهْجِينُك إياي عند أبي الحسين [3]، وإنّ من أعيا العيّ الجوابَ عما لا جواب له. والسلام».

دنانير ترثي صديق أبي الحسين

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إليّ الزبيرُ بن بكّار أخبرني عليّ بن عثمان الكِلابيُّ قال:

/ جئت يوماً إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده، ووجدتُ جاريتَه دنانيرَ جالسة، فقالت لي: مالك محزوناً يا [١٣/٣٤٠] أبا الحسين؟ فقلت: رجعتُ من دفْنِ أخٍ لي من قريش. فسكتتْ ساعة ثم قالت:

---

(١) في الأصول: «تعطيني». والشيخ: الشيخوخة.

(٢) هو خزيمة بن مالك بن نهد، كما في «اللسان» (ردف).

(٣) التهجين: التقبيح. وأبو الحسين: كنية علي بن عثمان، راوي الخبر.

بكيتَ على أخٍ لكَ من قريشٍ فأبكانا بكاؤك يا عليُّ
فماتَ وما خَبَرناهُ ولكنْ طهارةُ صَحْبِه الخبرُ الجَلِيُّ

ابن كناسة يحتفظ بكرامته في إملاقه

أخبرني الحسن بن علي الخَفّاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبّي قال:

أملق محمد بن كناسة فلامه قومُه في القعود عن السلطان وانتجاعِه الأشرافَ بأدبِه وعلمِه وشعرِه، فقال لهم مجيباً عن ذلك:

تُؤنِّبني أنْ صُنتُ عِرضِي عِصابةٌ لها بين أطنابِ اللئام بَصِيصُ[١]
يقولون لو غَمّضتَ لازددْتَ رِفعةً فقلتُ لهم إني إذنْ لَحرِيصُ[٢]
أتكْلِمُ وجْهِي لا أبا لأبيكُمُ مطامعُ عنها للكرامِ محيصُ
مَعاشِي دُوينَ القوت والعِرْض وافرٌ وبطْنِيَ عن جدوَى اللئام خَمِيصُ[٣]
سألقَى المنايا لم أخالط دَنِيّةً ولم تَسْرِ بي في المخزِيات قَلُوصُ[٤]

سرور ابن كناسة بلقاء الأوفياء والكرام

حدثنا الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال حدثني إسحاق الموصلي قال:

[٣٤١/١٣] / أنشدني محمد بن كناسة لنفسه قال:

فِيّ انقباضٌ وحِشمةٌ فإذا صادفتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسِي على سَجِيّتها وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحتَشِمِ /

١١٣/١٢

قال إسحاق فقلت لابن كناسة: ودِدت أنه نقصَ من عمري سنتان وأني كنت سبقتُك إلى هذين البيتين فقلتُهما.

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمرانَ الضَّبِيّ قال حدثني محمد بن المِقدام العِجْلي قال:

ابن كناسة يرثي إبراهيم بن أدهم

كانت أم محمد بن كناسةَ امرأةً من بني عجل، وكان إبراهيم بن أدهمَ خالَه أو ابنَ خالِه، فحدثني ابن كناسة أن إبراهيمَ بن أدهمَ قدم الكوفة فوجّهت أمُّه إليه بهديةٍ معه، فقبِلها ووهَب له ثوباً، ثم مات إبراهيم، فرثاه ابن كناسة فقال:

رأيتُك ما يكفيك ما دونه الغنى وقد كان يكفي دون ذاك ابنَ أدهما[٥]

---

(١) في الأصول: «تؤنبني إن نصب». الأطناب: جمع طنب، وهو حبل الخباء. بصيص: بريق.
(٢) الحرص: الجشع.
(٣) الجدوى: العطية. خميص: ضامر.
(٤) القلوص من النوق: الشابة.
(٥) في حـ: «من دونه الغنى».

وكان يرى الدنيا قليلاً كثيرُها فكان لأمر الله فيهما مُعظِّما
أمات الهوى حتى تجنّبه الهوى كما اجتنب الجاني الدّم الطالبَ الدّما
وللحلم سلطانٌ على الجهل عنده فما يستطيعُ الجهلُ أن يَتَرَمْرَما [1]
وأكثَرُ ما تلقاه في القوم صامتاً وإن قال بَذَّ القائلين وأحكما
يُرَى مستَكِيناً خاضِعاً متواضِعاً وليْثاً إذا لاقَى الكَتيبةَ ضيغمَا
على الجدَث الغربيّ من آل وائلٍ سلامٌ وبِرٌّ ما أبرّ وأكرما

/ رد ابن كناسة على عتاب صديق [٣٤٢/١٣]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني زكريا بن مهران قال: عاتَب محمد بن كناسة صديقٌ له شريفٌ كان ابنُ كناسةَ يزوره ويألفُه على تأخره عنه، فقال ابن كناسة:

ضعُفتُ عن الإخوان حتى جفوْتُهم على غير زهدٍ في الوفاءِ ولا الودِّ
ولكنّ أيامي تخرَّمْنَ مُنّتي فما أبلُغُ الحاجاتِ إلا على جَهْد [2]

رأي ابن كناسة في الدنيا

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضَّبِّيُّ قال أنشدني ابن كناسة ـ قال الضَّبِّيُّ: وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها ـ:

ومِنْ عَجبِ الدنيا تَبَقِّيك للبِلَى وأنّك فيها للبقاء مريدُ
وأيّ بني الأيام إلا وعنده من الدهر ذنبٌ طارفٌ وتَلِيدُ
ومن يأمن الأيامَ أمّا انبياعُها فخطْر وأمّا فَجْعُها فعتيد [3]
إذا اعتادت النفسُ الرّضاع من الهوى فإنّ فِطَام النفسِ عنه شديد

ابن كناسة يصف الحيرة وما جاورها

حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال قال لي عُبَيد بنُ الحسن:

قال لي ابن كناسة ذات يوم في زمن الربيع: اخرج بنا ننظر إلى الحِيرةِ فإنها حسنة في هذا الوقت. فخرجت معه حتى بلغنا الخورنق، فلم يزل ينظر إلى البر وإلى رياض الحيرة وحمرة الشقائق، فأنشأ يقول:

الآن حين تزيّن الظّهر مَيْثَاؤه وبِرَاقُه العُفْرُ [4]
بسط الربيع بها الرياضَ كما بُسطتْ قُطُوع اليَمْنةِ الخمرُ [5]
/ بَرِّيّةٌ في البحر نابتة يُجْبى إليها البرُّ والبحرُ [٣٤٣/١٣]

---

(١) ترمرم: تحرك للكلام ولم يتكلم. وفي س: «يتزمزم».
(٢) تخرم: اقتطع. المنة: القوّة.
(٣) الانبياع: الوثوب بعد سكون. وفي الأصول: «اتساعها». والخطر: مصدر خطر الفحل بذنبه يخطر: ضرب به يميناً وشمالاً. العتيد: الحاضر المهيأ.
(٤) الميثاء: الأرض السهلة. براقة: جمع برقاء وهي أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل.
(٥) قطوع اليمنة: بسط اليمن.

١١٤/١٢

وجرى الفرات على مياسرها ... وجرى على أيْمَانِها الزهرُ /

وبدا الخورنق في مطالعها ... فردا يلوح كأنه الفجر [١]

كانت منازلَ للملوك ولم ... يُعْلَمْ بها لمَمَلَّك قبرُ

قال: ثم قال يصف تلك البلاد:

سَفُلَتْ عَنْ بَرْدِ أرضٍ ... زادها البردُ عذابا

وعَلَتْ عن حرٍّ أخرى ... تُلهِب النارَ التهابا

مُزِجَت حيناً ببردٍ ... فصفَا العيشُ وطابا

ابن كناسة ينصح ابنه في اختيار الصديق

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصَّيْرَفِيُّ قال حدثنا الحسن بن عُلَيْل العنزي قال حدثني إسحاق بن محمد الأسدي قال حدثني عبد الأعلَى بنُ محمد بن كناسة قال:

رآني أبي مع أحْداثٍ لم يرضَهُم، فقال لي:

يُنْبِيكَ عن عيب الفتَى ... تركُ الصلاة أو الخَدِينُ

فإذا تهاون بالصّلاةِ ... فما لهُ في الناس دِينُ

ويُزَنُّ ذو الحدثِ المريبِ ... بما يُزَنُّ به القرينُ [٢]

إن العفيفَ إذا تكنَّفه ... المريبُ هو الظنينُ [٣]

شعر ابن كناسة في رجل يخالف ظاهره باطنه

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاقُ قال حدثني أبن مهرويه قال حدثني أحمد بن خَلَّاد قال أخبرنا عباد بن الحسين بن عباد بن كناسة ـ قال: كان محمد بن كناسة عمّ أبيه ـ قال:

[٣٤٤/١٣] / كان يجيء إلى محمد بن كناسة رجل من عشيرته فيجالسه، وكان يكتب الحديث ويتفقه ويظهر أدباً ونُسكاً، وظهر محمد بن كناسة منه على باطنٍ يخالف ظاهره، فما جاءه قال له:

ما مَن روَى أدباً فلم يعملْ به ... ويكفّ عن دفع الهوى بأديبِ [٤]

حتى يكونَ بما تعلّم عاملاً ... من صالحٍ فيكونَ غيرَ معِيب

ولقلما يُغني إصابةُ قائلٍ ... أفعالُه أفعالُ غيرِ مُصيبِ

خبر جد ابن كناسة مع امرأة من بني أود

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن كناسة عن أبيه عن جده قال:

---

(١) الخورنق: قصر كان بظهر الحيرة.

(٢) يزنّ: يتهم.

(٣) الظنين: المتهم.

(٤) في الأصول: «يامن». وفي حـ: «وقع الهوى تأديب».

أتيتُ امرأةً من بني أَوْدٍ تكحلُني من رمدٍ كان أصابني، فكحلتني ثم قالت: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك. فاضطجعت، ثم تمثلت قول الشاعر:

أَمُخْتَـرِمـي ريـبُ المنـونِ ولـم أَزُرْ ... طبيـبَ بنـي أَوْدٍ علـى النَّـأْيِ زينَبَـا [١]

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت: لا والله. فقالت: فيّ والله قِيلَ، وأنا زينبُ التي عناها، وأنا طبيب أَوْد، أفتدري من الشاعر؟ قلت: لا. قالت: عمك أبو سماك الأسدي.

جارية ابن كناسة تقول شعراً فيمن يعرض لها بأنه يهواها

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاقُ قال حدثنا الزبيرُ بن بكّار قال أخبرني عليّ بن عَثّام الكلابيُّ قال:

/ كانت لابن كناسة جارية شاعرة مغنية، يقال لها دنانير، وكان له صديق يكنى أبا الشَّعْثاء، وكان عفيفاً [٣٤٥/١٣] مزّاحاً، فكان يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناء جاريته ويعرّض لها بأنه يهواها، فقالت فيه:

لأبـي الشعثـاءِ حـبٌّ بـاطـنٌ ... ليـس فيـه تُهَمَـةٌ للمتهِـمْ / [١١٥/١٢]

يـا فـؤادي فـازدَجِـر عنـه ويـا ... عَبَـثَ الحـبّ بـه فـاقعُـد وقـمْ

زارنـي منـه كـلامٌ صـائـبٌ ... وَوسيـلاتُ المحبّيـن الكَلِـمْ

صـائـدٌ تـأمنـهُ غِـزلانُـه ... مثـلَ مـا تـأمـنُ غِـزلانُ الحَـرَمْ [٢]

صـلْ إن أحببـتَ أن تُعطَـى المنـى ... يـا أبـا الشَّعْثـاءِ للَّـه وصُـمْ

ثُـمَّ ميعـادُك يـوم الحشـرِ فـي ... جَنَّـةِ الخلـدِ إن اللَّـهُ رَحِـمْ

حيـثُ ألقـاك غـلامـاً نـاشئـاً ... يـافعـاً قـد كَمُلـت فيـه النِّعَـم [٣]

ابن كناسة يرثي جاريته

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ المؤدّبُ قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدثني أحمد بن محمد الأسديّ قال حدثني جدي موسى بن صالح قال: ماتت دنانير جارية ابن كُناسة، وكانت أديبةً شاعرة، فقال يرثيها بقوله:

الحمـدُ للَّـه لا شَـريـكَ لـه ... يـا ليـتَ مـا كـان منـكِ لـم يكـنِ

إن يكـن القـولُ قـلّ فيـكِ فمـا ... أفحمنـي غيـرُ شِـدّة الحـزَنِ

رواية ابن كناسة للحديث

قال أبو الفرج: وقد روى ابن كناسة حديثاً كثيراً، وروى عنه الثقاتُ من المحدثين؛ فممن روى ابن كناسة عنه سليمانُ بنُ مهران الأعمش، وإسماعيلُ بنُ أبي خالد، وهشام بنُ عُروة بن الزبير، ومِسْعَر بن كِدام، وعبدُ العزيز بن أبي داود، وعُمَر بن ذر الهمْدَاني [٤]، وجعفر بن بُرْقان، وسفيان الثَّوْري، وفِطْر بن خليفة [٥] ونظراؤهم.

(١) مختَرِم: من اخترمته المنية، إذا أخذته. ريب المنون: حوادث الدهر. وفي الأصول: «أمختبري».

(٢) في ب، جـ: «صائدة منه».

(٣) يافعاً: راهق العشرين.

(٤) ترجم له في تهذيب التهذيب. وفي الأصول: «عمرو»، تحريف.

(٥) في ب، س «قطن» صوابه في حـ. وقد ترجم له في تهذيب التهذيب.

[٣٤٦/١٣] / **طائفة مما روي من الأحاديث**

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال حدثنا محمد بنُ سعد العوفي[١] قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا الأعمشُ عن شقيق بن سَلَمة عن أبي موسى الأشعري قال: قلت: يا رسول الله إن الرجل يحب القوم ولم يَلحَقْ بهم. قال: «المرء مع من أحبّ»[٢].

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا محمد بن كناسة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبدِ الله بن جعفر قال:

قال رسول الله ﷺ: «خير نسائها مريمُ بنتُ عمران، وخيرُ نسائنا خديجةُ». والله أعلم[٣].

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثنا ابن كناسة قال حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زِرّ بن حُبَيْش قال:

كانت في أبيّ بن كعب شراسةٌ، فقلت له: يا أبا المنذر، اخفض جناحك يرحمْك الله، وأخبرنا عن ليلة القدر. فقال: هي ليلة سبع وعشرين. وقد روى حديثاً كثيراً ذكرت منه هذه الأحاديث فقط، ليعلم صحة ما حكيته عنه، وليس استيعاب هذا الجنس مما يصلُح ها هنا.



(١) في س، ب: «محمد بن سعد» فقط.

(٢) في هامش س: وهذا الحديث رواه البخاري مكرراً، وطرقه مختلفة، ولفظ طريق أبي موسى قال: «قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال: المرء مع من أحب».

(٣) في هامش س: وفي البخاري قال ـ يعني عبد الله بن جعفر ـ سمعت علياً وذكر الحديث ولفظه «وخير نسائها خديجة»، بضمير الغائبة. قال القسطلاني: قال القرطبي: الضمير عائد على غير مذكور، لكنه يفسره الحال والمشاهدة، يعني به الدنيا. وقال الطيبي: الضمير الأول يعود على الأمة التي كانت فيها مريم، والثاني على هذه الأمة. قال: ولهذا كرر الكلام، تنبيهاً على أن حكم كل واحدة منهما غير حكم الأخرى.

/ أخبار قلم الصّالحيّة [١٣/٣٤٧]

كانت قلمُ الصالِحيةِ جاريةً مولَّدة صفراءَ حُلوةً حسنةَ الغناء والضرب حاذقةً، قد أخذت عن إبراهيمَ وابنهِ إسحاق، ويحيى المكيّ، وزُبَيْر بن دحْمان. وكانت لصالح بن عبد الوهّاب أخِي أحمد بن عبد الوهّاب كاتب صالح بن الرشيد، وقيل: بل كانت لأبيه. وكانت لها صَنْعَةٌ يسيرة نحو عشرين صوتاً، واشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار.

قلم الصالحية وإعجاب الواثق بها

فأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدثني رذاذُ أبو الفضل المغنّي مولى المتوكل على الله، قال حدثني / أحمد بن الحسين بن هشام، قال: [١١٦/١٢]

كانت قلمُ الصالحية جاريةُ صالح بن عبد الوهاب إحدى المغنّيات المحسِنات المتقدمات، فغُنّي بين يدي الواثق لَحْن لها في شعر محمد بن كناسة، قال:

فـــيّ انقبـــاضٌ وَحِشمـــةٌ فَـــإذا ... صـادفــتُ أهــلَ الــوفــاءِ والكــرمِ
أرسلْــتُ نفسِــي علــى سجيَّتِهـــا ... وقُلْــتُ مـــا قلــتُ غيــرَ مُحْتَشِــمِ

فسأل: لمن الصنعة فيه؟ فقيل: لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب. فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيّات فأحضره. فقال: ويلك! من صالح بن عبد الوهاب هذا؟ فأخبره. قال: أين هو؟ قال: ابعث فأشخِصْه وأشخِص معه جاريتَه. فقَدِما على الواثق، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنّت، فاستحسنَ غِناءها وأمرَ بابتياعها. فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينارٍ وولايةِ مصر. فغضِب الواثق من ذلك، وردّ عليه[1]. ثم غنّى بعد ذلك زُرْزُورٌ[2] الكبيرُ في مجلس الواثق صوتاً، الشعر فيه لأحمدَ بن عبد الوهاب أخي صالح، والغناء لقَلَم، وهو:

/ أبـــتْ دار الأحبَّـــةِ أنْ تبينـــا ... أجِـــدَّكَ مـــا رأيـــتَ لهـــا مُعينـــا[3] [١٣/٣٤٨]
تَقَطَّـــعُ نفسُـــه مـــن حـــبِّ ليلـــى ... نفـــوســاً مـــا أُثِبْـــنَ ولا جُـــزينـــا

فسأل: لمن الغناء؟ فقيل: لقلم جاريةِ صالح، فبعث إلى ابن الزَّيات: أشخِصْ صالحاً ومعه قلم. فلما أشخصهما دخلت على الواثق، فأمرها أن تغنّيه هذا الصوت، فغنته، فقال لها: الصنعةُ فيه لك؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: بارك الله عليك. وبعث إلى صالح فأحضِر، فقال[4]: أما إذا وقعت الرغبةُ فيها من أمير المؤمنين

---

(١) كذا، وفي «نهاية الأرب»: «وردها إليه».

(٢) في ب، حـ: «زرزر».

(٣) أجدك، أي أجدا منك، أي أحقاً ما تقول.

(٤) جاء في «نهاية الأرب» جـ ٥ صفحة ٦٩ ما يأتي: «وبعث إلى صالح فأحضره وقال له: إني قد رغبت في هذه الجارية فاستم في ثمنها سوماً يجوز أن تعطاه. فقال...».

فما يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين، فإنَّ من حقِّها عليَّ إذا تناهيتُ في قضائه أن أصَيِّرَها ملكه، فبارك الله له فيها. فقال له الواثق: قد قبلتها. وأمر ابنَ الزيات أن يدفَعَ إليه خمسةَ آلاف دينار، وسماها احتياطاً، فلم يعطه ابنُ الزيات المالَ ومطلَه به، فوجّه صالح إلى قلم من أعلمها ذلك، فغنّت الواثق وقد اصْطَبحَ صوتاً، فقال لها: بارك الله فيكِ وفيمن ربّاكِ. فقالت: يا سيدي وما نفع من ربّاني منّي إلا التعبُ والغرم عليّ والخروج منّي صِفراً؟ قال: أوَ لم آمرْ له بخمسةِ آلاف دينار؟ قالت: بلى! ولكنّ ابنَ الزيّات لم يعطِه شيئاً. فدعا بخادم من خاصّة الخدم ووقَّع إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه، وخمسة آلاف دينار أخرى معها. قال صالح: فصِرتُ مع الخادم إليه بالكتاب، فقربني وقال: أما الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت، والخمسة الآلاف الأخرى أنا أدفعها إليك بعد جمعة. فقمت، ثم تَناساني كأنه لم يعرفني، وكتبت أقْتضِيه، فبعث إليّ: اكتُبْ لي قبْضاً[1] بها وخذها بعد جمعة. فكرهْت أن أكتب قبضاً بها فلا يَحصُل لي شيء، فاستترتُ وهو في منزل صديق / لي؛ فلما بلغه استتَاري خاف أن أشكوَه إلى الواثق، فبعث إليّ بالمال وأخذ كتابي بالقبض. ثم لقيني الخادمُ بعد ذلك فقال لي: أمرني أميرُ المؤمنين أن أصيرَ إليك فأسألك، هل قبضت المال؟ قلت: نعم قد قبضته. قال صالح: وابتعت بالمال ضيعة وتعلّقْت بها وجعلتها مَعاشِي، وقعدت عن عمل / السلطانِ فما تعرضت منه لشيء بعدها.

[١٣/٣٤٩] [١١٧/١٢]

علي بن الجهم يمدح الواثق

أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرني ابن إسحاق الخراسانيّ. قال: وحدثني محمد بن مُخارق قال: لما بويع الواثق بالخلافة دخل عليه علي بن الجهم فأنشده قوله:

قَـد فـازَ ذو الـدّنيـا وذو الـدّيـن ... بـدولـةِ الـواثِـقِ هـارون

وعـمّ بـالإحسـان مـن فعلـهِ ... فـالنـاسُ فـي خفْـضٍ وفـي لِيـنِ

مـا أكثـرَ الـداعـي لـه بـالبَقَـا ... وأكثـرَ التَّـالِـي بـآميـنِ

وأنشده أيضاً قوله فيه:

وَثِقَـت بـالملـكِ الـوا ... ثِـقِ بـاللّـه النُّفـوسُ

مَلِـكٌ يشقَـى بـه المـا ... لُ ولا يشقَـى الجَليـسُ

أسـد تضْحَـك عـن شَـدّ ... اتِـه الحـربُ العبـوسُ

أنِـس السيـفُ بـه واسـ ... ـتوْحَـش العِلـقُ النفيـسُ[2]

يـا بَنـي العبـاس يـأبـى اللّـهُ إلاّ أنْ تَسُـوسُـوا

[١٣/٣٥٠] / قال: فوصَله الواثقُ صلة سنِيّة.

(١) القبض: الملك.

(٢) العلق: النفيس من كل شيء، والثوب الكريم.

شراء الواثق لقلم الصالحية

وتغنَّت قلمُ جاريةُ صالح بن عبد الوهاب في هذين الشعرين، فسمع الواثق الشِّعرَين واللحنَين من غيرها فأراد شراءَها، وأمر محمد بن عبد الملك الزيات بإحضارِ مولاها وإحضارها، واشتراها منه بعشرة آلاف دينار.

صوت

وكنتُ أُعيِّرُ الدمعَ قبلك من بكى ... فأنت على من مات قبلك شاغِلُه

سقى جدَثاً أعرافُ غَمْرة دونه ... ببيشةَ دِيماتُ الربيعِ ووابِلُه[1]

وما بِيَ حبُّ الأرضِ إلا جوارُها ... صَداهُ وقولٌ ظَنَّ أنِّيَ قائلُه

الشعر للشمردل بن شَرِيك من قصيدةٍ طويلةٍ مشهورةٍ يرثي بها أخاه، والغناء لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أوّل بالوسطى، ابتداؤه نشيد، ولمقاسة بن ناصح فيه خفيف رمل بالوسطى جميعاً عن الهشامي، وذكر حبش أن خفيف الرمل لخزرج.



(١) الأعراف: ما ارتفع من الرمل، الواحدة عرفة. وفي بلاد العرب بلدان كثيرة تسمى الأعراف منها أعراف غمرة. غمرة: جبل. بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن. وفي س، ب: «أعراق غمرة». وفي «معجم البلدان»: «ديمات الربيع هواطله».

[١٣/٣٥١] /

أخبار الشمردل ونسبه

نسبه

الشَّمردَل بن شَريك بن عبد الملك بن رؤبة بن سلمة بن مكرم بن ضِبارَى[١] بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع. وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان في أيام جرير والفرزدق.

خروجه وإخوته إلى خراسان وهجاؤه وكيع بن أبي سود لإنفاذهم في وجوه مختلفة

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ واسمه رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال:

كان الشمردل بن شَرِيك شاعراً من شعراء بن تميم في عهد جرير والفرزدق، وكان قد خرج هو وإخوته حكم ووائل وقُدامة إلى خراسان مع وكيع بن أبي سُود، فبعث وكيع أخاه وائلاً في بعث لحرب الترك، وبعث أخاه قدامة إلى فارس في بعث آخر، وبعث أخاه حكماً في بعث إلى سجستان، فقال له / الشمردل: إن رأيت أيها الأمير أن تنفِذَنا معاً في وجه واحد، فإنا إذا اجتمعنا تعاونّا وتناصرنا وتناسبْنا[٢]. فلم يفعل ما سأله، وأنفذهم إلى الوجوه التي أرادها، فقال الشمردل يهجوه، وكتب بها إلى أخيه حكم مع رجل من بني جشم[٣] بن أُدّ بن طابخة:

إنـــي إليـــك إذا كتبـــتُ قصيـــدةً ... لـم يـأتنـي لجـوابهـا مَـرجـوعُ

أيُضيعُهـــا الجُشَمِـــيّ فيمـــا بيننـــا ... أم هـل إذا وصلـتْ إليـك تَضيـعُ

ولقـــد علمـــتُ وأنـــت عنّـــي نـــازحٌ ... فيمـا أتـى كِبْـدُ الحمـار وكيـعُ

وبنـــو غُـــدانـــةَ كـــان معـــروفـــاً لهـــم ... أن يُهضَمـوا ويَضِيمَهـم يَـربـوع

وعُمـــارة العبـــد المَبيَّـــن إنـــه ... واللـؤم فـي بـدن القميـص جميـع

[١٣/٣٥٢] /

رثاؤه لأخويه قدامة ووائل

قال أبو عبيدة: ولم ينشَبْ[٤] أن جاءه نعيُ أخيه قدامةَ من فارس؛ قتله جيش لقُوهم بها، ثم تلاه نعي أخيه وائل بعده بثلاثة أيام، فقال يرثيهما:

أعـاذلُ كـم مـن روعـةٍ قـد شهـدتهـا ... وغُصّـةِ حـزن فـي فِـراق أخ جـزْلِ[٥]

إذا وقعـت بيـن الحيـازيـم أسـدفـت ... علـيّ الضحـى حتـى تنسّيَنـي أهلـي[٦]

---

(١) في س، ب: «ضاري».

(٢) في حـ: «تناسينا».

(٣) في حـ: «بني حميس».

(٤) لم ينشب: لم يلبث.

(٥) الروعة: الفزعة. والجزل: الكريم العطاء، والعاقل الأصيل الرأي.

(٦) الحيازيم جمع الحيزوم هو ما استدار بالظهر والبطن أو ضليع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر. أسدفت: أظلمت في لغة تميم، والشمردل تميمي.

وما أنا إلا مثلُ من ضُربتْ له … أُسَى الدهر عن ابْنَيْ أبٍ فارقا مثلي[1]
أقول إذا عزّيتُ نفسي بإخوة … مضوا لإضعافٍ في الحياة ولا عُزْل
أبى الموتُ إلا فجعَ كلِّ بني أب … سيُمسون شتّى غيرَ مجتمعي الشَّمْل
سبيل حبيبيَّ اللَّذين تبرّضا … دُموعيَ حتى أسرعَ الحُزْنُ في عقلي[2]
كأن لم نسِرْ يوماً ونحنُ بغبطةٍ … جميعاً وينزلْ عند رحليهما رحْلي
فعينيَّ إنْ أفضلتُما بعد وائلٍ … وصاحبه دمعاً فعُودَا على الفضْل
خليليَّ من دون الأخلاء أصبحا … رهينَيْ وفاءٍ من وفاةٍ ومن قتْل
فلا يبعدا للدَّاعِيَيْن إليهما … إذا اغبر آفاقُ السماءِ من المحْل[3]
فقد عَدِمَ الأضيافُ بعدهما القِرى … وأخمد نارَ الليل كلُّ فتًى وغْل[4]
وكانا إذا أيدِي الغضابِ تحطمت … لواغِرِ صدر أو ضغائنَ من تبل[5]
/ تَحاجزُ أيدِي جُهَّل القومِ عنهما … إذا أتعب الحلمَ التترّعُ[6] بالجهل [١٣/٣٥٣]
كمستأسِدَي عرِّيسةٍ لهما بها … حِمًى هابه من بالحُزُونةِ والسَّهْلِ[7]

ومنها الصوت الذي ذكرت أخباره بذكره.

رثاؤه أخاه وائلاً أيضاً

قال أبو عبيدة: وقال يرثي أخاه وائلاً، وهي من مختار المراثي وجيد شعره:

لعمري لئن غالت أخي دارُ فُرقةٍ … وآب إلينا سيفُه ورواحلُه[8]
وحلّت به أثقالَها الأرضُ وانتهى … بمثواه منها وهْو عفٌّ مآكلُه[9]
لقد ضُمِّنت جَلْدَ القُوى كان يُتّقَى … به جانبُ الثغر المخوفِ زلازلُه
وَصُولٌ إذا استغنى وإن كان مقْترا … من المال لم يُحْفِ الصديقَ مسائلُه[10]
محلٌّ لأضياف الشّتاء كأنما … هُمُ عنده أيتامه وأراملُه[11] / ١١٩/١٢
رخِيصُ نضيجِ اللحم مُغْلٍ بنِيئِه … إذا بردت عند الصِّلاءِ أناملُه[12]

---

(١) الأسي: بالكسر وتضم جمع أسوة. وهو ما يتأسى به الحزين ويتعزى.
(٢) تبرضا دموعي: استنزفاها قليلاً قليلاً.
(٣) المحل: الجدب، وانقطاع المطر. س، ب: «فلا يبعدا للراعيين».
(٤) الوغل: النذل الساقط المقصر في الأشياء.
(٥) الوغر: التوقد من الغيظ. التبل: العداوة.
(٦) تحاجز: تتحاجز. والتترع: التسرع.
(٧) المستأسد: الجريء، عنى به الأسد. والعريسة: مأوى الأسد. وفي الأصل: «كميشا سدي». الحزونة: الأرض الغليظة.
(٨) في «أمالي اليزيدي» ٣٢: «وحمائله».
(٩) في «أمالي اليزيدي»: «حلت: زينت به موتاها، من الحلي».
(١٠) المقتر: القليل المال. أحفاه: برح به في الإلحاح عليه، أو سأله فأكثر عليه الطلب.
(١١) اليزيدي: «هضوم لأضياف الشتاء». والهضوم، والهضام: المنفق لماله.
(١٢) الصلاء: اسم للنار أو للوقود.

أقولُ وقد رَجّمتُ عنه فأسرعت ... إليّ بأخبارِ اليقين محاصلُه(1)

إلى اللهِ أشكو لا إلى الناس فقدَه ... ولوعةَ حزن أوجعَ القلبَ داخلُه

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتُها ... فكان أخي رُمحاً ترفّضَ عاملُه(2)

[13/354] / سقى جدثاً أعرافُ غمرة دونه ... ببيشةَ دِيمَاتُ الربيع ووابلُه(3)

بمثوَى غريبٍ ليس منا مزارُه ... بدانٍ ولا ذُو الودّ مِنّا مواصلُه(4)

إذا ما أتى يومٌ من الدهرِ دونه ... فحيّاك عنا شرقُه وأصائلُه(5)

سَنا صبحِ إشراقٍ أضاء وَمغربٌ ... من الشمس وافى جنحَ ليلٍ أوائلُه(6)

تحيةَ من أدّى الرسالةَ حُبّبت ... إليه ولم ترجِع بشيءٍ رسائلُه(7)

أبَى الصبرَ أن العين بعدَك لم يزَلْ ... يخالط جَفْنيها قذًى لا يزايلُه(8)

وكنتُ أعير الدمع قبلَك مَن بكى ... فأنت على من مات بعدك شاغلُه

يذكرني هَيْفُ الجنوب ومُنتهى ... مسيرِ الصَّبا رَمْساً عليه جنادلُه(9)

وهتّافةٌ فوق الغصونِ تفجّعت ... لفقدِ حمام أفردتها حبائلُه

من الوُرْق بالأصياف نواحة الضحى ... إذا الغرقد التفت عليه غياطلُه(10)

وسَوْرةُ أيدِي القوم إذ حُلّت الحُبا ... حُبا الشَّيبِ واستغوَى أخا الحلم جاهله(11)

فعينيّ إذ أبكاكما الدهرُ فابكيا ... لمن نصرُه قد بان منا ونائله(12)

[13/355] / إذا استعبرت عُوذُ النساء وشمّرت ... مآزر يوم ما تَوارَى خلاخله(13)

وأصبح بيت الهجرِ قد حال دونه ... وغال امرأ ما كان يُخْشى غوائله

---

(1) الترجيم، من الرّجم، وهو القذف بالغيب والظن. قال زهير:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم

وفي الأصل: «زممت»، صوابه من «أمالي اليزيدي».

(2) عامل الرمح: صدره، وهو ما يلي السنان. ترفض: تكسر وتحطم. في الأصول: «ترقص»، صوابه من «أمالي اليزيدي».

(3) «اليزيدي»: «أكناف غمرة» و «بهضبة كتمان المديم».

(4) «اليزيدي»: * قريباً ولا ذو الودّ منا يواصله *

(5) «اليزيدي»: «من الدهر بيننا * فحياك منا».

(6) «اليزيدي»: «وكل سنا برق أضاء».

(7) «اليزيدي»: «حببت إلينا».

(8) القذى: ما ترمي به العين من غمص ورمص. «اليزيدي»: «ما يزايله».

(9) الهيف: ريح حارّة تأتي من نحو اليمن. الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. الرمس: القبر. الجنادل: الحجارة. وفي «أمالي اليزيدي»: «نسيم الصبا».

(10) في «أمالي اليزيدي»: «غياطله: ما اجتمع عليه والتف. والفرقد: شجر».

(11) الحبا: جمع حبوة، وهو الثوب يحتبى به. وحل الحبا كناية عن الاستعداد للحرب ونحوها. ويقال استعوى فلان جماعته، إذا نعق بهم إلى الفتنة، وفي الأصول: «واستغوى»، صوابه بالعين المهملة كما في «أمالي اليزيدي».

(12) بان: بعد وانفصل. والنائل: العطاء.

(13) استعبرت: جرت عبراتهن. وعوذ النساء: جمع عائذ، والعائذ: كل أنثى إذا وضعت، مدة سبعة أيام، لأن ولدها يعوذ بها.

وثقْــن بــه عنــد الحفيظــةِ فــارعــوَى إلــى صــوتــه جــاراتــه وحــلائلــه[١]

إلـى ذائـد فـي الحـرب لـم يـك خـامـلاً إذا عــاذ بــالسيــف المجــرَّد حــاملــه

كمـا ذاد عــن عِــرِّيســة الغِيــل مُخْــدِرِ يخــافُ الــردى ركبــانُــه ورواحلــه[٢]

فمـا كنـت أُلفِـي لامـرىء عِنـد مَـوطـنٍ أخــاً بــأخــي، لــو كــان حيّــاً أبــادلــه

وكنــت بِــه أغشــى القتــال فعــزَّنــي عليــه مــن المقــدار مــن لا أقــاتلــه[٣]

لعمــركَ إنّ المــوتَ منــا لمــولَــعٌ بمــن كــان يُــرجــى نفعُــه ونــوافلــه

فمــا البعــد إلا أننــا بعــد صحبــة كــأنْ لــم نُبــايــت وائــلاً ونقــايلــه[٤]

سقــى الضَّفِــراتِ الغيــثُ مــا دام ثــاويــاً بهــنّ وجَــادت أهــلَ شُــوكٍ مَخَــايلُــه[٥]

ومــا بــي حــبُّ الأرض إلاّ جــوارَهــا صــداه وقــول ظُــنَّ إنّــي قــائلُــه

رثاؤه لأخيه حكم

قال أبو عبيدة: ثم قتِل أخوه حكم أيضاً في وجهه، وبرز بعض عشيرته إلى قاتله فقتله، وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيُه فقال يرثيه[٦]:

[٣٥٦/١٣] / يقــولــون احتسِــبْ حَكمــاً وراحــوا بــأبيــضَ لا أراهُ ولا يــرانــي

١٢٠/١٢ وقبْــلَ فــراقِــه أيقنــتُ أنّــي وكــلّ ابنــيَ أبٍ متفــارِقــان[٧] /

أخٌ لِــيَ لــوْ دعــوتُ أجــابَ صــوتــي وكنــتُ مجيبَــه أنّــى دعــانــي

فقــد أفنــى البكــاءُ عليــه دمعــي ولــوْ أنّــي الفقيــدُ إذاً بكــانــي[٨]

مضــى لسبيلــه لــم يُعْــطَ ضَيْمــاً ولــم تَــرهــبْ غَــوائلَــه الأدَانــي

قَتلْنــا عنــه قــاتلَــه وكنّــا نصُــولُ بــه لــدى الحــرْبِ العَــوَانِ[٩]

قتيــلاً ليــس مثــل أخــي إذا مــا بــدا الخَفِــرات مِــنْ هــول الجَنَان[١٠]

وكنــتَ سِنــانَ رمحــي مــن قنــاتــي وليــس الــرّمــحُ إلا بــالسّنــانِ

وكنــت بَنــانَ كَفّــي مــن يمينــي وكيــف صــلاحُهــا بعــد البَنــان

(١) الحلائل: جمع حليلة، وهي الزوجة.
(٢) في الأصول: «فخاف الردى ركناته ورواحله»، صوابه من «أمالي اليزيدي». المخدر: الأسد في خدره، أي عرينه.
(٣) عزني: غلبني.
(٤) بايته: بات معه؛ وكذا قايله: نام معه وقت القائلة، وهي الظهيرة. وفي الأصول: «تبايت وائلاً وتقاتله»، وعند «اليزيدي»: «يبايت وائلاً ويقايله»، والوجه ما أثبتنا.
(٥) الضفرات: جمع الضفرة، وهي أرض سهلة مستطيلة. وفي الأصول: «الصفرات»، صوابه في «أمالي اليزيدي». وشوك، بالضم: ناحية نجدية قريبة من الحجاز.
(٦) الأبيات في «أمالي اليزيدي» ٤٥ ـ ٤٦.
(٧) «اليزيدي»: «متفرقان».
(٨) «اليزيدي»: «ولو كنت المصاب».
(٩) العوان من الحروب: التي قوتل فيها مرة بعد مرة.
(١٠) الخفرات: جمع خفرة وهي الشديدة الحياء. الجنان: القلب، وفي الأصول: «مذهول» وصححه الشنقيطي بما أثبتناه.

وكان يهابُك الأعداءُ فينا ... ولا أخشى وراءك من رَماني
فقد أبدَوْا ضغائنَهم وشدُّوا ... إليّ الطَّرفَ واغتمزوا لَيَاني (١)
فذاك أخٌ نبا عنه غَناه ... ومولًى لا تصولُ له يدان

ادعاء الفرزدق بيتاً من شعر الشمردل بعد تهديده

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي، قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي سهيل قالا:

وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت:

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة ... وبين تميم غير جز الحلاقم

[٣٥٧/١٣] / فقال له الفرزدق: والله يا شمردل لتتركنّ لي هذا البيت، أو لتتركن لي عِرضَك. فقال: خذه لا بارك الله لك فيه. فادّعاه وجدله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أوّلها:

تحِنُّ بزوراء المدينة ناقتي ... حنينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائمِ (٢)

تأويل رؤيا للمشردل ينعي على إثرها أخوه وائل

حدثنا هاشم قال حدثنا غسان عن أبي عبيدة قال:

رأى(٣) الشمردل فيما يرى النائم كأن سِنان رمحه سقط، فعبَره على بعض من يعبرُ الرؤيا، فأتاه نعي أخيه وائلٍ، فذلك قوله:

وتَحقيقُ رؤيا في المنام رأيتُها ... فكانَ أخي رُمحاً ترفَّضَ عاملُه (٤)

شعره حين سكر مع نديمين ونسي أحدهما نعله

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان الشمردل مغرماً بالشَّراب، وكان له نديما يعاشِرانه في حانات الخمارين بخراسان، أحدهما يقال له دَيْكَل من قومه، والآخر من بني شيبان يقال له قَبيصة، فاجتمعوا يوماً على جَزورٍ ونحروه وشرِبُوا حتّى سَكِروا، وانصرف قبيصةُ حافياً وترك نعلَه عندهم، وأنسِيَها من السُّكر، فقال الشمردل:

شربتُ ونادمت الملوك فلم أجد ... على الكأس نَدماناً(٥) لها مثلَ دَيكلِ
[٣٥٨/١٣] / أقلَّ مِكاساً في جَزور وإن غلت ... وأسرعَ إنضاجاً وإنزالَ مِرْجَلِ (٦)
ترى البازلَ الكَوْماء فوق خِوانه ... مفصَّلةً أعضاؤها لم تُفَصَّلِ (٧)

---

(١) الطرف: الكريم من الخيل. واغتمزوا لياني: استضعفوا اللين مني.
(٢) زوراء: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد. والعجول: الناقة الشديدة الحزن لفقد ولدها. البوّ: ولد الناقة، وجلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من أم الفصيل فتدرّ. رائم: عاطفة.
(٣) في جـ، ب: «رأيت» وهو خطأ.
(٤) ترفض: تكسر. وفي الأصول: «ترقص». وانظر ما سبق من التحقيق في ص ٣٥٣.
(٥) الندمان، بالفتح: النديم.
(٦) المكاس: انتقاص الثمن في البيع واستحطاطه. وفي الأصول: «بكأس» صوابه في ش و «معجم البلدان».
(٧) البازل: الناقة في تاسع سنيها. الكوماء: العظيمة السنام.

سَقَيناه بعد الرَّيِّ حتى كأنما ... يرى حين أمسى أبرَقَيْ ذاتِ مأسَل[1]

عشية أنسينا قَبِيصةَ نعلَه ... فراحَ الفتى البكريُّ غيرَ مُنعَّل

هجاؤه هلال بن أحوز حين لم يرض عطاءه

حدثنا هاشم قال: حدثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال:

مدح الشمردل بن شريك هلال بن أحوز المازنيّ واستماحه، فوعده الرفد، ثم ردّده زماناً طويلاً حتى ضجر، ثم أمر له بعشرين درهما فدفعها إليه وكيلُه غلَّة فردّها، وقال يهجوه: / ١٢١/١٢

يقول هلالٌ كُلَّما جئت زائراً ... ولا خيرَ عند المازني أعاوده

ألا ليتني أمسي وبيني وبينه ... بعيدُ مناطِ الماء غُبْرٌ فدافدُه[2]

غدا نصفُ حولٍ منه إن قال لي غدا ... وبعد غد منه كحول أراصده[3]

ولو أنني خُيِّرت بين غَداته ... وبين بِرازي دَيْلميًّا أجالده

تعوّضت من ساقيّ عشرين درهماً ... أتاني بها من غَلَّة السُّوق ناقِدُه[4]

ولو قِيلَ مِثلاً كنزِ قارونَ عنده ... وقيل التمسْ موعودَه لا أعاوده

ومثلك منقوص اليدين رددتُه ... إلى مَحتدٍ قد كان حيناً يُجَاحِده[5]

/ **هجاؤه للضبيّ حين شمت بمصرع إخوته** [٣٥٩/١٣]

حدثنا هاشم قال:

حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة أن رجلاً من بني ضبّة كان عدُوًّا للشمردل، وكان نازلاً في بني دارم بن مالك، ثم خرج في البَعْث الذي بُعث مع وكيع، فلما قُتِل إخوةُ الشّمردلِ وماتوا، بلغه عن الضبيّ سرورٌ بذلك، وشماتةٌ بمصيبته فقال:

يا أيُّها المبتغي شَتمِي لأشتُمه ... إن كان أعمى فإنّي عنك غيرُ عَمِ[6]

ما أرضعَتْ مرضعٌ سخلا أعقَّ بها ... في الناس لا عَرَبٍ منها ولا عجمِ[7]

من ابن حنكلةٍ كانت وإن عَرِيَت ... مُذالةً لِقُدور الناس والحُرَمِ[8]

عَوَى ليكسِبَها شرًّا فقلت له ... مَنْ يكسِب الشر ثديَيْ أمّه يُلَمِ

ومن تعرّض شتمي يلْقَ معطِسُهُ ... من النَّشُوق الذي يشفى من اللَّمَمِ[9]

---

(١) الأبرقان: تثنية أبرق، وهو غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة. وفي الأصول: «ترى حرشاً في أبرقي أم مرسل»، وأثبتنا ما في «معجم البلدان» (أبرق ذات مأسل).

(٢) المناط: موضع التعليق، والمراد مكان الماء. القدفد: الفلاة والمكان الصلب.

(٣) أراصده: أراقبه وأنتظره.

(٤) تعوّض: أخذ العوض.

(٥) في الأصول: «مجاحده».

(٦) كذا جاءت الرواية بالالتفات.

(٧) السخل: المولود، وهو أيضاً الضعيف الرذل.

(٨) الحنكلة: الدميمة السوداء من النساء. عريت المرأة: تحببت إلى زوجها، أو حرصت على اللهو. المذالة: الأمة المهانة.

(٩) المعطس: الأنف. اللمم: الجنون.

متـى أجئـك وتسمـعْ مـا عُنيـتَ بـه ... تُطْـرِقْ علـى قَـذَعٍ أو تـرضَ بـالسَّلَـمِ (١)

أوْلاَ فحسبُــك رهطـاً أن يفيـدهـم ... لا يغـدِرون ولا يـوفـون بـالـذمـم

ليسـوا كثعلبـةَ المغبـوطِ جـارُهُـم ... كـأنـه فـي ذُرى ثهـلانَ أو خِيَـمِ (٢)

يُشَبَّهـون قـريشـاً مـن تكلّمهـم ... وطـولِ أنْضِيـةِ الأعنـاق والأمـمِ (٣)

إذا غـدا المسْـك يجـري فـي مفـارِقهـم ... راحـوا كـأنهـم مَـرضَـى مـن الكـرمِ

جـزُّوا النـواصـيَ مـن عجْـلٍ وقـد وطِئـوا ... بـالخيـل رهـطَ أبـي الصهْبـاءِ والحُطَـمِ

ويـوم أفلتهـن الحَـوْفَـزانُ وقـد ... شـالـت عليـه أكـفُّ القـوم بـالجِـذَمِ (٤)

[١٣/٣٦٠] / إنـي وإن كنـتُ لا أنسـى مُصـابَهُـم ... لـم أدفـعِ المـوت عـن زِيـقٍ ولا حكـمِ (٥)

لا يَبْعـداً فتيـاً جـودٍ ومكـرمـة ... لـدفـعِ ضيـمٍ وقتـلِ الجـوعِ والقَـرَمِ (٦)

والبعـد غـالهمـا عنـي بمنـزلـةٍ ... فيهـا تفـرّقُ أحيـاءٍ ومُخْتـرمِ (٧)

ومـا بنـاءٌ وإن سَـدَّت دعـائمُـه ... إلا سيصبـح يـومـاً خـاويَ الـدُّعَـمِ (٨)

لئـن نجـوتَ مـن الأحـداث أو سلمـت ... منهـنّ نفسـك لـم تسلـمْ مـن الهـرَمِ

رثاؤه لعمر بن يزيد الأسيدي

حدثنا هاشم قال: حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال:

كان عمر بن يزيد الأسيدي صديقاً للشمردل بن شَريك، ومحسناً إليه كثير البر به والرفد له، فأتاه نعيه وهو بخراسان، فقال يرثيه:

لِبِـس الصّبـاحَ وأسلمتـه ليلـة ... طـالـت كـأنّ نجـومهـا لا تبـرحُ (٩)

[١٢/١٢٢] مـن صـولـة يجتـاح أخـرى مثلهـا ... حتـى تـرى السّـدفَ القيـامُ النُّـوّحُ (١٠) /

عطَّلْـن أيـديَهـنّ ثـم تفجعـت ... ليـلَ التّمـام بهـنّ عبْـرى تَصـدَحُ

وحليلـةٍ رزئـت وأخـتٌ وأبنـةٌ ... كـالبـدر تنظـره عيـونٌ لُمَّـحُ

لا يبعَـدِ ابـنُ يـزيـدَ سيّـدُ قـومـه ... عنـد الحفـاظِ وحـاجـةٍ تُستنجَـح

---

(١) القذع: الخنا والفحش. والسلم: الاستسلام والإذعان.

(٢) ثهلان، وخيم: جبلان.

(٣) من تكلمهم، هي في «الكامل» ٣٥ و«أمالي القالي» (١: ٣٢٨): «في تجلتهم». وفي «الحيوان» (٣: ٩٢): «من تجلتهم». الأنضية: جمع نضيّ: وهو عظم العنق. الأمم: جمع أمة، وهي القامة.

(٤) الحوفزان: لقب الحارث بن شريك. شالت: ارتفعت. الجذم: السياط.

(٥) زيق بالزاي هو زيق بن بسطام بن قيس الشيباني.

(٦) القرم: شدّة شهوة اللحم. في س: «فتا». وفي ب: «فتيًا» تحريف.

(٧) مخترم: يقال اخترمته المنية، إذا أخذته.

(٨) سدّت: صارت سديدة مستقيمة. الدعم: جمع دعمة، وهي الدعامة يعتمد عليها البيت.

(٩) لبس الصباح: دخل فيه. وفي الأصول: «لبث».

(١٠) في الأصول: «يحتاج» وهو مقلوب. السدف: الضوء قيسية، والظلام تميمية.

حـامـي الحقيقـةِ لا تـزال جيادُه — تغـدو مسـوَّمـة بـه وتُـروّح[١]

للحـربِ محتسـب القتـال مشمّـرٌ — بـالـدرع مضطمرُ الحـوامـل سُرّح[٢]

/ سـاد العـراق وكـان أوّل وافـد — تـأتـي الملـوكَ بـه المهارى الطُّلَّـحُ[٣] [٣٦١/١٣]

يُعْطـي الغِـلاء بكـل مجد يشتـري — إن المُغـالِـيَ بـالمكـارمِ أربـحُ[٤]

أرجوزته في وصف الصقر والقنص

حدثنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان الشمردل صاحب قنص وصيد بالجوارح، وله في الصقر والكلب أراجيز كثيرة، وأنشدنا قوله:

قـد أغتـدي والصبـحُ فـي حجـابـه — والليـلُ لـم يـأوِ إلـى مـآبِـه

وقـد بَـدا أبْلَـقَ مـن مُنْجابِـه — بتَـوَّجِـيّ صـادَ فـي شبـابِـه[٥]

مُعـاودٍ قـد ذلّ فـي إصعـابـه — قـد خَـرَّق الصُّفـارَ مـن جِـذابـه[٦]

وعَـرَف الصـوتَ الـذي يُـدعـى بـه — ولَمعـةَ المُلْمِـع فـي أثـوابـه[٧]

فقلـتُ للقـانِـص إذ أتـى بـه — قبـل طُلـوعِ الآل أو سَـرابـه

ويحـك مـا أبصـر إذ رأى بـه — مـن بَطـنِ مَلحـوبٍ إلـى لُبـابـه[٨]

قَشْعـاً تـرى التبّـت مـن جنـابـه[٩] — فـانقـضّ كـالجلمـود إذ عـلا بـه

غضبـان يـوم قِنيـةِ رمـى بـه — فهـنّ يلقيـن مـن أغتصـابـه

تحـت جـديـد الأرض أو تـرابـه — مـن كـلِّ شَحّـاج الضُّحـى ضَغّابه[١٠]

إذ لا يـزال حـربـه يشقـى بـه — منتـزع الفـؤاد مـن حجـابـه

/ جـاد وقـد أنشـب فـي إهـابـه — مخـالبـاً ينشبـن فـي إنشـابـه [٣٦٢/١٣]

مثـل مُـدَى الجـزار أو حِـرابـه — كـأنمـا بـالحلـق مـن خضـابـه

عصفـرة الفـؤاد أو قضـابـه[١١] — حـوى ثمـانيـن علـى حسـابـه

---

(١) المسوّمة: المعلمة. وتروح: من الرواح.

(٢) مضطمر: ضامر. الحوامل: الأرجل.

(٣) المهارى: إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان. الطلح: المتعبة.

(٤) الغلاء: المغالاة.

(٥) الأبلق: الذي فيه سواد وبياض. منجابه، المنجاب: اسم مكان من انجاب بمعنى انكشف. ويقال انجاب عنه الظلام: انشق
التوجي: الصقر المنسوب إلى توّج من قرى فارس. وبعض أبيات هذه الأرجوزة في «معجم البلدان» (توج).

(٦) في كل الأصول: «قد حرق الصغار من حذائه».

(٧) الإلماع: الإشارة بالثوب ونحوه. في الأصول: «في ألوانه».

(٨) ملحوب: موضع.

(٩) القشع، بالفتح: بيت من أدم. والتبت، كذا وردت.

(١٠) الشحاج: ذو الصوت الغليظ. والضغاب: المفزع بصوته.

(١١) كذا ورد الشطر.

مـن خَـرَبٍ وخُـزَزٍ يعلـى بـه[(١)] لفَتيـةٍ صيـدهـم يـدعـى بـه[(٢)]
واعَـدتُهـم لمنـزل بِتْنـا بـه يطهـى بـه الخِـربـان أو يشـوى بـه[(٣)]
فقـام للطبـخ ولاحتطـابـه أروع يهتـاج إذا هجنـا بـه

أرجوزته في الذئب الذي قتله بعد أن فتك بغنمه

أخبرنا هاشم قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل، فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة، فرصده ليلة حتى جاء لعادته، ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه:

هـل خُبِّـر السِّـرحـان إذ يستخبِـر عنـي وقـد نـام الصِّحَـاب السُّمَّـرُ[(٤)]
لمـا رأيـت الضَّـأنَ منـه تنفِـر نهضـت وسْنـانَ وطـارَ المِئْـزرُ[(٥)]
وراع منهـا مَسـرح مستيهِـرِ[(٦)] كـأنـه إعصـار ريـح أغبـرُ /
فلـم أزل أطـردُه ويعكِـر[(٧)] حتـى إذا استيقنـتُ ألا أعـذرُ
وإنّ عَقْـرَى غنمِـي ستكثـر[(٨)] طـار بكفـي وفـؤادي أوجـر[(٩)]
ثُمَّـتَ أهـويـتُ لـه لا أزجَـر سهمـاً فـولَّـى عنـه وهْـوَ يعثـرُ

* وبتُّ ليلي آمناً أُكبِّرُ *

[١٢/٣٦٣] / استجادة الأصمعي أبياتاً للشمردل

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: قال الشمردل بن شريك ـ وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها، ويقول: إنها لمن ظريف الكلام ـ:

ثـم أستقـلّ منّعمـاتٌ كـالـدُّمـى شُمُـسُ العتـاب قليلـة الأحقـادِ[(١٠)]
كُـذُب المـواعـدِ مـا يـزال أخـو الهـوى منهـنَّ بيـن مـودّة وبعـادِ[(١١)]

---

(١) الخرب: ذكر الحبارى. والخزز: الذكر من الأرانب.
(٢) في الأصول: «لقينة».
(٣) الخربان: جمع خرب وهو ذكر الحبارى.
(٤) السرحان: الذئب.
(٥) المئزر: الملحفة. وفي الأصول: «طاب المئزر».
(٦) وفي الأصول: «وراح». والمستيهر: الذاهب العقل. وفي الأصول: «مستبهر». والمستبهر: المتخايل.
(٧) يعكر: يكر وينصرف. في ب، س: «استيقنته لا أعذر».
(٨) العقرى: الجرحى.
(٩) الأوجر: الخائف.
(١٠) الدمية: الصورة المنقشة. والشمس، بضمتين: جمع شموس بالفتح، وهي النافرة.
(١١) في كل الأصول: «ما يقال».

حتـــى ينـــالَ حِبـــالَهـــنّ معلقـــا عقـــلَ الشَّـــريـــد وهـــنّ غيـــرُ شِـــرَادِ[1]

والحـــبُّ يصلـــح بعـــد هجـــرٍ بيننـــا ويهيـــجُ معتَبَـــةً بغيـــر بعـــادِ

صوت

خليلـــيّ لا تستعجـــلا أن تَـــزَوّدا وإن تَجمعـــا شملـــي وتنتظـــرا غـــدا

وإن تَنظُـــرانـــي اليـــوم أقْـــضِ لُبـــانـــةً وتَسْتـــوجِبـــا منًّـــا علـــيّ وتُحمَـــدَا

الشعر للحصين بن الحمام المري، والغناء لبذل الكبرى ثاني ثقيل بالبنصر، من روايتها ومن رواية الهشامي.



(١) في ب، س: «حبالهن».



فهرس موضوعات الجزء الثالث عشر

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية

إعداد
مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي

الجزء الرابع عشر

طبعة كاملة وجديدة، مصححة، ملونة
محققة على تسع مخطوطات ومزيدة بفهارس شاملة

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان



بيان

رأت دار الكتب المصرية أن تستعين بنخبة من جهابذة العلماء المتضلعين في فنون العربية وآدابها وتاريخها لإنجاز الكتب التي تقوم بتحقيقها وإخراجها من ذخائر التراث العربي القديم، وعهدت بالجزء الرابع عشر من كتاب الأغاني إلى العلامة الجليل الأستاذ أحمد زكي صفوت وكيل كلّيّة دار العلوم سابقاً، فقام سيادته بهذا العمل، وبذل أوسع الجهد في تحقيقه ومراجعته على النُّسَخ التي رجعت إليها الدار في تحقيق الأجزاء السابقة، وهي:

أ، ب، ج، س؛ وقد سبق وصفها في مقدّمة الجزء الأوّل.

ط؛ وقد سبق وصفها في مقدّمة الجزء الثاني.

ثم حصلت الدار أخيراً على أجزاء متفرّقة من هذا الكتاب، من مكتبتي ميونيخ وتوبنجن بألمانيا، فقام موظّفو قسم حماية التراث بمقابلتها على ما يوافق هذا الجزء منها؛ وبيانها:

١ ـ جزء مصوّر في مجلدين، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦٥٨ز؛ مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ، برقم ٤٧٠؛ مكتوب بخط نسخ جليّ؛ بقلم مسعود بن محمد بن غازي، في السابع عشر من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة. وجميع الأبيات التي ترد في أوّل الصفحة وآخرها، وكذلك البيت الأوّل في كل صوت؛ مكتوبة بالخط الثلث الغليظ؛ وبأوّل الجزء ثبت بأسماء التراجم التي تبدأ ببقية أخبار عبد الله بن الزّبير الأسديّ[1]؛ وينتهي بآخر أخبار مقتل ابني عبيد الله بن العباس[2].

ويقع في ٢٩٠ لوحة، ومسطرته من ١٥ ـ ١٩ سطراً. وقد أعطى هذا الجزء رمز «مب».

٢ ـ جزء مصوّر في مجلد واحد، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦٦٤ز، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ برقم ٤٨٠، وهو بخط مغربيّ وليس به تاريخ. ويبتدىء ببقية أخبار عبد الله بن الزّبير الأسديّ، وينتهي بوقفة قلم عند البيت:

أبَعْـدَ نـديمـيّ اللّـذَيْـن بعـاقِـلٍ * بكيتُهمـا حـولاً مـدًى أتـوجَّـسُ

في أثناء خبر قس[3] بن ساعدة الإياديّ.

وبأوّله ثَبت بأسماء المترجمين في هذا الجزء، من بقية أخبار عبد الله بن الزّبير الأسديّ، إلى أخبار قسّ بن ساعدة.

---

(١) طبعة الدار ١٤ : ٢٢٨.

(٢) طبعة بولاق ١٥ : ٤٨.

(٣) طبعة بولاق ١٤ : ٤٣.

ويقع في ١٦٥ لوحة، ومسطرته ١٧ سطراً، وقد أعطى هذا الجزء رمز «مط».

٣ ـ جزء في مجلد واحد، مصوّر بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٠٦٣ز، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة توبنجن، برطم ٧٣٩٧ (أهلوارد)، يبدأ أوّله ببقية أخبار عبد الله بن الزّبير الأسديّ. وبه نقص من آخره عن نسخة «مب» مقداره صفحة. مكتوب بقلم تعليق. ويبدو من بعض التصويبات التي بحواشيه، أنه مقابل على نسخة أخرى؛ ويقع في ٢١٠ لوحة، ومسطرته ٢٤ سطراً. وقد أعطي هذا الجزء رمز «ها».



[١/١٤]

/ بسم الله الرّحمن الرحيم

تابع ١٢٣/١٢

/ أخبار الحُصين بن الحُمام ونسبه

نسبه

هو الحُصَين بن الحُمام بن رَبيعة بن مُساب[١] بن حَرام بن واثله[٢] بن سهْم بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار.

مكانته في قومه

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال:

كان الحصين بن الحمام سيِّد بني سَهم بن مُرّة. وكان خُصَيْلةُ بن مُرّة وصِرْمةُ بن مرّة وسهم بن مرّة أُمهم جميعاً حَرَقَفةُ[٣] بنت مَعْنَم بن عَوف بن بَلِيّ بن عمرو بن / الحاف[٤] بن قُضاعة، فكانوا يداً واحدة على مَنْ سواهم، [٢/١٤] وكان حصين ذا رأيهم وقائدَهم ورائدَهم. وكان يقال له: مانع الضَّيم[٥].

وفود ابنه على معاوية

وحدّثني جماعة من أهل العلم أنّ ابنه أتى بابَ معاوية بن أبي سُفيان فقال لآذِنِه: استأذِنْ لي على أمير المؤمنين وقل: ابن مانع الضيم، فاستأذَنَ له؛ فقال له معاوية: ويْحَك! لا يكون هذا إلا ابن عُرْوة بن الوَرْد العَبْسيّ، أو الحصينِ بن الحُمام المُرّيّ، أدخِلْه. فلمّا دخل إليه قال له: ابنُ مَن أنت؟ قال: أنا ابن مانع الضيم الحصينِ بن الحمام؛ فقال: صدقت، ورفع مجلسه وقضى حوائجه.

حرب قومه بني سهم بن مرة مع بني صرمة بن مرة

أخبرني ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان ناس من بطنٍ من قُضاعة يقال لهم: بنو سَلامان بن سعد بن زيد بن الحافِ بن قضاعة. وبنو سَلامان بن

---

(١) مساب: جاء في «خزانة الأدب» مضبوطاً بالعبارة قال: «مساب بضم الميم وتخفيف السين» وجاء مضبوطاً بالشكل بفتح الميم في كتاب «أشعار الحماسة» شرح التبريزي طبع أوربة ص ١٨٧، ولم يرد في المعجمات اللغوية التي بأيدينا.

(٢) ورد هذا الاسم في الأصول «وائلة» بالثاء؛ والتصويب من «تاج العروس» (مستدرك مادة وأل).

(٣) في ب، س: «حرقلة» وفي جـ: «حرقفة» وكذا في «مختار الأغاني» الكبير لابن المكرم صاحب «لسان العرب» (نسخة مصوّرة بدار الكتب المصرية) ج ٣ ص ٤٠٣. وفي «أشعار الحماسة» طبع أوربة ص ١٩٠: «حرقفة البلوية» مضبوطاً بهذا الضبط بالشكل ـ والبلوية نسبة إلى جدها بليّ ـ ولم يرد في المعجمات.

(٤) الحاف؛ أصله الحافي، وهو مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسرة، كما قالوا العاص بن أمية بن عبد شمس، والعاص بن وائل السهمي، وحذيفة بن اليمان؛ والأصل العاصي واليماني.

(٥) كذا في ب، س، وفي حـ: «وكان حصين ذا رأيهم ورائدهم. قال أبو حاتم قال أبو عبيدة قال أبو عمرو: كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرة، وكان يقال له مانع الضيم».

سعد إخوة عُذْرة بن سعد، وكانوا حلفاء لبني صِرْمة بن مُرّة ونزولاً فيهم. وكان الحُرْقة[١] وهم بنو حُمَيْس بن عامر بن جُهَيْنة حلفاء لبني سهم بن مرّة، وكانوا قوماً / يرمون بالنَّبْل رمياً سديداً[٢]، فسُمُّوا الحرقة لشدّة قتالهم. وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مُرّة. وكان في بني صِرْمةَ يهوديٌّ من أهل تَيْماء يقال له جُهَيْنة بن أبي حَمَل. وكان في بني سهم يهوديّ من / أهل وادي القُرَى يقال له غُصَين[٣] بن حَيّ، وكانا تاجرين في الخمر[٤]. وكان بنو جَوْشَن - أهلُ بيت من عبد الله بن غَطَفان - جيراناً لبني صِرمة، وكان يُتَشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصَيْلة[٥] كان يقطع الطريق وحده. وكانت أُخته وإخوته يسألون الناس عنه، ويَنْشُدونه في كل مجلس وموسِم. فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجَوْشنيّ في بيت غُصَين بن حَيٍّ جارِ بني سهم يبتاع خمراً، فبينما هو يشتري[٦] إذ مَرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصَيلة، فقال غُصَين[٧]:

تُسائل عن أخيها كلَّ ركبٍ ... وعند جُهَينةَ الخبرُ اليقينُ

فأرسلها مثلاً[٨]، يعني بجهينة نفسه. فحفِظ الجوشنيّ هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نَشَدْتُك اللهَ ودينَك هل تعلم لأخي عِلْماً؟ فقال له: لا وديني لا أعلم. فلما مضى أخو المفقود تمثّل:

/ لَعَمْرُكَ ما ضَلَّتْ ضلالَ ابنِ جَوْشنٍ ... حصَاةٌ بليلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ

- أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبداً - فلما سمع الجوشنيّ ذلك تركه، حتى إذا أمسى أتاه فقتله. وقال الجوشني:

طَعَنتُ وقد كاد الظلامُ يُجِنُّني ... غُصَيْنَ بن حَيٍّ في جِوار بني سهمِ[٩]

فَأُتِيَ حصين بن الحُمَام[١٠] فقيل له: إنّ جارك غُصَيْناً اليهوديّ قد قتله ابن[١١] جوشن جار بني صِرْمة. فقال حصين:

---

(١) اختلف اللغويون في ضبطه: فضبط بضم فسكون، وبضمتين، وبضم ففتح (انظر «تاج العروس»).

(٢) في الأصول «شديداً»، والصواب «سديداً»؛ كما في «مختار الأغاني الكبير» ج ٣ ص ٤٠٣.

(٣) في ب، س «حصين» والصواب غصين كما في جـ و «مختار الأغاني الكبير» ج ٣: ص ٤٠٤ و «لسان العرب» مادة جفن، وقد تكرر هذا الاسم بعد محرفاً.

(٤) كذا في جـ. وفي ب، س: «وكان تاجراً في الخمر».

(٥) في ب، س «حصين».

(٦) في جـ و «مختار الأغاني». «فبينما هما يشربان».

(٧) في ب، س: «جهينة» وهو تحريف.

(٨) ورد في «مجمع الأمثال» للميداني (١: ٣٩٤) في شرح هذا المثل ما ملخصه: أن حصين بن سبيع الغطفاني خرج مع الأخنس بن كعب الجهني وتعاقدا على السلب والنهب، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه. وكان من أمرهما أن طلبا رجلاً من لخم ليسلباه، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقدامه طعام وشراب فنزلا به وأكلا وشربا معه. ثم إن الجهني ذهب لبعض شأنه، فرجع فرأى الحصين قد فتك باللخمي. وأراد الحصين بعد ذلك أن يتغفل صاحبه الجهني ليقتله، ولكنه فطن لما يراد به، فبادره بقتله، واحتوى على متاعه ومتاع اللخمي، وانصرف راجعاً إلى قومه، فإذا هو بامرأة تنشد الحصين بن سبيع، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين، قال: أنا قتلته. فقالت: كذبت، ما مثلك يقتل مثله، أما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا. ثم قال في ذلك أبياتاً منها:

تسائل عن حصين كل ركب ... وعند جهينة الخبر اليقين

اقرأ هذا الخبر أيضاً وشرح المثل المذكور في «لسان العرب» مادة جفن، وفيه أنه يروى «حفينة» بالحاء، ويروى «جفينة» بالجيم.

(٩) في الأصول و «مختار الأغاني»: «ظعنت» وهو تصحيف. وأجنه: ستره.

(١٠) في الأصول: «فقال له» والتصويب من «مختار الأغاني الكبير».

(١١) في الأصول: «أبو جوشن» والتصحيح عن «مختار الأغاني».

فاقتلوا اليهوديّ الذي في جوار بني صرمة، فأتَوْا جهينة بن أبي حَمَل فقتلوه. فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حُمَيس بن عامر جيرانِ بني سهم فقتلوهم. فقال حصين: اقتلوا من جيرانهم بني سَلامان ثلاثة نَفَرٍ، ففعلوا. فاستعَرَ الشرُّ بينهم. قال: وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رَهْطِ الحصين بكثير. فقال لهم الحصين: يا بني صرمة، قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي، فقتلتم من جيراننا من قُضاعة ثلاثة نَفَرٍ وقتلنا من جيرانكم بني سَلامان ثلاثة نَفَر، وبيننا وبينكم رَحِم ماسّة قريبة، فمُرُوا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم، ونأمر جيرانَنَا من قُضاعة فيرتحلون عنا جميعاً، ثم هم أعلم. فأبَى ذلك بنو صِرْمة، وقالوا: قد قتلتم جارَنا ابن جوشن، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلا من جيرانكم؛ فإنك[1] تعلم أنكم أقلُّ منا عدداً وأذلّ، وإنّما بنا تَعِزّون وتُمْنعون. فناشدهم اللهَ والرحِمَ فأبَوْا. وأقبلت الخُضْرُ[2] من مُحارب، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد، فقالوا: نشهد نَهْبَ / بني سهم إذا انتُهِبوا [٥/١٤] فنُصيب منهم. وخَذَلَتْ غطفَان كُلُّها حصيناً، وكرِهوا ما كان من مَنْعِه جيرانَه من قضاعة. وصافَّهم حصينٌ الحربَ وقاتلهم ومعه جيرانه، وأمرهم ألاّ يَزيدوهم على النَّبْل، وهزمهم الحصين، وكفَّ يدَه بعد ما أكثر فيهم القتل. وأبَى ذلك البطنُ[3] من قضاعة أن يكفُّوا عن القوم حتى أثْخنوا فيهم. وكان سِنَان بن أبي حارثة[4] خذَّل الناسَ عنه لعداوته قضاعةَ، وأحبَّ سنان أن يَهُبَّ الحيّان من قضاعة، وكان عُيَينة بن حِصن وزَبّان / بن سَيّار بن عمرو بن جابر $\frac{125}{12}$ ممن خَذّل عنه أيضاً. فأجلبَتْ بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة، وأجلبَتْ مُحارب بن خَصَفة معهم.

شعره في لوم بني عمه على تجردهم لقتاله

فقال الحصين بن الحُمَام في ذلك من أبيات:

ألاَ تقبَلُـــون النِّصْــفَ منّـــا وأنتُـــمُ ... بنو عمنـــا؟! لا بَـلْ هـــامَكُـم القَطْـــرُ[5]

سنــأبَـى كمـــا تـــأبَـوْن حتـى تُلينكـم ... صفـــائـحُ بُصْـرَى والأسِنَّـــةُ والأَصْـــرُ[6]

أيُـؤْكَـلُ مـــولانـــا ومـــولَـى ابـنِ عمنـــا ... مُقيــمٌ ومنصــورٌ كمــا نُصِـرت جَسْـــرُ[7]

فتلـــك التـــي لـــم يعلِـــم النـــاسُ أنَّنـــي ... خَنَعــتُ لهـــا حتـــى يُغيِّبَنـــي القبـــرُ

فليتكُـــمُ قـــد حـــال دون لِقـــائكـــم ... سِنُـــونَ ثَمـــانٍ بعـــدهـــا حِجَـجٌ عَشْـــرُ[8]

/ أجَـــدِّيَ لا ألقـــاكُـــمُ الـــدهـــرَ مَـــرّةً ... علـــى مَـــوْطِـــنٍ إلاّ خـــدودُكُـــمُ صُعْـــرُ[9] [٦/١٤]

---

(١) كذا في حـ. وفي ب، س: «فإنا نعلم».

(٢) في الأصول «الحضر» بالحاء؛ وهو تصحيف. والصواب الخضر، وهم بطن من قيس عيلان سموا بذلك لخضرة ألوانهم. وقد رأيته بعد في «مختار الأغاني الكبير» ج ٣: ص ٤٠٥ قال: «وأقبلت الحضر خضر محارب».

(٣) أي بنو حميس بن عامر.

(٤) في الأصول «أبي جارية» وهو تصحيف.

(٥) النصف: الإنصاف كالنصف محركة. والهام: جمع هامة، وهي الرأس. يدعو عليهم بألا يمطروا.

(٦) الصفائح: السيوف العريضة. بصرى: بلد بالشام من أعمال دمشق، وتنسب إليها السيوف البصرية. الأصر: الكسر والحبس.

(٧) في ب، س «نعيم» وهو تحريف، وتصويبه عن حـ و «مختار الأغاني». المولى: الحليف والجار. يعني حلفاءهم من بني حميس. ومولى ابن عمنا: يعني بني سلامان حلفاء بني عمهم صرمة بن مرة. وجسر: هم جسر بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان. وقد تقدم في القصة: أن محارب بن خصفة أجلبت مع بني صرمة على بني سهم قوم الحصين.

(٨) حجج: جمع حجة بالكسر، وهي السنة.

(٩) تقول العرب: أجدّي وأجدك، بالنصب وبكسر الجيم وفتحها. فمن قال: أجدك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجده وحقيقته، ومن فتح =

إذا مـا دُعُـوا للبغـي قـامـوا وأشـرقَـتْ   وجـوهُهـمُ، والـرُّشْـدُ وِرْدٌ لـه نَفْـرُ(١)

فـواعَجَبـا حتّـى خُصَيلـةُ أصبحـتْ   مَـوالِـيَ عِـزٍّ لا تَحِـلُّ لهـا الخمـرُ!

ـ قوله: موالي عِزٍّ، يهزأ بهم. ولا تحلّ لهم الخمر، أراد فحرَّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك ـ:

أَلَمّـا كشَفْنـا لأْمَـةَ الـذُّلِّ عنكُـمُ   تجـرّدتَ لا بِـرٌّ جميـلٌ ولا شكـرُ(٢)

فـإنْ يَـكُ ظَنّـي صـادقـا تَجْـزِ منكُـمُ   جَـوازِيَ الإلـهِ والخيـانـةُ والغـدرُ(٣)

قال: فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خَصَفَة. وكان رئيس محارب حُمَيْضة بن حَرْمَلَة. ونكَصَت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه، وهما عَذْوان وعبد عمرو بنا سهم، فسار حصين، وليس معه من بني سهم إلا بنو وائله بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرَقة، وكان فيهم العدد، فالتقَوْا بدارة موضوع، فظفِر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر. وقال الحصين بن الحُمام في ذلك:

انتصاره عليهم وشعره في ذلك وفخره بقومه

جَـزَى الله أفنـاءَ العشيـرةِ كلَّهـا   بِـدارةِ مـوضـوعٍ عُقـوقـاً ومَـأْثَمـا(٤)

بنـي عمِّنـا الأدنَيْـنَ منهـم ورَهْطَنـا   فَـزارةَ إذا رامـت بنـا الحـربَ مُعْظَمـا(٥)

[٧/١٤] / ولمّـا رأيـت الـودّ ليـس بنـافعـي   وإن كـان يـومـاً ذا كَـواكِـبَ مُظلمـا(٦)

صبَـرنـا وكـان الصبـرُ منـا سَجيَّـةً   بـأسيـافنـا يَقْطَعْـنَ كَفـا ومِعْصَمـا

نُفَلِّـقُ هـامـاً مـن رجـالٍ أعِـزَّةٍ   علينـا وهـم كـانـوا أعَـقَّ وأظلمَـا

نُطـاردهـم نستنقِـذُ الجُـرْدَ بـالقَنَـا   ويستنقـذون السَّمْهَـرِيَّ المُقَـوَّمـا(٧)

ـ نستنقذ الجرد، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه. ويستنقذون السمهريَّ وهو القنا الصلب، أي نطعنهم فتجرُّهم الرماح ـ

لَـدُنْ غُـدْوةً(٨) حتى أتـى الليـلُ مـا تـرى   مـن الخيـل(٩) إلاّ خـارجيّـا مُسَـوَّمـا

= الجيم استحلفه بجده وهو بخته. ونصبه على المصدر، كأنه قال: أجدا منك، أو بطرح الباء ومعناه أبجد هذا منك. ولا يستعمل إلا مضافاً. وصعر: جمع أصعر، وصف من الصعر بالتحريك وهو ميل الخد؛ يقال: صعر خده، إذا أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً.

(١) النفر: الجماعة يتقدمون في الأمر.

(٢) اللأمة: الدرع. يريد لباس الذل. تجرد للأمر: جدّ فيه، أي جددت في قتالنا.

(٣) الجوازي: الجزاء، جمع جازية، مصدر على فاعلة.

(٤) الأفناء من الناس: الأخلاط، واحدها فنو بالكسر أو فنا كعصا. ودارة موضوع: موضع بين ديار بني مرة وديار بني شيبان.

(٥) أي جزى الله بني عمنا معظماً أي أمراً معظماً.

(٦) اسم كان ضمير اليوم، أي وإن كان اليوم يوماً ذا كواكب. ويوم ذو كواكب: ذو شدائد، كأنه أظلم بما فيه من الشدائد حتى رئيت كواكب السماء.

(٧) الجرد: جمع أجرد وجرداء. وفرس أجرد: قصير الشعر رقيقه، وذلك من علامات العتق والكرم. والسمهري: نسبة إلى سمهر، وهو رجل كان يثقف الرماح.

(٨) ورد نصب غدوة بعد لدن وهو نادر، فلدن حينئذ منقطعة عن الإضافة لفظاً ومعنى، وغدوة بعدها منصوبة على التمييز للدن أو على أنها خبر لكان محذوفة مع اسمها أي لدن كانت الساعة غدوة. ويجوز جر غدوة بالإضافة على الأصل، ورفعها بكان تامة محذوفة. والغدوة: البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس.

(٩) في الأصول: «من الليل». والتصحيح عن «مختار الأغاني» و «المفضليات» و «منتهى الطلب». والخارجي هنا: كل ما فاق جنسه =

وأَجْـرَدَ كـالسِّـرْحـان يَضـرِبُـه النَّـدَى ... ومحبـوكـةً كـالسِّيْدِ شَقّـاءَ صِلْـدِمـا[1]

يَطَـأْن مـن القَتْلَـى ومـن قِصَـدِ القنـا ... خَبـاراً فمـا يجـريـن إلا تَقَحُّمَـا[2]

/ عليهـنّ فتيـانٌ كسـاهـم مُحَـرِّقٌ ... وكـان إذا يكسـو اجـاد وأكـرمـا[3] [٨/١٤]

/ صفـائـحَ بُصْـرَى أخلَصَتْهـا قُيُـونُهـا ... ومُطَّـرِداً مـن نَسـج دَاودَ مُبْهَمَـا[4] ١٢٦/١٢

جـزى الله عنـا عبـدَ عمـرٍو مـلامـةً ... وعَـذْوانَ سَهْـمٍ مـا أذَلَّ وألأمـا

فلسـتُ بمبتـاع الحيـاةِ بسُبَّـةٍ ... ولا مُـرْتـقٍ مـن خشيـة المـوت سُلَّمـا

رثاؤه نعيم بن الحارث

وقال أبو عبيدة:

وقتل في تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عُبَاد بن حبيب بن واثلة بن سهل، قتلته بنو صِرْمة يوم دارة موضوع، وكان وادًّا للحصين فقال يرثيه:

قتَلْنـا خمسـةً ورمَـوْا نُعيمـا ... وكـان القتـلُ للفتيـان زَيْنـا

لعمـرُ البـاكيـات علـى نعيـم ... لقـد جلَّـتْ رَزيَّتـه علينـا

فـلا تَبْعَـدْ نُعَيـمُ فكـلُّ حَـيٍّ ... سَيَلْقَـى مـن صـروف الـدهـر حَيْنـا[5]

لومه بني حميس حين فارقوا قومه

قال أبو عبيدة:

ثم إن بني حميس كرِهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم ومضَوْا، فلحِق بهم الحصين بن الحُمَام فردّهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتالِه عشيرتَه عنهم، وقال في ذلك:

إنّ امـرأً بعـدي تَبـدَّلَ نصـرَكـم ... بنصـر بنـي ذُبيـان حَقّـا لخـاسـرُ[6]

= ونظائره. والخيل المسومة: التي عليها سمة أي علامة تعرف بها، والمرسلة عليها ركبانها.

(١) السرحان: الذئب، وكذا السيد. والمحبوك: الفرس الشديد الخلق القوي. والأشق من الخيل: ما يشتق في عدوه ويذهب يميناً وشمالاً كأنه يميل في أحد شقيه، والطويل. يقال: فرس أشق، والأنثى شقاء. وفي ب، س: «نيقا» وهو تحريف، والصلدم: الصلب، والشديد الحافر.

(٢) انقصد الرمح: انكسر نصفين حتى يبين، وكل قطعة قصدة بالكسر والجمع قصد. والخبار من الأرض: ما لان واسترخى وكانت فيه أحجار، وفي ب، س: «جيادا»، وفي جـ «شريحا» وهو تحريف. وتقحم الأمر: رمى بنفسه فيه، وفي «المفضليات» و «منتهى الطلب»: «إلا تجشما».

(٣) محرق: لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة. وإنما سمي بذلك لأنه أوّل من حرق العرب في ديارهم. فهم يدعون آل محرق؛ وهو أيضاً لقب عمرو بن هند لأنه حرق مائة من بني تميم.

(٤) في ب، س: «محكما». والقيون: جمع قين بالفتح، وهو الحداد. ومطرداً: أي ودرعاً مطرداً (والدرع قد تذكر) واطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً، واطرد الأمر: استقام. والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت، ومبهماً: لا مأتى له ولا ثلم فيه.

(٥) فلا تبعد: فلا تهلك. والحين: الموت.

(٦) في البيت خرم.

أولئـك قـومٌ لا يُهـانُ ثَـوِيُّهُـم ... إذا صَـرَّحَـتْ كَحْـلٌ وهَـبَّ الصَّنـابِـرُ[(١)]

[٩/١٤] / وقال لهم أيضاً:

أَلاَ أبلِـغْ لـديـك أبـا حُمَيْـسٍ ... وعـاقبـةُ المـلامـة للمُلِيـمِ[(٢)]

فهـل لكُـمُ إلـى مَـوْلَـى نَصُـورٍ ... وخَطْبُكُـم مـن الله العظيـمِ

فـإنّ ديـاركـم بجَنُـوب بُـسٍّ ... إلـى ثَقْـفٍ إلـى ذات العُظُـومِ[(٣)]

ـ بُسّ: بناء بنته غَطَفان شبّهوه بالكعبة، وكانوا يَحُجّونه ويعظّمونه ويسمّونه حَرَماً، فغزاهم زُهَيْر بن جَناب الكلبيّ فهدمه ـ

غَـذَتكـم فـي غَـداةِ النـاس حُجّـا ... غِـذاءَ الجـائـعِ الجَـدِعِ اللئيـمِ[(٤)]

فسِيـرُوا فـي البـلاد ودَّعـونـا ... بقَحْـطِ الغيـث والكَـلأ الـوَخِيـمِ

قوله في بني حميس أيضاً يلومهم ويذكر يده عليهم

قال أبو عبيدة: قال عمرو:

زعموا أن المثلَّم بن رَبَاح قتل رجلاً يقال له حُبَاشة في جِوار الحارث بن ظالم المُرّي، فلحق المثلَّم بالحصين بن الحمام، فأجاره. فبلغ ذلك الحارثَ بن ظالم، فطلب الحصينَ بدم حُباشة، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانِه فقالوا: إنّا لا نَعقِل[(٥)] بالإبل، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم. فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته:

[١٠/١٤] / خليلـيّ لا تستعجِـلا أن تَـزَوَّدَا ... وأن تجمعـا شَمْلـي وتنتظـرا غـدَا

فمـا لَبَـثٌ يـومـاً بسـائـقِ مَغْنَـمٍ ... ولا سـرعـةٌ يـومـاً بسـابِقَـةِ غـدا[(٦)]

وإن تُنْظِـرانـي اليـومَ أقـضِ لُبـانـةً ... وتستـوجِبـا مَنّـا علـيَّ وتُحْمَـدا[(٧)]

لعمـرُكَ إنّـي يـوم أغـدو بصِـرْمَتـي ... تنـاهَـى حُمَيْـسٌ بـادئيـن وعُـوَّدا[(٨)]

(١) الثوي: الضيف. كحل: السنة المجدبة (تصرف ولا تصرف) ويقال: صرحت كحل، إذا لم يكن في السماء غيم. والصنابر: الرياح الباردة.

(٢) ألام: أتى ما يلام عليه.

(٣) في ب، س: «لبس» والتصحيح عن حـ و «معجم البلدان» في الكلام على «ثقف» ج ٣: ١٩ ـ قال في «القاموس المحيط»: «بس: بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة، ويسعون بين الصفا والمروة، فذرع البيت وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ورجع إلى قومه وبني بيتاً على قدر البيت ووضع الحجرين فقال: هذان الصفا والمروة، فاجتزءوا به عن الحج. فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالماً وهدم بناءه». وثقف وذات العظوم: موضعان.

(٤) في الأصول: «غدتكم في غدا الناس حجنا: غداء» وهو تحريف، وحجا بالضم (وبكسر أيضاً) جمع حاج مثل بازل وبزل. والجدع: السيء الغذاء.

(٥) عقل القتيل: دفع ديته.

(٦) اللبث بالتحريك: المكث والإبطاء كاللبث بفتح اللام وضمها. ويلاحظ أن هنا إيطاء.

(٧) أنظره: أخره وأمهله. واللبانة: الحاجة.

(٨) الصرمة: القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين؛ وقيل غير ذلك. تناهى: كف، أي كف بنو حميس عن معاونتنا في إبل الدية، أو معناه: تناهى بنو حميس أي نهى بعضهم بعضاً عن معاونتنا في ذلك فكفوا.

وقــد ظهــرتْ منهــم بــوائــقُ جَمَّــةٌ ... وأَفْــرَعَ مــولاهــم بنــا ثــم أَصْعَــدا[١]

ومــا كــان ذنبــي فيهــمُ غيــرَ أنَّنــي ... بسطْــتُ يــداً فيهــم وأتبعْتُهــا يــدا

وأنّــي أُحــامِــي مِــن وراء حَــريمهــم ... إذا مــا المُنــادِي بــالمُغِيــرَةِ نَــدّدا[٢]

/ إذا الفَــوْجُ لا يحميــه إلاّ مُحــافِــظٌ ... كــريــمُ المُحَيّــا مــاجِــدٌ غيــرُ أجــردا

١٢٧/١٢

فــإن صَــرَّحَــت كَحْــلٌ وهَبَّــت عَــرِيَّــةٌ ... من الرِّيح لم تترك لِذِي العَرْض مَرْفَدا[٣]

صبَــرتُ علــى وَطْءِ المــوالــي وخَطْبِهــم ... إذا ضَــنَّ ذو القــربــى عليهــم وأَجْمَــدا[٤]

الحصين والبرج بن الجلاس

أخبرني ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان البُرْج بن الجُلاَس الطائيّ خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له على الشراب، وفيه يقول البرج بن الجُلاس:

[١١/١٤]

/ ونَــدْمــانٍ يَــزِيــد الكــأسَ طِيبــاً ... سَقَيــتُ وقــد تغــوَّرَتِ النجــومُ[٥]

رفعــتُ بــرأســه فكشفــتُ عنــه ... بمُعْــرَقَــةٍ مَــلامــةَ مَــن يلــومُ[٦]

ونشْــرَب مــا شــرِبنــا ثــم نصحــو ... وليــس بجــانِبَــيْ خَــدّي كُلــومُ

ونجعــل عِبْــأهــا لبنــي جُعَيْــلٍ ... وليــس إذا انتَشَــوْا فيهــم حليــمُ[٧]

كانت للبرج أخت يقال لها العُقاطة[٨]، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أخته فافتضّها، وندِم على ما صنع لمّا أفاق، وقال لقومه: أيُّ رجل أنا فيكم؟ قالوا: فارسُنا وأفضلنا وسيّدنا. قال: فإنه إن علم بما صنعتُ أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبتُ رأسي فلم تَرَوْني أبداً، فلم يسمع بذلك أحد منهم. ثم إن أَمَةً لبعض طيىء وقعت إلى الحصين بن الحُمَام، فرأت عنده البرجَ الطائي يوماً وهما يشربان. فلما خرج من عنده قالت للحصين: إنّ نديمك هذا سكِر عندك ففعل بأخته كَيْتَ وكيت، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلّما أتاك فسكِر عندك. فزجرها الحصين وسَبّها، فأمسكَتْ. ثم إنّ البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحُرَقة فأخذ أموالهم، وأتى الصَّرِيخُ[٩] الحصينَ بن الحمام، فتبع القوم، فأدركهم، فقال للبرج: ما صَبّك على جيراني يا برج؟ فقال له: وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منّا، وأنشأ يقول:

(١) بوائق: جمع بائقة، وهي الداهية. وأفرع بهم: نزل.

(٢) بالمغيرة: أي بالخيل المغيرة أي بركابها. وندّد: رفع صوته.

(٣) العرية: الريح الباردة. والعرض: السعة. والمرفد بفتح الميم وضمها: المعونة.

(٤) وطئه: داسه. وخطبهم: حالهم وشأنهم. المجمد: البخيل.

(٥) تغور النجم وغار: غاب.

(٦) بمعرقة: أي بخمر معرقة؛ يقال: أعرق الشراب: جعل فيه عرقاً من الماء: أي قليلاً.

(٧) انتشى: سكر.

(٨) كذا في ب، س، وفي جـ «القفاطة».

(٩) الصريخ هنا: المستغيث.

[١٤/١٢] / أنّى لك الحُرُقاتُ فيما بيننا! عَنَنٌ بعيدٌ منك يابنَ حُمام[1]

أقبلتَ تُزجِي ناقة متباطئا عُلُطاً تزجّيها بغير خِطام

تزجي: تسوق، علطاً: لا خطام عليها ولا زمام، أي أتيت هكذا من العجلة ـ فأجابه الحصين بن الحمام:

برجٌ يُؤثّمني ويكفُر نعمتي صَمّي لِما قال الكفيلُ صَمام[2]

مَهْلاً أبا زيدٍ فإنّك إنْ تشأ أُورِدْك عُرْضَ مَناهِلٍ أسْدامِ[3]

أُورِدْك أَقْلِبَةً إذا حافلتَها خَوْضَ القَعودِ خَبيثةَ الأخصام[4]

أقبلتُ من أرض الحجاز بذَمّةٍ عُطُلاً أسوّقها بغير خِطام[5]

في إثْرِ إخوانٍ لنا من طيىء ليسوا بأكفاء ولا بكرام

لا تحسبَنّ أخا العفاطة أنني رَجُلٌ بخُبْرك ليس بالعَلاّم[6]

فاستنزلوك وقد بَلَلْتَ نِطاقها عن بنتِ أمّك والذيولُ دوامي[7]

[١٤/١٣] [١٢٨/١٢] / ثم ناصب الحصينُ بن الحُمَام البرجَ الحربَ، فقتل من أصحاب البرج عدّة وهزم، سائرهم، / واستنقذ ما في أيديهم، وأسر البرج، ثم عرف له حقّ نِدامه وعشرته إياه فمنَّ عليه وجَزّ ناصيته وخلّى سبيله. فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبّه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال: أشَعْتم ما فعلتُ بأختي وفضحتموني، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهُرهم فلحِق ببلاد الروم، فلم يعرف له خبر إلى الآن.

وقال ابن الكلبيّ: بل شرب الخمر صِرفاً حتى قتلته.

غارته على بني عقيل وبني كعب وشعره في ذلك

أخبرني ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عَدِيٍّ ثم أغار على بني عُقَيل وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نَعَماً كثيراً ونساء، فأصاب أسماء بنت عمرو سيّد بني كعب فأطلقها ومَنّ عليها، وقال في ذلك:

---

(١) أنى لك الحرقات: أي من أين لك قرابتهم. عنّ الشيء عننا: ظهر أمامك وعرض. أي إن ما عنّ لك في هذا الشأن بعيد وباطل.

(٢) أثمه تأثيماً: قال له أثمت. الكفيل هنا: الذي لا يثبت على ظهر الدابة (انظر «تاج العروس») ومن أمثال العرب: صمى صمام، والخطاب للداهية. وصمام كقطام: الداهية الشديدة. وصمى صمام أي زيدي يا داهية.

(٣) العرض من النهر والبحر: وسطه. مياه أسدام: متغيرة.

(٤) كذا في الأصول. والأقلبة: جمع قليب وهي البئر. والأخصام: جمع خصم بالضم. وخصم كل شيء: طرفه وجانبه. ولعل صوابه: * أوردك أقلبة إذا ما خلتها الخ * والمعنى على ذلك: أوردك أقلبة خبيثة الأخصام إذا ما ظننتها سهلة الاستقاء غير شاقة كالمخاضة التي تخوضها القعود بسهولة، أو لعل صوابه «أوردك أقلبة أجاجاً ماؤها: خوص القعور...» وخوص (بالضم) جمع خوصاء، وبئر خوصاء: بعيدة القعر لا يروي ماؤها الأنعام.

(٥) بذمة: أي بناقة ذمة أي مفرطة الهزال شبه الهالكة، فهي مذمومة لأجل ذلك؛ من قولهم: بئر ذمة أي قليلة الماء مذمومة. العطل في الأصل: المرأة ليس عليها حلي، يريد أن الناقة ليس عليها زمام، أو هو «علطاً» كما جاء في بيت البرج بن الجلاس السابق.

(٦) الخبر: العلم بالشيء. وفي ب، س: «كالعلام» وهو تحريف.

(٧) كذا في «مختار الأغاني الكبير» جـ ٣: ص ٤٠٨ وفي الأصول: «من بيت أمك» وهو تصحيف.

فِـدًى لبنـي عـديٍّ رَكْـضُ سـاقـي ... ومـا جَمَّعـتُ مـن نَعَـمٍ مُـراحِ[١]

تَـركْنـا مـن نسـاء بنـي عُقَيْـلٍ ... أَيـامَـى تبتغـي عَقْـدَ النكـاح[٢]

أَرُغْيـانَ الشَّـوِيِّ وجـدتمـونـا ... أمَ اصحـابَ الكـريهـة والنِّطـاح[٣] ؟

لقـد علمـتْ هَـوازِنُ أنَّ خيلـي ... غَـداةَ النَّعْـفِ صـادقـةُ الصَّبـاح[٤]

عليهـا كـلُّ أَرْوَعَ هِبْـرِزِيٍّ ... شـديـدٍ حَـدُّه شـاكـي السِّلاح[٥]

/ فكَـرَّ عليهـمُ حتَّـى التقينـا ... بمصقـولٍ عـوارضُهـا صِبـاحِ[٦] [١٤/١٤]

فـأُبنـا بـالنِّهـاب وبـالسَّبـايـا ... وبـالبِيـضِ الخـرائِـد واللِّقـاح[٧]

وأعتقنـا ابنـة العَمْـرِيِّ عمـرٍو ... وقـد خُضْنـا عليهـا بـالقِـداح

إدراكه الإسلام وشعره الدال على ذلك

أخبرنا ابن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أنّ الحصين بن الحمام أدرك الإسلام. قال: ويدلّ على ذلك قوله:

وقـافيـةٍ غيـرِ إنسِيَّـةٍ ... قَـرَضْـتُ مـن الشِّعـر أمثـالَهـا[٨]

شَـرُودٍ تَلَمَّـعُ بـالخـافقَيْـنِ ... إذا أُنْشِـدَتْ قيـل مَـن قـالهـا[٩]

وحَيـرانَ لا يهتـدي بـالنهـار ... مـن الظَّلْـعِ يَتْبَـعُ ضُـلاَّلَهـا[١٠]

وداعٍ دعـا دعـوةَ المستغيـثِ ... وكنـتُ كمـن كـان لَبَّـى لهـا

إذا المـوتُ كـان شَجـاً بـالحُلـوق ... وبـادَرتِ النفـسُ أشغـالَهـا[١١]

---

(١) النعم: الإبل والشاء، أو خاص بالإبل. وأراح الإبل: ردها إلى المراح (بالضم) أي المأوى.

(٢) أيامى: جمع أيم كسيد، وهي من لا زوج لها بكراً أو ثيباً.

(٣) الشويّ: جمع شاة.

(٤) النعف: ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي، وهو هنا موضع بعينه، وصادقة الصباح أي الغارة في الصباح. وكانوا أكثر ما يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح.

(٥) الأروع: من يعجبك بحسنه أو بشجاعته. والهبرزي: المقدام. وحدّه: بأسه. وشاكي السلاح: ذو شوكة وحدّ في سلاحه.

(٦) بمصقول عوارضها أي بنساء مصقول عوارضها. والعوارض: جمع عارضة، وهي صفحة الخد. وصباح: جمع صبيحة، أي جميلة وضيئة الوجه.

(٧) النهاب: جمع نهب، وهو الغنيمة. والخريد والخريدة والخرود: البكر لم تمس، أو الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة، والجمع خرائد. واللقاح: الإبل، واحدتها لقوح كصبور.

(٨) غير إنسية: يعني أنه ألهمه إياها جنيّ. وكانت العرب تزعم أن لبعض الفحول من شعرائهم شياطين يلهمونهم الشعر. ذكر صاحب «جمهرة أشعار العرب» أنه كان لعبيد بن الأبرص صاحب منهم اسمه هبيد، وللأعشى صاحب اسمه مسحل، ولامرىء القيس صاحب اسمه لافظ بن لاحظ، وللنابغة الذبياني صاحب اسمه هاذر. . . الخ.

(٩) قافية شرود: سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير. وتلمع: تبرق وأصله تتلمع فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً. والخافقان: المشرق والمغرب.

(١٠) ظلع الرجل كمنع: عرج وغمز في مشيه.

(١١) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

صبَرتُ ولم أكُ رِعديدَةً ... ولَلصَّبرُ في الرَّوعِ أنجَى لها[1]

[١٤/١٥] / ويومٍ تَسَعَّرُ فيه الحروبُ ... لَبِستُ إلى الرَّوْعِ سِرْبالَها[2]

مُضعَّفَةَ السَّرْدِ عاديَّةً ... وعَضْبَ المضارِبِ مِفْصالَها[3]

ومُطَّرِداً من رُدَيْنِيَّةٍ ... أذودُ عن الوِرْدِ أبطالَها[4]

فلم يبقَ من ذاك إلا التُّقَى ... ونفسٌ تُعالجُ آجالَها

أُمورٌ من الله فوقَ السماءِ ... مقاديرُ تنزلُ أنزالَها[5]

أعوذُ بربِّي من المُخزِيا ... تِ يومَ ترى النفسُ أعمالَها

وخَفَّ الموازينُ بالكافرين ... وزُلزِلَتِ الأرضُ زِلزالَها

ونادى مُنادٍ بأهلِ القبور ... فهبُّوا لتُبْرِزَ أثقالَها

١٢٩/١٢ / وسُعِّرَتِ النارُ فيها العذابُ ... وكانَ السلاسلُ أغلالَها

موته ورثاء أخيه إياه

حدّثنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

مات حُصَيْن بن الحُمَام في بعض أسفاره، فسُمع صائح في الليل يصيح لا يُعرف في بلاد بني مُرَّةَ:

ألا هَلَكَ الحُلْوُ الحَلالُ الحُلاحِلُ ... ومَن عَقْدُه حزمٌ وعَزْمٌ ونائلُ[6]

ـ الحلو: الجميل، والحلال: الذي لبس عليه في ماله عيب[7]. والحلاحل: الشريف العاقل ـ:

ومَن خَطبُه فَصْلٌ إذا القومُ أُفحِموا ... يُصيبُ مَرادِي قولِه مَن يُحاوِلُ

[١٤/١٦] / ـ المَرادِي: جمع مِرادة، وهي صخرة تُردَى بها الصخور، أي تكسر ـ قال: فلما سمع أخوه مُعَيَّة بن الحُمام ذلك قال: هَلَكَ والله الحصين، ثم قال يرثيه:

إذا لاقيتُ جمعاً أو فِئاماً ... فإنِّي لا أرى كأبي يَزِيدا[8]

أشدَّ مهابةً وأعزَّ ركناً ... وأصلبَ ساعةَ الضَّرَّاءِ عُوداً

صَفِيِّي وابنُ أُمِّي والمُواسِي ... إذا ما النفسُ شارفتِ الوريدا[9]

---

(١) في جـ «ولا الصبر» وفي ب، س «والصبر» وهما تحريف. رجل رعديد ورعديدة: جبان يرعد عند القتال جبناً. والروع: الفزع.

(٢) تسعر أصله تتسعر، أي تتقد. السربال: القميص، وتطلق على الدرع كما في البيت.

(٣) السرد: نسج الدرع. ومضعفة: مضاعفة. وعادية: قديمة، نسبة إلى عاد. وعضب المضارب: سيفاً قاطعاً. ومفصال: مبالغة في فاصل أي ماض.

(٤) من ردينية أي من رماح ردينية، نسبة إلى ردينة زوجة سمهر، وكانا مثقفين للرماح. ورمح مطرد: الأنابيب والكعوب أي مستقيمها متتابعها.

(٥) أنزال جمع نزل كعنق وقفل، وهو المنزل، أي تقع مواقعها.

(٦) النائل: النوال والعطاء.

(٧) في ب، س «عين» وهو تحريف.

(٨) الفئام: الجماعة من الناس.

(٩) الصفي: الحبيب المصافي.

كــــأنَّ مُصَـــــدَّراً يحبـــو ورائـــي إلــى أشبــالــه يبغِــي الأســـودا

المُصَدَّر: العظيم الصدر، شبّه أخاه بالأسد.

صوت

لا أرْقَ اللهُ عَيْنَـــيْ مَـــن أرِقْـــتُ لَــه ولا مَــلاَ مِثْــلَ قلبــي قلبَــه تَــرَحَــا

يَسُــرُّنــي ســوءُ حــالــي(١) فــي مســرَّتــه فكلَّمــا ازددت سُقْمــاً زادنــي فــرحــا

الشعر لمحمد بن يسير، والغناء لأحمد بن صَدَقة، رَمَلٌ بالوسطى.



(١) في ب، س: «من».

[١٤/١٧]

/ أخبار محمد بن يسير ونسبه

نسبه

محمد بن يسير[١] الرِّياشي، يقال إنه مولًى لبني رِياش الذين منهم العباس بن الفرج الرِّياشي الأخباري الأديب، ويقال إنه منهم صُلْبِيةً. وبنو رِياش يذكرون أنهم من خَثْعَم، ولهم بالبصرة[٢] خِطَّة وهم معروفون بها، وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدَثين، متقلِّل، لم يفارق البَصْرة، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُنْتَجِعاً، ولا تجاوز بلده، وصُحْبتُه طبقتُه، وكان ماجِناً هَجّاء خبيثاً.

قصته مع والي البصرة

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني عليُّ بن القاسم بن عليّ بن سليمان طارمة[٣] قال:

بعث إليّ محمد بن أيُّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان ـ وهو يتولّى البصرة حينئذ ـ في ليلةٍ صبيحتُها يومَ سبتٍ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه / أو أكثر[٤]. فقلت له: أَنِمتَ وانتبهتَ أم لم تنم بعدُ؟ فقال: [١٤/١٨] قد قضيتُ حاجتي من النوم، وأريد أن أصطبح[٥] وأبتدىء الساعةَ بالشرب، وأَصِلَ ليلتي بيومي[٦] محتجباً عن الناس، وعندي محمد بن رَباح، وقد وجّهتُ إلى إبراهيم بن رِياش، وحضرتَ أنت، فمن ترى أن يكون خامسَنا؟ قلت: محمد بن يسير. فقال: والله ما عَدَوتَ ما في نفسي. فقال لي ابن رباح: اكْتُبْ إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طِيبَ هذا الوقت، وكان يوم غَيم، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع؛ فكتب إليه ابن رَباح:

---

(١) ورد اسم هذا الشاعر في نسخ «الأغاني» المطبوعة والمخطوطة. وفي «الأمالي»، وفي «أشعار الحماسة شرح التبريزي» طبع أوربة ومصر «محمد بن بشير»؛ وهو تصحيف ـ وقد تكرر هذا الخطأ إلى آخر الترجمة ـ والتصويب عن «الشعر والشعراء» ص ٥٦٠ طبع أوربة» ويؤكد ذلك ما ورد في «القاموس» و «تاج العروس»، مادة يسر: «وأبو جعفر محمد بن يسير البصري شاعر، وهو القائل يرثي نفسه:

كــأنــه قــد قيــل فــي مجلــس ... قــد كنــت آتيــه وأغشــاه:
صــار اليسيــري إلــى ربــه ... يــرحمنــا اللــه وإيــاه

وكذا أخوه عليّ شاعر أيضاً ذكرهما الذهبي» وقد جاء هذان البيتان في ترجمته في «الأغاني» ـ وسيردان عليك بعد ـ فعلم أنه هو. وقال فيه ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: «وكان في عصر أبي نواس وعمر بعده حيناً» وقد توفي أبو نواس ١٩٨ هـ.

(٢) خطة: أرض اختطوها واتخذوا فيها مساكن لهم.

(٣) جاء في «تاج العروس» (مستدرك مادة طرم): «الطارمة: بيت من خشب كالقبة، فارسي معرّب». والظاهر أنه لقب له.

(٤) في الأصول: «أو أكثره».

(٥) اصطبح: شرب الصبوح (كصبور)، وهو شرب الغداة.

(٦) في الأصول: «بنومي» وهو تصحيف.

١٣٠ / ١٢

/ صوت

يـــومُ سَبـــتٍ وشَنْبَـــذٍ ورَذَاذٍ فعـلامَ الجلُـوسُ يـابـن يسيـرٍ؟[١]

قـم بنـا نـأخـذ الـمُـدامـةَ مـن كَـفِّ غَـزالٍ مُضَمَّـخٍ بـالعَبِيـرِ[٢]

ـ في هذين البيتين لعباسٍ أخي بحرٍ ثقيل أوّل بالبنصر ـ وبعث إليه بالرُّقعة، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب. فقال لهم: بعثتكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقعة! فقالوا: لم نَلْقَه، وإنما كتب جوابَها في منزله، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجُم. فقرأها فإذا فيها:

/ أجيءُ على شَرْطٍ فإن كنتَ فاعلاً وإلّا فإنّي راجعٌ لا أُناظِرُ [١٤/١٩]

لِيُسْرَجَ لِيَ البِرذَوْنُ في حال دُلْجتي وأنت بدُلْجاتي مع الصبح خابِرُ[٣]

لأقضيَ حاجاتي إليه وأنثني إليك، وحَجّامٌ إذا جئتُ حاضرُ

فيأخذ من شَعري ويَصلِحُ لِحيتي ومن بعدُ حَمّامٌ وطِيبٌ وجامِرُ[٤]

ودَسْتيجَةٌ من طيِّب الراح ضخمةٌ يُرَوِّدنيها طائعاً لا يُعاسِرُ[٥]

فقال محمد بن أيوب: ما نقول؟ فقلت: إنك لا تقوَى على مطاولته، ولكن اضمَنْ له ما طلب، فكتب إليه: قد أُعِدَّ لك ـ وحَياتِكَ ـ كلُّ ما طلبت فلا تُبْطِىء؛ فإذا به قد طلع علينا، فأمر محمد بن أيوب بإحضار المائدة. فلما أحضرت أمَرَ بمحمد بن يسير فشُدّ بحبل إلى أُسطوانة من أساطين المجلس، وجلسنا نأكل بحذائه. فقال لنا: أيُّ شيء يخلِّصني؟ قلنا: تُجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب. فقال: كُفّوا عن الأكل إذاً ولا تستبِقوني به فتَشْغَلوا خاطري، ففعلنا ذلك وتوقّفنا، فأنشأ يقول:

أيا عَجَبا مِنْ ذا التَّسَرِّي فإنّه له نَخوةٌ في نفسه وتكابُرُ[٦]

/ يُشارِط لمّا زار حتّى كأنه مُغَنٍّ مُجيدٌ أو غلام مُؤاجَرُ[٧] [١٤/٢٠]

---

(١) شنبذ: كلمة فارسية. جاء في «معجم جونسون» ـ وهو معجم فارسي عربي إنجليزي ـ «شنبذ = يوم السبت. جنبذ = يتحرك، يحرك. جنبد = يثب، يقفز، يجري». وجاء في «معجم ستنجاس»: جنبد = القفز، اللعب، تقريب عقب الرجل من الرأس» ويفهم من ذلك أن هذا اليوم يوم مرح ولعب ونشاط ونحو ذلك. والرذاذ: المطر الضعيف.

(٢) المدامة والمدام: الخمر. ومضمخ: مدْهن. والعبير: اخلاط من الطيب.

(٣) البرذون من الخيل: ما كان من غير نتاج العراب. والدلجة: سير السحر.

(٤) جاء في «لسان العرب»: «أجمر الثوب وجمره: بخره بالطيب، والذي يتولى ذلك مجر ومجمّر، والجامر: الذي يلي ذلك من غير فعل، إنما هو على النسب.

(٥) في الأصول «طابعاً» وهو تصحيف. والدستيج: آنية تحوّل باليد وتنقل، فارسي معرب. والراح: الخمر. يروّدنيها: رادت الإبل ترود: اختلفت في المرعى مقبلة ومدبرة، ورِدتها أنا وأردتها؛ أي جعلتها ترعى، فمعنى يروّدنيها هنا على التشبيه بذلك أي يجعلني أستقي منها غادياً رائحاً أي مراراً. ولا يعاسر: لا يشاكس.

(٦) السرو: المروءة في شرف، سرو، ككرم ودعا ورضي فهو سريّ، وتسري تسرياً: تكلف السرو. وتكابر وتكبر واستكبر بمعنى.

(٧) في الأصول «يشابط» وهو تحريف. ومؤاجر: جاء في «المصباح المنير»: «قال الأخفش: ومن العرب من يقول آجرته فأنا مؤجر (بسكون الهمز) ـ في تقدير أفعلت فأنا مفعل ـ وبعضهم يقول فأنا مؤاجر ـ في تقدير فاعلته اهـ.

فلـــولا ذِمـــامٌ كـــان بينـــي وبينـــه ... للَطَّـــمَ بَشَّـــارٌ قَفـــاه ويَـــاسِـــرُ[1]

فقال محمد: حسبُك، لم نُرِدْ هذا كله، ثم حلَّه وجلس يأكل معنا، وتممنا يومنا.

فعلة شاة منيع معه وهجاؤه إياها

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ قال:

كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم، وهو من خَثْعَم وكان من بخلاء الناس، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق[2] قَلَعها من داره، فغرَس فيه أصلَ رُمّان وفَسِيلةً[3] لطيفة، وزرَعَ حَوالَيه بَقْلاً، فأفلتت شاةٌ لجارٍ له يقال له: مَنِيع، فأكلت البقل ومَضَغت الخُوص، ودخلتْ إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيسَ[4] فيها شِعرهُ وأشياءُ من سَماعاته، فأكلَتْها وخرجَتْ، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه، وعاد فزرع البستان، وقال يهجو شاة منيع:

لـــيَ بستـــانٌ أنيـــقٌ زاهـــرٌ ... نـــاضِـــرُ الخُضْـــرة ريَّـــان تَـــرِفْ[5]

[٢١/١٤] / رَاســـخُ الأغـــراقِ ريَّـــانُ الثَّـــرَى ... غَـــدِقٌ تُـــرْبَتُـــه ليســـت تجِـــفْ[6]

لِمجـــاري المـــاءِ فيـــه سُنَـــنٌ ... كيفمـــا صـــرَّفتَـــه فيـــه انصـــرفْ[7]

مُشْـــرِق الأنـــوار ميّـــاد النَّـــدَى ... مُنْثَـــنٍ فـــي كـــلِّ ريـــح مُنعَطِـــفْ[8]

١٣١/١٢ / تملِـــكُ الـــريـــحُ عليـــه أمـــرَه ... فـــإذا لـــم يُـــؤْنِـــسِ الـــريـــحَ وقـــفْ[9]

يكتسِـــي فـــي الشـــرق ثـــوبَـــيْ يُمْنَـــةٍ ... ومـــع الليـــل عليهـــا يَلتحِـــفْ[10]

ينطـــوِي الليـــلُ عليـــه فـــإذا ... واجَـــهَ الشـــرقَ تجلَّـــى وانكشَـــفْ

صـــابـــرٌ ليـــس يُبـــالـــي كَثْـــرةً ... جُـــزَّ بـــالمِنْجَـــل أو منـــه نُتِـــفْ

كلمـــا أُلْحِـــفَ منـــه جـــانـــبٌ ... لـــم يتلبَّـــثْ منـــه تعجيـــلُ الخَلَـــفْ[11]

---

(١) الذمام: الحق والحرمة. والمفهوم أنه يعني ببشار وياسر خادمين من خدم الوالي أو رجلين من أتباعه. وفي الأصول: «تلطم»؛ وهو تحريف.

(٢) الطابق كهاجر وصاحب والطاباق: الآجر الكبير. ويظهر من قوله «قلعها من داره» أن البستان كان يدور حول المنزل، وأن ذلك القدر المذكور قدر عرضه.

(٣) الفسيلة: النخلة الصغيرة.

(٤) القراطيس: جمع قرطاس (وكسر القاف أشهر من ضمها)، وهو ما يكتب فيه.

(٥) أنيق: حسن معجب. وناضر: شديد الخضرة. ويبالغ به في كل لون فيقال: أخضر ناضر، وأحمر ناضر، وأصفر ناضر. ترف: ترف النبات كفرح: تروّى، فهو ترف.

(٦) أرض غدقة: في غاية الريّ، وهي الندية المبتلة.

(٧) سنن: جمع سنة وهي الطريقة.

(٨) الأنوار: جمع نور (بالفتح): وهو الزهر. ويقال للنبت ندى، لأنه عن ندى المطر نبت.

(٩) آنس الشيء: أحس به.

(١٠) اليمنة: برد يمني، وهو موشى.

(١١) في الأصول «ألحق» بدل «ألحف»؛ وهو تحريف. والحفه: استأصله. ولم يتلبث: أي لم يتوقف ولم يبطىء.

لا تـــرى للكـــفّ فيـــه أثـــراً فيـــه بـــل يَنْمِـي علـى مـسّ الأكُـف[1]

فتـــرى الأطبـــاقَ لا تُمْهِلـــه صـــادراتٍ وارداتٍ تختلِـــفْ

فيـــه للمخـــارفِ مـــن جيـرانـــه كلّمـــا احتـــاج إليـــه مُخْتَـــرَفْ[2]

أُقْحُـــوانٌ وبَهَـــارٌ مُـــونِـــقٌ وســـوى ذلـــك مـــن كـــلّ الطُّـــرَفْ[3]

/ وهـــو زَهْـــرٌ للنَّـــدَامَـــى أصُـــلاً بِـــرِضـــا قـــاطِفِهِـــم ممّـــا قَطَـــفْ[4] [٢٢/١٤]

وهـــو فـــي الأيـــدي يُحَيُّـــون بـــه وعلـــى الآنـــافِ طَـــوْراً يُسْتَشَـــفْ[5]

أغْفِـــه يـــا ربُّ مِـــن واحـــدةٍ ثـــم لا أحْفِـــلُ أنـــواعَ التَّلَـــفْ[6]

اِكْفِـــه شـــاةَ مَنيـــعٍ وَحْـــدَهـــا يـــوم لا يُصْبِـــحُ فـــي البيـــت عَلَـــفْ

اِكْفِـــه ذاتَ سُعَـــالٍ شَهْلَـــةً مُتْعَـــتْ فـــي شـــرِّ عيـــش بـــالخَـــرَفْ[7]

اكْفِـــه يـــا رَبِّ وَقْصـــاءَ الطُّلَـــى ألْحِـــمِ الكِتْفيـــن منهـــا بـــالكَتِـــفْ[8]

وكَلُـــوحٌ أبـــداً مُفْتَـــرَةٌ لـــك عـــن هُتْـــمٍ كَلِيـــلاتٍ رُجُـــفْ[9]

وَنَثُـــوسُ الأنـــفِ لا يَـــرْقَـــا ولا أبـــداً تُبْصـــرهُ إلاّ يكِـــفْ[10]

/ لـــم تَـــزَلْ أظـــلافُهـــا عـــافِيـــةً لـــم يُظَلَّـــفْ أهلُهـــا منهـــا ظِلَـــفْ[11] [٢٣/١٤]

---

(١) نما ينمو نمواً، ونمى ينمي نمياً ونماء: زاد. و «فيه» الثانية حشو.

(٢) خرف الثمار خرفاً كنصر: جناها، كاخترفها. ومخترف: مجتني. أو هو برفع «كل» وفصلها من «ما»، وكسر الراء من «مخترف».

(٣) الأقحوان: نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر. والبهار: نبت أصفر طيب الريح. ومونق: معجب.

(٤) أصلاً: جمع أصيل، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب. والندامى: جمع ندمان، وهو المجالس على الشراب.

(٥) استشفه: تأمل ما فيه، واستشف ما في الإناء: شرب جميع ما فيه وتقصى شربه. والمعنى على هذا: يتقصى شمه كما يستشف الماء.

(٦) يقال: ما حفله (كضرب) وما حفل به، وما احتفل به، أي ما بالي.

(٧) الشهلة: العجوز. والخرف هنا: الشيص (أردأ التمر).

(٨) الطلى: الأعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة. والوقص (بفتحتين): قصر العنق. وقص (كفرح) فهو أوقص وهي وقصاء. والكتف، بكسر التاء وسكونها مع فتح الكاف وكفرد. ولحمه (كنصر) وألحمه: لأمه، يدعو عليها أن يلحم الله كتفيها حتى تصيرا كتفاً واحدة.

(٩) الكالح: الذي قد قلصت شفته عن أسنانه نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه. وافترّ عن ثغره: أبدى أسنانه. وعن هتم؛ أي عن أسنان مكسرة. ورجف: جمع رجوف، من رجف الشيء (كنصر) إذا خفق واضطرب اضطراباً شديداً.

(١٠) نثوس: وصف، من ناس اللعاب: إذا سال فاضطرب. ويرقأ: يجف ويسكن وينقطع، سهلت همزته. يعني أن رغامها (مخاطها) يسيل من منخريها لهزالها. ووكف الدمع والماء (كوعد): سال.

(١١) أظلاف: جمع ظلف (بالكسر)، وهو للشاة كالحافر للفرس والقدم للإنسان. يقال: عفا الشعر والنبت وغيرهما إذا كثر وطال. ولم يظلف؛ اشتق من الظلف؛ يظلف بمعنى يقلم. وقلم الظفر: قطع ما طال منه. وظلف: أصله ظلفاً (بسكون اللام وبالألف، مفعول يظلف) وقف عليه بنقل فتحة الفاء إلى اللام وحذف الألف وسكن الفاء؛ لأن الروي مقيد، متبعاً في ذلك مذهب نحاة الكوفة وبعض نحاة البصرة المعاصرين له. ولبيان ذلك نقول: ذكروا أن في الوقف على المتحرك ـ غير هاء التأنيث ـ خمسة أوجه: الإسكان والروم والإشمام والتضعيف والنقل، أي إنه يجوز نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى ما قبله بشروط، منها: أن يكون ساكناً وألا تكون الحركة فتحة، كقراءة بعضهم: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ بكسر الباء وسكون الراء، فأما الفتحة فقد منع البصريون نقلها إذا كان المنقول عنه غير همزة، فلا يجوز عندهم رأيت بكر (بفتح الكاف وسكون الراء) ولا ضربت الضرب، لما يلزم على النقل =

فتـرى فـي كـل رِجْـلٍ ويـدٍ مـن بقـايـاهـنّ فـوق الأرض خُـفّ[١]

تَنسِـف الأرضَ إذا مـرّت بـه فلهـا إعْصـارُ تُـرْبٍ مُنتسِـف[٢]

تُـرْهِـجُ الطُّـرْقَ علـى مُجْتـازِهـا بيَـدٍ فـي المشـي والخَطْـوِ القَطِـف[٣]

فـي يَـدَيْهـا طَـرَقٌ ، مِشيتُهـا حَلْقـةُ القـوس ، وفـي الـرجـل حَنَف[٤]

[١٤/٢٤] / فـإذا مـا سَعَلَـتْ واحْـدَوْدَبَـتْ جـاوبَ البَعْـرُ عليهـا فَخُصِـف[٥]

وأُحِـصَّ الشعـرُ منهـا ، جِلـدُهـا شَنَّـةٌ فـي جـوف غـارٍ مُنْخسِـف[٦]

ذات قَـرْنٍ وهـي جَمَّـاءُ ، ألَا إنّ ذا الـوصـفَ كـوصـفٍ مُخْتلِـف[٧]

وإذا تـدنـو إلـى مُسْتَعْسِـبٍ عـافَهـا نَتْنـاً إذا مـا هُـو كَـرَف[٨]

لا تـرى تَيْسـاً عليهـا مُقْـدِمـاً رُمِيَـتْ مـن كـل تيـس بـالصَّلَـف[٩]

شُـوهـةُ الخِلقـة ، مـا أبصَـرَهـا مِـن جميـع النـاس إلاّ وحَلَـف[١٠]

مـا رأى شـاةً ولا يعلمُهـا خُلِقَـتْ خِلقَتَهـا فيمـا سَلَـف

عَجَبـاً منهـا ومـن تـأليفهـا عجبـاً مِـن خَلقهـا كيـف ائتلَـف!

لـو يُنـادُون عليهـا عَجَبـاً كَسَبـوا منهـا فُلُـوسـاً ورُغُـف

= حينئذٍ في المنون من حذف ألف التنوين، وحمل غير المنون عليه، وأجاز ذلك الكوفيون. ونقل عن الجرمي ـ وهو نحوي بصري توفي سنة ٢٢٥ ـ أنه أجازه. وعن الأخفش ـ وهو نحوي بصري أيضاً توفي سنة ٢١٥ ـ أنه أجازه في المنون على لغة من قال رأيت بكر، وهم ربيعة. فأما المهموز فيجوز نقل حركته وإن كانت فتحة، فيقال رأيت الخبأ والردأ في رأيت الخبء والرد. (انظر «شرح الأشموني» باب الوقف).

(١) في الأصول كلها: «جف» بالجيم؛ وهو تصحيف. والخف: ما يلبس في الرجل.

(٢) في الأصول: «تبدأ» بدل «بيد»؛ وهو تحريف. و «به» بالخف. ونسفه وانتسفه: قلعه من أصله. والإعصار: الريح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء، أو التي فيها العصار (ككتاب) وهو الغبار الشديد.

(٣) أرهج: أثار الغبار. والقطف، أصله القطف (بسكون الطاء وكسر الفاء) فوقف عليه بالنقل كما تقدّم. يقال: قطفت الدابة كضرب قطفاً، وكنصر قطافاً وقطوفاً، وككرم فهي قطوف كصبور، أي بطيئة متقاربة الخطو.

(٤) في الأصول: «في يدها طرف من مشيتها: خلقة. . .» وهو تحريف وخطأ، وقد صححته كما ترى. والطرق: ضعف في ركبتي البعير ويده، أو اعوجاج في ساقه؛ يقال: بعير أطرق وناقة طرقاء، أي في يديها لين واسترخاء وتكسر وضعف. مشيتها حلقة القوس أي مشيتها معوجة كحلقة القوس غير مستقيمة. والحنف: الاعوجاج في الرجل إلى داخل.

(٥) في الأصول: «جاوب البعر منها فحصف» وهو خطأ؛ وقد صححته كما ترى. خصف الورق على بدنه: ألزقه وأطبقه عليه ورقة ورقة، أي فخصف عليها، فلصق بجسمها.

(٦) في الأصول: «وأخفى الشعر»؛ وهو تحريف. يقال: حص شعره وانحص إذا انجرد وتناثر. وذنب أحص: لا شعر عليه. وفي كتب اللغة أن الفعل يتعدى بنفسه بدون الهمز، يقال: حص الشعر كنصر إذا حلقه. والشنة والشنّ: القربة الخلق الصغيرة.

(٧) في الأصول: «وهي حما» وهو تصحيف. جممت الشاة، إذا لم يكن لها قرن، فهي جماء.

(٨) استعسب التيس: هاج واغتلم. وعافها: كرهها وأعرض عنها. وكرفها: شمها؛ يقال كرف الفحل إذا شم طروقته ثم رفع رأسه نحو السماء وكشر حتى تقلص شفتاه.

(٩) صلفت المرأة كفرح صلفاً: لم تحظ عند زوجها وأبغضها. والصلف أيضاً: الكبر. أي صلف التيس وأدل عليها.

(١٠) يقال: رجل أشوه وامرأة شوهاء، إذا كانت قبيحة، والاسم الشوهة بالضم. ولم ترد كلمة «شوهة» في كتب اللغة وصفا، فالتقدير في البيت «شوهة الخلقة صفة ثابتة لها، أو شوهة خلقتها ليس لها نظير». أو أنه استعمل الاسم استعمال الوصف مجازاً.

[٢٥/١٤] ١٣٢ / ١٢

/ ليتَها قد أفلتتْ في جَفْنَةٍ … مِن عجينٍ أو دقيقٍ مُجْتَرَفْ(١)

فتلقَّتْ شَفْرةً مِن أهله … قَدَرَ الإصبعِ شيئاً أو أشَفّ(٢)

أحكَمَتْ كَفّاً حكيمٍ صُنْعَها … فأتت مجدولةً(٣) فيها رَهَفْ

أُدْمِجَتْ من كلِّ وجهٍ غيرَ ما … أَلَّلَ الأقيانُ من حَدِّ الطَّرَفْ(٤)

قابِضُ الرَّونقِ فيها ماتِعٌ … يَخطَفُ الأبصارَ منها يُسْتَشَفّ(٥)

لَمَحَتْها فاسْتَخفَّتْ نحوَها … [عَجَلاً] ثم أحالت تنتسِفْ(٦)

فتناهَتْ بين أضعافِ المِعَى … وتَبَوَّتْ بين أثناءِ الشَّغَفْ(٧)

أو رَمَتْها قَرْحةٌ زادت لها … ذَوَباناً كلَّ يومٍ ونَحَفْ

كلَّ يومٍ فيه يدنو يومُها … أو تُرَى واردةً حَوضَ الدَّنَفْ

[٢٦/١٤]

/ بينما ذاك بها إذ أصبَحَتْ … كَحَمِيتٍ(٨) مُفْعَمٍ أو مثلَ جُفْ

شاغِراً عُرْقوبُها قد أُعتِبَتْ … بِطْنةً من بعدِ إدمانِ الهَيَفْ(٩)

وغَدَا الصِّبيةُ من جيرانها … ليجُرُّوها إلى مأوَى الجِيَفْ

فتراها بينهم مسحوبةً … تَجرُفُ التُّربَ بجَنْبٍ منحرِفْ(١٠)

فإذا صاروا إلى المأوَى بها … أعمَلُوا الآجُرَّ فيها والخَزَفْ(١١)

ثم قالوا: ذا جَزاءٌ للتي … تأكلُ البستانَ منا والصُّحُفْ(١٢)

لا تلوموني، فلو أبصرتُ ذا … كلَّه فيها إذن لم أنتصِفْ

---

(١) في الأصول: «مخترف» بالخاء، وهو تصحيف والجفنة: القصعة.

(٢) في الأصول: «فتلفت شعرة»؛ وهو تحريف.

(٣) لعل الأصل «مصقولة»؛ إذ المناسب للسكين الصقل لا الجدل. ورهف (ككرم) رهافة ورهفاً بالفتح وبالتحريك: دق ولطف.

(٤) ألل الشيء تأليلاً: حدّد طرفه. والأقيان: جمع قين، وهو الحداد.

(٥) في الأصول «مانع» بالنون وهو تصحيف. والماتع من كل شيء: البالغ في الجودة الغاية في بابه. ورونق السيف: ماؤه وحسنه. وقابض الرونق، أي ما يمسكه ويحفظه. وخطف كسمع وضرب، أو هذه قليلة أو رديئة. واستشفه: رأى ما وراءه.

(٦) لمحتها، أي الشفرة أسند اللمح إليها ويريد أصحابها. فاستخفت: يريد فخفت إليها أي أسرعت لذبحها والقضاء عليها. وقد زدت كلمة «عجلا» ليستقيم الوزن، وأحالت: تحوّلت، أي هوت عليها تنسفها.

(٧) تناهت: انتهت أي بلغت ووصلت. وأضعاف المعى: أثناؤها جمع ضعف بالكسر. وتبوّت سهل تبوأت، أي حلت وأقامت. والشغف: غلاف القلب أو حبته كالشغاف.

(٨) في الأصول «لحميت» باللام؛ وهو تحريف. والحميت: الزق الذي يجعل فيه السمن. والجف: والشن البالي يقطع من نصفه ويجعل كالدلو.

(٩) في ب، س «شاعراً عرفوا بها» وفي جـ شاعراً عرقوبها وهو تحريف. شاغراً عرقوبها أي مرفوعاً، من شغر الكلب برجله كفتح إذا رفعها، والبطنة: عظم البطن. والهيف: ضمر البطن ورقة الخاصرة.

(١٠) جرفه كنصر: كسحه.

(١١) الآجرّ: الطوب. والخزف: الطين المعمول آنية قبل أن يطبخ؛ وهو الصلصال، فإذا شوى فهو الفخار.

(١٢) في الأصول: «للذي»؛ وهو تحريف.

شعره إلى امرأته وقد كتبت إليه تعاتبه

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن يسير، وحدّثني سوار بن أبي شُرَاعة قال[1] حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:

هَوِيَ أبي قَيْنةً من قِيان أبي هاشم بالبصرة، فكتبتْ إليه أمي تعاتبه، فكتب إليها:

[١٤/٢٧] / لا تَـذْكُـرِي لَـوْعَـةً إثْـرِي ولا جَـزَعـا ... ولا تُقـاسِـنَّ بعـدي الهـمَّ والهَلَعـا[2]

بَـلِ ائتسِـي تجـدي إنِ ائتسيـتِ أُسـاً ... بمثـل مـا قـد فُجِعْـتِ اليوم قـد فُجِعـا[3]

مـا تصنَعيـن بعَيـنٍ عنـك قـد طَمَحـتْ ... إلـى سـواكِ وقلـبٍ عنـكِ قـد نَـزَعـا[4]

إن قُلتِ قـد كنتُ فـي خَفْـضٍ وتكـرِمَـةٍ ... فقـد صـدَقـتِ، ولكـنْ ذاكِ قـد نُـزِعـا[5]

وأيُّ شـيءٍ مـن الـدنيـا سمعـتِ بـه ... إلا إذا صـار فـي غـايـاتـه انقطعـا

ومَـن يُطيـقُ خَليعـاً عنـد صَبْـوتـه ... أم مَـن يقـوم لِمستـورٍ إذا خَلُعـا

هجاؤه أبا النجم المغني

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنا عبد الله بن يسير أن أباه دُعي إلى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النجم، فعبث بأبي وباغضه وأساء أدبه، فقال يهجوه:

نَشَتْ بـأبـي النَّجـم المغنّـي سَحـابـةٌ ... عليـه مـن الأيـدي شـآبيبُهـا القَفْـدُ[6]

[١٤/٢٨] / نَشـا[7] نَـوءُهـا بـالنَّحس حتى تصرَّمتْ ... وغـابـت[8] فلـم يَطلُـع لهـا كَـوكـبٌ سَعْـدُ

سَقَتْـه فجـادتْ فـارتَـوَى مـن سِجـالِهـا ... ذُرَا رأسـه والـوجـهُ والجيـدُ والخـدُّ[9]

فـلا زال يَسْقِيـه بهـا كـلَّ مجلـس ... بـه فِتيـةٌ أمثـالَهـا الهَـزْلُ والجِـدُّ

---

(١) في الأصول: «سراعة»؛ وهو تصحيف. والتصحيح عن «الأمالي» و «القاموس المحيط». ومن أسمائهم سوار ككتاب وسوّار كشدّاد.

(٢) في رواية «الأمالي» (جـ ١: ص ٢٣): «لا تتبعن لوعة إثرى ولا هلعا» بتأكيد الفعل بنون التوكيد الخفيفة. وفي الأصول: «ولا تقاسين» تحريف. والهلع: أفحش الجزع.

(٣) أسا (بالضم والكسر): جمع أسوة (بالضم والكسر أيضاً)، وهي القدوة وما يأتسي به الحزين أي يتعزى به. وائتسي به: اقتدى به، وجعله أسوة أي قدوة.

(٤) نزع عن الأمر كضرب نزوعاً: كف وانتهى عنه وأباه.

(٥) الخفض: الدعة. وفي «الأمالي»: «في ودّ». وفيه أيضاً: «قد منعا».

(٦) نشت، نشى بالشيء: عاوده مرة بعد أخرى، أو هو مسهل عن «نشأت»؛ يقال: نشأت السحابة إذا ارتفعت. وشآبيب: جمع شؤبوب كعصفور، وهو الدفعة من المطر. وقفده قفداً كضربه: صفع قفاه بباطن كفه. وفي الأصول: «الفقد»؛ وهو تصحيف.

(٧) في ب وس: «فشانأها»، وهو تحريف. والنوء: سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق. وكانت العرب في الجاهلية تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها أو إلى الطالع، فإذا سقط نجم وطلع آخر قالوا لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا، والدبران، والسماك.

(٨) في الأصول: «وغاب» وهو تحريف. وفي البيت تهكم به وتعريض لأنه يدعى «أبا النجم».

(٩) سجال: جمع سجل بالفتح، وهو الدلو العظيمة مملوءة.

١٣٣ / ١٢

/ أراد به يسقيانه[١].

قصته مع صديق له يدعى داود

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهرويه قال وحدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:

كان لأبي صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهاً وأقلّهم أدباً، إلا أنه كان وافر المتاع، فكان القِيان يواصلنه ويكثُرن عنده، ويُهدين إليه الفواكه والنبيذ والطيب، فيدعو بأبي فيعاشره. فهَوِيته قينةٌ من قِيان البصرة، كانت من أحسن الناس وجهاً، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جدًّا تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره[٢]. فسأل أبي أن يُجيبها عنه، فقال أبي: اكْتُبْ يا بُنَيَّ قبل أن أجيب عنها:

وابـلائـي مِـن طـول هـذا الكتـاب ... أسْعِـدُونـي عليـه يـا أصحـابـي

أسْعِـدونـي علـى قِـراةِ كتـابٍ ... طـولُـه مثـل طـولِ يـوم الحسـاب[٣]

/ إنَّ فيـه منّـي البَـلاءَ مُلَقًّـى ... ولغيـري فيـه الهـوَى والتَّصـابـي [١٤/٢٩]

ولـه الـودُّ والهـوى، وعلينـا ... فيـه للكـاتبيـن رَدُّ الجـواب

ثـم ممـن يـا سيِّـدي؟ وإلـى مـن؟ ... مِـن هَضِيـم الحَشَـا لَعُـوبٍ كَعَـاب[٤]

وإلـى مَـنْ إنْ قلـتُ فيـه بِعَيْـب ... لـم أُحِـطْ فـي مقـالتـي بـالصـواب[٥]

لا يُسـاوي علـى التـأمُّـل والتفـ ... ـتيش يـومـاً فـي النـاس كـفَّ تـراب

شعره في رثاء داود

فقال عبد الله: وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه، فيمشي قُدَّامه، فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذًى لَقِي داود شرَّه وحَذِره أبي. فمات داود. وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران، فعثر بدُكَّان[٦] وتلوَّث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عَنَتاً، فقال يرثي داود:

أقـول والأرضُ قـد غَشَّـى وجلَّلَهـا ... ثـوبُ الـدُّجَى فَهْـو فـوق الأرض ممـدود[٧]

وسَـدَّ كـلَّ فُـروج الجـوِّ مُنْطَبِقـاً ... وكـلُّ فَـرْجٍ بـه فـي الجـوِّ مسـدود

وفـي الـوَدَاع وفـي الإبـداء لـي عَنَـتٌ ... دون المسيـر وبـابُ الـدار مسـدود[٨]

مَـن لـي بـداودَ فـي ذي الحـال يُرْشِـدني؟ ... مَـن لـي بـداود؟ لَهْفـي! أيـن داودُ؟

---

(١) أي فلا زال الهزل والجد يسقيانه أمثال هذه السحابة في كل مجلس به فتية.

(٢) في الأصول «فبعث إلى داود برقعة طويلة جداً يعاتبه فيها ويستجفيه ويستزيده» وكله تحريف. وتستجفيه: تنسبه إلى الجفاء وتعدّ جافياً. وتستزيره: تسأله أن يزورها.

(٣) قراة، مسهّل عن قراءة.

(٤) امرأة هضيم: لطيفة الكشحين ضامرة البطن. ولعوب: حسنة الدل. وكعاب: كعب ثديها، أي نهد.

(٥) في الأصول: «بعيث» «لم أخط» وهو تصحيف وفي ب، س «من مقالتي».

(٦) الدكان: بناء يسطح أعلاه للقعود = المصطبة.

(٧) غشاها: غطاها. وجلل المطر الأرض: عمها وطبقها فلم يدع شيئاً إلا غطاه.

(٨) الإبداء: الابتداء، بدأ الشيء وأبدأه: فعله ابتداء.

لَهفِي على رِجْلِه ألّا أُقدِّمَها ... قُدّامَ رِجلي فتَلْقَاها الجَلاميدُ

[١٤/٣٠] / إذ لا أزال إذا أقبلتُ ينكُبُني ... حَرْفٌ وجُرُفٌ ودُكّانٌ وأُخدودُ[١]

فإن تكن شوكةٌ كانت تحُل به ... أونكتةٌ في سواد الليلِ أو عُودُ[٢]

أبيات له في شاة منيع

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي قال:

هجمتْ شاة منيع البَقّال على دار ابن يسير وهو غائب، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة، فأكلتها كلّها، فقال في ذلك:

قل لبُغاة الآداب ما صَنَعتْ ... منها إليكم فلا تُضِيعُوها

وضمّنوها صُحُفَ الدّفاتر بالـ ... ـحِبر وحُسْنَ الخُطوطِ أوعُوها[٣]

فإن عجزتم ولم يكن عَلَفٌ ... تُسِيغُه عندكم فبِيعُوها[٤]

قوله في يوسف بن جعفر وقد عربد عليه وشجه

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابن شِبْل البُرْجُميّ قال:

[١٣٤/١٢] / كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان، وكان يوسف أشدّ خلق الله عربدةً، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يُعربد عليه. ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولِحاءٌ[٥]، فعربد يوسف عليه وشَجّه، فقال ابن يسير يهجوه:

لا تجلسَنْ مع يوسفٍ في مجلسٍ ... أبداً ولم تحمِلْ دَمَ الأخَوَيْنِ[٦]

رَيْحانُهُ بدمِ الشباب مُلَطَّخٌ ... وتحيَّةُ النُّدْمانِ لَطْمُ العَيْنِ

[١٤/٣١] / شعر له في غلام

أخبرني جعفر بن قُدامةَ قال حدّثني الحسين بن يحيى المنجّم قال حدثني أبو عليّ بن الخُراسانيّ قال:

كان لمحمد بن يسير البصريّ بابانِ يدخل من أحدهما وهو الأكبر، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر، ومَنْ يَسْتَشْرِط[٧] من المُرْدِ. فجاء يوماً غلامٌ قد خرجتْ لحيته، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر، فمرّ من ذلك [الباب]، فجعل يُخاصم لدالّته[٨]، وبلغ ابن يسير فكتب إليه:

---

(١) الجرف (بالضم وكعنق): ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض. والأخدود: الحفرة المستطيلة في الأرض.

(٢) نكتة، من نكته أي ألقاه على رأسه.

(٣) أوعى الشيء في الوعاء ووعاه: جمعه فيه.

(٤) في الأصول «يسيغها»؛ وهو تحريف. يقال: ساغ الشراب والطعام: سهل مدخله في الحلق، وأساغ هو الطعام والشراب يسيغه.

(٥) لاحاه لحاء وملاحاة: نازعه وخاصمه.

(٦) في الأصول «ولا تجلسا» ومع الواو لا يستقيم الوزن. ودم الأخوين = العندم = البقم: صبغ أحمر.

(٧) من استشرط المال، أي فسد بعد صلاح. والمرد: جمع أمرد، وهو الشاب لم تنبت لحيته.

(٨) أدل عليه وتدلل: وثق بمحبته فأفرط عليه. والاسم الدالة.

قُـــلْ لِمَـــنْ رامَ بجَهْــلٍ ... مَــدْخَــلَ الظَّبْــيِ الغــريــرِ

بعــد أن عَلَّــقَ فــي خَــدَيْــه مِخْــلاةَ الشَّعيــرِ

ليْتَــه يــدخــل إنْ جــا ... ءَ مــن البــاب الكبيــرِ

شعر له في عمرو القصافي وقد عان مغنية

وأخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال:

كنّا في مجلسٍ ومعنا محمد بن يسير وعمرو القِصَافيّ[1]، وعندنا مغنية حسنة الوجه شَهْلة[2] تغنّي غناءً حسناً، فكنّا معها في أحسن يوم، وكان القِصَافيّ يَعين[3] في كل شيء يستحسنه ويحبّه، فما برحْنا من المجلس حتى عانها، فانصرفتْ محمومةً شاكيةَ العين. فقال ابن يسير:

/ إنّ عمــراً جَنَــى بعينيــه ذنبــاً ... قَــلَّ منّــي فيــه عليــه الــدُّعــاءُ [٣٢/١٤]

عــانَ عَيْنَـا[4]، فعينُـه للتـي عـا ... نَ فِــدًى، وقَــلَّ منــه الفِــداءُ

شــرُّ عيــنٍ تَعِيــنُ أحســنَ عيــنٍ ... تَحمِـلُ الأرضُ أو تُظِـلُّ السمـاءُ[5]

استعار حماراً من جار له فأبى عليه فقال شعراً يشكوه

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا القاسم بن الحسن قال: استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجةٍ أرادها [فأبى عليه][6]، فمضى إليها ماشياً، وكتب إلى عمرو القِصَافيّ ـ وكان جاراً للهاشميّ وصديقاً ـ يشكوه إليه ويُخبره بخبره:

إنْ كنــتُ لا عَيْــرَ لــي يــومــاً يُبلِّغنــي ... حــاجِـي وأَقضِـي عليـه حـقَّ إخـوانـي[7]

وضَــنَّ أهــلُ العَــوارِي حيــن أســألُهم ... مـن أهـل ودّي وخُلْصـانـي وجِيـرانـي[8]

فــإنَّ رِجْلَــيَّ عنــدي ـ لا عَــدِمْتُهمــا ـ ... رِجْـلاَ أخـي ثقـةٍ مُـذْ كـان جَـوْلانـي[9]

تُبَلِّغــانِــيَ حــاجــاتــي وإن بَعُــدتْ ... وتُــدْنيــانِــيَ ممــا ليــس بــالــدانــي

كــأنَّ خَلْفِــي إذا مــا جــدَّ جِــدُّهمــا ... إعصــارَ عــاصفــةٍ ممــا تُثِيــران

---

(١) القصافي: نسبة إلى بني قصاف، وهم بطن من العرب.

(٢) الشهلة: النَّصَف العاقلة.

(٣) عانه كباع: أصابه بعينه.

(٤) عيناء: واسعة العين، قصر للشعر.

(٥) في الأصول: «أو تقل السماء».

(٦) زيادة يستقيم بها الكلام.

(٧) العير: الحمار، وغلب على الوحشي. حاج: جمع حاجة.

(٨) العَوَاري: جمع عارية، وهي ما يستعار، وفي الجمع والمفرد التخفيف والتشديد. وفلان خلصي، بالكسر؛ وهو الخالص المودة، وهم خلصاني، بالضم، يستوي فيه الواحد والجماعة. وتقول: هؤلاء خلصاني وخلصاني (كظرفاء).

(٩) في الأصول: «جولان» وهو تحريف. يقال: رجل جولانيّ (بتشديد الياء) أي عام المنقعة للقريب والبعيد يجول معروفه في كل أحد.

رجلايَ لم تَألَمَا نكْباً كأنهما قَطّاً وقَدّاً وإدماجاً مَدَاكَانِ[١]

[٣٣/١٤] / كأن ما بهما أخطو إذا أرتهَيا في سِكّةٍ من أي ذاك سما كانِ[٢]

١٣٥/١٢ / إن تُبْعَثا في دَهَاسٍ تَبْعَثَا رَهَجاً أوفى حُزُونٍ ذَكَا فيها شِهابانِ[٣]

فالحمدُ لله يا عمرُو الذي بهما عن العواري وعن ذا الناسِ أغناني

قصة جلة التمر وشعره إلى والي البصرة في ذلك

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني محمد بن سعد الكُرَانيّ قال:

كنّا في حَلْقة التَّوَّزِيّ[٤]، فلما تقوّضتْ أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قولَه:

جُهْدُ المُقِلِّ إذا أعطاه مصطبراً ومُكْثِرٌ من غِنًى سِيَّانِ في الجود[٥]

لا يَعْدَمُ السائلون الخيرَ أفْعَلُهُ إمّا نَوَالِي وإمّا حُسْنَ مردود[٦]

فقلنا له: ما هذا التكارُم[٧]! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جُلّة[٨] تَمْرٍ كانت عنده أكْثرَها وحملْنا بقيّتها. فكتب إلى والي البصرة عُمَر بن حَفْص:

يا أبا حَفْصٍ بِحُرْمتنا عَنِّ نَفْساً حين تنتَهِكُ[٩]

خُذْ لنا ثأراً بجُلّتنا فبِكَ الأوتارُ تُدّرَكُ[١٠]

[٣٤/١٤] / كَهْفُ كفّي حين تَطْرَحُها بين أيدي القوم تَبْتَرِكُ[١١]

زارنا زَوْرٌ فلا سَلِموا وأُصِيبوا أيّةَ سَلَكوا[١٢]

---

(١) لم تألما نكباً، أي من نكب، يقال: نكب الحجر رجله أو ظفره نكباً إذا أصابها. قطا، في الأصول «فظا» وهو تصحيف، والقط: القطع عرضاً أو عامة. والقدّ: القطع المستطيل أو الشق طولاً. والمداك، كالمدوك، وزان مبرد: مدق الطيب.

(٢) كذا في الأصول!!

(٣) الدهاس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب. والرهج: الغبار. والحزون: جمع حزن (بالفتح)، وهو ما غلظ من الأرض. وذكت النار تذكو: اشتدّ لهيبها. والشهاب: شعلة من نار ساطعة. وفي ب، س: «إن يبعثاني دهاسا يبعثا» وفي جـ: «إن يبعثاني دهاث يبعثا» وهو تحريف.

(٤) التوّزي: نسبة إلى توّز بلد بفارس؛ وهو عبد الله بن محمد بن هرون التوزي، من أئمة اللغة والنحو بالبصرة، وقرأ على الجرمي كتاب سيبويه، وتوفى سنة ٢٣٨ هـ.

(٥) قبل هذين البيتين في «الشعر والشعراء»:

ماذا عليّ إذا ضيف تأوّبني ما كان عندي إذا أعطيت مجهودي

(٦) في «الشعر والشعراء»: «نوالا».

(٧) التكارم: التظاهر بالكرم وادّعاؤه.

(٨) الجلة: وعاء من خوص.

(٩) عناه: جشمه العناء وأتعبه، وعناه أيضاً: حبسه حبساً طويلاً. حين تنتهك، أي تنتهك حرمتنا.

(١٠) الأوتار: جمع وتر (بالكسر) وهو الثأر. تدّرك: تدرك.

(١١) الكهف: الملجأ والوزر. وابتركت السحابة: اشتد انهلالها وألحت بالمطر.

(١٢) في الأصول «فلا سلم» والصواب من «الشعر والشعراء». والزور: الزائرون.

أكلـــــوا حتَّـــــى إذا شبِعـــــوا أخـــذوا الفضـــلَ الـــذي تـــركـــوا

قال: فبعث إلينا فأحضرَنا فأغرَمَنا مائة درهم، وأخذ من كلّ واحدٍ منّا جُلّة تمرٍ، ودفع ذلك إليه.

قصته مع أحمد بن يوسف

أخبرني الأخفش قال حدّثنا أبو العَيْناء قال:

كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌّ، فزجّه[1] أحمد يوماً بحماره تعرّضاً لشرّه وعَبَثا به، فأخذ ابن يسير بأذن الحمار وقال له: قُلْ لهذا الحمار الراكب فوقك لا يُؤذي الناس، فضحك أحمد ونزل، فعانقه وصالحه.

قصته مع أبي عمرو المديني وشعره في ذلك

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمد بن عليّ الشاميّ قال:

طلب محمد بن يسير من ابن أبي عمرو المدينيّ فِراخاً من الحمام الهُدّاء[2]، فوعده أن يأخذها له من المُثنّى بن زُهَيْر، ثم نوّر[3] عليه (أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلّسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه). فقال محمد بن يسير:

يـــا ربَّ رَبَّ الـــرائحيـــنَ عشيَّـــةً بـــالقـــوم بيـــن مِنًـــى وبيـــن ثَبيـــرِ[4]

/ والـــواقفيـــن علـــى الجبـــالِ عشيـــةً والشمـــسُ جـــانحـــةٌ إلـــى التغـــويـــر[5] [٣٥/١٤]

حتـــى إذا طَفَـــلَ العَشِـــيُّ ووجَّهَـــتْ شمـــسُ النهـــار وآذنَـــتْ بغُئُـــورِ[6]

رحلـــوا إلـــى خَيْـــفِ نَـــواحِـــلَ ضَمُّهـــا طُـــولُ السِّفـــارِ وبُعْـــدُ كـــلّ مَسِيـــر[7]

اِبْعَـــثْ علـــى طيـــر المَـــدِينـــيِّ الـــذي قـــال المُحَـــال وجـــاءنـــي بغُـــرُور[8]

اِبعـــث علـــى عَجَـــلٍ إليهـــا بعـــدمـــا يـــأخُـــذْنَ زينتَهُـــنَّ فـــي التحسيـــر[9]

---

(١) زجه: طعنه بالزج ورماه به. والمعنى هنا صدمه.

(٢) في ب، س «الهندي» وهو تحريف. وفي جـ «الهدى» بألف مقصورة. والهدّاء: ضرب من الحمام وهو ما يعرف بالزاجل. الواحد الهادي، جاء في «المخصص» ٨: ١٧٠ «وهنّ اللائي يدرّبن ويرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجئن من البعد؛ من بلاد الروم وعريش بمصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مسماة، وهي محفوظة أنسابهن...».

(٣) نوّر عليه: لبّس عليه أمره، وأصله أن امرأة كانت تسمى «نورة» بالضم، وكانت ساحرة، فقيل لمن فعل فعلها قد نوّر.

(٤) ثبير: جبل بمكة.

(٥) جانحة: مائلة. وغوّرت الشمس تغويراً: غارت وغربت.

(٦) طفلت الشمس كنصر: دنت للغروب. وجهت: توجهت، أي ولت وذهبت. وغارت غياراً وغئوراً: غابت.

(٧) خيف، يريد خيف منى، وهو ناحية منها. والخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن سيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى؛ قال مجنون ليلى:

ولـــم أر ليلـــى بعـــد مـــوقـــف ســـاعـــة بخيـــف منـــى تـــرمـــي جمـــار المحصـــب

وفي ب، س: «جيف» وهو تصحيف. رحلوا نواحل، أي إبلاً نواحل مهزولة. ورحل البعير: حط عليه الرحل.

(٨) أي ابعث عليها ما يؤذيها ويهلكها.

(٩) التحسير: سقوط ريش الطائر. وانحسرت الطير: خرجت من الريش العتيق إلى الحديث.

فـي كـل مـا وَصَفُـوا المـراحِـلَ وابتـدَوْا ... فـي المُبْتَـدِيـن بهـنّ والتكسيـر[1]

ومَضَيْـنَ عـن دُور الخُـرَيْبَـةِ زُلْفـةً ... دونَ القصـورِ وحَجْـرَةِ المـاخُـور[2]

مـع كـلِّ ريـح تَغتـدِي[3] بهُبـوبهـا ... فـي الجـوّ بيـن شَـواهِـنٍ وصُقـور

[١٤/٣٦] / مـن كـلِّ أكلَـفَ بـات يَـدْجُـنُ ليلُـهُ ... فغـدا بغُـدْوةٍ[4] سـاغِـبٍ ممطـور

[١٣٦/١٢] ضَـرِمٍ يقلِّـب طَـرْفَـه مُتَـأنِّسـاً[5] ... شيئـاً فكُـنّ لـه مـن التقـديـر

يـأتـي لهـنّ مَيـامِنـاً ومَيـاسـراً ... صَكّـاً بكـل مُـزَلَّـقٍ مَمْكُـورِ[6]

مِـن طـائـرٍ مُتَحيِّـرٍ عـن قصـدِه ... أو سـاقِـطٍ خَلِـجِ الجنَـاح كَسِيـر[7]

لـم ينـجُ منـه شـرِيـدُهـن فـإنْ نجـا ... شـيءٌ فصـار بِجـانبـات الـذُّور[8]

لمُشَمِّـريـن عـن السـواعـد حُسَّـرٍ ... عنهـا بكـل رَشِيقَـةِ التَّـوتيـر[9]

سُـدُدِ الأكُـفِّ إلـى المقَـاتِـلِ صُيَّـبٍ ... سَمْـتَ الحُتـوفِ[10] بجُـؤْجُـؤٍ ونُحـور

[١٤/٣٧] / ليـس الـذي تُخطِـي يـداه رَمِيَّـةً ... منهـم بمعـدودٍ ولا معـذورِ[11]

يَتَبَـوَّعُـون وتمتطـي أيـديهِـمُ ... فـي كـل مُعْطِيَـة الجِـذابِ نَتُـورِ[12]

(١) كذا في الأصول!! ولعله «التكثير».

(٢) الخريبة: موضع بالبصرة يسمى البصيرة الصغرى. والزلفة: الطائفة من أوّل الليل. وزلف الليل: ساعات من أوله. والحجرة: الناحية؛ يقال: قعد حجرة وحجراً بالفتح، أي ناحية. وفي الأصول «وحمرة» بالميم وهو تحريف. الماخور: مجمع أهل الفسق والفساد، وبيوت الخمارين.

(٣) في الأصول «يعتري» وهو تحريف. والشاهين: من سباع الطير، معرب، والجمع شواهين.

(٤) في الأصول «فعدا بعدوة» وهو تصحيف. والكلفة بالضم: لون بين السواد والحمرة. والدجن بالفتح: إلباس الغيم أقطار السماء، يقال: دجن يومنا كنصر وأدجن إذا أضب فأظلم. والغدوة: البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. والساغب: الجائع. والممطور الذي أصابه المطر.

(٥) ضرم كفرح: اشتد جوعه، وضرم في الطعام: جدّ في أكله لا يدفع شيئاً منه. وفي الأصول «متناسياً»؛ وهو تحريف، وتأنس البازي نظر رافعاً رأسه وطرفه. وفي الأصول أيضاً: «فكان له»؛ وهو تحريف، والتصحيح عن «الحيوان للجاحظ» (٥: ٢٣٤).

(٦) في الأصول: «يأتي بهن» والتصويب من «الحيوان». وصكه: ضربه شديداً. وبكل مزلق، أي بكل منقار أو مخلب مزلق، من زلق الحديدة: أدمن تحديدها. والممكور: المصبوغ بالمكر أي المغرة (بفتح الميم فيهما) وهي حمراء أي كأنه مصبوغ بها. وفي «الحيوان» «مذلق مطرور» وذلق السكين: حدّده، والمطرور: المحدّد أيضاً.

(٧) خلج كفرح: اشتكى لحمه وعظامه من عمل يعمله، أو من طول مشي وتعب.

(٨) في الأصول «شيئاً» وهو تحريف. جانبات: جمع جانبة، والجانب: الغريب.

(٩) لمشمرين، أي هذه الشواهين والصقور لصيادين مشمرين؛ وحسر: جمع حاسر؛ يقال: حسره كنصر وضرب إذا كشفه؛ وتر القوس توتيراً: شد وترها. والرشيق من الغلمان والجواري: الخفيف الحسن القد اللطيفة، وناقة رشيقة: خفيفة سريعة. ويقال للقوس ما أرشقها أي ما أخفها وأسرع سهمها. والرشق محركة: القوس السريعة السهم الرشيقة. وفي «البيان والتبين» (ج ٣: ص ٣٦): «دقيقة التوتير».

(١٠) في الأصول «الجيوف»، وهو تصحيف. سدد: جمع سديد، وصاب يصيب (كيصوب) صيباً: أصاب، فهو صائب، والجمع صيب. وسهم صيوب كغيور والجمع صيب كعنق. والسمت: الطريق والمذهب والقصد: والجؤجؤ: الصدر.

(١١) الرمية: الصيد الذي ترميه. وفي «الحيوان» و «البيان والتبيين»: «... تشوى... * فيهم بمعتذر» يقال: رمى فأشوى: إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل.

(١٢) تبوّع: مدّ باعه وملأ ما بين خطوه. وفي الأصول: «يتسرعون... * في كل طائفة الجدار بتور» وهو تحريف. والتصحيح عن =

عُطُفَ السِّياتِ دوائراً في عِطْفِها ... تُعْزَى صِناعتُها إلى عُصفورِ[١]

يَنْقُضْنَ عن جَذْبِ الأكُفِّ ثواقباً ... مُتَشابِهاتِ القَدِّ والتدويرِ[٢]

تجري بها مُهَجُ النفوس وإنّها ... لَنواصِلٌ[٣] سُلْتٌ من التَّحبيرِ

ما إن تُقَصِّرُ عن مَدَى مُتَباعِدٍ ... في الجوّ يَحْسُرُ طَرْفَ كلِّ بصيرِ[٤]

حتّى تراه مُزَمَّلاً بدِمائه ... فكأنّه مُتَضَمِّخٌ بِعَبيرِ[٥]

فيَظَلُّ يومُهُمُ بعيشٍ ناصبٍ ... نُصُبَ المَراجِلِ مُعْجِلي التنويرِ[٦]

/ ويَئُوبُ ناجيهنّ بين مُضَرَّجٍ ... بدَمٍ ومخلوبٍ إلى مَنْسُورِ[٧] [٣٨/١٤]

عاري الجَناحِ من القَوادمِ، والقَرَا ... كَاسٍ، عليه مائِرُ التَّامُورِ[٨]

فيَئُودُه مُتَبَهْنِسٌ في مشيه ... خَطِفُ المؤخَّرِ مُشْبَعُ التصديرِ[٩]

ذو حُلْكَةٍ مثلِ الدُّجى أو غُبْثَةٍ ... شَغِبٌ شديدُ الجِدِّ والتشميرِ[١٠]

= «الحيوان». وقوس معطية: لينة ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمدّ وترها. والجذاب: المجاذبة. والتنوّر: الشديدة الجذب.

(١) سية القوس: ما عطف من طرفيها. وعطف: جمع عطوف. وقوس عطوف كصبور ومعطفة وعطفى ومعطوفة، أي عطفت سيتها عليها عطفاً شديداً. وعطف القوس بالكسر: سيتها. وعصفور: جاء في «الحيوان» ٥: ٢٣٣ «وعصفور القواس: إليه تضاف القسيّ العصفورية، وقد ذكره ابن يسير حين دعا على حمام بالشواهين والصقور والسنانير والبنادق».

(٢) في الأصول: «عن حدب» وهو تصحيف. وثواقبا: في جـ «ثواقبا» بالثاء، وفي ب، س «نواقبا» بالنون، وكلاهما صحيح، أي سهاماً ثواقب تثقب الرمية وتنفذ فيها، أو نواقب تنقب الهدف وتخرقه.

(٣) في ب، س: «النواضل» وهو تصحيف. ومهج: جمع مهجة، وهي الدم. ونواصل جمع ناصل، وسهم ناصل: ذو نصل، وسهم ناصل أيضاً. سقط منه نصله، ضد. وحبرت الشيء تحبيراً: حسنته، وسهم محبر: حسن البري. وسلت: جمع أسلت، وهو في الأصل: الرجل الذي أوعب جدع أنفه. يريد به هنا السهم الذي أجيد بريه وأزيل ما فيه من نتوء.

(٤) مدى متباعد: أي مدى طائر متباعد. حسر البصر (لازماً) كحلس: كل وانقطع من طول مدى، وحسر العين بَعْدُما حدّقت إليه (متعدياً كنصر): أكلّها.

(٥) زمله: لفه. وتضمخ بالطيب: تلطخ، والعبير: الزعفران أو أخلاط من الطيب.

(٦) فيظل يومهم: إسناد مجازي؛ أي فيظلون في يومهم. عيش ناصب: فيه نصب وكد وجهد؛ المراجل: جمع مرجل كمنبر، وهو القدر يطبخ فيها. نصب المراجل: أي قد نصبوا المراجل وأقاموها لطبخ ما صادوه من الطيور، والتنوير: الإنارة، ويريد إيقاد النار.

(٧) في الأصول «ميسور» وهو تصحيف. ومضرج: ملطخ. خلبه بظفره كضرب ونصر: جرحه أو خدشه أو قطعه. منسور: النسر: نتف البازي اللحم بمنسره أيْ بمنقاره، نسر اللحم كضرب ونصر: نتفه.

(٨) في الأصول: «ما يرى التامور» وهو تحريف. والقوادم: عشر ريشات في مقدم كل جناح. القرا: الظهر. والتامور والتأمور: الدم؛ ومار الدم يمور: إذا جرى، أي إن القرا، قد كسي بالدم المائر. وفي «الحيوان» «بصائر التامور» وبصائر جمع بصيرة وهي الدفعة من الدم.

(٩) أخذ يدعو على ما بقي من الحمام أن يقع بين مخالب السنانير. جاء في «الحيوان» للجاحظ في «وصف السنور بصفة الأسد» ٥: ٢٧١ «قال ابن يسير في صفة السنور فوصفه بصفة الأسد. في دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور:

وخبعثن في مشيه متبهنس ... خطف المؤخر كامل التصدير

الخبعثن (كقذ عمل): الأسد؛ أراد به السنور، والمتبهنس: المتبختر، وفي الأصول: «متيقن» وهو تحريف. وآده يئوده: عطفه، يعني فيمسكه. والخطف (كتفل وعنق): الضمر وخفة لحم الجنب. وإخطاف الحشا: انطواؤه، والوصف منه: مخطف الحشا (بفتح الطاء) وأخطف الحشا ومخطوفه، أي ضامره. أما الوصف «بخطف» كما في البيت فلم يرد في كتب اللغة.

(١٠) الحلكة: شدة السواد. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. والغبثة (والبغثة): لون إلى الغبرة. وشغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح: هيج الشر عليهم، وهو شغب. وفي الأصول «شديد الحد والتيسير» وأراه «والتشمير» لأنه المناسب للجد. وفي «الحيوان»:

متسربل ثوب الدجى أو غبشة ... شيبت على متنيه بالتنمير

فيمــرُّ منهـــا فـــي البَــرارِي والقُــرَى — مــن كــل أعْصَــلَ كــالسِّنــان هَصُــورِ[١]

فــي حَيــنِ تُــؤذيهــا المبَــايِــتُ مَــوْهِنــاً — أو بعـــد ذلـــك آخِــرَ التسحيـــر[٢]

يختــصّ كــلَّ سليــلِ ســابــقِ غــايــةٍ — مَحْـــضِ النِّجـــار مُجــرَّبٍ مخبُـــورِ[٣]

[٣٩/١٤] / عَجِّــلْ عليــه بمــا دعــوتُ لــه بــه — أرِه بــــذاك عقـــوبـــة التَّنـــويـــر

حتــى يقــولَ جميــعُ مَــنْ هــو شــامِــتٌ — هٰـــذي إجــابـــةُ دعـــوة أبـــنِ يسيـــر

فَــلأُلْفِيَنَّــك عنــد حــالَــيْ حَسْــرةٍ — وتــــأسُّـــفٍ وتَلَهُّـــفٍ وزَفيـــرِ

وَلَتُلْفَيَـــــنَّ إذا رَمَتْـــــك بسهمهـــــا — أيــدي المصــائــب منــك غيــرَ صبــور

قوله في قصر خرب

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويه قال: حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال:

خرجنا مع بعض ولد النُّوشَجَانِيّ[٤] إلى قصرٍ له في بستانهم بالْجَعْفَرِيّة[٥] ، ومعنا محمد بن يسير، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن، فإذا هو قد خَرِب واختلّ، فقال فيه محمد بن يسير:

ألا يــا قصــرُ قَصــرَ النُّــوشَجَــانِــي — أرى بــك بعــد أهْلِــكَ مــا شجــانــي[٦]

[١٣٧/١٢] / فلَــوْ أعفَــى البــلاءُ ديــارَ قَــومٍ — لفضـــلٍ منهـــمُ ولعُظْـــمِ شـــانِ

لَمَـــا كـــانـــت تُـــرَى بـــك بيِّنـــاتٍ — تلـــوح عليـــك آثـــارُ الـــزمـــان

قوله في رثاء نفسه

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدثنا محمد بن أبي حرب قال أنشدنا يوماً محمد بن يسير في مجلس أبي محمد الزاهد صاحب الفُضَيْل بن عِياض لنفسه قال:

وَيْـلٌ لِمَـنْ لـم يـرحـمِ الله — ومَـن تـكـونُ الـنـارُ مَـثـواهُ

وَاغَـفْلَـتَـا فـي كـلّ يـومٍ مـضـى — يُـذَكِّـرُنـي الـمـوتَ وأنـسـاه

مَـن طـال فـي الـدنيـا بـه عـمْـرُه — وعـاش فـالـمـوتُ قُـصَـاراه[٧]

[٤٠/١٤] / كـأنّـه قـد قـيـل فـي مـجـلـسٍ — قـد كـنـتُ آتِـيـهِ وأغْـشـاه

مـحـمـدٌ صـارَ إلـى ربِّـه — يَـرْحَـمُـنـا الله وإيّـاهُ

قال: فأبكى والله جميع مَنْ حضر.

(١) ناب أعصل: معوج شديد. وفي ب، س «أعبل» وفي جـ «أعضل» وهو تحريف. وهصور: كاسر.
(٢) الموهن (والوهن): نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.
(٣) سليل: ولد. والنجار بالكسر والضم: الأصل. والمحض من كل شيء: الخالص. ومخبور: مختبر.
(٤) نسبة إلى نوشجان، وهي مدينة بفارس.
(٥) الجعفرية: محلة كبيرة في الجانب الشرقي من بغداد.
(٦) شجاني: أحزنني.
(٧) قصاراه: غايته.

قصته مع داود بن أحمد بن أبي دواد

أخبرني الحسن بن عليٍّ وعمّي قالا حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني أبو الشِّبْل قال:

كان محمدُ بن يسير صديقاً لداود[1] بن أحمد بن أبي دُوَاد كثيرَ الغِشْيان له ففقده أهلُه أيّاماً وطلبوه فلم يجدوه، وكان مع أصحابٍ له قد خرجوا يتنزّهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم: اطلبوه في منزل «حُسْن» المغنّية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شُجَاع صاحب شُرْطة «حُمَار» التركي. فلما كان بعد أيام جاءه ابن يسير فقال له: إيهِ[2] أيها القاضي، كيف دَلَلْتَ عليّ أهلي؟ قال: كما بَلَغك، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً. قال: أوَ فعلتَ ذلك أيضاً؟ زِدْني من بِرّك، هات، أيْشٍ[3] قلتَ؟ فأنشده:

ومُـرسِلـةٍ تُـوجِّـهُ كـلَّ يـومٍ … إلـيَّ ومـا دعـا للصبـح داعـي

تُسـائلنـي وقـد فَقَـدوه حتّـى … أرادوا بعـده قَسْـمَ المَتـاعِ

/ إذا لـم تَلْقَـه فـي بيـت «حُسْـنٍ» … مقيمـاً للشَّـراب وللسَّمـاع [٤١/١٤]

ولـم يُـرَ فـي طـريقـي بنـي سَـدُوسٍ … يَخُـطُّ الأرضَ منـه بـالكُـراعِ[4]

يَـدُقُّ[5] حُـزُونَهـا بـالـوجـه طَوْراً … وطَـوْراً بـاليـديـن وبـالـذِّراع

فقـد أعيـاك مَطْلَبُـه وأمسـى … (فـلا تَغْلَـط) حَبِيـسَ أبـي شُجـاعِ

قال: فجعل ابن يسير يضحك ويقول: أيّها القاضي لو غيرُك يقول لي هذا لعرَف خبرَه. ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلَع عليه خِلْعةً من ثيابه.

أبيات له في الحكم

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدثني عليُّ بن القاسم طارمةُ قال: كنت مع المعتصم لمّا غزا الروم، فجاء بعض سَرَاياه[6] بخبر عمّه[7]، فركب من فَوْره وسار أجَدَّ سيرٍ وأنا أُسايره، فسمع مُنْشِداً يتمثّل في عسكره:

---

(١) لعله «دواد» اسم جده.

(٢) إيه: كلمة استزادة واستنطاق.

(٣) جاء في كتاب «معاني القرآن للفراء» (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية): «ومما كثر في كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا (يشير إلى حذف الألف من بسم الله) قولهم: أيش عندك، فحذفوا إعراب «أي» وإحدى ياءيه، وحذفت الهمزة من «شيء» وكسرت الشين». وجاء في «المصباح المنير» في مادة شيأ، «وقالوا: أي شيء، ثم خففت الياء وحذفت الهمزة تخفيفاً وجعلا كلمة واحدة فقيل: أيش، قاله الفارابي» وجاء في «شفاء الغليل» ص ١٥: «أيش: بمعنى أي شيء خفف منه، نص عليه ابن السيد في شرح أدب الكاتب، وصرحوا بأنه سمع من العرب» وفيه أيضاً: «قال السهيلي: وأيش في معنى أي شي، كما يقال ويلمه في معنى ويل لأمه، على الحذف لكثرة الاستعمال».

أقول: وقد جاء في «الأغاني» (ج ٢: ص ٣٦ من هذه الطبعة) قال مجنون ليلى:

قـالـت جننـت علـى أيـش فقلـت لهـا … الحـب أعظـم ممـا بـالمجـانيـن

الحـب ليـس يفيـق الـدهـر صـاحبـه … وإنمـا يصـرع المجنـون فـي الحيـن

(٤) الكراع من الإنسان: ما دون الركبة إلى الكعب.

(٥) في الأصول: «يدف» بالفاء، تصحيف.

(٦) سرايا: جمع سرية كقضية، وهي قطعة من الجيش، من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة.

(٧) هو إبراهيم بن المهدي، وخبره هو خروجه على المأمون.

إنّ الأمـور إذا انْسَـدَّتْ مَسـالِكُهـا فـالصبرُ يَفْتَـح منها كـلَّ مـا ارتَتَجـا[١]

لا تيـأسَـنَّ وإنْ طـالـتْ مُطـالَبَـةٌ إذا استعنـتَ بصبـر أن تـرى فَـرَجـا

فسُرَّ بذلك وطابت نفسه، ثم التفتَ إليّ وقال لي: يا عليُّ أتَروي هذا الشعر؟ قلت: نعم. قال: من يقوله؟ قلت: محمد بن يسير. فتفاءل باسمه ونسبه. وقال: أمر محمود وسير سريع يَعقُب هذا / الأمرَ. ثم قال: أنْشِدْني الأبيات، فأنشدتُه قوله:

١٣٨/١٢

مـاذا يكلِّفُـكَ الـرَّوْحـاتِ والـدُّلَجـا البَـرَّ طـوراً وطـوراً تـركَـبُ اللُّجَجـا[٢]

[٤٢/١٤] / كَـمْ مِـن فتًـى قَصُرَتْ فـي الـرِّزْق خُطْوَتُـهُ ألفيتَـه بِسِهـام الـرزق قـد فَلَجـا[٣]

لا تَيـأسَـنَّ وإنْ طـالـتْ مُطـالَبَـةٌ إذا استعنـتَ بصبـر أن تـرى فَـرَجـا

إنّ الأمـور إذا انْسَـدَّتْ مَسـالِكُهـا فـالصبرُ يفتـح منهـا كـلَّ مـا ارتَتَجـا

أخْلِـقْ بـذي الصبرِ أن يَحْظَـى بحـاجتـه ومُـدْمِـنِ القَـرْعِ لـلأبـواب أن يَلِجـا

فـاطْلُـبْ لـرجلـك قبـل الخَطْـوِ مَوْضِعَهـا فمَـنْ عَـلا زَلَقـاً عـن غِـرَّة زَلَجـا[٤]

ولا يَغُـرَّنْـك صَفْـوٌ أنـت شـارِبُـه فـربّمـا كـان بـالتكـديـر مُمْتَـزِجـا

لا يُنْتَـجُ النّـاسُ إلا مـن لِقَـاحِهِـمُ يبـدو لِقـاحُ الفتـى يـومـاً إذا نُتِجـا[٥]

أبيات له في وصيفة بخرته وطيبته

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن عليٍّ وعمّي قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبو الشِّبْل قال:

كنا عند قُثَم[٦] بن جعفر بن سليمان ذاتَ يومٍ ومعنا محمد بن يسير ونحن على شرابٍ، فأمر أن نُبَخَّر ونُطَيَّب[٧]، فأقبلتْ وَصِيفةٌ له حسنةُ الوجه، فجعلتْ تبخُرنا وتُغلِّفنا بغالية[٨] كانت معه. فلما غلَّفت ابنَ يسير وبخَّرته التفتَ إليّ ـ وكان إلى جنبي ـ فأنشدني:

(١) رتج الباب وأرتجه: أغلقه إغلاقاً وثيقاً. وارتتج: استغلق.

(٢) الروحات: جمع روحة وهي المرة من الرواح؛ يقال راح رواحاً إذا سار أو عمل في الرواح وهو العشيّ. والدلج: جمع دلجة بالضم والفتح وهي: السير من أوّل الليل. وفي «لسان العرب»: «الدلجة بالضم: سير السحر، والدلجة بالفتح: سير الليل كله. ويقال: خرجنا بدلجة ودلجة: إذا خرجوا في آخر الليل». واللجج: جمع لجة، وهي معظم الماء.

(٣) فلج كنصر: ظفر وفاز.

(٤) في «أشعار الحماسة» «قدّر لرجلك». علا زلقاً: أي مكاناً زلقا. وهي في الأصل مصدر. وفي جـ «على زلقا» وفي ب، س: «على زلق» وهو تحريف. الغرة: الغفلة. زلج: زل وزلق.

(٥) يقال: نتجت الناقة (بالبناء للمجهول) إذا ولدت، فإذا وليها الإنسان حتى تضع قيل نتجها نتجاً كضرب. واللقاح: اسم ماء الفحل من الإبل والخيل، وهو في «اللسان» و«القاموس» بالكسر. وفي «النهاية» بالفتح، وفي «المصباح»: والاسم اللقاح بالفتح والكسر.

(٦) في جـ «قيم» وفي ب، س: «قاسم» تحريف.

(٧) في الأصول: «يبخر ويطيب» تصحيف.

(٨) الغالية: أخلاط من الطيب وعلف لحيته بالطيب والغالية والحناء: لطخها.

يــا بــاسطــاً كفّــه نَحْــوِي يُطَيِّبُنــي كفّــاكَ أطيــبُ يــا حِبِّــي مــن الطِّيــبِ
/ كفّــاكَ يجــري مكــانَ الطيــب طِيبُهمــا فــلا تَــزِدْنــي عليهــا عنــد تطيبيــي [٤٣/١٤]
يــا لائمــي فــي هــواهــا أنــتَ لــم تــرهــا فــأنــت مُغْــرًى بتــأنيبــي وتعــذيبــي
أنْظُـرْ إلـى وجهِهـا، هـل مِثْـلُ صـورتهـا فـي النـاس وجـهٌ مُجَلّـى غيـرُ محجـوب؟

فقلت له: اسكت ويلكَ! لا، تُصْفَعُ والله وتُخْرَجُ. فقال: والله لو وثقتُ بأن نُصْفَع جميعاً لأنشدتُه الأبيات، ولكني أخشى أن أُفرَدَ بالصَّفْع دونك.

أبيات له في أهل الجدل

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الكُرَانيُّ قال: حدّثنا الرِّياشي قال:

كان محمد بن يسير جالساً في حَلْقتنا في مسجد البَصْرة، وإلى جانبنا حَلْقةُ قومٍ من أهل الجَدَل يتصايحون في المقالات والحجج فيها، فقال ابن يسير: اسمعوا ما قلت في هؤلاء، فأنشدَنا قوله:

يــا ســائلــي عــن مقــالــة الشِّيَــعِ وعــن صنــوف الأهــواء والبِــدَعِ
دَعْ عنــك ذِكْــرَ الأهــواء نــاحيــةً فليــس ممــن شَهِــدتُ ذو وَرَعِ
كــلُّ أُنــاسٍ بَــدِيُّهــم حَسَــنٌ ثــم يصيــرون بعــدُ للشُّنَــع
أكثــرُ مــا فيــه أن يقــالَ لهــم: لــم يــكُ فــي قــولــه بمُنْقَطِــعِ

قوله في استغنائه عن تدوين ما يسمعه

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني محمد بن عليّ الشاميُّ قال:

كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه؛ من ذلك قوله:

إذا مــا غــدا الطُّــلاَّبُ للعلــم مــا لهــم مــن الحــظّ إلا مــا يُــدَوَّن فــي الكُتْــب
/ غــدوْتُ بتشمــير وجِــدٍّ عليهــمُ فَمِحْبَــرتــي أُذْنــي ودَفْتَــرُهــا قلبــي[1] [٤٤/١٤] ١٣٩ / ١٢

بيتان من الشعر الحكمي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني إبراهيم بن المدبِّر[2] قال:

كان إبراهيم بن رِيَاح إذا حَزَبه[3] الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير:

تُخْطِــي النفــوسُ مــع العِيــا ن وقــد تُصيــب مــع المَظِنَّــة
كــم مــن مَضِيــقٍ فــي الفضــا ء ومَخْــرَجٍ بيــن الأسِنَّــة

---

(١) جاء في «المصباح المنير»: «في المحبرة لغات: أجودها محبرة بفتح الميم والباء، والثانية محبرة بضم الباء، مثل مأدبة ومأدُبة، والثالثة محبرة بكسر الميم وفتح الباء لأنها آلة».

(٢) المدبر بفتح الباء، والضبط عن كتاب «المشتبه في أسماء الرجال للذهبي» ص ٤٧٢ طبع أوربة.

(٣) حزبه الأمر، نابه واشتدّ عليه وضغطه.

قوله في نعل خلق له

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السَّرِيّ قال:

مرّ ابن يسير بأبي عثمان المازنيّ فجلس إليه ساعة، فرأى مَنْ في مجلسه يتعجّبون من نعل كانت في رجله خَلَقٍ[1] وَسِخةٍ مقطّعة، فأخذ ورقةً وكتب فيها:

كم أرى ذا تعجُّبٍ من نِعالي ... ورضائي منها بِلُبْسِ البَوالي

كلُّ جَرْداء قد تكتفيها ... من أقطارِها بسود الثِّقال[2]

لا تُدانِي، وليس تُشبِه في الخِلْـ ... ـقةِ إن أُبرِزَتْ، نِعالَ المَوالي

[١٤/٤٥] / مَن يُغالِ من الرجال بنَعْلٍ ... فسِوايَ إذاً بهنَّ يُغالي[3]

لو حَذاهنّ للجَمالِ فإنّي ... في سواهنّ زينتي وجَمالي[4]

في إخائي وفي وفائي ورأيي ... ولساني ومَنطِقي وفَعَالي[5]

ما وقاني الحَفَا وبلّغني الحا ... جةَ منها فإنني لا أُبالي

قوله وقد أخذ منه قثم بن جعفر ألواح آبنوس بعد أن أسكره

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني عبد الله[6] بن محمد بن يسير قال:

دعا قُثَم بن جعفر بن سليمان أبي[7] فشرب عنده، فلما [سَكِر][8] سرَق منه ألواح آبَنُوس كانت تكون في كمّه، فقال في ذلك:

عَيْنُ بَكِّي بَعبْرةٍ تَسْفاحِ ... وأقيمي مآتِمَ الألواحِ[9]

أوْحشَتْ حُجْزَتي ورُدْنايَ منها ... في بُكُوري وعند كلِّ رَوَاحِ[10]

---

(١) في الأصول «خلقة»؛ وهو تحريف. جاء في «لسان العرب»: «شيء خلق: بال، الذكر والأنثى فيه سواء؛ لأنه في الأصل مصدر الأخلق وهو الأملس. يقال: ثوب خلق، وملحفة خلق، ودار خلق، ويقال: جبة خلق بغير هاء، ولا يجوز: جبة خلقة. قال اللحياني: قال الكسائي: لم نسمعهم قالوا: خلقة في شيء من الكلام».

(٢) هكذا ورد البيت في الأصول!!

(٣) في الأصول «يغالي» وهو فعل الشرط، وحذف الياء لا يخل بالوزن، وفيه كف كما في أوّل الشطر الثاني.

(٤) في الأصول «حداهن» تصحيف. وحذا النعل: قدّرها وقطعها. يريد: لو فصلهن واقتناهن للتجمل والزينة.

(٥) في الأصول «في إخاء وفي وفاء» والفعال: اسم الفعل الحسن، والكرم.

(٦) في الأصول «محمد بن عبد الله بن بشير».

(٧) في الأصول «إليّ» تحريف.

(٨) تكملة يقتضيها السياق.

(٩) في الأصول «عين بلى» . . . . . «مأتم الأنواح» وهو تحريف.

(١٠) ورد هذا البيت في ب، س هكذا:

أوحشت حجرتي وردّ أناتي ... منها في بكور وعنه كل رواح

وكله تحريف. وفي جـ بأقل من هذا التحريف. وقد صححته كما ترى. والحجزة: معقد الإزار. والردن: أصل الكم.

واذكُـريهـا إذا ذَكَـرْتِ بمـا قـد كـان فيهـا مـن مَـرْفِـقٍ وصـلاحِ[1]
/ آبَنُوسٌ دَهْمـاءُ حـالِكـةُ اللَّـوْ نِ لُبَـابٌ مـن اللِّطـاف المِـلاحِ[2] [٤٦/١٤]
ذاتُ نفـع خفيفـةُ القَـدْرِ والمَحْـ ـمِلِ حُلْكُوكَـةُ الـذُّرَا والنـواحـي[3]
وسـريـعٌ جُفُـوفُهـا إنْ محـاهـا عند مُمْلٍ مُستعجِلُ القوم ماحي[4]
هـي كـانـت علـى [عُلومِـيَ][5] والآ دابِ والفقـهِ عُـدَّتـي وسِـلاحـي
كنـت أغـدو بهـا علـى طلـب العلـ ـمِ إذا مـا غـدوتُ كـلَّ صبـاح
هـي كـانـت غِـذاءَ زَوْرِي إذا زا رَ، وَرِيَّ النـديـم يـومَ اصطبـاحـي[6]

- يعني أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزوّاره المأكول والمشروب -

آبَ عُسْـرِي وغـاب يُسْرِي وجُـودي حيـن غـابـتْ وغـاب عنّـي سَمـاحـي

هجاؤه أحمد بن يوسف

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد قال:

كان محمد بن يسير يُعادي أحمد بن يوسف، فبلغه أنه يتعشّق جاريةً سوداء مغنّية، فقال / ابن يسير يهجوه: ١٤٠/١٢

أقـولُ لمّـا رأيتُـه كَلِفـاً بكـلِّ سـوداءَ نَـزْرةٍ قَـذِرَهْ[7]
أهْـلٌ لعمـري لِمَـا كَلِفـتَ بـه عنـد الخنـازيـر تَنْفُـق العَـذِرَهْ[8]

/ أخبرني وكيع قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا أبو العواذل قال: عُوتِبَ محمدُ بن يسير على حضور [٤٧/١٤] المجالس بغير ورق ولا مَحْبَرةٍ، وأنه لا يكتب ما يسمعه، فقال:

مـا دخـلَ الحَمّـامَ مـن عِلْمِـي فَـذاكَ مـا فـازَ بـه سَهْمِـي[9]
والعِلْـمُ لا ينفعُنـي جَمْعُـه إذا جَـرَى الـوهـمُ علـى فهمـي

قوله في ألواح الآبنوس أيضاً

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال:

---

(١) المرفق من الأمر (كمجلس ومنبر): ما ارتفقت وانتفعت به.
(٢) في الأصول: «وهما»؛ تحريف. والدهماء: السوداء ولباب كل شيء ولبه: خالصه وخياره.
(٣) الحلكة بالضم: شدّة السواد، وهو حالك وحلكوك كعصفور.
(٤) في ب، س: «جفونها» وفي جـ «خفوتها» تحريف.
(٥) زيادة يقتضيها المقام.
(٦) الزور: الزائرون.
(٧) كلفاً: مولعاً، وامرأة نزور ونزرة (بكسر الزاي وسكن هنا للشعر): قليلة الولد أو قليلة اللبن.
(٨) تنفق: تروج. والعذرة: الغائط.
(٩) أي ما دخل معي الحمام من علمي؛ وذلك أن المرء إذا دخل الحمام تجرّد من ثيابه وكتبه وغيرها ولكنه لا يتجرّد من علمه، يريد أن علمه محفوظ في صدره.

كان محمد بن يسير يُعاشر ولدَ جعفر بن سُلَيمان، فأخذ منه قُثَمُ بن جعفرٍ ألواحَ آبَنوس كان يكتب فيها بالليل، فقال ابن يسير في ذلك:

أبقـــتِ الألـــواحُ إذْ أُخِـــذَتْ حُـرْقَـةً فـي القلـب تَضْطَـرِمُ

زانَهـــا فَصّـــانِ مـــن صَـــدَفٍ واحْمـــرارُ السَّيْـــرِ[1] والقلـــمُ

وتـــولّـــى أخـــذَهـــا قُثَـــمٌ لا تـــولّـــى نفعَهـــا قُثَـــمُ

شعره إلى بعض الهاشميين وقد جفاه

أخبرني الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال:

كان محمد بن يسير يُعاشر بعض الهاشميين، ثم جفاه الهاشميّ لِمَلَالٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله:

قــد كنــتُ مُنْقَبِضــاً وأنــتَ بَسَطْتَنــي حتــى انبسطــتُ إليــك ثــم قَبَضْتَنــي

أذْكَــرْتَنــي خُلُــقَ النِّفــاق وكــان لــي خُلُقــاً فقــد أحسنــتَ إذ أذْكَــرْتَنــي

لــو دَامَ ودُّك وانبسطــتُ إلــى أمــرىءٍ فــي الــودّ بعــدك كنــتَ أنــت غَــرَرْتَنــي

فهَلُــمَّ نَجْتَــذِب التَّــذاكُــرَ بيننــا ونعــود بعــدُ كــأنّنــا لــم نَفْطَــنِ[2]

[١٤/٤٨] / **قوله وقد أفاق من سكر**

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال: حدّثنا مسعود بن يسير قال:

شَرِب محمد بن يسير نبيذاً مع قومٍ فأسكروه، حتى خرَج من عندهم وهو لا يعقِل فأخذ رِداءه وعثَر في طريقه وأصاب وجهَه آثار؛ فلما أفاق أنشأ يقول:

شــاربــتُ قــومــاً لــم أُطِــقْ شُــرْبَهــمْ يَغْــرَقُ فــي بَحْــرِهــمُ بَحْــري

لمّــا تَجــارَيْنــا إلــى غــايــةٍ قصّــر عــن صَبْــرِهــمُ صبــري

خــرجــتُ مــن عنــدهــمُ مُثْخَنــاً[3] تَــدْفَعُنــي الجُــدْرُ إلــى الجُــدْرِ

مُقَبَّــحَ المَشْــي كَبِيــرَ الخُطَــا تَقْصُــر عنــد الجِــدِّ عــن سَيْــري[4]

فلســتُ أنسَــى مــا تجشّمــتُ[5] مِــنْ كَــدْحٍ ومــن جُــرْحٍ ومــن أُثْــرِ[6]

وشَــقِّ ثــوبٍ وتَــوَى[7] آخَــرٍ وسَقْطــةٍ بــانَ بهــا ظُفْــري

---

(١) السير: ما قدّ من الجلد طولاً.

(٢) فطن إليه وله، كفرح ونصر وكرم: فهم.

(٣) أثخنه: أوهنه بالجراحة وأضعفه.

(٤) في الأصول:

«مقبــح المشــي كثيــر الخطــا يقصــر عنــد الجــدّ عــن ســري»

(٥) في الأصول «ما نحبى: من» وهو تحريف والوزن غير مستقيم؛ وقد صححته كما ترى.

(٦) الكدح: كل أثر من خدش أو عض. وقيل: الكدح أكبر من الخدش. والأثر: أثر الجرح يبقى بعد البرء.

(٧) توى كفرح توى: هلك. وفي ب، س «وثور أخذ» وفي جـ: «وثوى أخذ» وهو تحريف.

حدّثني عمّي وجحْظة عن أحمد بن الطبيب قال: حدّثنا بعضُ أصحابنا عن مسعود بن يسير، ثم ساق الخبر مثلَه سواءً.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حدثني أبو العَيْناء قال:

اِجتمع جُعَيفِرانُ المُوَسْوِس ومحمد بن يسير في بُستان، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد / ناحيةً للغائط، [١٤١/١٢] ثم قام عن شيء عظيم خرج منه، فقال جعيفران:

قــد قلــتُ لابــن يَسِيــرٍ ... لمّــا رَمَــى مــن عِجــانِهْ[١]

/ فــي الأرض تَــلاًّ سَمــادٍ ... عَــلاَ علــى كُثْبــانــهْ[٢] [٤٩/١٤]

طُــوبَــى لصــاحــب أرضٍ ... خَــرِئْــتَ فــي بُستــانــهْ

قال: فجعل ابن يسير يشْتُم جعيفران ويقول: أيَّ شيء أردتَ مني يا مجنونُ يابن الزانية حتى صيَّرتني شُهرةً[٣] بشعرك!!

شعره إلى والي البصرة يستسقيه نبيذاً

أخبرني جحظة قال: حدثني سوار بن أبي شُراعة قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:

كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشُّرْب، وما بات قطُّ إلاّ وهو سكران، وما نَبَذَ قَطُّ نبيذاً، وإنما كان يشرَبه عند إخوانه ويستسقيه منهم، فأصبحنا بالبَصْرة يوماً على مطرٍ هادٍّ[٤]، ولم تُمْكِنْه معه الحركة إلى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد وكاد[٥] يُجَنُّ لمّا فقد النبيذَ. فكتب إلى والي البَصْرةِ وكان هاشمياً، وهو محمد بن أيُّوب بن جعفر بن سُلَيْمان قال:

كَـمْ فـي عِـلاجِ نَبِيـذ التمـرِ لـي تَعَـبٌ ... الطبـخُ والـدَّلْـكُ والمِعْصـارُ والعَكَـرُ[٦]

وإنْ عَـدَلْـتُ إلـى المطبـوخ مُعْتَمِـداً ... رأيْتُـنـي منـه عنـد النـاسِ أشتهِـرُ[٧]

نَقْـلُ الـدِّنـانِ إلـى الجِيـران يَفْضَحُنـي ... والقِـذْرُ تتـركنـي فـي القـوم أعتـذِرُ

فصِـرْتُ فـي البيـت أستسقِـي وأطلبـه ... مـن الصَّـدِيـقِ ورُسْلـي فيـه تَبْتَـدِر[٨]

فمنهـمُ بـاذِلٌ سَمْـحٌ بحـاجتنـا ... ومنهـمُ كـاذبٌ بـالـزُّور يَعْتَـذِر

/ فَسَقِّنِـي رِيَّ أيّـامٍ لتَمنَعنـي ... عمّـنْ سِـواكَ وتُغْنيـني فقـد خَسِـروا [٥٠/١٤]

إن كـانَ زِقٌّ فَـزِقٌّ أو فـوافِـرَةٌ ... مـن الـدَّسـاتِيـجِ لا يُـزْري بهـا الصَّفَـرُ[٩]

---

(١) العجان: الأست.

(٢) كثبان: جمع كثيب، وهو التل من الرمل.

(٣) الشهرة: ظهور الشيء في شنعة.

(٤) هادّ، من الهدّ وهو الصوت، يقال هدّ يهدّ (مثل فر)، وما سمعنا العام هادة. أي رعداً.

(٥) في الأصول: «وكان».

(٦) المعصار: الذي يجعل فيه الشيء فيعصر. العكر: دردى كل شيء.

(٧) اشتهر: أظهر في شنعة. شهره كمنعه وشهره واشتهره فاشتهر.

(٨) تبتدر: تستبق.

(٩) الصفر: الفراغ والخلو، على أنها ممتلئة، وفي ب، س «السفر»، تحريف.

وإنْ تَكُنْ حاجتي ليستْ بحاضرةٍ ... وليس في البَيْتِ من آثارها أثَرُ
فاسْتَنْشِقِ غيرَك أو فاذْكُرْ له خَبَري ... إنِ اعْتَراك حَياءٌ منه[1] أو حَصَرُ
ما كان من ذلكم فليأتِني عَجِلاً ... فإنَّني واقفٌ بالبابِ أنتظرُ
لا لِي نبيذٌ ولا خُرٌّ فيدعونَي ... وقد حَمانِيَ من تَطْفيلِيَ المَطَرُ[2]

قال: فضحك لمّا قرأها، وبعث إليه بزقٍّ نبيذٍ ومائتي درهم، وكتب إليه: اِشرب النبيذ وأنفق الدراهم إلى أن يُمسِك المطر ويتّسع لك التطفيل، ومتى أعوزك مكانٌ فاجْعَلْني فِيئَةً[3] لك، والسلام.

صوت

أنت حَديثي في النومِ واليَقظَةْ ... أتْعَبْتُ ممّا أهْذِي بك الحفَظَةْ
كم واعظٍ فيك لِي ووَاعظَةٍ ... لو كنتُ ممن تنهاه عنك عِظَةْ

الشعر لديك الجِنّ الحِمْصِيّ. والغناء لعَرِيب، هَزَج، ذكر ذلك ذُكَاء وَجْهُ الرُّزَّة وقُمْرِيّ جميعاً، والله أعلم.



(١) في الأصول: «منك» وهو تحريف. والحصر: العي وضيق الصدر.
(٢) طفّل: تطفل.
(٣) الفيئة بالفتح والكسر: الرجوع: أي فاجعلني مرجعاً لك.

/ أخبار ديك الجنّ ونسبه

[٥١/١٤]

نسبه ونبذة في ترجمته

/ دِيكُ الجنِّ لَقَبٌ غَلَبَ عليه[١]، واسمه عبد السّلام بن رَغْبان[٢] بن عبد السلام بن حَبيب بن عبد الله بن رَغْبان بن يزيد[٣] بن تميم. وكان جَدّه تميم ممن أنعم الله ـ عزّ وجلّ ـ عليه بالإسلام منْ أهل مُؤْتَةَ[٤] على يدَيْ حَبيب[٥] بن مَسْلَمةَ الفِهْرِيّ، وكان شديد التشعُّب[٦] والعصبيّة على العرب، يقول: ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإيّاهم ولادةُ إبراهيم ﷺ، وأسلمنا كما أسلموا، ومَنْ قَتَل منهم رجلاً منّا قُتِل به، ولم نَجِد الله عزّ وجلّ فضّلهم علينا، إذ جَمَعَنا[٧] الدين. ١٤٢/١٢

وهو شاعرٌ مُجيدٌ يذهب مذهَب أبي تمّام والشاميِّين في شعره. من شعراء الدَّوْلة العبّاسيّة. وكان من ساكني حِمْص، ولم يبرح نواحيَ الشأم، ولا وَفَد إلى العِراق ولا إلى غيره مُنتجعاً بشعره ولا مُتَصَدِّياً لأحد. وكان يتشيّع تشيُّعاً حسناً، وله مراثٍ كثيرةٌ في الحسين بن عليٍّ ـ عليهما السلام ـ، منها قوله:

يا عينُ لا لِلقَضَا ولا الكُتُبِ ... بُكَا الرَّزَايَا سِوَى بُكَا الطَّرَبِ

/ وهي مشهورة عند الخاص والعام، ويناح بها. وله عدّة أشعار في هذا المعنى، وكانت له جاريةٌ يهواها، فاتّهمها بغلامٍ له فَقَتَلها، واستنفد شعره بعد ذلك في مَراثيها. [٥٢/١٤]

قصيدته في هجاء ابن عمه

قال أبو الفرج: ونسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر، أخبره بما فيه ابن أخ لِديكِ الجِنّ يقال له أبو وَهْب الحِمْصيّ، قال:

كان عمّي خليعاً ماجناً معتكفاً[٨] على القَصْف واللهو، مِتْلافاً لما وَرِثَ عن آبائه، واكتسبَ بشعره من أحمد

---

(١) أصله دويبة توجد في البساتين (انظر «حياة الحيوان الكبرى» للدميري ج ١: ص ٥١٩).

(٢) ترجم له ابن خلكان (ج ١: ٤١٥) وقد جاء فيه: «ومولده سنة ١٦١ هـ وتوفي في أيام المتوكل سنة ٢٣٥ أو سنة ٢٣٦».

(٣) كذا في جـ، و «تاريخ ابن عساكر» (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٤١ «تاريخ» جـ ٢٤ ص ١١٢). وفي ب، س، و «وفيات الأعيان» «زيد».

(٤) مؤتة: قرية من قرى البلقاء بمشارف الشام.

(٥) كان من خواص معاوية وله معه في وقعة صفين آثار شكرها له.

(٦) الشعوبية (بضم الشين): الذين يحتقرون أمر العرب ويصغرون شأنهم ولا يرون لهم فضلاً على غيرهم، والواحد شعوبي، نسبة إلى شعوب. وشعوب: جمع شعب (بالفتح)؛ وهو ما تشعب من قبائل العرب أو العجم. ولكن الشعوب بلفظ الجمع غلب على العجم ونسبوا إليه فقالوا شعوبي، كما قالوا أنصاري نسبة إلى الأنصار.

(٧) يحتجون بقوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وقوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وبقوله ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، كلكم لآدم وادم من تراب».

(٨) في ب، س: «منعكفاً» وهو تحريف، يقال: اعتكف وتعكف. قال في «القاموس المحيط»: «ولا تقل انعكف». والقصف: اللهو =

وجعفر ابنَيْ عليٍّ الهاشميّين، وكان له ابنُ عم يُكْنَى أبا الطَّيِّب يَعِظُه وينهاه عما يفعله، ويحول بينه وبين ما يُؤْثِره ويركبه من لذّاته وربما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمُجّان وأهلِ الخَلاعة، فيستخفّ بهم وبه. فلما كَثُر ذلك على عبد السلام قال فيه:

مَـولاتُنـا يـا غـلامُ مُبْتَكِـرَهْ ... فبـاكِـرِ الكـأسَ لـي بـلا نَظِـرَهْ[1]

غَـدَتْ علـى اللهـو والمُجـونِ، علـى ... أن الفتـاةَ الحَيِيَّـةُ الخَفِـرَهْ[2]

لِحُبِّهـا ـ لا عَـدِمْتُهـا ـ حُـرَقٌ ... مطـويَّـةٌ فـي الحَشَـا ومُنْتَشِـرَهْ[3]

مـا ذُقْـتُ منهـا سـوى مُقَبَّلِهـا ... وضَـمِّ تلـك الفُـروعِ مُنْحَـدِرَهْ[4]

وانْتَهَـرَتْنـي فَمِـتُّ مـن فَـرَقٍ ... يـا حُسْنَهـا فـي الرِّضـا ومُنْتَهِـرَه[5] !

[١٤/٥٣] / ثـم انثنـتْ سَـوْرَةُ الخُمـار بنـا ... خِـلال تلـك الغَـدائـرِ الخَمِـرَه[6]

وليلـةٍ أشـرفـتْ بِكَلْكَلِهـا ... عَلَـيَّ كـالطَّيْلَسـان مُعْتَجِـرَه[7]

فَتَقْـتُ دَيْجُـورَهـا إلـى قَمَـرٍ ... أثـوابُـهُ بـالعَفـافِ مُنْتَثِـرَه[8]

عُـجْ عَبَـراتِ المُـدام نحـوِيَ مِـن ... عَشْـرٍ وعِشْـريـن واثْنَتَـيْ عَشَـرَه[9]

قـد ذُكِـرَ النـاسُ عـن قِيـامِهِـمُ ... ذِكْـرَى بعَقْلـي مـا أصبحَـتْ نَكِـرَه[10]

مَعْـرفتـي بـالصـوابِ مَعْـرِفَـةٌ ... غَـرَّاءُ إمَّـا عَـرَفْتُـمُ النَّكِـره[11]

يـا عجبـا مـن أبـي الخبيـثِ ومِـنْ ... سُـرُوجِـه فـي البَقَـائـر الـدَّثِـرَه[12]

= واللعب، ويقال إنها مولدة. قال ابن دريد: لا أحسبه عربياً.

(١) باكره: بكر إليه، يريد: أسرع إليّ بالكأس. النظرة: التأخير في الأمر.

(٢) غدت: في الأصول «عدت» وهو تصحيف، الحيية: في الأصول «الخبيثة» وهو تحريف. الخفرة: وصف من الخفر بالتحريك وهو شدّة الحياء.

(٣) في ب، س: «يحبها لاعج منها وبي حرق» وهو تحريف. وفي جـ: «يحنها. . . خرق».

(٤) الفروع: جمع فرع، وهو الشعر التام.

(٥) انتهره ونهره: زجره. وفي الأصول «وابتهرتني» «ومبهّرة»؛ وهو تصحيف، والصواب بالنون لأنه في مقابله «الرضا». والفرق: الخوف والفزع.

(٦) انثنت، في الأصول «انتبت» وهو تصحيف. سورة الخمر: حدتها. وخمار الخمر: ما أصاب الشارب من ألمها وصداعها وأذاها. الغدائر: جمع غديرة، وهي الخصلة من الشعر. الخمر بالتحريك: كل ما واراك من شجر وغيره. ومكان خمر (بفتح فكسر): كثير الخمر (بالتحريك). والغدائر الخمرة على التشبيه بذلك.

(٧) الكلكل: الصدر. وفي ب، س: «بعد كلكلها» وهو خطأ. الطيلسان: كساء من أكسية العجم أسود، فارسي معرب. والاعتجار: ولبسة كالالتحاف.

(٨) الديجور: الظلام.

(٩) عاجه يعوجه: أماله وعطفه، وأراد بعبرات المدام ما يصب منها في الكأس. وفي الأصول «فحوي» وهو تحريف.

(١٠) قيامهم: أي بعثهم يوم القيامة. نكرة: اسم من الإنكار كنفقة من الإنفاق، بمعنى اسم المفعول أي منكرة. وفي ب وس «نفرة» وفي جـ «طفرة» وأراه تحريفاً.

(١١)غراء: معروفة مشهورة. إما: أصله إن ما، وما زائدة بعد إن.

(١٢)«من أبي الخبيث» يريد «من أبي الطيب» قلب كنيته إلى الضد تهكماً به وزراية عليه. وفي الأصول «سروجه في البكائر» وهو=

يَحْمِلُ رأساً تنبو المَعاوِلُ عن ... صَفْحَتِه والجَلامِدُ الوَعِرَه(١)

[١٤/٥٤] ١٤٣/١٢ / لَوِ البِغالُ الكُمْتُ ارتقتْ سَنَداً ... فِيهِ لَمَدَّتْ قَوائِماً خَدِرَهْ(٢)

ولا المَجانِيقُ فِيه مُغْنِيَةٌ ... ألْفٌ تَسامَى وألفٌ مُنْكَدِرَهْ(٣)

أُنظرْ إلى موضعِ المِقَصِّ من الـ ... ـهامَةِ تلك الصَّفيحةُ العَجِرَهْ(٤)

فلوْ أخذتُمْ لها المَطارِقَ حَرّانِيَّةً صَنْعَةَ اليَدِ الخَبِرَهْ(٥)

إذاً لراحتْ أُكُفُّ جِلّتِهِمْ ... كَليلةً والأداةُ مُنْكَسِرَهْ(٦)

كَمْ طَرَباتٍ أفسَدْتَهُنَّ وكَمْ ... صَفْوةِ عَيْشٍ غادرتَها كَدِرَهْ

وكَمْ إذا ما رَأوْكَ يا مَلَكَ الْـ ... ـمَوْتِ لهم مِنْ أنامِلٍ خَصِرَهْ(٧)

وكَمْ لهم دَعْوةٌ عليك وكَمْ ... قَذْفَةِ أُمٍّ شَنْعاءَ مُشْتَهِرَهْ

كريمةٍ لؤمُكَ استخَفَّ بها ... ونالها بالمَثالِبِ الأشِرَهْ(٨)

قِفُوا على رَحْلِه تَرَوْا عَجَباً ... في الجَهْلِ يَحكِي طَرائِفَ البَصَرَهْ(٩)

[١٤/٥٥] / يا كُلَّ مَنْيٍ وكُلَّ طالعةٍ ... نَحْسٍ ويا كُلَّ ساعةٍ عَسِرَه(١٠)

سبحانَ مَنْ يُمْسِكُ السماءَ على الْـ ... ـأرضِ وفيها أخلاقُكَ القَذِرَهْ

قصته مع زوجه ورد

قال: وكان عبد السلام قد اشتهر بجاريةٍ نَصْرانيةٍ من أهل حِمْصَ هَوِيَها وتمادَى به الأمرُ حتى غلبتْ عليه

= تحريف. سروحه، من سرحت الماشية سروحاً، والبقير والبقيرة: برد يشق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير كمين ولا جيب، والجمع بقائر. الدثرة: الوسخة؛ وصف من الدثر (بالتحريك) وهو الوسخ.

(١) تنبو: تكل. المعاول: جمع معول، وهو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر. والجلامد: جمع جلمد كجعفر وهو الصخر كالجلمود. والوعرة (بكسر العين): ضد السهلة كالوعرة (بسكونها).

(٢) في الأصول: «لولا البغال» تحريف. وكلمة «الكمت» ساقطة من ب، س. والكمت: جمع كميت، كسروه على مكبره المتوهم، وصف من الكمتة: وهي لون بين السواد والحمرة. والسند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح. وخدرت رجله كفرح: غشيها ثقل وفتور فلم تقو على المشي.

(٣) في الأصول «معنية» وهو تصحيف. والمجانيق: جمع منجنيق (بفتح الميم وتكسر): آلة ترمى بها الحجارة، معرّبة. ومنكدرة، من انكدرت النجوم أي تناثرت، وانكدر أيضاً: أسرع وانقض. وانكدر عليه القوم: انصبوا.

(٤) في الأصول «الصبيحة» تحريف. والصفيحة: الحجر العريض. والعجرة: الضخمة الصلبة.

(٥) في الأصول «المطارف» بالفاء؛ وهو تصحيف. وحرانية: نسبة إلى حران، وهي مدينة على طريق الموصل والشام والروم، وقرية من قرى حلب، وقرية بغوطة دمشق. وخبر بالشيء: عالم به. مثل خبير وخابر.

(٦) جلتهم: كبارهم.

(٧) خصرة: باردة. وتبرد أطراف المرء عند نزول الموت به.

(٨) المثالب: العيوب جمع مثلبة (بفتح اللام وتضم). وفي ب، س «دنا لها» تحريف. وفي جميع الأصول: «الأشرة» ولعلها محرفة عن «الدفرة» بالدال أو الذال، وصف من الدفر (بالتحريك). والذفر كذلك، وهو النتن.

(٩) الرحل: المنزل والمسكن. والبصرة: بلد معروف بالعراق وهو بفتح الباء، وكسرها، ويحرك، وتكسر الصاد.

(١٠)مني: يقال: مناه به يمنيه منياً، ومناه يمنوه منواً: إذا ابتلاه، ومني ببلية: ابتلي بها.

وذهبتْ به. فلمّا اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوّج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمتْ على يده، فتزوَّجها، وكان اسمها وَرْداً؛ ففي ذلك يقول:

انظـر إلـى شمـسِ القُصـورِ وبَـدْرِهـا — وإلـى خُـزَامَـاهـا وبَهْجـةِ زَهْـرِهـا[١]

لـم تَبْـلُ عينُـك أبيضـاً فـي أسـوَدٍ — جَمَعَ الجمالَ كـوَجْهِها فـي شَعْـرِهـا[٢]

وَرْدِيَّـةُ الـوَجَنـاتِ يَخْتَبِـر اسمَهـا — مِـن رِيقِهـا مَـنْ لا يُحيـط بخُبْـرِهـا

وتمـايلـتْ فضَحِكـتُ مـن أردافِهـا — عَجَبـاً ولكنّـي بَكَيْـتُ لِخَصْـرِهـا

تَسْقيـك كـأسَ مُـدَامـةٍ مـن كفِّهـا — وَرْدِيَّـةٍ ومُـدامـةً مـن ثَغْـرِهـا

قال: وكان قد أعسر واختلّت حالُه، فرَحَل إلى سَلَمْيَةَ[٣] قاصداً لأحمد بن عليٍّ الهاشميّ، فأقام عنده مُدّةً طويلة، وحمَلَ ابنَ عَمّه بُغْضُه[٤] إيّاه بَعْد مودّته له وإشفاقِه عليه بسبب هجائه له على أنْ أذاع على تلك المرأة التي تزوَّجها عبدُ السلام أنها تهوَى غلاماً له، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجِيرانه وإخوانه، وشاع ذلك الخبرُ حتى أتى عبدَ السلام، فكتب إلى أحمد بن عليٍّ شعراً يستأذنه في الرجوع إلى حِمْص ويُعْلِمه ما بلّغه من خبر المرأة من قصيدة أوّلها:

إنَّ رَيْـبَ الـزمـانِ طـال انتكـاثُـه — كَـمْ رمتنـي بحـادثٍ أحـداثُـه[٥]

[٥٦/١٤] / يقول فيها:

ظَبْـيُ إنـسٍ قلبـي مَقِيـلُ ضُحَـاهُ — وفُـؤادي بَـرِيـرُهُ وكَبَـاثُـه[٦]

وفيها يقول:

خِيفَـةً أن يخـونَ عَهْـدِيَ وأن يُـضْـحِـي لغيـري حُجُـولُـه ورعَـاثُـه[٧]

[١٤٤/١٢] ومدح أحمد بعد هذا؛ وهي طويلة. فأذن له فعاد إلى حمص؛ وقدّر[٨] ابن عمّه وقت قدومه، / فأرصد له قوماً يُعْلِمونه بمُوافاته بابَ حِمْص. فلمّا وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنّفاً على تمسُّكه بهذه المرأة بعدما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنّها قد أحدثتْ في مَغِيبه حادثةً لا يجمُل به معها المُقامُ عليها، ودسّ الرجل الذي رماها به، وقال له: إذا قدِم عبدُ السلام ودخل منزِله فقِفْ على بابه كأنّك لم تعلَم بقدومه، ونادِ باسمِ وَرْد؛ فإذا قال: مَنْ أنت؟ فقل: أنا فُلان. فلمّا نزل عبد السلام منزلَه وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليها، فأجابته جوابَ مَنْ لم يعرف من القِصّة شيئاً. فبينما هو في ذلك إذ قَرَع الرجلُ البابَ فقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا

(١) الخزامي: نبت زهره أطيب الأزهار نفحة.
(٢) لم تبل: لم تختبر ولم تر. وفي ب، س: «لم تبك» وهو تحريف.
(٣) سلمية: بليدة بالشام من أعمال حمص.
(٤) في ب، س «على بغضه». بزيادة «على» وهو خطأ.
(٥) انتكاثه: انتقاضه.
(٦) البرير: الأول من ثمر الأراك. والكباث: النضيج منه.
(٧) حجول: جمع حجل (بالفتح والكسر) وهو الخلخال. ورعاث: جمع رعثة كوردة ورقبة، وهي القرط.
(٨) في ب وس «وفر» وهو تحريف.

فلان. فقال لها عبد السلام: يا زانية، زعمتِ أنّك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتَلها، وقال في ذلك:

ليتَني لم أكُنْ لِعَطْفِك نِلْتُ ... وإلى ذلك الوِصالِ وصلتُ
فالذي مِنّيَ اشتملت عليه ... أَلِعَارٍ ما قَدْ عليه اشتملتُ
قال ذو الجهل قد حَلُمْتَ ولا أعْـ ... ـلَمُ أنّي حَلُمْتُ حتى جَهِلتُ
لائمٌ لي بجهله ولماذا ... أنا وَحْدِي أحببتُ ثم قتلتُ!
/ سوف آسَى طولَ الحياة وأبكيـ ... ـكِ على ما فعلت لا ما فعلتُ [٥٧/١٤]

وقال فيها أيضاً:

لَكِ نفسٌ مُواتِية ... والمَنَايا مُعادِية[1]
أيّها القلب لا تَعُدْ ... لِهَوَى البِيضِ ثانية
ليس بَرْقٌ يكون أخـ ... ـلبَ من بَرْقِ غانيه[2]
خُنْتِ سِرّي ولم أخُنْـ ... ـكِ فمُوتِي علانِية

قال: وبلغ السلطانَ الخبرُ فطلبه، فخرج إلى دِمَشْق فأقام بها أياماً. وكتب أحمد بن عليٍّ إلى أمير دمشق أن يُؤَمّنه، وتحمَّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته[3] فقَدِم حِمْص وبلغه الخبرُ على حقيقته وصِحّته، واستيقنه فندِم، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ولا يَطْعَم من الطعام إلا ما يُقيم رَمَقَه، وقال في نَدَمه على قتلها:

يا طلعةً طَلَعَ الحِمامُ عَلَيْها ... وَجَنَى لها ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْها
رَوَّيْتُ من دَمِها الثَّرَى ولَطَالَما ... رَوَّى الهوى شَفَتَيَّ من شَفَتَيْها
قد باتَ سَيْفي في مَجال وِشاحِها ... ومَدامِعي تجري على خَدَّيْها[4]
فوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وطِىءَ الحَصَى ... شيءٌ أعزُّ عَلَيَّ من نَعْلَيْها
ما كان قَتْليها لأنّيَ لم أكُنْ ... أبكي إذا سَقَط الذُّبابُ عليها
لكنْ ضَنَنْتُ على العيون بحُسْنها ... وأنِفْتُ من نَظَر الحسودِ إليها[5]

وهذه الأبيات تروى لغير دِيك الجن.

/ أخبرني بها محمد بن زكريا الصحّاف قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن منصور قال: [٥٨/١٤]

(١) مواتية: موافقة مطاوعة.
(٢) أخلب: أخدع، من حلبه كنصره: خدعه؛ ويقال: برق خلب (كسكر): أي مطمع مخلف. والغانية: المرأة التي تطلب ولا تطلب، أو الغنية بحسنها عن الزينة.
(٣) في الأصول: «خيانته» تصحيف.
(٤) الوشاح: أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها. وفي «تاريخ ابن عساكر» «في مجال خناقها».
(٥) في «وفيات الأعيان وابن عساكر»:

لكن بخلت على سواي بحبها ... وأنفت من نظر الغلام إليها

كان من غَطَفانَ رجلٌ يقال له السُّلَيْك بن مُجَمَّع، وكان من الفُرْسان، وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم، وكان يهوَى / ابنة عمٍّ له، وكان خَطَبَها مُدّةً فمنعها أبوها، ثم زوّجه إياها خوفاً منه، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أُسبوعٍ إلى عشيرته، فلقيه من بني فَزارَة ثلاثون فارساً كلُّهم يطلبُه بذَحْلٍ[١]، فحلّقوا[٢] عليه، وقاتلهم وقتل منهم عدداً، وأُثخن بالجِراح آخرين، وأُثخِن هو حتى أيقن بالموت. فعاد إليها فقال: ما أسمح بك نفساً لهؤلاء، وإني أُحِبّ أن أُقدِّمك قبلي. قالت: افعل، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدَك. فضربها بسيفه حتى قتلها، وأنشأ يقول:

١٤٥ / ١٢

يا طلعة طلع الحمام عليها

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن، ثم نزل إليها فتمرَّغ في دمها وتخضَّب به، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتِل. وبلغ قومَه خبرُه، فحملوه وابنة عمِّه فدفنوهما. قال: وحفِظتْ فَزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها. قال: وبلغني أن قومَه أدركوه وبه رمق، فسمِعوه يردّد هذه الأبيات، فنقلوها وحفظوها عنه، وبقي عندهم يوماً ثم مات.

وقال ديك الجن في هذه المقتولة[٣]:

أشفقتُ أن يَرِدَ الزمانُ بغَدْرِهِ ... أو أُبْتَلَى بعد الوِصالِ بهَجْرِهِ

[١٤/٥٩]

/ قَمَرٌ أنا استخرجْتُه من دَجْنِهِ ... لِبَلِيَّتي وجَلَوتُه من خِدْرِهِ

فقتلتُه وله عليّ كرامةٌ ... مِلْءَ الحَشَى وله الفؤادُ بِأَسْرِهِ

عَهْدِي به مَيْتاً كأحسنِ نائمٍ ... والحُزْنُ يَسْفَحُ عَبْرَتي في نحْرِهِ

لو كان يَدْرِي المَيتُ ماذا بعدَه ... بالحيّ حَلَّ بَكَى له في قَبْرِهِ

غُصَصٌ تكادُ تَفِيظُ منها نَفْسُهُ ... وتكادُ تُخْرِج قَلْبَه من صَدْرِهِ[٤]

وقال فيها أيضاً:

أساكِنَ حُفْرةٍ وقَرارِ لَحْدِ ... مُفَارِقَ خُلَّةٍ من بعد عهدِ[٥]

أجِبْني إن قَدَرْتَ على جوابي ... بحقِّ الوُدِّ كيف ظَلِلْتَ بَعْدي

وأين حلَلْتَ بعدَ حلول قلبي ... وأحشائي وأضلاعي وكَبْدِي؟

أمَا واللهِ لو عاينتَ وَجْدِي ... إذا استعبرتُ[٦] في الظُّلُماتِ وحدِي

(١) الذحل: الثأر، وفي ب، س «بدم».

(٢) في الأصول: «فحنقوا» وأراه محرفاً.

(٣) في «وفيات الأعيان»: «ويروى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه فقتله أيضاً، وصنع فيه أبياتاً وهي... وأورد الأبيات». وفي «ابن عساكر»: «وكان له غلام كالشمس وجارية كالقمر، وكان يهواهما جميعاً، فدخل يوماً منزله، فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله، فشدّ عليهما فقتلهما، ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلاً، ثم قال: يا طلعة طلع الحمام.... الأبيات، ثم جلس عند رأس الغلام فبكاه وأنشأ يقول: أشفقت أن يرد الزمان... الأبيات».

(٤) فاظت نفسه تفيظ: خرجت روحه، مثل فاضت تفيض؛ وكرهها بعضهم، وزعم أبو عبيدة أنها لغة لبعض تميم.

(٥) الخلة: الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع.

(٦) استعبر: جرت عبرته.

وجَدُّ تنفُّسي وعلا زَفيري ... وفاضتْ عَبْرتي في صَحنِ خَدّي
إذاً لعلِمْتَ أنّي عن قريبٍ ... ستُخفَرُ حُفْرتي ويُشَقُّ لَحْدي
ويَعْذِلني السفيهُ على بُكائي ... كأنّي مبتلًى بالحزن وحدي
يقول قتلتَها سَفَهاً وجهلاً ... وتَبكيها بكاءً ليس يُجدِي
كصيّاد الطُّيورِ له انتحابٌ ... عليها وَهْوَ يذبحُها بحدِّ

وقال فيها أيضاً:

ما لامرِىءٍ بيَدِ الدهْرِ الخَئونِ يَدُ ... ولا على جَلَدِ الدُّنْيا له جَلَدُ
طُوبَى لأحبابِ أقوامٍ أصابَهُمُ ... من قَبْلِ أن عَشِقوا موتٌ فقد سَعِدوا
وحَقِّهم إنّه حقٌّ أضِنُّ به ... لأُنْفِدَنَّ[1] لهم دمعي كما نَفِدوا
يا دهرُ إنّك مَسْقِيٌّ بكأسِهِمُ ... ووارِدٌ ذلك الحوضَ الذي وَرَدُوا
الخَلْقُ ماضُونَ والأيامُ تَتبَعُهُمْ ... نَفْنَى [جميعاً][2] ويبقَى الواحدُ الصَّمَدُ

[١٤/٦٠]

١٤٦
١٢

وقال فيها:

أمَا آن للطّيفِ أن يأتِيَا ... وأن يَطْرُقَ الوَطَنَ الدّانِيَا
وإنّي لأحْسَبُ ريبَ الزَّمانِ ... يتركُني جَسَداً باليا
سأشكر ذلكَ لا ناسِياً ... جميلَ الصَّفاء ولا قالِيا[3]
وقد كنتُ أنشُره ضاحكاً ... فقد صِرْتُ أنشره باكِيا

وقال أيضاً:

قُلْ لِمنْ كان[4] وجهُه كضياء الشَّمْسِ في حُسْنِه وبَدْرٍ مُنيرِ
كنتَ زَيْنَ الأحياءِ إذ كنتَ فيهمْ ... ثم [قَدْ][5] صِرْتَ زَيْنَ أهلِ القُبورِ
بأبي أنت في الحياة وفي المَوْ ... تِ وتحتَ الثرى ويوم النُّشورِ
خُنْتَني في المَغيب والخَوْنُ نُكْرٌ ... وذميمٌ في سالفاتِ الدّهورِ
فشفاني سَيْفي وأسرعَ في حَزِّ التَّراقي قَطْعاً وحَزِّ النُّحورِ[6]

(١) في الأصول «لا ينفذن» وهو تحريف.
(٢) زيادة يستقيم بها الكلام. وقد جاء هذا الشطر في س: «تفنى ولم يبق إلا الواحد الصمد».
(٣) قالياً: مبغضاً كارهاً.
(٤) في ب، جـ: «لمن قال».
(٥) زيادة يستقيم بها الشعر. وقد جاء هذا الشطر في س: «ولقد صرت . . .».
(٦) في الأصول: «فسقاني» وهو تصحيف.

قوله في غلامه الذي يقال له بكر

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال:

كان ديكُ الجنّ يهوَى غلاماً من أهل حِمْصَ يقال له بكْر، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدثان إلى أن غاب القمر:

دَعِ البَـدْرَ فَلْيَغْـرُبْ فـأنـتَ لنـا بَـدْرُ ... إذا مـا تجلَّـى مـنْ مَحـاسِنِـكَ الفجـرُ

[١٤/٦١] / إذا مـا انقضَـى سِحْـرُ الـذيـن ببـابِـلٍ ... فطـرْفُـكَ لـي سِحْـرٌ ورِيقُـك لـي خمـر[١]

ولـو قيـل لـي قُـمْ فـادْعُ أحسـنَ مـن تـرى ... لصِحتُ بـأعلـى الصـوت يـا بَكْـرُ يـا بَكْـرُ

قال: وكان هذا الغلام يُعْرَف ببكر بن دهْمرْد. قال: وكان شديد التمنُّع والتصوُّن، فاحتال قومٌ من أهل حِمْصَ فأخرجوه إلى مُتَنَزَّهٍ[٢] لهم يعرف بمِيماس، فأسكروه وفَسَقوا به جميعاً، وبلغ ديكَ الجنّ الخبرُ فقال فيه:

قُـلْ لِهضِيـمِ الكَشْـحِ مَيَّـاسِ ... انْتَقَـضَ العهـدُ مـن النَّـاسِ[٣]

يـا طلعـةَ الآسِ التـي لـم تَمِـدْ ... إلاَّ أذَلَّـتْ قُضُـبَ الآسِ[٤]

وَثِقْـتَ بـالكـأس وشُـرَّابهـا ... وحَتْـفُ أمثـالِـك فـي الكـاس[٥]

وحـال مِيمـاسُ ويـا بعـدمـا ... بيـن مغيثيـك وميمـاس[٦]

تَقْطِيـعُ أنفَـاسِـك فـي أثْـرِهـمْ ... ومَلْكِهِـمْ قَطَّـعَ أنفـاسـي[٧]

لا بـأسَ مـولايَ، علـى أنهـا ... نهـايـةُ المكـروهِ والبـاسِ

هـي اللَّيـالـي ولهـا دولـةٌ ... ووحشـة مـن بعـد إينـاسِ

بَيْنَـا أنـافـتْ وعَلَـتْ بـالفَتـى ... إذ قيـل حَطَّتـه علـى الـرَّاسِ

[١٤/٦٢] / فـالـهُ ودَعْ عنـكَ أحـاديثَهـم ... سَيُصْبِـحُ الـذَّاكِـر كـالنَّـاسِـي

وقال فيه أيضاً:

يـا بكـرُ مـا فعلـتْ بـك الأرطـالُ ... يـا دَارُ مـا فعلـتْ بـك الأيـامُ[٨]

---

(١) بابل: مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر.

(٢) في الأصول «منتزه» وهو تصحيف. جاء في «المصباح المنير» وقال ابن قتيبة: «ذهب بعض أهل العلم في قول الناس: خرجوا يتنزهون إلى البساتين أنه غلط وهو عندي ليس بغلط؛ لأن البساتين في كل بلد إنما تكون خارج البلد، فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت، ثم كثر هذا حتى استعملت النزهة في الخضر والجنان».

(٣) هضيم الكشح: ضامر الخصر. ومياس: متبختر.

(٤) الآس: شجر عطر الرائحة. وماد يميد: تحرك وتبختر.

(٥) في الأصول «وحيف» تصحيف.

(٦) كذا في الأصول: ولا معنى له. ولعل صوابه: «... ويا بعده * بين مغيثيك ومعاس» ومعاس: جمع ماعس، من معس المرأة: وطئها. أي حال ابتعادك في هذا المنتزه بين المغيثين لك وبين الفاتكين بك.

(٧) الأثر: إكثار الفحل من ضراب الناقة؛ وقد أثرها كنصر. وملكهم: من ملك العجين كضرب ملكاً: أنعم عجنه. كملكه وأملكه.

(٨) في جـ، ب: «بل يا دار» ولا يستقيم به الوزن. الأرطال: يعني بها أرطال الخمر. ومن تعبيرهم المألوف في هذا الصدد قولهم في الشارب: «شرب رطلاً». قال أحمد بن يوسف من أبيات:

فعيـن الـرأي أن تـأتـي بـرطـل ... فتشـربـه وتـدعـو لـي بـرطـل

١٤٧/١٢

/ فـي الـدارِ بَعْـدَ بَقِيَّـةٌ نستـامُهـا ... إذ ليـس فيـك بَقِيَّـةٌ تُستـام(١)

عَـرِمَ الـزَّمـانُ على الـدِّيـار بـرَغْمِهِـم ... وعليـكَ أيضـاً للـزَّمـان عُـرَامُ(٢)

شَغَـلَ الـزمـانَ كَـراكَ فـي ديـوانـه ... فتَفَـرَّغـتْ لِـدَواتِـكَ الأقـلامُ(٣)

قال فيه أيضاً:

قُـولاَ لِبَكـرِ بـن دهمـرْدٍ إذا اعتكـرتْ ... عَسَـاكِـرُ اللَّيْـلِ بيـن الطَّـاسِ والجـامِ(٤)

ألـم أقُـلْ لـك إنَّ البغـيَ مَهْلَكَـةٌ ... والبغـيُ والعُجْـبُ إفسـادٌ لأقـوامِ

قـد كنـتَ تَفْـرَقُ مِـن سَهْـمٍ بغـانيـةٍ ... فصِـرْتَ غيـرَ رَمِيـمٍ رُقْعَـةَ الـرامِـي(٥)

وكنـت تَفْـزَعُ مـن لَمْـسٍ ومـن قُبَـلٍ ... فقـد ذَلَلْـتَ لإسـراجٍ وإلجـامِ

إن تَـدْمَ فَخْـذَاكَ مِـن رَكْـضٍ فَـرُبَّتَمَـا ... أُمْسِـي وقلبـي عليك المُـوجَـعُ الـدامِـي

[٦٣/١٤] / أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكِيَةَ، وبها أنشدني قصيدة البُحْتُرِيّ:

مَـلاَمَـك إنَّـه عهـدٌ قـريـبُ ... ورُزْءٌ مـا انقضـتْ منـه النُّـدوبُ(٦)

وأنشدني لديك الجنّ يُعَزِّي جعفرَ بن عليّ الهاشميّ:

نَـغْـفُـلُ والأيَّـامُ لاَ تَـغْـفُـلُ ... ولا لَـنَـا مـن زَمَـنٍ مَـوئِـلُ

والـدَّهْـرُ لا يَـسْـلَـمُ مـن صَـرْفِـهِ ... أعـصَـمُ فـي الـقُـنَّـةِ مُـسْـتَـوعِـلُ(٧)

يَـتَّـخِـذُ الـشِّـعْـرَى شِـعَـاراً لـه ... كـأنـمـا الأُفُـقُ لـه مَـنـزِلُ(٨)

كـأنّـه بـيـن شَـنَـاظِـيرِهـا ... بـارقـةٌ تَـكْـمُـنُ أو تَـمْـثُـلُ(٩)

ولا حَـبَـابٌ صَـلَـتَـانُ الـسُّـرَى ... أرقـمُ لا يـعـرِف مـا يـجْـهَـلُ(١٠)

---

(١) السوم: عرض السلعة على البيع، واستامه إياها: غالي.

(٢) عرم (كنصر وضرب وعلم وكرم عرامة وعراماً): اشتدّ. وفي الأصول «غرم... عزم... غرام» وهو تصحيف.

(٣) في س «فتفرقت» وهو تحريف، وكنى بالدواة والأقلام عما يستقبح ذكره.

(٤) اعتكر الليل: اشتد سواده والتبس، واعتكروا: اختلطوا في الحرب، واعتكر العسكر: رجع بعضهم على بعض فلم يقدر على عدّهم. والجام: إناء من فضة.

(٥) تفرق: تفزع. وأراد بسهم الغانية: عينها. غير رميم: غير بال، من رم العظم (كضرب) إذا بلى وربما كان غير ذميم» أو «دميم».

(٦) البيت مطلع قصيدة للبحتري يرثي غلامه قيصر. ملامك: أي دع ملامك واكفف. وفي «الديوان» «ما عفت منه الندوب» وعفا الأثر: درس وامّحى.

(٧) صرف الدهر: حدثانه ونوائبه. والأعصم من الوعول: ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر. والقنة: أعلى الجبل كالقلة. واستوعل الوعل: إذا ذهب في قلة الجبل.

(٨) الشعرى: كوكب نير يطلع بعد الجوزاء، وهما شعريان: الشعرى العبور، والشعرى الغميصاء وفي ب، س «الشعر» وهو تحريف. وأصل الشعار: ما ولي شعر الجسد من الثياب.

(٩) شناظير الجبل: أطرافه وحروفه، الواحد شنظير كخنزير.

(١٠) الحباب: الحية، وهو معطوف على أعصم. والصلتان: النشيط الحديد الفؤاد من الخيل. والسرى: سير عامة الليل. والأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس.

نَضْنَاضُ فَيْفَاءَ يَرى أنّه ... بالرمل غانٍ وهُوَ المُرْمِلُ[(١)]

يَطْلُبُ من فاجِئَةٍ مَعْقِلاً ... وَهْوَ لما يطلُب لا يَعْقِلُ

والدهرُ لا يسلَمُ من صَرْفِه ... مُسَرْبَلٌ بالسَّرْدِ مستبسِلُ[(٢)]

[٦٤/١٤] / ولا عَقَنْبَاةُ السُّلامَى لها[(٣)] ... في كُلِّ أفقٍ عَلَقٌ مُهْمَلُ

فَتْخَاءُ في الجَوِّ خُدَارِيَّةٌ ... كالغَيْمِ والغَيْمُ لها مُثْقِلُ[(٤)]

آمَنُ مَنْ كان لِصَرْفِ الرَّدَى ... أنزلَها من جَوِّها مُنْزِل

والدَّهْرُ لا يَحْجُبُه مانِعٌ ... يحجُبُه العامِلُ والمُنْصُلُ[(٥)]

يُصْغِي جَدِيدَاهُ إلى حُكْمِهِ ... ويَفْعَلُ الدهرُ بما يَفْعَلُ[(٦)]

كأنّه من فَرْطِ عِزٍّ به ... أشْوَسُ إذ أقبلَ أو أقْبَلُ[(٧)]

الأقبل: الذي في عينه قَبَلٌ، وهو دون الحَوَل.

في حَسَبٍ أوْفَى، له جَحْفَلٌ ... يَقْدُمُه من رَأيه جحفلُ[(٨)]

بينَا على ذلك إذ عَرَّشَتْ ... في عَرْشِه داهِيَةٌ ضِئْبِلُ[(٩)]

إنْ يَكُ في العِزِّ له مِشْقَصٌ ... ماضٍ فقد تاحَ له مَقْتَلُ[(١٠)]

[٦٥/١٤] / جادَ على قبرِك مِنْ مَيِّتٍ ... بالرَّوْحِ ربٌّ لسكَ لا يَبْخَلُ[(١١)]

$\frac{١٤٨}{١٢}$ / وحَنَّتِ المُزْنُ على قبرِه ... بِعَارِضٍ نَجْوَتُه مَحْفِلُ[(١٢)]

(١) خية نضناض ونضناضة: لا تستقر في مكان، أو إذا نهشت قتلت من ساعتها. والفيفاء والفيفاة: المفازة. غان: غنيّ. وفي الأصول: «عان» تصحيف. مرمل: من أرمل إذا نفد زاده.

(٢) السرد هنا: الدرع المسرودة أي المنسوجة. وسربله: ألبسه السربال، وهو الدرع أو كل ما لبس.

(٣) في «معجم البلدان» السلامي: اسم موضع مضافاً إليه «ذو». والمعروف في كلامهم «عقاب ملاع» (كسحاب وكتاب)، وعقاب عقنباة وعبنقاة وبعنقاة: ذات مخالب حداد، ويقال: عقاب ملاع بالإضافة، وعقاب ملاع وملوع كصبور على النعت، أي خفيفة الضرب والاختطاف، وملاع قيل هو من نعت العقاب، وقيل اسم هضبة عقبانها أخبث العقبان، وقيل أرض أضيفت إليها عقاب في قولهم: أودت بهم عقاب ملاع، وقيل المفازة لا نبات بها. والعرب تقول في أمثالها: «أبصر من عقاب ملاع»؛ لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال. والعلق: الدم عامة أو الشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد، يريد به دم الفرائس التي تصرعها العقاب.

(٤) الفتخاء من العقبان: اللينة الجناح. وخدارية: سوداء.

(٥) مانع: أي سيد مسلط مانع لحوزته حام لذماره. وعامل الرمح وعاملته: صدره. والمنصل: السيف.

(٦) الجديدان: الليل والنهار. والضمير في «جديداه» للدهر، وفي «حكمه» لمانع وكذا في «يفعل» الثاني.

(٧) الأشوس: الذي ينظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً.

(٨) في ب وس. «في حب» وفي كل الأصول: «فله جحفل»: وهو تحريف.

(٩) عرشت: بنت عريشاً. والضئبل: الداهية.

(١٠) المشقص: النصل العريض أو الطويل. وتاح له الشيء يتيح ويتوح: تهيأ.

(١١) الروح: الرحمة.

(١٢) المزن: السحاب. والعارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء. والنجوة: ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل. والمحفل: مجتمع الماء حيث يحفل أي يجتمع.

غيـثٌ تَـرى الأرضَ علـى وَبْلِـهِ ... تضحَـكُ إلا أنَّـه يَهْمِـلُ[١]

يَصِـلُ والأرضُ تُصَلِّـي لـه ... مِـن صَلَـواتٍ مَعَـه تَسْـالُ[٢]

أنـت أبـا العَبَّـاسِ عَبَّـاسُها ... إذا استطـار الحَـدَثُ المُعْضِـلُ[٣]

وأنـت يَنْبُـوع أفـانِينِهـا ... إذا هُـمُ فـي سَنَـةٍ أمحلـوا

وأنـتَ عَـلاّمُ غُيـوبِ الثَّنـا ... يـومـاً إذا نَسْـأَلُ أو نُسْـألُ[٤]

نحـن نُعَـزِّيـكَ ومنـك الهُـدَى ... مُسْتَخْـرَجٌ والنُّـورُ مُسْتَقْبَـلُ[٥]

نقـول بـالعقـلِ وأنـت الَّـذِي ... نـأوي إليـه وبِـه نَعْقِـلُ

نحـن فِـدَاءٌ لـك مِـنْ أُمَّـةٍ ... والأرضُ والآخِـرُ والأوّلُ

إذا غفـا عنـكَ وأوْدَى بهـا ... ذا الدهـرُ فَهْوَ المُحْسِنُ المُجْمِلُ[٦]

رثاؤه جعفر بن علي الهاشميّ

قال أبو المعتصم: ثم مات جعفر بن عليٍّ الهاشمي، فرثاه دِيكُ الجِنّ فقال:

علـى هـذه كـانـتْ تـدور النـوائـبُ ... وفـي كـلِّ جمـعٍ للـذهـابِ مَـذاهـبُ

/ نـزلْنـا علـى حُكْـمِ الـزَّمـانِ وأمْـرِهِ ... وهـل يَقْبَـلُ النَّصْفَ الألَدُّ المُشَاغِبُ؟[٧] [٦٦/١٤]

وتَضْحَـكُ سِـنُّ المـرءِ والقلـبُ مُـوجَـعٌ ... ويَـرضَـى الفَتَـى عـن دَهْـره وهـو عـاتـبُ

ألاَ أيُّهـا[٨] الـرُّكبـانُ والـرَّدُّ واجـبٌ ... قِفُـوا حَـدِّثُـونـا مـا تقـولُ النَّـوادِبُ

إلـى أيِّ فِتْيـانِ النَّـدَى قَصَـد الـرَّدَى ... وأيُّهـمُ نـابـتْ حِمَـاهُ النَّـوائِـبُ؟

فَيَـا لِأبـي العَبَّـاسِ كَـمْ رُدَّ راغِـبٌ ... لِفَقْـدِكَ ملهـوفـاً وكَـمْ جُـبَّ غـارِبُ[٩]

وَيَـا لِأبـي العَبَّـاسِ إنَّ مَنَـاكِبـاً ... تَنُـوء بمـا حَمَّلْتَهـا لَنَـوَاكِـبُ

فيـا قبـرَه جُـدْ كـلَّ قبـرٍ بِجَـوْدِهِ ... ففيـك سمـاءٌ ثَـرَّةٌ وسحَـائِـبُ[١٠]

---

(١) الوبل: المطر الشديد الضخم القطر. وتضحك: تتفتح فيها الزهر، وهملت السماء: دام مطرها في سكون.

(٢) في الأصول «يصلي» وهو تحريف. ويصل: يصوّت. وتصلى له، أي تصل لأجله شكراً لله. «معه تسأل» كذا في الأصول، ولعله «دمعه تسال» أي تسال انهلاله وانصبابه.

(٣) استطار: انتشر وتفرق.

(٤) في ب، س: «غبوب الثناء» وفي جـ «عيوب الثناء» وهو تصحيف: ونثا الحديث والخبر نثوا: حدث به وأشاعه وأظهره، والاسم منه الثنا. وفي الأصول «إذا نسأل أو تسأل» وهو تصحيف.

(٥) في الأصول: «نحن نجزيك» تحريف، وفي «المثل الثائر» ـ باب الفرقات ص ٤٦٨: ـ «والضير» بدل «والنور».

(٦) في طبعة بولاق «عفا». وغفا: نام نومة خفيفة.

(٧) النصف (بفتح النون وضمها وكسرها): الإنصاف. والألدّ: الخصم الشحيح الذي لا يرجع إلى الحق.

(٨) في الأصول: «إنها»، وهو تصحيف.

(٩) في الأصول: «حب عارب» تصحيف. والغارب: الكاهل.

(١٠) ثرة: غزيرة. والجود: المطر الغزير.

فإنك لو تدري بما فيك من علاً ... علوت وباتت في ذراك الكواكب[1]

أخاً كنت أبكيه دماً وهو نائم ... حِذاراً وتعمى مُقلتي وهو غائب

فمات ولا صبري على الأجر واقف ... ولا أنا في عُمْرٍ إلى الله راغب

أأسعى لأحظى فيك بالأجر إنه ... لسعيٌ إذن مني لدى الله خائب

وما الإثم إلا الصبر عنك وإنما ... عواقب حمدٍ أن تُذمَّ العواقب

يقولون: مِقدارٌ على المرءِ واجبٌ ... فقلت: وإعوالٌ على المرءِ واجبُ

هو القلبُ لمّا حُمَّ يومُ ابنِ أمّه ... وَهى جانبٌ منه وأسْقِمَ جانبُ

ترشّفتُ أيّامي وهنّ كوالحٌ ... عليك، وغالبتُ الرّدى وهو غالبُ

ودافعتُ في صدر الزّمانِ ونحرِه ... وأيُّ يدٍ لي والزمانُ مُحارِبُ؟

وقلت له: خلِّ الجوادَ لقومه ... وهاأنذا فازدد فإنّا عصائبُ[2]

/ فوالله إخلاصاً من القول صادقاً ... وإلّا فحُبّي آلَ أحمدَ كاذب

لوَ انّ يدي كانت شِفاءَك أو دمي ... دمَ القلبِ حتّى يقضِبَ القلبَ قاضبُ[3]

/ لسلّمتُ تسليمَ الرّضا وتخذتُها ... يداً للرّدى ما حجّ لله راكبُ

فتًى كان مثلَ السيفِ من حيثُ جئته ... لنائبةٍ نابتْك فهْوَ مُضارب

فتًى همُّه حمدٌ على الدّهرِ رابحٌ ... وإن غاب عنه مالُه فهو عازبُ

شمائلُ إن يشهدْ فهنَّ مشاهدٌ ... عظامٌ وإن يرحلْ فهنّ كتائبُ

بكاكَ أخٌ لم تحوِه بقرابةٍ ... بلى إنّ إخوانَ الصّفاءِ أقاربُ

وأظلمتِ الدُّنيا التي كنتَ جارَها ... كأنّك للدُّنيا أخٌ ومُناسِبُ

يُبرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنّني ... أرى زمناً لم تبقَ فيه مصائبُ

[٦٧/١٤]

١٤٩ / ١٢

أبيات له في أهل حمص وقد عزلوا إمام مسجدهم

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر:

إنّ خطيب أهل حِمْصَ كان يصلّي على النبيّ ﷺ على المِنْبَر ثلاث مرات في خطبته، وكان أهل حمص كلُّهم من اليمن، لم يكن فيهم من مُضَر إلّا ثلاثةُ أبيات، فتعصّبوا على الإمام وعزلوه؛ فقال ديك الجنّ:

سَمِعُوا الصَّلاةَ على النبيِّ تَوَالَى ... فتفرَّقُوا شِيَعاً وقالوا: لا لا

ثم استمرَّ على الصلاةِ إمامُهم ... فتحزَّبوا ورَمَى الرِّجالُ رجالاً

---

(١) ذراك: كنفك وظلك.

(٢) كذا في جـ. وفي ب، س: «وهل ندّ فاردده» وهو تحريف.

(٣) في الأصول: «لو أن دمي كانت شفاؤك» وهو تحريف. قضبه: قطعه.

يا آلَ حِمْصَ تَوَقَّعُوا مِنْ عارِها ... خِزْياً يَحِلُّ عليكُمُ وَوَبالاً
شاهتْ وجوهُكُمُ وُجوهاً طالَما ... رَغِمَتْ مَعَاطِسُها وساءتْ حالاً(١)

[٦٨/١٤]

/ صوت

أيابنةَ عبدِ اللهِ وابنةَ مالِكٍ ... ويابْنَةَ ذي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذَا ما صنعتِ الزادَ فالتمِسي له ... أكِيلاً فإنِّي لستُ آكِلَهُ وَحْدِي

عَرُوضه من الطويل. الشعر لقيس بن عاصم المِنْقَرِيّ، والغناء لَعلُّويَه، ثقيلٌ أوّل بالوُسْطَى.



(١) شاهت: قبحت. ورغم أنفه (مثلثة الغين): ذل عن كره. والمعطس، وزان مجلس ومقعد: الأنف.

[١٤/٦٩]

/ أخبار قيس بن عاصم ونسبه

نسبه

هو قَيْسُ بن عاصِم بن سِنَان بن خالد بن مِنْقَر بن عُبَيْد بن مُقاعِس. واسم مقاعِس الحارثُ بن عمرو بن كَعْبِ بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم. ويُكْنَى أبا عليٍّ. وأُمُّه أُمّ أصْعَر بنتُ خَليفَة بن جَرْوَل بن مِنقر.

بعض صفاته

وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ حليمٌ كثير الغارات، مُظَفَّرٌ في غَزَاوته. أدرك الجاهليّة والإسلام فساد فيهما. وهو أحَدُ مَنْ وَأَد بناتِه[١] في الجاهليّة، وأسلم وحسُن إسلامه، وأتى النبيّ ﷺ، وصَحبه في حياته، وعُمِّر بعده زماناً، ورَوَى عنه عِدّةَ أحاديث.

وأده بناته في الجاهلية

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني عليّ بن الصَّبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال:

وفَدَ قَيْسُ بن عاصمٍ على رسول الله ﷺ، فسأله بعضُ الأنصار عما يُتَحَدَّثُ به عنه من الموءودات التي وَأدهنّ من بناته؛ فأخبر أنه ما وُلِدتْ له بنتٌ قَطُّ إلاّ وَأدها. ثم أقبل على رسول الله ﷺ يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء الأحدوثةِ والفضيحةَ في البنات، فما وُلِدتْ لي بنتٌ قطُّ إلا وَأَدْتُها، وما / رَحِمتُ منهن موءودةً قطُّ إلاّ بُنَيَّةً لي ولدتْها أمُّها وأنا في سَفَر، فدفعتْها أُمُّها إلى أخوالها فكانت فيهم؛ وقَدِمتُ فسألت عن الحَمْلِ، فأخبرتني المرأة أنّها ولدتْ ولداً مَيّتاً. ومضت على ذلك سِنونَ حتى كَبِرت الصبيّة ويَفَعتْ، فزارتْ أُمَّها ذاتَ يوم، فدخلتُ فرأيتُها وقد ضَفَرتْ شَعرَها وجعلتْ في قُرونها شيئاً من خَلُوق[٢] ونظمتْ عليها وَدَعاً، وألبستْها قِلادَةَ جَزْعٍ[٣]، وجعلتْ في عُنُقِها مِخْنَقَةَ[٤] / بَلَحٍ: فقلتُ، مَنْ هذه الصبيّة فقد أعجبني جمالُها وكَيْسُها؟[٥] فبكتْ ثم قالت: هذه ابنتُك، كنتُ خبّرتك أنّي ولدتُ ولداً ميّتاً، وجعلتُها عند أخوالها حتّى بلغتْ هذا المبلغ. فأمسكتُ عنها حتى اشتغلَتْ عنها، ثم أخرجتها يوماً فَحفَرتُ لها حَفِيرةً فجعلتُها فيها وهي تقول: يا أبتِ[٦] ما تصنع بي؟ وجعلتُ أقذِف عليها التُّرابَ وهي تقول: يا أبت أمُغَطِّيَّ أنتَ بالتُّراب؟! أتارِكي أنت وحدي ومنصرفٌ عني؟! وجعلتُ أقذِف عليها التراب ذلك حتى واريتُها وانقطع صوتها، فما رَحِمتُ أحداً ممن واريتُه غيرَها. فدمعتْ عَيْنَا النبيّ ﷺ ثم قال: «إنّ هذه لَقَسْوةٌ،

١٥٠ / ١٢ — [١٤/٧٠]

(١) وأد ابنته: دفنها حية.

(٢) الخلوق: ضرب من الطيب.

(٣) الجزع بالفتح (ويكسر): الخرز اليماني الصيني، فيه سواد وبياض، تشبه به الأعين.

(٤) المخنقة: القلادة.

(٥) الكيس: العقل.

(٦) يا أبت: التاء فيه عوض من ياء المتكلم، ويجوز فيها الفتح والكسر، وسمع فيها الضم أيضاً. قال في «التسهيل»: «وجعلها هاء في الخط والوقف جائز»، ورسمت في المصحف بالتاء؛ قال الدماميني: «فرسمها بالتاء أولى».

وإنّ مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم»[١] أو كما قال ﷺ.

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال: حدّثني عمّي أبو فِراس محمد بن فِراس عن عمر بن أبي بَكّار عن شيخ من بني تميم عن أبي هُرَيْرَة:

أن قَيْسَ بن عاصمٍ دخل على رسول الله ﷺ وفي حِجْره بعضُ بنَاته يَشَمُّها، فقال له: ما هذه السَّخْلة[٢] تَشَمُّها؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: والله لقد وُلِدَ لي بَنُونَ ووأدْتُ بُنَيَّات ما شَمِمْتُ منهنّ أُنثى ولا ذكراً قَطُّ. فقال رسول الله ﷺ: «فهَلْ إلا أن يَنْزِعَ الله الرحمةَ من قَلْبك[٣]»!

/ سبب وأده لبناته [١٤/٧١]

قال أحمد بن الهيثم قال عمّي فحدّثني عبد الله بن الأهْتَم:

أن سَبَبَ وأد قيسٍ بَناتِه أنّ المُشَمْرَجَ اليَشْكُرِيَّ أغار على بني سَعْدٍ فسَبَى منهم نساءً واستاق أموالاً، وكان في النساء امرأةٌ، خالُها قيسُ بن عاصم، وهي رَمِيمُ بنتُ أحْمَر[٤] بن جَنْدَلٍ السَّعْديّ، وأُمُّها أخت قيس. فرحل قيسٌ إليهم يسألُهم أن يَهَبُوها له أو يَفْدُوها، فوجد عمرو بن المُشَمْرَج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلتُ أمْرَها إليها فإن اختارتك فخذها. فخُيِّرتْ، فاختارت عمرو بن المُشَمْرَج. فانصرف قيس فوَأد كلَّ بنت، وجعل ذلك سُنّةً في كلّ بنتٍ تُولَد له، واقتدت به العرب في ذلك؛ فكان كلُّ سيِّد يُولَد له بنتٌ يَئِدُها خوفاً من الفضيحة.

خبره مع زوجه منفوسة بنت زيد الفوارس

أخبرني محمد بن الحسن بن درَيْد قال حدثني عمّي عن العبّاس بن هِشام عن أبيه عن جَدّه قال:

تزوّج قيس بن عاصِم المِنْقَرِيّ مَنْفوسةَ بنتَ زيد الفَوارِسِ الضَّبّي، وأتته في الليلة الثانية من بِناته بها بطعام، فقال: فأين أكِيلي؟ فلم تعلم ما يريد؛ فأنشأ يقول:

أيـا ابْنـةَ عبـدِ اللـه وابنـةَ مـالـكٍ	ويـا ابنـةَ ذي البُـرْدَيْـنِ والفَـرَسِ الـوَرْدِ[٥]
إذا مـا صَنَعْـتِ الـزادَ فـالتمسـي لـه	أكِيـلاً فـإنّـي لسـتُ آكُلَـهُ وَحْـدِي
/ أخـاً طـارِقـاً أو جـارَ بيـتٍ فـإنّنـي	أخـافُ مَـلامـاتِ الأحـاديـثِ مِـن بَعْـدِي

[١٤/٧٢]

(١) روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم». «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٩: ٢٠).

(٢) السخلة: ولد الشاة.

(٣) روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان! فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»! «إرشاد الساري» (٩: ٢١).

(٤) في الأصول: «بنت أحمد»، وهو تحريف.

(٥) ذو البردين: هو عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعوا عند عمرو بن المنذر بن ماء السماء، فأخرج بردين وقال: ليقم أعز العرب فليلبسهما، فقام عامر؛ فقال له: أنت أعز العرب؟ قال: نعم؛ لأن العز كله في معدّ ثم نزار ثم مضر ثم تميم ثم سعد ثم كعب؛ فمن أنكر ذلك فليناظر، فسكتوا. فقال: هذه قبيلتك، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك؟ فقال: أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، ثم وضع قدمه على الأرض وقال: من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل، فلم يقم إليه أحد؛ فأخذ البردين وانصرف. «تاج العروس» (مادة برد). والفرس الورد: الذي بين الكميت والأشقر.

وإنّي لعبدُ الضّيفِ من غير ذِلّةٍ ... وما بِيَ إلاّ تلك من شِيَمِ العبْدِ(١)

قال: فأرسلتْ جاريةً لها مليحة فطلبت له أكيلاً، وأنشأت تقول له:

١٥١/١٢ / أبى المرءُ قيسٌ أن يذوقَ طَعامَهُ ... بغيرِ أكِيلٍ إنّه لَكَرِيمُ

فبُورِكْتَ حَيّاً يا أخا الجُودِ والنّدَى ... وبُورِكْتَ مَيْتاً قد حَوَتْكَ رُجومُ(٢)

أبيات للعباس بن مرداس يمدح فيها قيساً ويهجو جوينا الطائي

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا دَمَاذ عن أبي عُبَيدةَ قال:

جاورَ رجلٌ من بني القَيْنِ من قُضَاعَةَ قيسَ بن عاصم، فأحسن جِوارَه ولم يَرَ منه إلاّ خيراً حتى فارقه، ثم نزل عند جُوَيْن الطائيّ أبي عامر بن جُوَيْن، فوثب عليه رجال من طيىء فقتلوه وأخذوا ماله، فقال العبّاس بن مِرْدَاس يهجوهم ويمدَح قيساً:

لَعَمْرِي لقد أوفَى الجوادُ ابنُ عاصم ... وأحْصَنَ جاراً يومَ يَحْدِجُ بَكْرَهْ(٣)

أقامَ عزيزاً مُنْتَدَى القومِ عندَه ... فلم يَرَ سَوْءاتٍ ولم يَخْشَ غَدْرَهْ(٤)

[٧٣/١٤] / أقامَ بِسَعْدٍ يشرَبُ الماءَ آمِناً ... ويأكل وُسْطَاهَا ويَرْبِضُ حَجْرَهْ(٥)

فإنّك إذ بادلتَ قيسَ بنَ عاصمٍ ... جُوَيْناً لَمُخْتارَ المنازلِ شَرَّهْ(٦)

فأصبحَ يحدو رَحْلَهُ بمَفَازةٍ ... وماذا عَدَا جاراً كريماً وأُسْرَهْ(٧)

يَظَلُّ بأرض الغَدْرِ يأكُلُ عَهْدَهُ ... جُوَيْنٌ وشَمْخٌ خارِبَيْنِ بِوَجْرَهْ(٨)

يُذِمّانِ بالأزواد والزادُ مَحْرَمٌ ... سَرُوقانِ من عِرق شروراً وفَجْرَهْ(٩)

---

(١) وردت هذه الأبيات في «الكامل» للمبرد ١: ٢٧٩ ببعض تغيير في الرواية وكذا في «أشعار الحماسة» ج ٢: ٢٤٤ فانظرها هناك.

(٢) رجوم: تعني حجارة القبر. والذي في كتب اللغة: «الرجمة بالضم والفتح: القبر، والجمع رجام، ككتاب، وهو الرجم، كسبب، والجمع أرجام، والرجم والرجام: الحجارة المجموعة على القبر، والرجم، كشمس: اسم لما يرجم به الشيء المرجوم والجمع رجوم» وليس فيها «رجوم» بمعنى حجارة القبر.

(٣) في الأصول: «وأحسن جدا» وهو تحريف، وأحصنه: منعه وحفظه. وحدج البعير كضرب: شدّ عليه الحدج والأداة ووسقه. والحدج: الحمل، وزناً ومعنى. والبكر: الفتى من الإبل.

(٤) المنتدى: مجلس القوم ومتحدثهم. وغدره: يجوز أن يكون بالتاء وبالهاء.

(٥) بسعد: أي ببني سعد وهم قوم قيس بن عاصم. ويأكل وسطاها، من أمثال العرب: «يرتعي وسطاً ويربض حجرة» والوسط من المرعى: خياره، أي يرتعي أوسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير، فإذا أصابهم شر اعتزلهم. وربض حجرة أي ناحية. انظر «لسان العرب» (وسط وحجر). ويروى هذا المثل أيضاً: «يأكل خضرة ويربض حجرة» أي يأكل من الروضة ويربض ناحية. انظر «مجمع الأمثال» للميداني ٢: ١٥٠ ـ وقد ضمن الشاعر البيت المثل فقال: ويأكل وسطاها أي وسطي مآكلها، ووسطي مؤنث أوسط، وأوسط الشيء ووسطه (بالتحريك): أعدله وخياره، أي يأكل خير مآكلها وأطيبها.

(٦) شرة: مفعول مختار، وشرة وشرى أيضاً كفضلى مؤنث شر.

(٧) حدا البعير: ساقه، والمفازة: الفلاة لا ماء بها. وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم.

(٨) يأكل عهده: يريد «ينكث» من قولهم أكل فلان عمره: أفناه. وشمخ: اسم رجل. والخارب: اللص، وجرة: اسم موضع.

(٩) أذم به: تهاون، والأزواد جمع زاد. المحرم: الحرمة التي لا يحل انتهاكها، والعرق: الأصل. والفجرة: الفجور، ويقال: حلف فلان على فجرة، واشتمل على فجرة: إذا ركب أمراً قبيحاً من يمين كاذبة أو زنا أو كذب، وفي س «من مرق سروق وفخره» وفي ب، حـ «من عرق سرق وفخرة» وهو تحريف.

حلمه وعفوه عن ابن أخيه وقد قتل ابنه

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكري قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزي قال حدّثني دَماذ عن أبي عبيدة قال، قال الأحنف:

/ ما تعلّمت الحلمَ إلاّ من قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ، فقيل له: وكيف ذلك يا أبا بحر؟ فقال: قتل ابن أخ له [٧٤/١٤] ابناً له فأتى بابن أخيه مكتوفاً يقاد إليه، فقال: ذَعَرتم الفتى. ثم أقبل عليه فقال: يا بُنيّ، نَقَصتَ عددك، وأوهيت[1] ركنك، وفَتَتَّ في عضدك، وأشمتَّ عدوَّك، وأسأت بقومك. خَلُّوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته، قال: فانصرف القاتل وما حلّ قيس حُبوته[2]، ولا تغير وجهه[3].

وفود قيس على الرسول عليه السلام

أخبرني عبيد الله الرازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ عن ابن جُعدُبَة وأبي اليقظان قالا:

وفد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ، فقال النبيّ عليه الصلاةُ والسلام: «هذا سيِّد أهلِ الوَبَر».

/ **قصته مع تاجر خمار** [٧٥/١٤]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال:

جاور داريٌّ[4] كان يَتَّجِر في أرض العرب قيس بن عاصم، فشرِب قيسٌ ليلةً حتى سَكر، فَرَبط الداريّ وأخذ مالَه، وشرِب من شرابه فازداد سُكراً، وجعل من السكر يتطاول ويُثَاوِرُ[5] النجومَ لِيَبْلُغَها وليتناولَ القمر، وقال:

وتـاجـرٍ فـاجـرٍ جـاء الإلـهُ بـه ... كـأن عُثْنـونَـه أذنـابُ أجمـالِ[6]

ثم قَسَمَ صَدَقة النبيّ ﷺ في قومه وقال:

---

(١) وهى الحائط: ضعف وهم بالسقوط، وأوهاه هو. فت في عضده: أضعفه.

(٢) احتبى: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، والاسم الحبوة (يفتح ويضم).

(٣) الخبر في «أمالي السيد المرتضى» ١ :٧٦. وجاء في «مجمع الأمثال للميداني» ١ : ١٤٨ و «العقد الفريد» ١ : ١٧٧ «قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، حضرته يوماً قاعداً بفناء داره، محتبياً بحمائل سيفه يحدثنا، إذ جاءوا بابن له قتيل وابن عم له كتيف، فقالوا: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إلى ابن أخيه وقال له: يابن أخي، أثمت بربك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك. ثم قال لابن له آخر: يا بني قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة لعلها تسلو عنه، ثم أنشأ يقول:

إنـي امـرؤ لا يتعـري خلقـي ... دنـس يهجّنـه ولا أفـن
مـن منقـر مـن بيـت مكـرمـة ... والغصن ينبـت حـولـه الغصـن
خطبـاء حيـن يقـوم قـائلهـم ... بيـض الـوجـوه مصـانـع لسـن
لا يفطنـون لعيـب جـارهـم ... وهـم لحفـظ جـواره فطـن

(٤) داريّ: من الداريين، وهم بنو الدار بن هانىء بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدي، ينتهي نسبهم إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

(٥) ثاوره مثاورة وثواراً: واثبه.

(٦) العثنون من اللحية: ما نبت على الذقن وتحته سفلاً. وأجمال: جمع جمل. جاء في «الكامل» للمبرد ١ : ٢٨٠ «قال ذلك لأن ذنب البعير يضرب إلى الصهبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية».

ألاَ أبْلِغا عنّي قُرَيْشاً رسالةً إذا ما أتتهمْ مُهْدَيَاتُ الوَدائِع

حَبَوْتُ بما صدَّقْتُ في العامِ مِنْقَراً وأيأستُ منها كلَّ أطلسَ طامِع[1]

قال: فلمّا فعَل بالداريّ ما فعل وسكر، جعل مالَه نُهْبَى[2]، فلم تزل امرأته تُسَكِّنه حتى نام. فلما أصبح أُخبر بما كان منه، فآلى ألاّ يُدْخل الخمرَ بين أضلاعه أبداً.

[٧٦/١٤] / خدعه الزبرقان بن بدر حتى فرّق الصدقات في قومه

١٥٢/١٢ أخبرني وكيعٌ قال / حدّثنا المدائنيّ قال:

وَلِي قيسُ بن عاصم على عهد رسول الله ﷺ صَدَقاتِ بني مُقَاعِس والبُطونِ كلِّها، وكان الزِّبْرِقان بن بَدْرٍ قد وَلِي صَدَقات عوف والأبناء[3]. فلما تُوُفّي رسولُ الله ﷺ وقد جمع كلُّ واحد من قيس والزِّبْرِقان صَدَقاتِ مَنْ وَلِيَ صدقَته دسّ إليه الزِّبْرقانُ مَنْ زَيّن له المَنْع لما في يده وخَدَعه بذلك، وقال له: إنّ النبيّ ﷺ قد تُوُفّي، فهَلُمَّ نجمع هذه الصدقةَ ونجعلها في قومنا؛ فإن استقام الأمرُ لأبي بكر وأدّتِ العربُ إليه الزكاة جمعنا له الثانيةَ. ففرّق قيس الإبلَ في قَوْمه؛ فانطلق الزِّبرقان إلى أبي بكر بسبعمائة بعير فأدّاها إليه، وقال في ذلك:

وَفَيْتُ بأذوادِ النبيّ محمدٍ وكنتُ امرأً لا أُفْسِدُ الدِّينَ بالغَدْرِ[4]

فلمّا عرف قيسٌ ما كادَه به الزبرقان قال: لو عاهد الزِّبْرقانُ أُمّه لَغَدَرَ بها.

أسباب سيادته

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا الحارث بن أسامة قال حدّثنا المدائنيّ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ثعلبٌ على ابن الأعرابيّ قال:

قيل لقيس بن عاصم: بماذا سُدْتَ؟ قال: بِبَذْلِ النَّدَى، وكَفِّ الأذَى، ونَصْرِ المَوَالِي[5].

[٧٧/١٤] / نصيحته لبنيه

أخبرني وكيعٌ قال حدثنا العُمَري عن الهيثم قال:

كان قيسُ بن عاصم يقول لبنيه: إيّاكم والبَغْيَ؛ فما بَغَى قومٌ قطُّ إلا قَلُّوا وذَلُّوا. فكان بعضُ بَنِيه يَلْطِمُه[6] قومُه أو غيرُهم فينهى إخوتَه عن أن ينصروه.

حديث له مع رسول الله ﷺ في المال

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدّثنا الحارث عن المدائني عن ابن جُعْدُبة: أنّ قيس بن عاصم قال:

أتيتُ رسول الله ﷺ، فرحّب بي وأدناني؛ فقلت: يا رسول الله، المالُ الذي لا يكون عليَّ فيه تَبِعةٌ ما ترى في

(١) حباه: أعطاه بلا جزاء ولا مَنّ، أو هو عام. والمصدق: آخذ الصدقات، والمتصدق: معطيها. والأطلس هنا: اللص الخبيث.
(٢) النهبى: اسم للمنهوب، كالنهبة بالضم.
(٣) الأبناء، هم خمسة من ولد سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم عبد شمس ومالك وعوف وعوانة وجشم.
(٤) الذود: ثلاثة أبعرة إلى العشرة، وقيل غير ذلك، والجمع أذواد.
(٥) في «أمالي» السيد المرتضى ١: ٧٦ «ونصر الولي».
(٦) في «أمالي» السيد المرتضى: «يظلمه».

إمساكه لِضَيْفٍ إن طَرَقني، وعِيالٍ إنْ كَثُروا عليَّ؟ فقال: «نِعْمَ المالُ[١] ـ الأربعون، والأكثرُ الستّون، ووَيلٌ لأصحاب المِئين ـ ثلاثاً ـ إلا مَنْ أعطى من رِسْلِها[٢] وأطرَقَ[٣] فَحْلَها، وأفقر ظَهْرَها[٤]، ومَنَح غَزيرَتَها[٥]، وأطعم القانِعَ والمُعْتَرَّ[٦]». فقلت له: يا رسولَ الله، ما أكرمَ هذه الأخلاقَ! إنه لا يُحَلُّ بالوادي الذي أنا فيه من كَثْرتها. قال: «فكيف تصنع في الإطراق؟» قلت: يغدو الناس، فمَنْ شاء أن يأخُذَ برأسِ بَعِيرٍ ذَهَب به، قال: «فكيف تصنع في الإفقار؟» فقلت إنّي لأفقِرُ النابَ[٧] المُدبرةَ والضَّرَعَ[٨] الصغيرة. قال: «فكيف تَصْنَع في المَنيحة؟»[٩] قلت: إني لأمنح في السَّنَة المائة. قال: «إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أوْ لبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فأبقَيْتَ».

/ خبره مع الحوفزان [٧٨/١٤]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ حدّثنا أبو غَسّان دَماذ عن أبي عُبَيْدَةَ قال:

قيسُ بن عاصم هو الّذي حَفَز الحَوْفَزَانَ بن شَرِيكٍ الشَّيْباني، طَعَنه في اسْتِه في يوم جَدُود[١٠].

وكان من حديث ذلك اليوم أنّ الحارث بن شَرِيك بن عمرو الصُّلْب بن قَيْس بن شَرَاحِيل بن مُرَّةَ بن هَمَّام كانت بينه وبين بني يَرْبُوع مُوَادعةٌ، ثم هَمَّ بالغدر بهم، فجمع بني شَيْبَان[١١] وبني ذُهْلٍ واللَّهازِمَ: قَيْسَ بن ثَعْلبةَ وتَيْمَ الله بن ثَعْلبةَ وغيرهم، ثم غزا بني يربوع، فَنذِرَ[١٢] به عُتَيبةُ بن الحارث بن شِهَاب بن شَرِيكٍ، فنادى في قومه بني جعفر بن ثَعْلبةَ من بني يَرْبُوع[١٣] فوَادَعه. وأغار الحارثُ بن شريكٍ على بني مُقَاعِس وإخوتهم بني رُبَيْع فلم يُجيبوهم[١٤]، فاستصرخوا بني مِنْقَرٍ فركبوا حتّى / لَحِقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم [٧٩/١٤]

(١) أكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم.

(٢) الرسل: اللبن.

(٣) أطرقه فحله: أعاره إياه ليضرب في إبله.

(٤) الظهر: الإبل التي يحمل عليها ويركب. وأفقره بعيره: أعاره إياه يركب ظهره في سفر أو يحمل عليه ثم يرده.

(٥) منح غزيرتها: أعطاها من يحلبها ويردّها.

(٦) القانع هنا: الذي يسأل، والمعتر: المتعرض للمعروف من غير أن يسأل.

(٧) الناب: الناقة المسنة. والمدبرة: الهرمة، التي هرمت فأدبر خيرها.

(٨) الضرع: الصغير من كل شيء، أو الصغير السن الضعيف الضاوي النحيف. وككتف: الضعيف.

(٩) في ب، س: «المليحة» وهو تحريف.

(١٠) جدود: اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت اليمامة، فيه الماء الذي يقال له الكلاب، وكان فيه وقعتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب. اقرأ حديث يوم جدود أيضاً في «العقد الفريد» (٣: ٧٢).

(١١) شيبان: حي من بكر بن وائل، وهما شيبانان: أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة. واللهازم، هم قيس بن ثعلبة بن عكابة، وتيم الله ـ أو تيم اللات ـ بن ثعلبة بن عكابة، وعجل بن لجيم، وعنزة بن أسد بن ربيعة ـ انظر «العقد الفريد» (٣: ٦٨)، و «لسان العرب». وفي الأصول «واللهازم وقيس بن ثعلبة» بزيادة الواو وهو خطأ.

(١٢) نذر به كفرح: علمه فحذره. وفي ب، س «عتبة بن الحارث».

(١٣) وذلك أن الحوفزان لما انتهى إلى جدود منعتهم بنو يربوع أن يردوا الماء ـ ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب ـ فقاتلوهم، فلم يكن لبني بكر بهم يد، فصالحوهم على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم، وعلى أن يخلوهم يردون الماء، فقبلوا ذلك وأجازوهم، فبلغ ذلك بني سعد، فقال قيس بن عاصم في ذلك: جزى الله يربوعاً .. الأبيات الآتية (انظر «العقد الفريد» «يوم جدود»).

(١٤) كذا في الأصل، والظاهر أن في الكلام نقصاً. وبنو ربيع (كزبير) هم بنو ربيع بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة، وجاء في «النقائض» ص ١٤٥ طبع أوربة (بعد أن أورد خبر موادعته بني يربوع): «فمضى إلى بني سعد فأغار على ربيع بن الحارث =

١٥٣/١٢ قائلون[١] / في يومٍ شديدِ الحَرِّ. فما شَعَر الحَوْفَزانُ إلاّ بالأهتم بن سُمَيّ بن سِنَان بن خالد بن مِنْقَرٍ - واسم الأهتم سنان - وهو واقف على رأسه، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتم: مَنْ أنت؟ فانتسب له، وقال: هذه مِنقر قد أتتك. فقال الحوفزان: فأنا الحارث بن شريك! فنادى الأهتم: يا آل سعد! ونادى الحوفزان: يا آل وائل! وحمل كلُّ واحد منهما على صاحبه، ولحِقت بنو مِنْقَرٍ، فاقتتلوا أشدّ قتال وأبرحه[٢]، ونادت نساء بني رُبَيِّع: يا آل سعد! فاشتدّ قتال بني منقر لصياحهن، فهُزِمتْ بكرُ بن وائل، وخَلَّوْا مَنْ[٣] كان في أيديهم من بني مُقَاعِس، وما كان في أيديهم من أموالِهم، وتَبِعتهم بنو مِنْقَرٍ بين قَتْلٍ وأسْرٍ؛ فأسَر الأهتمُ حُمْرَان بن عَبْدِ عمرو[٤]، وقصد قيسُ بن عاصم الحوفزانَ، ولم يكن له هِمّة غيرُه، والحارث على فرس له قارح[٥] يُدْعَى الزَّبِد، وقيس على مُهْرٍ، فخاف قيس أن يسبقه الحارث، فَحَفزه بالرُّمْح في اسْتِه، فَتَحَفَّزَ به الفرسُ فنجا، فسُمِّي الحَوْفَزَان. وأطلق قيس أموالَ بني مُقَاعِس وبني رُبَيِّع وسَبَاياهم، وأخذ أموالَ بكر بن وائل وأسَاراهم.

أبياته التي قالها في يوم جدود

وانتقضت طعنة قيس على الحَوْفزان بعد سَنةٍ فمات. وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم:

جَـزَى الله يَـرْبـوعـاً بـأسـوأ فِعْلِهـا[٦] — إذا ذُكِـرتْ فـي النـائبـاتِ أمـورُهـا

/ ويـومَ جَـدُودٍ قـد فضحتـم ذِمـارَكـم[٧] — وسـالَمْتُـمُ والخيـلُ تَـدْمَـى نُحورُهـا

سَتَخطِـمُ سعـدٌ والـرِّبـابُ أنـوفَكـم — كمـا حـزَّ فـي أنـف القَضِيـب جَريرُهـا[٨]

[١٤/٨٠]

وقال سَوّار[٩] بن حَيّان المِنْقَرِيُّ:

ونحـن حَفَـزنـا الحـوفـزانَ بطَعْنـةٍ — سَقَتْـه[١٠] نَجيعـاً مـن دَمِ الجَـوْفِ أشْكَـلاَ[١١]

وحُمْـرانُ قَسْـراً أنـزلَتْـه رِمـاحُنـا — فعَـالَـجَ غُـلاًّ فـي ذِرَاعَيْـهِ مُقْفَـلاَ

إغارته على اللهازم يوم النباج وثيتل وما قال ابنه علي في ذلك اليوم

= فأصاب نسوة وهم خلوف وأصاب إبلاً، فإن الصريخ بني سعد، فركب قيس بن عاصم في بني سعد...».

(١) القائلة: نصف النهار، وقال: نام في القائلة، فهو قائل.

(٢) أبرحه: أشدّه وأشقه.

(٣) في الأصول: «ما كان» تحريف.

(٤) في «العقد الفريد»: «حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد». وفي «لسان العرب» مادة (حفز): «حمران بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد».

(٥) قرح الفرس قروحاً: إذا ألقى أقصى أسنانه، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة. والزبد ككتف (كما في «القاموس المحيط»).

(٦) في «النقائض» و «العقد» «سعيها».

(٧) الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته. وفي «معجم البلدان» و «العقد الفريد» و «النقائض»: «قد فضحتم أباكم»؛ يعني ما كان منهم من موادعة الحوفزان، وقد تقدّم خبرها.

(٨) خطمه: ضرب أنفه، والرباب: خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة، وهم ضبة وثور وعكل (كقفل) وتيم وعديّ، والقضيب: الناقة التي لم ترض. والجدير: الزمام.

(٩) كذا في «الأصول» و «أمالي» السيد المرتضى ١ : ٧٧ و «النقائض». وفي «العقد الفريد»: «سويد».

(١٠) في «العقد الفريد» و «النقائض»: «تمج تجيعاً».

(١١) حفزه بالرمح طعنه. والنجيع من الدم: ما كان إلى السواد، أو دم الجوف. والأشكل: ما يخلط سواده حمرة.

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضاً على اللهازم، فتبعه بنو كَعْب بن سعد بالنَّبَاج وثَيْتَل[١]، فتخوَّف أن يَكْرَه أصحابُه لقاءَ بكر بن وائل، وقد كان يَتَنَاجَوْن[٢] في ذلك، فقام ليلاً فشقَّ مَزادَهم[٣]، لئلا يَجِدُوا بُدًّا من لِقاء العدوّ، فلما فَعَل ذلك أذعنوا بلقائهم وصَبَروا له، فأغار عليهم، فكان أشهَرُ يوم يومَ ثَيْتَل لبني سعد، وظَفِر قيسٌ بما شاء، وملا يديه من أموالهم وغنائمهم. وفي ذلك يقول ابنه عليّ[٤] بن قيس بن عاصم:

/ أنا ابنُ الذي شقَّ المَزادَ وقد رأى ... بثَيْتَلَ أحياءَ اللَّهازم حُضَّرَا [٨١/١٤]

فصَبَّحَهم بالجيش قيسُ بنُ عاصمٍ ... وكان إذا ما أورد الأمرَ أصْدَرا[٥]

قتاله عبد القيس

قال: وأغار قيسٌ أيضاً ببني سعد على عبد القَيْس، وكان رئيس بني سَعْدٍ يومئذٍ سِنَان بن خالد، وذلك بأرض البَحْرَيْنِ، فأصابوا ما أرادوا، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فُعِل بهم بالمُشَقَّر[٦] حين أُغلق عليهم بابه فامتنعوا، فقال في ذلك سوّار بن حيان:

فيا لَكَ من أيامِ صِدْقٍ أعُدُّها ... كيومِ جُؤاثَى والنِّباجِ وَثَيْتَلا[٧]

كان رئيس بني سعد يوم الكلاب الثاني

قال: وكان قيسُ بن عاصم رئيسَ بني سعد يوم الكُلابِ[٨] الثاني، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يَغُوثَ بن وَقَّاص بن صَلاءَةَ الحارثيّ حين أسَره عِصْمةُ بن أُبَيْر التَّيْميّ / ودَفَعه إلى الأهتم، فرفع قيسٌ قَوْسَه فضرَب فَمَ الأهتم بها فهَتَم أسنانه؛ فيومئذ سُمِّي الأهتم. [١٥٤/١٢]

ما قاله لأولاده حين حضرته الوفاة

أخبرنا هشام بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا دَمَاذ عن أبي عُبَيدةَ، وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال:

---

(١) في ب وس. «نبتل» وفي جـ: «ثبتل» تصحيف. والنباج: موضع من البصرة على عشر مراحل. وثيتل: ماء قرب النباج، وبهما يوم من أيام العرب مشهور لتميم على بكر بن وائل كما رأيت.

(٢) يتناجون: يتسارّون.

(٣) المزادة: الراوية التي يحمل فيها الماء. قال أبو عبيد: لا تكون إلا من جلدين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع، سميت بذلك لمكان الزيادة.

(٤) وبه يكنى «أبا علي». وفي «معجم البلدان»: «قال قرّة بن قيس بن عاصم». وفي «العقد الفريد»: «مرة».

(٥) رواه «معجم البلدان» و «العقد الفريد»:

فصبحهم بالجيس قيس بن عاصم ... فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا

سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم ... وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا

والذيفان، بالفتح ويكسر: السم القاتل.

(٦) المشقر: حصن عظيم بالبحرين لعبد قيس، يلي حصناً لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر، وفيه يقول يزيد بن مفرغ الحميري:

* وجاورت عبد القيس أهل المشقر *

وفيه حبس كسرى بني تميم، وقد أوقع بهم فأخذ الأموال وسبى الذراريّ بمدينة هجر. لأنهم أغاروا على لطيمة (أي عير)، له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير.

(٧) جؤاثي ويقال له (جواثي وجواثاء): حصن لعبد القيس بالبحرين.

(٨) الكلاب: اسم ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة. وللعرب فيه يومان مشهوران: هما الكلاب الأوّل، والكلاب الثاني.

حدّثنا أحمد بن الهيثم بن عَدِيٍّ قال:

[٨٢/١٤] / جَمَع قيسُ بن عاصمٍ وَلَدَه حين حضرتْه الوفاة وقال: يا بَنِيَّ، إذا مُتُّ فسَوِّدُوا كِبارَكم، ولا تُسَوِّدُوا صِغارَكم فيُسَفِّهَ الناسُ كبارَكم. وعليكم بإصلاح المالِ فإنّه مَنْبَهةٌ للكريم، ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم. وإذا مُتُّ فادفِنوني في ثيابي التي كنت أصَلِّي فيها وأصوم. وإياكم والمسألةَ فإنّها آخِرُ[1] مكاسبِ العبد؛ وإنَّ امرأ لم يسأل إلّا ترك مكسبه. وإذا دفنتموني فأخفُوا قبري عن هذا الحيّ من بَكْرِ بن وائلٍ؛ فقد كان بيننا خُمَاشاتٌ[2] في الجاهليّة. ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوَتَرٍ، ثم قال: اكسِروها فلم يستطيعوا، ثم قال: فرِّقوا. ففرَّقوا، فقال: اكسِروها سهما سهما، فكسروها. فقال: هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفُرْقة. ثم قال:

إنمـا المجدُ مـا بَنَـى والـدُ الصِّدْ ... قِ وأحيـا فَعـالَـه المـولـودُ

وتَمـامُ الفضـلِ الشجـاعـةُ والحِلْـ ... ـمُ إذا زانَـه عَفَـافٌ وجُـودُ

وثـلاثـون يـا بَنـيَّ إذا مـا ... جَمَعتْهـم فـي النائبـاتِ العُهـودُ

كثـلاثيـن مـن قِـدَاحٍ إذا مـا ... شَـدَّهـا للزمـان قِـدْحٌ شـديـد

لـم تَكَسَّـرْ وإن تَفـرّقَـتِ الأسْـ ... ـهُـمُ أوْدَى بجمعِهـا التبـديـد

وذوو الحلـمِ والأكـابـرُ أولَـى ... أن يُـرَى منكُـمُ لهـم تسـويـدُ

وعليكـمْ حِفْـظَ الأصـاغِـر حتّـى ... يَبْلُـغَ الحِنْـثَ الأصغـرُ المجهـود[3]

[٨٣/١٤] / **رثاء عبدة بن الطبيب له**

ثم مات؛ فقال عَبْدَةُ بن الطَّبِيبِ يَرْثيه:

عليـكَ سـلامُ اللهِ قَيْـسَ بـنَ عـاصـمٍ ... ورحمتُـه مـا شـاء أن يَتَـرَحَّـمـا

تحيَّـةَ مَـنْ أوليتَـه منـك نعمـةً ... إذا زار عـن شَحْـطٍ بـلادَك سَلَّمـا

فمـا كـان قَيْـسٌ هُلْكُـه هُلْـكُ واحـدٍ ... ولكنّـه بُنْيـانُ قـومٍ تَهَـدَّمـا

تمثل هشام بن عبد الملك ببيت من أبيات عبدة في رثائه

أخبرني عُبيد الله بن محمد الرازيّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال:

لمّا مات عبد الملك بن مَرْوان اجتمع وَلَدُه حولَه، فبكى هشامٌ حتى اختلفتْ[4] أضلاعه، ثم قال: رَحِمك الله يا أميرَ المؤمنين! فأنت والله كما قال عَبْدة بن الطبيب:

ومـا كـان قيـسٌ هُلْكُـه هُلْـكُ واحـدٍ ... ولكنـه بُنْيـانُ قـوم تهـدَّمـا

(١) جاء في «الكامل» للمبرد: «أخر بقصر الهمزة لا غير، ومن رواه بالمد أخطأ. ومعنى أخر: أدنى وأرذل». وجاء في «لسان العرب»: «وفي الحديث: المسألة أخر كسب المرء، أي أرذله وأدناه. ويروى بالمد؛ أي إن السؤال آخر ما يكتسب به المرء عند العجز عن الكسب».

(٢) خماشات: جراحات وجنايات.

(٣) بلغ الغلام الحنث: أي الإدراك والبلوغ، أي بلغ مبلغ الرجال وجرى عليه القلم فكتب عليه الحنث (أي المعصية والإثم) والطاعة.

(٤) اختلفت: اضطربت.

فقال له الوليد: كذبتَ يا أحولُ يا مشئوم، لسنا كذلك، ولكنّا كما قال الآخر:

إذَا مُقْــرَمٌ مِنّــا ذَرَا حَــدُّ نــابِــه ... تَخَمَّــطَ فينــا نــابُ آخَــرَ مُقْــرَمِ[1]

هو وعبدة بن الطبيب

أخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ المُهَلَّبي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال:

كان بين قيس بن عاصم وعَبْدَة بن الطَّبيبِ لِحاءٌ، فهجره قيسُ بن عاصم، ثم حَمَل عَبْدةُ دماً في قومه، فخرج يسأل فيما تَحَمَّله، فجمعَ إبلاً، ومرَّ به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدِّيَة، فقال: فيمَ يسأل عَبْدة؟ فأُخبر؛ فساق إليه الديةَ كاملةً / من ماله، وقال: قولوا له لِيَسْتَمْتِعْ[2] بما صار إليه، وليَسُقْ هذه / إلى القوم. فقال عَبْدةُ: [١٤/٨٤] ١٥٥/١٢ أمَا والله لولا أنْ يكون صُلْحِي إيَّاه بعَقِب هذا الفِعْل عاراً عليّ لصالحتُه، ولكني أنصرف إلى قوميَ ثم أعود فأصالحه. ومضى بالإبل ثم عاد، فوجد قيساً قد مات، فوقف على قبره وأنشأ يقول:

عليــكَ ســلامُ الله قَيْــسَ بْــن عــاصِــمٍ ... ورحمتُــه مــا شــاء أنْ يتــرحَّمــا

الأبيات.

سبب تحريمه الخمر على نفسه

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهَر قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحَدَثان وهشامُ بن الكلبيّ عن أشياخهما:

أنّ قيسَ بن عاصم المِنْقَرِيّ سَكِر من الخمر ليلةً قبل أن يُسْلم، فغَمَز عُكْنَةَ[3] ابنتِه ـ أو قال أُخته ـ فهربتْ منه. فلمّا صحا منها، فقيل له: أوَ مَا علمتَ ما صنعتَ البارحة؟ قال: لا. فأخبروه بصُنْعه، فحرَّم الخمر على نفسه، وقال في ذلك:

وجــدتُ الخمــرَ جــامحــةً وفيهــا ... خِصَــالٌ تَفْضَــحُ الــرَّجُــلَ الكــريمــا

فــلاَ واللــهِ أشْــرَبُهــا حَيــاتِــي ... ولا أدعــو لهــا أبــداً نَــدِيمَــا

ولا أُعْطِــي بهــا ثمنــاً حيــاتــي ... ولا أُشْفــى بهــا أبــداً سقيمــا

فــإنَّ الخمــر تَفْضَــحُ شَــارِبِيهــا ... وتُجْشِمُهُــمْ بهــا أمــراً عظيمــا[4]

إذا دارتْ حُمَيّــاهــا تَعَلَّــتْ ... طَــوَالِــعُ تُسْفِــهُ الــرَّجُــلَ الحليمــا[5]

---

(١) البيت لأوس بن حجر («اللسان» مادة خمط، وقرم). ومقرم: سيد، وهو في الأصل: البعير المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة والضراب؛ سمي به السيد الرئيس من الرجال تشبيهاً بالمقرم من الإبل لعظم شأنه وكرمه عندهم. وذرا نابه ذرواً: انكسر حدّه أو سقط ووقع. والتخمط: الأخذ والقهر بغلبة. أراد: إذا هلك منا سيد خلفه آخر. وفي ب، س: «تحمط» وهو تصحيف.

(٢) في الأصول: «ليستنفع» وهو تحريف.

(٣) العكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً.

(٤) جشم (كسمع) الأمر وتجشمه: تكلفه على مشقة، وأجشمه إياه.

(٥) حمياها: سورتها وشدتها وإسكارها. تعلى: علا في مهلة.

[٨٥/١٤] / أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال:

قال الزِّبْرِقان: إنّ تاجراً دِيافِيّاً[1] مرّ بحِمْل خمرٍ على قَيْس بن عاصم فنزل به، فقال قيس: اصْبَحْني قَدَحاً؛ ففعل. ثم قال له: زِدني، فقال له: أنا رجلٌ تاجرٌ طالبُ ربحٍ وخير، ولا أستطيع أن أسقيك بغير ثمن. فقام إليه قيس فربطه إلى دَوْحةٍ في داره حتى أصبح، فكلّمته أُخته في أمره، فلَطَمها وخَمَش وَجْهَها ـ وزعموا أنّه أرادها على نفسها ـ وجعل يقول:

وتـاجـرٍ فـاجـرٍ جـاء الإلـهُ بـه ... كـأنّ لِحْيَتَـه أذنـابُ أجمـالِ

فلما أصبح قال: مَنْ فَعَل هذا بضَيْفِي؟ قالت له أُخته: الذي صنعَ هذا بوجهي، أنت والله صنعتَه، وأخبرته بما فعل. فأعطى الله عهداً ألاّ يشربَ الخمر أبداً. فهو أوّل عربيٍّ حَرَّمها على نفسه في الجاهليّة، وهو الذي يقول:

فـواللـهِ لا أحسـو يَـدَ الـدَّهْـرِ خمـرةً ... ولا شَـرْبـةً تُـزْرِي بِـذي اللُّـبِّ والفخـرِ[2]

فكيـف أذوق الخمـر والخمـرُ لـم تَـزَلْ ... بصـاحِبِهـا حتـى تكَسَّـعَ فـي الغَـدْرِ[3]

وصـارتْ بـه الأمثـالُ تُضْـرَبُ بَعْـدَمـا ... يكـونُ عميـدَ القـومِ فـي السِّـرِّ والجَهْـرِ

وَيَبْـدُرُهـمْ فـي كـلِّ أمـرٍ يَنُـوبُهـم ... ويَعْصِمُهـم مـا نـابَهـم حـادثُ الـدَّهْـرِ

فيـا شـارب الصَّهْبـاء دَعْهَـا لأهلهـا الـ ... ـغُـواةِ وسَلِّـمْ للحسيـم مـن الأمـرِ

فـإنَّـك لا تَـدْري إذا مـا شَـرِبْتَهـا ... وأكثـرتَ منهـا مـا تَـرِيشُ ومـا تَبْـرِي[4]

[٨٦/١٤] / قصته مع امرأته وقد فارقته لإسلامه

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال حدّثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المُبارَكيّ قال أخبرني المدائني عن مَسْلَمَة بن مُحارِب قال:

قال الأحنف بن قيس: ذكرتُ بلاغَة النساء عند زِيَادٍ، فحدّثته أنّ قيس بن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بني حنيفَة، فأبى / أهلها وأبوها أن يُسْلِمُوا وخافوا إسلامَها، فاجتمعوا إليها وأقسموا إنّها إن أسلمتْ لم يكونوا معها في شيءٍ ما بقيت. فطالبتْ قيساً بالفُرْقة، ففارقها، فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ: أمَا والله لقد صَحِبْتِني سَارّة، ولقد فارقْتِني غيرَ عارَّة[5]، لا صُحْبَتُكِ مملولة، ولا أخلاقُكِ مذمومة، ولولا ما اخترتِ ما فرَّق بيننا إلاّ الموتُ، ولكنّ أمر الله ورسوله ﷺ أحقُّ أن يُطاع. فقالت له: أُنبئتُ بحَسَبِكَ وفَضْلِك، وأنت واللهِ إن كنتَ للدَّائمَ المحبة، الكثيرَ المودّة، القليلَ اللائمة، المُعْجِبَ الخلوة، البعيدَ النَّبْوة. ولتَعلمنَّ أنّي لا أسكن بعدك إلى زوج. فقال قيس: ما فارقتْ نفسي شيئاً قطُّ فَتَبِعْته كما تَبِعَتْها.

١٥٦/١٢

كان يكنى أبا عليّ

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدّثني أبو فِراس قال:

---

(١) ديافي: نسبة إلى دياف، وهي قرية بالشام وأهلها نبط الشام، تنسب إليها الإبل والسيوف، وإذا عرّضوا برجل أنه نبطي نسبوه إليها.

(٢) يد الدهر: مدّ زمانه. وفي الأصول: «بذا الدهر» وهو تحريف.

(٣) تكسع في ضلاله: تمادى، كتسكع.

(٤) راش السهم يريشه: ألزق عليه الريش. وقولهم: فلان لا يريش ولا يبري، أي لا يضر ولا ينفع.

(٥) عرّه بمكروه: أصابه به، وعرّه: ساءه.

كان قيسُ بن عاصم يُكْنَى أبا عليٍّ، وكان خاقان بن الأَهْتَم إذا ذكره قال: بَخٍ! مَنْ مِثْلُ أبي عليٍّ!

يُطِيفُونَ عُمَّاراً ببيتِ مُحَرَّمٍ ... تُطِيفُ به كَعْبُ بنُ سعدٍ كأنّما[1]

/ **بعض صفات قومه بني منقر** [١٤/٨٧]

وقال عَلّان بن الحسن الشُّعوبي: بنو مِنْقَرٍ قومٌ غُدُرٌ، يقال لهم[2] الكَوَادِن، ويُلَقَّبُون أيضاً أعرافَ البِغال، وهم أسوأ خَلْقِ الله جِواراً، يسمُّون الغدر كَيْسانَ[3]، وفيهم بخلٌ شديد.

وصيته لبنيه بحفظ المال

وأوصى قيس بن عاصم بنِيه، فكان أكثرَ وصيَّته إيَّاهم أن يحفظوا المالَ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً. وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النَّمِر بن تَوْلَب:

يا منقرُ بنَ عُبَيْدٍ إنَّ لُؤْمَكُمُ ... مُذْ عَهْدِ آدَمَ في الدِّيوانِ مكتوبُ

للضَّيْفِ حَقٌّ على مَنْ كان ذا كرمٍ ... والضَّيْفُ في مِنْقَرٍ عُرْيانُ مسلوبُ

وقال النمر بن تولب يذكُر تسميتهم الغَدْرَ كَيْسانَ في قصيدة هجاهم بها:

إذا ما دَعَوْا كَيْسَانَ كانتْ كُهُولُهمْ ... إلى الغَدْرِ أَدْنَى من شَبَابِهِمُ المُرْدِ

قال: وهذا شائع في جميع بني سَعْد[4]، إلا أنهم يتدافعونه إلى بني مِنْقَر، وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سِنَان بن خالد بن مِنْقَر، وهو جَدُّ قيس بن عاصم.

وفوده على النبي مع عمرو بن الأهتم وتهاترهما أمامه

وحكى ابن الكلبي أنّ النبي ﷺ لمَّا افتتح مكّة قَدِمتْ عليه وفودُ العرب، فكان فيمن قَدِم عليه قيسُ بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عَمِّه، فلمّا صارا عند النبي صلّى الله عليه وسلّم تَسَابَّا وتَهَاتَرَا[5]؛ فقال قيس لعمرو بن الأهتم: والله يا رسولَ الله ما هُمْ منّا، وإنهم لمن أهل الحيرة. فقال عمرو بن الأهتم: بل هو والله يا رسولَ الله من الروم وليس منا. ثم قال له:

/ ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباءِ تَشْتِمُني ... عند الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ [١٤/٨٨]

الهَلْباء يعني استه، يعيره بذلك، وبأن عانته وافية.

إن تُبْغِضُونا فإنَّ الرُّومَ أصلُكُمُ ... والرُّومُ لا تملِكُ البغضاءَ للعَرَبِ

---

(١) في الأصول: «ببيت عرمرم» وهو تحريف. وعماراً: أي معتمرين، من العمرة، وهي الحج الأصغر. والفرق بينها وبين الحج أن العمرة الطواف بالبيت الحرام والسعي بين الصفا والمروة فقط، والحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة، وأن العمرة تكون في السنة كلها، والحج لا يكون إلا في أشهر الحج: شوّال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة.

(٢) الكوادن: جمع كودن، وهو البغل والبرذون والفيل، ويشبه به البليد.

(٣) في ب، س: «وكيسان» بالواو؛ وهو خطأ.

(٤) بنو سعد أخو النمر بن تولب. والبيت في «اللسان» (كيس)، وقبله:

إذا كنتَ في سعدٍ وأمكَ منهمُ ... غريباً فلا يغررك خالك من سعد

(٥) تهاترا: تسابا بالباطل.

سُدْنا فسُودَدُنا عَوْدٌ وسُودَدُكُم مُؤَخَّرٌ عند أصلِ العَجْبِ والذَّنَبِ[(١)]

قال: وإنّما نسبه إلى الرُّوم لأنه كان أحمرَ. فيقال: إنّ النبي ﷺ نهاه عن هذا القول في قَيْسٍ، وقال: إن إسمعيل بن إبراهيم ـ صلّى الله عليهما وسلم ـ كان أحمرَ. فأجابه قيس بن / عاصم فقال:

١٥٧/١٢

ما في بَني الأهْتَمِ من طائلٍ يُرجَى ولا خَيرٍ لَهُ يَصْلُحونْ

قُلْ لبني الحِيريّ مَخْصوصةً تُظْهِرُ منهم بعضَ ما يَكْتُمونْ

لولاَ دِفاعي كنتُمُ أعْبُداً مَسْكَنُها الحِيرةُ فالسَّيْلَحونْ[(٢)]

جاءت بكم عَفْرةُ من أرْضِها حِيرِيّةً ليست كما تزعُمونْ

في ظاهرِ الكَفِّ وفي بَطنِها وَسْمٌ[(٣)] من الدَّاء الذي تَكْتُمونْ

ارتداده

وذكر عَلّان أنّ قَيْساً ارتدَّ بعد النبيِّ ﷺ عن الإسلام، وآمن بسَجَاحٍ، وكان مُؤَذِّنَها، وقال في ذلك:

أضحتْ نَبيَّتُنا أُنْثَى نُطِيفُ بها وأصبحتْ أنبياءُ اللّه ذُكْرانا

قال: ثم لمّا تزوّجت سَجَاحِ بمُسَيْلِمَةَ الكذّاب الحَنَفيّ وآمنت به آمن به قيسٌ معها. فلمّا غزا خالد بن الوليد اليمامةَ وقتل اللهُ مسيلمةَ أخذَ قَيْسَ بن عاصم أسيراً، فادّعى عنده أنّ مُسَيْلِمَة أخذ ابناً له، فجاء يطلبُه. فأحلفه خالد على ذلك، فحلف فخلّى سبيله، ونجا منه بذلك.

[٨٩/١٤] / قصته مع عبادة بن مرثد

قال: ومما يُعَيَّرون به أنّ عُبَادة بن مَرْثَدِ بنِ عمرو بن مَرْثَد أسَرَ قَيْسَ بن عاصمٍ وسَبَى أمَّه وأختيه يوم أبْرَقِ الكِبريت[(٤)]، ثم مَنَّ عليهم فأطلقهم بغير فِداء، فلم يُثِبْه قيسٌ ولم يَشْكُرْه على فِعْلِه بقَوْلٍ يبلُغه. فقال عبادة في ذلك:

على أبْرَقِ الكِبْريتِ قيسَ بنَ عاصمٍ أسَرْتُ وأطرافُ القَنا قِصَدٌ حُمْرُ[(٥)]

مَتَى يَعْلَقِ السَّعْدِيُّ منكَ بذِمَّةٍ تَجِدْهُ إذا يَلْقَى وشِيمَتُه الغَدْرُ

قال: وكان قيسُ بن عاصم يسمَّى في الجاهلية الكَوْدَنَ.

قصته مع زيد الخيل

وكان زيدُ الخيل الطائيّ خَرَج عن قَوْمه وجاوَرَ بني مِنْقَرٍ، فأغارت عليهم بنو عِجْلٍ وزيدٌ فيهم، فأعانهم وقاتل بني عِجْل قتالاً شديداً، وأبلى بلاءً حسناً، حتى انهزمتْ عجل؛ فكَفَر قيس فِعْلَه وقال: ما هَزَمهم غَيْري. فقال زيد

(١) العجب: أصل الذنب ومؤخر كل شيء.
(٢) السيلحون: بلد قرب الحيرة بين الكوفة والقادسية.
(٣) في «معجم البلدان»: «وشم».
(٤) أبرق الكبريت: موضع كان به يوم من أيام العرب.
(٥) قصد: قطع، جمع قصدة كقطعة.

الخيل يعيِّره ويُكَذِّبه في قصيدة طويلة:

ولستُ بوَقَّافٍ إذا الخيلُ أجْحمتْ ... ولستُ بكَذَّابٍ كقَيْسِ بنِ عاصِمِ[1]

إسلامه

ومما روى قيس بن عاصم عن النبيِّ ﷺ: حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلْخِيّ قال: حدّثنا أبو خَيْثَمَة زُهَيْر بن حَرْب قال: حدّثنا وكيع قال: حدثنا سُفيان الثَّوْرِيّ عن الأغرِّ المِنقَرِيِّ عن خَلِيفةَ بن حُصَيْن بن قَيْسِ بن عاصم عن أبيه عن جَدِّه أنّه أسلمَ على عهد النبيِّ ﷺ، فأمره النبي عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدْرٍ.

/ حديثه مع رسول الله ﷺ [١٤/٩٠]

وحدّثنا حامد قال حدّثنا أبو خيثمة قال حدّثنا جريرٌ عن المُغيرة عن أبيه شُعْبَةَ عن التَّوْءَم قال: سأل قيسُ بن عاصم رسولَ الله ﷺ عن الحلف، فقال: «لا حِلْفَ[2] في الإسلام، ولكن تَمَسَّكُوا بحِلْفِ الجاهلية».

أخبرني عَمِّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سَعد قال: حدّثنا ابن عائشة قال: حدّثني رجلٌ من الرَّباب قال: ذكر رجلٌ قَيْسَ بن عاصمٍ عند النبي ﷺ فقال: لقد هممتُ أنْ آتِيَه فأفعلَ به وأصْنَعَ به، كأنه تَوَعَّده. فقال / له النبي ﷺ «إذاً تَحُولُ سَعْدٌ دونَه بِكَرَاكِرِها»[3]. [١٥٨/١٢]

قال: ولما مات قيسٌ رثاه مِرْداس[4] بن عَبْدَة بن مُنَبِّه فقال:

وما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ ... ولكنّه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما

/ صوت [١٤/٩١]

خُذْ مِنَ العَيْشِ ما كَفَى ... ومِنَ الدَّهْرِ ما صَفَا

حَسُنَ الغَدْرُ في الأنَا ... مِ كما اسْتُقْبِحَ الوَفَا

صِلْ أخا الوَصْلِ إنّه ... ليس بالهَجْرِ مِنْ خَفَا

عَيْنُ مَنْ لا يُرِيدُ وَصْـ ... ـلَكَ تُبْدِي لَكَ الجَفَا[5]

الشعر لمحمد بن حازم الباهليّ، والغناء لابن القَصَّار الطُّنْبُورِيّ، رمَلٌ بالبِنْصَر. أخبرني بذلك جحظة.

---

(١) أحجم عنه: كف، كأحجم، وفي الأصول «أجمحت» وهو تحريف ـ انظر هذا الخبر في «الأغاني» ١٦: ٥٦ ساسى ـ.

(٢) جاء في «النهاية في غريب الحديث والأثر» ج ١: ص ٢٤٩: «لا حلف في الإسلام: أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق. فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله ﷺ: «لا حلف في الإسلام»، وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذي قال فيه ﷺ: «وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة» يزيد: من المعاقدة على الخير ونصرة الحق. وبذلك يجتمع الحديثان. وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام. وقيل: المحالفة كانت قبل الفتح، وقوله «لا حلف في الإسلام» قاله زمن الفتح فكان ناسخاً».

(٣) كراكر: جمع كركرة، بكسر الكافين؛ وهي الجماعة من الناس.

(٤) تقدم أن هذا الشعر لعبدة بن الطبيب.

(٥) في ب: «من حفا». وفي س: «من جفا».

[٩٢/١٤]

/ أخبار محمد بن حازم ونسبه

نسبه وشيء من أخباره

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهليّ. ويكنى أبا جعفر. وهو من ساكني بَغْداد مولدُه ومَنْشَؤه البَصْرة. أخبرني بذلك ابن عَمّار أبو العبّاس عن محمد بن داوُد بن الجَرّاح عن حسن بن فَهْم.

وهو من شعراء الدولة العبّاسيّة، شاعر مطبوع، إلا أنه كان كثيرَ الهجاء للناس، فاطُّرح، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، ولا اتصل[1] بواحد منهم، فيكونَ له نباهةُ طَبَقته. وكان ساقط الهمّة، مُتَقَلِّلاً جداً، يُرْضيه اليسير، ولا يتصدّى لمدح ولا طلب.

قصته مع الطاهريّ

حدثنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسَد قال:

سمعت محمد بن حازم الباهليّ في منزلنا يقول: بعث إليّ فلانٌ الطّاهِريّ ـ وكنت قد هجوته فأفرطتُ[2] ـ بألف دينارٍ وثياب، وقال: أمّا ما قد مضَى فلا سبيلَ إلى رَدّه، ولكن أُحِبُّ ألا تزيدَ عليه شيئاً. فبعثت إليه بالألف الدينار[3] والثياب، وكتبتُ:

لا أَلْبَسُ النعماءَ مِن رجلٍ ... أَلبسْتُه عاراً على الدَّهْرِ

[٩٣/١٤] / خبره مع أحمد بن سعيد بن سالم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا أبو علي ـ وسقط اسمه من كتابي ـ قال قرأتُ في كتاب عَمّي:

قال لي محمد بن حازم الباهلي: مر بي أحمد بن سَعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلّم عليّ سلاماً أرضاه، فكتبتُ رُقْعَةً وأتبعته بها، وهي:

وباهِليٌّ من بني وائلٍ ... أفادَ مالاً بعد إفلاسِ

قَطَّبَ في وجْهيَ خَوْفَ القِرَى ... تَقْطِيبَ ضِرْغامٍ لَدَى البَاسِ

وأظهرَ التِّيهَ فتايَهْتُهُ ... تِيهَ امرىءٍ لم يَشْقَ بالنّاسِ[4]

أعَرتُه إعْراضَ مُسْتَكْبِرٍ ... في مَوْكِبٍ مرَّ بكَنّاسِ

---

(١) في الأصول: «واتصل» وهو خطأ.

(٢) كذا في جـ. وفي ب، س «فأفرطني» وهو تحريف.

(٣) في الأصول: «بالألف الدرهم» وهو لا يلائم ما قبله، والأظهر أنه «بألف الدينار» لأن قائله وهو محمد بن حازم بصري ـ مولدُه ومنشؤه البصرة كما تقدم ـ والبصريون إذا أرادوا تعريف العدد المضاف عرّفوا المضاف إليه. والكوفيون هم الذين يجيزون تعريف المتضايفين. قال الزمخشري: وذلك بمعزل عند أصحابنا ـ أي البصريين ـ عن القياس واستعمال الفصحاء.

(٤) في الأصول: «بالباس».

خبره مع سعد بن مسعود

أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو عليّ قال:

لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلتُ له: يا أبا جعفر، كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مَسْعود اليومَ[١] ـ وهو أبو إسحاق / بن سعد، وكان يكتب للنُّوشَجَاني ـ فأنشدني:

١٥٩ / ١٢

رَاجَع بالعُتْبَى فأعتَبْتُه ... ورُبما أعْتَبَكَ المُذْنِبُ[٢]

وإن في الدّهر، على صَرْفه ... بين الصَّديقَيْن، لمُسْتَعْتَبُ[٣]

/ **قصيدته في مديح الشباب وذم الشيب** [٩٤/١٤]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ وابن الوَشّاء جميعاً قالا حدَّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال:

قال ابن الأعرابيّ: أحسنُ ما قال المُحْدَثُون من شُعَراء هذا الزَّمان في مديح الشَّباب وذَمّ الشَّيْب:

لا حِينَ صَبْرٍ فخَلِّ الدَّمعَ يَنْهمِلُ ... فَقْدُ الشَّبابِ بيوم المرءِ مُتَّصِلُ

سَقْياً ورَعْياً لأيَّام الشَّبابِ وإنْ ... لم يَبْقَ منه له رسمٌ ولا طَلَلُ

جَرَّ الزَّمانُ ذُيولاً في مَفَارِقِهِ ... ولِلزَّمانِ على إحسانِه عِلَلُ

ورُبَّما جَرَّ أذيالَ الصِّبا مَرَحاً ... وبين بُرْدَيْهِ غُصْنٌ ناعِمٌ خَضِلُ[٤]

يُصْبِي الغَوانِي ويَزْهَاه بِشِرَّتِهِ ... شَرْخُ الشَّبابِ وثوبٌ حالِكٌ رَجِلُ[٥]

لا تَكْذِبَنَّ فما الدُّنْيا بأجمعِها ... من الشَّبابِ بيَومٍ واحدٍ بَدَلُ

كَفَاكَ بالشَّيْب عيباً عند غانيةٍ ... وبالشَّبابِ شَفِيعاً أيُّها الرَّجُلُ[٦]

بانَ الشَّبابُ ووَلَّى عنكَ باطِلُهُ ... فليس يَحْسُنُ منك اللَّهْو والغَزَلُ

أمَّا الغَواني فقد أعرَضْنَ عنك قِلًى ... وكان إعراضُهُنَّ الدَّلُّ والخَجَلُ

أعرَنْكَ الهَجْرَ ما لاحتْ مُطَوَّقَةٌ ... فلا وِصَالٌ ولا عَهْدٌ ولا رُسُلُ[٧]

ليتَ المَنَايَا أصابَتْني بأسْهُمِها ... فكُنَّ يَبْكِينَ عَهْدِي قبلَ أكْتَهِلُ[٨]

(١) في الأصول بعد هذه الكلمة: «والرادي علي». ولا أرى لها معنى ولا موضعاً في الكلام.

(٢) العتبى: الرضا، أعتبه: أعطاه العتبى ورجع إلى مسرته.

(٣) مستعتب: استرضاء، تقول: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني وكان الأولى أن يقول: «لمستعتبا» بالنصب لأنه اسم «إن»، ولكن على النصب يكون في البيت إقواء أو يخرج الرفع على أن اسم «إن» ضمير الشأن وجملة «في الدهر لمستعتب» خبرها.

(٤) خضل: ند، يترشش نداه.

(٥) شرة الشباب: نشاطه. وشرخ الشباب: أوّله. يزهاه: يستخفه ويحمله على الزهو وهو الكبر والتيه والعظمة. وثوب حالك: يريد به شعر الشباب. وشعر رجل: بين السبوطة والجعودة.

(٦) في ب، س: «عيب عند عائبه» وهو تحريف.

(٧) في ب، س: «أعرتك»؛ وهو تصحيف.

(٨) في الأصول: «تبكين» تصحيف.

[٩٥/١٤] / عهْدَ الشَّبابِ لقد أبقيتَ لي حَزَناً ... ما جَدَّ ذكرُكَ إلاّ جَدَّ لي ثَكَلُ[(١)]

إنّ الشبابَ إذا ما حلَّ رائدُه ... في مَنْهَلٍ رادَ يقفو إثْرَهُ أجَلُ[(٢)]

بكاؤه الشيب أيضاً

قال ابن الوَشَّاء خاصَّةً: وما أساء[(٣)] ولا قَصَّر عن الأُولى، حيث يقول في هذا المعنى:

أبكي الشَّبابَ لِنَدْمانٍ وغانيةٍ ... وللمَغَاني وللأطلال والكُتُبِ[(٤)]

وللصَّريخ وللآجام في غَلَسٍ ... وللقَنَا السُّمْرِ والهِنْدِيّة القُضُبِ[(٥)]

وللخَيَال الذي قد كان يَطْرُقُني ... وللنَّدَامَى ولِلَّذَّاتِ والطَّرَبِ[(٦)]

يا صاحباً لم يَدَعْ فَقْدي له جَلَداً ... أُضِعتُ بَعدك إنَّ الدهرَ ذُو عُقَبِ[(٧)]

وقد أكونُ، وشَعْبَانَا معاً، رَجُلاً ... يومَ الكريهةِ فَرّاجاً عَنِ الكُرَبِ[(٨)]

هجاؤه ابن حميد

أخبرني ابن عمّار عن العَنَزيّ قال:

كان محمد بن حازم الباهليّ مدح بعض بني حُمَيْد فلم يُثِبْه، وجعل يفتش شعرَه فيعيب فيه الشيءَ بعد الشيء، وبلغه ذلك فهجاه هجاءً كثيراً شنيعاً، منه قوله:

[٩٦/١٤] / عَدُوّاكَ المَكَارمُ والكِرَامُ ... وخِلُّكَ دونَ خُلَّتِكَ اللِّئَامُ[(٩)]

ونَفْسُكَ نَفْسُ كلبٍ عند زَوْرٍ ... وعُقْبَى زائرِ الكلبِ الْتِدَامُ[(١٠)]

تَهِرُّ على الجليسِ بلا احترامٍ ... لِتَحْشِمَه إذا حَضَرَ الطَّعامُ[(١١)]

١٦٠/١٢ / إذا ما كانت الهِمَمُ المَعَالِي ... فهَمُّكَ ما يكون به المَلامُ

---

(١) في الأصول: «نكل» بالنون وهو تصحيف.

(٢) الرائد: المرسل في طلب الكلأ. ورادت الدابة ترود: رعت.

(٣) في الأصول: «ولا قصد» وهو تحريف. وقوله «عن الأولى» أي عن القصيدة الأولى السابقة.

(٤) المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل.

(٥) الصريخ: المستغيث. والآجام: جمع أجمة، وهي الشجر الكثير الملتف، أي وللصيد والقنص. والغلس: ظلمة آخر الليل، والقنا: الرماح. والهندية: أي السيوف الهندية. والقضب: القاطعة.

(٦) عدّد في الأبيات الثلاثة الأسباب التي من أجلها يبكي الشباب، وهي مظاهر الحياة والنشاط والقوة والمتعة.

(٧) عقب: جمع عقبة بالضم، وهي النوبة.

(٨) الكريهة: الحرب أو الشدة في الحرب، والنازلة.

(٩) الخلة: الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع.

(١٠) الزور: الزائر. الالتدام في الأصل: ضرب النساء صدورهنّ ووجوههن في النياحة.

(١١) هرير الكلب: صوته، وهو دون النباح. والحشمة بالكسر والضم: أن يجلس إليك الرجل فتؤذيه وتسمعه ما يكره، حشمه كضرب ونصر وأحشمه. وحشمه وأحشمه أيضاً: أخجله؛ يقال للمنقبض عن الطعام: ما الذي حشمك أو أحشمك، من الحشمة بالكسر وهي الاستحياء والانقباض؛ وحشمه وأحشمه كذلك: أغضبه. وفي جـ «التجمشه» بالجيم وهو خطأ، ويصح أن يكون «لتحشمه» بالحاء، يقال حمشه وأحمشه إذا أغضبه.

قَبُحْتَ ولا سَقَاكَ اللهُ غيثاً وجانَبَكَ التحيّةُ والسلامُ

هجاؤه ابن حميد أيضاً

قال: فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكفَّ، فلم يفعل، وردَّ المال عليه، وقال فيه:

موضعُ إسرارِك المُريبُ وحَشْوُ أثوابِك العُيوبُ
وتمنَعُ الضيفَ فضلَ زادٍ ورَحْلُك الواسعُ الخَصِيبُ[1]
يا جامعاً مانِعاً بَخِيلاً ليس له في العُلاَ نَصيبُ
أبِالرُّشَا يُسْتَمالُ مِثلي؟ كَلاَّ! ومَنْ عنده الغُيوبُ[2]
/ لا أرتدي حُلَّةً لمُثْنٍ بوجهه من يَدِي نُدوب[3] [٩٧/١٤]
وبين جنبيه لي كُلومٌ داميةٌ ما لَها طَبيبُ
ما كنتُ في موضِع الهَدَايَا منكَ، ولا شَعْبُنا قَريبُ
أنّي وقد نَشَّتِ المَكَاوِي عن سِمَةٍ شأنُها عَجِيبُ[4]
وسار بالذَّمِّ فيك شِعْرِي وقيل لي مُحسِنٌ مُصِيبُ
مالُكَ مالُ اليتيمِ عندي ولا أرى أكْلَه يَطِيبُ
حَسْبُك من مُوجِزٍ بليغ يَبْلُغُ ما يبلُغُ الخَطِيبُ

خانه محمد بن حميد فهجاه

حدّثني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني عليّ بن الحسين الشيبانيّ قال:

بعث الحسن بن سَهْلٍ محمدَ بن حُمَيْد في وِجْهةٍ، وأمره بجبايةِ مالٍ، وبحَرْبِ قوم من الشُّرَاة[5]، فخان في المال وهَرَب من الحرب، فقال فيه محمد بن حازم الباهليّ:

تَشَبَّه بالأسَد الثعلبُ فغَادَرَه مُعْنَقاً يُجْنَبُ[6]
وحاولَ ما ليس في طَبْعِه فأسْلَمه النابُ والمِخْلَبُ
فلم تُغْنِ عنه أباطيلُه وحاصَ فأحْرَزَه المَهْرَبُ[7]

---

(١) الفضل: البقية. والرحل هنا: منزل الرجل ومسكنه وبيته.
(٢) الرشوة، مثلثة الراء: الجعل، والجمع رشا، بالكسر والضم.
(٣) الندبة كشجرة: أثر الجرح الباقي على الجلد، والجمع ندب كشجر، وجمع الجمع أنداب وندوب، وقيل: الندب واحد والجمع أنداب وندوب.
(٤) نشت: سمع لها صوت عند الكي.
(٥) الشراة: الخوارج.
(٦) أعنق الكلب: جعل في عنقه قلادة وفي جـ «مفنقاً» وهو تحريف، وجنبه كنصر: قاده إلى جنبه.
(٧) حاص: حاد وعدل.

[٩٨/١٤]ر / وكــان مَضِيًّــا علــى غَــدْره فغُيِّــبَ، والغــادرُ الأخْيَـبُ[1]

أيــا ٱبْــنَ حُمَيْــدٍ كفــرتَ النَّعِيـ ـمَ جهلاً ووَسْوَسَكَ المَذْهَبُ[2]

ومَنَّتْــك نفسُــك مــالاَ يَكُــونُ وبعــضُ المُنَــى خُلَّــبٌ يَكْـذِبُ

ومــا زلْــتَ تسعَــى علــى مُنْعِــمٍ بِبَغْــيٍ وتُنْهَــى فَــلاَ تُعْتِــبُ

فــأصبحــتَ بــالبَغْــيِ مستبــدلاً رَشــاداً وقــد فــات مُسْتَعْتَــبُ

قال: وقال فيه لمّا شخص إلى حيثُ وجَّهه الحسن بن سَهْلٍ:

إذا استقلَّــتْ بــك الــرِّكــابُ فحيــثُ لادَرَّتِ السحــابُ

زالــتْ سِــراعــاً وزُلْــتَ يَجْــرِي بِبَيْنِــكَ الظَّبْــيُ والغُــرابُ

بحيــث لا يُــرْتَجَــى إيــابٌ وحيــثُ لا يبلــغُ الكتــابُ

فَقَبْــلَ معــروفِــك امتنــانٌ ودُونَ معــروفِــك العــذابُ

١٦١/١٢ / وخيــرُ أخــلاقِــك اللَّــواتِــي تعــاف أمثــالَهــا الكــلابُ

ردّه على من عابه بقصر شعره

حدّثني أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال: حدّثني أبي قال: قال يحيى بن أكْثَم لمحمد بن حازم الباهليّ: ما نَعِيبُ شعرَك إلاّ أنّك لا تطيل؛ فأنشأ يقول:

أبــى لِــيَ أن أُطيــل الشعــرَ قَصْــدِي إلــى المَعْنَــى وعِلْمِــي بــالصَّــوابِ

وإيجــازِي بمُخْتَصَــرٍ قــريــبٍ حــذفــتُ بــه الفضــولَ مــن الجواب

فــأبْعَثُهُــنّ أربعــةً وخَمْســاً مُثَقَّفــةً بــألفــاظٍ عِــذاب[3]

[٩٩/١٤] / خَــوَالِــدَ مــا حَــدَا ليــلٌ نهــاراً ومــا حَسُــنَ الصِّبَــا بــأخــي الشَّبَــابِ

وهُــنَّ إذا وَسَمْــتُ بهــنّ قــومــاً كــأطــواقِ الحمــائــم فــي الــرِّقــابِ

وهُــنّ إذا أقمــتُ مُســافــراتٌ تَهَــادَتْهــا الــرُّواةُ مــع الــرِّكــابِ

خبره مع أبي ذؤيب

حدّثني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ قال:

كان بالأهواز[4] رجلٌ يعرف بأبي ذُؤَيب من التّنّار، وكان مَقْصِدَ الشعراء وأهل الأدب، فقصده محمد بن

(١) مضيا: مبالغة في ماض.

(٢) وسوس المذهب الرجل: كلمه كلاماً خفياً، أي ناجاك مذهبك الخبيث الدنيء فسوّل لك أن تفعل ما فعلت.

(٣) أي فأبعثهن أربعة أبيات وخمسة أبيات. وقد أنث العدد الأول وذكر الثاني، وهو جائز. وذلك أنه إذا حذف المعدود مع قصده في المعنى، فالفصيح أن يكون كما لو ذكر؛ تقول: صمت خمسة تريد أياماً، وسهرت خمساً تريد ليالي. ويجوز أن تحذف التاء من المذكر كحديث: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوّال».

(٤) الأهواز: إقليم في الجنوب الغربي من فارس.

حازم، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بَذَّة[١]، وهيئة رَثَّة، ولم يعرِّفه نَفْسَه، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر، وأبو ذؤيب يتكلّم متحققاً بالعلم بذلك. فسأله محمد بن حازم ـ وقد دخل عليه يوماً ـ عن بيتٍ من شعر الطِّرِمّاح جَهِله، فرَدَّ عليه جواباً مُحالاً[٢] كالمستصغر له وازدراه، فوثب عن مجلسه مُغْضَباً. فلمّا خرج قيل له: ماذا صنعتَ بنَفْسِك وفتحتَ عليها من الشرّ؟ أتدري لمن تعرَّضتَ؟ قال: ومَنْ ذاك؟ قيل: محمد بن حازم الباهليّ، أخبث الناس لساناً وأهجاهم. فوثب إليه حافياً حتى لَحِقه، فحلف له أنه لم يَعْرِفه، واستقاله فأقاله، وحلف أنه لا يقبَل له رِفْداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً، وكتب إليه بعد أن افترقا:

أخْطَا وردَّ عليَّ غيرَ جَوابي ... وزَرَى عليَّ وقال غيرَ صوابِ
وسكنتُ من عَجَبٍ لذاك فزادني ... فيما كَرِهتُ بِظَنّه المُرتابِ
وقضى عليّ بظاهرٍ من كُسْرةٍ ... لم يَدْرِ ما اشتملتْ عليه ثِيابي
/ مِنْ عِفَّةٍ وتكَرُّمٍ وتَحَمُّلٍ ... وتَجَلُّدٍ لمصيبةٍ وعِقابِ [١٤/١٠٠]
وإذا الزمانُ جنى عليَّ وجدتَني ... عُوداً لبعض صفائِحِ الأقتابِ[٣]
ولئن سألتَ لَيُخْبِرَنَّك عالِمٌ ... أنّي بحيثُ أحبُّ من آدابِ
وإذا نَبا بِيَ منزلٌ خَلَّيْتُه ... قَفْراً مجالَ ثَعالبٍ وذِئابِ[٤]
وأكون مُشْتَرِكَ الغِنَى مُتَبَذِّلاً[٥] ... فإذا افترقتُ قعدتُ عن أصحابي
لكنّه رجعتْ عليه ندامةٌ ... لمّا نُسِبْتُ وخاف مَضَّ عِتابي[٦]
فأقَلْتُه لمّا أقرَّ بذنبه ... ليس الكريمُ على الكريم بنابِ

ترضاه صديق له فقال شعراً

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا النوفليّ قال:

كان سعد بن مسعود القُطْرُبُّليّ[٧]: أبو إسحاق بن سعد صديقاً لمحمد بن حازم الباهليّ، فسأله حاجةً فردّه عنها، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم وترضّاه، فردّها وكتب إليه:

/ مُتَّسِعُ الصدرِ مُطِيقٌ لِمَا ... يَحارُ فيه الحُوَّلُ القُلَّبُ[٨] ١٦٢/١٢
راجَعَ بالعُتْبَى فأعتبتُه ... وربّما أعتبَك المُذْنِبُ

(١) أي رث اللبسة.
(٢) المحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه؛ يقال: أحال الكلام إحالة إذا أفسده.
(٣) الأقتاب: جمع قتب كجبل، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير. وصفائح الأقتاب: ألواحها.
(٤) نبا به منزله: لم يوافقه.
(٥) في الأصول «متبدلا». وقد سبقه إلى هذا المعنى جرير فقال:
وإني لعف الفقر مشترك الغنى ... سريع إذا لم أرض داري احتماليا
(٦) مض عتابي: أي حرقته وإيلامه.
(٧) قطربل: قرية شماليّ بغداد تنسب إليها الخمر، وفي جـ «القطربي».
(٨) في ب، س: «منطيق». وفي جـ «مطبق» وهو تحريف.

أجَلْ وفي الدَّهرِ - على أنه مُوكَّلٌ بالبين - مُسْتَعْتَبُ
/ سَقياً ورَعياً لزمانٍ مَضَى عَنِّي، وسَهْمُ الشَّامتِ الأخيبُ [١٤/١٠١]
قد جاءني منكَ مُوَيْلٌ فلم أعرِضْ له والحُرُّ لا يَكْذِبُ[1]
أخذِيَ مالاً منكَ بعد الذي أوْدَعْتَنيه مَركَبٌ يَصْعُبُ
أبَيْتُ أن أشربَ عند الرضا والسُّخْطِ إلَّا مَشْرَباً يَعْذُبُ
أعزَّني اليأس وأغنَى فما أرجو سِوَى اللَّهِ ولا أهرُبُ[2]
قارونُ عندي في الغِنَى مُعْدِمٌ وهِمَّتي ما فوقَها مَذْهَبُ
فأيّ هاتَيْنِ تَراني بها أصبو إلى مالِك أو أرغَبُ؟

خبره مع أحمد بن يحيى

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي وعيسى بن الحسين الورّاق، واللفظ له، قالا: حدّثنا الخليل بن أسَدٍ النُّوشَجانيّ قال، حدّثنا حَمّاد بن يحيى قال: حدّثنا أحمد بن يحيى قال: آخِر ما فارقتُ عليه محمدَ بن حازمٍ أنه قال: لم يَبْقَ شيءٌ من اللّذّاتِ إلّا بَيْعُ السَّنانير. فقلت له: سَخِنتْ[3] عينُك! أيْش[4] لكَ في بيع السنانير من اللّذّات؟ قال: يُعْجِبني أن تَجيئني العجوزُ الرَّعْناء تُخاصِمني وتقول: هذا سِنَّوري سُرِق منّي، وأُخاصمها وأشْتُمُها وتشتمني، وأغيظها وأباغضها؛ ثم أنشدني:

صِلْ خمرةً بخُمَارٍ وصِلْ خُمَاراً بخمرِ[5]
وخُذْ بِحَظِّكَ منها زاداً إلى حيث تدري

قال: قلتُ: إلى أين ويحك؟ قال: إلى النار يا أحمق.

[١٤/١٠٢] / ردّه على كتاب أحمد بن أبي نهيك

أخبرني الحسن بن عليٍّ الخَفَّاف قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السَّرِيّ قال:

كان إسحاق بن أحمد بن أبي نَهِيك آنِساً بمحمد بن حازم الباهليّ يدعوه ويُعاشره مُدّة. فكتب إليه يَسْتَزيرُه ويُعاتبه عتاباً أغضبه؛ وبلغه أنه غضب، فكتب إليه:

ما مُسْتَزِيرُك في وُدٍّ رأى خَلَلاً في موضع الأُنسِ أهلاً منك[6] للغَضَب

(١) في ب، س: «ذو موئل» وهو تحريف، ومويل: تصغير مال.
(٢) في الأصول: «أعزبي البأس» وهو تصحيف. وكان الأنسب به أن يقول: «ولا أرهب».
(٣) يقولون في شتم المرء والدعاء عليه: «سخنت عينه» أي من حرارة البكاء، و«أسخن الله عينه» أي أبكاه، وهو نقيض قولهم في الدعاء له: «قرّت عينه» أي بردت وانقطع بكاؤها، أو رأت ما كانت متشوّقة إليه، «أقر الله عينه».
(٤) في الأصول: «أليس» وهو تحريف.
(٥) خمار الخمر: ما خالط من سكرها.
(٦) في الأصول: «عنك» وهو تحريف.

قد كنتَ تُوجبُ لي حَقًّا وتَعرِفُ لي … قَدْري وتَحْفَظ منّي حُرمةَ الأدبِ

ثم انحرفتَ إلى الأخرى فأحْشَمَني … ما كان منكَ بلا جُرْمٍ ولا سَبَبِ[1]

وإنّ أدنَى الذي عندي مُسامحةٌ … في حاجتي بعدَ أن أعذرتُ في الطلبِ[2]

فاختَرْ فعندِيَ من ثِنْتَيْن واحدةٌ … عُذْرٌ جميلٌ وشُكْرٌ ليس باللَّعِبِ

فإن تُجَدِّد كما قد كنتَ[3] تفعلُه … . . . .

خبره مع الحسن بن سهل

جدّثني محمد بن يونس الأنباريّ المعروف بمحصنة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال:

قال محمد بن حازم الباهليّ: عرضتْ لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سَهْلٍ، فأتيتُه، وقد كنتُ قلت في السفينة شعراً، فلمّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له، فعَرَفني، فقال: / ما قلتَ فيه شيئاً؟ فقال ١٦٣/١٢ له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتاً وهو في السفينة؛ فسألني أن أُنشِدَه، فأنشدته قولي:

[١٤/١٠٣]

/ وقالوا لو مدحتَ فَتًى كريماً … فقلتُ وكيف لي بفَتًى كريمِ؟

بَلَوْتُ الناسَ مُذْ خمسين عاماً … وحَسْبُكَ بالمُجَرِّبِ من عليمِ

فما أحدٌ يُعَدُّ ليومِ خيرٍ … ولا أحدٌ يعود ولا حميمُ[4]

ويعجبني الفتى وأظنّ خيراً … فأكشفُ منه عن رجلٍ لئيمِ

تَقَيَّلَ بعضُهم بعضاً فأضْحَوْا … بني أبَوَيْنِ قُدّاً[5] من أديمِ

فطاف الناسُ بالحَسَنِ بن سَهْلٍ … طَوافَهُمُ بزَمْزَمَ والحَطِيمِ[6]

وقالوا سَيِّدٌ يُعْطِي جزيلاً … ويَكْشِفُ كُرْبَةَ الرجلِ الكظيمِ[7]

فقلتُ مضى بذَمّ القوم شِعْري … وقد يُؤْتَى البَرِيءُ من السَّقيمِ

وما خَبَرٌ تُرَجِّمُه ظُنُوني … بأشْفَى من مُعَايَنةِ الحَليمِ[8]

فجئتُ وللأمور مُبَشِّراتٌ … ولن يخفَى الأغَرُّ من البَهِيمِ[9]

فإنْ يَكُ ما تَنَشَّر عنه حَقًّا … رجعتُ بأُهْبَةِ الرجلِ المُقيمِ

---

(١) أحشمني: أغضبني.

(٢) أعذر: أبدى عذراً وبالغ فيه.

(٣) الشطر الثاني من هذا البيت ساقط. في الأصول. وهذه الأبيات كتبت في النسخة المخطوطة شطراً تحت شطر.

(٤) يلاحظ أن في البيت إقواء.

(٥) في الأصول: «فذا» وهو تصحيف. وتقيل: أشبه.

(٦) زمزم: بئر عند الكعبة. والحطيم: حجر الكعبة (بكسر الحاء) أو جداره، أو مابين الركن وزمزم.

(٧) الكظيم: المكروب.

(٨) كلام مرجم: أي عن غير يقين.

(٩) الأغر: ذو الغرّة، وهي بياض في الجبهة. والبهيم: الأسود.

وإن يَكُ غيرُ ذاكَ حَمِدتُ ربِّي وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيمِ[١]

وما الآمالُ تَعْطِفُني عليه ولكنَّ الكريمَ أخو الكريمِ

قال: فلمّا أنشدتُه هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقَى الأمير! والله لو كان نَظِيرَكَ لَمَا جاز أن تُخاطبه بمثل هذا! فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم أمدحه بعدُ، ولكنني سأمدحه مدحاً يُشْبِه مثله. قال: فأفعل، وأنزلني [١٤/١٠٤] عنده / ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعَجَبَه من جَوْدة البيت الأخير فأعجبه، فأمر بإدخالي إليه بغير مدح، فأُدخلت إليه. فأمرني أن أُنشد هذا الشعر، فاستعفيته فلم يُعْفِني، وقال: قد قَنِعْنا منك بهذا القدر إذا لم تُدْخِلْنا في جملة من ذممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إيّاه؛ فضحك وقال: ويحك! مالَكَ وللناس تَعُمُّهم بالهجاء؟ حَسْبُكَ الآن من هذا النَمَط وأبْقِ عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قَبِلْتُ، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أُهديتْ إليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته:

وهبتُ القومَ للحَسَنِ بنِ سَهْلٍ فعوّضَني الجزيلَ من الثّوابِ

وقال دَعِ الهجاءَ وقُلْ جميلاً فإنّ القصدَ أقربُ للصوابِ[٢]

فقلتُ له: بَرِئْتُ إليكَ منهمْ فليتَهُمُ بمُنْقَطَعِ التُّرابِ[٣]

ولولا نعمةُ الحَسَنِ بنِ سهلٍ عليّ لَسُمْتُهُمْ سُوءَ العذابِ[٤]

بِشِعْرٍ يَعْجَبُ الشعراءُ منه يُشَبَّه بالهجاءِ وبالعِتابِ

أكِيدُهُمُ مُكايَدةَ الأعادي وأَخْتِلُهُمْ مُخاتلةَ الذِّئابِ[٥]

بَلَوْتُ خيارَهم فبَلَوْتُ قوماً كُهولُهُمُ أخَسُّ من الشَّبابِ

[١٦٤/١٢] / وما مُسِخُوا كِلاباً غيرَ أنّي رأيتُ القومَ أشباهَ الكلابِ

قال: فضحِك وقال: ويحك! الساعةَ ابتدأتَ بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ. فقلت: هذه بُغْيَةٌ طَفَحتْ على قلبي، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقَى الله الأمير.

[١٤/١٠٥] / شعره في صديق تغيّر عليه

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثني عليّ بن الحسن الشَّيْبانيّ قال:

كان لمحمد بن حازمٍ الباهليّ صديقٌ على طُول الأيام، فنال مرتبةً من السُّلْطان وعَلاَ قَدْرُه، فجفا محمداً وتغيّر له؛ فقال في ذلك محمد بن حازم:

وَصْلُ المُلوكِ إلى التَّعالي ووَفَا المُلوكِ من المُحالِ

---

(١) في الأصول: «جهدت» وهو تصحيف. وفيها أيضاً «حليم» وهو تصحيف.

(٢) القصد: استقامة الطريق.

(٣) بمنقطع التراب: أي بالمكان النائي الموحش الذي انقطع وطء ترابه واجتيازه، أو القبر.

(٤) في الأصول: «سوم العذاب» تحريف.

(٥) ختله كضرب ونصر: خدعه.

مالي رأيتك لا تدوم على المودّة للرجال
إنْ كان ذا أدبٍ وظَرْ فِ قلتَ ذاك أخو ضلالِ[1]
أو كان ذا نُسُكٍ ودِيـ ـنٍ قلتَ ذاك من الثُّقالِ[2]
أو كان في وَسَطٍ من الـ أمْرَيْنِ قلتَ يُريغُ مالي[3]
فبِمثلِ ذا - ثكِلَتْكَ أُمُّك - تبتغي رُتَبَ المعالي؟

خبره مع إبراهيم بن المهدي

حدّثني الحسن قال حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن عليّ الشيبانيّ قال:

كان محمد بن حازمٍ الباهليّ قد نَسَك وترك شُرْبَ النبيذ، فدخل يوماً على إبراهيم بن المهديّ، فحادثه وناشده وأكل معه لمّا حضر الطعامُ، ثم جلسوا للشَّراب؛ فسأله إبراهيم أن يشرب، فأبى وأنشأ يقول:

أبعد خمسين أصبو؟ والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ
سِنٌّ وشَيْبٌ وجَهْلٌ! أمرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
يا بنَ الإمامِ فهلّا أيّامَ عُودِيَ رَطْبُ!
/ وشَيْبُ رأسي قليلٌ ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ [١٤/١٠٦]
وإذْ سِهامي صِيابٌ ونَصْلُ سَيْفِيَ عَضْبُ[4]
وإذْ شِفاءُ الغَواني مِنّي حديثٌ وقُرْبُ
فالآن لمّا رأى بي الـ ـعُذّالُ لي ما أحَبُّوا
وأقصَرَ الجهلُ مِنّي وساعدَ الشَّيْبَ لُبُّ
وآنَسَ الرُّشْدَ مِنّي قومٌ أعابُ وأصبو
آليتُ أشربُ كأساً ما حَجَّ لِلّهِ رَكْبُ

خبره مع النوشجاني

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بنِ أبي السَّريّ قال:

وعد النُّوشَجانيّ محمد بن حازمٍ شيئاً سأله إيّاه ثم مطله، وعاتبه فلم ينتفع بذلك، واقتضاه[5]، فأقام على مَطْله؛ فكتب إليه:

أبا بِشْرٍ تَطاوَلَ بي العِتابُ وطال بِيَ التَّرَدُّدُ والطِّلابُ

---

(١) أي إن كان الرجل ذا أدب.
(٢) النسك مثلثة وبضمتين: العبادة.
(٣) في الأصول «يريع» وهو تصحيف ويريغ: يريد ويطلب.
(٤) صياب: جمع صائب كصاحبه وصحاب. وصائب، يجوز أن يكون من صاب السهم يصوب، أو صاب يصيب، لغة في أصاب.
(٥) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى.

ولـم أتـركْ مـن الأعـذارِ شيئاً ... ألام بـه وإن كثُـرَ الخِطَـابُ
/ سـألتُـكَ حـاجـةً فطـويـتَ كَشْحـاً ... علـى رَغْـمٍ، وللـدهـر انقـلابُ[1]
وسُمْتَنِـيَ الـدَّنِيَّـةَ مُسْتَخِفّـاً ... كمـا خُـزِمَـتْ بـآنُفِهـا الصِّعَـابُ[2]
كـأنَّـك [كنـتَ[3]] تطلُبنـي بثـأرٍ ... وفـي هـذا لـك العَجَـبُ العُجَـابُ
فـإن تَـكُ حـاجتـي غَلَبَـتْ وأعيـتْ ... فمعـذورٌ، وقـد وَجَـب الثـوابُ[4]
/ وإن يـك وَقْتُهـا شَيْـبَ الغُـراب ... فـلا قُضِيـتْ ولا شـابَ الغُـرابُ
رجـوتُـك حيـن قِيـل لـي ابـنُ كِسْـرَى ... وأنـك سِـرُّ مُلْكِهِـمُ اللُّبَـابُ
فقـد عَجَّلْـتَ لـي مـن ذاك وَعْـداً ... وأقـربُ مـن تَنـاوُلِـه السَّحـابُ
وكـلٌّ سـوف يُنْشَـرُ غيـرَ شَـكٍّ ... ويَحْمِلُـه لِطِيَّتِـهِ[5] الكتـابُ

خبره مع بعض ولد سعيد بن سالم

أخبرني الحسن قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السّرِيّ قال:

قصد محمد بن حازم بعضَ وَلَدِ سَعِيدِ بن سالمٍ وقد وَلِي عملاً، واسترفده[6] ؛ فأطال مُدَّته ولم يُعْطِه شيئاً؛ وانصرف عنه وقال:

أَلِلـدُّنيـا أُعِـدُّكَ يـا بـنَ عَمّـي ... فـأعْلَـمَ أم أُعِـدُّك للحسـابِ
إلـى كَـمْ لا أراكَ تُنِيـلُ حتّـى ... أهُـزَّك! قـد بَـرِئْـتُ مـن العتـاب
ومـا تنفـكُّ مـن جَمْـعٍ ووضـعٍ ... كـأنّـك لسـتَ تُـوقِـنُ بـالإيـابِ
فشَـرُّكَ عـن صـديقـك غيـرُ نـاءٍ ... وخَيْـرُك عنـد مُنْقَطَـعِ التـراب
أتيتُـك زائـراً فـأتيـتُ كلبـاً ... فحَظّـي مـن إخـائـك لِلْكـلابِ
فبئـس أخـو العشيـرةِ مـا عَلِمْنـا ... وأخبـثُ صـاحـبٍ لأخـي اغتـرابِ
أيَـرْحَـلُ عنـك ضَيْفُـك غيـرَ راضٍ ... ورَحْلُـك واسـعٌ خِصْـبُ الجنـابِ
فقـد أصبحـتَ مـن كـرمٍ بعيـداً ... ومـن ضِـدّ المكـارم فـي اللُّبـابِ
ومـا بِـيَ حـاجـةٌ لجَـدَاك لكـن ... أرُدُّك عـن قَبيحِـك للصَّـوابِ[7]

(١) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف. وطوى كشحه عنه: أعرض عنه وقطعه. وطوى كشحه على الأمر: أضمره وستره.
(٢) سامه الذل: كلفه إياه وأراده عليه. وآنف: جمع أنف. والصعاب: جمع صعب، وهو من الإبل ضدّ الذلول.
(٣) ساقطة من ب.
(٤) أعياه الأمر وأعيا عليه: عجز عنه.
(٥) في الأصول «لطيتها» وهو تحريف. يقال: مضى لطيته، أي لوجهه الذي يريده. ولنيته التي انتواها.
(٦) استرفده: طلب رفده، أي صلته وعطاءه.
(٧) الجدا والجدوى: العطية.

/ تمثل المتوكل بشعره حينما غاضبته قبيحة [١٠٨/١٤]

حدّثني عمّي قال: حدّثني يزيد بن محمد المهلّبي قال:

كنّا عند المتوكل يوماً وقد غاضبته قَبِيحةُ، فخرج إلينا فقال: مَنْ يُنْشِدُني منكم شعراً في معنى غَضَب قبيحةِ عليّ، وحاجتي أن أخْضَعَ لها حتى ترضى؟ فقلت له: لقد أحسنَ محمد بن حازمٍ الباهليُّ يا أمير المؤمنين حيث يقول:

صفحتُ برَغْمي عنك صَفْحَ ضرورةٍ ... إليك وفي قلبي نُدوبٌ من العَتْبِ[١]

خضعتُ وما ذَنْبي إنِ الحُبّ عَزَّني[٢] ... فأغضيتُ صفحاً عن معالجَة الحبّ

وما زال بي فقرٌ إليك مُنازعٌ ... يُذَلِّل منّي كلّ مُمْتَنِع صَعْبِ

إلى الله أشكو أنّ وُدّي مُحَصَّلٌ ... وقلبي جميعاً عند مُقْتَسِمِ القَلْبِ[٣]

والغناء لعُبَيْدَة الطُّنْبوريّة رملٌ بالوسطى ـ قال: أحسنت وحياتي يا يزيد! وأمر بأن يُغَنّى فيه، وأمر لي بألف دينار.

هجاؤه بني نمير

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثنا عليُّ بن خالد البرمكيّ قال:

سافر محمد بن حازم الباهليُّ سفراً، فمرَّ بقومٍ من بني نُمَيْر، فسلُّوا منه بعيراً له عليه ثَقَلُه[٤]؛ فقال يهجوهم:

/ نُمَيْرُ: أجُبْناً حيث يختلف القَنَا ... ولُؤماً وبُخْلاً عند زادٍ ومِزْوَدِ[٥]؟ [١٦٦/١٢]

ومَنْعَ قِرَى الأضيافِ من غير عِلَّةٍ ... ولا عَدَمٍ، إلا حِذَارَ التَّعَوُّدِ

وبَغْياً على الجارِ الغريبِ إذا طَرَا ... عليكم وخَتْلَ الرّاكب المُتَفَرِّدِ[٦]

/ على أنكم تَرْضَوْنَ بالذُّلّ صاحباً ... وتُعْطُون مَنْ لا حَاكمُ الضَّيمَ عن يَدِ[٧] [١٠٩/١٤]

أمَا وأبي إنّا لَنَعْفُو وإنّنا ... على ذاك أحياناً نجُورُ ونعتدي

نَكِيدُ العِدَا بالحِلْمِ من غير ذِلّةٍ ... ونَغْشَى الوَغَى بالصِّدْق لا بالتَّوَعُّدِ

نَفَى الضَّيْمَ عنّا أنفسٌ مُضَرِيَّةٌ ... صِرَاحٌ وطَعْنُ الباسلِ المُتَمَرِّدِ[٨]

وإنّا لمن قَيْسِ بن عَيْلانَ في الّتي ... هي الغايةُ القُصْوَى بعِزٍّ وسُودَدِ

---

(١) في جـ «يذوب من العقب» وهو تحريف.

(٢) عزني: غلبني.

(٣) محصل: مجمع ثابت.

(٤) في الأصول: «فسلوا عليه بعيراً . . .» وسلوا: استلوا. والثقل: متاع المسافر.

(٥) المزود: وعاء الزاد.

(٦) طرأ على القوم: أتاهم من غير أن يعلموا. وفي الأصول «طرأ إليكم». والختل: الخدع.

(٧) لاحاه: نازعه. وعن يد: عن ذلة.

(٨) في الأصول: «صراخ بالخاء المعجمة» وهو تصحيف.

وإنَّ لنا بالتُّرْكِ قَبْراً مُبَارَكاً ... وبالصِّينِ قبراً عِزَّ كلُّ مُوَحِّدِ(١)

وما نَابَنا صَرْفُ الزمانِ بِسَيِّدٍ ... بَكَيْنا عليه أو يُوافِي بسَيِّدِ(٢)

ولو أنَّ قوماً يَسْلَمُونَ من الرَّدَى ... سَلِمْنا ولكنَّ المنايا بِمَرْصَدِ(٣)

أبَى الله أن يَهْدِي نُمَيْراً لِرُشْدِها ... ولا يَرْشُدُ الإنسانُ إلا بِمُرْشِدِ

هجاؤه عاملاً لمحمد بن حامد على الأهواز

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلَد البَخْتكان(٤) من الأهوازيّين. أنّ محمد بن حامد ولِي بعضَ كُوَر الأهواز في أيّام المأمون، وأنّ محمد بن / حازمٍ الباهليَّ قَدِم عليه زائراً ومَدَحه، [١١٠/١٤] فَوَصله وأحسن إليه، وكتب له إلى تُسْتَرَ(٥) بحِنْطَةٍ وشعير، فمضى بكتابه، وأخذ ما كُتِب له به، وتزوّج هناك امرأةً من الدَّهَاقِين(٦)، فزَرَع الحِنطَة والشعير في ضَيْعَتها؛ وولّى محمد بن حامدٍ رجلاً من أهل الكوفة الخَرَاج بتُسْتَرَ، فوكل بِغَلّةِ محمد بن حازم، وطالبه بالخراج فأدّاه، فقال يهجوه:

زَرَعنا فلمّا سلّم الله زَرْعَنا ... وأوفى عليه مِنْجَلٌ بحَصَادِ(٧)

بُلِينَا بكُوفِيٍّ حَلِيفِ مجاعةٍ ... أضَرَّ علينا من دَبًا وجَرادِ(٨)

أتى مُسْتَعِدًّا ما يُكَذِّبُ دونه ... ولَجَّ بإرغامٍ له وبِعَادِ(٩)

فطَوْراً بإلحاحٍ عليَّ وغِلْظَةٍ ... وطوراً بخَبْطٍ دائمٍ وفسادِ

ولولا أبو العبّاس أعني ابنَ حامدٍ ... لَرَحَّلْتُه عن تُسْتَرٍ بسَوادِ

فكُفُّوا الأذى عن جارِكم وتعلَّمُوا ... بأنّي لكم في العالمين مُنادِي

فبعث محمد بن حامدٍ إلى عامله فصرفه عن الناحية، وقال له: عَرَّضتني لِمَا أكْرَه، واحتمل خراج محمد بن حازم.

(١) في الأصول «وإنا» تحريف. يفتخر في هذا البيت بمآثر قتيبة بن مسلم الباهلي ـ وهو باهلي مثله ـ ويتمدّح بفتوحه التي كان فيها عز الإسلام والمسلمين. وذلك أن الحجاج ولاه خراسان فغزا بلاد ما وراء النهر، وافتتح بخارى وسمرقند وخوارزم؛ ووصل في فتوحه إلى كشغر من بلاد الصين، وقتل سنة ٩٦ هـ.

(٢) في الأصول: «وما فاتنا» وهو تحريف، وفي جـ «فبينا علها» وفي ب، س «يثبنا عليها» وهو تحريف.

(٣) أخذه من قول عديّ: «وإن المنايا للرجال بمرصد». رصده كنصر: قعد له على طريقه. والمرصد والمرصاد: الطريق.

(٤) البختكان: هو والد بزرجمهر الوزير العادل لأنوشروان ملك الفرس. وقد اشتهر هذا الوزير برجاحة عقله وحكمته، وأثر عنه كثير من الحكم البليغة، وأحضر جملة كتب من الهند، وترجمها إلى اللسان البهلوي، وعمر طويلاً، وتوفي زمن هرمز الثالث بن أنوشروان بين سنة ٥٨٠، وسنة ٥٩٠ م. انظر «قاموس الأعلام» لشمس الدين سامي.

(٥) تستر: مدينة كبيرة بالأهواز.

(٦) الدهاقين: جمع دهقان بالكسر والضم: وهو زعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم.

(٧) أوفى عليه: أشرف.

(٨) الدبا: أصغر الجراد والنمل.

(٩) ما يكذب دونه، أي ما يثني عن الزرع حتى يستولي على حصة الخراج منه؛ من قولهم: حمل عليه فما كذب (بالتشديد): أي ما انثنى وما جبن وما رجع.

وصفه للشيب

أخبرني محمد بن الحسين بن الكِنْدِيّ المؤدِّب قال: حدّثنا الرِّياشي قال: سمعتُ الأصمعيَّ يقول:

/ قال هذا الباهليُّ محمد بن حازمٍ في وصف الشَّيْب شيئاً حَسَناً، فقال له أبو محمد الباهليّ: تعني قولَه: [١٤/١١١]

كفاك بالشيب ذنباً عند غانيةٍ ... وبالشَّبابِ شفيعاً أيُّها الرَّجُلُ

فقال: إيَّاهَ عنَيتُ. فقال له الباهليّ: ما سمعتُ لأحدٍ من المُحْدَثِين أحسنَ منه.

خبره مع محمد بن زبيدة

حدّثني عمّي قال: حدّثنا حسين بن فَهْم قال: حدّثني أبي قال:

دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو / أمير، فدعاه إلى أن يشرَب معه، فامتنع وقال: [١٦٧/١٢]

أبعد خمسين أصبو ... والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ

سِنٌّ وشَيْبٌ وجهلٌ! ... أمرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ

يا ابنَ الإمامِ فهلاَّ ... أيَّامَ عُودِيَ رَطْبُ!

وشيبُ رأسي قليلٌ ... ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ

وإذْ شِفَاءُ الغَوَانِي ... مِنِّي حديثٌ وشُرْبُ

الآن حين رأى بي ... عَوَاذِلي ما أحَبُّوا!

آليتُ أشْرَبُ كأساً ... ما حجَّ للّه رَكْبُ

قال: فأعطاه محمد بن زبيدة وَوَصله.

[١١٢/١٤]

/ أخبار ابن القصّار ونسبه

نسبه

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن بُرْد الخِيَار[١] ، سليمان بن عليٍّ: وذكره جحظة في كتاب الطُّنْبُورِيِّين[٢] ، فتلَّه[٣] في نفسه وأخلاقه ومَدَح صَنْعَتَه، وقال: مما أحْسَنَ فيه قوله:

أرِقْتُ لِبَرْقٍ لاحَ في فَحْمةِ الدُّجَى ... فأذكَرَني الأحبابَ والمنزلَ الرَّحْبا

قال: وهذا خفيف رمل مطلق. ومما أحسن فيه أيضاً:

تعالَيْ نُجَدِّدُ عهدَ الصِّبا ... ونَصْفَحُ للحُبِّ عمّا مَضَى

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً:

ثلبة جحظة وتنادر عليه

وذكر أنه كان مع أبيه قَصَّاراً[٤]، وتعلّم الغِناء فَبَرع فيه. ومن طَيِّب ما ثَلَبه به جَحْظة وتَنادَر عليه[٥] به - وأراها مصنوعةً - أنّه مرّ / يوماً على أبيه، ومعه غلامٌ يحمل قاطرميز[٦] نبيذ، وجوامرجة[٧] مذبوحة مسموطة[٨]، فقال: الحمد لله الذي أراني ابني قبلَ موتي يأكُلُ لَحم الجواميرات، ويَشْرَب نبيذ القاطرميزات[٩]. [١١٣/١٤]

وحدَّث عن بعض جيرانه أنَّ ابن القَصَّار غنَّى له يوماً بحبلٍ ودَلْوٍ، وأنّ إسماعيل بن المتوكِّل وَهَب له مائتي أُتْرُجّة[١٠] كانت بين يديه، فباعها بثلاثة دنانير، وأنه يَحْمل بلبكيذة[١١] إلى دار السلطان، وله فيه خُبْزٌ وجبنٌ فيأكله،

(١) كذا في الأصول، ويؤيد هذا ما ورد في «معجم البلدان» (في «ناحية» ج ٤ : ٧٢٧ طبع أوربة): «قرأت بخط بعض الفضلاء الأئمة وهو أبو الفضل العباس بن علي المعروف بابن برد الخيار» بالراء أيضاً. وجاء في «معجم الأدباء» (ج ١ : ص ٢٦٩ طبع هندية في ترجمة إبراهيم بن عباس الصولي): «واجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات وابن برد الخباز» بالزاي.

(٢) أي الضاربين بالطنبور، وهو من آلات الطرب ذو عنق طويل وستة أوتار. فارسيٌ معرّب.

(٣) في الأصول «قبله» وهو تصحيف: يقال: تل فلاناً بتلة سوء (بكسر التاء): أي رماه بأمر قبيح.

(٤) القصار والمقصر: محوّر الثياب ومبيضها؛ لأنه يدقها بالقصرة وهي القطعة من الخشب. وحرفته القصارة بالكسر.

(٥) ثلبه: عابه. وجاء في «أساس البلاغة» «وفلان يتنادر علينا»، ومعناه يحدّثنا بالنوادر والملح، وفي الأصول: «وتبادر» وهو تصحيف.

(٦) كلمة فارسية، جاء في «شفاء العليل» ص ١٦٥ : «قطرميز: قلة كبيرة من الزجاج معروفة» وقال الشاعر:

أنا لا أرتوي بطاس وكاس ... فاسقنيها بالزق والقطرميز

وكذلك جاء في «معجم دوزي»: «قطرميز: إناء زجاجي برقبة قصيرة وفوّهة واسعة». أقول: ومن البيت المذكور يرى أن الطاء ساكنة والراء محركة.

(٧) هكذا في الأصول. وفي الفارسية: «الجوجة: الفروجة». وأكبر ظني أن تلك الكلمة هي المرادة؛ بدليل قوله «مذبوحة مسموطة».

(٨) سمط: نتف شعرها بالماء الحار.

(٩) في حـ: «لحم الجوانيرات. . . نبيذ القامرطيرات».

(١٠) الأترج: فارسية وعربيته «متك» كقفل انظر كتب اللغة.

(١١) المفهوم من السياق أن تلك الكلمة معناها: حقيبة كان يضع فيها حاجاته. ولعلها كانت من جلد النمر. فالظاهر أن صوابها «بلنكينة».

ويحمل في البلبكيذ ما يُوضَع بين يديه في دار السلطان، فيدعو إخوانه عليه. وأكْثَرَ من ثَلْبِ الرجل مما لا فائدةَ فيه. ولو أراد قائل [أنْ][1] يقول فيه ما لا يَبْعُد من هذه الأخلاق لَوَجَد مقالاً واسعاً، ولكنه مما يَقْبُح ذكره، سِيَّما وقد لَقِيناه وعاشرناه. عفا الله عنا وعنه.

[١١٤/١٤]

/ كان مفضلاً بحضرة السلطان

أخبرنا ذُكَاء وجه الرُّزَّة قال: كنا نجتمع مع جماعةٍ في الطُّنْبُوريِّين، ونشاهدهم في دُور الملوك وبحضرة السلطان، فما شاهدت منهم أفضلَ من المسرور وعمر المَيْدَاني وابنِ القَصَّار.

خبره مع زوج البلوري

وحدّثني قُمْرِيَة البَكْتَمُرِيَة قالت: كنت لرجلٍ من الكُتَّاب يُعْرَفُ بالبَلُّوريّ، وكان شيخاً، وكانت سِتِّي[2] التي ربَّتني مولاته[3]، وكانت مُغَنِّيَةً شَجِيَّةَ الصَّوْتِ حَسَنَة الغِناء، وكانت تَعْشَق ابن القَصَّار، وكانت علامةُ مصيره إليها أن يجتاز في دِجْلَةَ وهو يُغَنِّي، فإنْ قَدَرتُ على لِقائه أوصلتُه إليها، وإلاَّ مضى. فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلةٍ مُقْمِرةٍ وهو يُغَنِّي خفيفَ رَمَلٍ قال:

١٦٨ / ١٢

/ أنـا فـي يُمْنَـى يَـدَيْهَـا ... وهـي فـي يُسْـرَى يَـدَيْـهْ

إنَّ هـذا لَقَضـاءٌ ... فيـه جَـوْرٌ يـا أُخَيَّـهْ

ويُغَنَّى في آخِرِه رَده:

* وَيْلي[4] وَيْلي يا أبَيَّهْ *

وكانت سِتِّي واقفةً بين يَدَيْ مولاها، فما ملكتْ نفسَها أن صاحتْ: أحسنت / والله يا رجلُ! فتَفَضَّلْ وأعِد، ففعل [١١٥/١٤] وشَرِب رطلاً وانصرف، وعَلِم أنه لا يَقْدِر على الوصول إليها. وكان مولاها يعرف الخبر، فتغافلَ عنها لمَوْضِعها من قلبه؛ فلا أذكُر أنِّي سمعت قطُّ أحسنَ من غنائه.

صوت

بـاح بـالـوجـدِ قلبُـك المُسْتَهـامُ ... وجـرتْ فـي عِظـامـك الأسقـامُ

يـوم لا يملـك البكـاءَ أخـو الشَّـوْ ... قِ فيُشْفَـى ولا يُـرَدُّ سـلامُ

لم يقع إليّ قائلُ هذا الشعر. والغناء لمعبد اليَقْطِينيّ ثاني ثقيل بالبِنْصَر عن أحمد بن المكّيّ.

---

(١) زيادة يقتضيها المقام.

(٢) في «القاموس»: «وستي للمرأة أي يا ست جهاتي، أو لحن والصواب سيدتي». وفي «شرح القاموس»: «قوله: والصواب سيدتي: ويحتمل أن الأصل سيدتي فحذف بعض حروف الكلمة، وله نظائر، قاله الشهاب القاسمي. ونقل شيخنا عن السيد عيسى الصفوي ما نصه: ينبغي ألا يقيد بالنداء لأنه قد لا يكون نداء. قال: والظاهر أن الحذف سماعي، وأن النداء على التمثيل لا أنه قيد كما توهموه اهـ. ويروي المعري في «رسالة الغفران»:

ســت إن أعيــاك أمــري ... فـاحمليـنـي زقفـوتـه

(٣) في جـ محل هذه الكلمة «له».

(٤) في الأصول «ويلي ويلي» ولا يستقيم به الوزن.

[١١٦/١٤]

/ أخبار معبد

نسبه

كان مَعْبَدٌ اليَقْطينيّ غلاماً مُوَلَّداً خِلاَسيًّا[١] من مُوَلَّدِي المدينة، اشتراه بعضُ وَلَد عليِّ بن يَقْطِين. وقد شَدَا[٢] بالمدينة، وأخذ الغِناء عن[٣] جماعةٍ من أهلها، وعن جماعة[٣] أخرى من عِلْيَةِ المُغَنِّين بالعراق في ذلك الوقت، مثل إسحاق وابن جامع وَطَبقتهما، ولم يكن فيما ذُكِر بطيِّب المسموع، ولا خَدَم أحداً من الخُلفاء إلا الرشيدَ، ومات في أيامه، وكان أكثرُ انقطاعه إلى البرامكة.

خبره مع غلام من المدينة

أخبرني عمِّي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبدالله بن أبي سَعْد قال: حدّثني محمد بن عبدالله بن مالك الخُزَاعيّ قال: حدّثني مَعْبَدٌ الصغير المُغَنِّي مولى عليِّ بن يقطين قال:

كنت منقطعاً إلى البرامكة، آخذ منهم وألازمهم. فبينا أنا ذاتَ يومٍ في منزلي إذا بابي يُدَقُّ، فخرج غلامي ثم رجع إليَّ فقال: على البابِ فتًى ظاهرُ المرُوءة يستأذن عليك؛ فأذِنتُ له. فدخل عليّ شاب ما رأيتُ أحسنَ وجهاً منه، ولا أنظف ثوباً، ولا أجملَ زِيًّا منه، من رجلٍ دَنِفٍ عليه آثارُ السَّقَمِ ظاهرة، فقال لي: إنّي أرجو[٤] لُقَاكَ منذ مُدَّةٍ فلا أجِدُ إليه سبيلاً، وإنّ لي حاجة. قلت: ما هي؟ فأخرجَ ثلثمائة دينار فَوَضعها بين يَدَيَّ، ثم قال: أسألك أن تَقْبَلها وتَصْنَع في بيتين قلتُهما لحناً تُغَنِّيني به. فقلت: هاتهما، فأنشدهما، وقال:

[١١٧/١٤]

/ صوت

والله يـا طَـرْفِـيَ الجانـي علـى بَـدَنِـي ... لَتُطْفِئَـنَّ بِـدَمْعِـي لـوعـةَ الحَـزَنِ

أو لأبُـوحَـنَّ حتّـى يَحْجُبُـوا سَكَنِـي ... فـلا أراه ولـو أُدرِجْـتُ فـي كَفَنِـي[٥]

ـ والغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى الوُسْطَى ـ قال: فصنعت فيهما لحناً ثم غَنَّيته إيّاه؛ فأُغْمِي عليه حتى ظننته قد مات. ثم أفاق فقال: أعِدْ فديتك! فناشدته اللهَ في نفسه وقلت: أخشَى أن تموت. فقال: هيهات! أنا أشقَى من ذاك. وما زال يخضع لي ويتضرَّع حتى أعدتُه، فصَعِق صعقةً أشدَّ من الأولى، حتى ظننت أنّ نفسَه قد فاظت. / فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتُها بين يديه، وقلت: يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عنّي؛ فقد

[١٦٩/١٢]

---

(١) الخلاسي: الولد بين أبوين أبيض وأسود.

(٢) في الأصول «شذا» وهو تصحيف.

(٣) في الأصول: «من جماعة».

(٤) في جـ: «أخاف» وهو خطأ.

(٥) سكني: محبوبي الذي أسكن إليه.

قضيتَ حاجتك، وبلغتَ وطَراً[١] مما أردته، ولستُ أُحِبُّ أن أشْرَكَ في دَمِك. فقال: يا هذا! لا حاجةَ لي في الدنانير. فقلت: لا والله ولا بعشَرَة أضعافها إلا على ثلاث شرائط. قال: وما هنّ؟ قلت: أولها أن تُقيم عندي وتتحرّم بطعامي، والثانية أن تَشربَ أقداحاً من النَّبيذ تَشُدُّ قلبَك وتُسَكِّن ما بك، والثالثة أن تُحدِّثني بقصَّتك. فقال: أفعل ما تريد. فأخذتُ الدنانير، ودعوتُ بطعامٍ فأصاب منه إصابةَ مُعذِر[٢]، ثم دعوتُ بالنبيذ فشرب أقداحاً، وغنَّيته بشعرٍ غيره في معناه، وهو يشرب ويبكي. ثم قال: الشرط أعزّك الله، فغنَّيته، فجعل يبكي أحرَّ بكاء ويَنْشِج[٣] أشدّ نَشيج / وينتحب. فلما رأيت ما به قد خفَّ عما كان يَلْحَقه، ورأيتُ النَّبيذ قد شدّ من قلبه، كررت [١١٨/١٤] عليه صَوتَه مِراراً، ثم قلتُ: حدِّثني حديثَك. فقال: أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجتُ مُتنزِّهاً في ظاهرها وقد سال العقيقُ[٤]، في فتية من أقراني وأخداني[٥]، فبصُرْنَا بقَيْنَاتٍ قد خرجن لمثل ما خرجنا له، فجلسنَ حَجْرة[٦] منّا، وبَصُرْتُ فيهنّ بفتاةٍ كأنها قضيبٌ قد طَلَّه الندى، تنظر بعينين ما ارتدّ طرفُهما إلاّ بنَفْس مَن يُلاحِظهما. فأطلنا وأطَلْن، حتى تفرّق الناس، وانصرفن وانصرفنا، وقد أبقتْ بقلبي جُرْحاً بطيئاً اندماله[٧]. فعُدْتُ إلى منزلي وأنا وَقِيذٌ[٨]. وخرجتُ من الغد إلى العقيق، وليس به أحدٌ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثراً. ثم جعلتُ أتتبَّعها في طُرُق المدينة وأسواقها؛ فكأنّ الأرض أضمرتْها، فلم أحِسّ لها بعين ولا أثر، وسَقِمْتُ حتى أيِسَ منّي أهلي. ودخلتْ ظِئْري[٩] فاستعلمتْني حالي، وضَمِنَتْ لي حالَها والسعي فيما أُحِبُّه منها؛ فأخبرتُها بقصَّتي، فقالت: لا بأسَ عليك! هذه أيام الربيع، وهي سَنَة خِصْبٍ وأنواء، وليس يَبْعُدُ عنك المَطَر، وهذا العقيق، فتخرُج حينئذٍ وأخرج معك؛ فإن النسوة سيجئن. فإذا فعلن ورأيتُها تَبِعْتُها حتى أعرف موضعها، ثم أصل بينك وبينها، وأسعى لك في تزويجها. فكأنّ نفسي اطمأنت إلى ذلك، ووثقتُ به وسكَنَتْ إليه؛ فقويتُ وطَمِعْتُ وتراجعتْ نفسي، وجاء مطر بعَقِب ذلك، فأسالَ الواديَ، وخرج الناسُ وخرجتُ مع إخواني إليه، فجلسنا مجلسَنا الأوّل بعَيْنه، فما كنّا والنسوة إلا كفَرَسيْ رِهانٍ. وأومأتُ إلى ظئري فجلستْ حَجْرةً منّا ومنهنّ، وأقبلتُ على إخواني فقلت: لقد أحسن القائلُ حيث قال:

/ رَمَتْني بسهمٍ أقْصَدَ[١٠] القلبَ وانْثَنَتْ ... وقد غادرتْ جُرْحاً به ونُدُوبَا [١١٩/١٤]

فأقبلتْ على صواحباتها فقالت: أحسنَ والله القائل، وأحسنَ مَن أجابه حيث يقول:

بِنَا مثلُ ما تَشْكُو، فصَبْراً لعلَّنا ... نرى فَرَجاً يَشْفِي السَّقامَ قَرِيبَا

فأمسكتُ عن الجواب خوفاً من أن يظهر منّي ما يَفْضَحُني وإيّاها، وعرفتُ ما أرادتْ. ثم تفرّق الناس وانصرفنا، وتَبِعَتْها ظِئْري حتى عرفتْ منزلَها، وصارت إليَّ فأخذتْ بيدي ومَضَيْنَا إليها. فلم تَزَلْ تتلطّف حتى

(١) في الأصول: «نظرا» وهو تحريف، والوطر: الحاجة.

(٢) أعذر: أبدى عذراً، وثبت له عذر.

(٣) نشج الباكي كضرب نشيجاً: وهو مثل بكاء الصبي إذا ضرب فلم يخرج بكاءه وردّد صوته في صدره.

(٤) العقيق: موضع بالمدينة مما يلي الحرة إلى منتهى البقيع.

(٥) أخدان: جمع خدان بالكسر، وهو الصديق.

(٦) حجرة: ناحية.

(٧) اندمل الجرح: برىء.

(٨) وقيذ: صريع.

(٩) الظئر: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له.

(١٠) أقصده: طعنه فلم يخطئه.

وصلتُ إليها. فتلاقَيْنا وتَدَاوَرْنا على حالِ مُخَالسةٍ ومُرَاقَبة. وشاع حديثي وحديثُها، وظَهرَ ما بيني وبينها، فحجبها أهلُها، وتشدّد عليها أبوها./ فما زِلْتُ أجتهد في لِقائها فلا أقدِر عليه. وشكوتُ إلى أبي - لشدّة ما نالني - حالي، وسألته خِطْبَتَها لي. فمضى أبي ومَشْيَخةُ أهلي إلى أبيها فخطبوها. فقال: لو كان بَدَأ بهذا قبل أن يَفْضَحها ويَشْهَرَها لأسعفتُه بما التمس، ولكنّه قد فَضَحها، فلم أكُنْ لأُحَقِّقَ قولَ الناس فيها بتزويجه إياها؛ فانصرفتُ على يأس منها ومن نَفْسِي. قال معبد: فسألته أن ينزلَ، فحَبَرني[1] وصارت بيننا عِشْرةٌ. ثم جلس جعفر بن يحيى للشُّرْب فأتيتُه؛ فكان أوّلَ صوتٍ غنَّيته صوتي في شعر الفتى، فطرِب عليه طَرَباً شديداً، وقال: ويحك! إنّ لهذا الصوت حديثاً، فما هو؟ فحدثته، فأمر بإحضار الفتى، فأُحضر من وقته، واستعاده الحديثَ، فأعاده عليه. فقال: هي في ذِمَّتي حتى أُزَوِّجك إيَّاها، فطابت نفسه، وأقام معنا ليلَتنا حتى أصبح. وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدَّثه الحديث، فعجب منه، وأمر بإحضارنا جميعاً، فأحضرنا، وأمر بأن أُغنِّيه الصوتَ / فغنَّيْته، وشرب عليه، وسَمِع حديثَ الفتى، فأمرَ مِنْ وقته بالكِتَاب إلى عامل الحِجاز بإشخاص الرَّجُل وابنته وجميع أهله إلى حَضْرته، فلم يمضِ إلّا مسافة الطريق حتَّى أُحضر. فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأُوصِل، وخطب إليه الجاريةَ للفتى، وأقسم عليه ألا يُخالف أمرَه، فأجابه وزوّجه إيّاها، وحَمَل إليه الرشيدُ ألفَ دينار لِجهازها، وألفَ دينارٍ لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألفِ دينارٍ، وأمر جعفرٌ لي وللفتى بألف دينار. وكان المدنيّ بعد ذلك في جملة نُدَماء جعفر بن يحيى.

صوت

هـل نَفْسُـك المستهـامـة السَّـدِمَـة سَـالِيَـةٌ مَـرَّةً ومُغْتَـزِمَـة[2]

عـن ذكـر خَـوْدٍ قَضَـى لهـا المَلِـكُ الْـ ـخـالِـقُ ألاّ تُكِنَّهـا ظُلُمَـة[3]

الشعر لابن أبي الزوائد، والغناء لحَكَم رملٌ بالوُسْطَى عن الهِشَاميّ.

---

(١) في الأصول: «فخبرني» تصحيف. وحبرني الأمر (كنصر) وأحبرني: سرني.

(٢) في الأصول: «ومغترمة». والسدمة: وصف من السدم: وهو الهم، وقيل: غيظ مع حزن.

(٣) الخود: الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة. والظلمة (بضمة وبضمتين) والظلماء والظلام واحد.

/ أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه [١٤/١٢١]

نسبه

اسمه سُلَيْمان بن يحيى بن زَيْدِ بن مَعْبَدِ بن أيُّوب بن هِلَال بن عَوْفِ بن نضلَة بن عُصَيَّةَ بن نَصْرِ بن سَعْدِ بن بَكْر بن هوازِن بن مَنْصُور. ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً. شاعرٌ مُقِلٌّ، من مُخَضْرَمِي الدَّوْلَتين، وكان يَؤُمُّ الناسَ في مسجد رسولِ الله ﷺ.

شعره في جارية كان يتعشقها

أخبرني بذلك محمد بن خَلَف وكيعٌ قال: حدّثنا ابن أبي خَيْثَمَةَ عن بعض رجاله عن الأصمعيّ، وأخبرني وكيعٌ قال: حدّثني طَلْحة بن عبدالله الطَّلْحِيّ قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال:

كان ابن أبي الزوائد يَتَعَشَّق جارية سوداء مولاةَ الصُّهَيْبِيِّين[١]، وكان يختلف إليها وهي في النَّخْل بحاجزة. فلمّا حان الجَدَادُ قال:

حُجَيْـجُ أمسَـى جَـدَادُ حـاجـزةٍ ... فليـتَ أنَّ الجَـدَاد لـم يَحِـنِ[٢]

وشَـتَّ بَيْـنٌ وكُنْـتِ لِـي سَكَنـاً ... فيمـا مَضَـى كـان ليس بـالسَّكَـنِ[٣]

/ قـد كـان لِـي مِنْـكِ مـا أُسَـرُّ بـه ... وليـتَ مـا كـان مِنْـكِ لـم يَكُـنِ[٤] [١٤/١٢٢]

/ نَعِـفُّ فـي لَهْـونـا ويَجْمَعُنـا الـ ... ـمَجْلِسُ بيـن العريـش والجُـرُنِ[٥] ١٧١/١٢

يُعْجِبُنـا اللَّهْـوُ والحـديـثُ ولا ... نَخْلِـط فـي لَهْـونـا هَنـاً بَهَـنِ[٦]

لَـوْ قَـدْ رحلـتُ الحمـارَ منكشفـاً ... لـم أرَهـا بَعْـدَهـا ولـم تَـرَنِـي[٧]

فقال له أبو محمد الجُمَحِيُّ: إنَّ الشعراء يذكرون في شِعْرِهم أنَّهم رَحَلوا الإبلَ والنَّجائب، وأنتَ تذكر أنَّك رَحَلْتَ حِماراً. فقال: ما قلتُ إلاّ حقًّا، والله ما كان لي شيء أَرْحَلُه غيره. قال: وقال فيها أيضاً:

---

(١) نسبة إلى صهيب بن سنان الرومي، وهو من النمر بن قاسط، سبته الروم وهو غلام صغير، فنشأ بالروم، ثم ابتاعته كلب منهم وقدمت به مكة، فاشتراه منهم عبد الله بن جدعان وأعتقه. وقد أسلم وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومات بالمدينة سنة ٣٨ هـ ودفن بالبقيع.

(٢) جد النخل كنصر جداً وجداداً، كسحاب وكتاب: صرمه وقطعه. وأمسى هنا تامة. والمفهوم من السياق أنه ينادي معشوقته فيقول: يا حجيج حان قطع وحاجزة اسم البقعة التي كان فيها النخل.

(٣) شت كضرب: فرّق. والبين هنا: البعد والفراق.

(٤) في ب، س: «وكان ما كان».

(٥) الجرن كقفل، والجرين: موضع تجفيف التمر وهوله كالبيدر للحنطة. وجمع جرين: أجرنة وجرن كعنق.

(٦) الهن: كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة.

(٧) رحل البعير كمنع: حط عليه الرحل.

يــا ليــتَ أنَّ العــرَبَ اسْتَلْحَقُــوا ... رِيــمَ الصُّهَيْبِيِّــنَ ذاكَ الأجَــمْ[١]

وكــــان منهـــم فتـــزوَّجْتُـــه ... أو كنتُ مِـن بعـض رجـال العَجَـمْ

هجاؤه لأبي عبيدة بن عبد الله

أخبرني وكيع قال: حدّثني طلحة بن عبد الله بن الزُّبَيْر بن بَكَّار عن عَمّه قال:

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد، ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عُبَيدةَ عنه، فهجره من أجله، فهجاه؛ فقال:

قطــعَ الصفــاء - ولــم أكــن ... أهــلاً لـــذاك - أبـــو عُبَيْـــدَهْ

لا تَحْسبَنَّـــكَ عـــاقـــلاً ... فَـلأنـتَ أحمـقُ مـن حُمَيْـدَهْ[٢]

حميدة: امرأة كانت بالمدينة رعناء يُضْرَب بها المَثَلُ في الحمق.

[١٤/١٢٣] / **شعره في قيان حماد بن عمران**

حدّثني عَمّي ووكيع قالا: حدّثنا الكُرَانيّ عن أبي غَسّان دَمَاذ عن أبي عُبَيْدةَ قال:

دخل ابن أبي الزوائد إلى حَمّاد بن عِمْران الطَّلْحِي، وكان يُلَقَّبُ بعُطْعُط، وكان له قِيانٌ يسمعهنّ الناسُ عنده، فرآهن ابن أبي الزوائد فقال فِيهنّ:

أقــول وقــد صُفّــتِ البُظْـرُ لِـي: ... أَلِلْبُظْــرِ أدخلنـــي عُطْعُـــطُ؟

فـــإنّــي امــرؤٌ لا أحِــبُّ الــزِّنَــا ... ولا يَسْتَفِــزُّنِــي البَــرْبَــطُ[٣]

ولــو بَعْضُهــنّ ابتغـى صَبْــوَتــي ... لَخَــالَــطَ هَــامَتَهــا المِخْبَــطُ[٤]

لبئـس فِعــالُ امــرىءٍ قــد قَــرَا ... وهَمَّــتْ عَــوَارِضُــه تَشْمَــطُ[٥]

ومــا كنــتُ مفتــرشــاً جــارتــي ... وسَيِّــدُهــا نــائــمٌ يَضْــرِطُ

أأُفْــرِغُ فــي جــارتـــي نُطْفَــةً ... حَــرامــاً كمــا يُفْـرَغُ المُسْعُـطُ[٦]

هجاؤه لامرأته الأنصارية

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثني أبو هَفَّان قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: حدّثني المُسَيَّبي:

(١) ريم: مخفف رئم، وهو الظبي الخالص البياض، أجم: ليس له قرنان.

(٢) في جـ: «من عبيدة» وهو خطأ.

(٣) البربط: العود؛ معرب.

(٤) المخبط كمنبر: العصا يخبط بها الورق.

(٥) في الأصول، «لبئس فعل من قد قرى» وهو تحريف لا يستقيم به الوزن. وقرا: مسهل عن «قرأ» أي الذي قد قرأ القرآن، وقد كان يؤم الناس في مسجد رسول الله ﷺ كما ذكر في أوّل الترجمة، والشمط بالتحريك: بياض الرأس يخالط سواده. والعارضة: صفحة الخد.

(٦) المسعط (بضم الميم والعين وكمنبر): ما يجعل فيه السعوط ويصب منه في الأنف.

أنّ ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصاريّة، فطال لُبثُها عنده حتى ملّها وأبغضها، فقال يهجوها:

/ يا رَمْلُ أنتِ الغُولُ بين رِمالِ ... لم تَظْفَري ببُقى ولا بِجَمالِ[1] [١٤/١٢٤]

يا رَمْلُ لو حُدِّثْتُ أنّكِ سَلْفَعٌ ... شَوْهاءُ كالسِّعْلاةِ بين سَعالي[2]

ما جاء يطلبُكِ الرسولُ بخطبةٍ ... منّي ولا ضُمّتْ عليكِ حِبالي

ولقد نَهى عنكِ النّصيحُ وقال لي: ... لا تَقْرِنَنَّ بَذِيّةً بِعِيالِ

لمّا هَزَزْتُ مُهَنّدي وقذفتُه ... فيها وقد أرهفتُه بصِقالِ

/ رَجَعَ المُهَنّدُ ما لَه من حِيلةٍ ... وهناك تَضْعُبُ حِيلةُ المحتالِ ١٧٢/١٢

وكأنّما أولجتُه في قُلّةٍ ... قد بُرِّدتْ للصومِ أو بوقالِ[3]

ورأيتُ وجهاً كاسفاً مُتَغيّراً ... وحِراً أشقَّ كمِرْكَنِ الغَسّالِ[4]

ما كان أيْرُ الفيلِ بالِغَ قَعْرِهِ ... بتَحامُلٍ عَنَةً ولا إدخالِ

ولقد طعنتُ مَبالَها بسُلاحِها ... فوجدتُ أخبثَ مَسْلَحٍ ومَبالِ

قال: وقال لها وقد فخرَتْ:

هلّا سألتِ مَنازلاً بِغُرارِ ... عَمّن عَهِدْتُ به من الأحرارِ[5]

أين انتأَوْا ونحاهُمُ صَرْفُ النوى ... عنّا وصَرْفُ مُقَحّمٍ مِغْيارِ[6]

/ كَرِهَ المُقامَ وظَنّ بي وبأهلِها ... ظَنّاً فكان بنا على إضْرارِ [١٤/١٢٥]

عُدّي رِجالَكِ واسْمَعي يا هَذِهِ ... عَنّي مَقالةَ عالمٍ مِفْخارِ

سأعُدُّ ساداتٍ لنا ومَكارِماً ... وأُبُوّةً ليستْ عليَّ بعارِ[7]

قَيْسٌ وخِنْدِفُ والدايَ كِلاهُما ... والعَمُّ بَعْدُ ربيعةُ بنُ نزارِ[8]

مَنْ مِثْلُ فارسِنا دُرَيْدٍ فارساً ... في كلِّ يومِ تَعانُقٍ وكِرارِ[9]

---

(١) في الأصول: «بيقا» وهو تحريف.

(٢) والسلفع: الصخابة البذيئة السيئة الخلق، والسعلاة. أخبث الغيلان.

(٣) البوقال: كوز بلا عروة «القاموس».

(٤) والمركن: الآنية التي تغسل فيها الثياب.

(٥) في الأصول «بفزار». وغرار: جبل بتهامة.

(٦) انتأى: نأى وبعد، والنوى: البعد. في جـ: «ملحم» وفي ب، س: «مفحم» وأراه «مقحم» بالقاف، وتقحيم النفس في الشيء: إدخالها فيه من غير روية.

(٧) في س: «سأعده». وفي ب «سأعد سودات» وفي جـ: «سأعده سوادات»، وكله تحريف.

(٨) قيس، هو قيس بن الياس وهو عيلان بن مضر بن نزار. وخندف هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة زوجة الياس بن مضر بن نزار.

(٩) دريد: هو دريد بن الصمة فارس العرب، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. وكرار: مصدر، كارّه مكارّة وكراراً.

وبنو زيادٍ مَنْ لِقَومِكَ مِثْلُهُمْ أو مِثْلُ عنترةَ الهِزَبْرِ الضَّارِي[١]
والحيُّ من سعدٍ ذُؤابةُ قَوْمِهِمْ والفَخْرُ منهم والسَّنامُ الواري[٢]
والمانِعونَ من العَدُوِّ ذِمارَهُمْ والمُدْرِكونَ عَدُوَّهم بالثَّارِ
والناكحون بناتِ كلِّ مُتَوَّجٍ يومَ الوَغَى غَصْباً بلا إمهارِ
وبنو سُلَيْم نُكْلُ مَنْ عاداهُمُ وحَيَا العُفَاةِ ومَعْقِلُ الفُرَّار[٣]
ليسوا بأنكاسٍ إذا حَاسَتْهُمُ الـ ـمَوْتَ العُدَاةُ وصَمَّمُوا لِمُغَارِ[٤]

قدومه بغداد وتشوقه إلى المدينة وشعره / [١٢٦/١٤]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكّار عن عَمّه قال:

كان ابن أبي الزوائد وَفَدَ إلى بغداد في أيّام المهديّ، فاستوخمها، فقال يتشوق إلى المدينة ويخاطب أبا غَسَّان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً:

يابْنَ يحيى ماذا بَدَا لك مَاذَا أمُقَامٌ أم قد عَزَمْتَ الخِيَاذَا[٥]
فالبراغيثُ قد تَثَوَّرَ منها سامرٌ ما نَلُوذَ منها مَلاذَا[٦]
فَنَحُكُّ الجُلُودَ طوراً فَتَدْمَى ونَحُكُّ الصُّدُورَ والأفخاذا
فسَقَى اللّهُ طَيْبَةَ الوَبْلَ سَحّاً وسَقَى الكَرْخَ والصَّراةَ الرَّذَاذَا[٧]
بلدةٌ لا ترى بها العَيْنُ يوماً شارباً للنَّبِيذِ أو نَبَّاذَا[٨]
أو فتىً ماجناً يرى اللَّهْوَ والبا طِلَ مجداً أو صاحباً لَوَّاذَا[٩]
هذه الذال فاسمعوها وهاتُوا شاعِراً قال في الرَّوِيِّ على ذا

---

(١) هو زياد بن الربيع من بني عيسى بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان. وعنترة الفوارس من بني عبس. والهزبر: الأسد.

(٢) سعد: هم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن عيلان بن مضر، أو هم بنو سعد بن بكر بن هوزان.. وذؤابة كل شيء: أعلاه. الواري: الشحم السمين.

(٣) بنو سليم: هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة. والنكل: الموت والهلاك. في جـ، ب، س: «فكل»؛ وهو تحريف. والحيا: الخصب والمطر. والعفاة: جمع عاف، وهو كل طالب فضل أو رزق.

(٤) أنكاس: جمع نكس بالكسر، وهو الضعيف والمقصر عن غاية النجدة والكرم. وحاسي: مفاعلة من الحسو، والمغار: الإغارة.

(٥) كذا في الأصول والذي في «لسان العرب» و «تاج العروس»: الخواذ والمخاوذة: الفراق. وجاء أيضاً في «القاموس»: الحواذ بالحاء: البعد.

(٦) تثوّر: ثار وهاج، وسمر كنصر: لم ينم.

(٧) طيبة: المدينة المنوّرة. جاء في «النهاية لابن الأثير»: «وفي الحديث أنه ﷺ أمر أن تسمى المدينة طيبة وطابة، وهما من الطيب لأن المدينة كان اسمها يثرب، والثرب: الفساد، فنهى أن تسمى به وسماها طيبة وطابة وهما تأنيث طيب وطاب بمعنى الطيب، وقيل هو من الطيب بمعنى الطاهر لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه». والوبل: المطر الشديد الضخم القطر. والكرخ: محلة ببغداد. والصرة: نهر ببغداد. والرذاذ: المطر الضعيف.

(٨) نبذ نبيذاً: اتخذه، والنباذ: بائع النبيذ، كالخمار بائع الخمر.

(٩) يحتمل أن يكون «صاخباً» من الصخب وهو كثرة اللغط والجلبة. ولواذ مبالغة في لائذ، من لاذ به أي لجأ إليه وعاذ به.

قـالهـا شـاعـرٌ لـوَ أنَّ القـوافـي كُـنَّ صخـراً أطـارَهُـن جُـذَاذَا(١)

[١٢٧/١٤] / **شعره حين شرب خمراً**

قال الزبير: وأنشدني له أبو غسّان محمد بن يحيى، وكان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز / يقال لأحدهما أبو الجوَّاب، والآخر أبو أيّوب، فسقياه نبيذاً على أنه طَرِيّ لا يُسْكِر، فأسكره؛ فقال: ١٧٣/١٢

سَقَـانِـي شـربـةً فسَكِـرْتُ منهـا أبـو الجَـوَّابِ صـاحِبِـيَ الخبيـث

وعـاونَـه أبـو أيُّـوبَ فيهـا ومِـنْ عـاداتـه الخُلُـقُ الخَبيـثُ

فلمّـا أن تَمَشَّـتْ فـي عِظـامـي وهَمَـتْ وثْبَتِـي منهـا تَـرِيـثُ(٢)

علمـتُ بـأنّنـي قـد جئـتُ أمـراً تسـوءُ بـه المقـالـةُ والحـديـثُ

فـدَعهـمْ ـ لا أبـالـك ـ واجْتَنِبْهُـمْ فـإنَّ خَلِيطَهُـمْ لَهُـوَ اللّـوِيـثُ(٣)

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين:

كـالشمـس فـي شَـرْقِهـا إذا سَفـرَتْ عنهـا ومِثْـلُ المَهَـاةِ مُلْتَثِمَـةْ(٤)

مـا صَـوَّرَ اللهُ حيـن صَـوَّرهـا فـي سـائـر النـاسِ مثلَهـا نَسَمَـةْ

كـلَّ بـلادِ الإلـهِ جئـتُ فمـا أبصـرتُ شِبْهـاً لهـا ـ وقـد عَلِمَـهْ ـ

أنثـى(٥) مـن العـالميـن تُشْبِهُهـا عـابسـةً هكـذا ومُبْتَسِمَـةْ

فتّـانـةُ المُقْلتَيْـنِ مُخْطَفَـةُ الـ ـأحشـاءِ منهـا البَنَـانُ كـالعَنَمَـةْ(٦)

إذا تعـاطـتْ شيئـاً لتـأخـذَه قلـتَ غَـزَالٌ يَعْطُـو إلـى بَـرَمَـةْ(٧)

[١٢٨/١٤] / يـا طِيـبَ فِيهـا وطِيـبَ قُبْلتهـا والقُـرْبِ مِنْهـا فـي اللّيلـة الشَّبِمَـةْ(٨)

إنّ مـن اللـذّةِ التـي بَقِيَـتْ غِشْيـانَـكَ الخَـوْدَ مـن بنـي سَلِمَـةْ

لا تَهْجُـرِ الخَـوْدَ إن تُغَـالِ بهـا بعـد سُلُـوٍّ، وقبـلَ ذاك فَمَـهْ(٩)

---

(١) الجذاذ: قطع ما كسر، القطعة جذاذة. وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿فجعلهم جذاذاً﴾ هو مثل الحطام والرفات، ومن قرأها جذاذاً بالكسر فهو جمع جذيذ مثل خفيف وخفاف.

(٢) راث يريث: أبطأ.

(٣) الخليط: المخالط، واللويث، الذي في كتب اللغة: الألوث: الأحمق، فالوصف على أفعل، وقد صاغه الشاعر على فعيل، أو هو بمعنى ملوّث ملطخ، فعيل بمعنى اسم المفعول.

(٤) سفرت المرأة: كشفت عن وجهها. والمهاة: البقرة الوحشية.

(٥) في س: «أنفى العالمين» وهو تحريف.

(٦) إخطاف الحشا: انطواؤه وضمره. والعنم: شجر له ثمر أحمر تشبه به بنان الجواري.

(٧) في س: «تعاطت شيء» وهو تحريف، والعطو: التناول ورفع الرأس واليدين. والبرمة: واحدة البرم، وهو ثمر الطلح أو ثمر الأراك.

(٨) الشبمة: الباردة.

(٩) غالى به: اشتراه بثمن غال. ومه: كف. والمعنى: إن تغال بالحبيبة فلا تهجرها بعد سلوها إياك، وكف عن هجرها قبل السلو ـ وذاك أولى بك ـ أي لا تهجرها ولا تقطع وصلها سالية لك أو غير سالية.

آتِـي مُعِـدًّا لهـا الكـلامَ فمـا أنطِـقُ مِـن هيبـةٍ ولا كَلِمَـهْ
أُحِـبُّ واللّـهِ أن أزورَكُـمُ وَخُـدِي كـذا أو أزورَكـم بلُمَـهْ[1]
هـذا الجمـالُ الـذي سمعـتَ بـه سبحـانَ ذي الكِبْريـاء والعَظَمَـهْ
مَـنْ أبصـرتْ عَيْنُـه لهـا شَبَهـاً حَـلَّ عليـه العـذابُ والنَّقِمَـهْ[2]

صوت

يـا هِنْـدُ يـا هِنْـدُ نـوِّلـي رَجُـلاً وكيـف تنويـلُ مَـنْ سَفَكْـتِ دَمَـهْ
أو تُـدْرِكـي نَفْسَـه فقـد هَلَكَـتْ أو تَـرْحَمِيـهِ فمِثْلُكـم رَحِمَـهْ

أمر المنصور بزواج بني عبد مناف بالمنافيات

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن جعفر بن قادم[3] مولى بني هاشم قال: حدّثني عمّي أحمدُ بن جعفر عن ابن دَأْب قال:

[١٤/١٢٩] / خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السَّعْلاء[4] ومعنا مُصْعَبُ بن عبد الله النَّوْفليُّ[5] وثابتٌ والزُّبَير ابنا خُبَيْبِ بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَيْر وابنُ أبي الزوائد السعدي وابنُ أبي ذِئْب مُتَنَزِّهين إلى العَقيق، وقد سأل يومئذٍ، إذا أتانا آتٍ ونحن جُلوس، فسألناه عن الخبر بالمدينة؟ فقال: وَرَدَ كتابُ أمير المؤمنين المنصور أن لا تتزوّج مَنافيَةٌ[6] إلا مَنافيًّا. قال ابن أبي ذِئْب[7]: إذن والله لا يَخْطُب قرشيٌّ إلا من لا يُحبُّها، ولا يَرْغَب فيمن لا يَرْغَب فيها ممن لا فضلَ له عليها، وكان غيرَ حسن الرأي في بني هاشم. وتكلم ابنا خُبَيْبٍ بمثل ذلك، وقال أحدُهما. إنّ نَسَبَنا من بني / عبد مناف قد طال، فأدالنا[8] الله منهم. قال: فغَضِب مُصْعَبٌ النَّوْفليُّ وكان أحْوَلَ فازدادت عيناه انقلاباً، فقال: أما أنت يابن أبي ذِئْب فوالله مَا شرَّفَتْك جاهليّة ولا رَفَعك إسلام، فيقَع في بال أحد أنّك عُنِيتَ بما جَرَى. وأما أنتما يا بَني خُبَيْبٍ فبُغْضُكما لبني عبد مناف تالدٌ موروث، ولا يزال يتجدَّد كلَّما ذكرتم قَتْلَ الزُّبَيْر[9]، وإنكم لمن طِينتين مختلفتين: أما إحداهما فمِنْ صَفيّة، وهي الطِّينة الأبْطَحيّة السَّنيّة، تَنْزِعانِ إليها إذا نافرتما[10]، وتَفْخَران بها إذا افتخرتما، والأخرى الطِّينة العَوّاميّة التي تَعْرِفانها، ولو شئتُ أن أقول لقلتُ، ولكنّ صفيّةَ تَحْجُزُني، فأحْسِنَا

١٧٤/١٢

(١) اللمة: الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة.
(٢) النقمة بفتح النون وكسر القاف، كالنقمة بكسر النون وفتحها مع سكون القاف.
(٣) في ب، س: «قاضم».
(٤) ساقطة من جـ.
(٥) النوفلي: نسبة إلى نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.
(٦) منافية: نسبة إلى عبد مناف المذكور، وهو الجد الثالث للنبي ﷺ.
(٧) كذا في ب، س، ويؤيده ما ورد بعد. وفي جـ: «أبي الزوائد».
(٨) أداله الله من عدوه: نصره عليه.
(٩) قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع في وقعة الجمل، وأتى علياً بسيفه فقال علي: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، لكنه الجبن ومصارع السوء، وقاتل ابن صفية في النار والخبر مشهور.
(١٠) هي السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وأم الزبير بن العوام، والأبطحية: نسبة إلى الأبطح وهو أبطح مكة: مسيل واديها والمنافرة: المفاخرة والمحاكمة في الحسب.

الشُّكْرَ لِمَنْ رَفَعكما، ولا تَميلاَ عليه بمن / وضعكما. فقالا له: مَهْلاً، فوالله لَقَد يُمنا في الإسلام أفضلُ من [١٣٠/١٤] قَديمك، ولَحَظُّنا فيه بالزُّبَيْر أفضلُ من حَظِّك. فقال مُصْعَبٌ: والله ما تَفْخَرانِ في نَسَبِكما إلاّ بعَمّتي، ولا تَفْضُلان في دِينكما إلاّ بابن عمّي ﷺ؛ فَمَفاخِرُه لي دونكما. ثم تفرقوا؛ فقال ابن أبي الزوائد:

لَعَمْـرُكُمـا يـاَبْنَـيْ خُبَيْـبِ بـن ثـابـتٍ ... تجـاوزتُمـا فـي الفَخْـرِ جَهْـلاً مَـدَاكمـا

وأنكـرتُمـا فضـلَ الّـذيـن بِفَضْلِهـمْ ... سَمَـتْ بيـن أيـدِي الأكْـرَمِيـن يَـدَاكُمَـا

فـإنكمـا لـم تَعْـرِفَـا إذ سَمَـوْتُمَـا ... إلـى العِـزِّ مـن آل النبـيِّ أبـاكمـا

ولـم تَعْـرِفـا الفضـلَ الـذي قـد فَخَـرْتُمـا ... فليـس مـن العَـوّام حَقًّـا أتـاكمـا

فلـولا الكِـرامُ الغُـرُّ مـن آل هـاشـمٍ ... ـ فـلا تجهـلا ـ لَـمْ تـدفَعـا مَـنْ رَمَـاكمـا

صوت

مُحِـبٌ صَـدَّ إلْفُـهُ ... فليـس لِلَيْلِـه صُبْـحُ

يُقلِّبُـه علـى مَضَـضٍ ... مَـوَاعـدُ مـا لَهـا نُجْـحُ

لـه فـي عَيْنِـه غَـرْبٌ ... وفـي أحشـائـه جُـرْحُ[١]

صحَـا عنـه الّـذي يـرجـو ... زِيَـارَتَـه ومـا يَصْحُـو

الشعر لأبي الأسَدِ، والغناء لِعَلُّويةَ، هَزَجٌ بالوُسْطَى وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى.

---

(١) الغرب هنا: الدمع.

[١٤/١٣١]

/ أخبار أبي الأسد ونسبه

نسبه

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تِينَة[١] عن القَحْذَميّ، نُبَاتةُ بن عبد الله الحِمَّانِيّ[٢]. وذكر أبو هَفَّانَ المِهْزَميّ[٣] أنّه من بني شَيْبَان. وهو شاعر مطبوع متوسِّط الشِّعْر، من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الدِّينَوَر[٤]. وكان طَبًّا[٥] مليحَ النَّوادِر مَزّاحاً خبيث الهجاء، وكان صديقاً لعَلُّويَه المُغَنِّي الأعسر، يُنادمه ويُواصل عِشْرَته ويَصِلُه عَلُّويه بالأكابر، ويُعَرِّضُه للمنافع، وله صنعةٌ في كثير من شعره.

شعره في جارية ترقبها فأخلفت

فأخبرني عَمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن محمد الأبزاري[٦] قال:

كان أبو الأسَد الشاعر صديقاً لعلويه، وكان كثيراً ما يغنّي في شعره. فدعانا عَلُّويه ليلةً، ووعدته جارية لآل يحيى بن مُعَاذ ـ وكانت تأخذ عنه الغناء ـ أن تزورَه تلك اللّيلَة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغِناءً، وكان عَلُّويه ١٧٥/١٢ / يَهِيمُ بها، فانتظرناها حتى أيِسْنا منها احتباساً. فقال علويه لأبي الأسَد: قُلْ في هذا شعراً؛ فقال:

[١٤/١٣٢]

/ محبٌّ صدَّ إلفُه ... فليس لِلَيْلِه صُبْحُ
صحا عنه الذي يرجو ... زيارتَه وما يصحو

قال: فصَنَع علويه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ في أيدي الناس، وغَنَّانا فيه؛ فلم نَزَلْ نشرب عليه حتى أصبحنا. وصنع في تلك الليلة بحَضْرَتنا فيه الرَّمَلَ في شعر أبي وَجْزَة السَّعْدِيّ:

قَتَلَتْني بغير ذنبٍ قَتُولُ ... وَحَلالٌ لها دَمي المطلولُ
ما على قاتلٍ أصابَ قَتِيلاً ... بدَلالٍ ومُقْلَتَيْنِ سَبِيلُ

طلب من موسى بن الضحاك غلاماً فشاطره غلمانه

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو هَفَّان قال:

كتب أبو الأسَد وهو من بني حِمَّان إلى موسى بن الضحّاك:

لِموسَى أعْبُدٌ وأنا أخُوهُ ... وصاحِبُه، ومالِي غيرُ عَبْدِ

---

(١) تينة: لقب عيسى (كما في «القاموس المحيط»).
(٢) الحماني: نسبة إلى حمان: وهو حي من تميم، أحد حيي بني سعد بن زيد مناة.
(٣) نسبة إلى مهزم كمنبر، ومن أسمائهم أيضاً مهزم كمعظم.
(٤) دينور: مدينة من أعمال الجبل بفارس.
(٥) الطب: الحاذق الماهر. وفي الأصول «طبياً» وهو تحريف.
(٦) الأبزاري: نسبة إلى أبزار وهي قرية بنيسابور.

فلـو شـاء الإلـهُ وشـاء مـوسـى ... لآنَـسَ جـانِـبـي فَـرَجٌ بِسَعْـدِ

قال: و «فَرَجٌ» غلامٌ كان لأبي الأسَد، و «سَعْدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد، وقاسمه بعدَه بقيَّة غِلْمانه، فأخذ شَطْرَهم وأعطاه شَطْرَهم.

سبب هجاؤه أحمد بن أبي دواد

أخبرني محمد الخُزَاعِيّ قال: حدّثني العَبَّاس بن ميمون طائع قال:

هجا أبو الأسد أحمد بن أبي دوادٍ فقال:

أنـت امـرؤٌ غَـثُّ الصَّنِيعَـةِ رَثُّهـا ... لا تُحْسِـنُ النُّعْمَـى إلـى أمثـالـي

نُعْمَـاك لا تَعْـدُوكَ إلاَّ فـي امـرىءٍ ... فـي مَسْـكِ[1] مِثْلِـك مـن ذَوِي الأشكـالِ

/ وإذا نظـرتَ إلـى صَنِيعِـك لـم تَجِـدْ ... أحَـداً سَمَـوْتَ بـه إلـى الإفضـالِ [١٣٣/١٤]

فـاسْلَـمْ بغيـر سَـلاَمـةٍ تُـرْجَـى لهـا ... إلاَّ لِسَـدِّكَ خَلَّـةَ الأنـذالِ[2]

قال: فأدَّى إليه سَلاَمةُ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشةَ هذه الأبياتَ عن أبي الأسَد، فبعث إليه ببُرْد واسْتَكَفَّه[3]، وبعث بابن عائشة إلى مَظَالِم مَاسَبَذَانَ[4]، وقال له: قد شَرِكْتَه في التَّوبيخ لنا فشَرِكْنَاك في الصَّفْقَةِ[5]، فإنْ كنتما صادِقَيْنِ في دَعْوَاكما كنتما من الأنذال، وإن كنتُما كاذبين فقد جُزِيتُما بالقبيح حَسَناً.

سبب الهجاء

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن الحَرُون قال:

كان سَبَبُ هجاء أبي الأسَدِ أحمدَ بن أبي دُوَادٍ أنَّه مَدَحه فلم يُثِبْه، ووعَدَه بالثواب ومَطَلَه؛ فكتب إليه:

ليتَـك إذ نُبْتَنِـي بـواحـدةٍ ... تُقْنِعُنـي منـك آخِـرَ الأبَـدِ

تَحْلِـفُ ألاّ تَبَـرَّنـي أبـداً ... فـإنَّ فيهـا بَـرْداً علـى كَبِـدِي

اِشْـفِ فُـؤادِي مِنِّـي فـإنَّ بـه ... مِنِّـيَ جُـرْحـاً نَكَـأْتُـه بِيَـدِي[6]

إنْ كـان رِزْقِـي إليـكَ فـارْمِ بـه ... فـي نَـاظِـرَيْ حَيَّـةٍ علـى رَصَـد[7]

قـد عشـتُ دهـراً ومـا أقـدِّر أنْ ... أرضَـى بمـا قـد رَضِيـتُ مـن أحـدِ

فكيـف أخطـأتُ! لا أصبـتُ ولا ... نَهَضْـتُ مـن عَثْـرةٍ إلـى سَـدَدِ[8]

---

(١) المسك: الجلد.

(٢) الخلة هنا: الحاجة والفقر.

(٣) استكفه: طلب إليه أن يكف عنه.

(٤) ماسبذان: كورة ببلاد فارس.

(٥) في ب، س: «الصنعة» وهو تحريف.

(٦) نكأ القرحة كمنع: قشرها قبل أن تبرأ فنديت.

(٧) الرصد والمرصد: موضع الرصد. ومرصد الحية: مكمنها.

(٨) السدد والسداد: الاستقامة.

١٧٦/١٢

/ لـو كنتُ حُـرًّا كمـا زعمـتُ وقـد ... كَـدَدْتَنِـي بـالمِطَـالِ لـم أعُـدِ

[١٣٤/١٤]

/ صَبَـرْتُ لمَّـا أسـأتَ بـي، فـإذا ... عُـدْتُ إلـى مِثْلِهـا فعُـدْ وعُـدِ

فـإنَّنـي أهـلُ ذاكَ فـي طَمَعِـي ... وفـي خَطَـائـي سبيـلَ مُعْتَمِـدِ[١]

أبْعَـدَنـي اللّـهُ حيـن يَحْمِلُنـي ... حـرْصِـي على مِثْـلِ ذَا مـن الأوَدِ[٢]

الآنَ أيقنـتُ بعـد فِعْلِـكَ بـي ... أنّـيَ عَبْـدٌ لأعْبُـدٍ قُفُـدِ[٣]

فصِـرْتُ مـن سُـوءِ مـا رُمِيـتُ بـه ... أُكْنَـى أبـا الكَلْـبِ لا أبـا الأسَـدِ

مدحه الفيض بن صالح

أخبرني عليّ بن الحسين بن عبد السميع المَرْوَزِيّ[٤] الوَرّاق قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل تينةُ عن القَحْذَميّ قال:

كان أبو الأسد الشاعر ـ واسمه نُبَاته بن عبد الله الحِمَّاني ـ منقطعاً إلى الفَيضِ بن صالح وزير المَهْدِيّ، وفيه يقول:

ولائمـةٍ لامَتْـكَ يـا فَيْـضُ فـي النَّـدَى ... فقلـتُ لهـا لـن يَقْـدَحَ اللَّـوْمُ فـي البَحْـرِ

أرادتْ لِتَنْهَـى الفَيْـضَ عـن عـادةِ النَّـدَى ... ومَـنْ ذا الـذي يَثْنِي السَّحَـابَ عـن القَطْـرِ؟

مَـوَاقِـعُ جُـودِ الفَيْـضِ فـي كـلِّ بلـدةٍ ... مَـوَاقِـعُ مـاءِ المُـزْنِ فـي البَلَـدِ القَفْـرِ

كـأنّ وُفـودَ الفَيْـضِ لمـا تَحَمَّلُـوا ... إلـى الفيـض لاقَـوْا عنـدَه ليلـةَ القَـدْرِ

وكان أبو الأسد قَبْلَه منقطعاً إلى أبي دُلَف مُدّة، فلمّا قَدِم عليه عليُّ بن جَبَلةَ العَكَوَّكُ غَلَب عليه، وسقطتْ منزلةُ أبي الأسَدِ عنده، فانقطع إلى الفيض بعد عَزْله عن الوزارة ولزومه منزلَه، وذلك في أيام الرشيد. وفيه يقول:

[١٣٥/١٤]

/ أتيـتُ الفَيْـضَ مُشْتكيـاً زَمَـانِـي ... فـأعْـدَانِـي[٥] عليـهِ جُـودُ فَيْـضِ

وفـاضـتْ كَفُّـه بـالبَـذْلِ منـه ... كمـا كَـفَّ ابـنِ عيسـى ذاتُ غَيْـضِ[٦]

مدحه حمدون بن إسماعيل وهجاؤه علي بن المنجم

أخبرني عيسى بن الحُسَين قال: حدّثني ابن مَهْرُويه قال: حدّثني عليُّ بن الحسن بن الأعرابيّ قال:

سأل أبو الأسَد بعضَ الكُتّاب، وهو عليُّ بن يحيى المنجِّم، حاجةً يسأل فيها بعض الوزراء، فلم يفعل. وبلغ حَمْدُونَ بن إسماعيل الخبرُ، فسأل له فيها مبتدئاً ونَجَزها وأنفذها إليه. فقال أبو الأسد يهجو الرجلَ الذي كان سأله

---

(١) في الأصول: «فاني» «وفي خطاي» وهو تحريف، والخطاء والخطأ: ضد الصواب. وهو هنا بمعنى إخطاء.

(٢) الأود: الاعوجاج.

(٣) قفد جمع أقفد: وهو المسترخي العنق أو الغليظه. وفي الأصول «فقد» وهو تصحيف.

(٤) المروزي: نسبة إلى مرو، وهي بلد بفارس، وكانت قصبة خراسان، نسبة على غير قياس، وينسب إليها أيضاً فيقال مروى بسكون الراء وفتحها.

(٥) أعداه عليه: نصره وأعانه وقواه.

(٦) غاض الماء غيضاً: قل ونقص.

الحاجةَ، ويمدَح حمدونَ بن إسماعيل:

صُنْعٌ من اللَّهِ! أنّي كنتُ أعرِفكم ... قبلَ اليَسَارِ وأنتمْ في التَّبَابِينِ(١)

فما مضتْ سَنَةٌ حتّى رأيتكُمُ ... تَمْشُون في القَزِّ والقُوهِيّ واللِّينِ(٢)

وفي المَشَارِيقِ ما زالتْ نساؤكُم ... يَصِحْن تحت الدَّوالي بالوَرَاشِينِ(٣)

/ فصِرْنَ يَرْفُلْنَ في وَشْيِ العِرَاقِ وفي ... طَرائِف الخَزِّ من دُكْنٍ وطَارُونِي(٤) [١٣٦/١٤]

أُنْسِينَ قَطْعَ الحُلاَوَى من مَعَادِنها ... وَحَمْلَهُنَّ كَشُوثاً في الشَّقَابِينِ(٥)

حتى إذا أيسروا قالوا ـ وقد كذبوا ـ : ... نحن الشَّهاريجُ أولادُ الدَّهاقِينِ(٦)

في آسْتِ أمّ ساسانَ أيرى إنْ أقرّبكم ... وأيْرُ بَغْلٍ مُشِظٌّ في آسْتِ شِيرِينِ(٧)

/ لو سِيلَ أوْضَعُهُم قَدْراً وأنذَلُهم ... لقال من فَخْرِه إنّي آبنُ شُوبِينِ(٨) [١٣٧/١٤]

---

(١) التبابين: جمع تبان كرمان، وهو سراويل صغار مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين.

(٢) القز: الحرير. والقوهيّ: ضرب من الثياب بيض، نسبة إلى قوهستان (بضم القاف وكسر الهاء) وهي كروة بين نيسابور وهراة، ومدينة بكرمان. واللين أي لين العيش وخفضه ونعومته، واللين أيضاً اسم قرية بمرو، وقرية بين الموصل ونصيبين، ولعلها كانت مشهورة بضرب من الثياب ينسب إليها فيقال الليني، كالقوهيّ المنسوب إلى قوهستان، وعليه يكون صواب الكلمة «والليني».

(٣) المشاريق: جمع مشراق كمحراب، أو مشريق كمنديل، وهو موضع القعود في الشمس بالشتاء كالمشرقة مثلثة الراء. والدوالي جمع دالية، وهي الدولاب يستقى عليه، والناعورة. والوراشين: جمع ورشان محركة، وهو طائر شبه الحمامة. ومن أمثال أهل العراق: «بعلة الورشان، تأكل الرطب المشان» ـ وفي «الصحاح»: تأكل رطب المشان بالإضافة، قال: ولا تقل الرطب المشان ـ والمشان (كغراب وكتاب) من أطيب الرطب. يضرب لمن يظهر شيئاً والمراد منه شيء آخر.

(٤) رفلت: جرت ذيلها وتبخترت أو خطرت بيدها. والوشي: نقش الثوب. والخز: الحرير، وفي الأصول «طوائف» وهو تحريف. ودكن: جمع أدكن ودكناء. والدكنة: لون إلى السواد. والطاروني: ضرب من الطرن (بالضم) وهو الخز. وفي الأصول «وطارون» وهو تحريف.

(٥) في الأصول «الحلاني» ولم أعثر عليه، وأرى صوابه «الحلاوى» وهي: نبتة زهرتها صفراء ولها شوك كثير وورق صغير مستدير، والجمع الحلاوى أيضاً والحلاويات، وروى عن الأصمعي في باب فعالي (بالضم والقصر) خزامى ورخامى وحلاوى، كلهن نبت. ومن معادنها: من منابتها، والكشوث (بالفتح وبضم): نبات أصفر يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض، ويجعل في النبيذ، وفي الأصول «كثوثاً» وهو تحريف، ويقال في مولد الأمثال لمن كان ذليلاً: «هو كشوث الشجر»؛ قال الشاعر:

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ... ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

(انظر «اللسان» و«مجمع الأمثال» للميداني في المثل: «أذل من فقع بقرقرة»)، والشقبان بالضم: شباك يسويها الحشاشون (الذين يقطعون الحشيش) من الليف والخوص، تجعل لها عرى واسعة يتقلدها الحشاش فيضع فيها الحشيش. ويقال فيه «شكبان» أيضاً.

(٦) الشهاريج: وجوه القوم وأعيانهم، جمع شهرج، وأصلها بالفارسية جهره ومعناها: الوجه. والدهاقين: جمع دهقان بالكسر والضم، وهو رئيس الإقليم، معرب.

(٧) ساسان، هو ساسان الأكبر أبو أردشير بابك رأس الدولة الساسانية التي حكمت فارس من سنة ٢٠٢ م إلى سنة ٦٣٦ م، وكان آخر أكاسرتها يزدجرد الثالث الذي فتح العرب في عهده بلاد فارس. وشيرين، زوجة برويز ملك الفرس الذي حكم من سنة ٥٩١ إلى سنة ٦٢٧ م وكانت زوجته المحبوبة المقربة إليه، وكان حبه لها مضرب الأمثال في الوفاء والإخلاص، ومادة دسمة لأدباء الفرس وشعرائهم الروائيين، وشظ وأشظ: إذا أنعظ حتى يصير متاعه كالشظاظ (والشظاظ ككتاب: خشبة محددة الطرف تدخل عروتي الجوالقين لتجمع بينهما عند حملهما على البعير). وفي الأصول: «مشط» وهو تصحيف.

(٨) سال يسال كخاف يخاف لغة في سأل. وشوبين: هو بهرام جوبين، وكان صاحب الجيش لدى هرمز بن أنوشروان العادل، وقد سعى بينهما سعاة السوء حتى أفسدوا ذات بينهما، واعتدى هرمز على قائده وظل يوبخه ويستهزيء به حتى اضطره إلى الخروج عليه. وقد جرت بين جوبين وبين هرمز ثم ابنه خسرو برويز حروب انتهت بانهزام جوبين وفراره إلى الترك وقتله هناك.

[١٧٧/١٢]

/ وقال أقطعني كِسْرَى وَوَرَّثني فَمَن يُفاخِرُني أمْ مَنْ يُناوِيني(١)

مَن ذا يُخَبِّر كِسْرَى وهو في سَقَر دعوى النَّبيطِ وهم بَيْضُ الشياطين(٢)

وأنهم زعموا أنْ قد ولدتَهُمُ كما ادّعى الضب إني نُطْفَةُ النُّونِ(٣)

فكان يَنْحَرُ جَوْفَ النار واحدةً تَفْرِي وتَصْدَعُ خوفاً قلبَ قارون(٤)

أمَا تراهم وقد حَطُّوا بَرادِعَهُمْ عن أُتْنهمْ واسْتبدُّوا بالبَراذِين(٥)

[١٣٨/١٤] / وأفرجوا عن مَشارات البُقول إلى دُورِ المُلوك وأبواب السَّلاطِينِ(٦)

تَغْلِي على العُرْب مِن غَيْظٍ مَراجِلُهُمْ عداوةً لِرسول اللَّه في الدِّين

فقل لهم وهمُ أهلٌ لتَزْنِيَةٍ شَرُّ الخَلِيقةِ يا بُخْرَ العَثانِين(٧)

ما النَّاسُ إلا نِزَارٌ في أرومَتها وهاشمٌ سُرْجُها الشُّمُّ العَرانينِ(٨)

والحَيُّ من سَلَفَيْ قَحطانَ إنَّهمُ يُزْرُونَ بالنَّبْطِ اللُّكْنِ المَلاعِين(٩)

فما على ظهرها خَلْقٌ له حَسَبٌ مما يُناسب كِسْرَى غيرُ حَمْدون

قَرْمٌ عليه شَهَنْشاهِيَّةٌ ونَبَاً يُنْبِيكَ عن كسرويّ الجَدُّ مَيْمُونِ(١٠)

وإنْ شَكَكْتَ ففي الإيوانِ صُورتُه فانْظُرْ إلى حَسَبٍ بادٍ ومخزون

---

(١) أقطعه قطيعة من الأرض: أعطاه إياها يتملكها ويستبد بها وينفرد. يناويني مسهل يناوئني، أي يعاديني.

(٢) في الأصول «سفر» وهو تصحيف وسقر: جهنم. والنبط والنبيط والأنباط: جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين. وبيض الشياطين، يعني أولادهم وسلالتهم.

(٣) الضب: دويبة من الحشرات تشبه الورل. قال عبد اللطيف البغدادي: «الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة في الخلق». والنون: الحوت، ومن أمثال العرب: «حتى يؤلف بين الضب والنون» وهما لا يأتلفان أبداً؛ إذ أن مسكن الأول الرمال، ومقر الثاني المياه. وهمزة «إنّ» مكسورة لأنه ضمن «ادّعى» معنى قال، أو التقدير: كما ادّعى الضب قائلاً إني.

(٤) قارون: كان من قوم موسى، وهو ابن عمه وابن خالته؛ وفيه يقول الله تعالى: ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ ونحزه: ضربه ودفعه ونخسه ودقه، ونحزه في صدره: ضربه بجمع كفه. تفري: تشق، وكذا تصدع. وفي ب، س «ينحر» وفيهما أيضاً «يفري ويصدع» وهو تصحيف.

(٥) البرادع: جمع بردعة. وهي بالدال وبالذال، والأتن (بسكون التاء وبضمها) جمع أتان وهي الحمارة. والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العراب.

(٦) أفرجوا عن المكان: تركوه. مشارات المزرعة: مجاري مائها وسواقيها، جمع مشارة. أو هو «مشاراة» بمعنى مبايعة.

(٧) في ب، س «التربية». وفي جـ «الترنية». تصحيف، والتزنية: القذف. وبخر: جمع أبخر وصف من البخر بالتحريك، وهو النتن في الفم وغيره. والعثانين: جمع عثنون كعصفور: وهو اللحية أو ما نبت على الذقن وتحته سفلاً. ويريد بها هنا الأفواه.

(٨) الأرومة (بفتح الهمزة وتضم): الأصل. وسرج: جمع سراج. والشم: جمع أشمّ وصف من الشمم بالتحريك: وهو ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها. والعرانين: جمع عرنين بالكسر وهو الأنف. وشم العرانين: كناية عن الرفعة والعلو وشرف الأنفس.

(٩) قحطان: هو أصل عرب اليمن ومنه تناسلوا. قوله: سلفي قحطان لأن مرجع العرب القحطانية إلى قبيلتين: حمير بن سبأ، وكهلان بن سبأ. واللكن: جمع ألكن وصف من اللكنة بالضم، وهي عجمة في اللسان وعيّ.

(١٠) القرم: السيد. وشهنشاهية: نسبة إلى شهنشاه، وشاه بالفارسية: معناه الملك، وشهنشاه: معناه ملك الملوك، قال الأعشى:
* وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه * وأصله شاهان شاه، حذف منه الألفان فبقي شهنشاه، ونبا سهل نبأ، وهو الخبر.

عتابه لأبي دلف لحجبه إياه [١٤/١٣٩]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر.

أنّ أبا الأسَد زار أبا دُلَف في الكَرَج[١]، فحُجِب عنه أياماً، فقال يعاتبه وكتب بها إليه:

ليت شعري أضاقتِ الأرضُ عنّي ... أم بِفَجٌ أنا الغداةَ طَريدُ[٢]؟

أم أنا قانعٌ بأدنى مَعاشٍ ... هِمّتي القُوتُ والقليلُ الزَّهيدُ

مِقْوَلي قاطعٌ وسيفي حُسَامٌ ... ويَدي حُرَّةٌ وقلبي شَديدُ

رُبَّ بابٍ أعزَّ من بابك اليَوْ ... مَ عليه عَسَاكِرٌ وجُنودُ

قد ولَجْناهُ داخلينَ غُدُوًّا ... ورَوَاحاً وأنت عنه مَذُود[٣]

فاكْفُفِ اليومَ من حِجَابِكَ إذ لسـ ... ـتَ أميراً ولا خَميساً تَقُودُ[٤]

واغْتَرِبْ في فَدافِد الصدِّ إذ لسـ ... ـتُ أسيراً ولا عليّ قُيُودُ[٥]

لا يُقِيمُ العزيزُ في بلد الهُو ... نِ ولا يُكْبَتُ الأريبُ الجَليدُ[٦]

شعره في صديقه بسطام [١٤/١٤٠]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: أنشدني أبو هَفَّانَ لأبي الأسَد في صديق له يقال له بِسْطام كان بَرًّا به - قال: وهذا من جَيِّد شعره، وقد سرق البُحْتُرِيُّ معناه منه في شعر مدح به عليَّ بن يحيى[٧] المنجِّم -:

أغْدُو على مال بِسْطامٍ فأنْهَبُهُ ... كما أشاءُ فلا تُثْنَى إليّ يَدي

حتى كأنّيَ بِسْطامٌ بما احتكمتْ ... فيه يَداي وبِسْطامٌ أبو الأسَدِ

رثاؤه إبراهيم الموصلي

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: حدّثني أبو هَفَّان، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثني أبو أيوب المَدِيني قال: حدّثنا أبو هَفَّانَ قال: حدّثني أبو دِعامةَ قال:

لمّا مات إبراهيم المَوْصِليّ قِيل لأبي الأسَدِ - وكان صديقَه - ألاّ تَرْثِيه؟ فقال يرثيه:

---

(١) الكرج: مدينة بفارس بين همذان وأصبهان؛ وأوّل من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي وجعلها وطنه، وإليها قصده الشعراء وذكروها في أشعارهم. وفي الأصول «إلى الكرج».

(٢) الفج: الطريق الواسع بين جبلين.

(٣) مذود: مدفوع مطرود.

(٤) الخميس: الجيش، لأنه خمس فرق: المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة.

(٥) في الأصول «واعترف» وهو تحريف. وفدافد: جمع فدفد كجعفر، وهي الفلاة. وفي جـ «فدافي» وهو تحريف.

(٦) في الأصول «يكسب» وهو تحريف، وكبته كضرب: أذله.

(٧) في الأصول «علي بن صالح يحيى المنجم». وأكبر ظني أن الناسخ أقحم كلمة «صالح» في الكلام إقحاماً. وقد تقدمّ في «الأغاني» أنه من رجال السند، وورد في «ديوان البحتري» مدائح فيه. وورد في «تاريخ بغداد» ١٢: ١٢٢ «علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، كان راوية للأخبار والأشعار، شاعراً محسناً، أخذ عن إسحاق الموصلي الأدب وصنعة الغناء، ونادم المتوكل وكان من خاصة ندمائه عنده وعند من بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، وتوفي آخر أيام المعتمد».

[١٧٨/١٢] / تَوَلَّى المَوْصِلِيُّ فقد تَوَلَّتْ … بَشَاشَاتُ المَزَاهِرِ والقِيَانِ[١]

وأيُّ مَلَاحَةٍ بَقِيَتْ فتَبْقَى … حياةُ المَوْصِلِيِّ على الزَّمانِ![٢]

ستَبْكِيهِ المَزَاهِرُ والمَلَاهِي … ويُسْعِدُهُنَّ عاتقةُ الدِّنانِ[٣]

وتَبْكِيهِ الغَوِيَّةُ إذ تَوَلَّى … ولا تَبْكِيهِ تاليةُ القُرانِ[٤]

[١٤١/١٤] / فقيل له: وَيْحك فضحته وقد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لا يعقل، أما من يعقل فلا. وبأيِّ شيء كنت أذكره وأرثيه به؟ أبالفِقْه أم بالزُّهْد أم بالقِراءة؟ وهل يُرْثَى إلّا بهذا وشبْهه!

هجاؤه شاهين ابن أخي أبي دلف

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب لأحمد بن عليٍّ بن يحيى، أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطُّوسيّ قال:

كنت مقيماً بالجبل[٥] فمرّ بي أبو الأسد الشاعر الشَّيْبانيّ، فأنزلته عندي أياماً، وسألته عن خبره فقال: صادفتُ شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دلف، فما احتبسني ولا برَّني ولا عرض عليّ المُقَام عنده، وقد حضرني فيه أبيات فأكْتُبْها، ثم أنشدني:

إنّي مررتُ بشاهينٍ وقد نَفَحَتْ … رِيحُ العَشِيِّ وبَرْدُ الثَّلجِ يُؤذِيني[٦]

فما وَقَى عِرْضَهُ مِنّي بِكُسْوَتِهِ … لا بَلْ ولا حَسَبٍ دانٍ ولا دِينِ

إن لم يكن لَبَنُ الدّايَاتِ غَيَّرَه … عن طبع آبائه الشُّمِّ العَرَانِينِ[٧]

فرُبَّما غابَ بعلٌ عن حَلِيلتِه … فناكها بعضُ سُوّاسِ البَرَاذِينِ[٨]

وما تحرّكَ أيرٌ فامتلا شَبَقاً … إلّا تَحَرَّكَ عِرْقٌ في اسْتِ شاهينِ[٩]

[١٤٢/١٤] / ثم قال: لأُمَزِّقَنَّه كلَّ مُمَزَّقٍ، ولأصِيرَنَّ إلى أبي دُلَفَ فلأُنشدَنَّه. ومضى من فَوْره يريد أبا دُلَفَ، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ، فشَقَّ عليه وغَمَّه. وأتاه أبو الأسَد فدخل عليه، فسأله عن قِصَّته مع شاهين، فأخبره بها؛ فقال: هَبْه لي. قال: قد فعلت. وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأمسك عنه.

قال أبو الفرج: هذا البيت الأخير لبَشّار كان عَرَض له فقال:

---

(١) المزاهر: جمع مزهر كمنبر، وهو العود يضرب به.

(٢) في الأصول «فلاحة» وهو تحريف.

(٣) خمر معتقة وعتيق وعتيقة وعاتق: لم يفض أحد ختامها أو قديمة حبست زماناً في ظرفها.

(٤) الغوية: المرأة الضالة. والقران: مسهل القرآن.

(٥) بلاد الجبل: بأرض فارس.

(٦) في الأصول «الفحت» واللفح لكل حار من الرياح، والنفح لكل بارد.

(٧) الدايات: جمع داية، جاء في «اللسان»: الداية: العائر حكاه ابن جني، قال: كلاهما عربي فصيح وأنشد للفرزدق:

ربيبة دايات ثلاث ربينها … يلقمنها من كل سخن ومبرد

(٨) البعل: الزوج. والحليلة: الزوجة.

(٩) الشبق: شدّة الغلمة وطلب النكاح.

ومـا تحـرَّك أيْـرٌ فـأمتـلا شَبَقـاً إلا تحـرَّك عِـرْقٌ فـي آست . . . . . .

ثم قال: في آست من؟ ومرَّ به تسنيم بن الحواري[1] فسلّم عليه، فقال: في آست تسنيم والله. فقال له: أيُّ شيء ويلك؟ فقال: لا تَسَلْ. فقال: قد سمعتُ ما أكره، فاذكر لي سَبَبَه. فأنشده البيت، فقال: ويلك! أيُّ شيء حَمَلك على هذا؟ قال: سَلاَمُك عليّ. لا سَلَّم الله عليك ولا عليّ إن سلَّمت عليك بعدها، وبَشَّار يضحك. وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشار[2].

صوت

وقد جُمع معه كل ما يُغَنَّى في هذه القصيدة:

أجِـدَّكَ إنْ نُعْـمٌ نـأتْ أنـت جـازعُ قَـدِ اقْتـربـتْ لَـوْ أنَّ ذلـك نـافـعُ

وحَسْبُـكَ مِـن نـأيٍ[3] ثـلاثـةُ أشْهُـر ومـن حَـزَنٍ أنْ شَـاقَ قَلْبَـك رابـعُ

/ بكـتْ عَيْـنُ مَـنْ أبكَـاك ليس لـك البُكـى ولا تَتَخـالجْـك الأُمـورُ النَّـوازعُ[4] [١٤/١٤٣]

فـلا يَسْمَعَـنْ سِـرِّي وسِـرَّك ثـالـثٌ ألا كـلُّ سِـرٍّ جَـاوَزَ اثْنَيْـن شـائـعُ

/ وكيـف يَشِيـعُ السِّـرُّ مِنِّـي ودُونَـه حِجابٌ ومِـن فـوق الحِجَـابِ الأضَـالِـعُ [١٧٩/١٢]

كـأنَّ فُـؤادي بيـن شِقَّيـنِ مِـن عَصـاً حِـذَارَ وُقـوعِ البَيْـنِ والبَيْـنُ واقـعُ

وقـالـت وعينـاهـا تَفِيضـانِ عَبْـرةً بـأهلِـيَ، بَيِّـنْ لـي مَتَـى أنـت راجـعُ؟

فقلـتُ لهـا بـاللَّـه يَـدْري مُسـافِـرٌ إذا أضمـرتـه الأرضُ مـا اللَّـه صـانـعُ؟

فشَـدَّت علـى فِيهـا اللِّثَـام وأعـرضـتْ وأقبلـنَ بـالكُحْـلِ السَّحِيـقِ المدامـعُ[5]

عَرُوضه من الطويل. الشعر لقَيْس بن الحُدَادِية، والغناء لإسحاق في الأوّل والثاني من الأبيات خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى، وفي الثالث وما بعده أربعة.

(١) سموا: الحواري بفتح أوّله وثانيه وفي آخره ياء مشدودة، والحوارى بضم أوله وبواو مشدودة مفتوحة وراء مفتوحة، انظر «تاج العروس».

(٢) انظر الجزء الثالث ١٧٣ طبع دار الكتب، وفي تلك الرواية: ما قام أير حمار . . . . .

(٣) في الأصول «من ثاني» وفي ب، س، «رائع» وهو تحريف.

(٤) تخالجته الهموم: نازعته؛ يقال: تخالجته الهموم: إذا كان له هم في ناحية وهم في ناحية كأنه يجذبه إليه. والنوازع: التي تنزع النفوس من صدورها.

(٥) السحيق: المسحوق. وأقبلن بإثبات النون، على لغة طيىء وأزد شنوءة أو هو وأقبل وسيرد بعد في القصيدة «وأمعن».

[١٤٤/١٤] ٢/١٣

/ أخبار قيس بن الحُدادية ونسبه

هو قيس بن مُنقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر[١] بن صالح بن حَبَشِية[٢] بن سَلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خُزاعة بن عمرو وهو مُزَيقِياء[٣] بن عامر / وهو ماءُ السماء بن حارثة الغِطريف[٤] بن امْرىء القيس البِطْريق[٥] بنِ ثعلبة بن مازن بن الأزد، وهو «رداء[٦]»، ويقال: رديني»، وقد مضى نسبه متقدّماً؛ والحُدادية أمّه، وهي امرأة من مُحارب بن خَصَفة بن قيس بن عيلانَ بنِ مُضَر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حِداد. شاعر من شعراء الجاهليّة، وكان فاتكاً شجاعاً صُعْلوكاً خليعاً، خلعتْه خُزاعةُ بسُوق عكاظ، وأشهدتْ على أنفُسها بخَلْعها إيّاه، فلا تَحتمِل جريرةً له، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحدٌ عليه. [١٤٥/١٤]

أغار على بني قمير وقتل ابن عش وقال شعراً

قال أبو الفرج: نسختُ خبرَه من كتاب أبي عمرو الشَّيْباني: لمّا خلَعتْ خُزاعةُ بن عمرو ـ وهو مُزَيْقِياء بن

(١) في ب وس «ضياطر» وقد تكرر فيهما، والصواب في جـ. جاء في «كتاب الاشتقاق» لابن دريد طبع أوربة ص ٢٧٦: «رجال خزاعة وبطونها... ومنهم بنو ضاطر، والضاطر اشتقاقه من قوم ضياطر. وهو الضخم الذي لا منفعة فيه ولا غناء، والجمع ضياطر وضيطرون» وجاء في ص ٢٧٧: «ومن بني ضاطر: قيس بن عمرو بن منقذ (بتقديم عمرو على منقذ) الشاعر الذي يقال له ابن الحدادية، جاهلي، وبنو حداد من بني كنانة» ـ وقد ضبط فيه بالشكل بضم الحاء وفتح الدال مخففة ـ.
وجاء في كتاب «مختلف القبائل ومؤتلفها» لأبي جعفر محمد بن حبيب طبع أوربه ص ٣٥: «وفي كنانة بن خزيمة: حداد بن مالك بن كنانة» مضبوطا بالشكل بضم الحاء.
وجاء في هذا الكتاب أيضاً: «وفي طيىء: حداد بن نصر بن سعد بن نبهان» مضبوطاً بضم الحاء وفتح الدال مخففة، وفي «لسان العرب»: «وبنو حداد: بطن من طيىء» مضبوطاً بضم الحاء وتشديد الدال ولكن صاحب «الأغاني» /ج ١ ص ٤١٧ والسمعاني مادة حدد/ ضبطاه بكسر الحاء وتخفيف الدال.

(٢) حبشية: جاء في «القاموس»: «وحبشية بن سلول بالضم» أي بضم الحاء، وفي «تاج العروس»: «وضبطه بعضهم بفتح الحاء وسكون الموحدة، نقله الحافظ» وجاء في كتاب «مختلف القبائل ومؤتلفها» ص ٤: «في خزاعة: حبشية (بفتح الحاء والباء) بن سلول بن كعب ... ... وفي «مزينة»: حبشية (بضم الحاء وسكون الباء) بن كعب بن عبد بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو وهو مزينة».

(٣) كان من ملوك اليمن، وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب، فإذا أمسى خلعهما ومزقهما، وكان يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما غيره، وهو جد الأنصار، ولذلك فخر أوس بن الصامت (أخو عبادة بن الصامت) بقوله:

أنا ابن مزيقيا عمرو، وجدّي ... أبوه عامر ماء السماء

ولقب أبوه عامر بماء السماء لجوده وكثرة نفعه فشبه بالغيث، وأما المنذر بن ماء السماء اللخمي أحد ملوك الحيرة فإن أباه امرؤ القيس عمرو بن عدي، وماء السماء أمه وهي بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط، وإنما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها ـ انظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢: ١٤٨ ترجمة المهلب بن أبي صفرة.

(٤) الغطريف: السيد الشريف السخي السريّ.

(٥) البطريق: الرجل الوضيء المختال المزهو، والبطريق بلغة الروم: القائد الحاذق بالحرب وأمورها، ويقال: إن البطريق عربي وافق العجمي، وهو لغة أهل الحجاز، وقال أمية بن أبي الصلت:

من كل بطريق لبطـ ... ـريق نقي الوجه واضح

(٦) كذا في الأصول. وفي «طرفة الأصحاب» ص ٢٠: «ابن درة» ويقال: درّاء.

عامر، وهو ماء السماء بن الحارث ـ قيسَ بن الحِداديّة، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعيا قوم منهم يقال لهم: بنو قُمَير بن حبشيّة بن سَلُول، فَجمعَ لهم قيسٌ شُذّاذاً[1] من العَرَب وفُتّاكاً من قومه، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلاً يقال له ابن عُش، واستاق أموالَهم، فلحقه رجل من قومه كان سيّداً، وكان ضَلْعه[2] مع قيس فيما جَرَى عليه من الخلع، يقال له أبن محرِّق، فأقسم عليه أن يردّ ما أستاقَه، فقال: أمّا ما كان لي ولقومي فقد أبررتُ قسَمَك فيه، وأمّا ما اعتوَرته[3] أيدي هذه الصعاليك فلا حيلةَ لي فيه، فردّ سهمَه وسهمَ عشيرته، وقال في ذلك:

/ فـأقسـم لـولا أسْهَـم ابـنُ محـرِّقٍ ... مـع اللّـه مـا أكثـرتُ عَـدَّ الأقـارب[4] [١٤٦/١٤]

/ تـركـت ابـن عُـشٍّ يـرفعـون بـرأسـه ... يَنـوءُ بسـاقٍ كعبُهـا غيـرُ راتـب[5] $\frac{٣}{١٣}$

وأنهـاهُـم خلعـي علـى غيـر مِيـرةٍ ... مـن اللحـم حتـى غُيِّبـوا فـي الغـوائـب[6]

وقال أبو عمرو: أغار أبو بردة بنُ هلال بنِ عُوَيْمر، أخو بني مالك بن أفصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن أمرىء القيس على هَوازِنَ في بلادها، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، فاقْتَتلوا قتالاً شديداً، فأنهزمتْ بنو عامر[7] وبنو نصر، وقَتَل أبو بردة قيسَ بنَ زهير أخا خِداش بن زهير الشاعر، وسَبَى نسوةً من بني عامر: منهن صخرةُ بنتُ أسماءَ بن الضَّرِيبة النَّصري، وامرأتين منهم يقال لهما: بَيْقَر وَريَّا، ثم انصرفوا راجعين، فلما انتهُوا إلى هَرْشَى[8] خَنَقَتْ صخرة نفسَها فماتت، وقَسَم أبو بُرْدة السبيَ والنَّعَم والأموال في كلّ من كان معه، وجعل فيه نصيباً لمن غاب عنها من قومه وفرّقه فيهم.

ثم أغارت هوازنُ على بني ليث، فأصابوا حيًّا منهم يقال لهم: بنو الملوح بن يَعْمَر بن عوف، ورِعاءً لبني ضاطر بني حبشية، فقتلوا منهم رَجْلاً وسبَوْا منهم سبياً كثيراً وأستاقوا أموالَهم، فقال في ذلك مالك بن عوف النَّصري[9]:

/ نحـن جلبْنـا الخيـلَ مـن بطـن لِيَـةٍ ... وجِلـدانَ جُـرْداً مُنْعَـلاتٍ ووُقَّحـا[10] [١٤٧/١٤]

---

(١) الشذاذ: الذين ليسوا في حيهم ومنازلهم.

(٢) ضلعك معه بفتح الضاد، أي ميلك وهواك.

(٣) اعتوروا الشيء وتعاوروه: تداولوه.

(٤) لولا أسهم: أي لولا أن أسهم بتقدير أن كقوله:

أنـت المبـارك والميمـون سيـرتـه ... لـولا تقـوّم درء القـوم لاختلفـوا

وأسهم له: أعطاه سهماً والمعنى: لولا أن ابن محرق جعل لله سهماً في هؤلاء القوم أي لولا أنه أقسم عليّ بالله أن أرد إليهم ما غنمته منهم، ما أكثرت عد الأقارب: أي لقللت عدد أقاربي فلم أبق على هؤلاء الذين نالوني بالأذى منهم.

(٥) غير راتب: أي غير منتصب.

(٦) نهى من اللحم كفرح وأنهى: شبع منه واكتفى. الميرة: الطعام يمتاره الإنسان أي يجلبه، وفي جـ «وأنهاهم خلعي غير ميرة» بإسقاط «على» وفي ب، س «على غير مرة عن».

(٧) هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

(٨) هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة.

(٩) كان قائد المشركين في غزوة حنين.

(١٠) لية: من نواحي الطائف، مر به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف وأمر وهو بلية بهدم حصن مالك بن عوف. جلدان: ويروى بالدال وبالذال، موضع قرب الطائف بين لية وسبل، يسكنه بنو نصر بن معاوية بن هوازن، جرداً جمع أجرد: وهو القصير الشعر، وذلك من علامات العتق والكرم، وفرس منعل: شديد الحافر، ووقح الحافر: صلب فهو واقح والجمع وقح، ووقاح كسحاب، والجمع وقح كسحب أي صلب باق على الحجارة. وفي البيت خرم.

فـأصبحـن قـد جـاوزن مَـرًّا وجُحْفَـةً وجـاوزن مـن أكنـاف نخلـةَ أبطحَـا(١)
تلقَّطـن ضَيطـارِي خُـزاعـة بعـد مـا أبَـرْنَ بصحـراء الغمِيـم الملَـوَّحـا(٢)
قتلنـاهُـم حتـى تـركنـا شـريـدهـمْ نسـاء وأيتـامـاً ورَجْـلاً مُسَـدَّحـا(٣)
فـإنـك لـو طـالعتهـم لحسِبتهـم بمنعـرَج الصَّفـراء عِتْـراً مُـذبَحـا(٤)

أغار على هوازن وقتل أبو زيد وعروة وقال شعراً

فلما صنعتْ هوازنُ ببني ضاطر ما صنعتْ، جَمع قيس بنُ الحِداديّة قومَه، فأغار على جُموع(٥) هَوازنَ، فأصاب سَبْياً ومالاً، وقتل يومئذٍ من بني قشير: أبا زيد وعُروة وعامراً ومُروّحاً، وأصاب أبياتاً من كلاب خُلوفاً(٦)، واستاق أموالَهم وسَبْياً، ثم انصرف وهو يقول.

[١٤٨/١٤]

/ نحـن جَلَبْنَـا الخيـلَ قُبًّـا بطـونُهـا تـراهـا إلـى الـدّاعـي المثـوِّب جُنَّحـا(٧)
بكـلِّ خُـزاعـيٍّ إذا الحـربُ شمَّـرتْ تسـربَـلَ فيهـا بُـردَه وتَـوشَّحـا
قـرعْنـا قُشَيـرا فـي المحـلِّ عشِيَّـةً فلـم يجـدوا فـي واسـع الأرض مَسْـرَحـا
قَتَلْنـا أبـا زيـد وزيـدا وعـامـرا وعـروةَ أقصَـدْنـا(٨) بهـا ومُـرَوّحـا
وأُبْنـا بـإبْـل القـوم تُحـدَى، ونسـوة يبكّيـن شِلْـواً أو أسيـراً مُجـرَّحـا(٩)
غـداةَ سَقَينـا أرضَهـم مـن دمـائهـم وأُبنـا بِـأُدْمٍ كـنّ بـالأمـس وُضَّحـا(١٠)
ورُعْنـا كـلابـاً قبـل ذاك بِغـارة فسُقْنـا جِـلاداً فـي المَبـارِك قُـرَّحـا(١١)
لقـد علمـتْ أفنـاءُ بكـر بـنِ عـامـرٍ بـأنّـا نَـذودُ الكـاشـحَ المتـزحـزِحـا(١٢)

---

(١) بطن مر، ويقال له: مر الظهران: موضع بينه وبين مكة خمسة أميال، والجحفة: على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة، ونخلة الشامية واليمانية: واديان على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر، والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.
(٢) الضيطار: الضخم اللئيم الذي لا غناء عنده، أبارهم: أهلكهم، الغميم: موضع بين مكة والمدينة قرب المدينة بين رابغ والجحفة.
(٣) السدح: ذبحك الشيء وبسطكه على الأرض، أو هو الصرع بطحا على الوجه أو إلقاء على الظهر كالتسديح.
(٤) طالعه طلاعاً ومطالعة: اطلع عليه، الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، والعتر والعتيرة كذبح وذبيحة: الرجبية، وهي شاة كانوا يذبحونها في الجاهلية في رجب يتقربون بها إلى آلهتهم ويصب دمها على رأسها، وفي ب، س «عنزا».
(٥) في الأصول «مصنوع» وهو تحريف.
(٦) الخلوف: الحيّ إذا خرج الرجال وبقي النساء.
(٧) القبب كسبب: دقة الخصر وضمور البطن، قب بطن الفرس يقب كبعض فهو أقب وهي قباء والجمع قب بالضم، التثويب تثنية الدعاء، جنح جمع جانحة: أي مائلة إليه مقبلة عليه. وفي البيت خرم.
(٨) أقصده: طعنه فلم يخطئه.
(٩) تحدى: تساق. والشلو: كل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية.
(١٠) بأدم: أي بسبايا من النساء أدم، جمع أدماء، وصف من الأدمة بالضم وهي في الناس: السمرة، وضحا: أي بيضاً جمع واضحة، صرن أدماً لشدة ما قاسين من ذل السبي والغلبة.
(١١) رعناً: أفزعنا، والجلاد من الإبل: الغزيرات اللبن، أو التي لا لبن لها ولا نتاج، والقرّح والقوارح: جمع قارح وهي الناقة أول ما تحمل.
(١٢) الأفناء: الأخلاط، والكاشح: مضمر العداوة، والمتزحزح: المتباعد، يريد المتباعد عن محبتنا المتجافي عن مودّتنا.

وأنا بلا مهرٍ سوى البِيضِ والقَنا ... نُصيب بأفناء القبائل مَنكَحا

شعره في حرب خزاعة وعامر بن الظرب

وقال أبو عمرو: وزعموا أن قيسَ بن عيلانَ رغِبتْ في البيت، وخُزاعة يومئذٍ تليه، وطمِعوا أن ينزِعوه منهم، فساروا ومعهم قبائلُ من العَرَب ورأسوا عليهم / عامرَ بنَ الظَّرِب / العَدْواني، فساروا إلى مكّة في جمعٍ لُهام[1]، فخرجتْ إليهم خُزاعة فاقتتلوا، فهُزِمتْ قيس، ونجا عامرٌ على فرس له جوّاد[2]. فقال قيس بن الحُدادية في ذلك: [١٤/١٤٩] ٤/١٣

لقد سُمْتَ نفسَك يابنَ الظَّرِبْ ... وجشَّمتهمْ منزلاً قد صَعُبْ[3]

وحمَّلتهمْ مركباً باهظاً ... من العِبء إذ سُقتَهم للشَّغَبْ[4]

بحربِ خُزاعةَ أهلِ العُلا ... وأهلِ الثَّناء وأهلِ الحسب

هم المانعو البيت والذائدون ... عن الحُرُمات جميعَ العرب

نَفَوا جُرْهُماً ونَفَوا بعدهم ... كِنانةَ غَضْباً بِبِيض القُضُب[5]

وسُمْرِ الرماح وجُرْدِ الجياد ... عليها فوارسُ صدقٍ نُجُبْ

وهمْ ألحقوا أسداً عَنوةً ... بأحياء طيٍّ وحازُوا السلَبْ[6]

خُزاعةُ قومي فإن أفتخر ... بهمْ يَزكُ مُعتصَري والنَّسَبْ[7]

هم الرأس والناس مِن بعدهم ... ذُنابَى، وما الرأس مِثلُ الذَّنَب[8]

يُواسَى لدى المَحْلِ مولاهمُ ... ونُكشَف عنه غُموم الكُرَبْ[9]

فجارهُمُ آمنٌ دهرَه ... بهمْ إن يُضامَ وأن يُغتصَبْ

يلبُّون في الحرب خوفَ الهجاء ... ويَبْرُون أعداءَهم بالحَرَبْ[10]

/ ولو لم ينجّك من كيدهم ... أمينُ القُصوص شديدُ العَصَب[11] [١٤/١٥٠]

لزرتَ المنايا، فلا تكفُرَنْ ... جوادَك نُعماه يابنَ الظَّرِب

فإنْ يلتقوك يزُرْك الحِما ... م أو تنجُ ثانيةً بالهرب

---

(١) لهام: كثير عظيم.

(٢) فرس جواد: رائع.

(٣) يريد لقد سمت نفسك خسفاً، أي أوليتها إياه.

(٤) بهظه الأمر: غلبه وثقل عليه.

(٥) في جـ: «تبيد القضب» وفي ب و س «ببيد».

(٦) عنوة: قهراً، والسلب: ما يسلب.

(٧) زكايزكو: نما، ويقال: رجل كريم المعتصر: جواد عند المسألة كريم.

(٨) الذنابي: الذنب.

(٩) المحل: الجدب، والمولى: الجار والحليف.

(١٠) في جـ، ب: «يكبون».

(١١) القصوص: جمع قص، وهو ملتقى كل عظمين، والأمين: القوي.

قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بيّن التوليد.

شعر لابن الأحب في غارة هوازن على خزاعة

وقال أبو عمرو: أغارت هوازنُ على خزاعة وهم بالمحصَّب[١] من مِنى، فأوقعوا ببطنٍ مِنهم يقال لهم بنو العَنْقاء، وبقوم من بني ضاطر، فقتَلوا منهم عَبْداً وعوفاً وأقرم وغبشان، فقال ابن الأحبّ العَدْواني يفخر بذلك:

غـداةَ التقينـا بـالمحصَّـب مـن مِنًـى ... فـلاقـت بنـو العنقـاء إحـدى العظـائـم

تَـركْنـا بهـا عَـوفـاً وعَبـداً وأقْـرمـاً ... وغبشـانَ سُـؤراً للنُّسـور القشـاعـم[٢]

أجاب قيس على ابن الأحب وغيره بأنه فخر بيوم لم يكن لهم

فأجابه قيس بن الحدادية، فقال يعيّره أن فخر بيوم ليس لقومه:

فخـرْت بيـوم لـم يكـن لـك فخـرُه ... أحـاديـثُ طَسْـمٍ إنمـا أنـت حـالـم[٣]

تفـاخِـر قـومـاً أطـرَدتْـك رمـاحُهـمْ ... أكعبُ بنَ عمرو: هـل يُجاب البهـائم[٤]

فلـو شهـدت أمُّ الصبيَّيـن حَملَتنـا ... وركْضَهـمُ لأبيـضّ منهـا المقَـادِم

غـداةَ تـولّيتـمْ وأدبـرَ جمعُكـمْ ... وأبنـا بـأسْـرَاكـم كـأنّـا ضَـراغـم[٥]

[١٤/١٥١] / مدح أسد بن كرز لحمايته له، وقال شعراً في ذلك

قال أبو عمرو: وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خُزاعة هو وناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا في فِراس بن غَنَم، ثم لم يَلبَثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً، فهربوا فنزلوا في بَجيلةَ على أسدَ بن كُرز، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمّل عنهم ما أصابوا في خُزاعة/ وفي فِراس، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز: ٥/١٣

لا تعـذلينـي سلمـى اليـومَ وانتظـري ... أن يجمـع اللّـه شَمـلاً طـالمـا افتـرقـا

إن شتّـت الـدهـر شَمـلاً بيـن جيـرتكـم ... فطـال فـي نعمـةٍ يـا سَلْـم مـا اتفقـا

وقـد حللنـا بقَسْـريٍّ أخـي ثقـةٍ ... كـالبـدر يجلـو دُجـى الظلمـاء والأفقـا

لا يَجبـرُ النـاسُ شيئـاً هـاضَـه أسـدٌ ... يـومـاً ولا يَـرتُقـون الـدهـرَ مـا فَتَقـا[٦]

كـم مـن ثنـاءٍ عظيـم قـد تَـدارَكَـه ... وقـد تفـاقَـمَ فيـه الأمـرُ وانخـرقـا

قال أبو عمرو: وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيّين، وغيرُهم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حمّاد الراوية لخالد القَسريّ[٧] في أيام ولايته، وأنشده إيّاها فوَصَله، والتوليد بيّن فيها جداً.

---

(١) المحصب: موضع رمي الجمار بمنى.

(٢) السؤر: البقية والفضلة، والقشاعم: جمع قشعم كجعفر، وهو من النسور: المسن الضخم.

(٣) طسم: قبيلة من عاد انقرضوا. ومن أمثال العرب: «أحاديث طسم وأحلامها» يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له.

(٤) أطرده: صيره طريداً.

(٥) ضراغم: جمع ضرغم كجعفر وهو الأسد.

(٦) هاض الشيء: كسره.

(٧) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، ولاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩، وولي العراقين في عهد =

شعره في غارة ضريس على بني ضاطر

وقال أبو عمرو: غزا الضَّريس القشيريّ بني ضاطر في جماعة من قومه، فثبتوا[١] له وقاتلوه حتى هزموه، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم، فقال قيس بن الحُدادية في ذلك:

فِدىً لبني قيس وأفناءِ مالكٍ ... لدى الشِّسْعِ من رجلي إلى الفَرْق صاعدا[٢]

غداة أتى قوم الضَّريس كأنهم ... قَطا الكُدْرِ من ودّان أصبح واردا[٣]

/ فلم أر جمعاً كان أكرمَ غالباً ... وأحمى غلاماً يوم ذلك أطردا[٤] [١٤/١٥٢]

رميناهُم بالحُوّ والكُمْتِ والقَنَا ... وبِيضٍ خِفافٍ يختلِين السواعدا[٥]

مدحه بني عديّ بن عمرو من خزاعة

قال أبو عمرو: ولما خلعتْ خُزاعةُ قيساً، تحوّلَ عن قومه، ونزل عند بطنٍ من خزاعة، يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد، فآوَوه وأحسنوا إليه، وقال يمدحهم:

جزى اللّه خيراً عن خليع مطرَّدٍ ... رجالاً حَمَوْه آل عَمرو بن خالدِ

فليس كمن يغزو الصديق بنَوْكِه ... وهمتُه في الغزو كسبُ المَزاوِدِ[٦]

عليكم بعرْصات الديار فإنني ... سواكم عديدٌ حين تُبلَى مَشاهِدي[٧]

ألا وَذْتُمُ حتى إذا ما أمِنتُم ... تَعاوَرتُم سَجْعاً كسجع الهداهدِ[٨]

تجنَّى عليَّ المازنان كلاهما ... فلا أنا بالمغصِي ولا بالمساعِد[٩]

وقد حدِبت عمرو عليَّ بعزّها ... وأبنائها من كل أروعَ ماجد[١٠]

/ مَصاليتُ يومَ الرَّوع كَسْبُهم العُلا ... عِظامُ مَقِيل الهام شُعْرُ السواعدِ[١١] [١٤/١٥٣]

= هشام بن عبد الملك، وتوفي سنة ١٢٦ هـ.

(١) في الأصول «فثنوا» وهو تحريف.

(٢) في الأصول «وأقباء» وفي س «إلى الفراق» وهو تحريف. والشسع: أحد سيور النعل. والفرق: موضع المفرق من الرأس أي وسطه الذي يفرق فيه الشعر.

(٣) الكدر: موضع قرب المدينة؛ والكدري: ضرب من القطا. وودّان: قرية بين مكة والمدينة قريبة من الجحفة.

(٤) كذا في الأصول وفي البيت سناد التأسيس، وهو عيب من عيوب القافية، ولعلها «طاردا».

(٥) الحو جمع أحوى وحواء وصف من الحوّة: وهي حمرة إلى السواد، والكميت من الخيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، وصف من الكمتة، وهي لون بين السواد والحمرة، وجمعه كمت. يختلين السواعد: يقطعن ويذهبن بسواعد المضروبين بها.

(٦) فليس كمن يغزو: أي فليس هذا الحي كمن يغزو. والنوك بالفتح والضم: الحمق، والمزاود: جمع مزود كمنبر، وهو وعاء الزاد.

(٧) يخاطب في هذا البيت وما بعده قومه. والعرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والجمع عرصات بفتح الراء، وسكنت في البيت للضرورة. عديد: معدود. تبلى: تختبر. مشاهد جمع مشهد، أي شهودي القتال وخوضي غماره، وفي الأصول «ببلى مساهد» وهو تحريف.

(٨) لاوذ: استتر، وتعاوروه: تداولوه، وسجعت الحمامة: طرّبت في صوتها ووالته على طريق واحد.

(٩) في جـ «تحنى» أي عطف، وفي ب، وس «تجنى»، وتجنى عليه: ادعى ذنباً لم يفعله.

(١٠) حدب عليه كفرح: عطف. والأروع: من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته.

(١١) مصاليت: جمع مصلات، وهو الماضي في الأمور، . الهام: الرؤوس، جمع هامة، ومقيل الهامة: مستقر الرأس أي العنق، يقول: =

أولئــك إخــوانــي وجُــلُّ عشيــرتــي وثــروتُهــم والنصــرُ غيــرُ المُحــارِد[١]

مدحه عديّ بن نوفل

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي، والحرمي بن أبي العلاء قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: أخبرني عمّي أنّ خُزاعةَ أغارت على اليمامة[٢]، فلم يَظفَروا منها بشيء، فهزموا وأسر منهم أسرى، فلما كان أوان الحج، أخرجَهم من أسرهم إلى مكة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم، فغدَوا جميعاً إلى الخَلْصاء[٣]، وفيهم قيس بن الحُداديّة، فأخرَجوهم وحملوهم، وجعلوهم في حَظيرة ليحرقوهم، فمرّ بهم عديّ[٤] بن نوفل، فاستجاروا به، فابتاعهم وأعتقَهم، فقال قيس يمدحه:

٦/١٣ / دعــوت عــديّــا والكُبــولُ تَكُبنــي ألا يــا عــديُّ يــا عــديّ بــن نــوفــلِ[٥]

دعــوت عــديــاً والمنــايــا شــوارعٌ ألا يــا عــديّ لــلأسيــر المكبّــل[٦]

فمــا البحــر يجــري بــالسّفيــنِ إذا غــدا بــأجــودَ سَيْبــاً منــه فــي كــل مَحفِــلِ[٧]

تــداركــت أصحــاب الحظيــرة بعــدمــا أصــابهُــم منّــا حــريــقُ المحلّــل[٨]

وأتبعــت بيــن المَشْعَــريــن سِقــايــةً لحجّــاج بيــت اللّــه أكــرم مَنهــلِ

[١٥٤/١٤] / هجرة خزاعة لجدب أصابهم وشعر له في ذلك

قال أبو عمرو: وكان قيس بنُ الحُدادية يهوَى أمَّ مالك بنت ذؤيب الخزاعيّ، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالِين إلى مصر والشام لأنهم أجدَبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفَهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرةَ الغيث والمطر وغزارتَه، فرجع عمرو بن عبد مَناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدّم قَبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نُعم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدةَ الّتي فيها الغناء المذكور:

أجِــدَّك إنْ نُعْــمٌ نــأت أنــت جــازعُ قــد اقتــربَــتْ لــو أن ذلــك نــافــعُ

قــد اقتــربــت لــو أن فــي قُــرب دارهــا نــوالاً، ولكــن كــلُّ مــن ضَــنَّ مــانــع

وقــد جــاورَتْنــا فــي شهــور كثيــرة فمــا نــوَّلَــتْ، واللّــهُ راءٍ وســامــع

فــإنْ تَلقَيَــنْ نعمــى هُــدِيــتَ فحيّهــا وسل كيــف تُــرعَــى بــالمَغيــب الــودائــع[٩]

= إنهم غلاظ الأعناق وهو كناية عن قوة البأس. شعر: جمع أشعر، وهو كثير الشعر طويله.

(١) الثروة: كثرة العدد بين الناس. والمال غير المحارد، أي غير المنقطع، وأصله من حاردت الإبل حراداً: انقطعت ألبانها أو قلت.

(٢) اليمامة: صقع شرقي الحجاز ويعد من نجد.

(٣) في ب، س «الحلقاء» وفي جـ «الخلفا» وهو تحريف. والخلصاء: بلد بالدهناء، والدهناء: من ديار بني تميم بنجد.

(٤) هو عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة.

(٥) الكبول: جمع كبل بالفتح، وهو أعظم ما يكون من الأقياد. وكبه: قلبه وصرعه.

(٦) شوارع: جمع شارعة، أي مسددة، من شرعت الرماح أي تسدّدت.

(٧) السيب: العطاء.

(٨) المحلل: أي من حلل إحراقنا في الأشهر الحرم.

(٩) فإن تلقين: مؤكد بنون التوكيد الخفيفة. وفي الأصول «فإن تلقيا».

وظَنِّـي بهـا حفـظٌ لِغَيْبِـي، ورِعيـةٌ لِمـا اسْتُرعِيَتْ، والظـن بـالغيب واسـع(١)

وقلـت لهـا فـي السـرّ بينـي وبينهـا على عجـلٍ: أيّـان مَـن سـار رَاجـع؟

فقـالـت: لقـاءٌ بعـد حَـول وحِجّـةٍ وشَحـطُ النـوى إلا لـذي العهـدِ قـاطـع(٢)

وقـد يلقـى بعـد الشّتـات أولـو النّـوى ويسـترجـع الحـيَّ السحـابُ اللـوامـع(٣)

ومـا إنْ خَـذولٌ نـازعَـتْ حبـلَ حـابـلٍ لتنجـوَ إلا استسلَمـتْ وهـي ظـالِـع(٤)

/ بـأحسـنَ منهـا ذاتَ يـوم لقيتُهـا لهـا نظـرٌ نحـوي كـذي البَـثّ خـاشـع(٥) [١٤/١٥٥]

رأيـت لهـا نـاراً تُشَـب، ودونهـا طـويـلُ القَـرَا مـن رأس ذَروة فـارع(٦)

فقلـت لأصحـابـي: اصطَلُـوا النـار إنهـا قـريـبٌ، فقـالـوا: بـل مكـانـك نـافـع(٧)

فيـا لـك مـن حـادٍ حَبـوت مقيَّـدا وأنحَـى علـى عِـرنيـنِ أنفِـك جـادع(٨)

أغيظـاً أرادتْ أن تخُـبَّ جمـالُهـا لتفجَـعَ بـالإظعـان مَـن أنـت فـاجـع(٩)

فمـا نُطفـةٌ بـالطَّـود أو بضَـرِيَّـة بقيـة سيـلٍ أحـرزَتْهـا الـوقـائـع(١٠)

يطيـف بهـا حَـرّانُ صـادٍ ولا يـرى إليهـا سبيـلاً غيـرَ أنْ سيطـالـع(١١)

بـأطيـبَ مِـن فيهـا إذا جئـت طـارقـاً من الليل واخضلّتْ عليك المَضاجع(١٢)

/ وحَسْبُـك مـن نـأيٍ ثـلاثـةُ أشهـرٍ ومِـن حَـزَنٍ أن زادَ شـوقَـك رابـعُ [١٤/١٥٦]

---

(١) في الأصول «حفظ بعيني» وهو تحريف، والرعية: اسم من الرعاية.

(٢) الحجة: السنة. والشحط: البعد.

(٣) النوى: البعد. يسترجع الحي، أي يرجعهم ويردّهم.

(٤) الخذول من الظباء والبقر: التي تخذل صواحباتها وتتخلف عن القطيع وتنفرد مع ولدها؛ ويقال هو مقلوب لأنها هي المتروكة. ظلع كمنع: غمز في مشيه.

(٥) البث: أشد الحزن. وفي جـ «نجوى كذا الثب خاسع» وهو تحريف.

(٦) تشب: توقد. القرا: الظهر. ذروة: اسم جبل. الفارع: العالي.

(٧) اصطلوا النار: يريد جدوا في السير لتصطلي النار إنها قريب، يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع، أو تأويله: في مكان قريب.

(٨) في الأصول «فمالك» ولعله محرف. وأنحى: في الأصول «والحى» وهو تحريف. والمعنى: فقالوا عجباً لك! إنك تسير سيراً بطيئاً كحبو الصبي مقيداً، وقد جدع عرنين أنفك أي ليس لديك العدة الكافية للحاق بها فكيف تدركها؟ أو لعله يدعو عليّ فأمد القافلة بالأسر وجدع الأنف لأنه لم يلب طلبته.

(٩) في جـ «أغيظي» وفي ب، س «أعيظا» وهو تصحيف، خبت: أسرعت، وقد أخبها صاحبها. ظعن كمنع: سار، وأظعنه إظعاناً: سيره. من أنت فاجع: أي أصحابك، والمعنى: أأرادت أن تخب جمالها غيظاً لك فيحملك ذلك على أن تشق على أصحابك وتجهدهم في السير، ويصح أن يكون «بالأظعان» بفتح الهمزة، جمع ظعينة: وهي المرأة ما دامت في الهودج، أي لتفجع أصحابك بهذه الظعائن المرتحلة ـ وفيهن محبوبته نعم ـ فتكدهم في السير لإدراكها.

(١٠) النطفة: الماء الصافي قل أو كثر، والجمع نطاف. والطود: الجبل. وضريّة: بئر، وفي الأصول «صرية» وهو تصحيف، والوقائع جمع وقيعة، وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.

(١١) أطاف به: ألم به وقاربه. حران صاد: عطشان. طالعه: اطلع عليه أي أشرف.

(١٢) الطارق: الآتي ليلاً. أخضلت: نديت.

سعى بينهم واشٍ بأفلاق بِرمةٍ ... لتفجَع بالأظعان مَن هو جازعُ(١)

بكت من حديث بَثّه وأشاعه ... ورصّفه واشٍ من القوم راصعُ(٢)

٧/١٣ / بكت عينُ من أبكاكِ لا يعرف البكا ... ولا تتخالجك الأمور النوازع(٣)

فلا يسمَعَن سرّي وسرّك ثالثٌ ... ألا كلُّ سرّ جاوز اثنين شائعُ

وكيف يَشيع السرُّ منّي ودُونَه ... حجاب ومِن دون الحجاب الأضالعُ!

وحِبٌّ لهذا الرَّبع يمضي أمامه ... قليلُ القِلَى منه جليلٌ ورادع(٤)

لهوتُ به حتى إذا خِفتُ أهلَه ... وبيّنَ منه للحبيب المخادع

نزعتُ فما سِرّي لأوّل سائل ... وذو السر ما لم يَحفظ السرَّ ماذع(٥)

وقد يَحمد اللّهُ العزاءَ من الفتى ... وقد يجمع الأمرَ الشتيتَ الجوامعُ

ألا قد يُسلّى ذو الهوى عن حبيبه ... فيَسْلَى، وقد تُردِي المطيَّ المطامعُ

[١٥٧/١٤] / وما راعني إلّا المنادى ألاَ اظعَنوا ... وإلا الرواغِي غُدوةً والقعاقع(٦)

فجئت كأني مستضيفٌ وسائل ... لأُخبرها كلَّ الذي أنا صانعُ

فقالت: تزحزحْ ما بنا كُبْرُ حاجةٍ ... إليك ولا منّا لفقرك راقعُ

فما زلتُ تحت السِّتر حتى كأنّني ... من الحرّ ذو طِمْرَيْن في البحر كارعُ(٧)

فهزَّت إليّ الرأس منّي تعجُّبا ... وعُضّض مما قد فعلتُ الأصابعُ

فأيّهما ما أتبعَنّ فإنني ... حزين على إثر الذي أنا وادع(٨)

(١) برمة: عرض من أعراض المدينة قرب «بلا كث» بين خيبر ووادي القرى، وهي عيون ونخل لقريش. وأفلاق جمع فلق كسبب، وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين، وقد ورد جمعه في كتب اللغة على فلقان بالضم، وفي الأصول «التفجع» وهو تصحيف.

(٢) بث الخبر: نشره، ورصف الشيء كقتل: ضم بعضه إلى بعضه ونظمه (وقد ضعف الفعل هنا) ورصعه بالرمح: طعنه طعناً شديداً غيب السنان كله فيه، ورصع الشيء: عقده عقداً مثلثاً متداخلاً كمعقد التميمة ونحوها.

(٣) تقدم هذا البيت في أبيات الصوت، وصدره: «بكت عين من أبكاك ليس لك البكا» وروى هنا في الأصول «بكت عين من أبكاك، لا يعرف البكا» ولعل صوابه «لا يعدم البكا» أي لازمه وصاحبه، وهي جملة دعائية ثانية، دعا على الواشي في الجملة الأولى بأن تبكي عينه، وفي الثانية بأن يلازمه البكاء.

(٤) الربع: المنزل. في الأصول «قليل» مكان «جليل»، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٥) في جـ «وادع» وفي ب وس «وازع» وأرى صوابه «ماذع» جاء في كتب اللغة: المذاع كشداد: من لا وفاء له ولا يحفظ أحداً بالغيب ومن لا يكتم السر.

(٦) رغت الناقة رغاء: صوتت فهي راغية والجمع الرواغي، وفي الأصول «الرواعي» وهو تصحيف، والقعاقع: تتابع أصوات الرعد في شدة، جمع قعقعة، والمراد هنا أصوات تقويض الأخبية وما إلى ذلك تأهبا للرحيل. وقد قالوا: قعقعت عمدهم وتقعقعت، أي ارتحلوا، أو هو «القعاقع» بالضم، رجل قعاقع: كثير الصوت.

(٧) الطمر: الثوب الخلق. كرع في الماء كمنع وسمع: تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء، وكل خائض ماء كارع، شرب أو لم يشرب.

(٨) يستشهد بهذا البيت على استعمال وادع بمعنى تارك، اسم فاعل من ودع بمعنى ترك، ورد في «لسان العرب»: «ولا يقولون ودعتك ولا وذرتك استغنوا عنهما بتركتك والمصدر فيهما تركا، ولا يقال ودعا ولا وذرا وحكاهما بعضهم، ولا وادع، وقد جاء في بيت=

بكى من فراق الحيّ قيسُ بنُ مُنقِذ ... وإذراءُ عيني مثلَه الدمعَ شائع[١]

بأربعة تنهلُّ لمّا تقدّمتْ ... بهم طُرُقٌ شتّى وهنّ جوامع[٢]

وما خِلْتُ بينَ الحيّ حتى رأيتهم ... ببَينونةَ السفلَى وهبَّت سَوافِع[٣]

/ كأن فؤادي بين شِقَّين من عَصاً ... حِذارَ وقوعِ البين والبينُ واقعُ [١٥٨/١٤]

يحُثُّ بهم حادٍ سريعٌ نَجاؤه ... ومُعْرًى عن الساقين والثوب واسع[٤]

فقلت لها يا نُعم حُلّي محلّنا ... فإن الهوى يا نُعم والعيش جامع[٥]

فقالت وعيناها تَفيضان عَبرةً ... بأهليَ بيّنْ لي متى أنت راجع؟

فقلت لها تاللّه يدري مسافر ... إذا أضمرتْه الأرضُ ما الله صانعُ

فشدّت على فِيها اللثامَ وأعرضتْ ... وأمعن بالكُحلِ السَّحيقِ المدامع[٦]

وإنّي لِعهد الودّ راعٍ، وإنّني ... بوصلك ما لم يطوني الموتُ طامع

قال أبو عمرو: فأنشدتُ عائشةَ بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتْها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حُلّتي هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

شعره في مشوقته نعم

قال أبو عمرو: وقال قيس أيضاً يذكر بين الحيّ وتفرقهم وَيُنسِبُ بنعم:

سقى الله أطلالاً بنعمٍ ترادفت ... بهن النّوى حتى حلَلْن المَطاليا[٧]

فإن كانت الأيام يا أمَّ مالك ... تسلّيكُم عنّي وتُرضِي الأعاديا

فلا يأمَنَنْ بعدي امرؤ فجّع لذّةٍ ... من العيش أو فجعَ الخطوبِ العَوافيا[٨]

= أنشده الفارسي في البصريات:

«فأيهما ما أتبعنّ فإنني ... حزين على ترك الذي أنا وادع»

وهكذا روى الشطر الأوّل في نسخة جـ، وفي ب، س «فأيهما منها اتبعت».

(١) هذا البيت من قول حبيبته بدليل «وإذراء عيني مثله» والظاهر أنه قد سقط قبله من الرواية بيت أو أكثر، أذرت العين الدمع إذراء: صبته.

(٢) بأربعة، أي بأربع أعين وهي عيناه وعيناها. وانهلت العين: سالت بالدمع.

(٣) البين: الفراق. وبينونة: موضع بين عمان والبحرين، وهما بينونتان: بينونة الدنيا وبينونة القصوى، وكلتاهما في شق بني سعد بين عمان ويبرين، وفي الأصول «وهن» ومكان «وهبت»؛ وهو تحريف. السوافع: لوافح السموم، سفعته الشمس والسموم: لفحته لفحاً يسيراً فغيرت لون بشرته وسوّدته.

(٤) النّجاء: السرعة في السير.

(٥) في جـ «خلي» وهو تصحيف.

(٦) أمعن الماء: سال وجرى.

(٧) المطالي: الأرض السهلة اللينة تنبت العضاه، واحدتها مطلاء على وزن مفعال. وهي مؤنثة لا غير. أطلالاً جمع طلل، وطلل كل شيء شخصه. ترادفت: تتابعت عليها الرحلة.

(٨) العوافي: جمع عافية وهي الطامسة.

٨/١٣ / وبُدِّلت مِن جَدواكِ يا أمَّ مالكٍ ... طوارقَ همٍّ يحتضِرْنَ وِساديا[١]

[١٤/١٥٩] / وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُبَّة ... أُساقِي الكماةَ الدارعين العَواليا[٢]

فيَوْمايَ يومٌ في الحديد مُسربَلا ... ويوم مع البِيضِ الأوانِس لاهيا

فلا مدركاً حظاً لدى أمّ مالك ... ولا مستريحاً في الحياة فقاضيا[٣]

خليليّ إن دارت على أمّ مالك ... صُروفُ الليالي فابعثا ليَ ناعيا

ولا تتركاني لا لخيرٍ معجَّل ... ولا لبقاءٍ تنظران بقائيا

وإن الذي أمَّلْتُ مِن أمّ مالك ... أشابَ قَذالي واستهامَ فؤاديا[٤]

فليت المنايا صبَّحتني غُدَيَّةً ... بذَبحٍ ولم أسمع لبَيْنٍ مناديا[٥]

نظرتُ ودوني يذبُلٌ وعَمايةٌ ... إلى آل نُعمٍ مَنظراً مُتنائيا[٦]

شكوت إلى الرحمن بُعْدَ مَزارها ... وما حمَّلتني وانقطاعَ رجائيا

وقلتُ ولم أملك أعمرو بن عامر ... لِحتفٍ بذات الرَّقْمتين يرى ليا[٧]

وقد أيقنتْ نفسي عشيّة فَارَقوا ... بأسفل وادي الدَّوحِ أن لا تلاقيا[٨]

إذا ما طواكِ الدهرُ يا أمّ مالكٍ ... فشأنُ المنايا القاضياتِ وشانيا[٩]

[١٤/١٦٠] / **أراد قوم من مزينة أسره فقاتلهم حتى قتل وهو يرتجز**

قال أبو عمرو: وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون.

قال أبو عمرو: وكان من خبرَ مقتَل قيس بن الحُداديّة أنه لقي جَمْعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غِرّة، فقالوا له: اِستأسِر، فقال: وما ينفعكم منّي إذا استأسرتُ وأنا خليع؟ والله لو أسرتموني ثم طَلبتمْ بي من قومي عنزاً جَرْباء جَذماء[١٠] ما أُعطِيتموها، فقالوا له: استأسر لا أمَّ لك[١١]! فقال: نفسي عليّ أكرم من ذاك، وقاتَلَهم حتى قُتل. وهو يرتجز ويقول:

(١) الجدوى: العطية، وفي الأصول «يحضرون» وهو خطأ صوابه ما أثبتنا لأن مرجع الضمير غير عاقل.
(٢) الجبة: الدرع. والكماة: جمع كميّ: وهو الشجاع المتكمي في سلاحه أي المتغطي المتستر بالدرع والبيضة. ورجل دارع: عليه درع. والعوالي جمع عالية، وهي أعلى الرمح ورأسه.
(٣) قاضياً: ميتاً، من قضى، أي مات.
(٤) القذال: جماع مؤخر الرأس، واستهام فؤاده: أذهبه.
(٥) غدية مثل عشية: لغة في غدوة، كضحية لغة في ضحوة، والجمع غدايا كعشية وعشايا. والبين: الفراق.
(٦) يذبل وعماية: جبلان في بلاد نجد.
(٧) الرقمتان: روضتان إحداهما قريب من البصرة، والأخرى بنجد. وفي جـ «أبزى ليا» وهو تحريف.
(٨) في ب، س «وادي الروح» وهو تحريف.
(٩) في الأصول «القاصيات» وهو تصحيف.
(١٠) الجذماء. المقطوعة اليد.
(١١) يقول الرجل للرجل: «لا أم لك» وهو شتم وسب، ومعناه ليس لك أم حرّة، وذلك أن بني الإماء عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين ولا لاحقين ببني الحرائر. وقيل: معناه أنت لقيط لا تعرف لك أم، وربما وضع موضع المدح بمعنى التعجب منه.

أنـا الـذي تَخلَعـه مـواليـة وكلُّهـم بعـد الصَّفـاءِ قـاليـة[١]

وكلّهـم يُقسـم لا يبـاليـة[٢] أنـا إذا المـوت ينـوب غـاليـه

مختلـطٌ أسفلـهُ بعـاليـه قـد يعلـم الفتيـان أنّـي صـاليـه

* إذا الحديد رفعتْ عَواليه *

وقيل: إنه كان يتحدّث إلى امرأة من بني سُليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجُها، فأفلت فنام في ظلّ وهو لا يَخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتِل.

صوت

[١٤/١٦١]

شعر لابن قنبر في التشبيب

صَـرمْتِنِـي ثـم لا كلَّمتِنِـي أبـداً إن كنت خنتُـكِ فـي حـال مـن الحـالِ[٣]

ولا اجتـرمـت الـذي فيـه خيـانتُكـم ولا جَـرَتْ خَطـرةٌ منـه علـى بـالـي[٤]

فسـوِّغينـي المُنـى كيمـا أعيشَ بهـا وأمسكِـي البـذلَ مـا أطلعتِ آمـالـي[٥]

أو عجِّلـي تَلَفـي إن كنـتِ قـاتلتـي أو نـوِّلينـي بـإحسـان وإجمـال

الشعر لابن قُنْبُر، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته.

---

(١) قاليه: مبغضه.

(٢) في ب، س «لا يناليه»، يقال لا يباليه ولا يبالي به، والغالي في أمر: المبالغ فيه.

(٣) في الأصول «إن كنت جئتك»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيرد في الترجمة.

(٤) اجترم: أجرم وأذنب، وفي، ب، جـ «خطرة مني».

(٥) في الأصول: «أعيش به» وهو تحريف.

[١٤/١٦٢] ٩/١٣

/ أخبار ابن قُنْبُر ونسبه

نسبه

هــو الحكـم بن محمد بن قُنْبُر المازني مازن بني عمرو بن تميم، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشميّة، وكان يهاجِي مسلمَ بنَ الوليد الأنصاري مدّة، ثم غلبه مسلم.

هجاؤه مسلم بن الوليد

قال أبو الفرج: نسختُ من كِتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه: حدّثني الحسن بن سعيد قال: حدثني منصور بن جهْوَر قال: لمّا تَهاجَى مسلم بن الوليد وابن قنبر، أمسَك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانَه، فجاء مسلماً أبن عم له فقال: أيها الرجل، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر، وقد بعثتَ عليك لسانَك ثم أمسكتَ عنه، فإما أن قاذعتَه، وإما أن سالمتَه؛ فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد[١] فيه، وله دعوات يدعوها، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه، فأطرق الرجلُ ساعةً ثم قال:

غَلَـبَ أبـنُ قُنْبـر واللئيـم مغلَّـب ... لمـا اتَّقَيْـتُ هجـاءه بـدعـاء[٢]

مـا زال يقـذف بـالهجـاء ولـذعِـه ... حتـى اتقـوه بـدعـوة الآبـاء

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابن قنبر لِيبلغَ منّي هذا، فأمسِك عني لسانك وتعرف خبره بعد، قال: فبعث الرجل والله عليه من لسانِ مسلمٍ ما أسكتَه.

أخبرني الحسن بنُ علي قال: حدّثنا أبنُ مَهرُويَه قال: حدّثني محمد بن عبد الله العبدي القَسْري قال: رأيت مسلم بنَ الوليد والحكم بنَ قنبر في مسجد الرُّصافة[٣] / في يوم جمعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجيان، فبدأ مسلمٌ فأنشد قصيدتَه: [١٤/١٦٣]

أنـا النـار فـي أحجـارهـا مستكِنّـة ... فـإن كنـتَ ممّـن يقـدح النـار فـاقـدحِ[٤]

وتلاه ابن قنبرٌ فأنشد قوله:

قـد كـدتَ تهـوِي ومـا قـوسـي بمـوتَـرةٍ ... فكيـف ظنُّـك بـي والقـوسُ فـي الـوَتَـرِ[٥]

فوثب مسلم وتواخزَا[٦] وتَواثَبَا حتى حجز الناسُ بينهما فتفرّقا، فقال رجل لمسلم ـ وكان يتعصب له ـ: وَيْحك! أعَجزْتَ عن الرجل حتى واثبتَه؟ قال: أنا وإيّاه لكما قال الشاعر:

---

(١) التهجد: صلاة الليل.
(٢) المغلب: المحكوم له بالغلبة.
(٣) يعني رصافة بغداد، وهي في الجانب الشرقي.
(٤) في الأصول: «إذا النار» ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٥) أوتر القوس: جعل لها وتراً.
(٦) تواخزا: تطاعنا طعناً غير نافذ، وقيل فيه غير ذلك. وفي الأصول: «وتواخذا» بالذال؛ وهو تصحيف.

* هنيئاً مريئاً أنت بالفُحْش أبصرُ *

وكان ابن قنبر مستعلياً عليه مدّة، ثم غلبه مسلم بعد ذلك، فمن مُناقَضتهما قولُ ابنِ قنبر:

ومِـــن عَجَـــب الأشيـــاء أنّ لمسلـــم إلـيّ نِـزاعـاً فـي الهجـاء ومـا يـدري[1]

والله مـــا قِيســـتْ علـــيّ جُـــدودُه لـدي مَفخَر في النـاس قوساً ولا شعري[2]

ولابن قُنبُر قولُه:

كيــف أهجــوكَ يــا لئيــمٌ بِشعْــري أنـت عنـدي فـاعلـمْ هِجـاءَ هجـائـي

يــا دعــيَّ الأنصـارِ بـل عبـدَهـا النـذ لَ تعـرّضـتَ لـي لـتـدرِك الشقـاء

/ أنشد المأمون بيتين له وأمر ابن محرز بتلحينها. [١٦٤/١٤]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو توبة، عن محمد بن جُبَيْر[3] عن الحسين بن محرز المغنّي المَديني قال: دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد:

/ صوت ١٠/١٣

فمـا أقصـرَ اسـمَ الحبّ يـا وَيْحَ ذي الحبّ وأعظـمَ بلـواه علـى العـاشـق الصبّ

يمـــرّ بـــه لفـــظُ اللّســـان مشمّـــراً ويغـرَق مَـن سـاقـاه فـي لُجَج الكـربِ

فلما بصُر بي قال: تعال يا حسين، فجئت، فأنشدني البيتين، ثم أعادهما عليّ حتى حفِظتُهما، ثم قال: اِصنَع فيهما لحناً، فإن أجدتَ سررتُك، فخلوت وصنعتُ فيهما لحني المشهور، وعُدتُ فغنيّته إيّاه، فقال: أحسنت، وشرِب عليه بقيّةَ يومه، وأمر لي بألف دينار، والشعر لحكم بن قنبر.

شعره في النسيب

أخبرني محمد بن الأزهر قال: حدّثني حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلاّم قال: أنشدني ابن قنبر لنفسه:

وَيْلـي علـى مـن أطـارَ النـومَ وأمتَنعـا وزاد قلبـي علـى أوجـاعِـه وَجَعـا

ظبـيٌ أغـرُّ تـرى فـي وجهـه سُرُجـاً تُعشِـي العيـونَ إذا مـا نـورهُ سطعـا[4]

كـأنمـا الشمـس فـي أثـوابـه بـزغَـتْ حُسنـاً، أو البـدرُ فـي أردانِـه طلعـا[5]

فقـد نسيـتُ الكـرى مـن طُـول مـا عطِلَـتْ منـه الجفـونُ وطـارت مهجتـي قِطَعـا

(١) نزع إليه نزاعاً: اشتاق، كنازع.

(٢) عليّ: على جدودي وأصولي. قوساً: مقدار قوس.

(٣) في الأوصول: «حبر» بالحاء المهملة؛ والتصويب عن «الأغاني» جـ١٣: ٢٧٧ سطر ١٤.

(٤) سرجاً: جمع سراج. تعشى العيون: أعشاه فعشى (كفرح) عشا، والعشا سوء البصر، وفي الأصول «يغشي».

(٥) أردان: جمع ردن بالضم، وهو أصل الكم.

[١٤/١٦٥] / **قصته مع جوار تعرضن له**

قال ابن سلاّم: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جوارٍ من جواري سليمانَ بن عليّ في الطريق الذي بين المِرْبَد وقَصْر أوس، فقلن لي: أنت الذي تقول:

* ويلي على من أطار النومَ وامتنعا *

فقلتُ: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السَّمِج تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبْنني ويَلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي، فرجعتُ عارياً إلى منزلي. قال: وكان حسنَ اللّباس.

حفظ عليّ بن محمد النوفلي من شعره

أخبرني محمد بن الحسين الكِنديّ مؤدّبي قال: حدّثني علي بن محمد النُّوفلي قال: حدّثني عمي قال: دخل الحكم بن قنبر على عمّي ـ وكان صديقاً له ـ فبَشّ به ورفع مجلسه، وأظهر له الأنس والسرور، ثم قال: أنشِدني أبياتَك التي أقسمتَ فيها بما في قلبك. فأنشده:

وحقِّ الذي في القلب منك فإنه ... عظيم لقد حصّنت سرّك في صدري
ولكنّما أفشاه دمعي، وربّما ... أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
فهب لي ذنوب الدمع، إني أظنّه ... بما منه يبدو إنما يَبْتغي ضرّي
ولو يَبْتغي نفعي لخلّى ضمائري ... يردّ على أسرار مكنونها ستري

فقال لي: يا بنيّ اكتبها واحفظْها، ففعلتُ وحفظتُها يومئذٍ وأنا غلام.

رواية محمد بن سلام لشعره واعتراضه عليه

أخبرني اليزيديّ قال: أخبرني عمي عن ابن سلاّم، وأخبرني به أحمد عن ابن عباس العسكري عن القنبري عن محمد بن سلام قال: أنشدني ابن قُنبُر لنفسه قوله:

صرمْتِنِي ثم لا كلّمتِنِي أبداً ... إن كنت ختنتك في حالٍ من الحالِ
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ... ولا جرتْ خَطرة منه على بالي

[١٤/١٦٦] / قال: فقلت له وأنا أضحك: يا هذا لقد بالغتَ في اليمين. فقال: هي عندي كذاك، وإن لم تكن عندك كما هي عندي.

قال اليزيدي: قال عمّي وهو الذي يقول (وفيه غناء):

صوت

$\frac{١١}{١٣}$ / ليس فيها ما يقال له ... كملتْ لو أنّ ذا كَمَلا
كلّ جزء من محاسنها ... كائنٌ في فضله مَثَلا
لو تمنّت في مَلاحتِها ... لم تجد من نفسها بَدَلا

فيه لحنٌ لابن القصّار رَمَل.

شعر منسوب إليه أو للعتابي

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرُويَه قال: قال لي إبراهيم بن المدبّر: أتعرف الذي يقول[1]:

إن كنتَ لا ترهبُ ذَمّي لما ... تَعرف من صفحي عن الجاهلِ

فاخشَ سُكوتي فَطِناً مُنصِتاً ... فيك لتحسين خنا القائل[2]

مقالةُ السّوء إلى أهلها ... أسهلُ من منحدر سائل

ومن دعا النّاسَ إلى ذمّه ... ذمُّوه بالحّقّ وبالباطل

/ فقلت: هذه للعتّابي، فقال: ما أنشدتُها إلاّ لابن قُنبُر، فقلت له: من شاء منهما فليقُلْها، فإنّه سرقه من قول [١٤/١٦٧] عبيد الله بنِ عبد الله بنِ عُتْبَة:

وإن أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما ... سكتّ له حتى يلجّ ويستشري[3]

ذم كل قرشيّ لم يتخلق بأخلاق قريش

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال: أطعَمَ رجل من وَلَد عبد الله بنِ كُرَيز صديقاً له ضيعة، فمكثتْ في يده مدة، ثم مات الكُرَيزي، فطالب ابنُه الرجلَ بالضيعة، فمنعه إياها، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن، فقيل له: ألا تستحي! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت، وإن كنت صادقاً فإنما تريد أن تنقض مكرُمةً لأبيك، فقال له ابن الكريزي ـ وكان ساقطاً ـ: الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله، فقال له عبيد الله بن الحسن: هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك، وهذا موضع هذا القول، اللهم أردد على قريش أخطارَها[4]، ثم أقبَلَ علينا فقال: لله درّ الحكم بن قُنبُر حيث يقول:

إذا القُرَشيّ لم يُشبِه قريشاً ... بفعلهم الّذي بَذّ الفعالا

فجَرْمِيٌّ له خُلُقٌ جميل ... لدى الأقوام أحسنُ منه حالا[5]

تمثل الرشيد بشعره للعباس بن محمد

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِيّ قال: حدّثنا مسعود بن بشر قال: شكا العبّاس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرَّقّيّ / هجاه فقال له: قد سمعتُ ما كان مَدحَك به، وعرفتُ ثوابَك إياه، [١٤/١٦٨] وما قال في ذمّك بعد ذلك، فما وجدتُه ظلمك به، ولله درّ ابن قنبر حيث قال:

ومن دعا النّاس إلى ذمّه ... ذمّوه بالحقّ وبالباطل

(١) أورد صاحب «زهر الآداب» ج ٢: ص ١١٠ ثمانية أبيات منها الأربعة المذكورة هنا، ونسبها لمحمد بن حازم الباهليّ.

(٢) الخنا من الكلام: أفحشه، وفي جـ «حنى» وفي ب، س «جنى» وهو تصحيف، ورواية «زهر الآداب»:

فاخش سكوتي إذ أنا منصت ... فيك لمسموع خنا القائل

(٣) في جـ، ب، س «يلج ويشتري». والتصويب عن «مختار الأغاني الكبير» ٣: ٤١٣، استشرى الفرس في سيره: لج ومضى وجد فيه بلا فتور ولا انكسار، ومن هذا يقال للرجل إذا لجّ في الأمر: قد شرى فيه كفرح واستشرى.

(٤) أخطارها: أقدارها.

(٥) جرميّ: نسبة إلى جرم بن زبان، بطن من قضاعة.

وبعد، فقد اشتريتُ عِرضَك منه، وأمرتُه بأن لا يعود لذمّك تعريضاً ولا تصريحاً.

شعره في مرض موته

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا محمد بن سلاّم قال: مرض ابن قنبر فأتَوه بخصِيب الطبيب يعالجه، فقال فيه:

ولقد قلتُ لأهلي إذ أتَوْني بخَصيبِ

ليس والله خصيبٌ / لِلّذي بي بطبيبِ ١٢/١٣

إنّما يعرِف دائي من به مِثل الّذي بي

قال: وكان خصيب عالماً بمرضه، فنظر إلى مائه فقال: زعم جالِينوس أن صاحب هذه العلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يعِشْ، فقيل له: إن جالينوس ربما أخطأ، فقال: ما كنت إلى خطئه أحوَج منّي إليه في هذا الوقت. قال: ومات من علته.

صوت

شعر للأسود بن عمارة

خليليَّ من سعد ألمّا فسلِّما على مريمٍ، لا يبعد اللّه مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمتِه فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

الشعر للأسود بن عمارة النوفلي، والغناء لدهمان ثاني ثقيل بالوسطى.

/ أخبار الأسود ونسبه

[١٤/١٦٩]

نسبه وأخباره

هو ـ فيما أخبرني به الحَرَميّ بن أبي العلاء والطُّوسي، عن الزبير بن بكّار، عن عمّه ـ الأسود بن عمارة بن الوليد بن عديّ بن الخِيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان الأسود شاعراً أيضاً.

قال الزبير ـ فيما حدّثنا به شيخانا[١] المذكوران عنه ـ: وحدّثني عمّي قال: كان عمارة بن الوليد النوفلي أبو الأسود بن عمارة شاعراً، وهو الذي يقول:

صوت

شعره في معشوقته هند

تلك هندٌ تصُدُّ للبَيْن صدّا ... أدلالاً أم هندُ تهجُرُ جِدّا[٢]

أم لِتَنكا به قُروحَ فؤادي ... أم أرادت قتلي ضِراراً وعمدا[٣]

قد براني وشفَّني الوجدُ حتى ... صِرتُ مما ألقى عظاماً وجلدا

أيها الناصح الأمين رسولا ... قل لهندٍ عنّي إذا جئتَ هندا

عَلِم اللّه أن قد أوتيتِ مني ... غيرَ منٍّ بذاكِ نصحاً ووُدّا

ما تقرّبتُ بالصفاء لأدنو ... منكِ إلّا نأيتِ وازددتِ بعدا

الغناء لعَبادِل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وفي كتاب حَكَم: الغناء له خفيف رمل، وفي كتاب يونس: فيه لحن ليونس غير مجنَّس، وفيه ليحيى المكي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أوّل:

/ ولايته بيت المال

[١٤/١٧٠]

قال الزبير: قال عمّي ومن لا يعلم: يروى هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلي، قال: وكان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة، وهو القائل:

خليليَّ من سعدٍ ألِمّا فسلِّما ... على مريم، لا يبعد الله مريما

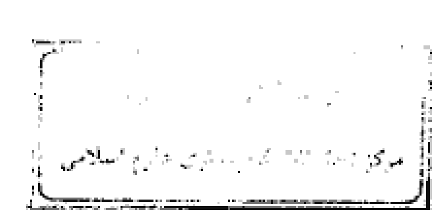
وقولا لها هذا الفراق عزمتِه ... فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

---

(١) في ب، س «شيخنا المذكور عن عمه».

(٢) كذا في ب، س. والذي في جـ: «أم هجر هند أجدا».

(٣) نكأ القرحة كمنع: قشرها قبل أن تبرأ فنديت.



شعره في محمد بن عبد الله بن كثير

قال: وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كُثَير بن الصَّلْت:

ذكرناك شُرْطياً فأصبحت قاضيا ... وصرت أميراً، أبشري قحطانُ

١٣/١٢ / أرى نَزَوَاتٍ بينهن تفاوت ... وللدهر أحداث وذا حَدَثَانُ[١]

أقيمي بني عمرو بن عوف أو اَرْبَعي ... لكل أناس دولة وزمان[٢]

قال: وإنما خاطب بني عمرو بن عوف ها هنا لأن الكثيريّ كان تزوج إليهم، وإنما قال: «أبشري قحطان» لأن كثير بن الصلب من كندة حليف لقريش.

قصته مع محبوبته مريم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني علي بن سليمان النوفلي أحد بني نوفل بن عبد مناف قال: كان أبي يتعشّق جارية مولَّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة، ويقال للجارية مريم، فغاب غَيبة إلى الشأم، ثم قدِم فنزل في طرف المدينة، وحمل متاعه على حمّالين، وأقبل يريد منزلَه، وليس شيء أحبّ إليه من لقاء مريم، فبينا هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارِعَتها[٣]، وعيناها تدمَعان، فساءلها وساءلتْه، فقال للعجوز: ما هذه المصيبة التي أُصبتِ بها؟ قالت: لم أُصَب بشيء إلاّ مَبيعي مريم، قال: وممّن بعتها؟ قالت: من رجل من أهل / العراق، [١٤/١٧١] وهو على الخروج، وإنما ذهبتُ بها حتى ودّعَتْ أهلَها، فهي تبكي من أجل ذلك، وأنا أبكي من أجل فراقها، قال: الساعةَ تخرج؟ قالت: نعم الساعة تخرج، فبقي[٤] متبلِّداً حائراً، ثم أرسَل عينيه يبكي، وودّع مريمَ وانصرف، وقال قصيدته التي أوّلها:

خليليَّ من سعد ألِمّا فسلِّما ... على مريمٍ، لا يُبعِد الله مريمَا

وقُولاَ لها هذا الفراق عزمتِه ... فهل من نوال قبل ذاك فنعلَما

قال: وهي طويلة؛ وقد غَنَّى بعضُ أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زَيانبياً[٥]. هكذا قال ابن عمّار في خبره.

قصته في بيتين من شعره

أخبرني الحسن بن علي الخَفّاف قال: حدّثني ابن مهرُويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو العباس أحمد بن مالِك اليمامي، عن عبد الله بن محمد البواب قال: سألت الخيزُرانُ[٦] موسى الهادي أن يولي خاله الغِطريف اليَمَن، فوعَدها بذلك ودافَعها[٧] به، ثم كتبتْ إليه يوماً رُقعة تتنجّزه فيها أمرَه، فوجه إليها برسولها يقول:

---

(١) نزوات: جمع نزوة من نزا ينزو نزواً إذا وثب، قال ابن الأثير: وقد يكون في الأجسام والمعاني، وحدثنا الدهر وأحداثه: حوادثه ونوبه.

(٢) ربع كمنع: انتظر وتحبس.

(٣) قارعتها، أي قارعة المدينة، وقارعة الطريق: أعلاه.

(٤) في الأصول «متلبداً» وهو تحريف.

(٥) نسبة إلى الزيانب، وهي اسم لسبعة أصوات ليونس الكاتب، والشعر فيها كلها لابن رهيمة المدني في زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (انظر أخبار يونس الكاتب في الجزء الرابع من «الأغاني» ص ٤٠٢ طبع دار الكتب).

(٦) الخيزران: أم موسى الهادي الخليفة العباسي.

(٧) ويقال: دافع فلان فلاناً في حاجته إذا مطله فيها فلم يقضها له وفي الأصول: «ودفعها».

خيَّره بين اليمن وطلاق ابنته، أو مُقامي عليها ولا أولِّيه اليمن، فأيَّهما فأختار فعلته، فدخل الرسول إليها - ولم يكن فهم عنه ما قال - فأخبرها بغيره، ثم خرج إليه فقال: تقول لك: ولاية اليمن، فغضب وطلّق أبنته وولّاه اليمن، ودخل الرسول فأعلمه بذلك، فارتفع الصياح / من داره، فقال: ما هذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أو لم [١٤/١٧٢] تختر ذلك! قالوا: لا، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدّى غيرَه، وعجلت بطلاقها، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلّى وقال له: أقمْ على رأس كل رجل بحضرتي من النُّدمَاء رجلاً بسيف، فمن لم يطلّق أمرأته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، ولم يبرح من حضرته أحد إلاّ وقد طلّق أمرأته، قال ابن البواب: وخرج الخدم إليّ فأخبَروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفّع بطَيْلسانه يراوح[1] بين رجليه، فخطر ببالي:

خليليَّ من سعدٍ أَلِمَّا فسلِّما	على مريم، لا يُبعِد اللهُ مَريَما
وقُولاَ لها: هذا الفراق عزمتِه	فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

/ فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لي: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إن المعاني تُحسِّن الشعر [١٤/١٧٣] وتفسده، وإنما قال: «فنعلما» ليعلم هو القصة، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سره، فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرتُ إليه من مراجعتي إياه، ثم عرّفته خبرَ الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، وانصرف وهو يقول: «هذا أحقّ منزل بِتَرْكٍ»[2].

شعره في تولية أبي جعفر المدينة

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصَّلْت على شُرْطة المدينة، ثم ولي القضاء، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن علي، فقال الأسود بن عمارة:

/ ذكرتك شُرْطياً، فأصبحتَ قاضيا	فصرتَ أميراً، أبشري قَحْطانُ[3] [١٤/١٧٣]
أرى نَزَواتٍ بينهنّ تَفاوُتٌ	وللدهر أحداث وذا حَدَثانُ
أرى حَدَثاً مِيطَانُ منقطِعٌ له	ومنقطع مِن بعده وَرِقانُ[4]
أقيمي بني عمرو بن عوف أو أَرْبَعي	لكلّ أناس دولةٌ وزمانُ

صوت

شعر لعلي بن الخليل

هل لدهر قد مضى من مَعادِ	أو لهمٍّ داخلٍ من نَفادِ

(١) في س «يروح»؛ وهو تحريف. والمراوحة بين الرجلين: أن يقوم على كل مرة.

(٢) في ب، وس «ينزل»؛ وهو تحريف.

(٣) في جـ «خفرتك» وفي ب وس «جفوتك». ولعل صوابه ما أثبتنا. وقد ذكر البيت قريباً وروايته «ذكرناك».

(٤) ميطان: من جبال المدينة، ضبطه صاحب «القاموس» فقال: كميزان، وكذا ضبط في «اللسان» بكسر الميم، وفي «معجم البلدان» بفتح أوّله، وفي ب، س «ميطان» بالباء وهو تصحيف. ورقان: جبل أسود على يمين المصعد من المدينة إلى مكة، ونسبه «معجم البلدان» إلى نوفل بن عمارة بن الوليد قال:

أرى حدثاً ميطان منقلع به	ومنقطع من دونه ورقان

أذكــرتْنــي عِيشــةً قــد تــولّــت هــاتفــاتٌ نُحْــنَ فــي بطــن وادي[1]

هِجْــنَ لــي شــوقــاً وألهبْــنَ نــاراً للهــوى فــي مستقَــرِّ الفــؤادِ

بــأن أحبــابــي وغُــودرتُ فَــرداً نُصْــبَ مــا سَــرَّ عيــونَ الأعــادي

الشعر لعلي بن الخليل، والغناء لمحمد الرف، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة.



(١) هاتفات: نائحات.

/ أخبار علي بن الخليل

[١٤/١٧٤]

نسبه وأخباره

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيباني، ويكنى أبا الحسن، وكان يعاشر صالح بنَ عبد القدّوس لا يكاد يفارقه، فاتُّهم بالزَّندقة، وأُخذ مع صالح ثم أُطلِق لمّا انكشف أمره.

كان مولى معن بن زائدة الشيباني

قال محمد بن داود بن الجراح: حدّثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جلس بالرافِقة(١) للمظالم، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكيء على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن الثياب، في يده قصة(٢)، فلما رآه أمر بأخذ قصته(٢)، فقال له يا أمير المؤمنين: أنا أحسن عبارة(٣) لها، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع ينشده [فيها](٤) قصيدته:

يـا خيـر مـن وَخَـدَت بـأَرْحُلِـه ... نُجُـبُ الـرِّكـاب بمَهْمَـهٍ جَلْـسِ(٥)

فاستحسنها الرشيد وقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخُص به بعد ذلك وأكثر مدحه.

/ حبسه الرشيد مع صالح بن عبد القدوس ثم مدحه فأطلقه

[١٤/١٧٥]

/ أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة ـ وكان علي بن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر ـ فأنشده علي بن الخليل:

١٥/١٣

يـا خيـر مـن وخَـدَتْ(٦) بـأَرحُلِـه ... نُجُـبٌ تخُـبُّ بمَهْمَـهٍ جَلْـسِ(٦)

تَطْـوِي السبـاسِـبَ فـي أزمَّتهـا ... طَـيَّ التُّجـار عمـائـمَ البُـرْسِ(٧)

لمـا رأتـك الشمـسُ إذ طلعـتْ ... كسفـتْ بـوجهـك طلعـةُ الشمـسِ(٨)

---

(١) الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات، من أعمال الجزيرة، بناه المنصور سنة ١٥٥ هـ على بناء مدينة بغداد ورتب به جنداً من أهل خراسان وجرى ذلك على يد المهدي وهو ولي عهده ثم بنى الرشيد قصور هذا البلد.

(٢) في «أمالي السيد المرتضى» ١: ١٠١ «قصيدة».

(٣) في «أمالي المرتضى» «أنا أحسن قراءة لها من غيري».

(٤) عن ج.

(٥) في جـ «وخذت بأرجله» في ب، س: «وخزت بأرجله» وهو تحريف. ووخد البعير كوعد وخدا: أسرع ووسع الخطو، أو رمى بقوائمه كمشي النعام، وأرحل جمع رحل، وهو مركب للبعير. نجب جمع نجيب، والنجيب من الإبل: القوي الخفيف السريع. والمهمه: المفازة البعيدة. والجلس: الغليظ من الأرض.

(٦) في جـ «وجدت»، ويقال: خبث الناقة خبا وخببا: أسرعت.

(٧) السباسب: جمع سبسب وهي المفازة. والبرس بالكسر والضم: القطن.

(٨) في «أمالي السيد المرتضى» «سجدت لوجهك».

خيرُ البريةِ أنتَ كلُّهمُ ... في يومك الغادي وفي أمس
وكذاك لن تنفكَّ خيرَهُمُ ... تُمسي وتُصبح فوق ما تُمسي
لِلّهِ ما هرون من مَلِك ... بَرِّ السريرة طاهرِ النفس
ملك عليه لربِّه نِعَمٌ ... تزداد جِدَّتُها على اللُّبس
تَحكي خلافتُه ببهجتها ... أَنَقَ السرور صبيحةَ العُرْس[(١)]
من عِترةٍ طابت أرومتُهمْ ... أهلِ العفاف ومنتهى القُدس[(٢)]
نُطُقٍ إذا احتُضِرت مجالسُهم ... وعن السفاهة والخنا خُرس
إني إليك لجأتُ من هربٍ ... قد كان شرَّدني ومن لَبس[(٣)]
/ واخترتُ حكمَك لا أجاوزُه ... حتى أوسَّدَ في ثرَى رَمْسي[(٤)]
لما استخرتُ الله في مَهَلٍ ... يمَّمتُ نحوَك رحلةَ العَنْس[(٥)]
كم قد قطعتُ إليك مُدَّرِعاً ... ليلاً بهيمَ اللَّون كالنِّقْس[(٦)]
إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ ... كان التوكّل عنده تُرسي
ما ذاك إلا أنني رجلٌ ... أصبو إلى بَقَرٍ من الإنس
بقرٍ أوانسَ لا قُرونَ لها ... نُجُلِ العيون نواعمٍ لُعْس[(٧)]
رَدْعُ العَبير على ترائبها ... يُقبِلْن بالترحيب والخلْس[(٨)]
وأشاهد الفتيان بينهمُ ... صفراءُ عند المَزْج كالوَرْس[(٩)]
للماء في حافاتها حَبَبٌ ... نُظُم كرَقْم صحائف الفُرس[(١٠)]
واللَّه يعلم في بقيته ... ما إن أضعْتُ إقامةَ الخَمْس[(١١)]

[١٧٦/١٤]

(١) الأنَق: الفرح والسرور.
(٢) عترة الرجل: نسله ورهطه الأدنون. وفي «أمالي المرتضى» «من عصبة». والأرومة وتضم: الأصل.
(٣) اللبس: الالتباس والاشتباه.
(٤) الرمس: القبر، والثرى: التراب.
(٥) العنس: الناقة الصلبة.
(٦) في س «كم قطعت». وادّرع: لبس الدرع، والمعنى: لابساً الليل كأنه درع. والبهيم: الأسود. والنقس: المداد.
(٧) نجل: جمع، نجلاء وصف من النجل بالتحريك، وهو سعة العين. لعس جمع لعساء: وصف من اللعس، وهو سواد يعلو شفة المرأة البيضاء؛ وقيل: هو سواد في حمرة.
(٨) العبير: أخلاط من الطيب. والردع: أثر الطيب في الجسد. والترائب: ما ولى الترقوتين، واحدتها تريبة. الخلس: النظر خلسة. وفي «أمالي المرتضى»: «يقتلن بالتطويل والحبس».
(٩) الورس: صبغ أصفر، وفي «أمالي المرتضى»:
وأجاذب الفتيان بينهم ... صهباء مثل مجاجة الورس
(١٠) الحبب: النفاخات والفقاقيع التي تطفو فوق الخمر كأنها القوارير.
(١١) بقية الله: طاعته وانتظار ثوابه. وفي «أمالي المرتضى» «في بريته».

/ فأطلقه للرشيد، وقتل صالح بن عبد القدوس، واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله: [١٤/١٧٧]

والشيــــخ لا يتـــــرك أخـــلاقـــــه حتـــى يُـــوارَى فـــي ثـــرى رَمْسِـــه

وقال: إنما زعمت ألاّ تترَك الزندقة ولا تحول عنها أبداً.

شعره في يعقوب بن داود وابن علاثة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان عافيةُ بنُ يزيدَ يَصحب ٱبنَ عُلاثة[1]، فأدخله على المهدي، فاستقضاه معه بعسكر المهديّ وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله[2] كذلك، أدخله إلى المهديّ ليعرض عليه، فغلب عليه، علي بنَ الخليل في ذلك:

/ عجبـــاً لتصـــريـــف الأمـــو ر مســـــرّةً وكـــراهيـــــة[3] [١٤/١٧٨]

/ رَثَّـــتْ ليعقـــوبَ بـــن دا ودِ حبـــالُ معـــاويــــة[4] ١٦/١٣

وعـــدت علـــى ابـــن عُـــلاثَـــة الـ ـقــاضـــي بـــوائـــقُ عـــافيـــه[5]

أدخلتَـــــــه فعَـــــــلا عليـ ـــك كـــذاك شـــؤمُ النـــاصيـــة

وأخـــذتَ حتفـــكَ جـــاهـــداً بيمينـــك المتـــــراخيــــه[6]

يعقـــوبُ ينظـــر فـــي الأمـــو ر وأنـــت تنظـــرُ نـــاحيـــة

ولاية ابن الجهم السّوس لإنشاده شعره

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمرو بن فِراس

---

(١) عافية بن يزيد الأودي، ومحمد بن عبد الله بن علاثة الكلابي، استقضاهما المهدي سنة ١٦١ كانا يقضيان في عسكره، وقد شرك بينهما في القضاء فكانا يقضيان جميعاً في المسجد الجامع في الرصافة، هذا في أدناه، وذاك في أقصاه، وكان عافية أكثرهما دخولاً على المهدي («تاريخ بغداد» ١٢: ٣٠٧).

(٢) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار من موالي الأشعريين، كان كاتب المهدي ونائبه قبل الخلافة، فلما ولي الخلافة فوض إليه تدبير المملكة، وسلم إليه الدواوين، وكان من أبرع الكتاب وأوسعهم حذقاً وعلماً وخبرة، ثم إن الربيع بن يونس ما زال يسعى به إلى المهدي حتى عزله عن الوزارة، وأفرده في «ديوان الرسائل»، واستوزر يعقوب بن داود سنة ١٦٣ ثم عزل أبا عبيد الله عن «ديوان الرسائل» سنة ١٦٧ ورتب في الربيع بن يونس، ومات أبو عبيد الله سنة ١٧٠ هـ، وكان يعقوب بن داود من الموالي أيضاً وقد فوض المهدي إليه الأمور كلها وسلم إليه الدواوين وقدمه على جميع الناس حتى قال بشار بن برد يهجوه:

بنـــي أميـــة هبّـــوا طـــال نـــومكـــم إن الخليفـــــة يعقـــــوب بـــــن داود

ضـــاعـــت خـــلافتكـــم يـــا قـــوم فـــالتمسـوا خليفـــة اللّـــه بيـــن الـــزقّ والعـــود

ثم إن الساعين ما زالوا يسعون بيعقوب إلى المهدي حتى نكبه وحبسه، فلم يزل كذلك أيام المهدي ومدة الهادي حتى أخرجه الرشيد، ومات سنة ١٨٧ ـ اقرأ أخبار الأول في «تاريخ الطبري» ٩: ٣٣٩ و ١٠: ٩ و «الفخري» ص ١٦٣. وأخبار الثاني في «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢: ٣٣١ و «الفخري».

(٣) في «وفيات الأعيان»: فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي من جملة أبيات:

قـــل للـــوزيـــر أبـــي عبيـ ـــد اللّـــه هـــل مـــن بـــاقيـــه

ثم أورد البيت السادس فالرابع فالخامس مما ورد هنا.

(٤) في الأصول «دبب» وهو تصحيف. ومعاوية: اسم الوزير أبي عبيد الله.

(٥) بوائق جمع بائقة، وهي الداهية.

(٦) في الأصول «ضيفك» وهو تحريف؛ والتصويب من «وفيات الأعيان».

الدُّهْلي عن أبيه قال: قال لي محمد بن الجَهْم البرمكي: قال لي المأمون يوماً: يا محمد: أنشدني بيتاً من المديح جيّداً فاخراً عربياً لمحدَث حتى أولّيكَ كُورةً تختارها. قال قلت: قول علي بن الخليل:

فمع السماءِ فروعُ نَبْعتهم ... ومع الحضيض مَنابِتُ الغَرْس[1]

متهلّلين على أسِرَّتهم ... ولدى الهِياج مَصاعِبٍ شُمْس[2]

[١٤/١٧٩] / فقال: أحسنت، وقد وليتك الدِّينَوَر، فأنشِدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أولّيك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

قُبِحتْ مناظِرُهم فحين خَبَرتهم ... حَسُنت مناظرُهم لقُبح المَخْبَرِ[3]

فقال: قد أحسنت، قد ولّيتك هَمذَان، فأنشِدني مَرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

أرادوا ليُخفوا قبرَه عن عدوِّه ... فطِيبُ تراب القبر دل على القبر

فقال: قد أحسنت، قد ولّيتك نَهَاوَنْد، فأنشِدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

تعالَيْ نجدِّد دارس العِلم[4] بيننا ... كلانا على طول الجفاء مُلُوم

فقال: قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السُّوس من كُوَر الأهواز، فولاني ذلك أجمع، ووجّهت إلى السوس بعض أهلي.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد، عن التَّوَّزيّ قال: نزل أبو دُلامة بِدهقان[5] يُكنَى أبا بِشر، فسقاه شراباً أعجبه، فقال في ذلك:

سقاني أبو بشر من الراح شَربةً ... لها لذّةٌ ما ذُقتها لشراب

وما طبخوها غير أنّ غلامهم ... سعى في نواحي كرمها بِشِهاب[6]

قال: فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال: أحرقه العبد أحرقه الله.

[١٤/١٨٠] / **تهنئة يزيد بن مزيد بمولوده**

أخبرني الحسن بن علي، وعمي الحسن بن محمد، قالا: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمد بنُ عمران

(١) النبعة: واحدة النبع، وهو شجر للقسي والسهام. والحضيض: القرار في الأرض.

(٢) تهلل الوجه: تلألأ. ومصاعب: جمع مصعب (بضم الميم وفتح العين)، وهو الفحل الذي لم يمسسه حبل ولم يركب. ورجل مصعب: مسوّد. وشمس: جمع شموس كصبور من شمس الفرس: إذا منع ظهره. «ومتهللين» و «مصاعب شمس» نعوت لعترة في قوله «من عترة طابت أرومتهم». والبيتان من قصيدته السينية السابقة، وقد ورد البيت الأول ضمن أبياتها في «أمالي المرتضى»، وأوله: «فوق النجوم».

(٣) هذا البيت والذي يليه لمسلم بن الوليد الأنصاري.

(٤) كذا في الأصول: ولعله «الوصل» أو «العهد» كما يرشد إليه ما يأتي بعد من قوله: «على طول الجفاء».

(٥) الدهقان: رئيس الإقليم، فارسيّ معرّب.

(٦) الشهاب: شعلة من نار ساطعة، شبه به الخمر.

الضبيّ عن عليّ بن يزيدَ قال، ولد ليزيد[1] بن مَزْيَد ابن، فأتاه عليّ بنُ الخليل فقال: اسمع أيها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد، فتبسّم وقال: هاتِ، فأنشده:

يــزيــدُ يــابْــن الصِّيــد مــن وائــلِ ... أهــلِ الــريــاســات وأهــلِ المعــالْ[2]

/ يــا خيــر مــن أنجَبــه[3] والــد ... لِيَهنِــك الفــارسُ ليــث النــزالْ ١٧/١٣

جــاءت بــه غَــرّاءُ ميمــونــة ... والسعــد يبدو فــي طلــوع الهــلالْ

عليــه مــن مَعْــن ومــن وائــلٍ ... سِيمَــا تبــاشيــرٍ وسيمَــا جَــلال[4]

والله يُبقيــه لنــا سيِّــدا ... مــدافِعــاً عنّــا صُــروفَ الليــالْ

حتــى نــراه قــد عــلا منبــرا ... وفــاض فــي سُــؤّالــه بــالنــوال

وسَــدَّ ثَغْــراً فكفــى شــرّه ... وقــارَعَ الأبطــالَ تحــت العَــوالْ[5]

كمــا كفــانــا ذاك آبــاؤه ... فَيحتــذِي أفعــالَهــمْ عــن مِثــال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار.

/ **المهدي يذكره بشعره في الخمر** [١٨١/١٤]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني ابن الأعرابي المنجِّم الشّيباني، عن عليّ بن عمرو الأنصاري، قال: دخل علي بن الخليل على المهديّ فقال له: يا عليّ، أنت على معاقَرتك الخمر وشريك لها؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: تبت منها، قال: فأين قولك؟:

أُولِعــتْ نفســي بلــذّتهــا ... مــا تــرى عــن ذاك إقصــارا

وأين قولك؟:

إذا مــا كنــتَ شــاربَهــا فسِــرًّا ... ودع قــولَ العــواذل واللّــواحــي[6]

قال: هذا شيء قلتُه في شبابي، وأنا القائل بعد ذلك:

علــى اللّــذات والــراحِ السـلامُ ... تقضّــى العهــدُ وانقطــع الــذِّمــامُ

مضــى عهــد الصِّبــا وخــرجــتُ منــه ... كمــا مِــن غِمــده خــرج الحســامُ

وقُــرتُ علــى المَشيــب فليــس منّــي ... وصــالُ الغــانيــات ولا المُــدام[7]

---

(١) ابن أخي معن بن زائدة الشيباني. وكان يزيد بن مزيد أميراً شجاعاً، وكان والياً لأرمينية ثم عزله عنها الرشيد سنة ١٧٢، ثم ولاه إياها وضم إليه أذربيجان سنة ١٨٣، وتولى محاربة الوليد بن طريف الشيباني الخارجي وقتله سنة ١٧٩، وتوفي سنة ١٨٥ هـ «وفيات الأعيان» ٢: ٢٨٣).

(٢) الصيد: جمع أصيد، وهو الملك، ورافع رأسه كبراً، والأسد.

(٣) الذي في كتب اللغة: أنجب الرجل والمرأة إذا ولدا ولداً نجيباً أي كريماً، ولم يرد فيها أنجب متعدياً.

(٤) السيما: العلامة.

(٥) الثغر: موضع المخافة من البلدان. والعوالي: رؤوس الرماح.

(٦) اللواحي: جمع لاحية: وهي اللائمة.

(٧) وقر ككرم ووعد: رزن.

وولّى اللهوُ والقَيْناتُ عنّي | كما ولّى عن الصبح الظلامُ
حلبْتُ الدهرَ أشطُرَه فعندي | لصَرف الدهرِ محمودٌ وذَامُ[1]

مدحه معن بن زائدة

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحَرون، عن عليّ بن عبيدة الشيباني، قال: دخل عليّ بن الخليل ذاتَ يوم إلى معن بن زائدة / فحادَثه وناشَدَه، ثم قال له معن: هل لك في الطعام؟ [١٤/١٨٢] قال: إذا نشِط الأمير، فأُتِيا بالطعام، فأكلا، ثم قال: هل لك في الشراب؟ قال: إن سقيتَني ما أريد شربتُ، وإن سقيتَني من شرابك فلا حاجة لي فيه، فضحكَ ثم قال: قد عرفت الذي تريد، وأنا أسقيك منه، فأُتِيَ بشراب عتيق، فلما شرب منه وطابت نفسُه أنشأ يقول:

يا صاحِ قد أنعمتَ إصباحي | ببارد السَّلسال والراحِ[2]
قد دارت الكأسُ برقراقةٍ | حياةِ أبدانٍ وأرواحِ[3]
تجري على أغيَدَ ذي رَونقٍ | مهذَّب الأخلاق جَحْجاحِ[4]
ليس بفحّاش على صاحبٍ | ولا على الراح بفَضّاحِ
تسرّه الكأسُ إذا أقبلت | بريح أُترُجٍّ وتُفّاحِ[5]
/ يَسعَى بها أزهرَ في قُرطَقٍ | مقلَّد الجيد بأوضاحِ[6]
كأنها الزّهرة في كفّه | أو شُعلة في ضوءِ مصباحِ

١٨/١٣

هجاؤه لدهقان

حدّثنا عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: كان لعلي بن الخليل الكوفي صديق من الدّهَاقِين يعاشره ويَبَرّه، فغاب عنه مدّةً طويلة / وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالاً ورفعةً، وقويتْ حالُه، فادعى أنه [١٤/١٨٣] من بني تميم، فجاءه عليّ بن الخليل فلم يأذَن له، ولقيه فلم يسلِّم عليه، فقال يهجوه:

يَرُوح بِنِسبة المَوْلَى | ويصبح يَدّعي العَرَبا
فلا هذا ولا هذا | ك يدركُه إذا طَلَبا
أتيناه بشَبُّوطٍ | ترى في ظهره حَدَبا[7]

(١) أشطره: أي أشطر الدهر. والمعني أنه اختبر حالات الدهر: خيره وشره فعرف ما فيه، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر. والذام: الذم.
(٢) خمر سلسال: لينة.
(٣) كل شيء له بصيص وتلألؤ فهو رقراق، وأراد بالرقراقة هنا الخمر.
(٤) غيد كفرح فهو أغيد: مالت عنقه ولانت أعطافه، والجحجح والجحجاح: السيد.
(٥) في الأصول: «فسره» وهو تحريف.
(٦) القرطق (بضم القاف وفتح الطاء وقد تضم): لباس من ملابس العجم يشبه القباء، معرب كرته. والأوضاح: جمع وضح كسبب، وهو حليّ من الفضة.
(٧) الشبوط بالفتح يضم: سمك دقيق الذنب، عريض الوسط، صغير الرأس.

فقال: أمَا لبخلك من طعامٍ يُذهب السَّغَبا[1]
فصد لأخيك يَرْبُوعاً وضَبًّا واترك اللعبا[2]
فَرشتُ له قَريح المسك والنَّسرِينَ والغَرَبا[3]
فأمسَكَ أنفَه عنها وقام مولِّياً هَربا
يشَمُّ الشِّيحَ والقَيْصو مَ كي يستوجبَ النسبا[4]
وقام إليه ساقينا بكأسٍ تَنظِم الحببَا[5]
معتَّقةٍ مروَّقةٍ تسلِّي همَّ من شرِبا
فآلَى لا يُسلْسِلها وقال أصِبْ لنا حَلَبا[6]
/ وقد أبصرتُه دهراً طويلاً يشتهي الأدبا [١٤/١٨٤]
فصار تشبُّهاً بالقو م جِلفاً جافياً جَشِبا[7]
إذا ذُكر البَريرُ بكى وأبدَى الشوقَ والطربَا[8]
وليس ضميرُه في القو م إلاّ التِّينَ والعنبا
جحدتَ أباك نسبتَه وأرجو أن تفيد أبا

قال عليّ بن سليمان: وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعاً لعلي بن الخليل في هذا الذكر، وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعليّ، قال:

يا أيها الراغب عن أصله ما كنتَ في موضعِ تهجينِ[9]
متى تعرَّبتَ وكنت امرأ من الموالي صالحَ الدِّين
لو كنتَ إذ صرتَ إلى دِعوة فزتَ من القوم بتمكين[10]
لكَفَّ من وجدي، ولكنني أراك بين الضَّبِّ والنُّون[11]

(١) السغب: الجوع.
(٢) اليربوع: دويبة نحو الفأر لكن ذنبه وأذناه أطول من ذنب وأذني الفأر، ورجلاه أطول من يديه. والضب: دويبة من تشبه التمساح الصغير وذنبها كذنبه وتتلون كالحرباء.
(٣) القريح: الخالص، كالقراح. والنسرين: ورد، فارسي معرّب. والغرب: ضرب من الشجر.
(٤) القيصوم: من نبات البادية.
(٥) هذا البيت في الأصول مقدم على سابقه، وهو خطأ. يدل على ذلك سياق المعنى.
(٦) آلى: أقسم. وتسلسل الماء في الحلق: جرى، وسلسله: صب فيه. والحلب: اللبن المحلوب. وفي الأصول «زقاً أصبب لنا حبباً» وهو تحريف.
(٧) الجلف: الجافي، والجشب: الخشن الغليظ.
(٨) البرير: ثمر الأراك.
(٩) التهجين: التقبيح.
(١٠) الدعوة في النسب «بالكسر»: أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته.
(١١) الوجد: الحزن.

فلــو تــراه صــارفــاً أنفَــه ... مــن ريــح خِيريٍّ ونِسْرِيــن(١)
لقلــتَ: جِلــفٌ مــن بنــي دارمٍ ... حَــنَّ إلــى الشِّيــح بِيَبْــرِيــن(٢)
دُعْمــوصُ رمــلٍ زَلَّ عــن صخــرةٍ ... يــعــاف أرواحَ الــبســاتــيــن(٣)
/ تنبــو عــن النــاعــم أعطــافُــه ... والخَــزِّ والسِّنجــابِ والليِّــن(٤)

١٩/١٣

[١٤/١٨٥] / **شعره في تعلق أحد أولاد المنصور بجارية**

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً، قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: كان عليّ بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور، وكان الفتى يهوى جارية لعُتبة مَوْلاة المهدي، فمرّت به عُتبة في موكبها والجارية معها، فوقفتْ عليه وسلّمتْ، وسألت عن خبره، فلم يوفِّها حقَّ الجواب، لشغل قلبه بالجارية، فلما انصرفتْ أقبل عليه عليّ بن الخليل، فقال له:

راقِــب بطَــرْفِــك مَــن تخــا ... ف إذا نظــرت إلــى الخليــلِ
فــإذا أمِنــتَ لِحــاظَهــم ... فعليــك بــالنظــر الجميــل(٥)
إن العيــون تَــدُلّ بــالــنظــر المليــح علــى الــدَّخِيــل(٦)
إمّــا علــى حــبٍّ شــديــ ... ــدٍ أو علــى بُغــضٍ أصيــل

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينة قال: كان عليّ بن الخليل يَصحَب بعضَ ولد جعفر بن المنصور، فكتب إليه والبةُ بن الحُباب يدعوه، ويسأله ألا يشتغل بالهاشمي يومَه ذلك عنه، ويصف له طِيبَ مجلسه وغناءً حصّله وغلاماً دعاه، فكتب إليه علي بن الخليل:

أمَــا ولحَــاظِ جــاريــة ... تُــذيــب حُشــاشــة المُهَــجِ(٧)
وسحــر جفــونهــا المُضْنيــ ... ــك بيــن الفَتْــر والــدَّعَــج(٨)
/ مليحــةُ كــلِّ شــيء مــا ... خــلا مــن خُلقهــا السَّمِــج
وحُــرْمــةِ دَنِّــك المبــزو ... لِ والصهبــاءُ منــه تَجــي(٩)

[١٤/١٨٦]

---

(١) الخيري بالكسر: المنثور الأصفر.
(٢) يبرين: رمل لا تدرك أطرافه، من أصقاع البحرين.
(٣) الدعموص: دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء. وسياق البيت يدل على أنه يريد به دويبة صحراوية لا مائية. يعاف: يكره. أرواح: جمع ريح.
(٤) في جـ «تنبو عن الفاقم» وهو تحريف. والسنجاب: حيوان شعره في غاية النعومة، يتخذ من جلده الفراء، يلبسه المتنعمون. انظر «حياة الحيوان الكبرى» للدميري.
(٥) لحاظهم، أي لحاظ من تخافهم، واللحاظ بالكسر: مصدر لاحظه أي راعاه. واللحاظ بالفتح: مؤخر العين مما يلي الصدغ.
(٦) في جـ «تذل» وفي جـ، ب، س «الرحيل» وهو تحريف.
(٧) الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح.
(٨) الدعج: سواد العين مع سعتها، وأراد بالفتر هنا: الفتور قال الشاعر:
وقــاصــرة الطــوف مكفــوحــة ... بفتــر الجفــون وخــون النظــر
(٩) بزل الخمر: ثقب إناءها، ويقال للحديدة التي تفتح مبزل الدن وبزال ومبزل لأنه يفتح بها، وفي ب، س «المبذول»، والصهباء:=

كـــأنّ مجينهـــا فـــي الكـــأ س حيـــن تُصَـــبُّ مـــن وَدَجِ[1]

لـــو انعـــرج الأنـــام إلـــى بشـــاشـــة مجلـــسٍ بَهِـــجِ

وكنـــت بجـــانـــب جـــذْبٍ لكـــان إليـــك مُنعَـــرجـــي

وصار إليه في إثر الرقعة.



= الخمر.

(١) الودج: عرق في العنق.

[١٤/١٨٧]

/ أخبار محمد الزّفّ(١)

نسبه وبعض أخباره

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم، كوفي الأصل والمولد والمنشأ؛ والزفّ: لقب غلب عليه، وكان مغنّياً ضارباً طيّب المسموع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذاً للغناء، وأصحهم أداء له، وأذكاهم، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثاً أدّاه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق، وكان يتعصب على ابن جامع، ويميل إلى إبراهيم الموصلي وأبنه إسحاق، فكانا يرفعان منه، ويقدّمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء، وكانت فيه عربدة إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه، ومنعه من الوصول إليه، وجفاه وتناساه، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين.

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجِل.

٢٠/١٣ أخبرني ابن جعفر جحظة قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن/ أبيه قال: غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد:

صوت

ادّعاؤه غناء لابن جامع

جَسـورٌ علـى هجـري، جبـانٌ علـى وصلـي ... كَـذوب غـدا يستتبـع الـوعـد بـالمطـلِ(٢)

مقـدِّم رِجـل فـي الـوصـال مـؤخِّـر ... لأخرى(٣)، يشوب الجِدّ في ذاك بـالهـزل

[١٤/١٨٨] / يهـمّ بنـا حتـى إذا قلـتُ قـد دنـا ... وجـاد ثَنـي عِطفـاً ومـال إلـى البخـلِ(٤)

يـزيـد امتنـاعـاً كلّمـا زِدت صبـوةً ... وأزداد حـرصـاً كلّمـا ضـنّ بـالبـذل

فأحسن فيه ما شاء وأجمل، فغمزت عليه محمداً الزّفّ، وفطن لما أردت، واستحسنه الرشيد، وشرب عليه، واستعاده مرتين أو ثلاثاً، ثم قمت للصلاة وغمزت الزف وجاءني، وأومأت إلى مخارق وعلّويه وعقيد فجاءوني، فأمرته بإعادة الصوت، فأعاده وأدّاه كأنه لم يزل يرويه، فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم، ثم عدت إلى المجلس، فلما انتهى الدّور إليّ بدأت فغنّيته قبل كلّ شيء غنّيته، فنظر إليّ ابن جامع محدّداً نظره، وأقبل عليّ الرشيد فقال: أكنت تروي هذا الصوت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال ابن جامع: كذب والله، ما أخذه إلا مني

(١) في الأصول «الرف» بالراء، وورد في الجزء الخامس من «الأغاني» في نسب إبراهيم الموصلي وأخباره «محمد الزف» بالزاي، وقد يرجح هذا أن الزف والزفيف معناه الإسراع، وهو الملائم لما عرف عنه من أنه كان أسرع خلق الله أخذاً للغناء وانظر «الأغاني» جـ ١ ح ٢ من صفحة ٣٠٦ طبع دار الكتب المصرية.

(٢) في جـ «كذوب غدا يبيع الوعد بالمطل».

(٣) ساقطة من نسخة جـ.

(٤) ثني عطفه: لوى عنقه معرضاً. وفي الأصول «عطفاً» وفي جـ «وحادبني» وهو تصحيف.

الساعة. فقلت: هذا صوت أرويه قديماً، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني، وأقبلت عليه، فغناه علويه ثم عقيد ثم مخارق، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت، فأقبل عليّ فقال: بحياتي اصدقني عن القصة، فصدَقْتُه، فجعل يضحك ويصفِّق ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامعٍ الزَّفّ.

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، والصنعة لابن جامع من رواية الهشاميّ وغيره.

قوة حفظه وبراعته في الغناء

قال أبو الفرج: وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية، فقال فيه قال: محمد الزّفّ أروَى خلق الله للغناء، وأسرعُهم أخذاً لما سمعه منه، ليست عليه في ذلك كلفة، وإنما يسمع الصوت مرّة واحدة / وقد أخذه، وكنّا معه في بلاء إذا حضر، فكان من غنّى منا صوتاً فسأله عدوٌّ له أو صديق أن [١٤/١٨٩] يلقيه عليه، فبخل ومنعه إياه، سأل محمداً الزَّفّ أن يأخذه، فما هو إلا أن يسمعه مرة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله، فكان أبي يَبرّه ويصله ويُجدِيه[1] من كل جائزة وفائدة تصل إليه، فكان غناؤه عنده حِمى مصوناً لا يقربه، ولم يكن طيِّب المسموع، ولكنّه كان أطيب الناس نادرةً، وأملحَهم مجلساً، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنِّين لبخله، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه، وأصغى[2] سمعَه إليه، حتى يحكيه، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ورِفد.

غناء لابن جامع بحضرة الرشيد

فغنّى يوماً بحضرة الرشيد:

صوت

أرسلت تُقرىء[3] السلامَ الرَّبابُ	في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ
فيه: لو زُرتَنا لزرناك ليلاً	بِمنًى حيث تستقلّ الركاب[4]
فأجبتُ الرَّباب: قد زرت لكن	ليَ منكم دون الحجاب حجاب
/ إنما دهرك العتاب وذمّي	ليس يُبقي على المحبّ عتابُ

٢١/١٣

ولحنه من الثقيل الأوّل، فأحسن فيه ما شاء، ونظرتُ إلى الزَّفّ فغمزتُه وقمت إلى الخلاء، فإذا هو قد جاءني، فقلت له: أي شيء عملت؟ فقال: قد فرغت لك منه، قلت: هاته، فرده عليّ ثلاثَ مرات، وأخذتُه وعدت إلى مجلسي، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً، فقاما، وتَبِعَهما فألقاه عليهما، وابن جامع لا يعرف الخبر، فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه، فعرّفاني أنهما قد أخذاه، فلما بلغ / الدَّور إليّ كان الصوت أوّل شيء غنّيته، [١٤/١٩٠] فحدّد الرشيد نظره إليّ، ومات ابن جامع وسُقِط[5] في يده، فقال لي الرشيد: من أين لك هذا؟ قلت: أنا أرويه

(١) أجداه: أعطاه الجدوى وهي العطية.
(٢) أصغى: أمال.
(٣) في جـ «أقرنا».
(٤) استقلوا: مضوا وارتحلوا.
(٥) سقط في يده وأسقط «مضمومتين»: تحيّر.

قديماً، وقد أخذه عني مخارق وعقيد، فقال: غنِّياه. فغنَّياه، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية، ما سبق إليه ابن جامع أحد، فنظر الرشيد إليّ، فغمزْته بعيني أنه صدق، وجدّ الرشيد في العبث به بقيّة يومه، ثم سألني بعد ذلك عن الخبر، فصدّقته عنه وعن الزّفّ، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزّفّ، قال حماد: وللزّف صنعة يسيرة جيّدة منها في الرمل الثاني:

صوت

لمن الظعائن سيرُهن تزحُّفُ ... عَومَ السَّفينِ إذا تَقاذَفَ مِجذَفُ[1]

مرّت بذي حُسُمٍ كأنّ حُمولَها ... نخل بيثربَ طَلعُها متزحّف[2]

فلئن أصابتْني الحروب لربّما ... أُدعَى إذا مُنع الرِّدافُ فأُردف[3]

فأثير غاراتٍ وأشهد مَشْهَداً ... قلبُ الجبان به يَطيش فيَرجُف

قال: ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة:

[١٤/١٩١] / صوت

إذا شئت غنّتني بأجراع بِيشةٍ ... أو النخل من تَثْليثَ أو من يَلَمْلَما[4]

مطوَّقةٌ طَوقاً وليس بحِلْيةٍ ... ولا ضربَ صوّاغٍ بكفّيه دِرهما

تُبَكّي على فرخٍ لها ثم تَغتدي ... مدلّهةً تَبغي له الدهرَ مَطعمَا[5]

تؤمّل منه مؤنساً لانفرادها ... وتبكي عليه إن زَقَا أو ترنما[6]

ومن صنعته في هذه الطريقة:

صوت

يا زائرَيْنا من الخيامِ ... حيّاكما الله بالسلامِ

يَحزُنُني أن أطعمُاني ... ولَم تَنالاَ سوى الكلام

---

(١) تزحف: من تزحف الصبي على الأرض أو على بطنه، قبل أن يمشي. والسفين: جمع سفينة، ومجداف السفينة ومجذافها بالدال وبالذال: لغتان فصيحتان. وفي جـ «يحذف».

(٢) ذو حسم: موضع بالبادية، وجاء في شعر المهلهل:

أليلتنا بذي حسم أنيري ... إذا أنت انقضيت فلا تحوري

والحمول: الهوادج، أو الإبل عليها الهوادج، واحدها حمل بالكسر ويفتح، يثرب: المدينة المنورة.

(٣) أردفه معه: أركبه؛ وردفه بالكسر وأردفه: ركب خلفه.

(٤) بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن، وهي من مكة على خمس مراحل، بها من النخل شيء كثير. وفي جـ، وب «شيبة». والأجراع: جمع جرع بالتحريك، وهو الرملة الطيبة المنبتة السهلة المستوية. تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة. يلملم: موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن.

(٥) المدله: الساهي القلب، الذاهب العقل.

(٦) زقا الطائر يزقو: صاح.

بُــورِكَ هـــارونُ مـــن إمـامِ بطـــاعـــة الله ذي اعتصـــامِ
لـــه إلـــى ذي الجـــلال قُـــربَـــى ليـــس لعـــدل ولا إمـــام

وله في هذه الطريقة:

صوت

/ بـان الحبيـبُ فـلاحَ الشَّيـبُ فـي راسـي ويـتُّ منفـرداً وحـدي بِـوَسْـواسِ ٢٢/١٣
مـاذا لقيـتُ فـدتـكِ النفسُ بعـدَكـم مـن التبـرم بـالـدنيـا وبـالنـاس
لـو كـان شـيء يسلـي النفسَ عـن شَجَـن سلَّـت فـؤاديَ عنكـم لـذةُ الكـاس(١)

/ صوت [١٩٢/١٤]

شعر لأبي الشبل البرجميّ

بـــأبـــي رِيـــمٌ رَمَـــى قلـــبـــي بـــألحـــاظٍ مِـــراضِ(٢)
وحَمَـــى عينـــيَ أن تلـــتـــذَّ طِيـــبَ الإغتمـــاض
كلَّمـــا رُمْـــت انبســـاطـــاً كـــفَّ بَسْطـــي بـــانقبـــاض
أو تعـــالَـــى أملـــي فيـــه رَمَـــاهُ انخفـــاضِ
فمتـــى ينتصـــفُ المظـــلـــوم والظـــالـــمُ قـــاضـــي

الشعر لأبي الشِّبْل البُرْجُميّ، والغناء لَعثعث الأسوَد، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، وفيه لكثير رمل، ولُبنان خفيف رمل.

(١) الشجن: الهمّ والحزن.
(٢) الرئم: الظبي الخالص البياض.

[١٤/١٩٣]

/ أخبار أبي الشِّبل ونسبه

نسبه

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم، مولده الكوفة، ونشأ وتأدّب بالبصرة.

مجونه واتصاله بالمتوكل

أخبرني بذلك الحسن بن علي، عن ابن مهرويه، عن علي بن الحسن الأعرابي.

وقدِم إلى سُرَّ مَن رأى في أيّام المتوكّل ومدحه، وكان طَبًّا[1] نادراً، كثير الغزل ماجناً، فنفَق[2] عند المتوكّل بإيثاره العَبَث، وخَدَمَه، وخُصَّ به، فأثْرَى وأفاد، فذكر لي عمّي عن محمد بن المرزُبان بن الفيرزان عن أبيه أنّه لما مدحه بقوله:

أقبِلي فالخيرُ مقبلْ ... واتركي قولَ المعلِّلْ

وثِقي بالنُّجْح إذ أبـ ... ـصرت وجه المتوكِّلْ

مَلِكٌ يُنصِف يا ظا ... لمتي فيكِ ويَعدلْ

فهو الغايةُ والمأ ... مول يرجوه المؤمِّلْ

أمر له بألف درهم لكل بيت، وكانت ثلاثين بيتاً، فانصرف بثلاثين ألفَ درهم.

الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكّي رمل بالبنصر.

أخبرني يحيى بن علي، عن أبي أيوب المديني، عن أحمد بن المكّي قال: غنّيتُ المتوكّل صوتاً شعرُه لأبي الشبل البُرْجُميّ وهو:

أقبلي فالخير مقبلْ ... ودعي قول المعلِّلْ

[١٤/١٩٤] / فأمر لي[3] بعشرين ألف درهم، فقلت: يا سيدي أسأل الله أن يبلِّغك الهُنَيدة، فسأل عنها الفتح فقال: يعني مائة سنة، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى.

وحدَّثنيه الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن المكي مثله.

دعته جاريته فقال شعراً

حدَّثني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل عاصم بن وهب الشاعر، وهو القائل:

أَقبِلي فالخير مقبلْ ... ودعي قولَ المعلِّلْ

(١) في الأصول «طيباً» وهو تحريف.
(٢) نفق: راج.
(٣) في س «فأمر له» وهو تحريف.

/ قال: كانت لي جارية اسمها سُكْر، فدخلتُ يوماً منزلي ولبستُ ثيابي لأمضي إلى دعوة دُعيتُ إليها، فقالت: أقِم اليومَ في دعوتي أنا، فأقمتُ وقلت: ٢٣/١٣

أنــا فــي دعــوةِ سكَّــرْ والهــوى ليــس بمنكَــرْ

كيــف صبــري عــن غــزالٍ وجهُــه دلــو مُقَيَّــرْ[1]

فلما سَمِعَت الأوّل ضحكتْ وسُرّت، فلما أنشدتُها البيتَ الثانيَ قامت إليّ تضربني[2] وتقول لي: هذا البيت الأخير الذي فيه «دلوٌ» لِمالِكٍ[3]، لولا الفضول؛ فما زالت ـ يعلم الله ـ تضربني حتى غُشي عليّ.

مدحه مالك بن طوق ثم ذمه

وذكر ابن المعتز أن أبا الأغر الأسَديّ حدّثه قال: مدح أبو الشبل مالكَ بنَ طَوْق بمدح عجيب، وقدَّرَ منه ألفَ درهم، فبعث إليه صُرّةً مختومة فيها مائة دينار، فظنَّها دراهمَ، فردّها وكتب معها قوله:

فليــت الــذي جــادت بــه كــفُّ مــالــكٍ ومــالــك مَــدسـوسـان فـي أسْت أمِّ مـالـكِ

فكــان إلــى يــوم القيــامــة فــي أستهــا فــأيسَــرُ مفقــودٍ وأيسَــرُ هــالــك

/ وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأهواز، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره، فأُحضر، فقال له: يا هذا ظلمتَنا واعتديتَ [١٤/١٩٥] علينا، فقال: قد قدَّرتُ عندكَ ألفَ درهم فوصلتَني بمائة درهم، فقال: افتحها، ففتحتُها فإذا فيها مائة دينار، فقال: أقِلْني أيها الأمير. قال: قد أقلتُك، ولك[4] عندي كلّ ما تحب أبداً ما بقيتُ وقصدتني.

رثاؤه لطبيب

حدّثنا الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: قال لي أبو الشبل البُرْجُميّ: كان في جيراني طبيب أحمقُ، فمات فرثيتُه فقلت:

قــد بكــاه بَــولُ المــريــضِ بــدمــعٍ واكِــفٍ فــوق مُقلتيــه ذَرُوفِ[5]

ثــم شقّــت جيــوبَهــن القــواريــ ــرُ عليــه ونُحْــنَ نَــوحَ اللَّهيــف[6]

يــا كســادَ الخِيــارِ شَنْبَــرَ والأقــ ــراصِ طــرًّا ويــا كســادَ السَّفــوفِ

كنــتَ تمشــي مــع القــويّ فــإن جــا ء ضعيــفٌ لــم تكتــرثْ بــالضَّعيــف

لهــفَ نفســي علــى صُنــوفِ رَقَــاعــا تِ تــولَّــت منــه وعقــلٍ سخيــف[7]

(١) مقير: مطلي بالقار أو القير: وهو الزفت.

(٢) في الأصول «لتضربني».

(٣) كذا في الأصول.

(٤) في الأصول: «ولكن»؛ وهو تحريف.

(٥) وكف الدمع: سال. وذرف الدمع: سال أيضاً. والذي في كتب اللغة: «دمع ذريف أي مذروف، قال الشاعر: ما بال عيني دمعها ذريف».

(٦) اللهيف: الملهوف.

(٧) الرقاعة: الحمق. وفي س «رِفاعات» وهو تصحيف.

عبثه بخالد بن الوليد

حدثنا الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا أبو الشبل قال: إن[١] خالد بن يزيد بن هُبَيرة كان يشرب النبيذ، فكان يغشانا، وكانت له جارية صفراء مغنّية يقال لها لَهَب، فكانت تغشانا معه، فكنت أعبث بهما كثيراً ويشتُماني، فقام مولاها يوماً إلى الخابية يَستقي نبيذاً، فإذا قميصه قد أنشقّ، فقلت فيه:

قالت له لهبٌ يوماً وجادَلَها ... بالشعر في باب فَعْلانٍ ومفعولِ

أمّا القميص فقد أودى الزمان به ... فليت شعري ما حال السراويل؟

[١٤/١٩٦] / فبلغ الشعرُ أبا الجَهْم أحمد بن يوسف فقال:

حالُ السراويل حالٌ غيرُ صالحة ... تَحكي طرائقُه نَسجَ الغرابيلِ

وتحته حفرة قَوْراء واسعة ... تسيل فيها ميازيبُ الأحاليل[٢]

٢٤/١٣ قال أبو الشبل: وكانت أمّ خالد هذا ضرّاطة، تضرط على صوت العيدان وغيرها / في الإيقاع، فقلت فيه:

في الحيّ مَن لا عدِمتُ خُلّتَه ... فتًى إذا ما قطعتُه وَصَلا[٣]

له عجوز بالحَبْق أبصرُ مَن ... أبصرتَه ضارباً ومرتجلا[٤]

نادمتُها مرّةً وكنت فتًى ... ما زلتُ أهوَى وأشتهي الغَزَلا

حتى إذا ما أمالَها سُكُرٌ ... يَبْعث في قلبها لها مَثَلا

اتّكأتْ يَسرةً وقد خَرَقتْ ... أشراجَها كي تقوِّم الرَّمَلا[٥]

فلم تزلْ باستها تُطارِحني ... إسمَعْ إلى مَن يَسومُني العِلَلا[٦]

عرض شعره على المازني فذمه

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل قال: لما عَرَض لي الشعرُ أتيتُ جاراً لي نحويّاً، وأنا يومئذٍ حديث السنّ - أظنه قال إنه المازنيّ - فقلت له: إن رجلاً لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل [١٤/١٩٧] الرواية قد جاشَ صدرُه بشيء من الشعر، فكره أن يُظهِرَه حتى تسمَعه. قال: هاتِه، / وكنتُ قد قلت شعراً ليس بجيّد، إنما هو قول مبتدىء، فأنشدته إيّاه، فقال: مَن العاضُّ بَظْرَ أمّه القائلُ لهذا؟ فقمت خجِلاً، فقلت لأبي الشبل: فأي شيء قلت له أنت؟ قال: قلت في نفسي: أعضَّك الله بَظْر أمّك وَبَهَضَك[٧].

---

(١) في جـ «حدثنا خالد بن يزيد بن هبيرة، وكان».

(٢) قوراء: واسعة. الأحاليل: جمع إحليل بالكسر، وهو مخرج البول من ذكر الإنسان.

(٣) الخلة: الصداقة المختصة لا خلل فيها.

(٤) الحبق: الضراط.

(٥) حرق الشيء: حك بعضه ببعض، وفي ب، س «حرفت» وهو تصحيف. أشراج: جمع شرج، جاء في «اللسان»: الشرج كشمس وسبب والأول أفصح: أعلى ثقب الاست. وفي «القاموس»: الشرج كسبب: فرج المرأة.

(٦) في س «استها» وفي ب «استهام» وهو تحريف وفي جـ، ب، س «يزل ..... يطارحني» وهو تصحيف.

(٧) في جـ «ونهضتك»، وفي س «وبهضتك» وهو تحريف، والصواب ما أثبتنا، يقال: بهضني الأمر وأبهضني، أي فدحني، وبالظاء أكثر.

بعض نوادره

أخبرني عمّي عن محمد بن المَرْزُبان بن الفيرزان قال: كنت أرى أبا الشبل كثيراً عند أبي، وكان إذا حضر أضحك الثُّكْلَى بنوادره، فقال له أبي يوماً: حدِّثنا ببعضِ نوادِرِك وطرائِفك؛ قال: نعم، من طرائف أموري أنّ ٱبني زَنَى بجارية سِنْدية لبعض جيراني، فحبِلتْ وولَدتْ، وكانت قيمةُ الجارية عشرين ديناراً، فقال: يا أبت، الصبيُّ واللهِ ٱبني، فساومتُ به، فقيل لي: خمسون ديناراً، فقلت له: ويلَك! كنت تخبرني الخبر وهي حُبلى فأشتريها بعشرين ديناراً، ونربح الفضل بين الثَّمَنَين، وأمسكتُ عن المساومة بالصبيّ حتى ٱشتريتُه من القوم بما أرادوا. ثم أحبلها ثانياً فولدتْ له ٱبناً آخر، فجاءني يسألني أن أبتاعه، فقلت له: عليك لعنة الله، ما يحملك أن تُحبِل هذه؟ فقال: يا أبت لا أستحبّ العَزْل[1]، وأقبل على جماعة عندي يعجِّبهم منّي، ويقول: شيخ كبير يأمرني بالعَزْل ويستحلّه! فقلت له: يٱبن الزانية، تستحلّ الزنا وتتحرّج من العَزْل! فضحكنا منه.

خبره مع خمار يهودي

وقلت له: وأيّ شيء أيضاً؟ قال: دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى حانة يهوديّ خَمّار، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً، فظنناه خمراً بنتَ عشر، قد أنضَجها الهَجير[2]، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا، فقلت له: ٱشرب معنا، قال: لا أستحلّ / شُربَ الخمر، فقال لي محمود: وَيْحك! رأيت أعجب ممّا نحن فيه. يهوديّ يتحرّج من شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون! فقلت له: أجَلْ، والله لا نُفلح أبداً، ولا يَعبأ الله بنا، ثم شربْنا حتى سَكِرنا، وقمنا في الليل فنكنا بنتَه وٱمرأتَه وأختَه، وسرقْنا ثيابَه، وخَرِينا في نقِيرات[3] نبيذٍ له وٱنصرفْنا. [١٤/١٩٨]

هجاؤه هبة الله بن إبراهيم

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: أخبرنا عون بن محمد الكِنْديّ، قال: وقعتْ لأبي الشبل البُرْجُميّ إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ حاجة فلم يقضِها فهجاه، فقال:

صَلَـفٌ تنـدقُّ منـه الـرقبـة ... ومَسـاوٍ لـم تُطِقْهـا الكَتَبـة

/ كلَّمـا بـادَرَه رَكْـبٌ بمـا ... يشتهيـه منـه نـادَى يـا أبَـهْ[4] ٢٥/١٣

ليتـه كـان ٱلتـوى الفَـرْجُ بـه ... لـم يـزد فـي هـاشـمٍ هـذي هِبَـة

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمّى بدراً، وكان غالباً على أمره.

حدّثني الصُّولي قال: حدّثني القاسم بن إسماعيل قال: قال رأى أبو الشبل إبراهيمَ بنَ العبّاس يكتب، فأنشأ يقول:

ينظُـم اللـؤلـؤَ المنثـورَ مَنطقُـه ... وينظِـم الـدرَّ بـالأقـلام فـي الكُتُـبِ

---

(١) هو من عزل المجامع عن المرأة عزلاً، إذا قارب الإنزال تنزع وأمني خارج الفرج.
(٢) الهجع: نصف النهار عند اشتداد الحرّ.
(٣) في ب، س «نقارات» وفي جـ «بغارات» وهو تحريف والصواب؛ ما أثبتنا جاء في كتب اللغة: «والنقير أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء فيصير نبيذاً مسكراً» ثم جمع نقير على نقيرات على تقدير أنه مؤنث معنى، إذ هو في معنى باطية.
(٤) نادى يا أبه: يريد نادى غلامه «بدراً» مستعيناً به على قضاء حاجة ذلك الركب، إذ كان غلامه صاحب أمره ومسيطراً عليه كأنه أبوه.

حدّثنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل البرجمي قال: حضرتُ مجلسَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان إليّ محسناً، وعليّ مُفضِلاً، / فجرى ذكرُ البرامكة، فوصَفَهم الناس بالجود، [١٤/١٩٩] وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثَروا، فقمتُ في وسط المجلس، فقلت لعبيد الله: أيها الوزير، إني قد حكمتُ في هذا الخطب حكماً نظمته في بيتيْ شعرٍ لا يقدر أحد أن يردّه عليّ، وإنما جعلته شعراً ليدور ويَبقَى، فيأذن الوزير في إنشادهما قال: قل، فرُبّ صوابٍ قد قلتَه، فقلت:

رأيــــتُ عبيـــدَ الله أفضــــلَ سُــــودَداً ... وأكـرمَ مِـن فضـلٍ ويحيـى بـنِ خـالـدِ

أولئــك جـــادوا والـــزّمــانُ مُســاعِـدٌ ... وقـد جـاد ذا والـدّهـرُ غيـرُ مُسـاعـدِ

فتهلّل وجهُ عبيد الله وظَهر السرور فيه، وقال: أفرطتَ أبا الشّبْل، ولا كلّ هذا، فقلت: والله ما حَابيْتُك أيها الوزير، ولا قلت إلاّ حقًّا، واتبعني القومُ في وصفه وتقريظه، فما خرجت من مجلسه إلا وعليّ الخِلَع، وتحتي دابّة[1] بسَرْجه ولجامه، وبين يديّ خمسةُ آلافِ درهم.

قصته مع جاريتين

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني علي بن الحسن الشيباني قال: حدّثني أبو الشّبْل الشاعر قال: كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخّاسين[2] كانتا تقولان الشعر، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ إليها، ثم أنشدتُها بيتاً لأبي المستهلّ شاعِرِ منصور بن المهديّ في المعتصِم:

أقــام الإمـــامُ منَـــارَ الهُـــدَى ... وأخـرَسَ نـاقـوسَ عمُّـورِيَـة[3]

[١٤/٢٠٠] / ثم قلت لها: أجيزِي؛ فقالت:

كســانــي المليــكُ جــلابيبَــه ... ثيــابُ عَــلاهــا بسَمُّــورِيَــة[4]

ثم دَعتْ بطعام فأكلْنا، وخرجتُ من عندها، فمضيت إلى الأخرى، فقالت: من أين يا أبا الشبل؟ فقلت: مِن عندِ فلانة، قالت: قد علمتُ أنك تبدأ بها ـ وصدقتْ، كانت أجملَهما فكنتُ أبدأ بها ـ ثم قالت: أما الطعام فأعلم أنه لا حيلة لي في أن تأكله، لعلمي بأن تلك لا تدَعُك تنصرف أو تأكل. فقلت: أجل. قالت: فهل لك في الشراب؟ قلت: نعم، فأحضرتْه وأخذْنا في الحديث، ثم قالت: فأخبِرني ما دار بينكما؟ فأخبرتُها، فقالت: هذه المسكينة كانت تجد البرد، وبيتُها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمّورية، أفلا قالت:

فــأضحَــى بــه الــدِّيــن مستبشِـراً ... وأضحــت زِنــادُهمــا وارِيَــة[5]

فقلت: أنت والله أشعَرُ منها في شِعرِها، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك. والله أعلم.

---

(١) تطلق الدابة على الذكر والأنثى.

(٢) النخّاس: بيّاع الرقيق.

(٣) عمّورية: بلد من بلاد الروم (الأناضول) فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ.

(٤) سمورية: نسبة إلى سمور (وياء النسب هنا مخففة) وسمّور: دابة تتخذ من جلدها فراء غالية الأثمان.

(٥) ورى الزند كوعى وولى: خرجت ناره.

شعره في الشيب

٢٦/١٣

/ أخبرنا الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: أنشدني أبو الشبل لنفسه:

عَـذِيـري مِـن جَـواري الـحـي إذ يَـرغبـن عـن وصلـي(١)

رأيـن الشيـبَ قـد ألبـ ... سنـي أُبَّهـةَ الكَهْـل

فـأعـرضْـنَ وقـد كـنّ ... إذا قيـل أبـو الشبـل

تَسـاعَيْـن فـرقَّعـن الـ ... كُـوَى بـالأعيُـن النُّجـل(٢)

/ قال: وهذا سرقه من قول العُتْبيّ:

[٢٠١/١٤]

رأيـن الغـوانـي الشيـب لاح بمَفـرِقـي ... فـأعـرضْـن عنّـي بـالخـدود النـواضِـر

وكـنّ إذا أبصـرنـنـي أو سمعننـي ... سعَيْـن فـرقَّعـن الكُـوَى بـالمَحـاجـر(٣)

خبره مع حاتم بن الفرج

حدّثني الحسن قال: حدّثني أبن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل قال: كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني، وكان أهتم، قال أبو الشبل: وأنا أهتم؛ وهكذا كان أبي وأهل بيتي، لا تكاد تَبقَى في أفواههم حاكّة(٤)، فقال أبو عمر أحمد بن المنجّم:

لِحـاتـمٍ فـي بُخلـه فِطنـةٌ ... أدقُّ حِسّـاً مـن خُطـا النمـل

قـد جعـل الهُتمـانَ ضَيفـاً لـه ... فصـار فـي أمـنٍ مـن الأكـل(٥)

ليـس علـى خبـر أمـرىء ضَيعـةٌ ... أكيلُـه عُصْـمٌ أبـو الشبـل(٦)

مـا قـدرُ مـا يحملـه كفُّـه ... إلـى فـمٍ مـن سِنّـه عُطْـلِ(٧)

فحـاتـمُ الجُـود أخـو طيـىء ... مضـى وهـذا حـاتـمُ البخـل

شعره في جارية سوداء يحبها

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثني أبو العَيْناء قال: كانت لأبي الشبل البُرجُمي جارية سوداء،

---

(١) العذير: العاذر.

(٢) الكوى: جمع كوّة بالفتح وبضم، وهي الخرق في الحائط.

(٣) المحاجر: جمع محجر كمجلس ومنبر وهو من العين ما دار بها وبدا من البرقع.

(٤) الحاكة: السنّ.

(٥) هتمان: جمع أهتم ـ ولم يرد في كتب اللغة ـ وقد جاء فعلان في كلام العرب جمعاً لأفعل كأسود وسودان وأبيض وبيضان وأحمر وحمران. وضيف هنا للجمع، جاء في كتب اللغة: «الضيف للواحد والجميع، وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيفان، وهي ضيف وضيفة» وقد ورد في «القرآن الكريم» للجمع، قال تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ وقال: ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾.

وقد سقطت كلمة «له» من جـ، وفيها أيضاً «في أمر» وهو تحريف.

(٦) عصم: سمت العرب عاصماً وعصماً.

(٧) استفهام يراد به النفي، أي لا قدر له.

وكان يحبّها حبًّا شديداً، فعوتب فيها، فقال:

[١٤/٢٠٢] / غـدتْ بطـولِ المـلام عـاذلـةٌ ... تلـومُني في السواد والـدَّعَـجِ[1]

ويحـكِ كيـف السلـوّ عـن غُـرَرٍ ... مفتـرقـات الأرجـاءِ، كـالسَّبَـج[2]

يحملـن بيـن الأفخـاذ أسْنِمَـةً ... تحـرق أوبـارهـا مـن الـوَهَـج[3]

لا عـذّب الله مسلِمـاً بهـمُ ... غيـري ولا حـان منهـمُ فَـرَجـي[4]

فـإنّنـي بـالسـواد مبتهِـجٌ ... وكنـتُ بـالبيـض غيـرَ مبتهِـج

هجاؤه جارية لهاشمة النحوي

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن الطيّب قال: حدّثني أبو هريرة البصري النحويّ الضرير قال: كان أبو الشبل الشاعر البرجمي يعابث قَينة لهاشم النحوي يقال لها خَنْساء، وكانت تقول الشعر، فعبِث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها، فقالت له: ليت شعري، بأيِّ شيء تُدِلّ؟ أنا والله أشعَرُ منك، لئن شئت لأهجونّك حتى أفضحَك، فأقبل عليها وقال:

حسنـاءُ قـد أفـرطـتْ علينـا ... فليـس منهـا لنـا مجيـرُ

تـاهـت بـأشعـارهـا علينـا ... كـأنّمـا نـاكَهـا جـريـرُ

قال: فخجلتْ حتى بان ذلك عليها وأمسكتْ عن جوابه.

شعره في ذم المطر

قال عمي: قال أحمد بن الطيّب: حدّثني أبو هريرة هذا قال: حدّثني أبو الشبل أنها وعدتْه أن تزورَه في يوم بعينه كان / مولاها غائباً فيه، فلما حضر ذلك اليوم جاء مطرٌ منَعها من الوفاء بالموعد، قال: فقلتُ أذمّ المطر: [٢٧/١٣]

[١٤/٢٠٣] / دع المـواعيـدَ لا تَعـرِض لـوِجْهتهـا ... إن المـواعيـد مقـرونٌ بهـا المطـرُ

إن المـواعيـد والأعيـادَ قـد مُنِيَـتْ ... منـه بـأنكـدِ مـا يُمْنَـى بـه بَشَـرُ[5]

أمّـا الثيـاب فـلا يغـرزْك إن غسلـتْ ... صَحـوٌ شـديـد ولا شمـس ولا قمـر

وفـي الشخـوص لـه نـوءٌ وبـارقـةٌ ... وإن تبيّـت فـذاك الفـالـجُ الـذكـر[6]

وإن هممـتَ بـأن تـدعـو مغنّيـةً ... فـالغيـث لا شـكّ مقـرونٌ بـه السَّحَـر

(١) في الأصول «عذرت»، «وهو تحريف لا يستقيم به الوزن والمعنى. ولعل صوابه ما أثبتنا. والدعج: سواد العين مع سعتها.

(٢) الأرجاء: النواحي. مفترقات الأرجاء: أي لكل منهن ناحية من الحسن خاصة. السبج: خرز أسود، معرب.

(٣) الوهج: اتقاد النار.

(٤) يلاحظ أنه استعمل هنا ضمير جماعة الذكور موضع ضمير جماعة الإناث.

(٥) منيت: ابتليت.

(٦) شخص شخوصاً: خرج من موضع إلى غيره. تبيته عن حاجته: حبسه عنها. والفالج: الشلل. والذكر: يعني القويّ الشديد، من قولهم: مطر ذكر أي شديد وابل، وقول ذكر أي صلب متين، وشعر ذكر أي فحل.

هجاؤه مولى عبد الله بن يحيى

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقانَ غلام يقال له نسيم، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البُرْجُميّ سأله إيّاها، فأخّرها نسيم، فشكاه إلى عبيد الله، فأمر عبيد الله غلاماً له آخرَ فقضاها بين يديه، فقال أبو الشُّبل يهجو نسيماً:

قــل لنسيــمٍ أنــت فــي صــورة ... خُلِقْــتَ مــن كلــبٍ وخِنــزيــرَه

رَعَيــت دهــراً بعــد أعفــاجهــا ... فــي سَلْــح مخمــورٍ ومخمــوره[1]

حتــى بــدا رأسـك مِـن صَـدْعِهـا ... زانيــة بــالفســق مشهــوره[2]

لا تقــرب المــاء إذا أجنَبَــتْ ... ولا تَــرَى أن تقــربَ النُّــوره[3]

تــرى نبــاتَ الشَّعــر حَــولَ أستهــا ... دَرابِــزِينــاً حــول مَقْصُــوره[4]

/ هجاؤه محمد بن حماد [٢٠٤/١٤]

حدّثني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثني ابن مهرويه قال: كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دلقيش، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه، فقال أبو الشبل فيه:

لابــن حمّــاد أيــادٍ ... عنــدنــا ليســت بــدونِ

عنــده جــاريــة تشــ ... ـفِـي مــن الــداء الــدفيــن

ولهــا فــي رأس مــولا ... هــا أكــاليــلُ قُــرونِ

ذات صَــدْعٍ حــاتمــيّ الـ ... ـفعــل فــي كِــن مَكيــن[5]

لا يَــرَى مَنْــعَ الّــذي يحــ ... ـوي ولــو أمّ البنيــن

شعره في كبش كسر قنديله

حدّثني عمي قال: حدّثني أحمد بن الطيب قال: حدّثني أبو هريرة النحويّ قال: كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشاً للأضحى، فجعل يعلفه ويسمّنه، فأفلت يوماً على قنديل له كان يُسرجه بين يديه، وسراجٍ وقارورةٍ للزيت، فنطحه فكسره، وانصبّ الزيت على ثيابه وكتبِه وفِراشه، فلما عاين ذلك ذبح الكبشَ قبلَ الأضحى، وقال يرثي سراجَه:

يــا عيــن بكّــي لفقــد مسْــرَجــةٍ ... كــانــت عمــود الضيــاء والنــور[6]

كــانــت إذا مــا الظــلام ألبسنــي ... مــن حِنــدِس الليــل ثــوب دَيْجــور[7]

---

(١) الأعفاج: الأمعاء.

(٢) الصدع: الشق، أراد به فرجها. وفي الأصول «من صدغها» وهو تصحيف.

(٣) أجنبت: من الجنابة أي كانت جنباً. والنورة: حجر يحرق ويسوى منه الكلس ويضاف إليه أخلاط ويحلق به شعر العانة.

(٤) الدرابزين: قوائم مصفوفة تعمل من خشب أو حديد تحاط بها السلالم وغيرها. فارسية، وهي الجلفق (كجعفر).

(٥) صدع: أراد به الفرج كما تقدم، وفي س «صدغ» وهو تصحيف.

(٦) في ب، س «يا عين أبكي» وهو تحريف.

(٧) الحندس: والديجور: الظلمة. وفي جـ «إذا أمال الظلام» وهو تحريف.

شقّت بنيرانها غياطِلَه شقًّا دَعَا الليلَ بالدَّياجير[١]
صِينية الصين حين أبدعها مصوِّر الحسن بالتصاوير
/ وقبل ذا بدعةٌ أتيح لها مِن قِبَل الدَّهر قرنُ يَعْفور[٢]
وصَكَّها صكّةً فما لبثت أنْ وَرَدت عسكر المكاسير[٣]
وإن تولَّت فقد لها تركَتْ ذِكراً سيبقَى على الأعاصير[٤]
مَن ذا رأيتَ الزمانَ ياسَرَه فلم يَشُب يُسرَه بتعسير[٥]
ومن أباح الزمانُ صفوتَه فلم يشب صفوَه بتكدير
مسرجتي لو فديتِ ما بَخِلَتْ عنك يدُ الجود بالدنانير
ليس لنا فيكِ ما نقدِّره لكنما الأمر بالمقادير
مسرجتي كم كشفتِ من ظُلَمٍ جلَّيتِ ظلماءها بتنوير
وكم غزال على يديك نجا من دقّ خُصييه بالطوامير[٦]
مَن لي إذا ما النديمُ دبَّ إلى الـ ـندمان في ظُلمة الدَّياجِير
وقام هذا يبُوس ذاك، وذا يُعْنِق هذا بغير تقدير[٧]
وازْدَوَج القومُ في الظلام فما تسمعُ إلاّ الرِّشاءَ في البِير[٨]
فما يُصلُّون عند خَلوتهمْ إلاّ صلاةً بغير تطهير
/ أوحشَتِ الدارُ من ضيائك والـ ـبيت إلى مطبخ وتنُّور[٩]
إلى الرواقين فالمجالسُ فالـ ـمِربَدُ مذ غبتِ غيرُ معمور[١٠]

[٢٠٥/١٤] [٢٨/١٣] [٢٠٦/١٤]

(١) غيطلة الليل: التجاج سواده والتباس ظلامه وتراكمه.
(٢) اليعفور: ظبي بلون التراب، يعني قرن كبش شبيه باليعفور.
(٣) صكها: ضربها ضرباً شديداً. المكاسير جمع مكسور، وفي جـ «المساكين» وهو تحريف، يعني: نطحها بقرنه فما لبثت أن صارت في عداد الأشياء المكسورة المهشمة.
(٤) العصر: الدهر، وجمعه أعصار.
(٥) ياسره: لاينه.
(٦) الطومار والطامور: الصحيفة.
(٧) البوس: التقبيل، فارسي معرّب باسه يبوسه: وفي جـ «يعنف» وهو تحريف. وفي كتب اللغة: «عانقه: جعل يديه على عنقه وضمه إلى نفسه» وهذا هو المعنى المراد في البيت، وليس فيها بهذا المعنى إلا صيغة «عانق» وقد استعمل الشاعر أعنق بمعنى عانق.
(٨) الرشاء: الحبل، وقد كنى بذلك عما يستقبح ذكره.
(٩) التنور: الكانون يخبز فيه. وهذا البيت في جـ هكذا:

قد أوحشت من ضيائك الدار والبيت إلى مطبخ وتنور

وهو غير مستقيم الوزن.
(١٠) الرواق ككتاب وغراب: سقف في مقدّم البيت. والمربد: محبس الإبل، من ربد الإبل كنصر ربداً: حبسها.

قلبـي حـزيـن عليـك إذ بخلـتْ ... عليـك بـالـدمـع عيـنُ تنميـر[١]
إن كـان أودى بِـك الـزمـان فقـد ... أبقيـتِ منـك الحـديـثَ فـي الـدُّور
دع ذكـرهَـا واهـجُ قَـرْنَ نـاطِحِهـا ... وأسـرُد أحـاديثَـه بتفسيـر[٢]
كـان حـديثـي أنـي اشتـريـتُ فمـا اشـ ... ـتريـت كَبْشـاً سليـلَ خِنـزيـر
فلـم أزَل بـالنَّـوى أسمِّنـه ... والتبـن والقَـتِّ والأثـاجيـر[٣]
أبـرُد المـاء فـي القِـلال لـه ... وأتَّقـي فيـه كـلَّ محـذور[٤]
تخـدُمـه طـولَ كـلّ ليلتهـا ... خِـدمـةَ عبـدٍ بـالـذل مـأسـور
وهـي مـن التِّيـه مـا تكلّمنـي الـ ... ـفصيـح إلا مـن بعـد تفكيـر
شمـس كـأنّ الظـلام ألبسهـا ... ثـوبـاً مـن الـزُّفـت أو مـن القِيـر[٥]
/ مـن جلـدهـا خُفُّهـا وبـرقعهـا ... حَـوراءُ فـي غيـر خِلقـة الحُـور[٦] [٢٠٧/١٤]
فلـم يـزل يغتـذي السـرورَ، ومـا الـ ... ـمحـزونُ فـي عيشـةٍ كمسـرور[٧]
حتـى عـدا طَـورَه، وحُـقَّ لمـن ... يكفُـر نُعمَـى بقُـربِ تغييـر
فمـدَّ قـرنيـه نحـو مسـرجـةٍ ... تُعَـدُّ فـي صـون كـلِّ مـذخـور
شـدَّ عليهـا بقَـرْن ذي حَنَـقٍ ... معـوَّدٍ للنِّطـاح مشهـور
وليـس يقـوَى بِـرَوْقـه جَبَـلٌ ... صَلْـدٌ مـن الشُّمَّـخ المَـذاكِيـر[٨]
فكيـف تَقـوَى عليـه مِسـرَجـةٌ ... أرقُّ مـن جَـوهَـر القَـواريـر
/ تكسَّـرتْ كسـرةً لهـا ألـمٌ ... ومـا صحيـحُ الهـوى كمكسـور[٩] ٢٩/١٣

(١) الظاهر أن «تنمير» اسم امرأته.
(٢) كلمة «ناطحها» ساقطة من جـ. وفيها أيضاً «وأيسر أحاديثه» وهو تحريف.
(٣) القت: الرطبة من علف الدواب. والثجير: ثفل كل شيء يعصر، وقد جمعه الشاعر على أثاجير، والظاهر أنه جمع جمع لأثجرة، وأثجرة جمع ثجير.
(٤) القلال: جمع قلة مثل برمة وبرام، وربما قيل: قلل مثل غرفة وغرف.
(٥) استطرد في هذا البيت وما بعده إلى وصف خادمته فقال: إنها كالشمس، يريد في جمالها وإن كانت سوداء. والقير والقار: الزفت، وفي جـ «ثوباً من الوقت» وهو تحريف.
(٦) الحور: شدّة سواد العين في شدّة بياضها في شدّة بياض الجسد، ولا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد، ولذا قال: غير خلقة الحور.
(٧) في جـ «فلم يزل يفتد» وهو تحريف.
(٨) الروق: القرن. والصلد: الصلب. والشامخ: المرتفع الشاهق. مذاكير: جمع ذكر على غير قياس، وقد وصفوا بهذا اللفظ يريدون الدلالة على قوّة الموصوف وشدّته، فقالوا: رجل ذكر أي قوي شجاع. ومطر ذكر أي شديد وابل، وقول ذكر أي رصين، وشعر ذكر أي فحل، وقال الشاعر:

مـا أنـت والسيـر فـي متلـف ... يبـرّح بـالـذكـر الضـابـط

أي بالجمل القويّ الشديد.
(٩) في جـ: «ولا تكسرت».

فأدركتْه شَعوبُ فانشعبتْ بالرَّوعِ والشِّلْوُ غير مقتور[١]

أُديلَ منه فأدركتْه يدٌ من المنايا بحَدِّ مطرور[٢]

يَلتهب الموتُ في ظُباه كما تلتهب النارُ في المساعير[٣]

[١٤/٢٠٨] / ومزّقتْه المُدَى فما تركت كفُّ القِرَا منه غيرَ تعسير[٤]

واغتاله بعد كسرها قَدَرٌ صيّره نُهْزَةَ السَّنانير[٥]

فمزّقَتْ لحمَه براثنُها وبذّرتْه أشدَّ تبذيرِ[٦]

واختلسَتْه الحِداءُ خَلْساً مع الـ ـغِرْبان لم تزدجرْ لتكبير[٧]

وصار حظُّ الكلاب أعظُمَه تهشم أنحاءها بتكسير[٨]

كم كاسرٍ نحوَه وكاسرةٍ سلاحُها في شَفَا المناقير[٩]

وخامعٍ نحوَه وخامعةٍ سلاحُها في شَبَا الأظافير[١٠]

قد جعلتْ حول شِلْوِه عُرُساً بلا افتقار إلى مزامير

ولا مغَنٍّ سوى هَماهِمِها إذا تمطّت لواردِ العِير[١١]

يا كبشُ ذق إذ كسرتَ مسرجتي لمدية الموت كأس تنحير[١٢]

بغيتَ ظُلماً والبغيُ مصرعُ مَن بَغَى على أهله بتغيير

أضحيَّة ما أظن صاحبها في قَسْمه لحمَها بمأجور

[١٤/٢٠٩] / **سرق منه قرطاس فرثاه**

أخبرني الحسن بن عليّ الشّيباني قال: دخلتُ على أبي الشبل يوماً فوجدتُ تحت مخدّته ثُلثَ قرطاس،

(١) شعوب: المنية. وقتر الشيء: ضم بعضه إلى بعض. والروع: القلب. والشلو: الجسد.
(٢) أداله الله من عدوّه: جعل له الغلبة عليه. والطر: تحديد السكين. والتقدير: بحد سكين مطرور.
(٣) الظبي جمع ظبة، وهي حد السنان ونحوه، استعمل الجمع هنا في موضع المفرد. والمساعير مع مسعار، والمسعار والمسعر: ما سعر به أي أوقد به النار.
(٤) قراه قرى: أضافه. والتعسير: التضييق، والمراد به هنا القليل، أي أن القرى لم يبق لنا من لحمه إلا اليسير.
(٥) النهزة: الفرصة. والسنانير: جمع سنور.
(٦) براثن: جمع برثن كبرقع، وهو الكف مع الأصابع.
(٧) الخلس: الاختلاس.
(٨) في جـ «يهشم ألحاها» وفي ب، س «يهشم ألحاءها» وهو تحريف.
(٩) الشفا: حرف كل شيء.
(١٠)جمع في مشيته كمنع: عرج. والشبا: جمع شباة، وهي حد كل شيء. والأظافير: جمع أظفور لغة في الظفر.
(١١)هماهم: جمع همهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر وكل صوت معه بحح. لوارد العير: أي للعير الواردة، والعير: الإبل يحمل الميرة.
(١٢)نحره نحراً: ذبحه، وقد ضعفه الشاعر فقال: «تنحير» للشعر.

فسرقتُه منه ولم يَعلَم بي، فلما كان بعد أيام جاءني فأنشدني لنفسه يَرثِي ذلك الثلثَ القرطاس.

فِكَــر تَعتَــري وحــزنٌ طــويــلُ وسقيـــمٌ أنْحَـــى عليـــه النُّحُـــولُ

لـيــس يبكـــي رَسْمـــاً ولا طَـلَــلاً مَــحَّ كمـــا تُنْــدَب الــرُّبَـــا والطُّلـــول[١]

إنمـا حـزنُــه علــى ثُلْــثٍ كــا ن لحــاجــاتــه فغــالتْــه غُــول[٢]

كــان للســر والأمـــانـــة والكتـ ـمان إن بـاح بـالحـديـث الـرسـول

كـان مِثـلَ الـوكيـل فـي كـلّ سـوق إنْ تلكّـــا أو مــلَّ يــومـــاً وكيــل

كــان للهــمّ إن تــراكَــمَ فــي الصد ر فلــم يُشْــفَ مــن عليــلٍ غليــل[٣]

لــم يكــن يبتغــي الحِجَـاب مــن الـحُـجــاب إن قيــل ليــس فيهــا دخــول[٤]

إنْ شكــا حــاجبــاً تَشــدَّد فــي الإذ ن فللحــاجــب الشقــيّ العــويــلُ[٥]

يُــرفَــع الخيــرُ عنــه والــرزق والكسـ ـوةُ فهــو المطــرود وهــو الــذليــل[٦]

كــان يُثْنَــى فــي جَيْــب كــلّ فتــاةٍ دونَهــا خَنــدقٌ وسُــورٌ طــويــل[٧]

يقــف النــاس وهــو أوّل مــن يــد خلــه القصــرَ غــادةٌ عُطْبــول[٨]

فــإذا أبــرزَتْــه بــاح بــه فــي الـ ـقصــر مســكٌ وعنبــر مَعلــول[٩]

/ ولــه الحــبّ والكــرامــة ممــن بــات صَبّــا والشــمّ والتقبيــل[١٠]

ليــس كــالكــاتــب الــذي بــأبي الــخـطّــاب يُكْـنَـى قـد شـابـه التطفيـل[١١]

ذا كــريــمٌ يُــدْعَــى، وهــذا طفيلــــيٌّ وهــذا وذا جميعـــاً دليـــل[١٢]

ذاك بـــالبشــر والجِمـــاعـــة يُلقَـــى ولهـــذا الحجـــاب والتنكيـــل[١٣]

[٢١٠/١٤ ٣٠/١٣]

(١) محت الدار: عفت.

(٢) غالته غول: أهلكته هلكة.

(٣) الغليل: حرارة الجوف.

(٤) في جـ «لا يبتغي الحجاب» ولا يستقيم به الوزن.

(٥) إن شكا حاجباً، أي إن شكوت فيه حاجباً.

(٦) في الأصول: «الحبر عنه والورق» وهو تحريف.

(٧) في س «حيب» وهو تصحيف.

(٨) العطبول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

(٩) معلول: مضاعف، من العلل كسبب وهو الشرب بعد الشرب تباعاً، وقد علّه كضرب ونصر فهو معلول، ومنه قول كعب بن زهير:

* كأنه منهل بالراح معلول *

وفي حديث علي رضي الله عنه: من جزيل عطائك المعلول. وفي جـ «فإذا بررته» وهو تحريف.

(١٠) في جـ «والستم»، وفي ب، س «واللثم».

(١١) في الأصول: «لأبي الخطاب» وهو تحريف. ويقال: طفل تطفيلاً وتطفل تطفلاً.

(١٢) في ب وس «ذليل»، وهو تصحيف، يعني أن كليهما دليل يتقدّم لقضاء حاجة صاحبه، لكنهما يفترقان في مظهرهما، فهذا كريم وهذا طفيلي.

(١٣) في س «والمجاعة»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في جـ وب.

لـم يفِـد وفـدُه الـزمـانَ علـى الأل ـسـن منـه عطـفٌ ولا تنـويـل
كـان مـع ذا عـدل الشهـادة مقبـو لًا إذا عَـزَّ شـاهـداً تعـديـلُ
وإذا مـا ٱلتـوى الهـوى بـالأليفَيـ ـن فلـم يَـرْعَ واصـلاً مَـوْصـولُ[1]
فهـو الحـاكـمُ الّـذي قـولُـه بيـ ـن الأليفَيـن جـائـزٌ مقبـول
فلئـن شَتَّـت الـزمـانُ بـه شَمـ ـلَ دوَاتـي وحـانَ منـه رحيـل[2]
لَقَـديمـاً مـا شَتَّـت البيـنُ والأُلـ ـفَـةُ مـن صـاحـبٍ، فصبـر جميـل[3]
لا تَلُمْنـي علـى البكـاء عليـه إنَّ فقـدَ الخليـل خطـبٌ جليـل

قال: فرددتُه عليه، وكان أتّهم به أبا الخطّاب الذي هجاه في هذه القصيدة، فقال لي: ويلك، نُجِّيتَ[4] ووقع أبو الخطّاب بلا ذنب، ولو عرفتُ أنّك صاحبها لكان هذا لك، ولكنّك قد سلمتَ.



(١) في الأصول: «فاصلا»، وهو تحريف، أي فلم يرع محباً حبيب.
(٢) في ب، س «دوائي»، وهو تحريف.
(٣) البين هنا: الوصل.
(٤) في جـ «ويلك جيت»، وهو تحريف.

/ أخبار عثعث

[١٤/٢١١]

نسبه

كان عَثْعَث أسودَ مملوكاً لمحمد بن يحيى بن مُعاذ، ظهر له منه طبع وحُسْنُ أخذٍ وأداء، فعلّمه الغناء، وخرّجه وأدّبه، فبرع في صناعته، ويكنى أبا دُلَيْجة وكان مأبوناً؛ والله أعلم.

أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ عن ميمونَ بن هارون قال: حدّثني عثعث الأسود، قال: مُخارق كناني بأبي دُلَيْجة، وكان السبب في ذلك أن أوّل صوت سمعني أغنّيه:

أبا دُلَيجةَ مَنْ توصي بأرملةٍ ... أم من لأشعثَ ذي طِمْرَين ممحالِ[١]

فقال لي: أحسنت يا أبا دُليجة، فقبلتُها وقبّلتُ يده، وقلتُ: أنا يا سيّدي أبا المُهنّا؛ أتشرّف بهذه الكنية إذا كانت نِحلة[٢] منك. قال ميمون: وكان مخارق يشتهي غناءه ويَحزُنه إذا سمعه.

ما وقع له في مجلس غناء

قال أبو الفرج: نسختُ من كتاب عليّ بن محمد بن نصر بخطّه، حدّثني يعني ابن حمدون قال: كنا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكّل، وقد عزمْنا على الصَّبوح ومعنا جعفر بن المأمون، وسليمان بنُ وهب، وإبراهيم بن المدبِّر، وحضرتْ عَريب وشارية وجواريهما، ونحن في أتم سرور، . فغنَّت بدعة جارية عريب:

أعاذلتي أكثرتِ جَهْلاً من العذْلِ ... على غير شيءٍ من مَلامي وفي عَذْلِي

/ والصنعة لعَرِيب؛ وغنّت عِرفان:

[١٤/٢١٢]

إذا رام قلبي هجرَها حالَ دونَه ... شَفيعان مِنْ قلبي لها جَدِلان

والغناء لشارية، وكان أهل الظَّرْف والمتعانون[٣] في ذلك الوقت صنفين: عريبيّة وشاريّة[٤]، / فمال كل حزب إلى من يتعصب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح، وعريب وشارية ساكتتان لا تَنطقان، وكل واحدة من جواريهما تغنّي صنعةَ سِتِّها لا تتجاوزها، حتى غنّت عرفان:

[٢١/١٣]

بأبي مَن زارني في منامي ... فدنا منّي وفيهِ نِفارُ

فأحسنتْ ما شاءت، وشربْنا جميعاً، فلما أمسكتْ قالت عريب لشارية: يا أختي لمن هذا اللّحن؟ قالت: لي، كنت صنعتُه في حياة سيّدي، تعني إبراهيم بنَ المهديّ، وغنّيتُه إياه فاستحسنه، وعَرَضه على إسحاق وغيرِه فاستحسنوه،

(١) البيت لأوس. وفي ب «أم لأشعث»، وفي س «لم توصى أم لأشعث» وفيه تحريف وسقط، والتصويب عن جـ. والأشعث: المغبر، الرأس. والطمر: الثوب الخلق. ممحال: من المحل، وهو الجدب.

(٢) النحلة: العطية.

(٣) في جـ: «والمتعاينون»، وهو تحريف.

(٤) في الأصول: «وشروية»، وهو تحريف.

فأسكتتْ[1] عَريب، ثم قالت لأبي عيسى: أحب يا بنيّ[2] - فديتك - أن تَبعث إلى عَثعَث فتجيئني به، فوجَّه إليه، فحضر وجلس، فلما اطمأن وشرب وغنّى، قالت له: يا أبا دليجة أو تذكر صوتَ زبير بن دَحْمانَ عندي وأنت حاضر، فسألته أن يَطرَحه عليك؟ قال: وهل تَنسَى العَذْراء أبا عُذْرِها[3]، نعم، والله إني لذاكرهُ حتى كأننا أمس افترقْنا عنه. قالت: فغنّه، فاندفع فغنّى الصوتَ الّذي ادّعتْه شارية حتى استوفاه / وتضاحكتْ عَريب، ثم قالتْ لجواريّها: خذوا في الحقّ، ودَعونا من الباطل، وغنُّوا الغناء القديم. فغنّت بدعة وسائر جواري عَريب، وخجلتْ شارية وأطرقتْ وظهر الانكسار فيها، ولم تنتفع هي يومئذٍ بنفسها، ولا أحدٌ من جواريّها ولا متعصّبيها أيضاً بأنفسهم. [١٤/٢١٣]

غناؤه في مجلس المتوكل

قال: وحدّثني يحيى بنُ حَمدون قال: قال لي عَثعَث الأسود: دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو مصطبِح وابن المارقيّ يغنّيه قوله:

أقـــاتلتـــي بـــالجِيـــد والقـــدّ والخـــدّ وبـــاللـــون فـــي وجـــهٍ أرقَّ مـــن الـــورد

وهو على البِركة جالس، قد طرِب واستعاده الصوتَ مراراً وأقبل عليه، فجلست ساعةً ثم قمت لأبولَ، فصنعت هزَجاً في شعر البحتريّ الّذي يصف فيه البِركة:

صوت

إذا النجـــومُ تـــراءت فـــي جـــوانبهـــا ليـــلاً حسبـــتَ سمـــاءً ركِّبـــت فيهـــا

وإن عَلَتْهـــا الصَّبـــا أبـــدت لهـــا حُبُكـــا مثـــلَ الجَـــواشـــن مصقـــولاً حـــواشيهـــا[4]

وزادهـــا زينـــةً مـــن بعـــد زينتهـــا أن اسمـــه يـــومَ يُـــدْعَـــى مـــن أســـاميهـــا

فما سكت ابنُ المارقي سكوتاً مستوجباً حتى أندفعتُ أغنّي هذا الصوت، فأقبل عليّ وقال لي: أحسنتَ وحياتي، أعِدْ، فأعدتُ، فشرب قدحاً، ولم يزل يستعيدُنِيه ويشرب حتى اتكأ، ثم قال للفتح: بحياتي أدفع إليه الساعة ألف دينار وخِلْعة تامّة وأحمله على شِهْرِي[5] فارِهٍ بسَرْجه ولجامه، فانصرفتُ بذلك أجمَع.

[١٤/٢١٤] **/ نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء**

صوت

أعـــاذِلتـــي أكثـــرتِ جهـــلاً مِـــن العَـــذْلِ علـــى غيـــر شـــيءٍ مـــن مـــلامـــي ولا عـــذلِـــي

(١) يقال: تكلم ثم سكت بغير ألف، فإذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل أسكت.

(٢) هكذا في جـ. وفي ب، س: «بأبي فديتك».

(٣) العذرة بالضم: البكارة، وهو أبو عذرها وأبو عذرتها: إذا كان قد افتضها.

(٤) الصبا: الريح تهب من مطلع الشمس. والحبك: التكسر الذي يبدو على الماء إذا مرت به الريح. والجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع.

(٥) الشهرية: ضرب من البراذين. الفاره: الجيّد السير.

/ نـأيـتِ فلـم يُحـدِث لـي النـاسُ سَلـوةً ... ولـم أُلِف طـول [النأي][1] عـن خُلـة يُسْلي ٣٢/١٣

عَروضُه من الطويل، الشعر لجَميل، والغناء لعَريب، ثقيل أوّل بالبنصرِ، ومنها:

صوت

إذا رامَ قلبـي هجـرَهـا حـالَ دونَـه ... شفيعـان مـن قلبـي لهـا جَـدِلانِ

إذا قلـتُ لا، قـالا بلـى، ثـم أصبحـا ... جميعـاً علـى الـرأي الّـذي يَـرَيـان

عَروضه من الطويل، والناس يَنسُبون هذا الشعر إلى عُروة بن حِزام، وليس له.

الشعر لعليّ بن عمرو الأنصاري، رجل من أهل الأدب والرواية، كان بسُرَّ مَن رأى كالمنقطع إلى إبراهيمَ بنِ المهدي، والغناء لشارية، ثقيل أول بالوسطى، وقيل إنه من صنعة إبراهيم، ونَحَلها إيّاه، وفيه لعَريبَ خفيفُ رملٍ بالبنصرِ.

ومنها:

صوت

بـأبـي مـن زارنـي فـي منـامـي ... فـدنـا منّـي وفيـه نِفـارُ

ليلـةً بعـدَ طُلـوعِ الثُـريّـا ... ولـيـالـي الصّيـف بُتْـر قِصـار

قلـت هُلكـي أم صـلاحـي فعَطْفـاً ... دون هـذا منـك فيـه الـذّمـارُ

فـدنـا منّـي وأعطَـى وأرضَـى ... وشفـى سُقْمـي ولـذَّ المَـزارُ

/ لَم يقعْ إلينا لِمن الشعرُ، والغناء لزبير بنِ دَحْمان، ثقيل أوّل بالوسطى، وهو من جيّد صنعتِهِ وصدورِ أغانيه. [٢١٥/١٤]

غناؤه في شعر

أخبرني ابن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا أحمد بن طَيْفور قال: كتب صديق لأحمَد بنِ يوسف الكاتب في يومِ دَجْن: «يومُنا يومٌ ظريفُ النَّواة، رقيقُ الحواشي، قد رَعَدتْ سماؤه وبَرَقتْ، وحنّت وأرجحنّت[2]، وأنت قطبُ السرور، ونِظامُ الأمور، فلا تُفْردنا منك فنَقِلّ، ولا تنفردْ عنّا فنَذِلّ، فإنّ المرءَ بأخيه كثير، وبمساعَدته جدير». قال: فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل، وحضرهم عَثْعَث بن الأسود، فقال أحمد:

صوت

أرَى غَيمـاً يـؤلِّفـه جَنُـوبُ ... وأحسِبُـه سيـأتينـا بهَطْـلِ

فعيـنُ الـرأيِ أن تـأتـي بـرِطْـلٍ ... فتشـربَـه وتـدعـو لـي بـرِطـل

---

(١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصول، كما يدل عليها قوله «نأيت» في أول البيت. وفي ب، س: «طولاً». الخلة: الخليلة.

(٢) ارجحن السحاب: مال من ثقله.

وتسقيه نَداماناً جميعاً ... فينصرفون عنه بغير عَقْل

فيوم الغَيْم يومُ الغَمّ[1] إن لم ... تبادر بالمُدامة كلَّ شغل

ولا تُكْرِه محرِّمَها عليها ... فإنّي لا أراه لها بأهل

قال: وغنّى فيه عَثعَث اللّحنَ المشهور الذي يغنّى به اليوم.

[٢١٦/١٤]

صوت

ترى الجُندَ والأعرابَ يغشَون بابَه ... كما وردت ماءَ الكُلاب هَوامِلُه[2]

إذا ما أتَوا أبوابه قال: مرحباً ... لِجُوا الدار حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُهْ

٣٣/١٣ عَروضُه من الطويل. الهوامل: الّتي لا رِعاء لها، ولِجوا: أُدخلوا، يقال: ولج يَلِج وَلْجاً. وقوله: / «حتى يقتل الجوع قاتله»: أي يطعمكم فيذهب جوعكم، جعل الشِّبَع قاتلاً للجوع.

الشعر لعبد الله بن الزّبير الأسدي، والغناء لابن سُرَيج، رمل بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.



(١) في الأصول: «الغيم» وهو تحريف.

(٢) هوامل: جمع هامل، وهي المسيبة لا راعي لها. والكلاب: يوم من أيام العرب المشهورة.

/ أخبار عبد الله بن الزَّبير ونسبه [١٤/٢١٧]

نسبه

عبد الله بن الزَّبِير بن الأَشْيَم بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن مُنقِذ بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين بن الحرث بن ثعلبة بن دُودان[١] بن أَسَد بن خزيمة.

أخبرني بذلك أحمد عن الخرّاز عن ٱبن الأعرابي؛ وهو شاعر كوفيّ المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأمويّة، وكان من شِيعة بني أميّة وذوي الهَوَى فيهم والتعصّب والنُّصْرة على عدوّهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أُتِيَ به أسيراً فمنَّ عليه ووصله وأحسَنَ إليه، فمدحه وأكثر، وٱنقطع إليه، فلم يزل معه حتى قُتل مصعب، ثم عَمِيَ عبدُ الله بن الزبير بعد ذلك، ومات في خلافة عبد الملك بنِ مروان، ويُكنَى عبد الله أبا كثير، وهو القائل يعني نفسَه:

فقالت: ما فعلتَ أبا كثِير أصح الودّ أم أخلفتَ بَعدِي؟[٢]

وهو أحد الهَجّائين للناس، المرهوبِ شرّهم.

خبره مع عبد الرحمن بن أم الحكم

قال ٱبن الأعرابي: كان عبد الرحمن بنُ أم الحَكَم على الكوفة من قِبَل خاله معاوية بن أبي سُفْيان، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بنِ وهب بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأشْيَم، من رَهْط عبد الله بن الزَّبير دِنْيَة[٣]، فخرج عبد الرحمن بنُ أمّ الحَكَم وافداً إلى معاوية، ومعه ٱبنُ الزبير ورفيقان / له من بني [١٤/٢١٨] أسَد، يقال لأحدهما أكل[٤] بن ربيعة من بني جذِيمة[٥] بن مالك بن نصر بن قُعَين، وعديّ بن الحرث أحد بني العِدَان[٦] من بني نصر، فقال عبد الرحمن بن أم الحَكَم لابن الزَّبير: خذْ من بني عمِّك دِيَتَين لقتيلك، فأبى ابن

(١) في الأصول «داود» وهو تحريف، والتصويب عن «العقد الفريد» ٢: ٤٧.

(٢) سيرد هذا البيت بعد، وآخره: «أم أخلفت عهدي».

(٣) دنية: لحّا.

(٤) كذا في الأصول: «أكل»، ولعله «أكيل» كزبير أو «اكتل» كأحمد، وقد سمت بهما العرب، جاء في «تاج العروس» مستدرك مادة أكل: «وكزبير أكيل أبو حكيم مؤذن مسجد إبراهيم النخعي، وموسى بن أكيل روى عنه إسماعيل بن أبان الوراق» وجاء في «تاج العروس»: «أكتل: لص من لصوص البادية، قال الشاعر:

إن بها أكتل أو رزاما خويربين ينقفان الهاما

وأكتل بن الشماخ العكلي، شهد الجسر مع أبي عبيدة، محدث حدث عنه الشعبي».

(٥) في الأصول: «خزيمة» وهو تحريف.

(٦) في ب، س «الفذان» وهو تحريف وصوابه «العدان» وفي «تاج العروس» مستدرك مادة عدن: والعدان: قبيلة من بني أسد، وقد جاء في قصيدة لزهير بن أبي سلمى في مدح سنان بن أبي حارثة المري:

فلست بتارك ذكرى سليمى وتشبيبي بأخت بني العدان

انظر «شرح ديوان زهير لأبي العباس ثعلب» ص ٣٠٥ طبع دار الكتب.

الزبير، وكان ٱبن أم الحكم يميل ألى أهل القاتل، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقال له فَيّاض، فخالف ٱبنُ الزبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية، فعاذ بِه، فأعاذه وقام بأمره، وأمره[1] يزيد بأن يهجو ٱبن أمّ الحكم، وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويَعيبه، فقال فيه ٱبن الزبير قصيدةً أوّلها قولُه:

أَبَى الليلُ بالمَرَّان أن يتصرّما ... كأنّي أسومُ العَينَ نوعاً مُحرَّما[2]

[٢١٩/١٤] / ورُدَّ بثِنْيَيه كأن نجومه ... صِوارٌ تناهَى من إرانٍ فقَوَّما[3]

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... أمُصّ بناتِ الدرِ ثدياً مُصرَّما[4]

وسَوقَ نساء يسلبون ثيابها ... يُهادونها هَمْدانَ رِقًّا وخَثعَما[5]

على أي شيء يا لؤيَّ بن غالب ... تُجيبون مَن أجرَى عليَّ وألجما[6]

وهاتوا فقُصّوا آيةً تقرءونها ... أحلَّتْ بلادي أن تباح وتُظلَما

وإلا فأقصَى الله بيني وبينكم ... وولّى كثيرَ اللؤم مَن كان ألأما[7]

وقد شهدَتْنا من ثقيفٍ رَضاعةٌ ... وغيَّب عنها الحَوْمَ قُوّامُ زمزما[8]

[٢٢٠/١٤] / بنو هاشم لو صادفوك تجُدُّها ... مججتَ ولم تملك حَيازيمَك الدما[9]

٣٤/١٣ ستعلم إن زلَّتْ بك النعلُ زلّةً ... وكلّ امرىء لاقي الذي كان قدّما

(١) في ب، س «وأمر».

(٢) مران: موضع على ليلتين من مكة على طريق البصرة. يتصرم: ينقضي. أسوم: أكلف.

(٣) ثنيا الحبل: طرفاه. الصوار ككتاب وغراب: القطيع من البقر. تناهى الشيء: بلغ نهايته. الإران: النشاط. فقوّما: جاء في كتب اللغة: قامت به دابته: إذا كلت وأعيت فوقفت ولم تسر، ومنه قوله تعالى: ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أي وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدّمين ولا متأخرين، ولعل «قوّم» في البيت من ذاك، فهي مضعف قام بهذا المعنى، والتضعيف للتكثير كما في طوّف وجوّل وموّت وحوّم...

(٤) الدر: اللبن. ويقال: ناقة مصرمة، وذلك أن يقطع ضرعها فلا يخرج اللبن، وهو أقوى لها، أو أن يصيب ضرعها شيء فيكوى بالنار فلا يخرج منه لبن أبداً. ثدياً: بدل من بنات الدر، أي أمص بنات الدر ثدياً مصرماً منها.

(٥) في ب وس «تهب دونها» وفي جـ «تهبدونها» بوصل الكلمتين ولعل الصواب ما أثبتنا. يهادونها أي يهدونها. الرق: العبودية. همدان وخثعم: قبيلتان كبيرتان من عرب اليمن من بني كهلان. والمعنى: يهدونهنّ رقيقات إلى همدان وخثعم.

(٦) لؤي بن غالب: يعني معاوية وعشيرته، فهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو قريش. أجرى أي أجرى الخيل للغارة عليّ.

(٧) فأقصى أي أبعد. وفي الأصول «فأقضى» وهو تصحيف.

(٨) قوّام أي القائمون على زمزم، المتولون سقاية الحاج منها، وزمزم: بئر بمكة أنبع الله عينها لإسماعيل وأمه هاجر حين أسكنهما إبراهيم مكة، ثم طمت تلك البئر وما زالت مطمومة إلى زمن عبد المطلب بن هاشم، فأتاه آت وهو نائم بالحجر فأمره بحفرها فحفرها وأقام سقاية زمزم للحاج، وكانت السقاية في الجاهلية بيد ابنه أبي طالب، ثم سلمها إلى أخيه العباس.
يقول: إن لنا رضاعة في ثقيف ـ وقد كان والد عبد الرحمن المذكور من ثقيف كما سيأتي بعد ـ أي أنه يجمعني وإياك أخوة رضاعة وصلة ماسة كان جديراً بك أن تقدّرها وترعاها، ثم عطف فقال: وقد نفى الدنس والنقص عن تلك الرضاعة أشراف بني هاشم القائمون على زمزم.

(٩) تجدها: تقطعها. صادفه: وجده ولقيه، مججت: من مجّ الشراب من فيه: رماه. حيازيم. جمع حيزوم: وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام. يقول: إن بني هاشم لو وجدوك تقطع هذه العلاقة التي تربطني بك، أي لو وجدوك تعدو عليّ ولا ترعى حتى صلتي بك لأراقوا دمك ولم تشدد حيازيمك حيالهم.

بـأنـك قـد مـاطَلْـتَ أنيـابَ حيّـةٍ تـزجّـي بعينيهـا شُجـاعـاً وأرقمـا[1]
وكـم مـن عـدوّ قـد أراد مسـاءتـي بغَيـبٍ ولـو لاقيتُـه لتنـدّمـا
وأنتـم بنـي حـامِ بـنِ نُـوح أرى لكـم شِفـاهـاً كـأذنـاب المشـاجـر وُرَّمـا[2]
فـإن قلتَ خـالـي مـن قـريش فلـم أجـد مـن النـاس شـرّاً مـن أبيـك والأمـا[3]
صغيـراً ضغـا فـي خـرقـة فـأمضّـه مُـربِّيـه حتـى إذ أهـمّ وأفطمـا[4]
رأى جلـدةً مـن آل حـامٍ متينـةً ورأسـاً كـأمثـال الجَـريـب مُـؤَوّمـا[5]
وكنتـم سقِيطـاً فـي ثقيـفٍ، مكـانكـم بنـي العبـد، لا تُـوفِـي دمـاؤكمـو دمـا[6]

/ شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة [١٤/٢٢١]

قال ابن الأعرابي: ثم عُزل ابنُ أم الحكم عن الكوفة، ووليها عبيد الله[7] بن زُياد، فقال ابن الزبير:

أبلِـغ عبيـدَ الله عنّـي فـإنّنـي رميتُ ابـن عَـوذ إذ بـدَتْ لـي مقـاتِلُـهْ[8]
علـى قفـرةٍ إذ هـابَـه الـوفـدُ كلُّهـم ولـم أكُ أُثـوِي القِـرنَ حيـن أنـاضِلـه[9]
وكـان يُمـارى مِـن يـزيـدَ بـوقعـةٍ فمـا زال حتـى استدرجَتْـه حَبـائلُـه[10]
فتُقصيـه مـن ميـراث حـربٍ ورَهْطِـه وآلَ إلـى مـا ورّثتـه أوائلُـه[11]
وأصبَـح لمّـا أسلمَتْـه حِبـالُهـم ككلـب القطـار حـلّ عنـه جَـلاجِلُـه

ونسخت من كتاب جدّي لأمّي يحيى بن محمد بن ثوابة، قال يحيى بن حازم وحدّثنا عليّ بن صالح صاحب المصلّى عن القاسم بن مَعْدان: أن عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم غضب على عبد الله بن الزَّبير الأسديّ لما بلغه أنه

---

(١) عني بالحية نفسه. تزجي: تسوق. والشجاع كغراب وكتاب: الحية أو الذكر منها، وجمعه شجعان بالكسر والضم. والأرقم: أخبث الحيات، أو ما فيه سواد وبياض، أو ذكر الحيات. يقول: ستعلم عندئذٍ أنك قد تعرّضت لمعاداة رجل مرهوب جانبه، مخشيّ بأسه، كالحية، له نصراء يؤازرونه من عشيرته أمثال الشجعان والأراقم.

(٢) المشاجر: جمع مشجر (بكسر الميم وفتحها)، وهو عود الهودج. ورّم: جمع وارمة.

(٣) أبوه هو عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث الثقفي.

(٤) ضغا: صاح وضجّ. أمضه: آلمه وشق عليه. أهمّ، أي أهم آله وذويه، أي بلغ مبلغاً جعلهم يهتمون له ويتعلقون به. أفطم: حان أن يفطم، وفي جـ «حتى إذا لهم أفطما» وهو تحريف.

(٥) الجريب: مكيال قدر أربعة أقفزة. المؤوّم: العظيم الرأس أو المشوّه.

(٦) السقيط: الأحمق الناقص العقل. وجاء في «مستدرك» (سقط) في «تاج العروس»: وقوم سقاط بالكسر جمع ساقط كنائم ونيام وسقيط وسقاط كطويل وطوال.

(٧) ولي معاوية عبد الرحمن الكوفة بعد عزل الضحاك بن قيس سنة ٥٨ هـ ثم عزله عنها سنة ٥٩ واستعمل عليها النعمان بن بشير الأنصاري، ومات معاوية سنة ٦٠ وولي ابنه يزيد الخلافة، وبقي النعمان والياً على الكوفة، فلما كاتب أهلها الحسين رضي الله عنه ليبايعوه بالخلافة وبعث إليهم مسلم بن عقيل، بعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد وكان على البصرة فولاه الكوفة مع البصرة.

(٨) من أسمائهم «عوذ» والمفهوم هنا أن «ابن عوذ» كنية عبد الرحمن.

(٩) في ب وس «أثوي القرن حتى»، وهو تحريف.

(١٠) في ب، س «من يريد»، وهو تصحيف صوابه «من يزيد» وهو يزيد بن معاوية.

(١١) في جـ «فتقضيه ميراث»، وهو تحريف.

هجاه، فهَدَم داره، فأتى معاويةَ فشكاه إليه، فقال له: كم كانت قيمةُ دارك؟ فاستشهد أسماءَ بنَ خارجة، وقال له: سَلْه عنها؛ فسأله؛ فقال: ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها، / ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلافِ درهم للساج[١]، [١٤/٢٢٢] فأمر له معاويةُ بألفِ[٢] درهم، قال: وإنما شهد له أسماء كذلك ليُرفده[٣] عند معاوية، ولم تكن داره إلاّ خِصاص قَصَب.

وكان عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم لمّا وَلِي الكوفةَ أساء بها السيرة، فقدم قادمٌ من الكوفة إلى المدينة، فسألته أمرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها: تركتُه يَسأَل إلحافاً، وينفِق إسرافاً، وكان محمَّقاً[٤]، ولاه معاويةُ خالُه عدّة أعمال، فذمّه أهلُها وتظلّموا منه، فعزله وأطرحه[٥]، وقال له: يا بُنَي، قد جَهَدتُ أن أنفُقك[٦] وأنت تزداد كساداً.

[١٤/٢٢٣] / وقالت له أخته أمُّ الحكم بنت أبي سُفْيان بن حرب: يا أخي، زَوِّج أبني بعضَ بناتِك؛ فقال: ليس لهنّ بكفء؛ فقالت له: زوّجني أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك، وأنا خير من بناتك، فقال لها: يا أُخيّة، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذٍ يشتهي الزَّبيب، وقد كثر الآن الزبيبُ[٧] عندنا، فلن نزوّج إلاّ كُفئاً.

خبره مع عمرو بن عثمان بن عفان

حدّثنا الحسن بنُ الطيّب البَلْخي قال: حدّثني أبو غسّان قال: بلغني أن أوّل من أخَذ بِعينةٍ[٨] في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفّان، أتاه عبد الله بن الزُّبير الأسدي، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رَثًّا، فدعا وكيلَه وقال: اِقترِض لنا مالاً؛ فقال: هيهات! / ما يعطينا التجار شيئاً. قال: فأَربِحْهم[٩] ما شاءوا، فاقترض له ثمانيةَ آلافِ درهم، وثانياً عشرة آلاف، فوجّه بها إليه مع تخت[١٠] ثياب، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك: ٣٥/١٣

(١) الساج: خشب يجلب من الهند، أسود رزين يشبه الآبنوس، وهو أقل سواداً منه، ولا تكاد الأرض تبليه.

(٢) هكذا في الأصول. وهو غير ظاهر؛ وقد تكررت هذه القصة في آخر الترجمة، وفيها: «... أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة ففعلت ... وأمر معاوية له بها».

(٣) الإرفاد: الإعانة.

(٤) أي ينسب إلى الحمق. وفي ب، س «وكان مخفا» وهو تحريف، والتصويب عن ط.

(٥) جاء في «تاريخ الطبري» ٦: ١٧٤ «استعمله معاوية على الكوفة فأساء السيرة فيهم فطردوه، فلحق بمعاوية وهو خاله، فقال له: أوليك خيراً منها، مصر، فولاه فتوجه إليها، وبلغ معاوية بن حديج الخبر، فخرج فاستقبله على مرحلتين من مصر فقال: ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة، فرجع إلى معاوية، وأقبل معاوية بن حديج وافداً، وكان إذا جاء ضربت له قباب الريحان، فدخل على معاوية وعنده أم الحكم، فقالت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: بخ، هذا معاوية بن حديج، قالت: لا مرحباً به «تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه» فقال: على رسلك يا أم الحكم، أما والله لقد تزوّجت فما أكرمت، وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي أبنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة، ما كان الله ليريه ذلك، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يطأطىء منه، وإن كره ذلك الجالس، فالتفت إليها معاوية فقال: كفى».

(٦) جهد كمنع: جدّ. ونفق السلعة: روّجها.

(٧) تقدّم أن أبا عبد الرحمن من ثقيف، وكانت ثقيف تنزل بالطائف، وفي الطائف تكثر البساتين وكروم العنب، ولذا كان الزبيب فيها كثيراً، وقد ذكروا أن الحجاج الثقفي كان أوّل أمره يبيع الزبيب بالطائف. يقول: حسبنا ما كان من مصاهرة أبي سفيان ثقيفاً، ولسنا نرغب بعد في مصاهرتهم.

(٨) العينة: الربا.

(٩) في جـ: «فأربحوا» وهو تحريف.

(١٠) التخت: وعاء تصان فيه الثياب.

سأشكر عمراً إن تراخت منيّتي ... أياديَ لم تُمنَنْ وإن هي جلّتِ[١]

فتى غير محجوبِ الغِنَى عن صديقِه ... ولا مُظهر الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ

رأى خَلَّتي من حيثُ يَخفَى مكانُها ... فكانت قَذَى عينيه حتى تجلَّت[٢]

/ مدحه أسماء بن خارجة [٢٢٤/١٤]

أخبرني الحسينُ بنُ القاسم الكوكبيّ إجازة قال: حدّثني أحمد بنُ عرفة المؤدِّب قال: أخبرني أبو المصبِّح[٣] عادية بن المصبِّح السَّلُولي قال: أخبرني أبي قال: كان عبد الله بن الزّبير الأسديّ قد مدح أسماء[٤] بنَ خَارجة الفَزَاريّ فقال:

صوت

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلا ... كأنّك تعطيه الذي أنت نائلُهْ[٥]

ولو لم يكن في كفّه غيرُ رُوحه ... لجاد بها فليتَّقِ الله سائلُه

فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه، فغضب وقال يهجوه:

بَنَت لكُم هندٌ بتلذيع بَظْرها ... دكاكينَ من جِصٍّ عليها المجَالسُ[٦]

فوالله لولا رَهْزُ هند ببظرها ... لَعُدَّ أبوها في اللئام العوابِس[٧]

/ فبلغ ذلك أسماء، فركب إليه، فاعتذَرَ من فعله بضِيقةٍ شكاها، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفة[٨] في كل [٢٢٥/١٤] سنة، واقتطعه جَنَّتَيه، فكان بعد ذلك يمدحُه ويفضِّله. وكان أسماء يقول لبنيه: والله ما رأيت قط جصاً في بناءٍ ولا غيره إلاّ ذكرتُ بَظْر أمّكم هند فخجلتُ.

حبسه ابن أم الحكم وشعره

(١) جاء في «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣: ١٤٧ طبع النهضة أن هذه الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي، وأن عمراً المذكور في البيت هو عمرو بن مسعدة، قال: «وكان بين عمرو بن مسعدة وبين إبراهيم بن العباس الصولي مودّة، فحصل لإبراهيم ضائقة بسبب البطالة في بعض الأوقات، فبعث له عمرو مالاً، فكتب إليه إبراهيم الأبيات.

(٢) الخلة: الحاجة والفقر. والقذى: ما يقع في العين.

(٣) في الأصول: «أبو المصيح» وهو مصحف وصوابه «أبو المصبح» وهو من كنى العرب، كنى بها أعشى همدان الشاعر الأموي.

(٤) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري.

(٥) تهلل وجهه: تلألأ. نائله: آخذه. ويروى «أنت سائله» أي سائله إياه. والمعروف والمشهور أن البيت الأوّل لزهير بن أبي سلمى في مدح حصن بن حذيفة بن بدر جد أسماء من قصيدته التي مطلعها:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرّى أفراس الصبا ورواحله

وأن البيت الثاني لأبي تمام في مدح المعتصم من قصيدته التي مطلعها:

أجل أيها الربع الذي خف آهله ... لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

(٦) كان يحيى أبو حماد عجرد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر...» يريد أن هنداً بزواجها من بشر أخي الخليفة عبد الملك بن مروان رفعت من قدر أهلها وهيأت لهم مجالس الشرف والرفعة.

(٧) رهزها: حركتها عند الجماع. وفي جـ «زهد» وهو تحريف. وفي هذا البيت إقواء.

(٨) الوظيفة: ما يقدّر من رزق.

أخبرني عمّي عن ابن مهرُويَه، عن أبي مسلم، عن ابن الأعرابيّ قال: حبس ابنُ أمّ الحَكَم عبدَ الله بنَ الزَّبير وهو أمير في جناية وضَعَها عليه، وضربه ضرباً مبرِّحاً لهجائه إيّاه، فأستغاث بأسماء بنِ خارجة، فلم يزل يَلطُف في أمره، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابن أمّ الحَكَم في أمره حتى يخلّصَه، فأطلق[1] شفاعته، وكساه أسماءُ ووصله وجعل له ولعياله جِرايةً[2] دائمةً من ماله، فقال فيه هذه القصيدة الّتي أوّلها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزَّبير، يقول فيها:

ألـم تـرَ أنّ الجُـودَ أرسَـلَ فـأنتقَـى ... حَليـفَ صفـاءٍ وأْتَلَـى لا يُـزايلـهْ[3]

تخيَّـر أسمـاء بـنَ حِصـنٍ فبُطِّنـتْ ... بفعـل العُـلا أيمـانُـه وشمـائلـه[4]

ولا مجـدَ إلا مجـدُ أسمـاءَ فـوقـه ... ولا جـرَى إلا جـريُ أسمـاءَ فـاضِلُـهْ

[١٤/٢٢٦] / ومحتمـلٍ ضِغنـا لأسمـاءَ لـو جـرى ... بسَجْلَيْـنِ مـن أسمـاءَ فـارت أبـاجِلُـهْ[5]

عَـوَى يستجيـشُ النـابحـاتِ وإنمـا ... بـأنيـابـه صُـمُّ الصَّفـا وجَنـادِلـه[6]

وأقصَـرَ عـن مجـراةِ أسمـاء سعيُـه ... حَسِيـراً كمـا يلقـي مـن التُّـرب نـاخلـه[7]

وفضَّـلَ أسمـاءَ بـنَ حِصـنٍ عليهـمُ ... سمـاحـةُ أسمـاء بـن حصـن ونـائلـه[8]

فَمـن مثـلُ أسمـاءَ بـن حصـن إذا غَـدَت ... شـآبيبُـه أم أيُّ شـيء يعـادِلـه[9]

$\frac{٣٦}{١٣}$ / وكنـت إذا لاقيـت منهـم حَطيطَـةً ... لقيـتُ أبـا حسـانَ تَنـدَى أصـائلـه[10]

تَضَيَّفُـه غسّـانُ يَـرجـون سَيْبَـه ... وذو يَمَـنٍ أُحبُـوشُـه ومَقـاوِلـه[11]

[١٤/٢٢٧] / فتًـى لا يـزال الـدهـر مـا عـاش مُخصِبـا ... ولـو كـان المَـومـاة تَخْـدِي رَواحِلُـهْ[12]

فـأصبـح: مـا فـي الأرض خَلـقٌ علمتُـه ... مـن النـاس إلاّ بـاعُ أسمـاءَ طـائلـه[13]

(١) أي قبل شفاعته إطلاقاً لم يقيدها بقيد ولم يحتل فيها باستثناء.

(٢) الجراية: الجاري من الوظائف.

(٣) انتقى: اختار. ائتلى: أقسم.

(٤) في س: «أسماء بن حفص» وهو تحريف.

(٥) في ب وس «صفنا» وهو تحريف. والسجل: الجري. أباجل: جمع أبجل، وهو عرق في باطن الذراع. والمعنى: لو جرى بشوطين من جري أسماء، لأعيا وانبهر.

(٦) يستجيش النابحات: أي يستبد الكلاب النابحات. الصفا: جمع صفاة، وهي الحجر الصلد الضخم. والمعنى أنه لا ينال منه ولا يؤثر فيه إلا كما يؤثر العاض على الصم الصلاب، وهو كقول الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليوهيها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٧) حسيراً: كليلاً.

(٨) النائل: العطاء.

(٩) غدت: بكرت. والشآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر.

(١٠) أبو حسان: كنية أسماء. أصائل: جمع أصيل، وهو العشيّ. تندى أصائله، أي يندى في الأصائل. والحطيطة: البخس.

(١١) أصله تتضيفه أي تنزل عليه ضيفاً. والسيب: العطاء. الأحبوش: جماعة الحبش، وفي ب، س: «أجيوشة». والمقاول: جمع مقول، وهو الملك من ملوك حمير، أو هو دون الملك الأعلى.

(١٢) الراحلة: المركب من الإبل ذكراً أو أنثى. وخدي البعير خدياً وخدياناً: أسرع وزج بقوائمه. وفي جـ: «بالمومات» بتاء مفتوحة، وفي ب وس: «بالموتان» وهو تحريف. والموماة: المفازة.

(١٣) طاله: فاقه في الطول.

تـــراه إذا مـــا جئتَـــه متهلِّـــلا كـــأنـــك تعطيـــه الّـــذي أنـــت ســـائلُـــه

تـــرى الجنـــدَ والأعـــراب يغشَـــون بـــابـــه كمـــا وردت مـــاءَ الكُـــلاب نـــواهلُـــه

إذا مـــا أتَـــوا أبـــوابـــه قـــال: مـــرحبـــا لِجُـــو البـــابَ حتـــى يقتـــلَ الجـــوعَ قـــاتلُـــه

تـــرى البـــازِلَ البُخْتـــيَّ فـــوق خِـــوانـــه مقطَّعـــةً أعضـــاؤه ومفـــاصلـــه[1]

إذا مـــا أتـــوا أسمـــاءَ كـــان هـــو الـــذي تحلَّـــب كفـــاه النـــدى وأنـــاملُـــه

تـــراهـــمْ كثيـــراً حيـــن يغشَـــون بـــابَـــه فتستـــرهـــم جُـــدْرانُـــه ومنـــازِلُـــه

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم.

شعره بين يدي عبيد الله بن زياد

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا العبّاس بنُ ميمون طائع قال: حدّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش، وقال ابن الأعرابي أيضاً: دخل عبد الله بن الزبير على عُبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدم ابن الزبير من الشأم، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول:

حنّـت قَلـوصـيَ وَهْنـاً بعـد هَـدْأتِهـا فهيّجـتْ مغـرَمـاً صَبًّـا علـى الطَّـرَبِ[2]

/ حنّـت إلـى خيـرِ مَـن حُـثَّ المطـيُّ لـه كـالبـدر بيـن أبـي سفيـان والعُتَـب [١٤/٢٢٨]

تـذكَّـرَتْ بِقُـرَى البَلقـاء نـائلَـه لقـد تـذكـرتُـه مِـن نـازحٍ عَـزَب[3]

والله مـا كـان بـي لـولا زيـارَتـه وأن ألاقـي أبـا حسـان مـن أَرَب

حنّـت لتَـرجِعنـي خلفـي فقلـت لهـا هـذا أمـامـك فـالقَيْـه فتـى العـرب

لا يحسـب الشـرّ جـاراً لا يفـارقـه ولا يعـاقِـب عنـد الحِلـم بـالغضـب

مِـن خيـر بيـت عَلِمنـاه وأكـرَمِـه كـانـت دمـاؤهـم تُشفـى مـن الكَلَـب[4]

قال ابن الأعرابيّ: كانت العربُ تقول: من أصابه الكَلَب والجنونُ لا يَبرأ منه إلى أن يُسقَى من دمِ مَلِك، فيقول: إنه من أولاد الملوك.

---

(١) البازل: الجمل في تاسع سنيه. البختي: من الجمال: طوال الأعناق. والخوان كغراب وكتاب: ما يؤكل عليه الطعام.

(٢) القلوص من الإبل: الشابة. الوهن: نحو من نصف الليل أو ما بعد ساعة منه. الهدأة والهدوء: السكون عن الحركات، ويقال: أتانا بعد هدأة من الليل أي جين هدأ الليل.

(٣) البلقاء: كورة من أعمال دمشق. نازح: بعيد، عزب: بعيد أيضاً؛ وقالوا: رجل عزب: للذي يعزب في الأرض.

(٤) في جـ: «أشفى».

بقية أخبار عبد الله بن الزّبير

معاونة ابن زياد على قتل هانىء بن عروة

أخبرني أحمد[1] بن عيسى العجلي بالكوفة قال: حدّثنا سليمان بن الربيع البرجمي قال: حدّثنا مُضَرُ بنُ مُزاحم، عن عمرو بن سعد، عن أبي مِخنَف، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكَنُود، وأخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا الحارث بن محمد قال: حدّثنا ابن سعد عن الواقدي، وذكر بعض ذلك ابنُ الأعرابي في روايته عن المفضَّل، وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين، أن المختار بن أبي عبيد[2] خطب الناسَ يوماً على المنبر فقال: «لَتنزلنّ نار / من السماء، تسوقها ريح حالكة / دَهْماء، حتى تحرق دار أسماء وآلَ أسماء» وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة، يعدّونه في قَتَلة الحسين عليه السلام، لِمَا كان من معاونته عبيدَ الله بنَ زياد على هانىء بن عُرْوة المُراديّ حتى قتل، وحركتِهِ في نُصْرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد ذكر ذلك شاعرُهم فقال: [١٤/٢٢٩] [٣٧/١٣]

أيـركـب أسمـاءُ الهمـاليـجَ آمِنـاً ... وقـد طلبتْـه مَـذْحِـجٌ بقتِيـلِ![3]

يعني بالقتيل هانىءَ بنَ عروة المُراديّ، وكان المختار يحتال ويدبِّر في قتله من غير أن يُغضب قيساً فتنصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه، فقال: أوَقد سَجَع بي أبو إسحاق! لا قرارَ على زَأْرٍ من الأسد[4]، وهرب إلى الشأم، فأمر المختار بطلبه ففاتَه، فأمر بهدم داره، فما تقدّم عليها مضريّ [بتّةً][5] لموضع أسماء وجلالةِ قدرِهِ في قيس، فتولَّت ربيعةُ واليمنُ هدمَها، وكانت بنو تَيْم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار، فقال في ذلك عبد الله بن الزَّبير:

تـأوَّبَ عيـنَ ابـنِ الـزَّبيـر سُهـودُهـا ... ووَلَّـى علـى مـا قـد عـراهـا هُجـودُهـا[6]

كـأنّ سـواد العيـن أبطَـنَ نحلـةً ... وعـاوَدَهـا ممـا تَـذكَّـرُ عِيـدُهـا[7]

مخضَّـرةً مـن نحـل جَيْحـانَ صعبـةً ... لَـوَى بجنـاحيهـا وليـدٌ يَصِيـدهـا[8]

---

(١) كذا في ط، ومط؛ وفي باقي الأصول «محمد».

(٢) انظر «الكامل» للمبرد ٢: ١٦٧.

(٣) الهماليج: جمع هملاج، والهملاج من البراذين: الحسن السير. وبنو مراد: قبيلة هانىء بن عروة بطن من مذحج، فهم بنو مراد بن مالك بن مذحج بن أدد ... ... من بني كهلان.

(٤) أخذه من قول النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر من قصيدته المشهورة:

أنبئـت أن أبـا قـابـوس أوعـدنـي ... ولا قـرار علـى زأر مـن الأسـد

(٥) زيادة عن ط، مط.

(٦) تأوّبها سهودها، أي راجعها وعاودها. والهجود: النّوم، وعلى هنا بمعنى اللام.

(٧) تذكر، أي تتذكر. والعيد: ما اعتادك من هم أو مرض أو حزن.

(٨) في جـ وب وس «محضرة» وهو تصحيف، كشح مخصر: دقيق، ورجل مخصر: ضامر الخصر. جيحان: نهر بالمصيصة في الشام. والوليد: الصبي.

/ مِـنَ الليـلِ وَهْنـاً، أو شَظِيَّـةَ سُنبـلٍ … أذاعـت بـه الأرواحُ يُـذرَى حَصيـدهـا(١) [٢٣٠/١٤]

إذا طُـرِفَـت أذرَتْ دمـوعـاً كـأنهـا … نَثِيـرُ جُمـانٍ بـانَ عنهـا فَـرِيـدهـا(٢)

وبِـتُّ كـأنّ الصـدرَ فيـه ذُبـالـةٌ … شَبَـا حـرَّهـا القِنـديـل، ذاكِ وَقُـودهـا(٣)

فقلـتُ أنـاجـي النفـسَ بينـي وبينهـا … كـذاك الليـالـي نحسُهـا وسُعـودُهـا

فـلا تجـزعـي ممـا ألـمّ فـإننـي … أرى سَنـةً لـم يَبـقَ إلاّ شَـريـدهـا(٤)

أتـانـي وعُـرْضُ الشـامِ بينـي وبينهـا … أحـاديـثُ والأنبـاءُ يَنمِـي بعيـدُهـا(٥)

بـأنّ أبـا حَسّـانَ تهـدِم دارَه … لُكَيـزٌ سَعـت فُسّـاقُهـا وعَبِيـدهـا(٦)

جـزَتْ مُضَـراً عنّـي الجـوازِي بفعلهـا … ولا أصبحـتْ إلاّ بشـرٍّ جُـدودهـا(٧)

فمـا خيـرُكـم؟ لا سيِّـداً تنصـرونـه … ولا خـائفـاً إن جـاء يـومـاً طـريـدُهـا(٨)

/ أخـذلانَـه فـي كـلّ يـومِ كـريهـةٍ … ومسـألـةً مـا إن ينـادَى وليـدُهـا(٩) [٢٣١/١٤]

لِأمّكـم الـوَيـلاتُ أنّـى أُتِيتُـمُ … جمـاعـات أقـوامٍ كثيـرٍ عـديـدهـا

فيـا ليتكـم مِـن بعـد خـذلانِكُـمْ لـه … جَـوارٍ علـى الأعنـاق منهـا عُقـودُهـا

ألـم تغضبـوا تَبّـاً لكـم إذ سَطَـتْ بكـم … مَجُـوسُ القُـرى فـي داركـم ويَهـودُهـا!(١٠)

تـركتـمْ أبـا حسّـان تُهـدَم دارُه … مشيَّـدةً أبـوابُهـا وحـديـدهـا

يهـدِّمهـا العِجلـيّ فيكـمْ بشُـرْطـة … كمـا نَـبَّ فـي شِبْـل التُّيـوس عَتُـودُهـا(١١)

---

(١) من الليل وهنا: متعلق بقوله: وعاودها، أو شظية: عطف على نحلة. والشظية: كل فلقة من شيء. أذاع بالشيء: ذهب به. والأرواح: جمع ريح. ذرته الريح وأذرته: أطارته.

(٢) طرفت عينه: أصيبت بشيء فدمعت. وفي ب، س «طرقت» وهو تصحيف، أذرت العين الدمع: صبته. نثير: منثور. وفي ب وس «نفير» وهو تحريف. الجمان: اللؤلؤ. الفريد والفريدة: الجوهرة النفيسة.

(٣) الذبالة: الفتيلة، شبا النار شبواً: أوقدها كشبّها. والمعنى: زاد القنديل في حرّها بما يمدّها به من الزيت. وفي الأصول: «سنا» وهو تصحيف. ذكت النار: اشتدّ لهبها.

(٤) السنة: العام، والجدب، والقحط.

(٥) ينمي: ينتشر ويرتفع.

(٦) لكيز: قبيلة من ربيعة، وهو لكيز بن أفصى بن عبد القيس. وفي ب، س «وعنيدها» وهو تصحيف.

(٧) يقال: جزتك عني الجوازي، أي جزتك جوازي أفعالك، والجوازي: جمع جازية، وهي الجزاء، مصدر على فاعلة. جدود: جمع جد بالفتح، وهو الحظ، يدعو عليها بنحس الجدّ وتعس الحظ.

(٨) ولا خائفاً، أي ولا تؤمّنون الطريد إن جاء يوماً خائفاً.

(٩) أخذلانه. . . : أي أمذهبكم خذلانه، أو أترون خذلانه؟ ومسألة، أي وفي كل مسألة، يقال في المثل: هم في أمر لا ينادى وليده، قال ابن سيده: أصله كأنّ شدّة أصابتهم حتى كانت الأم تنسى وليدها فلا تناديه ولا تذكره مما هي فيه، ثم صار مثلاً لكل شدة، وقيل: أصله من الغارة، أي تذهل الأم عن ابنها أن تناديه وتضمه، ولكنها تهرب عنه، وقيل: هو أمر جليل شديد لا ينادى فيه الوليد ولكن تنادى فيه الجلة، وقيل يقال في الخير والشر، أي اشتغلوا به حتى لو مدّ الوليد يده إلى أعز الأشياء لا ينادى عليه زجراً.

(١٠) تباً لكم، أي ألزمكم الله هلاكاً وخسراناً.

(١١) نب التيس: صاح عند الهياج. العتود من أولاد المعز: ما رعى وقوى وأتى عليه حول. وكتب أمام البيت في نسخة ط ما نصه: يريد عمرو بن سعيد بن العاص كان والي العراق وهدم دار أسماء.

لعمري لقد لفَّ اليهوديُّ ثوبَه ... على غَدرة شنعاءَ باقٍ نَشِيدها[١]

فلو كان من قحطانَ أسماء شمَّرت ... كتائبُ من قحطانَ صُعْرٌ خدودُها[٢]

/ ففي رجب أو غُرَّةِ الشهر بعده ... تزوركُم حُمْرُ المنايا وسُودها

ثمانون ألفاً دِينُ عثمانَ دينُهم ... كتائبُ فيها جَبْرَئيل يقودُها

فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ... ففي النار سُقياه هناك صَدِيدها

٣٨/١٣

[١٤/٢٣٢] / وقال ابن مهرويه: أخبرني به الحسن بن علي عنه، حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي: أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام، وبها يومئذٍ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة، وقتل عمرو[٣] بن سعيد، وكان أسماء أمَويّ الهوى، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرقها، فقال عبد الله بن الزَّبير في ذلك:

* تأوّب عين ابن الزبير سهودها *

وذكر القصيدة بأسرها، وهذا الخبر أصح عندي من الأوّل، لأن الحسن بن علي حدّثني قال: حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمي مصعب قال: لما ولي مصعب بن الزبير العراق، دخل إليه عبد الله بن الزَّبير الأسدي، فقال له: إيهٍ يابن الزبير، أنت القائل:

إلى رَجَب السبعينَ أو ذاك قبلَه ... تصبّحكمْ حُمر المنايا وسُودُها[٤]

ثمانون ألفاً نصرُ مروانَ دينُهم ... كتائبُ فيها جَبْرَئيلُ يَقودُها

[١٤/٢٣٣] / فقال: أنا القائل لذلك، وإن الحقِين ليأبى العِذْرة[٥]، ولو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع؛ فقال: أمَا إني ما أصنع بك إلاّ خيراً، أحسن إليك قوم فأحببتَهم[٦] وواليتَهم ومدحتَهم، ثم أمر له بجائزة وكسوة،

(١) النشيد: الصوت.

(٢) صعر خدودها، أي قد أمالت خدودها كبراً. وفي ب، جـ «صغر» وهو تحريف.

(٣) هو عمرو والأشدق بن سعيد بن العاص، وذلك أنه لما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثاني، وأنحاز الضحاك بن قيس الفهري عن مروان بن الحكم واستمال الناس ودعا إلى ابن الزبير، ألتقي مروان وعمرو بن سعيد فقال عمرو لمروان: هل لك فيما أقوله لك، فهو خير لي ولك؟ قال: وما هو؟ قال: أدعو الناس إليك وآخذها لك على أن تكون لي من بعدك، فقال مروان: لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية، فرضي الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا، وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد، ولعمرو بن سعيد بعد خالد، ثم مات مروان وخلفه أبنه عبد الملك، ولما أعتزم عبد الملك أن يخرج إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير بنفسه قال له عمرو: إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده، وعلى ذلك جاهدت معه، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه، فرجع إلى دمشق وحاصرها حتى صالح عمراً على أنه الخليفة بعده ففتح له، ثم إن عبد الملك أحتال له حتى قتله سنة ٦٩ هـ.

(٤) إلى رجب السبعين، أي إلى رجب السنة السبعين.

(٥) في س «وإن الحقير ليأبى الغدرة» وفي ب «وإن الحمير ليأبى الغدرة» وهو تحريف. ومن أمثال العرب: أبى الحقين العذرة، والحقين: المحقون أي المحبوس. والعذرة: العذر، وأصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستسقاهم لبناً، وعندهم لبن قد حقنوه (حبسوه) في وطب، فاعتلوا عليه واعتذروا فقال: أبى الحقين العذرة، أي قبول العذر، أي أن هذا اللبن الحقين يكذبكم، يضرب مثلاً للرجل يعتذر ولا عذر له.

(٦) في ط «فاجتبتهم».

وردّه إلى منزله مكرَّماً، فكان ٱبنُ الزَّبير بعد ذلك يمدحه ويَشِيد بذكره، فلما قتل مصعب بن الزبير ٱجتمع ٱبن الزَّبير وعبيد الله بن زياد بن ظَبيانَ في مجلس، فعرف ٱبنُ الزبير خَبره ـ وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزبير ـ فاستقبَلَه بوجهه وقال له:

أبـا مطـر شَلَّـت يميـنٌ تفـرَّعـتْ بسيفـك رأسَ ابـنِ الحَـوارِيِّ مصعـبِ[(١)]

فقال له ابنُ ظَبْيان: فكيف النجاة من ذلك؟ قال: لا نجاة، هيهات! «سَبَقَ السيفُ العَذَل»[(٢)]، قال: فكان ٱبن ظبيانَ بعد قتلِه مصعباً لا يَنتفع بنفسِه في نوم ولا يَقَظة، / كان يهوَّل عليه[(٣)] في منامه فلا ينام، حتى كَلَّ جسمُه ونُهِك، [١٤/٢٣٤] فلم يزل كذلك حتى مات.

شعره عند عبيد الله بن زياد

وقال ابن الأعرابي: لما قدم ابنُ الزَّبير من الشأم إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه، فأوصله إليه، ثم ٱستأذنه في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته الّتي أوّلُها:

صوت

أصَـرْمٌ بليلـى حـادِثٌ أم تجنُّـبُ أم الحبـلُ منهـا واهِـنٌ متقضِّـبُ[(٤)]

أم الـودّ مـن ليلـى كعهـدي مكـانـه ولكـنّ ليلَـى تستـزيـد وتَعتـب[(٥)]

غَنّى في هذين البيتين حُنين ثاني ثقيل عن الهشامي.

ألـم تعلمـي يـا لَيْـلَ أنّـيَ ليّـنٌ هَضـومٌ وأنّـي عَنْبَسٌ حيـن أغضـبُ[(٦)]

/ وأنـي متـى أُنفـقْ مـن المـال طـارِفـاً فـإنـيَ أرجـو أن يَثُـوبَ المثـوّب[(٧)] ٣٩/١٣

---

(١) تفرّعت: علت. وفي ب، س، ج: «تقرّعت» والتصويب عن ط، مط. الحواري: الناصر أو ناصر الأنبياء: وهو هنا الزبير بن العوّام، قال ﷺ: «المزبير ابن عمتي وحواريّ من أمتي» أي خاصتي من أصحابي وناصري، وقال أيضاً: «إن لكل نبي حوارياً، وحواريّ الزبير بن العوّام».

(٢) أوّل من قال هذا المثل ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وكان له ابنان يقال لأحدهما: سعد وللآخر سعيد، فنفرت إبل لضبة تحت الليل، فوجه ابنيه في طلبها، فتفرّقا؛ فوجدها سعد فردّها، ومضى سعيد في طلبها، فلقيه الحرث بن كعب، وكان على الغلام بردان، فسأله الحرث إياهما، فأبى عليه، فقتله وأخذ برديه، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال: أسعد أم سعيد؟ فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حج، فوافى عكاظ، فلقي بها الحرث بن كعب، ورأى عليه بردي ابنه سعيد فعرفهما، فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إياهما فأبى عليّ فقتلته وأخذت برديه هذين، فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، فقال: فأعطنيه أنظر إليه فإني أظنه صارماً، فأعطاه الحرث سيفه، فلما أخذه هزه وقال: الحديث ذو شجون أي ذو طرق جمع شجن كشمس ثم ضربه به حتى قتله، فقيل له: يا ضبة، أفي الشهر الحرام! فقال: سبق السيف العذل، أي اللوم.

(٣) هوّل عليه: أفزعه.

(٤) الصرم: القطيعة. واهن: ضعيف. منقضب: متقطع.

(٥) في ب، س، جـ «العهدي»؛ وقد أخذنا برواية ط، مط.

(٦) الهضوم: المنفق لماله. والعنبس: الأسد.

(٧) الطارف: المستحدث. ثاب وثوّب: رجع.

أأن تلِفَ المالُ التِّلادُ بحقِّه ... تَشَمَّسُ ليلَى عن كلامي وتَقْطِب[1]

[١٤/٢٣٥] / عشيةَ قالت والركابُ مُناخةٌ ... بأكوارِها مشدودةً: أين تذهب؟[2]

أفي كل مصرٍ نازحٍ لك حاجةٌ ... كذلك ما أمرُ الفتى المتشعِّبُ[3]

فوالله ما زالت تُلَبِّثُ ناقتي ... وتقسم حتى كادت الشمسُ تغربُ[4]

دعينيَ ما للموت عنيَ دافعٌ ... ولا للذي ولَّى من العيش مَطْلَب

إليك عبيدَ الله تَهوي ركابُنا ... تَعَسَّفُ مجهولَ الفلاة وتدأبُ[5]

وقد ضمرتْ حتى كأنَّ عيونَها ... نِطافُ فَلاةٍ ماؤها متصبِّب[6]

فقلت لها: لا تشتكي الأينَ إنه ... أمامك قَرْمٌ من أمية مُصْعَب[7]

إذا ذَكروا فضلَ أمرىء كان قبلَه ... ففضلُ عبيدِ الله أثْرى وأطيبُ[8]

وأنك لو يُشفيَ بك القَرْحُ لم يعُد ... وأنت على الأعداء نابٌ ومِخلبُ[9]

تصافى عبيدُ الله والمجدُ صفوةَ الـ ... ـحليفين ما أرسَى ثَبيرٌ ويَثْرِبُ[10]

وأنت إلى الخيرات أوّل سابقٍ ... فأبشِر، فقد أدركتَ ما كنتَ تطلب

[١٤/٢٣٦] / أعِنّي بسَجْلٍ من سِجالك نافعٍ ... ففي كل يوم قد سَرَى لك مِحلب[11]

فإنك لو إيّاي تطلب حاجةً ... جرى لك أهلٌ في المقال ومَرْحَبُ[12]

قال: فقال له عُبيدُالله ـ وقد ضحك من هذا البيت الأخير ـ: فإني لا أطلب إليك حاجة، كم السَّجل الذي يُرويك؟ قال: نوالُك أيها الأمير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

شعره في صديقه

(١) التلاد: المال القديم. تشمس: تتشمس، أي تنفر وتعرض، من شمس الفرس، أي شرد، ومنه المتشمس، وهو الشديد القوي الذي يمنع ما وراء ظهره؛ والبخيل الذي لا ينال منه خير. قطب كضرب: زوى ما بين عينيه وعبس وكلح.

(٢) الأكوار: جمع كور بالضم، وهو الرحل بأداته.

(٣) نازح: بعيد. المتشعب: المتفرق. و «ما» زائدة.

(٤) في جـ «وأقسم».

(٥) هوي كرمي: أسرع في السير. تعسف، أي تتعسف؛ تعسف الطريق: سار فيه على غير هداية. والفلاة: الصحراء. تدأب: تجدّ وتتعب.

(٦) نطاف: جمع نطفة بالضم، وهي الماء الصافي قل أو كثر.

(٧) الأين: الإعياء. القرم من الرجال: السيد المعظم، وأصله الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة. ورجل مصعب: مسوّد، وأصله بمعنى القرم، أي الفحل الذي لم يمسسه حبل ولم يركب.

(٨) أثرى: أفعل، من الثروة، أي أكثر.

(٩) القرح بالفتح وبضم: عض السلاح ونحوه مما يخرج بالبدن، أو بالفتح: الآثار، وبالضم: الألم؛ أراد به ما ينوبه من صروف الدهر.

(١٠) رسا وأرسى: ثبت. ثبير: جبل بظاهر مكة. يثرب: مدينة الرسول ﷺ.

(١١) السجل: الدلو العظيمة مملوءة.

(١٢) لو إياي، أي لو إياي تقصد، جرى لك... أي لقلت لك أهلاً وسهلاً ومرحبا. وقوله: «المقال»، ساقط من مط.

قال ابن الأعرابي: كان نُعَيم بنُ دُجانة بنِ شَدّاد بن حُذَيفة بن بكر بن قيس بن مُنقِذ بن طَرِيف صديقاً لعُبيد الله بن الزُّبير، ثم تغيّر عليه، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك:

ألا طــرقــتْ رُوَيمــةُ بعــد هَــدْءٍ ... تَخَطّــى هــولَ أنمــارٍ وأُســدِ[1]

تجُــوس رحــالنــا حتــى أتتنــا ... طُــروقــاً بيــن أعــرابٍ وجُنــد[2]

فقــالــت: مــا فعلــتَ أبــا كثيــرٍ ... أصــحَّ الــودُّ أم أخلفــتَ عهــدي؟

كــأنّ المســك ضــمّ علــى الخُــزامَــى ... إلــى أحشــائها وقضيــبَ رَنْــد[3]

ألا مَــن مُبْلِــغ عنــي نُعيمــاً ... فســوف[4] يجــرّبُ الإخــوانَ بعــدي

رأيتــك كــالشمــوس تُــرى قــريبــاً ... وتمنــع مســحَ نــاصيــةٍ وخَــدّ

/ فــإنــي إن أقَــعْ بــك لا أهلِّــلْ ... كــوقــع السيــف ذي الأثْــر الفِــرِنــدِ[5] [١٤/٢٣٧]

فــأَولَــى ثــم أولَــى ثــم أولَــى ... فهــل للــدَّرِّ يُحْلَــب مــن مَــرَدِّ؟[6]

رثاؤه لصديقه

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعي قال: حدّثني عيسى بنُ إسمعيل تِينة، وأخبرني عمي قال: حدّثنا الكُراني قال: حدّثني عيسى بن إسمعيل عن المدائني عن خالد بنِ سعيد عن أبيه قال: كان عبد الله بن الزُّبير صديقاً لعمرو بن الزُّبير بن العوّام، فلما أقامه أخوه[7] ليُقتصّ[8] منه بالغ كل ذي حِقد عليه في ذلك، وتدسّس فيه من يتقرّب إلى أخيه، وكان أخوه / لا يسأل من ادّعى عليه شيئاً بيّنةً، ولا يطالبه بحجّة، وإنما يقبل قوله ثم يُدخله إليه السجنَ ليقتص ٤٠/١٣ منه، فكانوا يضربونه والقَيْحُ ينتضِح من ظهره وأكتافِه على الأرض لشدّة ما يمرّ به، ثم يُضرَب وهو على تلك الحال، ثم أُمر بأن يُرسَل عليه الجِعْلان[9]، فكانت تدِبّ عليه فتثقُب لحمه، ـ وهو مقيد مغلول[10] ـ يستغيث فلا يغاث، حتى مات على تلك الحال، فدخل الموكَّل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدحُ لبن يريد أن يتسحّر به وهو يبكي فقال له: مالك؟ أمات عمرو؟ قال: نعم، قال: أبعده الله، وشرب اللبن، ثم قال: لا تُغسّلوه ولا تكفّنوه، وادفنوه في مقابر المشركين، فدفن فيها، فقال ابن الزَّبير الأسدي يرثيه ويؤنّب أخاه بفعله، وكان له صديقاً وخِلاً ونديماً:

/ أيــا راكبــاً إمّــا عَــرَضْــتَ فبلِّغَــنْ ... كبيــرَ بنــي العــوّام إن قيــل مَــن تَعنِــي[11] [١٤/٢٣٨]

(١) الهدء: أول الليل إلى ثلثه. تخطى: أصله تتخطى. أنمار وأسد أي رجال شجعان كالأنمار والأسود.

(٢) أتانا طروقاً: إذا جاء بليل.

(٣) الخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار نفحة. الرند: شجر طيب الرائحة.

(٤) في جـ: «فكيف».

(٥) هلل عن الأمر: فزع وجبن وولى عنه ونكص، والأثر بالفتح والكسر. فرند السيف، وهو جوهره وماؤه الذي يجري فيه وطرائقه.

(٦) الدر: اللبن، وفي جـ وب وس «يجلب» وهو تصحيف.

(٧) أي عبد الله بن الزبير.

(٨) في جـ وب. س «اليقبض» وهو تصحيف.

(٩) الجعلان: جمع جعل كعمر، وهو دويبة سوداء أكبر من الخنفساء.

(١٠) مغلول: مقيد بالغل وهو القيد.

(١١) عرضت: أتيت العروض (بفتح العين) وهي مكة والمدينة. تعني: تقصد. وفي ب وس: «تغني» وهو تصحيف.

ستعلم - إن جالت بك الحربُ جولةً إذا فَوّق الرامون - أسهم مَن تُغْني[١]

فأصبحتِ الأرحامُ حين وَليتها بكفَّيك أكراشاً تُجرُّ على دِمْن[٢]

عقدتمْ لعمرو عُقدةً وغَدرتُمُ بأبيضَ كالمصباح في ليلة الدَّجْن[٣]

وكبَّلتَهُ حَوْلاً يجود بنفسه تَنُوء به في ساقه حِلَقُ اللَّبْنِ[٤]

فما قال عمرو إذ يجود بنفسه لضاربه - حتى قضى نَحبَه -: دعْني[٥]

تحدّثُ مَن لاقيتَ أنك عائذ وصرَّعتَ قتلى بين زمزمَ والرُّكْن[٦]

[٢٣٩/١٤] / جعلتم لضرب الظَّهر منه عِصِيَّكم تُراوِحُه، والأَصْبحيَّةُ للبطن[٧]

تُعذِّر منه الآن لمَّا قتلتَه تَفاوُتَ أرجاءِ القليبِ من الشَّطْن[٨]

فلم أر وَفْداً كان للغدر عاقدا كوفدكَ شدُّوا غيرَ مُوفٍ ولا مُسْني[٩]

وكنتُ كذاتِ الفِسق لم تدرِ ما حَوَتْ تَخَيَّرُ حالَيْها أتسرق أم تزني[١٠]

جزى الله عني خالداً شرَّ ما جَزَى وعُروةَ شرًّا، مِن خليلٍ، ومن خِدن[١١]

قتلتم أخاكم بالسِّياط سفاهةً فيا لَكَ لِلرأي المضلِّل والأَفْن[١٢]

فلو أنكمْ أجهَزتُم إذ قتلتُمُ ولكنْ قَتلتمْ بالسِّياط وبالسِّجْن

---

(١) الفوق بالضم: موضع الوتر من السهم؛ وفوّق السهم: جعل له فوقاً. تغني: تنفع، يقال: ما يغني عنك هذا: ما يجزىء عنك، وما ينفعك، وفي جـ وب «تعني» بالعين وهو صحيح، جاء في «اللسان»: «قال أبو تراب: يقال: ما أعني شيئاً وما أغني شيئاً بمعنى واحد، وفي «المصباح المنير»: «وحكى الأزهري ما أغنى فلان شيئاً بالغين والعين أي لم ينفع في مهم ولم يكف مؤنة». وأسهم: مبتدأ ومن: اسم استفهام مضاف إليه، وجملة تغني خبره.

(٢) أكراش: جمع كرش كحمل وكتف. والدمن: السرقين المتلبد والبعر.

(٣) الدجن: إلباس الغيم الأرض.

(٤) ناء به الحمل: أثقله وأماله. حلق بفتح الحاء وكسرها: جمع حلقة بسكون اللام وفتحها. «اللبن» بالفتح: الضرب الشديد، وفي «معاهد التنصيص» «البين» وهو الفراق.

(٥) قضى نحبه: مات، وأصله الوفاء بالنذر.

(٦) كان عبد الله بن الزبير يدعى «العائذ» لأنه عاذ بالبيت الحرام، ففي ذلك يقول ابن قيس الرقيات بذكر مصعباً:

بلد تأمن الحمامة فيه حيث عاذ الخليفة المظلوم

«الكامل» للمبرد ٢: ٥٩٧ طبع أوربا.

(٧) تراوحه: تتعاقب عليه. والأصبحيّ: السوط، نسبة إلى ذي أصبح ملك من ملوك حمير.

(٨) المعذر: الذي يتكلف العذر وهو لا عذر له. تفاوت الشيئان: تباعد ما بينهما. والأرجاء: النواحي. والقليب: البئر. الشطن كسبب: الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به، وسكنت الطاء. هنا للشعر.

(٩) في جـ وب وس «موق» وهو تحريف، وصوابه عن ط: أي غير موفين، أفرد موف مراعاة للفظ «وفد». وأسناه: رفعه.

(١٠) ما حوت: أي من المكاسب والمنافع، وفي ط، مط: «ما حلت» ولعله «ما جنت».

(١١) الخدن: الصديق. وخالد وعروة: أخوا عبد الله بن الزبير، وقد استعمل عبد الله أخاه خالداً على اليمن، وكان عروة من كبار فقهاء المدينة، وكان عمرو قد خالف أخاه عبد الله فقاتله، ثم أتاه في جوار عبيدة أخيه، قال له عبيدة: امض معي إليه وأنت في جواري، فإن آمنك وإلا رددتك إلى مأمنك، فذهب معه فلم يجز عبد الله أمانه، واقتص منه حتى مات. انظر «المعارف» لابن قتيبة ص ١١٣ طبع أروبة.

(١٢) الأفن ويحرك: ضعف العقل والرأي.

وإنــي لأرجــو أن أرى فيــك مــا تــرى ... بــه مــن عِقــاب الله مــا دونــه يُغنــي[١]

قطعــتَ مــن الأرحــام مــا كــان واشِجــاً ... على الشَّيب، وأبتعتَ المخافةَ بالأمن[٢]

/ وأصبحــتَ تَسعَــى قــاسِطــاً بكتيبــةٍ ... تهــدِّمُ مــا حــول الحَطِيـم ولا تبنـي[٣] [١٤/٢٤٠]

فــلا تجــزِ عَــنْ مــن سُنَّــةٍ قــد سَنَنْتَهَــا ... فمــا للــدمــاء الــدهــرَ تُهْــرَق مِــن حَقْــن

رثاؤه يعقوب بن طلحة

أخبرني عمّي قال: حدّثني الخرّاز عن المدائني قال: قتل يعقوب بن طلحة يوم الحَرّة[٤]، وكان يعقوب ابن خالة يزيد [ابن معاوية][٥] فقال يزيد: يا عجباً قاتلني كل أحد حتى أبن خالتي! قال: وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكَرَوَّس، فقال أبن الزَّبير الأسَديّ يرثيه:

لعمــرك مــا هــذا بعيــش فيُبْتَغَــى ... هنــيءٍ ولا مــوتٍ يُــريــحُ ســريــع

لعمــري لقــد جــاء الكَــرَوَّسُ كــاظمــاً ... علــى أمــرِ سَــوْءٍ حيــن شــاع فظِيــع

/ نعــى أســرةً يعقــوبُ منهــم فــأقفــرتْ ... منــازلُهــم مــن رُومــةٍ فبَقِيــع[٦] [٤١/١٣]

وكلهــمُ غيــثٌ إذا قُحِــط الــورى ... ويعقــوبُ منهــم لــلأنــام ربيــعُ[٧]

وقال ابن الأعرابي: كان عَلَى ابن الزبير دين لجماعة، فلازَموه ومنعوه التصرّف في حوائجه، وألحّ عليه غريم له من بني نَهْشَل يقال له: ذئب، فقال ابن الزَّبير:

/ أحــابِسَ كيــدِ الفيــل عــن بطــن مكــةٍ ... وأنــتَ علــى مــا شئــتَ جــمُّ الفــواضــلِ[٨] [١٤/٢٤١]

أرِحْنــي مــن الــلائــي إذا حَــلّ علــى دَيْنُهــم ... يمشُّــون فــي الــدارات مشــيَ الأرامــل[٩]

إذا دخلــوا قــالــوا: الســلام عليكــم ... وغيــر الســلام بــالســلام يُحــاوَلُ[١٠]

---

(١) ما دونه يغني، أي ما قليله يجزىء ويكفي في الانتقام منك.

(٢) واشجاً: متداخلاً متشابكاً.

(٣) قاسطاً: ظالماً جائراً. الحطيم: حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام.

(٤) كان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد بن معاوية وخلعوه وحصروا من كان بها من بني أمية وأخافوهم، فوجه إليهم يزيد مسلم بن عقبة المري في جيش، فقمع فتنتهم، وأخمد ثورتهم، وكانت هذه الوقعة تسمى «وقعة الحرة»؛ لأن مسلماً حاصر المدينة من جهة الحرة ـ موضع بظاهر المدينة ـ وكانت في ذي الحجة سنة ٦٣ هـ.

(٥) عن ط.

(٦) رومة: أرض بالمدينة فيها بئر رومة التي ابتاعها عثمان رضي الله عنه وتصدق بها، وفي الأصول «دومة» وهو تحريف. والبقيع: مقبرة أهل المدينة.

(٧) في هذا البيت إقواء.

(٨) كيد الفيل: أي كيد أصحاب الفيل، يشير إلى وقعة الفيل، وما كان من أبرهة الأشرم ملك اليمن حين خرج بجيشه إلى مكة على الأفيال ليهدم الكعبة فجعل الله كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل... والفواضل: الأيادي الجسيمة.

(٩) هذا البيت شاهد على استعمال اللائي بمعنى الذين، كقول الشاعر:

فمــا آبــاؤنــا بــأمــنَّ منــه ... علينــا الــلاء قــد مهــدوا الحجــورا

وهو قليل، قال ابن مالك «واللاء كالذين نزرا وقعا». والدارة: العرصة وهي ساحة الدار.

(١٠) أي يبغي من وراء التحية مأرباً له. وفي هذا البيت وتاليه إقواء.

أَلِيـنُ إذا اشتـدَّ الغـريـم وألتـوي ... إذا استدَّ حتى يُدركَ الديـنَ قـابلُ(١)
عـرضـت علـى «زَيْـد» ليأخـذ بعض مـا ... يحـاولـه قبـل اشتغـال الشـواغـل(٢)
تشـاءب حتـى قلـتُ: داسِـع نفسِـه ... وأخـرجَ أنيـابـاً لـه كـالمَعـاوِل(٣)

دخوله المدينة مع عبد الرحمن بن الحكم

وقال ابن الأعرابيّ: استجار ابن الزَّبير بمروانَ بنِ الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم، فأجاراه وقاما بأمره، ودخل مع مروان إلى المدينة، وقال في ذلك:

[١٤/٢٤٢] / أجِـدِّي إلـى مَـرْوانَ عَـدْواً فَقَلِّصـي ... وإلاّ فـرُوحـي واغتـدِي لابـن عـامـرِ(٤)
إلـى نفـرٍ حـولَ النبـيِّ بيـوتُهـم ... مكـاريـمُ للعـافـي رِقـاقُ المـآزر(٥)
لهـمْ سـورة فـي المجـد قـد عُلِمـتْ لهـم ... تُـذَبـذِبُ بـاعَ المتعَـب المتقـاصِـر(٦)
لهـم عـامِـر البَطْحـاء مـن بطـن مكّـة ... ورُومـة تسقـي بـالجمـال القيـاسِـر(٧)

حبسه زفر فقال شعراً

وقال ابن الأعرابي: عرض قوم من أهل المَدْراء(٨) لابن الزَّبير الأسديّ في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقَرْقِيسِياء(٩)، فاستعدَوا(١٠) عليه زُفَرَ بن الحارث الكِلابيّ(١١) وقالوا: إنه أُمَوِي الهوى، وكانت قيس يومئذٍ زُبَيْرية، وقَرْقيسِياء وما والاها في يد ابن الزبير، فحبسه زفر أياماً وقيّده، وكان معه رفيق من بني أميّة يقال له: / أبو [١٤/٢٤٣] الحَذْراء، فرحل وتركه في حبسه أياماً، ثم تكلّمتْ فيه جماعة من مُضَر، فأُطلق، فقال في ذلك:

---

(١) الغريم: الدائن. وفي الأصول «وألتوي إذا اشتد» وهو تصحيف، إذ أنه ليس بمستساغ أن يذكر كلمة «اشتد» مرتين في بيت واحد، والصواب «وألتوي إذا استد» واستد: استقام، وهو المقابل لكلمة «ألتوي». قابل: أي العام القابل. وفي الأصول: «قائل».

(٢) كذا في الأصول ولعله يريد «ذئباً» المشار إليه قبل في قوله «يقال له ذئب».

(٣) داسع: فاعل من الدسع؛ وهو الدفع، دسعه كدفعه وزناً ومعنى، ودسع البعير بجرته: دفعها حتى أخرجها من جوفه إلى فيه وأفاضها.

(٤) أجدّ السير: أسرع فيه. وقلصت الناقة: شمرت واستمرت في مضيها.

(٥) مكاريم: جمع مكرم، علي جد قوله تعالى: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾. العافي: كل طالب فضل أو رزق، والمآزر: جمع مئزر بالكسر: وهو الملحفة، ورقاق المآزر كناية عن النعيم والترف.

(٦) السورة من المجد: أثره وعلامته وارتفاعه. ذبذبه: حرّكه، فتذبذب؛ تحرك واضطرب. المتقاصر: المقصر العاجز.

(٧) البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. وفي الأصول «ردمة» وهو تحريف. والقيسريّ من الإبل: الضخم الشديد القويّ، وجمعه: قياسر وقياسرة.

(٨) أهل المدراء: أهل الحضر.

(٩) بلد على الفرات.

(١٠) استعداه عليه: استنصره.

(١١) ما مات معاوية بن يزيد اختلف الناس بالشام، فكان أول من خالف من أمراء الأجناد النعمان بن بشير الأنصاري وكان على حمص فدعا لابن الزبير، فبلغ خبره زفر بن الحرث الكلابي فدعا إلى ابن الزبير أيضاً. . . . . ودعا مروان بن الحكم إلى نفسه، ثم التقى الزبيريون، وعليهم الضحاك بن قيس الفهدي في مرج راهط بغوطة دمشق، فقتل الضحاك وانهزم جيشه، واستقام الأمر لمروان، وفر يومئذٍ زفر، وفي ذلك يقول:

فلـم تـر منـي زلة قبل هذه ... فـراري وتـركـي صـاحبـي مـن ورائيـا

أغـادٍ أبــو الحَــذْراء أم متــروِّحُ؟ كـذاك النَّـوى ممّـا تُجِـدّ وتَمـزحُ[1]

لعمـري لقـد كـانـت بـلادٌ عـريضـةٌ لـي الـرَّوْحُ فيهـا عنـك والمتسـرَّح[2]

ولكنّـه يـدنـو البغيـضُ ويبعـد الـ ـحبيـبُ وينـأى فـي المَـزارِ وينـزَح[3]

ألا ليـت شعـري هـل أتـى أمَّ واصـلٍ كُبُـولٌ أعَضُّـوهـا بسـاقَـيَّ تَجْـرَح[4]

إذا مـا صـرفـتُ الكعـبَ صـاحـت كـأنهـا صـريـفُ خَطـاطيـفٍ بـدَلـويـن تَمتَـح[5]

تُبَغِّـي أبـاهـا فـي الـرفـاق وتنثنـي وألْـوَى بـه فـي لُجَّـةِ البحـرِ تمْسَـح[6]

أمـرتحِـلٌ وفـدُ العـراق وغُـودِرت تحِـنُّ بـأبـواب المـدينـة صَيْـدَحُ[7]

فـإنـكِ لا تـدريـن فيمـا أصـابنـي أَريثُـك أم تعجيـلُ سَيـرِكِ أنجَـحُ[8]

أظَـنَّ أبـو الحـدراء سَجنـي تجـارةً تـرجَّـى ومـا كـل التجـارة تُـربِـحُ!

خبره مع الحجاج

أخبرني محمد بنُ عمرانَ الصَّيرفيُّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال: حدّثني محمد بن معاوية / الأسديّ [٤٢/١٣] قال: لما قدم الحجّاج الكوفةَ والياً عليها صعِد المنبرَ، فخطبَهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوىء الأخلاق، إن الشيطان / قد باض وفرّخ في صدوركم، ودبّ ودرَج في حُجوركم، فأنتم له دِين، وهو [١٤/ ٢٤٤] لكم قرين، ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ ثم حثّهم على اللَّحاق بالمهلَّب[9] بن أبي صُفرة، وأقسم ألاّ يجدَ منهم أحداً أسمُه في جريدة المهلّب بعد ثالثة بالكوفة إلاّ قتله، فجاء عُمَير بن ضابىء البُرْجُمي فقال: أيّها الأمير، إني شيخ لا فضل فيَّ، ولي آبنٌ شابٌّ جَلْد، فاقبله بدلاً منّي، فقال له عَنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الأمير، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول، فرفَسه وكسرَ ضِلْعين من أضلاعه، وهو يقول:

* أين تركتَ ضابئاً يا نَعْثَلُ[10] *

---

(١) تروح: سار في الرواح، وهو العشيّ.

(٢) الروح: الراحة. والمتسرح: انفراج الضيق والغم.

(٣) نزح كمنع وضرب: بعد.

(٤) كبول: جمع كبل بالفتح والكسر، وهو القيد الضخم.

(٥) صرفت: رددت، أي حركت. صاحت أي صوّتت الكبول. صرفت البكرة صريفاً. صوّتت عند الاستقاء. والخطاطيف: جمع خطاف كرمان، وهو حديدة حجناء في جانبي البكرة فيها المحور. متح الماء كمنع: نزعه.

(٦) ألوى به: ذهب به. التمسح: التمساح.

(٧) صيدح: اسم ناقة ذي الرمة، وفيها يقول: «فقلت لصيدح انتجعي بلالاً» والظاهر أنه اسم ناقته هو أيضاً.

(٨) الريث: الإبطاء.

(٩) وكان على قتال الخوارج الأزارقة، وذلك أن الخوارج كانوا قد مضوا إلى مكة سنة ٦٤ هـ ليمنعوا الحرم من جيش يزيد، وناصروا ابن الزبير وقاتلوا معه، ثم ناظروه فلم يرقهم ما سمعوا منه، فتفرقوا عنه، وصارت طائفة كبيرة منهم إلى البصرة، وبايعوا نافع بن الأزرق الحنفي، وسموه أمير المؤمنين، وخرج بهم إلى الأهواز ـ وهي كورة كبيرة في الجنوب الغربي من فارس ـ فغلبوا عليها وعلى ما وراءها من أرض فارس وكرمان، ونسبوا إليه فقيل لهم: الأزارقة.

(١٠) كان من قصة عمير بن ضابىء أن أباه ضابىء بن الحرث البرجمي استعار من قوم من الأنصار كلباً يدعى قرحان يصيد الظباء، فأعاروه إياه، ثم طلبوه منه، فحبسه عنهم، فنافره الأنصاريون واستعانوا عليه بقومه، فكاثروه، فانتزعوه منه وردوه على الأنصار، وكان =

[٢٤٥/١٤] / فقال له الحجّاج: فهلاّ يومئذٍ بعثتَ بديلاً، يا حَرَسيّ[١]! اضربْ عنقه، وسمع الحجّاج ضَوْضاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذه البراجم جاءت لتنصر[٢] عميراً فيما ذكَرَت، فقال: أتحفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولَّوا هاربين، فازدحم الناسُ على الجِسر للعُبور إلى المهلّب حتى غرق بعضُهم[٣]، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ:

أقـــول لإبـــراهيـــمَ لمّـــا لقيتُـــه ... أرى الأمـــر أمســـى واهيـــاً متشعبَـــا[٤]

تخيـــرْ فـــإمـــا أن تـــزور ابـــنَ ضـــابـــىءٍ ... عميـــراً وإمّـــا أن تـــزور المهلَّبـــا

همـــا خُطَّتـــا خَسْـــفٍ نَجاؤك منهمـــا ... ركـــوبُـــك حَـــوْليّـــا مـــن الثلـــج أشهبـــا[٥]

[٢٤٦/١٤] / فـــأَضْحَـــى ولـــو كـــانـــت خُـــراســـانُ دونَـــه ... رآهـــا مكـــان الشُّـــوقِ أو هـــي أقـــربـــا[٦]

= فحاشاً، فهجاهم ورمى أمهم به، فقال من أبيات:

وأمكـــم لا تـــتـــركـــوهـــا وكـلبكـــم ... فـــإن عقـــوق الـــوالـــدات كبيـــر

فاستعدوا عليه عثمان، فأرسل إليه فعزره وحبسه، فاضطغن على عثمان لما فعل به، فلما دعي به ليؤدب شد سكيناً في ساقه ليقتل بها عثمان، فعثر عليه فأحسن أدبه، وما زال في الحبس حتى مات فيه، وقد قال في ذلك أبياتاً منها:

هممـــت ولـــم أفعـــل وكـــدت وليتنـــي ... تـــركـــت علـــى عثمـــان تبكـــي حـــلائلـــه

انظر «تاريخ الطبري» ٥: ١٣٧ و «الكامل» للمبرد ١: ١٨٥.

ونعثل: رجلٍ من أهل مصر كان طويل اللحية، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شبه بهذا الرجل لطول لحيته، فكان أعداؤه وشاتموه يسمونه نعثلاً لذلك، وفي حديث عائشة: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً تعني عثمان، وكان هذا منها لما غاضبته وذهبت إلى مكة.

(١) الحرسيّ: واحد حرس السلطان وهم الحرّاس.

(٢) في الأصول ما عدا ط، «التبصر»؛ وهو تصحيف.

(٣) وفي «الكامل» ١: ١٨٣ «فقال الحجاج: ردوه، فلما رد قال له: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلاً يوم الدار! إن في قتلك أيها الشيخ لصلاحاً للمسلمين، يا حرسي اضربن عنقه، فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده» وفي «الكامل» أيضاً ٢: ٢١٣ «ثم جلس لتوجيه الناس فقال: قد أجلتكم ثلاثاً» وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتله، ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما عصياً، فجاءه عمير بن ضابىء البرجمي بابنه فقال: أصلح الله الأمير، إن هذا أنفع لكم مني، وأشدّ بني تميم أيداً، وأجمعهم سلاحاً، وأربطهم جأشاً، وأنا شيخ كبير عليل، واستشهد جلساءه، فقال الحجاج: إن عذرك لواضح، وإن ضعفك لبين، ولكني أكره أن يجترىء بك الناس عليّ، وبعد فأنت ابن ضابىء صاحب عثمان، ثم أمر به فقتل، فاحتمل الناس، وإن أحدهم لينبع بزاده وسلاحه» الخ.

(٤) يخاطب إبراهيم بن عامر الأسدي أحد بني غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وكان قد لقى ابن الزبير في السوق فسأله عن الخبر، فقال ابن الزبير هذه الأبيات.

وفي رواية «الكامل» ٢: ٦٨٦.

«أقـــول لعبـــد اللَّـــه يـــوم لقيتـــه ... أرى الأمـــر أمســـى منصبـــاً متشعبـــاً»

أنصبه الأمر: أعياه وأتعبه.

(٥) الخسف: الذل. الحولي: ما أتى عليه حول. أشهب: أشد شهبة، والشهبة: بياض يصدعه سواد في خلاله. والثلج شف ولكنه عند تراكمه يرى خلاله ظل من السواد، واستعماله أفعل التفضيل من اللون شاهد على جوازه عند الكوفيين، وعليه درج المتنبي في قوله يخاطب الشيب:

ابعـــد بعـــدت بيـــاضـــاً لا بيـــاض لـــه ... لأنـــت أســـود فـــي عينـــي مـــن الظلـــم

(٦) جاء في تعليق الأخفش على «الكامل» ١: ١٨٣: «دونه: الهاء عائدة على المهلب» فمعناه: فأضحى ولو كانت خراسان قريبة من موضع غزوه، وجاء في «تفسير المبرد» لهذا البيت في «الكامل» ١: ١٨٥ «وقوله: فأضحى ولو كانت خراسان دونه: يعني دون السفر رآها مكان السوق للخوف والطاعة» فمعنى دون السفر: قريبة من موضع سفره، قال المرصفي في «رغبة الآمل» ٤: ٩٠ «وقد سلف عن الأخفش أن الهاء من دونه عائدة على المهلب، وهو أجود. مكان السوق: يريد سوق حكمة (كرقبة) وهو موضع بنواحي الكوفة، نسبت إلى حكمة بن حذيفة بن بدر. أو هي أقربا: أو بمعنى بل، وأقرب ظرف متعلق بخبر هي، وقيل: مفعول ثان، وهي توكيد للأول، أي رآها مكان السوق أو رآها هي أقرب.

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني علي بن عَثّام الكلابيّ قال: دخل عبدُ الله بنُ الزَّبير الأسديُّ على مصعب بن الزُّبير بالكوفة لمّا وَلِيَها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلمْ يأذن له، وقال له: ألم تُسقِط السماء علينا وتمنعُنا قَطْرها في مديحك لأسماءَ بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر: أنشِدْها، فأنشَدَه:

إذا مـات أبـنُ خـارجـةَ بـن حِصـنٍ ... فـلا مَطَـرتْ علـى الأرض السمـاءُ

ولا رجـعَ الـوُفـود بغُنـم جيـشٍ ... ولا حَملـتْ علـى الطُّهـر النسـاءُ

ليَـوم منـك خيـرٌ مـن أُنـاسٍ ... كثيـرٍ حَـولَهـم نَعَـمٌ وَشـاء

فبُـورِكَ فـي بنيـك وفـي أبيهـمْ ... إذا ذُكـروا ونحـن لـك الفـداء

فالتفت إليه مصعب وقال له: اِذهب إلى أسماء، فمالك عندنا شيء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوّضه حتى أرضاه، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك، وخُصّ به، وسمع مديحَه، وأحسن عليه ثوابَه.

مدحه لبشر بن مروان

قال ابن الأعرابي: لما ولي بشر بن مروانَ الكوفةَ أدنى عبدَ الله بنَ الزَّبير الأسديّ وبرّه وخصّه بأنسه، لعلمه بهواه في بني أميّة، فقال يمدحه:

/ ألـمْ تَـرَنـي[1] والحمـد لله أننـي ... بـرئـت وداوانـي بمعـروفـه بِشـرُ [١٤/٢٤٧]

رعـى مـا رعـى مـروانُ مِنّـيَ قَبلَـه ... فصحّـت[2] لـه منـي النصيحـةُ والشكـر

ففـي كـلّ عـام عـاشَـه الـدهـرَ صـالحـاً ... علـيّ لـربّ العـالَميـن لـه[3] نَـذْرُ

إذا مـا أبـو مـروان خَلَّـى مكـانَـه ... فـلا تَهنـأ الـدنيـا ولا يُـرسَـل القطـرُ

/ ولا يَهنِـيء النـاسَ الـولادةُ بينهـم ... ولا يَبـقَ فـوق الأرض مـن أهلهـا شَفْـر[4] ٤٣/١٣

فليـس البُحـور بـالتـي تخبـرونـنـي ... ولكـن أبـو مـروان بشـرٌ هـو البحـرُ

وقال فيه أيضاً فذكر أمّه قُطْبة بنت بشر بن مالكِ مُلاعب الأسنّة:

جـاءت بـه عُجُـزٌ مقـابَلَـةٌ ... مـا هـن مِـن جَـرْم ومـن عُكَـلِ[5]

يـا بشـرُ يـابْـن الجعفـريّـة مـا ... خَلَـق الإلـهُ يـديْـك للبُخـل

(١) رواية ط، مط «ألم تريا».

(٢) في ط، مط «فحقت».

(٣) في ط، مط «به».

(٤) في جـ وب «فوق الدهر» وفي ب «سفر» وفي س «ولم يبق» وهو تحريف يقال: هنأني الأمر وهنأ لي يهنأ ويهنيء ويهنؤ: سرني، شفر: أحد، يقال: ما بالدار شفر بالفتح والضم: أي أحد.

(٥) عجز: جمع عجوز. المقابل: الكريم النسب من كلا طرفيه أبيه وأمه. جرم: بطنان من عرب اليمن، بطن في قضاعة وهي بنو جرم بن زبان (كشدّاد) وبطن في طيىء وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طيىء، وعكل: قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غباوة ويستحمق: عكليّ.

أنـت ابـن سـادات لأجمَعِهِـم ... وفـي بطـن مكّـةَ عـزّةُ الأصـل

بحـر مـن الأعيـاص جُـذن بـه ... فـي مغـرِسٍ للجُـود والفضـل[1]

متهلـلٌ تَنْـدَى يَـداه إذا ... ضَـنَّ السحـاب بـوابـلٍ سَجْـل[2]

[٢٤٨/١٤] / **خروجه مع الحجاج**

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثنا العمري، عن الهيثم [ابن عديّ][3] عن عبد الله بن عيّاش قال: أخبرني مشيخةٌ من بني أسد أن ابن الزَّبير الأسديّ لمّا قفل من قتال الأزارقة صُوِّب[4] بعثٌ إلى الرَّي، قال: فكنتُ فيه، وخرج الحجّاج إلى القنطرة يعني قنطرةَ الكوفة التي بُزبارَةَ[5] ليَعرِض الجيشَ، فعرضهم، وجعل يسأل عن رجلٍ رجلٍ من هو؟ فمر به ابنُ الزَّبير، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال أنت الذي تقول:

تَخيّـرْ فـإمـا أن تـزور ابـنَ ضـابـىءٍ ... عُمَيـراً، وإمـا أن تـزور المهلّبـا

قال: بلى، أنا الذي أقول:

ألـم تـر أنّـي قـد أخـذتُ جَعِيلـةً ... وكنـتُ كمَـن قـاد الجَنيـبَ فـأسمَحـا[6]

فقال له الحجّاج: ذلك خير لك، فقال:

وأوقَـدْتِ الأعـداء يـا مَـيَّ فـاْعلَمـي ... بكـلّ شَـرًى نـاراً فلَـمْ أرَ مَجْمَحـا[7]

[٢٤٩/١٤] / فقال له الحجّاج: قد كان بعض ذلك، فقال:

ولا يَعـدَم الـدّاعـي إلـى الخيـر تـابعـاً ... ولا يَعـدَم الداعـي إلـى الشرّ مَجْـدَحـا[8]

فقال له الحجّاج: إن ذلك كذلك، فامض إلى بَعْثِك، فمضى إلى بعثه فمات بالري.

(١) الأعياص من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم أربعة: العاص، وأبو العاص والعيص، وأبو العيص؛ وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

(٢) في الأصول عدا ط «كما * ضن» وهو تحريف. تهلل الوجه: تلألأ، بوابل سجل، أي ذي سجل، سجلت الماء سجلاً: صببته صباً متصلاً. وفي ب، ج؛ «يبدي نداه».

(٣) عن ط، مط.

(٤) صوب، أي أرسل، من صويت الفرس: إذا أرسلته في الجري. والري: مدينة بفارس.

(٥) جاء في «معجم البلدان» «زبارا: موضع، أظنه من نواحي الكوفة»؛ وقد ذكر غير مضبوط وفي آخره ألف.

(٦) الجعيلة: ما جعل لك على عملك، وجنبه كنصره: قاده إلى جنبه، فهو جنيب، وفي مط «الحبيب» وهو تصحيف. وأسمحت الدابة: لانت وانقادت بعد استصعاب.

يذكره الحجاج بأنه القائل: تخير... الأبيات أي أنه لا مناص لك من إحدى اثنتين: إما أن تقاتل مع المهلب، وإما أن تقتل كابن ضابىء ـ وفيها يقول:

فمـا إن أرى الحجـاج يغمـد سيفـه ... يـد الـدهـر حتـى يتـرك الطفـل أشيبـا

فيجيبه بقوله أنا الذي أقول... . أي أنني نفذت ما أمرتنا به فأخذت جعيلتي (أي عطائي) وسرت لقتال الأزارقة مع المهلب، وكان الحجاج قد توعدهم في خطبته بقوله: «وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه».

(٧) الشرى: الطريق والناحية. مجمحا يريد مفراً ومهرباً من لقائهم. وفي جـ «مجحا» وهو تحريف.

(٨) جدح السويق وغيره: لته. والمجدح: ما يجدح به، وهو خشبة في رأسها خشبتان معترضتان، والمعنى: لا يعدم محركاً ومجيباً له.

مدح ابن أم الحكم فلم يعطه فهجاه

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمي قال: [لَما][١] وَلِيَ عبدُ الرحمن ابن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزَّبير، فلم يُثِبه، وكان قدم في هيئة رثّة، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبَّر، فقال ابن الزّبير فيه:

تبقّلْــتَ لمــا أن أتيــتَ بــلادكُــمْ وفي مصرنـا أنت الهمام القَلَمّسُ[٢]

ألســتَ ببغــلٍ أمّــه عــربيــة أبـوك حمـار أدبرُ الظهـر يُنخَس[٣]

قال: وكان بنو أمية إذا رأوا عبدَ الرحمن يلقّبونه البغلَ، وغلبتْ عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً، يظنّه يعرّض به.

شعره في مقتل عبد الله بن الزبير

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيُّ عن العُمَري عن العُتْبي قال: لمّا قُتِل عبدُ الله بن الزُّبير صلب الحَجّاج[٤] جسدَه، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وأذِن للناس فدخلوا عليه، فقام عبدُ الله بن الزَّبير الأسدي فاستأذنه في الكلام، فقال له: تكلّم ولا تقل إلاّ خيراً، وتوخّ الحقَّ فيما تقولُه، فأنشأ يقول:

[٢٥٠/١٤]
٤٤
١٣

/ مـشى ابـن الـزبيـر القَهْقَرَى فتقـدمـت أميّــةُ حتّــى أحــرزوا القَصَبــاتِ

وجئـتَ المَجلِّـي يـابـنَ مـروان سـابقـاً أمـامَ قـريـش تنفُـض العُـذُراتِ[٥]

فـلا زلـتَ سبّـاقـاً إلـى كـل غـايـة مـن المجـد نجّـاءً مـن الغَمَـراتِ[٦]

قال: فقال له: أحسنت فسل حاجتك: فقال له: أنت أعلى عيناً بها وأرحَبُ صَدْراً يا أمير المؤمنين؛ فأمر له بعشرين ألفَ درهم وكسوة، ثم قال له: كيف قلت؟ فذهب يعيد هذه الأبيات، فقال: لا، ولكن أبياتك في المُحِلّ[٧] فيّ وفي الحجّاج التي قلتَها: فأنشده:

شعره في المحل وفي الحجاج

كــأنــي بعبــد الله يــركــب رَدْعَــه وفيــه سنــان زاعِبــيٌّ محَــرَّبُ[٨]

(١) عن ط ومط.

(٢) القلمس: البحر، والرجل الخير المعطاء، والسيد العظيم، والرجل الداهية المنكر البعيد الغور. تبقل: خرج يطلب البقل.

(٣) أدبر: وصف من الدبر بالتحريك وهو الجرح الذي يكون في ظهر الدابة.

(٤) في ط ومط: «جسمه».

(٥) في الأصل: «المعلي، وإنما هو «المجلي»: السابق من الخيل. والعذرة: الناصية، وقيل هي الخصلة من الشعر، وعرف الفرس وناصيته.

(٦) الغمرات: جمع غمرة: وهي الشدة، ومن أمثالهم «غمرات ثم ينجلين». وفي ب، س «إلى المجد» وهو تحريف والتصويب عن ط، مط.

(٧) كان عبد الله بن الزبير يدعى المحل، لإحلاله القتال في الحرم، وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير:

ألا مــن القلــب معنــى غــزل بــذكــر المحلــة أخــت المحــل

ـ «الكامل» للمبرد ٢: ٥٩٨ طبع أوروبا.

(٨) يقال للقتيل: ركب ردعه: إذا خر لوجهه على دمه. زاعبي: في ط، جـ، وفي ب «زاغبي» وهو تصحيف، وزاعب بلد أو رجل ومنه الرماح الزاعبية أو هي التي إذا هزت كأن كعوبها يجري بعضها في بعض. وحرب السنان: حدّده.

وقـد فـرّ عنـه الملحِـدون وحلّقـتْ ... بـه وبمـن آسـاه عَنقـاءُ مُغْـرِبِ[1]

تـولّـوا فخلّـوه فشـالَ بِشلـوه ... طـويـل مـن الأجذاع عـارٍ مشـذَّبُ[2]

بكفَّـيْ غـلام مـن ثقيـفٍ نَمَـت بـه ... قـريـش وذو المجـد التليـد مُعتّـبُ

[١٤/٢٥١] / فقال له عبدُ الملك: لا تقل غلام، ولكن هُمام، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛ والله أعلم.

هجاؤه عبد الله بن الزبير

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن مجالد قال: قَتَل ابنُ الزّبير من شيعة بني أميّة قوماً بلغه أنهم يتجسّسون لعبد الملك، فقال فيه عبد الله بنُ الزّبير في ذلك يهجوه ويعيِّره بفعله:

أيهـا العـائـذ فـي مكّـةَ كـمْ ... مـن دمٍ أهـرَقْتَـه فـي غيـر دمْ

أَيـدٌ عـائـذةٌ معـصـمـةٌ ... ويـد تقـتـل مَـن حـلَّ الحَـرَم!

مدحه بشر بن مروان

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه، والكتاب بخط النضرِ بن حديد[3] من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره، قال: دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروانَ وعليه ثياب كان بشرٌ خلعَهَا عليه، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه، فجفاه، فلما وصل إليه وقف بين يديه، وجعل يتأمل مَن حَوالَيه من بني أمية، ويجيل بصرَه فيهم كالمتعجّب من جمالهم وهيئتهم، فقال له بشر، إن نظرك يأبن الزّبير ليدلّ أن وراءه قولاً؛ فقال: نعم؛ قال: قل؛ فقال:

كـأن بنـي أُميـة حـول بشـر ... نجـومٌ وَسْطَهـا قمـر منيـر

هـو الفـرع المقـدَّم مـن قـريـش ... إذا أخـذتْ مـآخِـذَهـا الأمـورُ

لقـد عمـت نـوافلُـه فـأضحـى ... غنيّـا مِـن نـوافلـه الفقيـرُ[4]

جبَـرْتَ مَهيضَنـا وعَـدْلـتَ فينـا ... فعـاش البـائـش الكَـلُّ الكَسيـر[5]

فـأنـت الغيـثُ قـد علمـتْ قـريـش ... لنـا، والـواكِـفُ الجَـوْنُ المَطِيـر[6]

[١٤/٢٥٢] / قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضيَ عنه، فقال ابن الزّبير:

لِبشـرِ بـنِ مـروانٍ علـى النـاس نعمـة ... تـروح وتغـدو لا يطـاقُ ثـوابُهـا

---

(١) يقال: عنقاء مغرب ومغربة على الوصف وعنقاء مغرب بالإضافة، وهي التي أغربت في البلاد فنأت ولم تحس ولم تر.
(٢) الشلو: الجسد. شال به: رفعه، أي أنه صلب على جذع طويل. والتشذيب: إصلاح الجذع.
(٣) في ط، مط «حبيب».
(٤) النوافل: جمع نافلة، وهي العطية.
(٥) هاض العظم: كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجبر فهو مهيض. الكل: من كان عيالاً وثقلاً على صاحبه. وفي ب، جـ «الفقير».
(٦) وكف الماء: سال. الجون: يطلق على الأسود والأبيض، وهو هنا الأسود أي السحاب الكثيف المتراكم.

بـه أمّـن الله النفـوسَ مـن الـردى ... وكـانـت بحـال لا يَقَـرُّ ذُبـابُهـا[١]

دمغْـتَ ذوي الأضغـان يـا بشـر عَنـوةً ... بسيفـك حتـى ذَلَّ منهـا صِعـابهـا[٢]

/ وكنـت لنـا كهفـاً وحِصنـاً ومَعقِـلاً ... إذا الفِتنـة الصَّمّـاء طـارت عُقـابهـا[٣]

٤٥/١٣

وكـم لـك يـا بشـر بـنَ مـروانَ مـن يـدٍ ... مهـذّبـةٍ بيضـاءَ راسٍ ظِـرابُهـا[٤]

وَطَـدْتَ لنـا ديـنَ النبـيّ محمـدٍ ... بحلمـك إذ هـرَّت سَفـاهـاً كِـلابُهـا[٥]

وسُـدتَ ابـنَ مـروانٍ قـريشـاً وغيـرَهـا ... إذا السنـةُ الشهبـاءُ قـلَّ سَحـابُهـا[٦]

رَأَبْـتَ ثَـأْنـا واصطنعـتَ أيـاديـاً ... إلينـا ونـارُ الحـربِ ذاكٍ شِهـابُهـا[٧]

شعره لبشر بن مروان

قال النضر بن حديد في كتابه هذا: ودخل عبد الله بنُ الزَّبير إلى بشر بنِ مروان متعرّضاً له ويُسمِعَه[٨] بيتاً من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضاً لأن أسمع منك / وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودّك [٢٥٣/١٤] شيئاً؟ لقد نزحتَ فيه بحرَك يأبنَ الزَّبير؛ فقال: أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً، وكانت له عندي أيادٍ كثيرة، وكنتُ لمعروفه شاكراً، وأيادي الأمير عندي أجلّ، وأَمَلي فيه أعظم، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبِل به ميسورَهم، وإن أذن لي في الإنشاد رجوتُ أن أوفَّق للصواب. فقال: هات، فقال:

تـداركنـي بشـرُ بـنُ مـروانَ بعـدمـا ... تعاوَتْ إلـى شِلـوِي الـذئـابُ العـواسِـلُ[٩]

غِيـاث الضعـاف المُـرمِليـن وعصمـةُ الـ ... ـيتـامـى ومَـن تـأوِي إليـه العَبـاهِـل[١٠]

قَـريـعُ قـريـشٍ والهمـامُ الّـذي لـه ... أقـرَّت بنـو قحطـان طُـرًّا ووائـل[١١]

وقيـسُ بـن عَيـلان وخِنـدِفُ كلُّهـا ... أقـرّت وجِـنُّ الأرض طُـرًّا وخـابِـل[١٢]

(١) في جـ «لا تغو ذبانها». وفي ب وس «لا تفر ذبابها» وهو تحريف. والتصويب عن ط والذباب: الشرّ، أي لا يسكن شرها، والذباب أيضاً: الجنون، أي لا يهدأ اضطرابها.

(٢) دمغت: علوت وقهرت.

(٣) في س «وكنت لها». الكهف: الملجأ وكذا المعقل. الفتنة الصماء: هي التي لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها في ذهابها، لأن الأصم لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع عما يفعله. وقيل: هي كالحية الصماء التي لا تقبل الرقي. وفي جـ وب وس «القنة» وهو تحريف.

(٤) ظراب: جمع ظرب ككتف، وهو الجبل المنبسط.

(٥) وطدت: ثبت. هرّ الكلب هريراً، وهو صوته دون نباحه.

(٦) سنة شهباء: إذا كانت مجدبة بيضاء من الجدب لا يرى فيها خضرة؛ وقيل الشهباء التي ليس فيها مطر.

(٧) الثأى كالثرى: الإفساد. ذكت النار: اشتد لهبها. والشهاب: شعلة من نار ساطعة.

(٨) كذا في ج، ط، مط. والذي في ب، س: «شيئاً».

(٩) الشلو: الجسد. والعواسل: جمع عاسل، عسل الذئب كضرب: اضطرب في عدوه وهز رأسه.

(١٠)أرمل: نفد زاده. العباهلة: هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه (بالبناء للمجهول) وقد جاء هنا العباهل بغير تاء، وفي كتاب رسول الله ﷺ «إلى الأقيال العباهلة» وواحد العباهلة عبهل كجعفر والتاء لتأكيد الجمع، كقشعم وقشاعمة، ويجوز أن يكون الأصل عباهيل جمع عبهول أو عبهال فحذفت الياء وعوض منها الهاء، والأوّل أشبه.

(١١)القريع: السيد.

(١٢)الخابل: الجنّ، جاء في «لسان العرب»: الخبل بالتحريك: الجن وهم الخابل، وقيل الخابل: الجن، والخبل، اسم الجمع كالقعد =

يداكَ ابنَ مروان يدٌ تقتل العدا ... وفي يدكَ الأخرى غِياثٌ[1] ونائل

إذا أمطرَتْنا منك يوماً سحابةٌ ... رَوينا بما جادت علينا[2] الأنامل

[١٤/٢٥٤] / فلا زلت يا بشر بن مروانَ سيّداً ... يهُلّ علينا منك طَلٌّ ووابل

فأنت المصفَّى يابن مروانَ والذي ... توافت إليه بالعطاء القبائلُ

يرجُون فضلَ اللهِ عند دعائكمْ ... إذا جمعَتكمْ والحجيجَ المنازلُ

ولولا بنو مروان طاشت حُلومنا ... وكنّا فرَاشاً أحرقتْها الشعائل

شعره في أمير المؤمنين

فأمر له بجائزة وكساه خِلعة، وقال له: إني أريد أن أوفِدَكَ على أمير المؤمنين، فتهيأْ لذلك يابنَ الزّبير، قال: أنا فاعل أيّها الأمير، قال: فماذا تقول له إذا وفدتَ عليه ولقيتَه[3] إن شاء الله. فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال:

أقول: أميرَ المؤمنين عَصَمتَنا ... ببشر من الدهر الكثير الزّلازلِ[4]

وأطفأتَ عنا نارَ كلّ منافق ... بأبيضَ بُهلولٍ طويل الحمائل[5]

نَمَتْه قُرومٌ من أمية للعلا ... إذا افتخر الأقوام وَسْط المحافِل[6]

هو القائد الميمونُ والعِصمة التي ... أتى حقُّها فينا على كل باطل

أقام لنا الدينَ القويمَ بحِلمه ... ورأيٍ له فضلٌ على كل قائل

أخوك أمير المؤمنين ومن به ... نُجادُ ونُسقَى صَوْبَ أسحَم هاطِلِ[7]

[٤٦/١٣] / إذا ما سألنا رِفده هطَلَت لنا ... سحابة كفَّيه بجَوْدٍ ووابلِ[8]

حليمٌ على الجُهّال منا ورحمةٌ ... على كلّ حافٍ من مَعَدٍّ وناعلِ

[١٤/٢٥٥] / فقال بشر لجلسائه: كيف تسمعون؟ هذا والله الشعر، وهذه القدرة عليه! فقال له حَجّار بن أبجر العجلي، وكان من أشراف أهل الكوفة، وكان عظيم المنزلة عند بشر: هذا أصلحَ الله الأميرَ أشعرُ الناس وأحضَرُهم قولاً إذا أراد،

= والروح: اسمان لجمع قاعد ورائح، وقيل: هو جمع، وفي ط، ب، س «وحايل» وفي جـ «وحامل» وهو تحريف.

(١) كذا في ب وس والذي في جـ، ط، مط «عقاب».

(٢) كذا في ط، مط والذي في ب، س، ج «عليه».

(٣) في س، ب «وألقيته» وهو تحريف.

(٤) الزلازل: البلايا والشدائد.

(٥) إذا قالت العرب: فلان أبيض، فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب، وهو كثير في شعرهم، لا يريدون به بياض اللون، ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض. والبهلول: السيد الجامع لكل خير. الحمائل جمع حمالة بالكسر، وهي علاقة السيف. وطويل الحمائل كناية عن أنه طويل القامة.

(٦) يقال: نماه جده: إذا رفع إليه نسبه، ومنه قوله: «نماني إلى العياء كل سميدع» وقروم جمع قرم بالفتح: وهو السيد.

(٧) الصوب: المطر، أسحم: أي سحاب أسحم: وهو الأسود المتكاثف.

(٨) الجود: المطر الغزير، أو ما لا مطر فوقه، جمع جائد.

فقال محمد بن عمير بن عطارِد ـ وكان عدوّاً لحجّار ـ أيّها الأمير، إنه لشاعر، وأشعَرُ منه الذي يقول:

شعر الفرزدق في بشر بن مروان

لبشرِ بنِ مروانٍ على كلّ حالةٍ ... من الدهر فضلٌ في الرخاء وفي الجهدِ
قريعِ قريش والذي باعَ مالَه ... ليَكسِب حَمْداً حين لا أحدٌ يُجْدي[1]
يُنافس بشرٌ في السماحةِ والنّدى ... ليُحرِز غاياتِ المكارم بالحمد
فكم جبرتْ كفّاك يا بِشْرُ من فتًى ... ضَريكٍ، وكم عيَّلت قوماً على عَمْد[2]
وصيّرتَ ذا فقرٍ غنيّاً، ومشرياً ... فقيراً، وكلاًّ قد حذوتَ بلا وعد[3]

خبره مع حجار بن أبجر

فقال بشر: من يقول هذا؟ قال: الفرزدق، وكان بشر مُغضَباً عليه، فقال: ابعثْ إليه فأحضِرْه، فقال له: هو غائب بالبصرة، وإنّما قال هذه الأبيات وبعث بها لأُنشِدَكَها ولتَرضَى عنه، فقال بشر: هيهات! لست راضياً عنه حتى يأتيَني، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق، فتهيَّأ للقدوم على بشر، ثم بلغه أن البَصْرة قد جُمِعتْ له مع الكوفة، فأقام وانتظر قدومَه، فقال عبد الله بن الزَّبير لمحمد بن عُمَير في مجلسه ذلك بحضرة بِشر:

/ بني دارمٍ هل تعرفون محمداً ... بدعوَته فيكم إذا الأمر حُقِّقا[4] [٢٥٦/١٤]
وساميتُم قوماً كراماً بمجدكم ... وجاء سُكَيْتاً آخر القوم مخفِقاً[5]
فأصلُك دُهمان بنُ نصرٍ فردَّهم ... ولا تكُ وَغْداً في تميم معلَّقاً
فإن تميماً لستَ منهم ولا لهمْ ... أخاً يابن دُهمانٍ فلا تكُ أحمقاً
ولولا أبو مروان لاقَيتَ وابِلاً ... من السوط يُنسيك الرَّحيق المعتَّقا[6]
أحينَ عَلاكَ الشيبُ أصبحتَ عاهراً ... وقلت أسقني الصَّهباء صِرفاً مروَّقاً[7]
تركتَ شرابَ المسلمين ودينَهم ... وصاحبتَ وَغْداً من فَزارة أزرقاً[8]
نبيتان من شُرب المدامةِ كالّذي ... أُتيحَ له حبلٌ فأضحى مخنَّقا

فقال بشر: أقسمتُ عليك إلاّ كففتَ، فقال: أفعلُ أصلحك الله، والله لولا مكانك لأنفذتُ

---

(١) أجدى: أعطى.

(٢) كلمة «كفاك» ساقطة من جـ، ب، س وقد أثبتناها عن ط، مط. والضريك: الفقير السيء الحال. عيلهم: أهملهم.

(٣) حذوت: قدّرت.

(٤) دارم بن مالك بن حنظلة: بطن من تميم: ومحمد: هو محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي سيد تميم الكوفة. والدعوة في النسب بالكسر: أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته.

(٥) السكيت: الذي يجيء آخر حلبة الخيل.

(٦) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول «وائلاً»؛ وهو تصحيف.

(٧) الصهباء: الخمر. والصرف: الخالص، ذكر الوصف حملاً على المعنى، أي شراباً صرفاً مروقاً. والرحيق: الخمر أو أطيبها.

(٨) أزرق، أي أزرق العين، أي شبيه بالروم، وكان العرب يكرهون الروم وهم زرق العيون، فكانت الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب، وكذا قالوا في صفة العدو. أزرق العين.

حِضْنَيْه[1] بالحق، وَكف ابن الزُّبير وأحسن بشر جائزته وكسوته، وشمِت حجّار بن أبجر بمحمد بن عمير - وكان عدوّه - وأقبلت بنو أسد على ابن الزُّبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمتَّ حجّاراً بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى [١٤/٢٥٧] تهجوَه هجاءً يَرضَى به محمد بن عمير عنك، أو لست تعلم أن الفرزدق أشعَرُ العرب؟ / قال: بلى، ولكن محمداً ظلمني وتعرّض لي، ولم أكن لأحلُمَ عنه إذ فعل، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجّاراً، فقال:

سليلَ النصارى سُدتَ عِجلاً ولم تكن ... لذلك أهلاً أن تسود بني عِجْلِ[2]

٤٧/١٣ / ولكنّهم كانوا لئاماً فَسُدْتَهمْ ... ومثلُك من ساد اللئامَ بلا عَقْلِ

وكيف بِعجلٍ إن دنا الفِصْحُ واغتدتْ ... عليك بَنُو عجل ومِرجَلُكم يَغْلي[3]

وعندك قِسّيس النصارى وصُلْبُها ... وعانيّةٌ صَهْباءُ مثلُ جَنَى النحلِ[4]

قال: فلما بلغ حجّاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان، فقال له بشر: هجوت حجّاراً؟ فقال: لا والله أعزّ الله الأمير، ما هجوتُه، لكنّه كذب عليّ، فأتاه ناس من بني عجل وتهدّدوه بالقتل، فقال فيهم:

تُهدّدني عجلٌ، وما خِلتُ أنّني ... خَلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بعلُ[5]

وما خِلتُني والدهرُ فيه عجائبٌ ... أُعمَّر حتى قد تهدّدني عِجلُ

وتُوعِدُني بالقتل منهم عصابةٌ ... وليس لهم في العزّ فرعٌ ولا أصلُ

وعجلٌ أُسود في الرخاء، ثعالبٌ ... إذا التقت الأبطال واختلف النَّبلُ

فإن تَلْقَنا عِجلٌ[6] هناك فما لنا ... ولا لهمُ مِ الموتِ مَنْجًى ولا وَعْلُ[7]

[١٤/٢٥٨] / منعه عبد الرحمن الخروج إلى الشام

وقال النضر في كتابه: لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبد الله بن الزُّبير الخروجَ إلى الشام، وأراد حبسه، لجأ إلى سُوَيد بن مَنْجوف، واستجار به، فأخرجه مع بني شيبانَ في بلادهم، وأجازه[8] عَمل ابن أمّ الحكم، فقال يمدحه:

أليس ورائي إن بلادٌ تجهّمتْ ... سويدُ بنُ مَنْجُوفٍ وبكر بن وائلِ[9]

حصونٌ بَراها الله لم يُرَ مِثلُها ... طِوالٌ أعاليها شِدادُ الأسافلِ

(١) الحضن: الجنب.

(٢) بنو عجل: قبيلة من ربيعة، وهو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. وفي أ، جـ، ب، س «ومن يكن * كذلك أهل»، وما أثبتناه عن ط، مط.

(٣) الفصح: عيد للنصارى.

(٤) صهباء: ذات صهبة بالضم: وهي حمرة أو شقرة.

(٥) الخلي: الرطب من النبات واحدته خلاة، وقيل: الخلاة كل بقلة قلعتها، والبعل من النخل: ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء.

(٦) في ط، مط «يوماً».

(٧) في ب، س «والموت» وهو تحريف، التصويب عن جـ، ط، مط. أي من الموت. والوعل: الملجأ.

(٨) أي يسر له أن يجتاز حدود ولايته.

(٩) تجهمه وتجهم له: استقبله بوجه كريه، وقوله: «وبكر بن وائل» لأن بني شيبان من بكر.

هُم أصْبَحوا كَنْزِي الذي لَسْتُ تارِكاً ... ونَبْلي التي[1] أعددتُها للمُناضِلِ

حاجب بشر قال شعراً

وقال أيضاً في هذا الكتاب: جاء عبد الله بن الزَّبير يوماً إلى بشر بنِ مروان، فحجبه حاجبُه، وجاء حجّار بن أبجَر فأذن له، وانصرف ابن الزبير يومئذٍ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوساً، فدخل إليه، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول:

ألم تر أن الله أعطى فَخَصَّنا ... بأبيضَ قَرمٍ من أميةَ أزهرَا[2]

طَلوعِ ثنايا المجد، سامٍ بطَرفه ... إذا سُئل المعروفَ ليس بأوْعرا[3]

فلولا أبو مروان بِشْرٌ لقد غدت ... ركابيَ في فَيْفٍ من الأرْضِ أغبرا[4]

سِراعاً إلى عبد العزيز دوائباً ... تَخلَّلُ زَيتونا بمصر وعَرْعَرا[5]

وحاربتُ في الإسلام بكرَ بنَ وائل ... كحربِ كليبٍ أو أمرَّ وأمْقرا[6]

/ إذا قادتِ الإسلامَ بَكر بن وائلٍ ... فهَبْ ذاك دِيناً قد تغيَّر مُهتَرا[7] [٢٥٩/١٤]

بأيِّ بلاءٍ أم بأيِّ نصيحةٍ ... تُقدِّم حَجّاراً أمامي ابنَ أبجَرا

وما زلتُ مذ فارقتُ عثمان صَادِياً ... ومروانَ مُلتاحاً عن الماء أزوَرا[8]

ألا ليتني قُدِّمتُ والله قَبْلَهم ... وأن أخي مَرْوان كان المؤخرا[9]

بهم جُمع الشملُ الشَّتيتُ، وأصْلَح الـ ... ـإلهُ، وداوَى الصَّدْعَ حتى تَجبَّرَا

قضى الله: لا ينفكُّ منهم خليفةٌ ... كريم يسوس الناسَ يركبُ مِنبرا

/ فاعتذر إليه بشرٌ ووصلَه وحمله، وأنكر على حاجبه ما تشكّاه، وأمر أن يأذن له عند إذنه لأخصِّ أهله وأوليائه. ٤٨/١٣

شعر لأبيه

وقال النضر في كتابه هذا: كان الزبير بن الأُشَيْم ـ أبو عبد الله بن الزَّبير[10] ـ شاعراً، وكان لعبد الله بنِ الزَّبير

---

(١) كذا في ط، مط، وفي باقي الأصول: «الذي».

(٢) في ب، س: «أخصنا»، والتصويب عن ط، مط.

(٣) ثنايا: جمع ثنية، وهو الطريق في الجبل.

(٤) الفيف: المفازة كالفيفاة والفيفاء.

(٥) هو عبد العزيز بن مروان أخو بشر، وكان والياً على مصر. والعرعر: شجر السرو.

(٦) بكر بن وائل: تقدم أن حجار بن أبجر من بني عجل وهم من بكر بن وائل. وكليب: هو كليب بن ربيعة الذي قتله جساس بن مرة، ونشبت بقتله حرب البسوس المشهورة بين بكر وتغلب. وأمقر: أمر، وفي ط، مط «وأسفرا».

(٧) هب: عد، أهتر الرجل وأهتر بالبناء للمجهول: ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن فهو مهتر، ورجل مهتر: مخطىء في كلامه، والمعنى: فعدّه ديناً فاسداً غير قويم.

(٨) الصادي: العطشان. الملتاح: المتغير. أزور: مائل، من الزور بالتحريك، وهو الميل. وعن الماء متعلق به.

(٩) كذا في ط، مط والذي في باقي الأصول: «فيا ليتني».

(١٠) في جـ وب وس «أبو عبد الله محمد بن الزبير» بزيادة كلمة «محمد» وهو خطأ. والتصحيح عن ط، مط.

ابن يقال له الزّبير شاعر، فأما أبوه الزبير بن الأشيم فهو الّذي يقول:

ألا يـا لقَـومـي للـرّقـاد المـؤرّقِ ... وللـرَّبْـع ـ بعـد الغبْطَـة ـ المتفـرّقِ(1)

وهـمٌ الفتـى بـالأمْـرِ مـن دون نَيْلـه ... مـراتـبُ صعبـاتٌ علـى كُـلّ مُـرْتَقـي

ويـوم بصحـراء البَـديـدَيْـن قِلتـه ... بمنـزلـة النُّعمـان وأبـن محـرّق

[١٤/٢٦٠] / وذلـك عيـش قـد مَضَـيٌ كـان بَعْـدَه ... أمـورٌ أشـابَـتْ كـلّ شـأن ومَفْـرَق(2)

وغيّـر مـا استنكـرتِ يـا أم واصـلٍ ... حـوادثُ إلاّ تَكْسـر العظـم تَعـرِق(3)

فـراقُ حبيـبٍ أو تغيُّـر حـالـةٍ ... مـن الـدهـرِ أورامٍ لشخصـي مُفـوّق

علـى أننـي جَلْـدٌ صبـورٌ مـرزّأ ... وهـل تتـركُ الأيـامُ شيئـاً لمشفِـق؟

شعر لابنه

وأما ابنه الزّبير بن عبد الله بن الزّبير، فهو القائل يمدح محمد بنَ عيينة بنِ أسماء بن خارجةَ الفَزاريّ:

قـالـت عبيـدَةُ مَـوْهِنـاً ... أيـن أعْتـرَاكَ الهـمُّ أينَـهْ(4)

هـل تبلغـنَّ بـك المُنَـى ... مـا كنـت تـأمُـل فـي عُيينـهْ

بـدرٌ لـه الشِّيَـم الكـرا ... ثـم كـامـلاتٌ فـاعتلَيْنَـهْ

والجـوعُ يَقْتُلـه النّـدَى ... منـه إذا قَحْـطٌ تـريْنَـه

فهنـاك يَحْمَـدُه الـورَى ... أخـلاق غيـركـم اشتكينـه

قال: وهو القائل في بعض بني عمّه:

ومـولًـى كـدَاءِ البَطْـنِ أو فـوق دائـه ... يـزيـدُ مـوالـي الصدّقِ خيـراً وينقـصُ(5)

تلـوّمـتُ أرجـو أن يَثُـوب فيـرعَـوِي ... بـه الحلـمُ حتّـى أستيـأسَ المتربِّـص(6)

[١٤/٢٦١] / **هروبه إلى معاوية**

وقال النضر في كتابه هذا: لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية، أحرق عبدُ الرحمن دَراه، فتظلّم منه وقال: أحرق لي داراً قد قامت عليّ بمائة ألف درهم، فقال معاوية: ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر، فمن يعرف صحة ما ادعيت؟ قال: هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك، فقال معاوية

---

(1) أي وللربع المتفرق بعد الغبطة، فصل بين الموصوف والوصف بمعمول الوصف، وهو جائز قال تعالى: ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾. والغبطة: حسن الحال والمسرة.

(2) الشأن: موصل قبائل الرأس.

(3) عرق العظم كنصر: أكل ما عليه من اللحم.

(4) الموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.

(5) المولى: ابن العم. يقول: إن موالي الصدق يزيدون خيراً وهو ينقص.

(6) تلوّم في الأمر: تمكث وانتظر كتربص. يثوب: يرجع. واستيأس: يئس.

للمنذر: ما عندك في هذا؟ قال: إني لم آبَهْ[1] لنفقته على داره ومبلغها، ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة، ففعلت، فقال معاوية: إن داراً اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم! وأمر له بها، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه، ثم قال لهم: أيّ الشيخين عندكم أكذب؟ والله إني لأعرف داره، وما هي إلاّ خِصاص قصب، ولكنهم يقولون فنسمع، ويخادعوننا فننخدع، فجعلوا يعجبون منه.

مدحه إبراهيم بن الأشتر

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا: حدّثنا محمد بن زكريا الغِلابيّ عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ قال: أتى عبدُ الله / بن الزَّبير إبراهيم بن الأشتر النَّخَعي فقال له: إني قد مدحتك بأبيات فأسمعهنّ، ٤٩/١٣ فقال: إني لست أُعطِي الشعراء، فقال: اسمعْها منّي وترى رأيك، فقال: هات إذاً، فأنشده قوله:

الله أعْطَـاكَ المهـابـةَ والتُّقـى ... وأحـلَّ بيتَـك فـي العَـديـدِ الأكثـرِ

وأقـرّ عينَـك يـوم وقْعَـةِ خـازِرِ ... والخيـلُ تعثـرُ بـالقَنـا المتكسّـرِ[2]

/ إنّـي مـدحتُـك إذ نَبَـا بـيَ منـزلـي ... وذممـتُ إخـوانَ الغِنَـى مِـنْ مَعْشَـرِ [٢٦٢/١٤]

وعـرفـتُ أنـك لا تخيّـب مِـدْحتـي ... ومتـى أكـن بسبيـل خيـرٍ أشكـر

فهلـمّ نحـوي مـن يمينـك نَفحـةً ... إن الـزمـان ألـحّ يـابـن الأشتَـرِ

فقال: كم ترجو أن أعطيَك؟ فقال: ألف درهم أُصلِح بها أمرَ نفسي وعيالي، فأمر له بعشرين ألف درهم.

صوت

مـا هـاج شـوقَـك مـن بُكـاء حَمـامَـةٍ ... تَـدْعُـو إلـى فَنَـن الأراكِ حَمـامـا[3]

تَـدعـو أخـا فَـرْخيـن صَـادَفَ ضَـارِيـاً ... ذَا مِخلبيـن مـن الصُّقُـور قَطـامـا[4]

إلا تَـذَكُّـرُكَ الأوانـسَ بَعْـدَمـا ... قطـع المطـيُّ سَبـاسِبـاً وهُيـامـا[5]

الشعر لثابتِ قُطْنة؛ وقيل إنه لكعب الأشقريّ، والصحيح أنه لثابت، والغناء ليحيى المكّيّ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، من رواية ابنه والهشاميّ أيضاً.

(١) أي لم أحفل.

(٢) في الأصول «جازر» وهو تصحيف، وفي جـ «المتكثر» وهو تحريف، وخازر: نهر بين إربل والموصل، وكانت عنده رقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر، وكان قد خرج مع المختار بن أبي عبيد الثقفي للطلب بدم الحسين رضي الله عنه، وقتل يومئذٍ ابن زياد سنة ٦٦ هـ.

(٣) الفنن: الغصن وفي أ، ط، مط، «على» والذي أثبتناه عن ب، س، جـ.

(٤) صقر قطام بفتح القاف وقطاميّ بفتحها وضمها: لحم.

(٥) سباسب: جمع سبسب كجعفر، وهي الفلاة.

[١٤/٢٦٣] / أخبار ثابت قطنة

نسبه

هو ثابت بن كعب، وقيل ابن عبد الرحمن بنِ كعب، ويكنى أبا العَلاء، أخو بني أسد بن الحارث بن العَتِيك[١]، وقيل: بل هو مولى لهم، ولقّب قطنةَ لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب التّرك، فكان يجعل عليها قطنة، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأمويّة، وكان في صحابة يزيد[٢] بن المهلّب، وكان يولّيه أعمالاً من أعمال الثغور، فيُحمد فيها مَكانُه لكفايته[٣] وشجاعته.

فأخبرني إبراهيم بن أيوب قال: حدّثنا عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيبة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان ثابت قطنة قد ولي عملاً من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعذّر عليه وحَصِر، فقال: ﴿سَيَجعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾، وبعد عيٍّ بَياناً، وأنتم إلى أمير فعّال، أحوَج منكم إلى أميرٍ قوّال:

وإلاّ أكــن فيكــمْ خطيبــاً فــإنّنــي ... بسَيْفــي إذا جــدّ الــوغَــى لخطيــبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بنَ صَفْوان ـ ويقال الأحنفَ بن قيس ـ فقال: والله ما علا ذلك المنبرَ أخطبُ منه في كلماته هذه، ولو أن كلاماً استخفّني، فأخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له، لأخرجتْني هذه الكلمات إلى قائلها، وهذا الكلام بخالد بن صفوانَ أشبهُ منه بالأحنف.

[١٤/٢٦٤] / صلاته الجمعة بالناس

٥٠/١٣ أخبرني محمّد بنُ خلف وكيع قال: حدّثني أحمد بن زهير بن حرب، عن دعبل بن / علي، قال: كان يزيد بن المهلب تقدّم[٤] إلى ثابت قطنة[٥] في أن يصلّي بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر ولم يُطِق الكلام، قال حاجبُ الفيل يهجوه:

[أبــا العَــلاءِ لقــد لُقّيــتَ معضلــةً ... يــومَ العَــروبــة مــن كــربٍ وتخنيــق[٦]

أمّــا القُــران فلــم تخلَــق لمحكَمــه ... ولــم تســدَّد مــن الــدنيــا لتــوفيــق[٧]

(١) في جـ، ب، س «الفتيك» وهو تحريف. والعتيك كأمير: فخذ من الأزد، وهو العتيك بن الأزد.

(٢) ولي خراسان بعد وفاة أبيه المهلب بن أبي صفرة سنة ٧٢ في خلافة عبد الملك بن مروان، وعزل عنها سنة ٨٦، ولما ولي الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ ولاه أمر العراق، ثم ولاه خراسان سنة ٩٧.

(٣) في أ، ب، س: «لكتابته».

(٤) تقدّم إليه في كذا: أمره به.

(٥) في ط، ب «ثابت بن قطنة»، وهو تحريف.

(٦) ما بين مربعين ساقط من ط، مط؛ وقد أثبتناه عن جـ، ب، س. ويوم العروبة: يوم الجمعة.

(٧) القران: مسهل عن القرآن.

لمّــا رمتْــكَ عيــونُ النــاس هِبتَهــمُ فكــدتَ تَشــرَق لمّــا قمــتَ بــالــرِّيــق
تلــوِي اللســان وقــد رُمْــتَ الكــلام بــه كمــا هَــوَى زَلِــقٌ مــن شَــاهــقِ النِّيــق(١)

خبر حاجب الفيل مع يزيد بن المهلب

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني ـ وهو حاجب الفيل، والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقري ـ أن حاجباً دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده]:

إليــك امتطيــتُ العِيــسَ تسعيــن ليلــة أرجّــي نــدَى كفَّيــكَ يــاَبــن المهلّــبِ(٢)
[وأنــت امــروٌ جــادَتْ سمــاءُ يمينِــه علــى كــل حــيٍّ بيــن شَــرْق ومَغْــرب](٣)
فَجُــدْ لــي بِطــرْف أعــوجِــيٌّ مشهَّــرِ سَليــم الشَّظَــا عَبْــلِ القــوائــم سَلْهَــب(٤)
/ سبــوحٍ طمــوحِ الطَّــرف يَسْتَــنُّ مِــرجَــم أُمِــرَّ كــإمــرار الــرِّشــاء المشــذَّب(٥) [٢٦٥/١٤]
طــوى الضُّمــرُ منــه البطــنَ حتــى كــأنــه عقــاب تــدلَّــت مــن شمــاريــخ كَبْكَــب(٦)
تُبــادر جُنْــحَ الليــلِ فَــرْخيــن أقْــوَيــا مِن الزاد في قَفْرٍ مـن الأرض مجدِب(٧)
فلّمــا رأت صَيْــداً تــدلّــتْ كــأنهــا دَلاةٌ تَهــاوَى مَــرْقَبــاً بعــد مَــرقــبِ(٨)
فشكّــت ســوادَ القلــب مــن ذئــبِ قَفــرةٍ طــويــلِ القَــرا عــارِي العظــامِ معصَّــب(٩)
وســابغــةٍ قــد أتْقَــن القَيْــنُ صنعَهــا وأسمــرَ خَطِّــيٌّ طــويــلٍ مُحَــرَّب(١٠)
وأبيــضَ مــن مــاء الحــديــدِ كــأنــه شِهــابٌ متــى يَلْــقَ الضَّــريبــةَ يَقْضِــبِ(١١)
وقــل لــي إذا مــا شئــتَ فــي حَــوْمــة الــوغــى تقــدَّمْ أو اركــبْ حــومــةَ المــوت أركــبِ

---

(١) النيق: أرفع موضع في الجبل.

(٢) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

(٣) سقط هذا البيت من ط، مط.

(٤) الطرف: الكريم من الخيل. أعوجيّ: نسبة إلى أعوج، وأعوج: فرس كريم سابق كان لبني هلال، ركب صغيراً فاعوجت قوائمه، وإليه تنسب الخيل الكرام، فيقال: الخيل الأعوجية. مشهر ومشهور: معروف المكان المذكور. والشظا: عظم لاصق بالركبة. عبل: ضخم؛ والسلهب من الخيل: ما عظم وطال عظامه. وفي ط، مط، جـ «منهب» والمنهب: الفائق في العدو.

(٥) فرس سبوح: يسبح بيديه في سيره. استن الفرس في المضمار: إذا جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة. وفي ب، س «يستر» وهو تحريف. وفرس مرجم: يرجم الأرض بحوافره. أمر الحبل إمراراً: أحكم فتله. الرشاء: الحبل.

(٦) كبكب: جبل بعرفات، شماريخ: جمع شمراخ، وهو رأس الجبل.

(٧) جنح الليل: أي في جنح الليل وهو الطائفة منه. أقوى: افتقر (واستغنى أيضاً، ضد).

(٨) الدلاة: الدلو. تهاوى: تساقط. المرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب.

(٩) سواد القلب: حبته. القرا: الظهر. المعصب: الجائع. وفي ط، جـ «من ذنب» وهو تحريف.

(١٠) وسابغة: معطوف على «طرف» أي بدرع سابغة وهي التامة الطويلة. القين: الحدّاد. وفي جـ «قد أيقن صنعها» وفيه تصحيف وسقط. والأسمر: الرمح. والخطيّ: نسبة إلى الخط، مرفأ السفن بالبحرين، وكانت تباع به الرماح. حرب السنان: حدده. وفي ط، جـ، س، مط «مجرب».

(١١) أبيض، أي وسيف أبيض. والشهاب: شعلة من نار ساطعة. والضريبة: ما يضرب، يقضب: يقطع.

فـــإنـــي أمـــرؤٌ مـــن عُصْبَـــةٍ مـــا زِنيّـــةٍ ... نَمـــانِـــي أبٌ ضخـــمٌ كـــريـــمُ المـــركَّـــب

قال: فأمر له يزيدُ بِدرع وسيف ورُمح وفرس، وقال له: قد عرفتَ ما شرطْتَ لنا على نفسك؟ فقال: أصلح الله الأمير، حجّتي بيّنة، وهي قول الله عزّ وجل: / ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ﴾. فقال [له][1] ثابت قطنة: ما أَعجبَ ما وَفدتَ به من بلدك في تسعين ليلة! مدحتَ الأمير ببيتين، وسألتَه حوائجك في عشرة أبيات، وختمتَ شِعرَك ببيت تفخَر عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردتَ حِدتَ عمّا شرطتَ له على نفسك فأكذبْتَها كأنّك كنت تخدعه، فقال له يزيد: مَهْ يا ثابت، فإنّا لا نُخدَع، ولكنا نتخادع، وسوَّغه[2] ما أعطاه، وأمر له بألفي درهم. ولجّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه: [٢٦٦/١٤]

لا يعـــرفُ النـــاسُ مِنـــه غيـــرَ قُطنَتِـــهِ ... ومـــا سِـــواهـــا مـــن الأَنْسَـــابِ مَجْهُـــولُ

خبره مع حاجب الفيل عند يزيد

قال: ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلّب، وعنده ثابتُ قطنة وكعب الأشقريّ ـ وكانا لا يفارقان مجلسَه ـ فوقف بين يديه فقال له: تكلّم يا حاجب، فقال: يأذن لي الأمير أن أُنشِده/ أبياتاً، قال: لا حتى تبدأ فتسألَ حاجتك، قال: أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفِك موفِّيك حقك، ولكنّ المجتهد محسن، فلا تهجني بمنعي الإنشادَ، وتأذن لي فيه، فإذا سمعتَ فجودُك أوسعُ من مسألتي. فقال له يزيد: هات، فما زلتَ مُجيداً محسناً مجملاً. فأنشده: [٥١/١٣]

كـــم مـــن كِمـــيٍّ فـــي الهِيـــاج تـــركتَـــه ... يَهـــوِي لِفيـــه مُجـــدَّلاً مقتـــولا[3]

جلّلـــتَ مفـــرَقَ رأسِـــه ذا رَونـــق ... عضـــبَ المهـــزَّة صـــارِمـــاً مصقـــولا[4]

قُـــدْتَ الجِيـــادَ وأنـــت غِـــرٌّ يـــافـــعٌ ... حتـــى أكتهلـــتَ ولـــم تـــزل مـــأمـــولا

كـــم قـــد حَـــرَبْـــت وقـــد جَبَـــرت معَـــاشـــرا ... وكـــم امتننـــت وكـــم شفَيـــتَ غليـــلا[5]

/ فقال له يزيد: سل حاجتك، فقال: ما على الأمير بها خفاء، فقال: قل، قال: إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأميرَ أعزّه الله مع عظم قدره، قال: أجل، فقل يُفعَل، فلستَ بما تصير إليه أغبَطَ منا، قال: تحمِلني وتُخدِمني[6] وتجزِل جائزتي، فأمر له بخمسة تخوتِ[7] ثيابٍ وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبِرْذَوْن وخمسة آلاف درهم، فقال حاجب: [٢٦٧/١٤]

شِـــم الْغَيْـــثَ وانْظُـــرَوَيْـــك أيـــن تبعَّـجـــتْ ... كُـــلاه تَجِـــدْهـــا فـــي يَـــدِ أبـــن المهـلّـــب[8]

---

(١) عن ط، مط.

(٢) سوّغه ما أعطاه: تركه له خالصاً.

(٣) الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه، المتغطي به. جدّله: صرعه.

(٤) جللت...: أي علوته بسيف ذي رونق قاطع.

(٥) حربه يحربه حرباً، كطلبه يطلبه طلباً: أخذ ماله وتركه بلا شيء.

(٦) أخدمه: أعطاه خادماً يخدمه.

(٧) تخوت: جمع تخت، وهو وعاء تصان فيه الثياب.

(٨) شام البرق: نظر إليه أين يمطر. ويك: وي اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف للخطاب أو أصله ويلك وحذفت اللام لكثرة الاستعمال. تبعج السحاب بالمطر: انفرج عن الوبل الشديد، وكلية السحاب: أسفله، والجمع كلي.

يـداه يـدٌ يُخـزي بهـا اللهُ مَـن عصَـى وفـي يَـدِهِ الأخـرَى حيـاةُ المعصَّـب(١)

قال: فحسده ثابتُ قُطْنة وقال: والله لو على قدرِ شِعرِك أعطاك لما خرجتَ بملء كفّك نوًى، ولكنك أعطاك على قدره، وقام مغضَبا، وقال لحاجِبِ يزيدَ بن المهلّب: إنما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيّة لمثل هذا، وإلاّ فلو أنا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا، وقال ثابت قطنة يهجو حاجباً حينئذٍ:

أحـاجـبُ لـولا أنّ أصلَـك زَيِّـفٌ وأنّـك مطبـوعٌ علـى اللـؤم والكفـرِ(٢)

وأنّـيَ لـو أكثـرتُ فيـك مقصِّـرٌ رميتُـك رميـاً لا يَبيـد يَـدَ الـدهـرِ(٣)

فقـل لـي ولا تكـذِبْ فـإنّـيَ عـالـمٌ بِمثْلكَ هـل فـي مـازنٍ لـك مـن ظَهـرِ؟(٤)

/ فـإنـك مِنهـمْ غيـرَ شـكٍ ولـم يَكُـنْ أبـوكَ مـن الغُـرّ الجحَـاجِحـة الـزُّهـرِ(٥) [٢٦٨/١٤]

أبـوكَ دِيـافِـيٌّ وأمُّـك حُـرّةٌ ولكنَّهـا لا شَـكّ وافيـةُ البَظْـرِ(٦)

فلسـت بهـاج ابـنَ ذُبيـان إنـنـي سـأُكْـرِمُ نفسِـي عـن سِبـابِ ذوي الهُجْـرِ(٧)

هجاء حاجب له

فقال حاجب: والله لا أرضى بهجاء ثابتٍ وحدَه، ولا بهجاء الأزدِ كلِّها، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طُرًّا؛ فقال يهجوهم:

دعُـونـي وقحطـانـاً وقـولـوا لثـابـتٍ تنـحَّ ولا تقـرَبْ مُصـاوَلـةَ البُـزْلِ(٨)

فَلَلـزِنْـج خيـرٌ حيـن تُنْسَـب والـدَا مـن أبنـاء قحطـانَ العفـاشِلـةِ الغُـزْلِ(٩)

أنـاسٌ إذا الهيجـاء شَبَّـتْ رأيتَهـمْ أذلَّ علـى وَطْءِ الهَـوَانِ مـن النّعْـلِ(١٠)

نسـاؤهُـم فـوضَـى لمـن كـان عـاهِـراً وجِيـرانهـمْ نَهـبُ الفَـوارِسِ والـرَّجْـلِ

شعره عن نفسه

أخبرني وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: وحدّثني دِعبِل قال: بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال:

(١) المعصب: الذي عصبته السنون أي أكلت ماله، والذي يتعصب بالخرق من الجوع.

(٢) في ط «زيفة» وما أثبتناه عن باقي الأصول.

(٣) يد الدهر: مد زمانه.

(٤) من ظهر: أي من أنصار وقوة. وفي جـ «فإنك عالم» وهو تحريف.

(٥) الجحجح كجعفر: السيد كالجحجاح. والجمع جحاجح وجحاجحة.

(٦) دياف: من قرى الشام، وقيل من قرى الجزيرة، وأهلها نبط، وإذا عرضوا برجل أنه تبطي نسبوه إليها. وفي ب وس «دبابي»؛ وهو تحريف.

(٧) الهجر: القبيح من الكلام.

(٨) البزل جمع بازل: وهو الرجل الكامل في تجربته.

(٩) العفاشلة جمع عفشل كجعفر: وهو الثقيل الوخم. وفي ط، مط، ج؛ «التنابلة»؛ والتنبل: الرجل القصير. والغرل: جمع أغرل، وهو الذي لم يختتن.

(١٠)الهيجاء: الحرب.

[٥٢/١٣] / لا يَعْـرِف النـاسُ منـه غيـرَ قطنتـه ... ومـا سِـوَاهـا مـن الأنسـابِ مجهـولُ

وقال: هذا بيت سوف أهجَى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال: اشهدوا أنّي قائله، فقالوا: ويحك ما أردت [إلا][1] أن تهجو / نفسك به، ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هذا. فقال: لا بدّ من أن يقع [١٤/٢٦٩] على خاطر غيري، فأكون قد سبقتُه إليه، فقالوا له: أما هذا فشرّ قد تعجّلته، ولعلّه لا يقع لغيرك، فلمّا هجاه به حاجبُ الفيلِ استشهدَهم على أنه هو قائله، فشهدوا على ذلك، فقال يردّ على حاجب:

هَيْهَـاتَ ذلـك بيـتٌ قـد سُبقـت بـه ... فـاطلـبْ لـه ثـانيـاً يـا حـاجـبَ الفيـلِ

أخبرني أحمد بن عثمان العسكريّ المؤدّب قال: حدّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثنا قُعْنُب بن المحرز الباهليّ عن أبي عبيدة قال: كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشُّراة[2] وقوماً من المرجئة[3] كانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان، فمال إلى قول المرجئة وأحبّه، فلمّا اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدةً قالها في الإرجاء:

[١٤/٢٧٠] / يـا هنـدُ إنّـي أظـنُّ العيـشَ قـد نفِـدا ... ولا أرَى الأمـرَ إلا مُـدْبـرا نَكِـدا[4]

إنّـي رَهِينَـةُ يـومٍ لسـتُ سـابقـه ... إلاّ يكـن يـومُنـا هـذا فقـد أفِـدا[5]

بـايعـتُ ربّـيَ بيعـاً إن وفيـتُ بـه ... جـاورتُ قتلَـى كـرامـاً جـاوَروا أُحُـدا[6]

يـا هنـدُ فـاستمعـي لـي إنّ سيـرتَنـا ... أن نَعْبُـدَ الله لـمْ نشـركْ بـه أحـدَا

نُـرجِـي الأمـورَ إذا كـانـتْ مشبَّهـة ... ونَصـدُق القـولَ فيمـن جـارَ أو عنـدا[7]

المسلمـون علـى الإسـلام كلّهـم ... والمشـركـونَ أشْتَـوا دِينهـمْ قِـدَدا[8]

---

(١) سقطت هذه الكلمة من جميع الأصول. وسياق الكلام يقتضيها.

(٢) يسمي الخوارج أنفسهم «الشراة»، جمع شار كقاض وقضاة، من شرى كرمى بمعنى باع، لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها ووهبناها، أخذ من قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ أو من شرى بمعنى اشترى لقولهم: شرينا الآخرة بالدنيا أي اشتريناها.

(٣) المرجئة: فرقة من الفرق الإسلامية؛ والإرجاء على معنيين: أحدهما التأخير، من أرجأه إذا أخره، وترك الهمز لغة فيه، قال تعالى: ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أي أمهله وأخره، والثاني: إعطاء الرجاء، وعلى هذا فهو من أرجى أي بعث فيه الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على هذه الجماعة بالمعنى الأول فلأنهم كانوا يؤخرون العمل عن الإيمان؛ وأما بالمعنى الثاني فلأنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا، وقد غلت طائفة من المرجئة فقالوا: «إن الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل، وليّ لله، من أهل الجنة».

وقيل: إن أول من قال بالإرجاء الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، وكان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار، إلا أنه ما أخر العمل عن الإيمان كما قالت المرجئة، لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر، إذ الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان حتى يزول الإيمان بزوالها ـ انظر «الملل والنحل» للشهرستاني ١: ١٤٤، و «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص ١٩٠.

(٤) نفد: فني.

(٥) أفد: دنا وأزف.

(٦) أحد: جبل بالمدينة كانت عنده غزوة أحد المشهورة.

(٧) عند عن الطريق عنوداً: مال.

(٨) في ب، س «استووا في دينهم». واشتوا: فرقوا. وقددا، أي فرقاً مختلفة أهواؤها جمع قدة بالكسر.

ولا أرى أن ذنبـاً بـالـغٌ أحَـداً ... مِ النـاس شِـركـاً إذا مـا وحّـدوا الصمَـدا[١]

لا نَسفِـك الـدمَ إلاّ أن يـراد بنـا ... سَفْـكُ الـدمـاء طـريقـاً واحـداً جَـدَدا[٢]

مـن يتّـق الله فـي الـدنيَـا فـإنّ لـه ... أجـرَ التقـيّ إذا وَفَّـى الحسـابَ غـدا

ومـا قَضَـى الله مـن أمـرٍ فليـسَ لـه ... رَدٌّ، ومـا يَقـضِ مـن شـيء يكـن رَشَـدا

كـلّ الخَـوارجِ مُخْـطِ فـي مَقَـالتـه ... ولـو تَعبَّـد فيمـا قَـالَ واْجْتَهـدا

أمـا علـيٌّ وعثمـانٌ فـإنهمـا ... عَبْدان لَـم يُشـرِكـا بـالله مـذ عَبَـدا

وكـان بينهمـا شَغْـب وقـد شهِـدا ... شـقَّ العصـا، وبعيْـن الله مـا شَهِـدا[٣]

يُجـزَى علـيٌّ وعثمـانٌ بسَعْيِهمـا ... ولسـتُ أدري بحـقٍّ أيّـةَ وَرَدا

الله يعلـم مـاذا يَحضُـران بـه ... وكـلُّ عبـد سيلقـى الله منفـردا

/ قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب بخط المُرهبيّ الكوفي في شعر ثابت قطنة، قال: لما ولي سعيد بن عبد [٢٧١/١٤] العزيز[٤] بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نُعيم، جلس يَعرِض الناسَ وعنده حميد الرُّؤاسي وعُبادة المحاربي، فلما دُعِيَ بثابت قطنة تقدّم، وكان تامَّ السلاح، جَوادَ الفرس، فارساً من الفرسان، فسأله عنه، فقيل: هذا ثابتُ قطنة، وهو أحد فُرسان الثغور، فأمضاه وأجاز على اسمه، فلما/ انصرف [٥٣/١٣] قال له حميد وعبادة: هذا أصلحك الله الذي يقول:

إنـا لضـرّابـون فـي حَمَـس الـوَغَـى ... رأسَ الخليفـة إن أراد صـدودا[٥]

فقال سعيد: عليّ به، فردّوه وهو يريد قتله، فلما أتاه قال له: أنت القائل:

* إنا لضرّابون في حَمَس الوغى *

قال: نعم، أنا القائل:

إنـا لضـرّابـون فـي حَمَـس الـوَغَـى ... رأسَ المتـوَّجِ إنْ أراد صُـدُودا

عـن طَـاعـة الـرحمـن أو خُلَفَـائـه ... إن رام إفسـادا وكـرَّ عُنُـودا

فقال له سعيد: أولى لك، لولا أنّك خرجتَ منها لضربتُ عنقكَ، قال: وبلغ ثابتاً ما قاله حُميد وعُبادة، فأتاه عبادة معتذراً، فقال [له][٦]: قد قبلت عذرك، ولم يأته حميد، فقال ثابت يهجوه:

ومـا كـان الجُـنَـيد ولا أخوه ... حـميـدٌ مـن رءوسٍ فـي المعَـالـي

---

(١) بالغ أحداً، أي بالغ من أحد.

(٢) طريق جدد: مستو.

(٣) في ب، س: الشغب. وهو تهييج الشر. وفي أ، جـ، ط، مط: «الشعب». والشعب: الصدع والتفرّق. ويقال: شقوا عصا المسلمين: أي شقوا اجتماعهم وائتلافهم.

(٤) في ب، س «العزى».

(٥) حمس الأمر كفرح حمساً: اشتد.

(٦) عن «ط» وسقطت من جميع الأصول.

[١٤/٢٧٢] / فإن يك دغفلٌ أمسى رهيناً ... وزيدٌ والمقيم إلى زوال(١)

فعندكم ابن بشرٍ فاسألوه ... بمرو الرُّوذ يَصدُق في المقال(٢)

ويخبر أنه عبدٌ زنيمٌ ... لئيم الجدّ من عمٍّ وخال(٣)

قال: واجتاز ثابت قطنة في بعض أسفاره بمدينةٍ كان أميرُها محمد بنُ مالك بنِ بدر(٤) الهَمْداني ثم الخَيْواني(٥)، وكان يُغمَز في نسبه، وخطب إلى قوم من كِنْدة فردّوه، فعرف خبر ثابت في نزوله، فلم يُكرمه، ولا أمَر له بِقِرًى، ولا تفقّده بنُزُلٍ(٦) ولا غيره، فلما رحل عنه قال يهجوه ويعيّره بردّ من خطب إليه:

[١٤/٢٧٣] / لو أنّ بَكيلاً هُم قومُه ... وكان أبوه أبا العاقبِ(٧)

لأكرمَنا إذ مررْنا به ... كرامةَ ذي الحَسَبِ الثاقِب

ولكنّ خيوانَ هم قومُه ... فبئس هم القومُ للصاحب(٨)

وأنت سَنِيدٌ بهم مُلصَق ... كما ألصِقتْ رُقعةُ الشاعب(٩)

وَحسْبُك حَسْبُك عند الثنا ... بأفعال كِندةَ من عائب(١٠)

خَطبتَ فجازَوْك لما خطبتَ ... جزاءَ يَسارٍ من الكاعبِ(١١)

(١) في جـ «دعبلاً» وفي ب، س، ط، مط «دعبل» وهو تحريف صوابه «دغفل»، وهو دغفل بن حنظلة النسابة من بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة، كان أعلم أهل زمانه بالأنساب، ومن أمثالهم: أنسب من دغفل، وقد وفد على معاوية، وقتلته الأزارقة، وله حديث طويل مع معاوية حين قدم عليه مع وفد العراق ـ اقرأه في «ذيل الأمالي» ص ٢٦، ج ٢: ٢٠٣، و «مجمع الأمثال» ج ١: ص ١٣ في المثل: «إن البلاء موكل بالمنطق»، وفي «العقد الفريد» ٢: ٥٥، و «المعارف» لابن قتيبة: ٢٣٢ و «بلوغ الأرب» ٣: ١٩٨.

وزيد: «هو زيد بنِ الكيس النمري من ولد عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، كان نسابة، قال أبو عبيدة: إنه ممن يقارب دغفلاً في العلم بالأنساب من العرب، وفيه وفي دغفل يقول مسكين بن عامر:

فحكم دغفلاً وارحل إليه ... ولا تدع المطيّ من الكلال

أو ابن الكيس النمريّ زيداً ... ولو أمسى بمنخرق الشمال

ـ «تاج العروس «كيس»، و «بلوغ الأرب» ٣: ٢٠٢.

(٢) مرو الروذ: مدينة بخراسان، مات بها المهلب بن أبي صفرة.

(٣) الزنيم: الدعيّ. واللئيم: المعروف بلؤمه وشره.

(٤) كذا في ب، س، جـ، والذي في ط، مط: «يزيد».

(٥) في ب، س «الحراني» وهو تحريف التصويب عن ط، جـ، مط. نسبة إلى خيوان بن نوف (كشمس) بن همدان.

(٦) النزل كعنق وقفل: ما هيىء للضيف أن ينزل عليه.

(٧) بكيل: حيّ من همدان، هم بنو بكيل بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان: والعاقب: الذي يخلف السيد.

(٨) في جـ، ب، س «حيوان» وهو تصحيف. ولعل الصواب ما أثبتنا. ورواية ط، مط:

* فبئس أخو القوم والصاحب *

(٩) السنيد: الدعيّ، شعب صدع الإناء كمنع: أصلحه ولأمه.

(١٠) الثنا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء يقال فلان حسن الثنا، وقبيح الثنا، وفي جـ وب س: «الشبا»، وفي ط، مط: «الشتا»؛ وهو تحريف.

(١١) من أمثالهم: لقي ما لاقى يسار الكواعب، والكاعب: الجارية التي كعب ثدياها أي نهدا، ويسار: عبد أسود دميم، وكان يقال له يسار الكواعب لأن النساء إذا رأينه ضحكن منه لقبحه، فكان يظن أنهن يضحكن من إعجابهن به، حتى نظرت إليه امرأة مولاه فضحكت فظن أنها خضعت له؛ فقال لصاحب له أسود كان يكون معه في الإبل: قد والله عشقتني مولاتي فلأزورنها الليلة، ولم يكن يفارق الإبل، فقال له صاحبه: يا يسار، اشرب لبن العشار، وكل لحم الحوار، (بالضم وقد يكسر: ولد الناقة إلى أن يفصل =

/ كـذبـتَ فـزيّفـتَ عقـدَ النكـاح لِمَتِّـكَ بـالنَّسَـب الكـاذبِ[1] [٢٧٤/١٤]

فـلا تخطبـنّ بعـدهـا حُـرّةً فتُثْنَـى بـوَسْـمٍ علـى الشـاربِ[2]

هجاؤه لقتيبة بن مسلم

قال أبو الفرج: ونسخت من هذا الكتاب قال: كان لثابت قطنة راويةٌ يقال له النضر، فهجا ثابتُ قطنةُ قتيبةَ بنَ مسلم وقومَه، وغيّرهم بهزيمةٍ انهزموها عن التُّرْك، فقال:

تـوافـتْ تميـمٌ فـي الطِّعـان وعـرّدتْ بُهَيْلَـةُ لمّـا عـاينـتْ معشـراً غُلْبـا[3]

كُمـاة كُفـاة يـرهَـب النـاسُ حـدَّهـم إذا مـا مشَـوْا فـي الحرب تَحْسَبهـم نُكْبـا[4]

تُسَـامـون كعبـاً فـي العُـلا وكِـلابَهـا وهيهـاتَ أن تلقَـوْا كِـلابـاً ولا كَعْبـا

قال: فأفشى عليه راويتُه ما قاله، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات:

يـا ليـت لـي بـأخـي نضـرٍ أخـا ثقـةٍ لا أرهـب الشـرَّ منـه غـابَ أم شهـدَا

/ أصبحـتُ منـك علـى أسبـابِ مَهْلكـةٍ وزَلّـةٍ خـائفـاً منـك الـردَى أبـدا[5] ٥٤/١٣

مـا كنـتَ إلا كـذئـب السُّـوءِ عـارضَـهُ أخـوه يـدمـى فَفَـرّى جِلْـدَه قِـددا

/ أو كـابـن آدم خَلّـى عـن أخيـه وقـد أدمَـى حَشَـاهُ ولـم يبسـط إليـه يـدا[6] [٢٧٥/١٤]

أهـم بـالصَّـرْفِ أحيـانـاً فيمنعنـي حيَّـا ربيعـةَ والعَقْـد الـذي عَقـدَا

= عن أمه) وإياك وبنات الأحرار، فقال له: يا صاحب، أنا يسار الكواعب، والله ما رأتني حرّة إلا عشقتني، فلما أمسى قال لصاحبه: احفظ عليّ الإبل حتى أنصرف وأعود إليك، فنهاه فلم ينته، حتى دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها، فقالت له: مكانك، فإن للحرائر طيباً أشمك إياه، فقال: هاتيه، فأتته بطيب وموسى قاطعة، فأشمته الطيب ثم انحنت بالموسى على أنفه فقطعته، وقيل: وضعت تحته بخوراً وقطعت مذاكيره، فصاح، فقالت: صبراً على مجامر الكرام، ثم خرج هارباً حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل ـ انظر «سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون» لابن نباتة المصري ص ٢٧٠.
وفي «مجمع الأمثال» للميداني ٢: ٢٤٨ أنه كان لمولى يسار بنت، فمرّت يوماً بإبله وهي ترتع في روض معشب، فجاء يساء بعلبة لبن فسقاها، وكان أفحج الرجلين، فنظرت إلى فحجه فتبسمت ثم شربت وجزته خيراً، فانطلق فرحاً حتى أتى عبداً كان يراعيه، وقص عليه القصة وقال: دخلت إليّ دخلة لا أخيبها (يقول: ضحكت ضحكة) ثم قام إلى علبة فملأها وأتى بها ابنة مولاه... فوضعت البخور تحته وتطأطأت كأنها تصلح البخور وأخذت مذاكيره وقطعتها بالموسى، قال الفرزدق يخاطب جريراً:

وإنـي لأخشـى إن خطبـت إليهـم عليـك الـذي لاقـى يسـار الكـواعـب

(١) المت: التوسل بقرابة.
(٢) تثنى: ترد. والوسم: أثر الكيّ.
(٣) كذا في جـ، ط، مط. وعرّدت: هربت. وبهيلة: تصغير باهلة: قوم قتيبة تصغير ترخيم؛ ويؤيد ذلك قوله: «فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه». غلب: جمع أغلب، وهو الغليظ الرقبة.
(٤) نكبا: جمع نكباء وهي كل ريح من الرياح الأربع، انحرفت ووقعت بين ريحين، وهي تهلك المال وتحبس القطر، والنكب من الرياح أربع: نكباء الصبا والجنوب، ونكباء الصبا والشمال، ونكباء الشمال والدبور، ونكباء الجنوب والدبور.
(٥) رواية ط، مط:

* وزلة خائفاً من شرها أبداً *

(٦) يشير إلى ابني آدم قابيل وهابيل، إذ قربا قرباناً إلى الله وهو زرع لقابيل وكبش لهابيل، فتقبل من هابيل، فنزلت نار من السماء فأكلت قربانه ولم يتقبل من قابيل، فغضب وقتل أخاه.

رثاؤه المفضل بن المهلب

ونسخت منه أيضاً قال: لما قتل المفضل[١] بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب، والناس حولها جلوس يعزّونها، فأنشدها:

يا هند كيف بِنُصْبٍ بات يَبْكيني ... وعائرٍ في سَواد الليل يؤذيني[٢]

كأنّ لَيْلِيَ والأصداءُ هاجدةٌ ... ليلُ السَّليم، وأعيا من يُداويني[٣]

لمّا حنى الدهرُ من قَوْسي وعذّرني ... شيبي وقاسيت أمرَ الغلْظ واللين[٤]

إذا ذكرتُ أبا غَسّانَ أرّقني ... همٌّ إذا عَرّس السّارُونَ يُشجيني[٥]

[١٤/٢٧٦] / كان المفضّل عِزًّا في ذوي يَمنٍ ... وعِصمةً وثِمالا للمساكين[٦]

ما زلتُ بعدَك في همٍّ تجيش به ... نَفْسي وفي نَصَب قد كادَ يُبْليني[٧]

إنّي تذكّرتُ قتلَى لو شهدتُهُمُ ... في حَوْمَةِ الموت لم يَصلَوْا بها دُوني[٨]

لا خيرَ في العَيْشِ إن لم أجن بعدَهم ... حرباً تُبِيء بهم قتلى فيشفوني[٩]

فقالت له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيتَ الحقّ، وما من المرثية[١٠] بُدٌّ، وكم من مِيتةِ ميّتٍ أشرفُ من حياةِ حَيّ، وليست المصيبة في قتل ممن استشهد ذابًّا عن دينه، مطيعاً لربه، وإنما المصيبة فيمن قلّت بصيرتُه، وخَمل ذكرُه بعد موته، وأرجو ألاّ يكون المفضّل عند الله خاملاً، يقال: إنه ما عُزّي يومئذٍ بأحسنَ من كلامها.

رده على ابن الكواء

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضاً قال: كان ابن الكَوّاء[١١] اليشكريّ مع الشُّراة والمهلب يحاربهم، وكان

(١) بعد هزيمة يزيد بن المهلب وقتله ـ كما سيأتي بعد ـ اجتمع آل المهلب بالبصرة وأمروا عليهم المفضل بن المهلب، وخرجوا إلى كرمان، وبكرمان فلول كثيرة، وبعث مسلمة بن عبد الملك في طلبهم، وقد اجتمعت الفلول إلى المفضل بفارس، فأدركوهم في عقبة واشتدّ قتالهم إياه، فقتل المفضل وجماعة من خواصه، وقتل آل المهلب عن آخرهم إلا أبا عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل، فإنهما نجوا فلحقا برتبيل ملك الترك.

(٢) النصب بالفتح والضم وبضمتين: الداء والبلاء. والعائر: كل ما أعل العين، والرمد، والقذى كالعوّار.

(٣) الأصداء: جمع صدى، وهو الصوت. والهجود: النوم. والسليم: الملدوغ. أعيا: أعجز.

(٤) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول:

* قاسيت منه أمر الغلظ واللين *

وعذرني: من عذر الدار: طمس آثارها، والمعنى: هدّني وهدمني، وفي جـ «وغدرني» وهو تصحيف. والغلظ بفتح اللام وخفف هنا بتسكينها للشعر.

(٥) عرّس القوم: نزلوا في آخر الليل للاستراحة. سرى: سار ليلاً، شجاه وأشجاه: أحزنه.

(٦) الثمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه. وفي ط، مط «في المساكين».

(٧) جاشت النفس: ارتفعت من حزن أو فزع. وفي ب، س، جـ، ط، مط: «كاد يسليني».

(٨) في ب، س: «تذكرت فعلي» وهو تحريف. وصلى النار وبها: قاسى حرها.

(٩) تبيء: أباء القاتل بالقتيل: قتله.

(١٠) في ب، س (المرزئة).

(١١) في جميع الأصول «ابن الكوفي» وهو تحريف، وهو عبد الله بن الكواء. لما رجع الإمام علي من صفين إلى الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلالاً، ونزلوا حروراء بظاهر الكوفة في اثنى عشر ألفاً، وأمروا على القتال شبث بن ربعي التميمي، وعلى=

بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلبَ وعمَّ الأزد بالهجاء، فقالت لثابت: أجبه [فقال له ثابت][1]:

[٢٧٧/١٤]

/ كلُّ القبائلِ من بكرٍ نعدُّهُم ... واليشكُريّون منهمْ ألأمُ العَرَبِ[2]

أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدتْ ... بيشكرٍ أمُّه المَعرورة النَّسبِ[3]

نَحاكُمُ عن حياضِ المجدِ والدُكَمْ ... فما لكم في بني البَرْشاء من نسبِ[4]

أنتم تَحلُّون من بكرٍ إذا نُسِبوا ... مثل القُراد حَواليْ عُكوَة الذَّنبِ[5]

نُبِّئتُ أن بني الكَوّاء قد نبحوا ... فِعلَ الكلاب تتلّى اللَّيث في الأشبِ[6]

يَكوِي الأُبَيْجِر عبد اللّه شيخكم ... ونحن نُبرى الّذي يَكوى من الكَلَبِ[7]

كتابه إلى يزيد بن المهلب

ونسختُ من كتابه أيضاً قال: كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرّضه:

إن امرأً حدبت ربيعةُ حولَه ... والحيُّ من يَمَنٍ وهابَ كَئودا[8]

لَضعيفُ ما ضمّت جوانحُ صدرِه ... إن لم يَلُفَّ إلى الجُنود جنودا[9]

أيزيدُ كُنْ في الحَرْب إذ هيّجتَها ... كأبيك لا رَعِشاً ولا رِعْديدا[10]

[٢٧٨/١٤]

/ شَاوَرْتَ أكْرَم من تناول ماجد ... فرأيتُ هَمَّك في الهموم بعيدا

٥٥/١٣

/ ما كان في أبويك قادحُ هُجْنة ... فيكون زَندُك في الزِّناد صَلودا[11]

إنا لضرّابونَ في حَمَس الوَغَى ... رأس المتوّج إنْ أراد صدودا

وقُرٌ إذا كَفَر العَجاج تَرى لنا ... في كلّ معركة فوارسَ صِيدا[12]

يا ليت أسرتك الّذين تَغيَّبوا ... كانوا ليومك بالعِراق شُهودا

= الصلاة عبد الله بن الكوّاء اليشكري.

(١) تكملة من ط، مط، مب.

(٢) بكر: هم بكر بن وائل، ومنهم بنو يشكر بن بكر. وفي س «واليشكرين»؛ وهو تحريف، وفي ب، س «نعددهم».

(٣) لجيم: هو لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والحصن: هو ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وفي بعض الأصول: «فقدت» وهو تحريف، والصواب ما أثبتنا كما في ط، مط، مب، ها.

(٤) في ب، س، جـ «حياض الوجد» وهو تحريف، والبرشاء: لقب أم ذهل وشيبان وقيس بني ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، لقبت بذلك لبرش أصابها (والبرش: البرص).

(٥) العكوة بالضم ويفتح: أصل الذنب.

(٦) في جـ، ط «قد ضبحوا». الأشب: شدّة التفاف الشجر وكثرته حتى لا مجاز فيه.

(٧) الأبيجر: مصغر الأبجر، وهو العظيم البطن.

(٨) الكئود: المرتقى الصعب.

(٩) ما ضمت جوانح صدره: كناية عن القلب.

(١٠) الرعش والرعديد: الجبان.

(١١) الهجنة كون أحد الزندين وادياً والآخر صالداً. وصلد الزند: صوّت ولم يور، فهو صالد وصلود.

(١٢) العجاج: الغبار، كفره كضرب كفراً بالفتح: ستره وغطاه. الثرى: الأرض. صيد: جمع أصيد وهو رافع رأسه كبراً.

وتـرى مـواطنهـم إذا اختلـف القنـا والمشـرفيّـة يلتظيـن وقـودا[١]

فقال يزيد لما قرأ كتابه[٢] : إن ثابتاً لغافل عمّا نحن فيه، ولعمري لأطيعنّه، وسَيَرى ما يكون، فاكتبوا إليه بذلك.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ عن العمري عن الهيثم بن عديّ قال: أُنشِد مَسلمةُ بنُ عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب قولَ ثابت قطنة:

يـا ليـت أسْـرتـك الـذيـن تَغَيّبـوا كـانـوا لِيـومـك يـا يـزيـد شهُـودا

فقال مَسلمة: وأنا والله لودِدت أنهم كانوا شهوداً يومئذٍ، فسقيتُهم بكأسه، قال: فكانَ مَسلمةُ أحدَ من أجاب شعراً بكلام منثورٍ فغلَبَه.

خطب امرأة، فدفعه عنها جويبر بن سعيد

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفي قال: حدّثني محمد القحذميّ عن سليمانَ بن ناصح الأسدي قال: خطب / ثابت قطنة امرأةً كان يميل إليها، فجعل السفير بينه وبينها [١٤/٢٧٩] جُوَيْبِر بن سعيد المحدِّث، فاندسّ فخطبها لنفسه، فتزوّجها ودفع عنها ثابتاً، فقال ثابت حين بان له الأمر[٣] :

أفْشَـى علـيّ مقـالـةً مـا قلتهـا وسعـى بـأمـرٍ كـان غيـرَ سـديـدِ
إنـي دعـوت الله حيـن ظلمتنـي ربّـي وليـس لمـن دعـا ببعيـد
أن لا تـزال متيّمـا بخـريـدةٍ تَسبـي الـرجـال بمقلتيـن وجِيـد[٤]
حتـى إذا وجـب الصّـداق تلبّسـتْ لـك جلـدَ أغْضَـفَ بـارزٍ بصعيـد[٥]
تـدعـو عليـك الحـاريـات مُبـرّة[٦] فتَـرى الطـلاق وأنـت غيـرُ حميـد

قال: فلقَى جُوَيبرٌ كلَّ ما دعا عليه ثابت به، ولحقه من المرأة كلُّ شرّ وضُرّ حتى طلّقها بعد أن قبضتْ صداقَها منه.

رثاؤه يزيد بن المهلب

أخبرني جعفر بنُ قدامة قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلّب في يوم العُقْر[٧] ، فلمّا خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل، قال ثابتُ قطنة يرثيه:

كـل القبـائـل بـايَعـوك علـى الّـذي تـدعـو إليـه وتـابَعـوك وسـاروا

---

(١) القنا: الرماح. والمشرفية: السيوف نسبة إلى مشارف الشام. التظت وتلظت: تلهبت وتوقدت.
(٢) في ب، س: «الكتاب».
(٣) كذا في ط، مط. وفي باقي الأصول «فحين بان الأمر قال».
(٤) تيمه الحب: عبده وذلله، والخريدة: البكر التي لم تمسس.
(٥) في ب وس: «تلعبت». والأغضف: الكلب.
(٦) مبرة: غالبة قاهرة. وفي ب، س «بنكية».
(٧) العقر: موضع ببابل قرب كربلاء من الكوفة، كانت فيه الوقعة بين مسلمة بن عبد الملك وبين يزيد بن المهلب، وفيه قتل يزيد.

حتى إذا حَمِس الوَغى وجعلتَهم نصبَ الأسنّة أسلموك وطاروا[1]

إن يقتلوك فإنّ قتلَك لم يكن عاراً عليك، وبعضُ قتلٍ عار[2]

/ هجاؤه لربيعة [١٤/ ٢٨٠]

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب المرهِبي قال: كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأزد، فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر، فشغِبت عليه حتى أرضاها فيه، فقال ثابت قطنة يهجوهم:

عصافير تَنْزُو في الفساد، وفي الوغى إذا راعَها رَوْعٌ جَمامِيحُ بَرْوَقِ[3]

/ الجماميح: ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً، وواحده جماح، فإذا دُقّ تَطاير. وبَرْوَق: نبت ضعيف. ٥٦/١٣

أأحلمُ عن ذِبّان بكر بن وائل ويعلق من نفسي الأذى كلّ مَعلِق[4]

ألم أكُ قد قلّدتكم طوقَ خِزيةٍ وأنكلتُ عنكمْ فيكُم كلّ مُلصَق[5]

لعمركَ ما استخلفتُ بكراً ليَشغَبوا عليّ، وما في حِلْفكم من مُعلَّق[6]

ضممتكُم ضمّاً إليّ وأنتمُ شَتاتٌ كفَقْع القاعة المتفرّق[7]

فأنتمْ على الأدنى أسودٌ خفِيّةٍ وأنتم على الأعداء خِزّانُ سَمْلَق[8]

/ شعره لما منعه قتيبة بن مسلم [١٤/ ٢٨١]

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامريّ قال: قال القَحْذميّ: دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان ـ أظنّه قتيبة[9] بن مسلم ـ فمدحه وسأله حاجة، فلم يقضها له، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه: لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني[10] عنه، وأنشأ يقول:

أبا خالدٍ لم يَبْقَ بعدك سُوقةٌ ولا مَلِك ممّن يُعين على الرِّفْدِ[11]

---

(١) أسلموك: خذلوك.

(٢) في «وفيات الأعيان»، و«مغني اللبيب» ١ : ٢٤ «ورب قتل عار» وهو على تقدير «هو عار».

(٣) نزا: وثب. والروع: الفزع.

(٤) الذبان: الذباب، وفي جـ «دبان» وفي ب وس «ديان» وهو تصحيف، وفي س «من نفس الأذى»، وفي جـ، ب، س «وتعلق» وهو تصحيف.

(٥) أي كل ملصق فيكم، وأنكلت الحجر عن مكانه: دفعته عنه.

(٦) من معلق، أي من شيء يتعلق به ويعتمد عليه.

(٧) شتات، أي ذوو شتات وهو الفرقة، ومن أمثال العرب: أذل من فقع بقرقر، والفقع بالفتح ويكسر: البيضاء الرخوة من الكمأة، والجمع فقعة كقردة. والقاع والقاعة والقرقر: أرض مطمئنة سهلة مستوية، وذلك لأن الفقعة لا تمتنع على من اجتناها، أو لأنها توطأ بالأرجل لأنها لا أصول لها ولا أغصان.

(٨) في جـ «أسود خيفة» وفي ب وس «أسود مخيفة» والتصويب عن ط، مط. وخفية هي أجمة في سواد الكوفة تنسب إليها الأسود، فيقال أسود خفية. والسملق: الأرض المستوية الجرداء التي لا شجر بها، وخزان: جمع خزز بضم ففتح وهو ذكر الأرانب، وهي معروفة بالجبن.

(٩) ولاه الحجاج خراسان بعد يزيد بن المهلب سنة ٨٦، وقتل سنة ٩٦.

(١٠) كذا في ب، س، جـ، والذي في ط، مط «لما ردّني».

(١١) أبو خالد: كنية يزيد بن المهلب، والرفد: العطاء.

ولا فــاعــلٌ يــرجــو المقلُّــون فضلَــه ولا قــائــلٌ يَنْكــا العــدوَّ علــى حقــد[١]

لــو أنّ المَنــايــا ســامحــتْ ذا حَفيظــة لأكــرمنــه أو عُجْــن عَنــه علــى عَمــد[٢]

شعره في قومه

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استَنصَرَ عليها بعضهم[٣] فلم ينصره فقال في ذلك:

تعفّفــتُ عــن شَتــم العشيــرة إنّنــي وجــدتُ أبي قــد عَــفّ[٤] عن شَتمهـا قَبْلِي

حليمــاً إذا مــا ٱلحلــمُ كــان مــروءةً وأجهَــلُ أحيــانــاً إذا ٱلتمســوا جهلــي

خبره مع أمية بن عبد الله بن خالد

أخبرني عمي قال: حدّثني العَنَزيّ عن مسعود بن بشر قال: كان ثابت قطنة بخراسان، فوليها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسد لعبد الملك بن مروان، فأقام بها مدّة، ثم كتب إلى عبد الملك: «إن خَراج خُراسان لا يفي بمطبخي»، وكان أميّة يحمَّق، فرفع ثابتُ قُطنة إلى البريد[٥] رقعة وقال: أوصِل هذه معك، فلما أتى عبد الملك / أوصل إليه كتابَ أمية، ثم نَثَل[٦] كِنانتَه بين يديه فقرأ ما فيها، حتى أنتهى إلى رقعة ثابت قطنة، فقرأها ثم عزله عن خُراسان. [١٤/٢٨٢]

صوت

طَــرِبــتُ وهــاجَ لــي ذاك ٱدّكــاراً بكَــشٍّ وقــد أطلــت بــه الحِصــارا[٧]

وكنــتُ ٱلَــذّ بعــضَ العيــش حتّــى كبِــرتُ وصــار لــي همّــي شِعــارا

رأيــتُ الغــانيــات كــرهــن وصلــي وأبــديــن الصَّــريمَــة لــي جِهــارا[٨]

الشعر لكعب الأشقريّ، ويقال إنه لثابت قطنة، والصحيح أنه لكعب، والغناء للهُذَلي، ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمرو بن بانة، وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن لقَفَا النجّار.

(١) ينكا العدوّ: يهزمه.
(٢) عاج عنه: رجع وأنصرف.
(٣) كذا في ط، مط، والذي في جـ، ب، س: «استنصروا به فيها فلم ينصرهم».
(٤) كذا في ط، مط وفي باقي الأصول «كفّ».
(٥) البريد: الرسول.
(٦) نثل الكنانة كضرب: استخرج نبلها فنثرها.
(٧) كش: قرية من قرى أصبهان بفارس، وأعاد عليها الضمير في «به» مذكراً باعتبار البلد أو المكان.
(٨) الصريمة: القطيعة.

/ أخبارُ كعبِ الأشقريّ ونسبُه

[٢٨٣/١٤]

نسبه وبعض أخباره

هو كعب بنُ مَعْدان الأشقريّ، والأشاقر[١]: قبيلة من الأَزْد، وأمّه من عبد القيس، شاعر / فارس خطيب معدود في الشجعان، من أصحاب المهلّب والمذكورين في حروبه للأزارقة، وأوفده المهلّب إلى الحجّاج، وأوفده الحجاج إلى عبد الملك. $\frac{٥٧}{١٣}$

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا [أبي قال حدّثنا][٢] وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي عن قتادة قال: سمعت الفرزدق يقول: شعراء الإسلام أربعة: أنا، وجرير، والأخطل، وكعب الأشقريّ.

أخبرني وكيع قال: حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا [أبي قال: حدّثنا][٢] وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي عن المتلمّس قال: قلت للفرزدق: يا أبا فراس، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له «كعب؟ فقال الفرزدق: إي والذي خَلَق الشِّعر»[٣].

شعره للحجاج عن وقعة الأزارقة

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد، وأخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكُراني قال: حدثنا العُمَري عن العُتْبيّ ـ واللفظ له وخبره أتمّ ـ قال: أوفد المهلّب بنُ أبي صُفرة كعباً الأشقريَّ ومعه مُرّة بنُ التليد[٤] الأزدي إلى الحجّاج بخبر وقعة كانت له مع الأزارقة، فلمّا قدما عليه ودخلا دارَه بَدَر كعب بنُ مَعدانَ فأنشد الحجّاج قولَه:

[٢٨٤/١٤]

/ يـا حفْـصَ إنّـي عَـداني عنكُـم السَّفَـرُ ... وقـد سهِـرتُ فـآذَى عينـيَ السَّهَـرُ[٥]

عُلِّقـتَ يـا كعـبُ بعـد الشَّيـب غـانيـةً ... والشيب فيـه عـن الأهـواء مـزدجَـر[٦]

أممسِـك أنـتَ منهـا بـالّـذِي عهـدتْ ... أم حبلُهـا إذ نـأتْـكَ اليـومَ منبتِـر[٧]

ذكـرتُ خَـوْداً بـأعلـى الطَّـفِّ منـزلُهـا ... فـي غُـرفـةٍ دونَهـا الأبـوابُ والحجَـر[٨]

---

(١) الأشاقر: جمع أشقر: وهم بنو عائذ بن دوس.

(٢) تكملة عن ط، مط.

(٣) رواية ط، مط: «فقال كعيب: إي والذي خلق الشعر».

(٤) في ب، «التليه» وهو تحريف وصوابه كما في ط، مط، جـ.

(٥) عداه من الأمر: صرفه وشغله.

(٦) علق أمرأة: أحبها.

(٧) يقال نآه ونأى عنه، أي بعد. منبتر: منقطع.

(٨) الخود: الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة. والطف: موضع قرب الكوفة.

وقد تركتُ بشطِّ الزّابِيَيْنِ لها ... داراً بها يَسعَد البادُون والحَضَر[١]

واخترتُ داراً بها قوم أُسَرُّ بِهِمْ ... ما زال فيهم لمن تَختارهم خِيَر

أبا سعيدٍ فإني سرتُ منتجِعاً ... وطالبُ الخَيْر مُرتاد ومنتظِر[٢]

لولا المهلَّب ما زُرْنا بلادَهُم ... ما دامتِ الأرضُ فيها الماء والشجرُ

وما من الناس من حيٍّ علمتُهمُ ... إلاّ يُرَى فيهُم من سَيْبِكم أثر[٣]

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرُّواة في الخبر، فتركتُ ذكرَها لطولها[٤]، يقول فيها:

فما يجاوز بابَ الجسْر من أحدٍ ... قد عضّتِ الحربُ أهلَ المصر فانْجَحروا[٥]

كنّا نهوِّن قبل اليوم[٦] شأنَهمُ ... حتى تفاقَم أمرٌ كان يُحتقَر

لمّا وَهَنّا وقد حلُّوا بساحتنا ... واستنفَر الناسُ تاراتٍ فما نَفَروا[٧]

نادى امرؤٌ لا خلافٌ في عشيرته ... عنه وليس به عن مثلها قِصَر

{١٤/٢٨٥} / حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلَّب في بلدٍ بلد، فقال:

خَبُّوا كمينَهمُ بالسَّفح إذ نزلوا ... بكازَرُونَ فما عَزّوا وما نَصَروا[٨]

باتتْ كتائبُنا تَردِي مسوَّمةً ... حولَ المهلَّب حتى نوّر القمرُ[٩]

هناك ولَّوا خَزايَا بعد ما هُزِموا ... وحال دُونَهُمُ الأنهارُ والجُدُر[١٠]

تأبى علينا حزازاتُ النفوس فما ... نُبقي عليهم ولا يُبقون إن قَدروا

فضحك الحجاج وقال له: إنك لمنصف يا كعبُ، ثم قال الحجّاج: أخطيب أنت أم شاعر؟ فقال: شاعر وخطيب. فقال له: / كيف كانت حالُكم مع عدوّكم؟ قال: كنا إذا لقِيناهم بعفونا وعفوهم، فعفْوُهم تأنيسٌ منهم، فإذا لقِيناهم بجهدنا وجهدِهم طمِعنا فيهم، قال: فكيف كان بنو المهلب؟ قال: حماة للحريم[١١] نهاراً، وفرسانٌ بالليل أيقاظاً، قال: فأين السماع من العيان؟ قال: السماع دون العيان، قال: صفهم رجلاً رجلاً، قال: المغيرة فارسُهم وسيّدهم،

(١) الزابيان: نهران أسفل الفرات بين الموصل وتكريت.

(٢) أبو سعيد: كنية المهلب. وانتجع: طلب الكلأ في موضعه، وانتجعه، أتاه طالباً معروفه.

(٣) السيب: العطاء.

(٤) أوردها الطبري في «تاريخه»، وعدّتها ثلاثة وثمانون بيتاً.

(٥) في ب، س «فانحجروا» وهو تصحيف.

(٦) حـ ب، س «قبل الموت».

(٧) وهنا: ضعفنا. استنفر القوم فنفروا معه، أي استنجدهم واستنصرهم فنصروه.

(٨) رواية الطبري «عبوا جنودهم» وكازرون: مدينة بفارس بين البحرين وشيراز.

(٩) ردى الفرس كرمى: عدا فرجم الأرض بحوافره. والكتيبة: جماعة من الخيل إذا أغارت، من المائة إلى الألف، الخيل المسوّمة: المرسلة وعليها ركبانها، أو المعلمة التي عليها السومة وهي العلامة.

(١٠) في ط، مط «هناك ولوا جراحاً بعد ما هزموا» وفي ب، س «هناك ولوا جراحاً بعد ما هربوا».

(١١) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول «للغريم».

نار ذاكية، وصَعْدة[1] عالية، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، ليثُ غاب، وبحرٌ جمُّ العُباب[2]، وجَوادُهم قَبيصة، ليث المَغار، وحامي الذِّمار[3]، ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مُدرِك، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضِر، والأسد الخادر[4]، وعبد الملك سمٌّ نافع، وسيف قاطع، وحبيب / الموتُ الذُّعاف[5]، إنما هو طَوْد شامخ، وفخر باذخ[6]، وأبو عيينة البطل الهمام، والسيف الحسام، وكفاك بالمفضّل نجدة، ليثٌ هدّار، وبحرٌ موّار[7]، ومحمد ليث غاب، وحسامُ ضِراب، قال: فأيّهم أفضل؟ قال: هم كالحلقة المفرَغة لا يُعرف طرفاها، قال: فكيف جماعة الناس؟ قال: على أحسن حال، أدركُوا ما رجَوْا، وأمِنوا ممّا خافوا، وأرضاهم العدل، وأغناهم النَّفَل[8]، قال: فكيف رضاهم عن المهلّب؟ قال: أحسن رضا، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد، ولا يعدم منهم برَّ الولد؟ قال: فكيف فاتكم قَطَرِيّ؟[9] قال: كدناه فتحوّل عن منزله وظن أنه قد كادنا، قال: فهلاّ تبعتموه! قال: حالَ الليلُ بيننا وبينه، فكان التحرّز[10] ـ إلى أن يقع العيان، ويعلم امرؤٌ ما يصنع ـ أحزم، وكان الحدّ عندنا آثرَ من الفَلّ، فقال له المهلّب: كان أعلمَ بك حيث بعثك وأمرَ له بعشرة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة[11] آلاف أخرى. [٢٨٦/١٤]

شعره في المهلب وولده

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدّثني أبو عمرو بُنْدار الكرجيّ قال: حدّثنا أبو غسّانَ التميمي عن أبي عبيدة قال: كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء: تشبّهوني مرّة بالأسد، ومرة بالبازي، ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقريّ في المهلب وولده!

/ بَـــراكَ الله حِيـــنَ بَـــراكَ بحْـــراً ... وفَجّـــرَ منْـــكَ أنهـــاراً غِـــزارا [٢٨٧/١٤]

بنـــوك السـابقـــون إلـــى المعـالـــي ... إذا مـــا أعظَـــم النـــاسُ الخِطـــارا[12]

كـــأنّهُـــمُ نجـــومٌ حـــولَ بَـــدْرٍ ... دَرارِيٌّ تكمَّـــلَ فـــاسْتَـــدارا[13]

---

(١) ذكت النار: اشتد لهيبها، والصعدة: القناة المستوية تنبت كذلك.

(٢) في ب، س «جم عباب».

(٣) الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.

(٤) أسد خادر: مقيم في عرينه داخل في الخدر.

(٥) يقال: موت ذعاف وذؤاف وزعاف وزؤاف: شديد سريع.

(٦) الطود: الجبل، والباذخ: العالي.

(٧) مار: ماج واضطرب.

(٨) النفل: الغنيمة والهبة.

(٩) هو قطري بن الفجاءة المازني، ولاه الخوارج الأزارقة عليهم، وبايعوه بعد قتل أميرهم الزبير بن علي السليطيّ، ودار بينه وبين المهلب قتال عنيف، ولما دبت عقارب الخلاف بين الأزارقة خلعوا قطرياً، وولوا عبد ربه الصغير، فانفصل إلى عبد ربه أكثر من الشطر، وارتحل قطري ومن معه إلى طبرستان، فوجه إليه الحجاج جيشاً عليه سفيان بن الأبرد فقاتلوه وتفرق عنه أصحابه وقتل سنة ٧٨ هـ.

(١٠) في ب وس «المتحري» وفي جـ «المتحرر» والتصويب عن ط، مط. والعيان. المشاهدة.

(١١) في ط، مط، ما، مب: «بعشرين ألف درهم».

(١٢) الخطار: المراهنة.

(١٣) في ب، س «حول بحر» والتصويب عن ط، مط. وكوكب درّيّ: مضيء؛ والجمع دراريّ وتقدير البيت: كأنهم نجوم دراريّ؛ حول بدر تكمل فاستدار.

ملـــوكٌ ينـــزلـــون بكـــلّ ثَغْـــرٍ إذا مـــا الهـــامُ يـــومَ الـــرَّوْع طـــارا(١)

رِزانٌ فـــي الأمـــور تَـــرى عليهـــم مِـــن الشَّيـــخ الشمـــائـــلَ والنجـــارا(٢)

نجـــومٌ يُهتـــدَى بهـــمُ إذا مـــا أخـــو الظُّلْمـــاء فـــي الغَمَـــرَاتِ حـــارا(٣)

وهذه الأبيات من القصيدة التي أوّلها:

* طربتُ وهاج لي ذاك آدّكارا *

التي فيها الغناء.

تهاجيه وزياد الأعجم

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدّثنا غسّان بنُ ذَكْوانَ الأهوازي قال: ذكر العُتْبيّ أن زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقريّ، واتصل الهجاء بينهما، ثم غلبه زياد، وكان سبب ذلك أنّ شرًّا وقع بين الأزد وبين عبد القيس، وحرْباً سكّنها المهلّب وأصلَحَ بينهم، وتحمّل ما أحدثه كلُّ فريق على الآخر، وأدّى دِياته، فقال كعب يهجو عبد القيس:

[١٤/٢٨٨] / إنّـي وإن كنـتُ فـرعَ الأَزْد قـد عَلِمـوا أَخـزَى إذا قيـل عبـدُ القيـس أخـوالـي

٥٩/١٣ / فَهْـمٌ أبـو مـالـكٍ بـالمجـد شـرّفنـي ودنَّـس العبـدُ عبـدُ القيـس سِـرْبـالـي

قال: فبلغ قوله زياداً الأعجم فغضب وقال: يا عجباً للعبد بن العبد بنِ الحِيتان والسَّرَطان(٤)، يقول هذا في عبد القيس، وهو يَعلم موضعي فيهم! والله لأدعنّه وقومَه غَرَضاً لكل لسان، ثم قال يهجوه:

نبِّـئـتُ أشقـرَ تَهجُـونـا فقلـتُ لهـمْ مـا كنـتُ أحسبهـمْ كـانـوا ولا خُلقـوا

لا يَكثُـرون وإن طـالـت حيـاتُهـم ولـو يبـول عليهـمْ ثعلـبٌ غَـرِقـوا

قـومٌ مـن الحَسَـبِ الأدنـى بمنـزلـةٍ كـالفَقْـع بـالقـاع لا أَصْـلٌ ولا وَرَق(٥)

إنّ الأشـاقـرَ قـد أضحَـوْا بمنـزلـة لـو يُـرهَنـون بنَعلَـيْ عبـدِنـا غَلِقـوا(٦)

قال: وقال فيه أيضاً:

هـل تَسمـع الأَزْد مـا يقـال لهـا فـي سـاحـة الـدّار أم بهـا صَمَـمُ؟

اِختتَـنَ القـومُ بعـد مـا هَـرِمـوا واستعـرَبـوا ضَلّـةً وهـمْ عَجَـمُ(٧)

---

(١) الهام: جمع هامة، وهي الرأس.

(٢) رزان: جمع رزين. الشمائل: جمع شمال بالكسر، وهو الطبع. والنجار: الأصل والحسب.

(٣) كذا في جميع الأصول. والذي في ابن أبي الحديد. «أخو الغمرات في الظلماء» والغمرات الشدائد.

(٤) السرطان: دابة تسمى عقرب الماء.

(٥) رواية «العقد الفريد»:

وهـم مـن الحسـب الـزاكـي بمنـزلـة كطحلـب المـاء لا أصـل ولا ورق

(٦) غلق الرهن كفرح: استحقه المرتهن إذا لم يفك في الوقت المشروط.

(٧) الضلة: الحيرة.

قال: فشكاه كعبٌ إلى المهلّب وأنشده هذين البيتين، وقال: والله ما عَنَى بهما غيرَك، ولقد عمّ بالهجاء قومَك، فقال المهلّب: أنت أسمعتَنا هذا وأطلقتَ لسانه فينا به، وقد كنتَ غنيًّا عن هجاء عبد القيس وفيهم مِثلُ زياد، فاكفف عن ذكره، فإنك أنت بدأته، ثم دعا بزياد فعاتبه، فقال: أيها الأمير، اِسمع ما قال فيّ وفي قومي فإن كنتُ ظلمتهُ فانتصِر، وإلاّ فالحجة عليه، ولا حُجّة على امرىءٍ انتَصَر لنفسه وحسَبِه وعشيرته، وأنشده قولَ كعب فيهم:

/ لعلّ عُبيدَ القيس تَحسَب أنّها ... كتغلبَ في يوم الحفيظة أو بَكرِ[1] [٢٨٩/١٤]

يُضعضِع عبدَ القيس في النّاس مَنصِب ... دنيءٌ وأحسابٌ جُبِرن على كَسرِ

إذا شاع أمرُ النّاس وانشقّت العصا ... فإنّ لُكيزاً لا تَريشُ ولا تَبري[2]

فقال المهلّب: قد قلتَ له أيضاً، قال: لا والله ما انتصَرْتُ، ولولاك ما قصّرت وأيّ انتصار في قولي له[3]:

يَا أيُّها الجاهلُ الجاري ليُدركَني ... أقصِر فإنّكَ إن أدركتَ مصروعُ

يا كعبُ لا تَكُ كالعَنز الّتي بَحثت ... عن حَتفها وجَنابُ الأرض مَربوع

وقولي[3]:

لئن نَصبتَ لي الرّوْقين مُعترِضاً ... لأرمينّكَ رمياً غيرَ ترفيعِ

إنّ المآثر والأحسابَ أورثَني ... منها المَجاحِيعُ ذِكراً غيرَ مَوْضُوع

هجاؤه عبد القيس

يعني مَجاعَة بن مرّة الحنفي، ومَجاعة بن عمرو بن عبد القيس، فأقسم عليهما المهلّب أن يصطلحا، فاصطلحا وتكافّا، وممّا هجا كعبٌ الأشقريّ عبدَ القيس به قوله:

ثَوَى عامين في الجِيَف اللّواتي ... مطرّحة على باب الفصيلِ[4]

أَحَبُّ إليّ من ظِلٌ وكِنٌ ... لعبد القيس في أصل الفَسِيلِ[5]

إذا ثارَ الفُساءُ بهم تَغَنّوا ... ألم تَربَعْ على الدِّمَن المثُول

تَظَلّ لها ضَبابَاتٌ علينا ... موانعُ من مَبيتٍ أو مَقِيلِ

/ **هجاؤه ربيعة واليمن** [٢٩٠/١٤]

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب للنضر بن حديد: كانت ربيعةُ واليمنُ متحالِفةً، فكان / المهلّب وابنه يزيدُ ٦٠/١٣ يُنزِلان هاتين القبيلتين في محلتهما، فقال كعبٌ الأشقريّ ليزيد:

لا ترجَونّ هِنائيًا لصالحةٍ ... واجعلهمُ وهَداداً أُسوةَ الحُمُرِ[6]

---

(١) الحفيظة والحفاظ: الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب.

(٢) هو لكيز بن أفصى بن عبد القيس. راش السهم يريشه: ركب عليه الريش.

(٣) ساقطة من جـ وط، مط.

(٤) ثوى: أقام. ومطرحة، أي هي مطروحة، والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٥) الكن: الستر. والفسيل: جمع فسيلة: وهي النخلة الصغيرة.

(٦) هنائي: نسبة إلى هناء، وهم بنو هناء بن عمرو بن الغوث بن طيء. وهداد: حي من اليمن.

حَيّانِ مالهما في الأزْد مأثُرةٌ غيرُ النَّواكة والإفراطِ في الهَذَرِ[1]
واجعل لُكَيزاً وراءَ الناس كلِّهم أهلَ الفُساءِ وأهلَ النَّتْنِ والقَذَرِ
قومٌ علينا ضَبابٌ من فُسائهمُ حتى تَرانَا له مِيداً من السُّكُرِ[2]
أبلغ يزيدَ بأنّا ليس يَنْفعُنَا عيشٌ رَغِيدٌ ولا شيءٌ من العِطْرِ
حتى تُحِلَّ لُكَيْزا فوق مَدْرَجةٍ من الرّياح على الأحياء مِنْ مُضَرِ[3]
ليأخُذُوا لِنِزار حَظَّ سُبّتِها كما أخذنا بحظّ الحِلْف والصِّهرِ

شعره في المهلب أمام رسول الحجاج

أخبرني محمد بنُ خلف وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدّثنا أبي قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلّب يأمره بمناجزَة الأزارقة ويستبطئه ويضعّفه، ويعجّزه في تأخيره أمرَهم ومطاوَلتهم[4]، فقال المهلّب لرسوله: قل له: إنّما البلاء أنّ الأمر إلى من يَملِكه لا إلى من يعرفه، فإن كنتَ نصبتَني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبِّرها كما أرى، فإن أمكنتْني الفرصة انتهزتُها، وإن لم تُمْكنِّي / [توقّفت][5]، فأنا أدبر ذلك بما يُصلحه، [١٤/٢٩١] وإن أردتَ منّي أن أعمل [وأنا حاضر][5] برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن كان خطأ فعليّ، فابعث من رأيتَ مكاني، وكتب مِن فَوْره بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: لا تُعارض المهلّب فيما يراه ولا تُعجِلْه، ودَعْه يدبّر أمره، وقام الأشقريّ إلى المهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجاج:

إن ابنَ يوسف غرّه من غزوكم خفضُ المُقام بجانب الأمصارِ
لو شاهَدَ الصَّفَّين حين تَلاقَيَا ضاقت عليه رَحِيبةُ الأقطار
من أرض سابُورِ الجُنودِ، وخَيْلُنا مِثْلُ القِداح بَرَيْتَها بِشفارِ[6]
من كلّ خنذيذ يُرَى بلَبانِه وَقْعُ الظُّباة مع القنا الخَطّار[7]
ورأى معاوَدَة الرِّباعِ غنيمةً أزمانَ كان محالفَ الإقتار
فدع الحروبَ لِشيبها وشَبابها وعليك كلّ خريدةٍ مِعطارِ[8]

فبلغت أبياتُه الحجّاج، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقري إليه، فأعلَم المهلّبُ كعباً بذلك، وأوفده إلى عبد الملك [من تحت ليلته، وكتب إليه يستوهبه منه، فقدم كعب على عبد الملك][9]، واستنشَدَه

(١) المأثرة بفتح الثاء وضمها: المكرمة المتوارثة، والنواكة: الحماقة والهذر: سقط الكلام.
(٢) الميد: ما يصيب الإنسان من الدوار من السكر أو الغثيان أو ركوب البحر. وقد ماد فهو مائد من قوم ميدي كسكري.
(٣) لكيز: من عبد القيس، من سلالة ربيعة بن نزار أخي مضر بن نزار. المدرجة: الطريق يدرج فيها أي يمشي.
(٤) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول: «ومطاليتهم».
(٥) ما بين القوسين ساقط من ب، س، جـ، وقد أثبتناه عن ط، مط، مب، ها.
(٦) سابور: كورة بفارس.
(٧) اللبان: الصدر أو وسطه. والظباة: جمع ظبة، وهي حد السيف. ورمح خطار: ذو اهتزاز شديد.
(٨) امرأة معطار: اعتادت أن تتعهد نفسها بالطيب وتكثر منه.
(٩) هذه التكملة ساقطة من ب، س، جـ. وقد أثبتناه عن ط، مط، مب، ها.

فأعجبه ما سمع منه، فأوفده إلى الحجّاج، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفوَ عنه ويُعرِض عمّا بلغه من شعره، فلما وصل إليه ودخل عليه قال: إيه يا كعب.

* ورأى معاوَدَة الرِّباعِ غنيمةً *

/ فقال له: أيها الأمير، والله لقد وددتُ في بعض ما شاهدتُه في تلك الحروب وأزماتها، وما يُورِدُناه المهلّب من [١٤/٢٩٢] خطرها، أن أنجوَ منها وأكونَ حجّاماً أو حائكاً، فقال له الحجّاج: أولَى لك، لولاَ قَسَمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمَعَ، فألحقْ بصاحبك، وردَّه من وقته.

هروبه إلى عمان

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب النضر بن حديد: لمّا عَزِل يزيد بن المهلّب عن خراسان ووَلِيها قتيبةُ بن مسلم، مدحه كعب الأشقريّ، ونال من يزيد وثلَبَه، ثم بلغتْه / وِلايةُ يزيدَ على خراسان، فهربَ إلى عُمانَ على [٦١/١٣] طريق الطَّبَسَيْن وقال:

وإنّـي تـاركٌ مَـرْواً ورائـي[١] ... إلـى الطَّبَسَيْـن معتـامٌ عُمـانـا

لآوِي معقِـلاً فيهـا وحِـرْزاً ... فكنّـا أهـل ثـروَتهـا زمـانـا[٢]

فأقام بعُمانَ مدّة ثم اجتواها[٣]، وساءت حالُه بها، فكتب إلى المهلّب معتذراً:

بئـس التبـدُّل مـن مَـرْوٍ وسـاكِنِهـا ... أرضُ عمـانَ وسُكنَـى تحـت أطـوادِ[٤]

يُضحِـي السحـابُ مَطيـراً دونَ مُنصِفهـا ... كـأنّ أجبـالَهـا عُلّـت بِفـرصـادِ[٥]

يـا لهـف نفسـي علـى أمـرٍ خطِلـت بـه ... ومـا شفَيـتُ بـه غِمْـري وأحقـادي[٦]

أفنيـتُ خمسيـن عـامـاً فـي مـديحكُـم ... ثـم اْغتـررتُ بقـول الظـالـم العـادي

/ أبلـغ يـزيـدَ قـريـنَ الجُنـود مـألُكـةً ... بـأنّ كعبـاً أسيـرٌ بيـن أصفـاد[٧] [١٤/٢٩٣]

فـإن عفـوتَ[٨] فبيـتُ الجـود بيتُكُـم ... والـدهـرُ طَـوْران مـن غَـيٍّ وإرشـاد

وإن مننـتَ بصفـحٍ أو سمحـتَ بـه ... نـزعـتُ نحـوَك أطنـابـي وأوتـادي[٩]

---

(١) كذا في ب، س، جـ وفي ط، مط «أمامي». ومرو: هي مرو الشاهجان قصبة خراسان وأشهر مدنها. والطبسان: طبس العناب، والأخرى طبس التمر، والعرب تسميها باب خراسان لأنهم لما قصدوا فتح خراسان في خلافة عثمان كانت أول فتوحهم. واعتام: اختار.

(٢) الثروة: كثرة العدد من الناس والمال.

(٣) اجتواها، كرهها.

(٤) السكنى: الإقامة. والطود: الجبل.

(٥) المنصف من الطريق ومن كل شيء: وسطه. علت: سقيت مرة بعد مرة. والفرصاد: صبغ أحمر.

(٦) خطل كفرح فهو خطل، أي أحمق عجل. والغمر: الحقد والغل.

(٧) المألكة بضم اللام وتفتح: الرسالة. والأصفاد: جمع صفد كسبب، وهو القيد. وفي ب، س «أسيراً» والتصويب عن ط، مط، مب، ها.

(٨) في ب، س، مط «عفوت».

(٩) الأطناب: جمع طنب كعنق، وهو حبل طويل يشد به الخباء.

وذكر المدائني أن يزيد بن المهلّب حبسه ودسّ إليه أبن أخ له فقتله.

شعره في مقتل بني الأهتم

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب النَّضر أيضاً أن الحجّاج كتب إلى يزيد بن المهلّب يأمره بقتل بني الأهتم، فكتب إليه يزيد: إن بني الأهتم أصحابُ مَقال وليسوا بأصحاب فَعال، فلا تُقدِّرْ أن نُحدِث فيهم ضرراً، وفي قتلهم عاروسُبّة؛ [واستوهَبَهم منه[1]]، فتغافَلَ عنهم، ثم أنضمّوا إلى المفضل بنِ المهلّب، فكتب إليه الحجّاج يأمره بقتلهم، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه، فأعفاهم[2]، ثم ولي قتيبةُ بن مسلم، فخرجوا إليه وأتّقوا معه، وذكروا بني المهلّب فعابوهم، فقبلهم[3] قتيبةُ وأحتوى عليهم، فكانوا يُغرون الجندَ عليه ويَحمِلونهم على سُوء الطاعة، فكتب يشكوهم إلى الحجّاج، فكتب إليه يأمره بقتلهم، فقتلهم جميعاً، فقال كعب الأشقريّ في ذلك:

قـل لـلأهـاتـم مـن يَعُـود بفَضْلـه ... بعـد المفضَّـل والأغـرِّ يـزيـدِ

رَدّا صحـائـفَ حَتْفِكـم بمَعـاذرٍ ... رجعـتْ أشـائـمَ طيـرِكـم بسعـود

[٢٩٤/١٤] / رَدّا علـى الحجّـاج فيكـمْ أمـرَه ... فجـزَيْتُـم إحسـانَـه بجحـود

فـاليـوم فـاعتبِـروا فَعـالَ[4] أخيكُـم ... إنّ القيـاس لِجـاهـل ورشيـد

شعره في عمرو بن عمير

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتابه أيضاً قال: وَلّى يزيدُ بنُ المهلّب رجلاً من اليَحْمَد[5] يقال له عمرو بنُ عُمَير الزَّمّ، فلقيه كعب الأشقريّ فقال له: أنت شيخ من الأزد يولِّيك الزَّمّ. ويولّي ربيعةَ الأعمالَ السنيّة، وأنشده:

لقـد فـازَتْ ربيعـةُ بـالمَعـالـي ... وفـازَ اليَحمَـديُّ بعهْـدِ زَمّ

فـإن تَـكُ راضيـاً منهـمْ بهـذا ... فـزادَك ربُّنـا غمّـاً بغَـمّ

إذا الأزديّ وَضَّـح عـارِضَـاه ... وكـانـت أمُّـه مِـنْ حـيِّ جَـرْم[6]

فثَـمَّ حمـاقـةٌ لا شـكَّ فيهـا ... مُقَـابلـةٌ فمـن خـالٍ وعَـمّ[7]

فردّ اليَحْمَديّ عهدَ يزيدَ عليه، فحلف لا يستعمله سنة، فلما أجحفتْ[8] به [المئونةُ][9] قال لكعب:

٦٢/١٣ / لـو كنـتَ خلّيتَنـي يـا كعـبُ متكئـاً ... فـي دُور زَمّ لمـا أقفـرتُ مِـن عَلَـفِ

(١) تكملة عن ط، مط، مب، ها.

(٢) كذا في ب، س، جـ والذي في ط، مط «فعفا عنهم».

(٣) في جـ «فقتلهم» وفي ب، س «فغلبهم»، والتصويب عن ط، مط. واحتوى عليهم: جمعهم.

(٤) في ب، س، جـ «فراق» وما أثبتناه عن ط، مط، مب، ها.

(٥) يحمد: أبو بطن من الأزد، والزم: بلد بشط جيحون.

(٦) الوضح كسبب: الشيب، أتى بالفعل منه مضعفاً لتكثير المعنى. والعارضان: جانبا الوجه.

(٧) من قولهم، رجل مقابل: أي كريم من كلا طرفيه أبيه وأمه، والحماقة المقابلة التي يقابل أحد طرفيها الآخر، أي حماقة من طرفي الأب والأم.

(٨) أجحفت به المئونة: دنت منه.

(٩) عن ط، مط، مب، ها.

ومـــن نبيـذٍ ومـــن لحـــمٍ أُعَـلُّ بـــه لكـنّ شِعـرَك أمـرٌ كـان مـن جِـرفـي

إنّ الشقـــيّ بمـــروٍ مَـــن أقـــام بهـــا يُقـارع السُّوقَ مـن بَيْـعٍ ومـن حَلِـفِ[1]

/ أخبرني[2] أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثني الرّياشي عن الأصمعيّ قال: قال كعب الأشقريّ يهجو زياداً [١٤/٢٩٥] الأعجم:

وأقلــفَ صلّـــى بعـــد مـــا نـــاكَ أُمّـــه يَـرَى ذاك فـي دِيـن المَجـوس حَـلالاً[3]

فقال [له][4] زياد: يأبن النّمامة أهي أخبرتْك أنّي أقلف؟ فغلبه زياد.

والقصيدة التي أوّلها:

* طربتُ وهاج لي ذاك ادّكارا *

شعر له فيه غناء

وفيه الغناء المذكور بذكرِه خبرُ كعبِ الأشقريّ، يمدح بها المهلّب بن أبي صُفرة ويذكر قتالَه الأزارقة، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة[5] التي فيها الغناء:

غَـرِضْـــن بمجلِســي وكــرهْــنَ وَصلِــي أوانَ كُـبِيـــتُ مـــن شَمَـــطٍ عِـــذارا[6]

زَرَيْـــن علـــيَّ حيـــن بَـــدَا مَشِيبـــي وصـــارت سَـــاحَتـــي للهـــمّ دارا[7]

أتـــانـــي والحـــديـــثُ لـــه نَمـــاءٌ مقـــالـــةُ جـــائـــر أحفـــى وجـــارا[8]

سلـــوا أهـــلَ الأبـــاطـــحِ مـــن قـــريـــشٍ عـــن العـــزّ المـــؤيَّـــد أيـــن صـــارا[9]

ومَـــن يَحمـــي الثغـــورَ إذا استحـــرّت حـــروبٌ لا يَنـــون لهـــا غِـــرارا[10]

لقـــومـــي الأزد فـــي الغَمَـــرات أمضَـــى وأوفَـــى ذِمّـــةً وأعـــزُّ جـــارا

/ هُـــم قـــادوا الجِيـادَ على وَجـاهـــا مـــن الأمْصـــار يقـــذِفْـــن المِهـــارا[11] [١٤/٢٩٦]

بكـــلّ مَفـــازة وبكـــلّ سَهْـــبٍ بَســـابِـــسَ لا يَـــرَوْنَ لهـــا مَنـــارا[12]

---

(١) في ط، مط، مب، ها «سلف».

(٢) كذا في ب، س، جـ والذي في ط، مط، مب، ها: «حدثني».

(٣) الأقلف: من لم يختتن.

(٤) عن ط، مط، مب، ها.

(٥) كذا في جميع الأصول. ويلاحظ أن المذكور في الصوت ثلاثة أبيات لا أربعة.

(٦) غرضن بمجلسي أي مللنه وضجرن منه. والشمط: بياض بالرأس يخالط سواده. والعذار: جانبا اللحية.

(٧) زرى عليه: عابه.

(٨) رواية ط، مط، مب، ها «مقالة قائل...».

(٩) المؤيد: المخلد.

(١٠) لا ينون لها: لا يتوانون ولا يفترون عنها. غراراً: غافلين، جمع غارّ، وهو الغافل، كقيام جمع قائم.

(١١) الوجي: الحفا. المهار جمع مهر: وهو ولد الفرس.

(١٢) المفازة والسهب: الفلاة. والبسابس: جمع بسبس كجعفر، وهي الفلاة. مناراً، أي علماً يهدي إلى الطريق.

إلى كِرمانَ يحملن المنايا ... بكلِّ ثنيّة يوقِدن نارا(١)

شَوازب لم يصبن الثار حتى ... رددناها مكلَّمةً مِرارا(٢)

ويشجرن العوالي السُّمْر حتّى ... تَرَى فيها عن الأَسَل ازورارا(٣)

غداة تَركن مصرعَ عَبدَ ربٍّ ... يُثِرن عليه من رَهَجٍ عِصارا(٤)

ويوم الزحف بالأهواز ظِلْنا ... نروِّي منهمُ الأسَل الحِرارا(٥)

فقرّت أعيُنٌ كانت حديثاً ... ولم يك نومها إلا غِرارا(٦)

صنائعنا السَّوابغ والمذَاكي ... ومَن بالمِصر يحتلب العِشارا(٧)

[٢٩٧/١٤] / فهنّ يبحن كلَّ حِمىً عزيزٍ ... ويَحمين الحقائقَ والذِّمارا(٨)

طُوالاتُ المُتون يُصَنَّ إلا ... إذا سار المهلَّب حيث سارا

فلولا الشَّيخ بالمِصرَين يَنفِي ... عدوَّهُم لقد تَركوا الديارا(٩)

ولكنْ قارعَ الأبطالَ حتى ... أصابوا الأمنَ واجتنبوا الفرارا(١٠)

إذا وَهَنوا وحَلَّ بهمْ عظيمٌ ... يَدُقّ العظمَ كان لهمْ جبارا

ومُبْهَمةٍ يَحيد الناسُ عنها ... تَشُبُّ الموتَ شَدَّ لها الإزارا

شِهابٌ تَنجلي الظَّلماء عنه ... يَرَى في كلِّ مبهَمة مَنارا

٦٣/١٣ / بل الرحمنُ جارُك إذ وَهَنّا ... بِدفعِك عن مَحارمِنا اخْتيارا

بَراك الله حين بَراك بحراً ... وفجَّر منك أنهاراً غِزَارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدِّمةً فيما سلف من أخبار كعبٍ وشعرِه.

شعره في المهلب وولده

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال: حدّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال: قال عبد الملك بنُ

(١) كرمان: بلد بفارس. والثنية: الطريق في الجبل.

(٢) خيول شوازب، أي ضوامر، جمع شازب، مكلمة: مجرّحة.

(٣) السمر والأسل: الرماح. والعوالي: جمع عالية، وهي القناة المستقيمة. وأزورّ عنه: انحرف ومال.

(٤) ولي عبد ربه الصغير أمر الأزارقة بعد خلع قطريّ، ونشبت الحرب بينه وبين المهلب فأجلت الوقعة عنه قتيلاً، وبذا خمدت حروب الأزارقة. والرهج ويحرك: الغبار. والعصار: الغبار الشديد.

(٥) الحرار: جمع حرّان، وهو العطشان.

(٦) كذا في جميع الأصول. ورواية ابن أبي الحديد «حزيناً» وحزين كقتيل يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع.

(٧) صنائع: جمع صنيعة، وهي المعروف والإحسان. السوابغ: جمع سابغة، وهي الدرع التامة الطويلة. والمذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. والعشار: جمع عشراء، وهي من النوق التي مضى لحملها عشرة أشهر، أو هي من الإبل كالنفساء من النساء.

(٨) فهن، أي السوابغ والمذاكي. وفي ط، مط مب، ها: «بهن نبيح». والذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.

(٩) المصران: الكوفة والبصرة. تركوا الديار: أي ترك الديار أهلوها.

(١٠) في جـ، ط، مط: «واجتلبوا». وفي ها: «واحتلوا القرارا».

مروان: يا معشر الشعراء، تشبّهوننا بالأسد الأبخر، والجَبَل الوَعْر، والمِلْح الأُجاج؟ ألا قلتم كما قال كعبٌ الأشقريّ في المهلب وولدِه:

لقد خاب أقوامٌ سَرَوْا ظُلَمَ الدُّجَى ... يَؤُمّون عَمراً ذا الشعيرِ وذَا البُرّ
يؤمّون مَن نال الغِنَى بعد شَيْبِه ... وقاسَى وَليداً ما يقاسِي ذوو الفقر
/ فقل للْجُيَم يا لَبَكر بنِ وائل ... مقالةَ مَن يَلحَى أخاه ومن يُزْري[1] [١٤/٢٩٨]
فلو كنتُم حيّاً صميماً نَفَيْتُمُ ... بخيلكُم بالرّغم منه وبالصُّغْر[2]
ولكنكم يا آلَ بكر بنِ وائلٍ ... يسودُكُم من كان في المال ذا وَفْر
هو المانع الكلبَ النُّباحَ وضَيْفُه ... خَميصُ الحَشَا يَرعَى النجومَ الّتي تَسرِي[3]

هجاؤه لأخيه وخبر ذلك

قال: وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا[4] تباعد وعداوة، وكانت أمّه سوداءَ فقال يهجوه:

إنّ السواد الذي سُرْبِلتَ تَعرفه ... ميراث جَدِّك عن آبائه النُّوبِ[5]
أشبهتَ خالَك خالَ اللؤمِ مؤتَسِياً ... بهَدْيِه سالكاً في شرّ أُسْلوبِ[6]

مقتله

قال المَدائنيّ في خبره: وكان ابن أخي كعب هذا عدوّاً له يسعى عليه، فلما سأل مَجزأةُ بنُ زياد بن المهلب أباه في كعب فخلاّه، دسّ إليه زيادُ بنُ المهلّب ابنَ أخيه الشاعر، وجعل له مالاً على قتله، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله، وذلك في فتنة يزيدَ بن المهلّب وهو بعمان يومئذٍ، وكان لكعب أخ غيرُ أخيه الّذي قتله ابنُه، فلما قُتل يزيد بنُ المهلّب فرّق مسلمةُ بنُ عبد الملك أعمالَه على[7] عمّالٍ شتّى فولّي البصرةَ وعمانَ عبدَ الرحمن بن سليمان الكلبيّ، فاستخلف عبدُ الرحمن على عمانَ محمدَ بنَ جابر الراسِبيّ، فأخذ أخو كعبٍ الباقي ابنَ أخيه الذي / قَتَل كعباً، فقدّمه إلى محمد بن جابر، وطلب القَوَد[8] منه بكعب، فقيل له: قُتِل [١٤/٢٩٩] أخوك بالأمس، وتَقتلَ قاتلَه وهو ابن أخيك اليوم! وقد مضى أخوك وأنقضى، فَتبقَى فرداً كقَرْن الأعضب[9]! فقال: نعم إن أخي كعباً كان سيّدَنا وعظيمَنا ووَجْهَنا، فقتله هذا، وليس فيه خير، ولا في بقائهِ عزّ، ولا هو خَلَفٌ من كَعب فأنا أقتلُه به، فلا خير في بقائه بعد كعب، فقدّمه محمد بن جابر فضرب عنقَه والله أعلم.

(١) يلحى: يلوم. زرى عليه: عابه.
(٢) الصغر والصغار: الذل.
(٣) خميص الحشا: ضامر البطن.
(٤) الإشارة إلى ابن أخيه الذي قتله.
(٥) النوب: سكان بلاد النوبة جنوبي مصر، واحده نوبيّ.
(٦) ائتسى به: جعله أسوة وقدوة. والأسلوب: الطريق.
(٧) في ط، مط: «عماله على أعمال».
(٨) القود: القصاص وقتل القاتل بدل القتيل.
(٩) الأعضب: المكسور أحد قرنيه.

مدحه لقتيبة بن مسلم

أخبرنا أبو بكر محمد بنُ خلف بن المَرزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم قال: حدّثنا العُمَري، عن الهيثم بنِ عديّ ولَقيط وغيرهما، قالوا: حاصر يزيدُ بنُ المهلَّب مدينةَ خُوارَزمَ في أيام ولايته، فلم يَقدِر على فتحها، واستصعَب عليه، ثم عُزِل ووُلِّي قتيبةُ بنُ مسلم، فزحف إليها، فحاصرها[1] ففتحها، فقال كعب الأشقريّ يمدحه ويهجو يزيد بنَ المهلَّب بقوله:

٦٤/١٣ / رمتكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمتْ ... من بعد ما رامها الفَجْفاجةُ الصَّلِفُ[2]

قيسٌ صريحٌ وبعضُ الناس يجمعهمْ ... قُرَى وريفٌ ومنسوبٌ ومُقترِف[3]

منهم شُناسٌ ومَرْدَاذَاءُ نَعرِفُه ... وفَسْخَراء، قُبورٌ حَشْوُها القُلُفُ

لم يَركَبوا الخيلَ إلاّ بعدما هَرِموا ... فهمْ ثِقالٌ على أكتافها عُنُفُ

[٣٠٠/١٤] / قال: الفيل الذي ذكره هو حصن خُوارزم يقال له الكُهُنْدَر، والكهُنْدَر: الحصن العتيق، والفَجْفاجة: الكثير الكلام. وشُناس: اسم أبي صُفرة، فغيّره، وتَسمَّى ظالماً، ومَرْداذاء: أبو أبي صُفْرة، وسمَّوْه بسراق[4] لمّا تعرَّبوا، وفَسْخَراء: جدّه، وهم قوم من الخُوز[5] من أهل عُمان، نزلوا الأزْد، ثم ادّعَوا أنّهم صَلِيبةٌ صُرَحاءُ منهم،

صوت

لأسماءَ رسمٌ أصبحَ اليومَ دارِسَا ... وقفتُ به يوماً إلى اللّيل حابِسا

فجئنَا بهيتٍ لا نَرَى غيرَ منزِلٍ ... قليلٍ به الآثارُ إلاّ الروامِسَا[6]

يدورون بي في ظلّ كلّ كنيسةٍ ... فينسُونني قومي وأهوَى الكنائسا

البيت الأوّل من الشعر للعبّاس بنِ مِرْداس السُّلَميّ، وبيت العبّاس مصراعهُ الثاني:

* توهّمتُ منه رَحْرَحانَ فراكِسا[7] *

وغيّره يزيد بن معاوية فقال [مكان][8] هذا المصراع:

* وقفتُ به يوماً إلى اللّيل حابِسا *

والبيت الثاني للعبّاس بن مِرْداس، والثالث ليزيدَ بن معاوية، ذكر بعضُ الرُّواة أنه قاله على هذا الترتيب وأمَر بُدَيحا

---

(١) كان ذلك سنة ٩٣ هـ.

(٢) كانت مدينة ولاية خوارزم يقال لها «فيل» قديماً، ثم سميت المنصورة. ويعني بالفجفاجة الصاف يديه.

(٣) في جميع الأصول «صريح قيس» والتصويب عن «تاريخ الطبري» ٨: ٨٤ وذلك أن قتيبة بن مسلم باهلي، وباهلة: من قبائل قيس عيلان. يقول: إن نسب قتيبة صريح، ويعرّض بآل المهلب بقوله «وبعض الناس». ومنسوب، أي معروف النسب خالصه، يعني قتيبة. ومقترف: قرفه بسوء: رماه به.

(٤) في ب، س «بشيراً» والتصويب عن ط، مط، جـ، مب، ها.

(٥) الخوز: جيل من الناس، أعجمي معرب.

(٦) هيت: بلدة على الفرات. الروامس: الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار.

(٧) رحرحان: جبل قريب من عكاظ خلف عرفات. وراكس: واد.

(٨) الزيادة من نسخة ها، جـ.

أن يغنّيَ فيه، ففعل؛ ولم يأت ذلك من جهة يوثَق بها، والصحيح أنّ الغناء لمالك، خفيف ثقيل بالبِنصر عن الهشاميّ ويحيى المكّيّ، وهذا صوت زعموا أن مالكاً صنعه على لحن سمعَه من الرُّهْبان.

/ أخبرني الحسن بنُ يحيى، عن حمّاد بن إسحاق، عن أحمدَ المكّيّ، عن أبيه، عن سِياط، أن مالكاً دخل [٢٠١/١٤] مع الوليد بن يزيدَ دَيْراً، فسمع لَحْناً من بعض الرُّهبان، فاستحسنه، فصنع عليه.

* ليس رَسمٌ على الدَّفِين ببالي *

فلما غنّاه الوليدَ قال له: الأوّل أحسن فعد إليه. اللحن الثاني الذي لمالك، ثقيل بالبِنصر عن الهشاميّ وعمرو، وأوله:

دَرَّ دَرُّ الشَّبـــــاب والشعـــــرِ الأسـ ـــوَدِ والضـامـراتِ تحـت الـرحـالِ[1]
والخنـاذيـذ كـالقـداح مـن الشـو حـط يحملـن شِكّـة الأبطـال[2]



(١) يقولون لمن يمدح ويتعجب من عمله: لله دره: أي لله عمله، وربما استعملره من غير أن يقولوا: لله، فيقولون: درّ درّ فلان؛ فإذا شتموه وذموا عمله قالوا لا درّ درّه، أي لا زكا عمله ولا كثر خيره.

(٢) الخناذيذ: جياد الخيل أو طوالها جمع خنذيذ بالكسر. وفي ب، س «والخفاذيذ» وهو تحريف. والشوحط: شجر تتخذ منه القسي. والشكة: السلاح.

[١٤/٣٠٢]

/ أخبار العباس بن مرداس ونسبه

نسبه

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلانَ بنِ مضرَ بن نزار، ويكنى أبا الهيثم، وإيّاه يعني أخوه سُراقة بقوله يرثيه:

أعَيْـــنِ ألا أبكِـــي أبـــا الهَيْثَـــم ... وأذري الـــدمـــوعَ ولا تســـأمـــي[١]

وهي أبيات تُذكر في أخباره، وأمّه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشَّريد، وكان العباس فارساً شاعراً شديد العارضة[٢] والبيان، سيّداً في قومه من كلا طرفَيه، وهو مخضرَم أدرك / الجاهليّة والإسلام، ووفد إلى النبيّ ﷺ، فلما أعطى المؤلَّفةَ قلوبُهم فَضّل عليه عيينةَ بنَ حِصن والأقرعَ بنَ حابس، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع؛ والله أعلم.

٦٥/١٣

خبره مع صنم كان لهم

أخبرني محمد بنُ جرير الطبريّ قال: حدّثنا محمد بنُ حُميد قال: حدّثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمِر، عن قَبيصة، عن عمرو والخُزاعيّ عن العبّاس بن مِرداس بن أبي عامر أنه قال: كان لأبي صنم اسمه ضِمار[٣]، فلمّا حضره الموتُ أوصاني به وبعبادته والقيام عليه، فعمَدتُ إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت، وجعلت آتيه في كلّ يوم وليلة مرّة، فلما ظهر أمرُ رسول الله ﷺ سمعتُ صوتاً في جوف الليل راعني، فوثبتُ إلى ضِمار، فإذا الصّوت في جوفه يقول:

[١٤/٣٠٣]

/ قـــل للقبـــائِـــل مـــن سُليـــم كلِّهـــا ... هَلَـــكَ الأنيـــسُ وعـــاشَ أهـــلُ المسجـــدِ

إن الـــذي وَرِثَ النبـــوّة والهـــدى ... بعـــد ابـــن مـــريـــمَ مـــن قـــريـــشٍ مهتـــدي

أودَى الضِّمـــارُ وكـــان يعبَـــدُ مَـــرّةً ... قبـــل الكتـــابِ إلـــى النبـــيّ محمـــد

قال: فكتمتُ الناسَ ذلك، فلم أحدِّث به أحداً حتى انقضت غَزوة الأحزاب، فبينا أنا في إبلي في طرف العَقيق وأنا نائم، إذ سمعتُ صوتاً شديداً، فرفعتُ رأسي فإذا أنا برجل على حِيالي[٤] بعمامة يقول: إن النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضْباء[٥]، في ديار بني أخي العَنْقاء[٦]، فأجابه طائف عن شماله

(١) في جـ «أعين لا أبكي على الهيثم» وهو تحريف. والتصويب عما ورد بآخر الترجمة.

(٢) العارضة: القدرة على الكلام؛ والرأي الجيد.

(٣) ضمار: صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه. وفي ب، س جـ «ضماد»، وهو تصحيف. والتصويب عن ها.

(٤) يقال: وقف حياله وبحياله: بإزائه.

(٥) العضباء: اسم ناقة النبي ﷺ.

(٦) العنقاء: لقب ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، قال حسان:

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما.

لا أُبصِره فقال: بَشِّر الجنَّ وأجناسَها، أن وضعت المَطِيّ أحلاسَها[١]، وكَفَت[٢] السماء أحراسَها، وأن يُغِصَّ السَّوْقُ أنفاسَها[٣]، قال: فوثبتُ مذعوراً وعرفتُ أنّ محمداً / رسول الله ﷺ مصطفى، فركبتُ فرسي وسرتُ حتّى [٣٠٤/١٤] انتهيت إليه فبايعته وأسلَمْت، وانصرفت إلى ضمار فأحرقتُه بالنار.

خروجه إلى النبي ﷺ وإسلامه

وقال أبو عبيدة: كانت تحت العبّاس بنِ مِرداس حبيبة بنتُ الضحّاك بن سُفيان السُّلَمي أحد بني رِعْل[٤] بن مالك، فخرج عبّاس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبيَّ ﷺ، فبات بها، فلمّا أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله، وقال له: من سألك عنّي فحدِّثه أنّي لحقتُ بيثربَ، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلاّ آتياً محمداً وكائناً معه، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيراً لم أُسبَق إليه، وإن كان شرًّا نصرتُه[٥] لخئُولته، على أني قد رأيت الفضلَ البيِّن وكرامةَ الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته، واتّباعه ومبايعته، وإيثارِ أمرِه على جميع الأمور، فإن مناهج سبيله واضحة، وأعلامَ ما يجيء به من الحقّ نيرة، ولا أرى أحداً من العرب يَنصِب[٦] له إلا أُعطيَ عليه الظفرَ والعلوّ، وأراني قد أُلقِيتْ عليَّ محبّةٌ له، وأنا باذلٌ نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض، قال: ثم سار نحو النبيّ ﷺ، وانتهى الراعي نحو إبله، فأتى امرأتَه فأخبرها بالّذي كان من أمره ومسيره إلى النبيّ ﷺ، فقامت فقوّضتْ بيتَها، ولحقتْ بأهلها، فذلك حيث يقول عبّاس بنُ مرداس، حين أحرق ضِماراً ولحق بالنبيّ ﷺ:

/ لَعَمْري إنّي يوم أجعَلُ جاهداً ... ضِماراً لربِّ العالمين مُشارِكا [٦٦/١٣]

وتركي رسولَ الله والأوسُ حولَه ... أولئك أنصارٌ له، ما أولئكا؟[٧]

/ كتاركِ سهلِ الأرضِ، والحزنَ يبتغي ... ليَسلُك في غيب الأمور المسالكا [٣٠٥/١٤]

فآمنتُ بالله الّذي أنا عبدُه ... وخالفتُ من أمسى يريد المَمالكا

ووَجّهتُ وجهي نحو مكّة قاصداً ... وتابعتُ بين الأخشبين المبَارِكا[٨]

= والأوس والخزرج: ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء ومن بطون الخزرج بنو عدي بن النجار أخوال رسول الله ﷺ، تزوج منهم جده هاشم سلمى بنت عمرو والنجارية أم عبد المطلب.

(١) أحلاس: جمع حلس بالكسر، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة.

(٢) في ب، س «ووكفت» وهو تحريف.

(٣) في الأصول «أن يعض» ولعل صوابه ما أثبتنا، أي وبشر الجن بأن يغص. . . وبشّر هنا بمعنى أنذر، ويغص أنفاسها: يصيبها بغصة، والسوق: الدفع الشديد. والمعنى: لم يعد لها سلطان، وكانت العرب تعتقد أن الجن تأتي بخبر السماء فتلقيه في جوف الأصنام. وجاء في رواية الروض الأنف: «عن عباس بن مرداس أنه كان في لقاح له نصف النهار، فاطلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض، فقال لي: يا عباس ألم تر أنّ السماء كفت أحراسها، وأن الحرب جرعت أنفاسها، وأن الخيل وضعت أحلاسها، وأن الذي نزل عليه البر والتقى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، صاحب الناقة القصواء. قال: فخرجت مرعوباً قد راعني ما رأيت، وسعيت حتى جئت وثناً لي يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه. . .». والقصواء: التي قطع طرف أذنها، وهو لقب ناقة رسول الله ﷺ، ولم تكن ناقته قصواء، وإنما كان هذا لقباً لها، وقيل: كانت مقطوعة الأذن.

(٤) رعل: قبيلة من سليم.

(٥) في جـ، ب «بصرته» وفي س «أبصرته» والصواب عن «ها» وهو تحريف.

(٦) نصب له: عاداه.

(٧) تركي، معطوف على أجعل المنزل منزلة المصدر، أي يوم جعلي ضماراً مشاركاً وتركي. ما أولئكا: استفهام للتعظيم والتهويل.

(٨) الأخشبان: جبلان مطيفان بمكة، وهما أبو قبيس والأحمر. وفي جـ «الأحسبين» وهو تصحيف.

نبـيٌّ أتـانـا بعـدَ عيسـى بنـاطـق | مـن الحـقّ فيـه الفصـل منـه كـذلكـا
أميناً علـى الفـرقـان أوّل شـافـع | وآخـر مبعـوث يجيـب المـلائكـا
تَـلافَـى عُـرا الإسـلام بعـد أنفصـامهـا | فـأحكَمَهـا حتّـى أقـام المنَـاسِكـا
رأيتـك يـا خيـر البـريّـة كلّهـا | تـوسّطتَ في القربى من المجد مالكا[1]
سبقتَهُـم بـالمجـد والجُـود والعُـلا | وبـالغـايـة القصوى تَفوت السَّنابكا[2]
فـأنـتَ المصفَّـى مـن قـريـش إذا سمتْ | غَـلاصِمُهـا تبغـي القُـروم الفـواركـا[3]

قال: فقدم عباس على رسول الله ﷺ المدينةَ حيث أراد المسير إلى مكّة عامَ الفَتْح، فواعَدَ رسولَ الله ﷺ قُدَيداً[4]، وقال: القَنى / أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله ﷺ قُديداً وهو ذاهب، لقيه عبّاس في ألف من بني سُليم، [٣٠٦/١٤] ففي ذلك يقول عبّاس بنُ مرداس:

بلِّـغ عبـادَ الله أنّ محمـداً | رسـولَ الإلٰـه راشـد أيـن يمّمـا[5]
دعـا قـومَـه واستنصـر اللهَ ربَّـه | فـأصبـح قـد وافَـى الإلٰـه وأنعمـا[6]
عشيّـة واعـدنـا قُـدَيـداً محمّـداً | يـؤم بنـا أمـراً مـن الله مُحكَمـا
حلفـت يمينـاً بَـرّةً لمحمّـد | فـأوفيتـه ألفـاً مـن الخيـل مُعلَمـا
سـرايَـا يـراهـا الله وهـو أميـرُهـا | يـؤم بهـا فـي الـدّيـن مـن كـان أظلمَـا[7]
علـى الخيـل مشـدوداً علينـا دُروعُنـا | وخيـلاً كـدُفّـاع الأتِـيّ عـرمـرمـا[8]
أطعنـاك حتّـى أسلـم النـاس كلهـم | وحتّـى صبَحْنـا الخيلَ أهـل يَلَمْلَمـا[9]

وهي قصيدة طويلة.

(١) يعني مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.
(٢) السنابك: جمع سنبك كقنفذ، وهو طرف الحافر. والمعنى: لا تبلغنها سنابك الخيول المتسابقة إليها.
(٣) غلاصم: جمع غلصمة، وهي أصل اللسان أو الجماعة أو السادة. والقروم: جمع قرم بالفتح، وهو السيد، وأصله الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة والضراب. والفوارك: جمع فارك، من فرك الرجل امرأته فركاً: أبغضها، يعني أنهم ليسوا ممن تلهيهم النساء عن عظائم الأمور، ومن ذلك قول الأخطل:

قـوم إذا حـاربـوا شـدوا مـآزرهـم | دون النسـاء ولـو بـاتـت بـأطهـار

وقد تمثل به عبد الملك بن مروان حين تهيأ لقتال ابن الأشعث. وفي وصف القروم بالفوارك ملاءمة ظاهرة.
(٤) قديد: موضع قرب مكة.
(٥) في هذا البيت خرم. ويمم: طلب. وفي «الروض الأنف» جـ ٢ ص ٢٦٨ «من مبلغ الأقوام».
(٦) وافى الله حقّه ووفاه: أداه، ويقال: فعل كذا وأنعم: أي زاد.
(٧) يراها الله، أي بعين رعايته. وأظلم هنا بمعنى ظالم.
(٨) في الأصول: «عليها» وهو تحريف، والخيل: الفرسان. وفي «السيرة» «ورجلاً» وهم الرجالة أي المشاة. وسيل أتيّ: وفي ب، س: «اللواتي»؛ وهو تحريف. والتصويب عن ها، و «السيرة النبوية». والدفاع: كثرة الماء وشدته وتدافع جريه. وجيش عرمرم: كثير شديد.
(٩) كذا في الأصول. وفي «الروض الأنف»: «صبحنا الجمع». يلملم: ميقات اليمن، جبل على مرحلتين من مكة. وفي ب، س «يلمما»؛ وهو تحريف.

زوجته تؤنبه على إسلامه

قال: ولمّا عرّف راعي العبّاس بن مرداس زوجتَه بنت الضحّاك بن سفيان خبره وإسلامَه قوّضتْ بيتها، وارتحلتْ إلى قومها، وقالت تؤنّبه:

ألـم ينـه عبـاس بـن مِـرداسَ أنّنـي ... رأيـت الـورى مخصـوصـةً بـالفجـائـع

/ أتـاهـمْ مـن الأنصـار كـلُّ سَمَيْـذَعٍ ... مـن القـوم يَحمِـي قـومَـه فـي الـوقـائـع(١) [٣٠٧/١٤]

بكـلّ شـديـد الـوَقْـعَ عَضْـب، يقـودُه ... إلـى المـوت هـامُ المُقـربـات البـرائـع(٢)

لَعَمْـري لئـن تـابعـت ديـنَ محمـد ... وفـارقـت إخـوانَ الصّفـا والصنـائـع(٣)

لبـدّلـت تلـك النفـسَ ذلاّ بِعـزّة ... غـداةَ آختـلاف المُـرهَفـات القـواطـع(٤)

وقـوم هـم الـرأس المقـدّم فـي الـوغـى ... وأهـلُ الحِجـا فينـا وأهـلُ الـدّسـائـع(٥)

سيـوفُهُـم عـزُّ الـذّليـل وخيلُهـمْ ... سِهـامُ الأعـادي فـي الأمـور الفظـائـع

شعره لرسول الله حين فضل غيره عليه في الغنائم وخبر ذلك

/ فأخبرني أحمد بنُ محمّد بنِ الجعد قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال: حدثنا محمد بنُ فُلَيح عن ٦٧/١٣ موسى بن عقبة، عن ابن شِهاب، وأخبرني عمر بن إسمٰعيل بن أبي غَيْلان الثَّقَفيّ قال: حدثنا داود بن عمرو الضّبيّ قال: حدثنا محمد بن راشد عن ابن إسحاق، وحدَّثنيه محمد بنُ جرير قال: حدثنا محمد بنُ حُمَيد قال: حدثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ـ وقد دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض ـ أن رسولَ الله ﷺ قسَم غنائمَ هَوازنَ، فأكثر العطايا لأهل مكّة، وأجزال القَسْم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حُنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزَوى كثيراً من القَسْم عن أصحابه، فأعطى الأقرعَ بنَ حابس وعيينةَ بنَ حصن والعباسَ بنَ مرداس عطايَا فضّل فيها عيينةَ والأقرعَ على العبّاس، فجاءه العباس فأنشَدَه:

/ وكـانـت نِهـابـاً تـلافيتُهـا ... بِكَـرِّي علـى المُهْـر فـي الأجـرَعِ(٦) [٣٠٨/١٤]

وإيقـاظِـيَ الحـيَّ أن يـرقُـدوا ... إذا هجـع القـومُ لـم أهجَـعِ

فـأصبَـح نَهبِـي ونَهْـبُ العبيـ ... ـدِ بيـن عُيينـةَ والأقـرعِ(٧)

وقـد كنـتُ فـي الحـرب ذا تُـدْرَإٍ ... فلـم أُعـطَ شيئـاً ولـم أمنَـعِ(٨)

---

(١) السميذع: السيد الكريم والشجاع.

(٢) المقربات: جمع مقربة، وهي الفرس التي تدني وتقرب وتكرم، ولا تترك أن ترود لئلا يقرعها فحل لئيم، أو هي التي ضمرت للركوب. البرائع: جمع بريعة، وهي المرأة الفائقة في الجمال والعقل؛ جعلها هنا وصفاً للأفراس.

(٣) الصنائع: جمع صنيعة، وهي الإحسان.

(٤) المرهفات: السيوف المرققة.

(٥) الدسائع: جمع دسيعة، وهي العطيّة.

(٦) في ب، س «كانت رزايا» والتصويب عن جـ، ها. والنهاب: الغنائم.

(٧) العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس. وفي الأصول «عينية» وهو تصحيف.

(٨) رجل ذو تدرأ وتدرأة: مدافع ذو عز ومنعة.

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مجمع
وما كنت دون أمرىء منهما ومن تضع اليومَ لا يُرفع

فبلغ قوله رسولَ الله ﷺ، فدعاه فقال له: أنت القائل: «أصْبَح نَهبِي ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعرُ، وما أنت براوية، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرّك بأيّهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله ﷺ: اقطعوا عنّي لسانَه، وأمر بأن يُعطوه من الشّاء[1] والنَّعَم ما يرضيه ليُمسك، فأُعطِيَ، قال: فوجَدَتِ[2] الأنصارُ في أنفسها، وقالوا: نحن أصحاب مَوْطِن[3] وشدّة، فآثر قومه علينا، وقسم قَسْماً لم يقسمه لنا، وما نراه فعل هذا إلاّ وهو يريد الإقامة بين أظهرهم، فلما بلغ قولُهم رسولَ الله ﷺ أتاهم في منزلهم فجمعهم، [٣٠٩/١٤] وقال: من كان ها هنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله، فحمد الله وأثنى عليه / ثم قال: يا معشر الأنصار، قد بلغتني مقالةٌ قلتموها، وموجِدة وجَدْتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم قليلاً فكثّركم الله؟ قالوا: بلى. قال: ألم آتكم أعداءً فألّف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى.

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عيينة أنه قال: ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها؟ قالوا: بلى. قال: أفلا تجيبون يا معشر الأنصار؟ قالوا: لله ولرسوله علينا المنّ والفضل، جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات، فأخرَجَنا اللهُ بك إلى النور، وجئتَنا يا رسول الله ونحن على شفا حُفرة من النار، فأنقذنا الله، وجئتَنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزّنا / الله بك، فرضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا. فقال ﷺ: أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا، فقلتم: جئتنا طريداً فآويناك، ومخذولاً فنصرناك، وعائلاً فأغنَيْناك، ومكذَّباً فصدّقناك، وقبِلْنا منك ما ردّه عليك الناسُ، لقد صدقتم. فقال الأنصار: لله ولرسوله علينا المنّ والفضل، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم، وبكى رسول الله ﷺ، وقال: يا معشر الأنصار وَجَدْتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرتُ بها ناساً أتألّفهم على الإسلام ليُسلِموا، ووكَلْتكم إلى الإسلام، أو لا ترضَون أن يذهب الناسُ بالشاء والإبل، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفس محمد بيده لو سلك الناسُ شِعْباً[4] وسلك الأنصار شِعْباً لسلكتُ شِعبَ الأنصار، ولولا الهجرة لكنتُ أمرأ من الأنصار، ثم بكى القوم ثانيةً حتى أخضَلوا[5] لِحاهُم، وقالوا: رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حَظًّا وقَسْماً، وتفرّق القوم راضِين، وكانوا بما قال لهم رسولُ الله ﷺ أشدَّ أغتباطاً من المالَ.

[٣١٠/١٤] / وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر: أعطَى رسولُ الله ﷺ جماعةً من أشراف العرب عطايَا يتألّف بها قلوبَهم وقومَهم على الإسلام، فأعطى كلَّ رجل من هؤلاء النفر ـ وهم: أبو سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحرث بن هشام، وسُهَيل بن عمرو، وحُوَيْطِب بنُ عبد العُزّى، وصفوان بن أميّة، والعلاء بن حارثة الثَّقَفي حليفُ بني زُهرة، وعيينة بن حِصْن، والأقرع بن حابس ـ مائةً من الإبل، وأعطَى كلَّ واحد من

(١) في ب، س، جـ: «من النساء»، وهو تحريف والتصويب عن ها.
(٢) وجد عليه يجد: غضب.
(٣) الموطن: المشهد من مشاهد الحرب.
(٤) الشعب: الطريق في الجبل.
(٥) أخضله: بله.

مَخْرَمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤيّ وسعيد بن يربوع، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقلّ، وأعطى العبّاس بنَ مرداس أبا عر، فتسخّطها وقال الأبيات المذكورة، فأعطاه حتى رضي.

كتب عبد الملك كتاباً فيه شعر لابن الزبير يتوعدّه ورده على ذلك

حدّثنا وكيع قال: حدّثنا الكُرّاني قال: حدّثنا عطاءُ بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال: كتب عبد الملك بن مروانَ إلى عبد الله بن الزبير كتاباً يتوعّده فيه وكتب فيه:

إنـي لَعِنـدَ الحـرب تحمـل شِكّتـي ... إلـى الـرَّوْع جَـرْداء السيَّـالَـة ضـامـرُ[1]

والشعر للعبّاس بن مرداس. فقال ابن الزبير: أبِالشعر يقوى عليّ؟ والله لا أجيبه إلاّ بشعر هذا الرجل؛ فكتب إليه:

إذا فُـرِس العَـوالـي لـم يخـالـجْ ... هُمُـومـي غيـر نصـرٍ واقتـرابِ[2]

/ وإنّـا والسَّـوابـح يـومَ جُمْـعٍ ... ومـا يتلـو الـرسـول مـن الكتـاب[3] [٣١١/١٤]

هـزمْنـا الجمـعَ جمـعَ بنـي قِسِـيٍّ ... وحكّـت بَـرْكَهـا ببنـي رِئـاب[4]

هذه الأبيات من قصيدة يفخر فيها العبّاس برسول الله ﷺ ونصرِه له، وفيها يقول:

بـذي لَجَـب رسُـولُ اللّـه فيـه ... كتيبتُـه تعـرَّضُ للضِّـراب[5]

ولـو أدركـن صِـرم بنـي هـلالٍ ... لآمَ نسـاؤهـمْ والنَّقْـع كـابـي[6]

خبر قتل أخيه هريم

قال أبو عُبيدة: وكان هُرَيم بنُ مرداس مجاوراً في خُزاعة في جِوار رجل منهم يقال له / عامر، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُوَيْلد، وبلغ ذلك أخاه العبّاس بن مرداس، فقال يحضّ عامراً على الطلب بثأر جاره، فقال: [٦٩/١٣]

إذا كـان بـاغٍ منـك نـالَ ظُـلامـةً ... فـإنّ شفـاء البغـي سيفُـك فـافصِـلِ

ونبّئـت أن قـد عـوّضـوك أبـاعـراً ... وذلـك للجيـران غـزل بمغـزل

فخـذهـا فليسـت للعـزيـز بنُصـرةٍ ... وفيهـا متـاعٌ لامـرىء متـدلّـل

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لمّا دعاه عليّ عليه السلام إلى البيعة، وتحدّث الناسُ أنّه وعده أن يولّيه الشأم إذا بايعه. قال: فلما / بلغتْه هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغُسل حتى يثأر [٣١٢/١٤]

---

(١) الشكة: السلاح. والسيالة: واحدة السيال، وهو شجر سبط الأغصان له شوك أبيض وأراد بها المتن ـ على التشبيه ـ وفي الأصول: «السبالة» بالباء.

(٢) فرسه فرساً: دقه وكسره. والعوالي: جمع عالية، وهي رأس الرمح.

(٣) السوابح: جمع سابح، وهو من الخيل ما يمدّ يديه في الجري سبحاً. وفي جـ، ب، س «يوم بدر» والتصويب عن ها و «السيرة النبوية» لابن هشام، وقد قال العباس هذا الشعر يوم حنين. وجمع: المزدلفة.

(٤) في جـ، ب، س «يوم بني قسيّ». وقسي هو ثقيف. والبرك: كلكل البعير وصدره الذي يدوك به الشيء تحته، ويقال في صفة الجرب وشدّة وطأتها: «حكت بركها بهم».

(٥) بذي لَجب، أي بجيش ذي لجب، واللجب: الجلبة والصياح. وفي الأصول: «كمارضة تعرض للصواب» والتصويب عن «السيرة النبوية».

(٦) الصرم: الفرقة من الناس ليسوا بالكثير. والنقع: الغبار. والكابي: المرتفع الضخم.

بِهُرَيم، ثم إن أبا حُلَيس النُّصْريّ لقي خويلداً قاتِلَ هُرَيم فقتَلَه، فقال بنو نصر: بُؤ[١] بدم فلان النصريّ - رجل كانت خزاعة قتلتْه - فقال أبو الحليس: لا، بل هو بُؤ بدم هُرَيم بن مرداس، وبلغ العبّاس، فقال يمدحه بقوله:

أتـانـي مـن الأنبـاء أنّ ابـنَ مـالـكٍ ... كفـى ثـائـراً مـن قـومـه مَـن تَغَيّبـا[٢]

[ويَلقـاك مـا بيـن الخَميـس خُـويلـدٌ ... أرى عَجَباً بـل قتلـه كـان أعجبـا][٣]

فِـدًى لـك أمّـي إذ ظَفِـرتَ بقتلِـه ... وأقسـم أبغـي عنـك أمّـاً ولا أبـا[٤]

فمثلُـكَ أدّى نُصـرةَ القـوم عَنـوةً ... ومثلُـك أعيـا ذا السّـلاح المجـرّبـا

خروجه لحرب بني نصر

قال أبو عبيدة: أغارت بنو نصر[٥] بن معاوية على ناحية من أرض بني سُليم، فبلغ ذلك العبّاس بنَ مرداس، فخرج إليهم في جمع من قومه، فقاتلهم حتى أكثرَ فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سُليم، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم، وأخذتْ بنو نصر فرساً للعبّاس عائرةً[٦] يقال لها زِرّة[٧]، فانطلق بها عطية[٨] بنُ سُفْيان النَّصْري - وهو يومئذ رئيس القوم - فقال في ذلك العباس:

أبـى قـومنـا إلا الفـرارَ ومـن تكـن ... هـوازنُ مـولاه مـن النـاس يُظلَـم[٩]

[٣١٣/١٤] / أغـار علينـا جمعُهـمْ بيـن ظـالـمٍ ... وبيـن ابـنِ عـمٍّ كـاذبِ الـودِّ أيْهَـم[١٠]

كـلاب ومـا تفعـل كـلابٌ فـإنهـا ... وكعـب سـراة البيـت مـا لـم تهـدَّم[١١]

فـإن كـان هـذا صُنعُكـم فتجـرَّدوا ... لألفيـن منّـا حـاسـرٍ ومُـلأَّم[١٢]

وحـربٍ إذا المـرء السَّميـن تمـرّسـتْ ... بـأعطـافـه بـالسيـف لـم يتـرمـرم[١٣]

ولـم أحتَسِـبْ سُفيـانَ حتـى لقيتُـه ... علـى مـأقـط إذ بيننـا عِطـر مَنْشِـم[١٤]

---

(١) أي خويلد بؤ. يقال: باء دمه بدمه بوءاً وبواء: عدله.
(٢) ثائراً، أي آخذ بالثأر.
(٣) تكملة عن «ها».
(٤) أبغي: لا أبغي.
(٥) هم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة... فهم وبنو سليم أبناء عم.
(٦) يريد: شاردة وضالة، من قولهم: أصابه سهم عائر أي لا يدري من رماه.
(٧) في الأصول: «زورة» وهو تحريف، وصوابه ما أثبتنا كما في (تاج العروس).
(٨) في ب، س «غبطة» وصوابه ما أثبتنا كما في ها.
(٩) أبى قومنا: يريد بني عمهم بني نصر. يظلم، أي يتعرّض للظلم والعدوان عليه لضعفهم عن نصرته والذود عنه.
(١٠) الأيهم: من لا عقل له ولا فيهم.
(١١) كلاب وكعب: هما ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وسراة كل شيء: أعلاه وظهره ووسطه.
(١٢) رجل حاسر: لا درع عليه ولا بيضة على رأسه. وملأم: عليه لأمة، وهي الدرع، والسلاح وأداة الحرب.
(١٣) تمرّس به: احتك به. وترمرم: حرّك فاه للكلام.
(١٤) المأقط: المضيق الذي يقتتلون فيه. ومنشم: امرأة كانت عطارة بمكة، وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت فيهم القتلى، فضربوا بها المثل في الشؤم فقالوا: أشأم من عطر منشم.

فقلــت وقــد صــاح النســاء خــلالَهــمْ … لخيلــيَ شُــدّي إنهــم قــوم لَهــذَمِ(١)

فمــا كــان تهليــلٌ لــدُنْ أن رميتُهــمْ … بــزِرّةَ رَكْضــاً حــاسِــراً غيــرَ مُلجَــم

إذا هــي صــدّت نحــرَهــا عــن رمــاحِهــم … أقــدّمهــا حتــى تَنَعَّــل بــالــدم

ومــا زال منهــم رائــغٌ عــن سبيلهــا … وآخَــرُ يَهــوِي لِليــديــن وللفــم(٢)

لَــدُن غُــدوةً حتــى أستُبيحــوا عشيّــةً … وذَلّــوا فكــانــوا لحْمَــةَ المتلحِّــم(٣)

فــآبــوا بهــا عُــرْفــاً وألقيــتُ كَلْكَلــي … علــى بَطَــل شــاكــي السِّــلاح مكلَّــم(٤)

/ ولــن يمنــع الأقــوام إلاّ مُشــايِــحٌ … يُطــارد فــي الأرض الفضــاء ويــرتمــي(٥) ٧٠/١٣

/ قال: ثم إن العبّاس بن مرداس جمع الأسارَى من بني نصر ـ وكانوا ثلاثين رجلاً ـ فأطلقهم، وظن أنّهم سيثيبونه [٣١٤/١٤] بفعله، وأنّ سفيانَ سيردّ عليه فرسَه زِرّةَ، فلم يفعلوا، فقال في ذلك:

أزِرّة خيــرٌ أم ثــلاثــون منكُــم … طليقــاً رددنــاه إليكُــمْ مسلَّمــا(٦)

قال: وجعل العباسُ يهجو بني نصر، فبلغه أن سفيانَ بن عبد يغوثَ يتوعّده في ذلك، فلقيَه عبّاس في المواسم، فقال له سفيان: والله لتنتهينّ أو لأصرمنّك، فقال عباس:

أتــوعــدنــي بــالصَّــرْم إن قلــت اوفِنــي … فــأوفِ وزِدْ فــي الصَّــرمِ لِهــزمَــةَ النتــن(٧)

وقال العباس أيضاً فيه:

ألا مَــن مُبلــغ سُفيــانَ عنّــي … وظنّــي أن سيلغــه الــرســولُ

ومــولاه عطيّــة أنّ قِيــلا … خــلا منّــي وأن قــد بــات قِيــل(٨)

سئمتــمْ ربّكــمْ وكفــرتمــوه … وذلكــمُ بــأرضكــمُ جميــلُ(٩)

ألا تُــوفِــي كمــا أوفَــى شبيــبٌ … فحــلّ لــه الــولايــةُ والشُّمــول

أبــوه كــان خيــركــم وفــاءً … وخيــركــم إذا حُمِــد الجميــلُ

ألام علــى الهجــاء وكــلّ يــوم … تــلاقينــي مــن الجيــران غــول(١٠)

---

(١) اللهذم: القاطع من الأسنة أي قوم ذوو لهاذم.

(٢) راغ: مال وحاد.

(٣) المتلحم: يريد طالب اللحم ومشتهيه.

(٤) العرف: اسم من الاعتراف، أي آبوا معترفين بالهزيمة. والكلكل: الصدر. شاكي السلاح: ذو شوكة وحد في سلاحه، مكلّم: مجرّح.

(٥) شايح: قاتل، وجدّ في الأمر. وفي الأصول «مشايخ * تطاردن» وهو تصحيف. ارتموا: تراموا.

(٦) في الأصول «طليق» وهو تحريف، والفصل بين العدد وتمييزه ضرورة، كقوله:

* ثلاثون للهجر حولاً كميلاً *

(٧) اللهزمتان: عظمان ناتئان في اللحيين تحت الأذنين، يريد يا رأس النتن وأصله.

(٨) القيل: القول، أو القول في الشر. خلا: مضى.

(٩) في ب، س «شتمتم» والتصويب عن جـ.

(١٠) الغول: الهلكة والداهية.

سأجعلها لأجمَعِكم شِعارا وقد يَمضي اللسان بما يقول

[١٤/٣١٥] / وهذه الأبيات من شعر العبّاس بنِ مرداس التي ذكرنا أخبارَه بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غَزاةٍ غزاها بني زُبَيْد باليمن.

حربه مع بني زبيد

قال أبو عمرو وأبو عُبيدة: جمع العباس بنُ مرداس بن أبي عامر ـ وكان يقال للعبّاس: مقطِّع الأوتاد ـ جمعا من بني سُليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبّح بني زبيد بتثليثَ من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عدداً كثيراً، وغنم حتّى ملأ يديه، فقال في ذلك:

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارسا وقفتُ به يوماً إلى اللّيل حابسَا

يقول فيها:

فدع ذا ولكنْ هل أتاك مَقادنا لأعدائنا نزجي الثقالَ الكَوادِسا[١]

سموْنا لهم تسعاً وعشرين ليلةً نُجيزُ من الأعراض وَحشاً بَسابِسا[٢]

فلم أر مِثلَ الحيِّ حيّاً مصبَّحاً ولا مِثلَنَا يوم التقَينا فوارسا

إذا ما شددْنا شَدّةً نصَبوا لنا صدورَ المَذاكي والرماحَ المَداعِسا[٣]

وأحصَنَنا منهمْ فما يبلغوننا فوارسُ منّا يحبسون المحَابسا

وجُرْدٌ كأنّ الأُسد فوقَ مُتونها من القوم مرءوسا كَمِيّا ورائسا

وكنتُ أمامَ القوم أوّلَ ضاربٍ وطاعنتُ إذ كان الطِّعان مُخالسا[٤]

[١٤/٣١٦] / ولو مات منهمْ من جرحْنا لأصبحتْ ضِباعٌ بأكناف الأراكِ عرائسا

فأجابه عَمرو بنُ معد يكرِبَ عن هذه القصيدة بقصيدة أوّلها:

٧١/١٣ / لِمن طللٌ بالخَيْفِ أصبَحَ دارسا تبدَّل آراما وعِينا كوانِسا[٥]

وهي طويلة، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أولها.

شعره في جلاء بني النضير وجواب خوّات له

أخبرني الحَرَميّ بنُ أبي العلاء قال: حدثنا الزّبير بن بكّار قال: حدثنا أبو غَزِيّة عن فُليح بن سليمان قال: قال

(١) كدست الدواب: أسرعت وركب بعضها بعضاً في سيرها.

(٢) الأعراض: قرى بين الحجاز واليمن. والبسابس: جمع بسبس كجعفر، وهو القفر الخالي.

(٣) المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. والمداعس: جمع مدعس كمنبر وهو من الرماح الغليظ الشديد الذي لا ينثني، ودعسه بالرمح: طعنه.

(٤) تخالس القرنان: رام كل واحد منهما اختلاس الآخر. وفي جـ «مجالسا» وفي ها «تخالسا».

(٥) آرام: جمع رئم، وهو الظبي الخالص البياض. والعين: بقر الوحش. وكنس الظبي كضرب: دخل في كناسه، وهو ما يستره من الشجر.

العبّاس يذكر جَلاَء بني النَّضير ويبكيهم بقوله:

لـــو أن قَطِيــنَ الــدّار لــم يتحمّلــوا وجـدت خـلال الـدار مَلْهـى ومَلعَبـا[1]

فـإنّـك عَمـري هـل رأيـتَ ظعـائنـا سَلَكـن علـى رُكـن الشطـاةِ فميثَبـا[2]

[عليهـنّ عِيـنٌ مِـن ظِبـاءِ تَبـالـةٍ أوانـس يُصبيـن الحليـمَ المجرّبـا[3]]

إذا جـاء بـاغـي الخيـرِ قلـن بشاشـةً لـه بـوجـوهٍ كـالـدنـانيـر: مَـرحَبـا

[وأهـلاً فـلا ممنـوع خيـرٍ طلبتَـه ولا أنـت تَخشَـى عنـدنـا أن تـؤنَّبـا][3]

فـلا تحسَبَنّـي كنـتُ مـولـى أبـن مِشْكـمٍ سـلامٍ ولا مـولـى حُيَـيّ بـن أخطبـا[4]

فقال خوّات بنُ جُبير يجيب العبّاس:

أتبكـي علـى قتلـى يهـودَ وقـد تَـرى مـن الشَّجْـو لـو تَبكـي أحـقَّ وأقـربـا

/ فَهـلاّ علـى قتلَـى ببطـنِ أُوارةٍ بكيـتَ ومـا تبكـي مـن الشجـو مغضبـا [٣١٧/١٤]

إذا السِّلـم دارت فـي الصـديـق رددتَهـا وفـي الـدِّيـن صَـدّاداً وفي الحرب ثعلبـا[5]

وإنـك لمـا أن كلِفـت بِمـدحـةٍ لِمَـن كـان مَيْتـاً مـدحُـه وتكـذُّبـا[6]

وجئـتَ بـأمـر كنـت أهـلاً لمثلـه ولـم تُلـف فيهـم قـائـلاً لـكَ مـرحبـا

فهـلاّ إلـى قـوم ملـوكٍ مـدحتَهـمْ بَنَـوا مـن ذُرا المجـد المقـدَّم مَنصِبـا

إلـى معشـر سـادوا الملـوكَ وكُـرِّمـوا ولَـم يُلَـف فيهـم طـالـبُ الحق مُجدِبـا[7]

أولئـك أولَـى مـن يهـودَ بِمـدحـةٍ تـراهـمْ وفيهـم عـزّةُ المجـد تُـرْتَبـا[8]

فقال عبّاس بنُ مرداس يجيبه:

هجـوتَ صـريـحَ الكـاهنَيـن وفيكُـم لهـم نِعَـم كـانـت مـن الـدهـر تُـرْتَبـا[9]

أولئـك أحـرى إن بكيـتَ عليهـمُ وقـومُـك لـو أدَّوا مـن الحـقّ مـوجَبـا

---

(١) القطين: أهل الدار. تحملوا: ارتحلوا.

(٢) في الأصول «السطاة فأثابا» وهو تحريف. والتصويب عن «معجم ما استعجم» ج ٣: ص ٧٩٨، والشطاة بفتح أوله: موضع قبل خيبر، ورد ذكره في «أشعار المغازي». وميثب: من خيبر هو موضع صدقات رسول الله ﷺ.

(٣) سقط هذا البيت من ب، س، جـ وقد أثبتناه عن ها.

(٤) في ب، س، جـ «سلم» وهو تحريف. والمولى: الحليف والصاحب. وحيي بن أخطب: سيد بني النضير.

(٥) في ب، س، جـ «مداحاً» والتصويب عن «السيرة» لابن هشام.

(٦) في جـ «عنا».

(٧) في ب، س، جـ «محدباً» وهو تصحيف.

(٨) في ها «أحرى». والترتب (بضم التاء الأولى وضم الثانية وفتحها): الشيء المقيم الثابت. وفي الأصول «وفيهم طابع اللؤم». والتصويب عن «السيرة النبوية».

(٩) الصريح: الخالص النسب. والكاهنان: يطلقان على قريظة والنضير.

مـــن الشكـــرِ إنّ الشكـــر خيـــرُ مَغَبّـــةٍ وأوفَـــقُ فِعـــلا للّـــذي كـــان أصـــوَبـــا[١]

فصـــرتَ كمـــن أمســـى يقطِّـــع رأسَـــه ليبلُـــغ عـــزّاً كـــان فيـــه مـــركبّـــا

فبَـــكِّ بنـــي هـــارونَ واْذكـــر فَعـــالَهـــمْ وقتلهـــمُ للجـــوع إذ كُنْـــتَ مُسغبـــا[٢]

[١٤/٣١٨] / قال الزبير: فحدّثني محمد بن الحسن عن مُحرِز بن جعفر قال: التقى عبّاس بن مرداس وخوّات بنُ جبير يوماً عند عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال خوّات: يا عباس أأنت الذي رثيتَ اليهود، وقد كان منهم في عداوة رسول الله ﷺ ما كان! فقال عباس: إنهم كانوا أخلّائي في الجاهلية، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرمونني، ومثلي يشكر ما صُنِع إليه من الجميل، وكان بينهما قول حتى تجاذبا، فقال له خوّات: أما والله لئن استقبلت غَرْبَ[٣] شبابي، وشَبَا أنيابي، وخَشِن جوابي، لتكرهنّ عتابي. فقال عبّاس: والله يا خوّات، لئن استقبلت عَنّي وفَنّي[٤] وذكاءَ سِنّي، لتَفِرّنّ منّي، إيّاي تتوعد يا خوّات، يا عانيَ[٥] السوآت! / والله لقد استقبلك اللؤمُ فَردعك[٦]، واستدْبَرك فكسَعَك[٧]، وعَلاك فوَضَعك، فما أنت بمهجوم[٨] عليك من ناحية إلّا عن فضل لؤم؛ إيّاي - ثكِلتْك أمّك - تروم؟ وعليّ تقوم؟ والله ما نُصِبتْ سُوقُك، ولأظهرنّ عليك[٩] بعدُ؛ فقال عمر لهما: إما أن تسكتا وإما أن أوجِعَكما ضرباً، فصمَتَا وكَفّا، أخبرني بذلك علي بن نصر قال: حدّثني الحسن بن محمد بن جرير، وحدّثني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك. وللعباس مع خَوّات مناقضات أُخَرُ في هذا المعنى، كرهتُ الإطالةَ بذكرها.

٧٢/١٣

رثاه أخوه بشعر

قال أبو عبيدة: وكان العباس وسراقة وحَزن وعمرو بنو مِرْداس كلّهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وكلّهم كان شاعراً، وعبّاس أشعرهم، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم، ومات في الإسلام، فقال أخوه سراقة يرثيه:

[١٤/٣١٩] / أعيـــنِ ألا أبكـــي أبـــا الهيثـــم وأذري الـــدمـــوعَ ولا تســـأمـِـي

وأثنـــي عليـــه بـــآلائـــه بقـــول أمـــرىء مـــوجَـــع مـــؤلَـــمِ

[فمـــا كنـــتُ بـــائعـــه بـــأمـــرىء أراهُ ببَـــذْوٍ ولا مَـــوْسِـــمِ][١٠]

أشـــدّ علـــى رجـــل ظـــالـــم وأدهَـــى لـــداهيـــة مِيثـــمِ[١١]

---

(١) في ب، س، جـ «من السكران السكر» وهو تصحيف.

(٢) أسغب: دخل في المجاعة فهو مسغب، كما يقال: أقحط: دخل في القحط.

(٣) الغرب: الحدّة. والشبا جمع شباة، وهي حد كل شيء.

(٤) العنّ: الاعتراض. والفنّ: الأمر العجيب، رجل معنّ مفنّ (كمقص). معنّ: أي يعتن ويعترض في كل شيء، مفن: يأتي بالعجائب، ومفن أيضاً ذوفنون من الكلام. والذكاء: شدّة وهج النار.

(٥) أي يا أسير السوآت.

(٦) ردعه بالشي كفتح: لطخه به.

(٧) كسعه بالسيف كمنع، ضرب دبره به.

(٨) في ب، س «بمجهوم» وهو تحريف والتصويب عن «ها».

(٩) في جـ، ها «عنك».

(١٠) هذا البيت ساقط من ب، س، جـ وقد أثبتناه عن «ها».

(١١) ميثم: شديد الوطء.

وقالت أخته عَمرةُ ترثيه:

لِتَبكِ أبنَ مرداسٍ على ما عَراهُمُ ... عشيرتُه إذ حُمَّ أمسِ زَوالُها

لدى الخصم إذ عند الأمير كفَاهمُ ... فكان إليه فصلُها وجِدالُها[١]

ومُعضِلةٍ للحاملين كفيتها ... إذا أنهلت هُوج الرياح طِلالُها[٢]

وقد روى العباسُ بنُ مرداس عن النبيّ ﷺ، ونقل عنه الحديث.

دعاء النبي عليه السلام لأمته

حدّثنا الحسين بن الطيّب الشجاعيّ البَلْخي بالكوفة قال: حدّثنا أيوب بن محمد الطّلحي[٣] قال: حدّثنا عبد القاهر بن السريّ السُّلَمي قال: حدّثنا عبد الله بنِ كنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدّثه عن جدّه عباس بن مرداس أن النبي ﷺ دعا لأمّته عشيّةَ عَرَفة قال: فأجيبَ لهم بالمغفرة إلاّ ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض، قال: فإني آخذ للمظلوم من الظالم، قال: أيْ ربُّ إن شئت أعطيتَ للمظلوم من الجنة، وغفرتَ للظالم، فلم يجب في حينه، فلما أصبح في المزدلِفة أعاد الدعاء، فأجيب لهم بما سأل، فضحك النبي ﷺ أو تبسّم، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: بأبي / أنت وأمّي! إن هذه لساعة ما كنتَ تَضحك فيها أو تَبسّم، فقال: إن إبليس لمّا علم أن الله غفر لأمّتي جعل يَحثُو الترابَ على رأسه، ويدعو بالوَيْل والثُّبور، فضحكتُ مِن جَزَعه. تمّت أخبارُ العبّاس. [١٤/ ٣٢٠]

صوت

أرجوكَ بعد أبي العبّاس إذ بانا ... يا أكرمَ الناسِ أعراقاً وعِيدانا

أرجوك من بعدِه إذ بسان سيِّدِنا ... عنّا ولولاك لاستسلمت إذ بانا

فأنت أكرمُ من يَمشي على قدم ... وأنضرُ الناس عند المَحْلِ أغصانا

لو مَجّ عُودٌ على قومٍ عُصَارتَه ... لمجّ عودُك فينا المِسكَ والبانا[٤]

الشعر لحمّاد عَجْرد، والغناء لحَكَم الواديّ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبِنصر في مجراها.

---

(١) فصلها أي في الخصومات والمشاكل.

(٢) النهل (كسبب): أوّل الشرب. هوج الرياح: الشديدة الهبوب. طلال: جمع طل وهو أخف المطر وأضعفه. يقول، إنه غياث لقومه وقت الجدب حين تهب الرياح الهوجاء حاملة طلالاً لا تغني ولا تسد حاجة.

(٣) الذي في جـ، «ها» «الصالحي».

(٤) في ب، س، جـ «غضارته» والتصويب عن ط، مط، ها.

[٣٢١/١٤] ٧٣/١٣

/ أخبار حماد عجرد ونسبه

نسبه

هو حمّاد بنُ يحيى بن عمر[١] بن كُلَيب، ويُكنَى أبا عُمَر[٢]، مولى [بني][٣] عامر بن صعصعة، وذكر ابن النطّاح أنه مولَى بني سَراةَ، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عُقيل، وأصلُه ومنشؤه بالكوفة، وكان يَبري النَّبل، وقيل: بل أبوه كان نَبّالاً، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر.

وقال صالح بنُ سليمان: كان عمٌّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس[٤] بن كليب، وكانت له هيئة[٥] ـ وابن عمّه عُمارة بن حمزةَ بن كليب ـ انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً، فكانوا بها، وحمّاد من مخضرَمي الدّولتين الأمويّة والعباسيّة، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرتَه في أيام بني العبّاس، وكان خليعاً ماجِناً، متَّهماً في دينه، مرمياً بالزندَقة.

كان أبوه مولى لبني هند، وهجاه بشار له

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال: قال أبو دعامة: حدّثني عاصمُ بن أفلحَ بن مالك بن أسماء قال: كان يحيى أبو حمّاد عجرد مولًى لبني هندٍ بنت أسماءَ بن خارجة، وكان وكيلاً لها في ضَيْعتها بالسّواد[٦]، فولدتْ هندٌ من بِشر بنِ مروان عبدَ الملك بن بِشر، فجرّ عبد الملك ولاء مَوالي أمّه فصاروا مَواليَه. قال: ولما كان والدُ حمّاد عَجْرد بالسواد في ضَيْعتها نَبَطه[٧] بشّارٌ لمّا هجاه بقوله:

وأشـدُدْ يـديـك بحمّـاد أبـي عُمـرٍ فـإنّـه نَبَطـيٌّ مِـن زَنـابيـرِ[٨]

[٣٢٢/١٤]/ قال: وإنما لقّبه[٩] بعجرد عمرو بن سِنْديّ، مولًى ثقيف لقوله فيه:

سَبَحَـتْ بغلـةٌ ركبـتَ عليهـا عجبـاً منـك خَيبـةً للمَسيـرِ[١٠]

زعمـتْ أنهـا تَـراه كبيـراً حَملهـا عَجـرد الـزِّنـا والفُجـورِ[١١]

---

(١) كذا في ها، و «معجم الأدباء» ج ١٠: ٢٤٩ وفي باقي الأصول «عمرو».

(٢) كذا في ب، س وهو الصواب؛ وفي باقي الأصول «أبا عمرو».

(٣) عن ط، مط.

(٤) كذا في ط، مط. والذي في ب، س، جـ «مولى». وفي ها: يونس.

(٥) في ب، س، جـ «بقية» وما أثبتناه عن ط، مط، ها.

(٦) أي سواد العراق.

(٧) نبطه: نسبه إلى النبط.

(٨) كذا في ط، مط. والذي في باقي الأصول: «دنانير»؛ وهو تصحيف. وزنابير: أرض باليمن.

(٩) كذا في ط، مط، ها. والذي في ب، س «سماه». وقد سقطت هذه الكلمة من جـ.

(١٠) سبح الفرس: مدّ يديه في العدو، شبهه بالسابح في الماء. وفي ب، س «سحبت».

(١١) حملها: بدل من الهاء في تراه.

إن دهـــراً ركبـــتَ فيــه علــى بَغْــ ـــلٍ وأوقَفْتَــه ببــاب الأميــر
لَجـديـرٌ ألاَّ نَـرَى فيــه خيـراً لصغيـــر منّـــا ولا لِكبيـــر
مــا امـرؤ ينتقيـك يـا عُقْـدة الكلْـ ـــب لأســراره بِجـدٍّ بَصيـر[1]
لا ولا مجلــسٌ أَجَنَّـــك للّـــذّات يــا عَجْــرَدَ الخَنـا بسَتيـر[2]

يعني بهذا القول محمد بنَ أبي العبّاس السفّاح، وكان عَجْرد في نُدَمائه، فبلغ هذا الشعرُ أبا جعفر، فقال لمحمد: مالي ولعجرد يَدخُل عليك؟ لا يَبلُغَني أنّك أذنتَ له، فقال: وعَجْرد مأخوذٌ من المعجرَد، وهو العُريان في اللّغة، يقال: تعجرد الرجلُ إذا تَعرَّى فهو يتعجرد تعجرداً: وعجردتُ الرجلَ أُعجرِدُه عَجردةً إذا عرّيته.

الحمادون الثلاثة

أخبرني إسماعيل بنُ يونس قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة، ونسختُ من كتاب عبد الله بن المعتز، حدّثني الثقفيُّ عن إبراهيم بن عمر العامريّ قال: كان بالكوفة ثلاثة نَفَر يقال لهم الحَمّادون : حمّاد عَجْرد وحَمّاد الراوية ، وحمّاد [بن][3] الزِّبرِقان، يتنادمون على الشراب، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرةً جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، يُرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حمّادُ عَجرد.

/ أخبرنا الفضل بن الحُباب الجُمَحيّ أبو خليفة إجازةً عن التوّزيّ[4] : أن حماداً لقِّب بعجرد لأن أعرابياً مرّ به في يوم شديدِ البَرْد وهو عُريانٌ / يلعب مع الصِّبيان فقال له: تعجردتَ يا غلام؟ فسمّيَ عجرداً. [٣٢٣/١٤] ٧٤/١٣

قال أبو خليفة: المتعجرِد: المتعرّي؛ والعَجْرد أيضاً: الذهب.

سبب مهاجاة بشار

أخبرني أحمد بنُ يحيى بن علي بن يحيى، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عبّاد بن الممزّق، وأخبرني أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبة قال: كان السبب في مهاجاة حمّاد عجردٍ بشّاراً أنّ حمّاداً كان نديماً لنافع بن عُقبة، فسأله بشّار تنجُز حاجة له مِن نافع، فأبطأ عنها، فقال بشارٌ فيه:

مـــواعيـــدُ حمّـــاد سمـــاءٌ مُخيلـــةٌ تكشّـــفُ عـــن رعـــد ولكـــن ستَبـــرُقُ[5]
إذا جئتَـــه يـــومـــاً أحـــالَ علـــى غـــدٍ كمـا وعـد الكمُّـون مـا ليس يَصدُق[6]
وفـــي نـــافـــع عنّـــي جَفـــاءٌ، وإنّنـــي لأُطـــرق أحيـــانـــاً، وذو اللُّـــبّ يُطـــرِق

---

(١) عقدة الكلب: قضيبه.

(٢) أجنك: سترك. الخنا: الفحش. ستير: مستور.

(٣) كذا في ط، مط، ها، مب. وقد سقطت هذه الكلمة من ب، س، جـ.

(٤) كذا في ط، مط، ها. وهو الصواب. والذي في ب، س، جـ: الثوري؛ وهو تصحيف.

(٥) السحابة المخيلة: التي تحسبها ماطرة.

(٦) يعني أنه كلما تطلب السعي تمهل وسوّف وقال: غدا غدا، وهذا المعنى وارد في كلامهم، من ذلك قول القائل:

لا تجعلنّـــا ككمّـــون بمـــزرعـــة إن فـــاتـــه المـــاء أروتـــه المـــواعيـــد

«المحاسن والأضداد» ص ٧٠.

وللنَّقَرَى قومٌ فلو كنتُ منهمُ ... دُعيتُ ولكن دونيَ البابُ مغلقُ[١]

[١٤/٣٢٤] / أبا عُمَرٍ خَلَّفْتُ خلفَك حاجتي ... وحاجةُ غيري بين عينيك تَبرُقُ

وما زلتُ أستأنِيك حتى حسرتَني ... بوعدٍ كجاري الآلِ يَخفَى ويَخفِقُ[٢]

قال: فغضب حمّاد وأَنشَد نافعاً الشِّعر، فمنعَه من «صلة»[٣] بشّار، فقال بشّار:

أبا عُمرٍ ما في طِلابِيكَ حاجةٌ ... ولا في الّذي منَّيتنا ثمّ أصحرا

وَعدْتَ فلم تَصدُق وقلتَ غَداً غَداً ... كما وُعِدَ الكَمُّون شِرْباً مؤخَّرا

قال: فكان ذلك السببَ في التّهاجي بين بشّار وحمّاد.

كان من كبار الزنادقة

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار قال: حدّثني أبو إسحاق الطَّلْحيّ قال: حدّثني أبو سُهيل قال: حدّثني أبو نواس قال: كنت أتوهّم أن حمّاد عجرد إنما رُمِيَ بالزندقة لمُجونه في شعره، حتى حُبِستُ في حبس الزَّنادقة، فإذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمّتهم، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرءون به في صلاتهم، قال: وكان له صاحب يقال له حريث[٤] على مذهبه، وله يقول بشّارٌ حين مات حمّادُ عجردٍ على سبيل التعزيَة له:

بَكَى حُريثٌ فوقَّره بتعزِيَةٍ ... ماتَ ابنُ نِهْيَا وقد كانا شريكَيْنِ

تَفاوَضَا حين شابَا في نسائهما ... وحَلَّلا كلَّ شيءٍ بين رِجْلَيْنِ[٥]

[١٤/٣٢٥] / أمسَى حُريثٌ بما سَدَّى له غيَراً ... كراكبِ اثنينِ يرجو قوّةَ اثنينِ[٦]

حتى إذا أخَذا في غيرِ وجهِهِما ... تفرَّقا وهوَى بين الطّريقَينِ

يعني أنه كان يقول بقول الثَّنَوِيَّة[٧] في عبادة اثنين، فتفرّقا وبقيَ بينهما حائراً، قال: وفي حمّاد يقول بشّار أيضاً وينسُبه إلى أنّه ابن نِهْيَا[٨]:

يا ابنَ نِهْيَا رأسٌ عليّ ثقيلُ ... واحتمالُ الرؤوس خَطْبٌ جليلُ

أُدعُ غيري إلى عبادة الاثْنَيـ ... ـنِ فإنّي بواحدٍ مشغولُ

---

(١) في ب، س «وللنقدي» وهو تحريف. يقال: دعاهم النقري، أي دعوة خاصة، وهو أن يدعو بعضاً دون بعض ينقر باسم الواحد بعد الواحد.

(٢) استأني به: انتظر به ولم يعجله. حسره: كشفه. الآل: السراب، وقيل: الآل هو الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض، وأما السراب فهو الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء جار.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصول، وهي مثبتة في «مختار الأغاني» ص ٤١٥.

(٤) في ب، س، جـ «حريب» وهو تصحيف؛ والتصويب عن ط، مط، مب، ها. وأراد ها هنا: حريث بن أبي الصلت الحنفي كما سيأتي بعد.

(٥) التفاوض والمفاوضة: الاشتراك في كل شيء.

(٦) كذا في ط، مط، جـ، مب. والذي في ب، س «أسدى له عندا» وفي ها «غمرا».

(٧) الثنوية: فرقة يقولون بأثنينية الإله، أي إله الخير وإله الشر.

(٨) كذا في ط، مط، مب، ها. وهو يوافق ما ورد في «أمالي المرتضى». والذي في جـ، ب، س «نهبا» بالباء؛ وهو تصحيف.

يـاْبـن نِهْيَـا بـرئـتُ منـك إلـى اللَّـ ـــه جهـارا، وذاك منّـي قليـل

قال: فأشاع حمّاد هذه الأبيات لبشّار في الناس، وجعل فيها مكان «فإنّي بواحد مشغول»: «فإنّي عن واحد مشغول» ليصحّح عليه الزندقة والكفرَ بالله تعالى، فما زالت الأبيات تدور في / أيدي الناس حتى انتهت إلى بشّار، فاضطرب ٧٥/١٣ منها وتغيّر وجزع وقال: أشاطَ ابنُ الزانية بِدَمِي[١]، والله ما قلت إلاّ «فإنّي بواحد مشغولُ» فغيّرها حتى شَهَرني في الناس [بما يهلكني][٢].

هجاء بشار له

أخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني صالح بنُ سليمانَ الخَثْعَميّ قال: قيل [لعبد الله بن ياسين][٣]: إن بشاراً المرعَّثَ[٤] / هجا حمّاداً فَنَبَطه، فقال عبد الله: [قد][٥] رأيتُ جدّ ٣٢٦/١٤ حمّاد، وكان يسمَّى كُلَيباً، وكانت صناعتُه صناعة لا يكون فيها نَبَطيّ، كان يَبري النَّبالَ ويَريشُها، وكان يقال له: كُلَيب النبّال، مولى بني عامر بن صعصعة.

هجاء بشار له ولصديقه سليم

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب، قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيُّ قال: حدّثني أحمد بنُ خَلّاد قال: كان بشّارٌ صديقاً لسُلَيْم بن سالم مولَى بني سعد، وكان المنصورُ أيّامَ استتَر بالبَصرة نزل على سلَيْم بن سالم، فولاّه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السُّوسَ وجُنْدَيْسابور، فانضَمّ إليه حمّاد عجرد، فأفسده على بشّار، وكان له صديقاً، فقال بشّار يهجوهما:

أمسَـى سُلَيـم بـأرضِ السُّـوسِ مُـرتَفِقـاً فـي خَـزّهـا بعـدَ غِـرْبـالٍ وأمـدادِ[٦]

ليـس النعيـم وإنْ كُنّـا نُـزَنّ بـه إلاّ نعيـم سُلَيـم ثـمّ حمّـادِ[٧]

نِيكَـا ونَـاكَـا ولَـم يَشعُـر بـذا أحـدٌ فـي غفلـةٍ مِـن نبـيّ الـرحمـة الهـادي

فنَشِب الشرُّ بين حمّاد وبشّار.

دخل بينه وبين بشار رجل بصري

أخبرني عمّي قال: حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويَه، عن عمرَ بنِ شبّة، عن أبي أيوب الزبالي[٨]، قال:

---

(١) يقال: أشاط دمه وبدمه: أذهبه، أو عمل في هلاكه، أو عرّضه للقتل.

(٢) ما بين القوسين من «ها».

(٣) في الأصول «قيل له» وما أثبتناه عن «مختار الأغاني» ص ٤١٥.

(٤) كان بشار بن برد يلقب بالمرعّث، لرعاث كانت له في صغره في أذنه؛ ورعاث بالكسر: جمع رعثة بالفتح، وهو ما علق بالأذن من قرط ونحوه. وفي ب، س «المرغث» وهو تصحيف.

(٥) سقطت من ب، س. وهي عن باقي الأصول.

(٦) في ب وس «مرتفعاً» وهو تحريف، والصواب ما أثبتنا كما في جـ، ط، مط، ها. وارتفق: اتّكأ على مرفقة: وهي المتكأ والمحدة، يكنى بذلك عن أنه صار منعماً مترفاً بعد أن كان ممتهناً. أمداد، جمع مدّ بالضم، وهو مكيال، ويفهم من هذا أنه كان قبل الولاية كيّالاً.

(٧) أزننته بكذا: اتهمته به.

(٨) في ب وس «الذبالي»؛ والتصويب عن باقي الأصول.

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد وبشّار على اتفاق منهما ورضاً بأن يَنقُلَ إلى كلّ واحد منهما وعنه الشِّعر، فدخل يوماً إلى بشّار فقال له: إيهِ يا فلان، ما قال ابن الزانية فيّ؟ فأنشده:

إنْ تــاهَ بشّــارٌ عليكــمْ فقــد ... أمكنــتُ بشّــاراً مــن التِّيــهِ

[١٤/٣٢٧] / فقال بشّار: بأيّ شيء ويحك؟ فقال:

وذاكَ إذ سَمّيتُــه بــآسمــه ... ولــم يكــن حــرٌّ يسمّيــهِ

فقال: سَخِنتْ عينه[1]، فبأي شيء كنت أُعرَف؟ إيهِ، فقال:

فصــار إنســانــاً بــذكــري لــه ... مــا يَبتغــي مِــن بعد ذِكــرِيــه؟

فقال: ما صنع شيئاً، إيهِ ويحك؟ فقال:

لــم أهــجُ بشّــاراً ولكنّنــي ... هجــوتُ نفســي بِهجــائِيــهِ

فقال: على هذا المعنى دارَ، وحولَه حام[2]، إيهِ أيضاً، وأيّ شيء قال؟ فأنشده:

أنــت ابــن بــرد مِثــلُ بُــرْ ... دٍ فــي النَّــذالــة والــرَّذالــة

مــن كــان مثــلَ أبيــك يــا ... أعمــى أبــوه فــلا أبــا لَــه

فقال: جَوَّدَ ابنُ الزانية، وتمام الأبيات الأُوَل:

لَــم آتِ شيئــاً قــطُّ فيمــا مضــى ... ولســتُ فيمــا عشــتُ آتيــهِ

أســوأ لــي فــي النــاس أحــدوثــةً ... مــن خطــأٍ أخطــأتُــه فيــه

فــأصبــح اليــوم بِسبِّــي لــه ... أعظــمَ شــأنــاً مــن مَــوالِيــه

٧٦/١٣ / أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بنُ شبّة، عن خلّاد الأَرْقَط قال: أنشَدَ بشّاراً راويتُه قولَ عجرد فيه:

دُعيــتَ إلــى بُــرْدٍ وأنــتَ لغيــرِه ... فَهبْـكَ ٱبـن بُـرْدٍ نكـتَ أمَّـك مَـنْ بُـرْدُ؟

فقال بشار لراويته: ها هنا أحد؟ قال: لا، فقال: أحسن والله ما شاء ابن الزانية.

[١٤/٣٢٨] / أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُليل العَنَزيُّ قال: حدّثني محمد بنُ يزيدَ المهلّبي قال: حدّثني محمد بنُ عبد الله بنِ أبي عُيَينة قال: قال حمادُ عجرد لمّا أُنشِد قولَ بشّار فيه:

يــاٱبــنَ نِهْيَــا رأسٌ علــيّ ثقيــل ... واحتمــالُ الــرأسيــن أمــرٌ جليــلُ

فــادعُ غيــري إلــى عبــادة ربّيْـ ... ـــنِ فــإنّــي بــواحــد مشغــول

والله ما أبالي بهذا من قوله، وإنّما يغيظني منه تجاهلُه بالزندقة، يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأساً ليظن الجهّال أنّه لا يعرفها، لأن هذا قولٌ تقوله العامّة لا حقيقة له، وهو واللهِ أعلمُ بالزَّندقَة من ماني.

(١) سخنت عينه: نقيض قرّت، دعاء عليه.

(٢) في ب، س: «وحوله دام». والتصويب عن باقي الأصول.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار وحبيب بن نصر المهلّبي، قالوا: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة، قال: حدّثنا أبو أيوب الزباليّ قال: قال بشار لراويةِ حمّاد: ما هجاني به اليومَ حمّاد؟ فأنشدَه:

ألا مَــن مُبلــغٌ عــنّــي الــذي والــدُه بُــرْدُ

فقال: صدق ابن الفاعلة، فما يكون؟ فقال:

إذا مــا نُســب النــاسُ فــلا قَبْــلٌ ولا بَعْــدُ

فقال: كذب ابن الفاعلة، وأين هذه العرصات[1] من عُقَيل؟ فما يكون؟ فقال:

وأعمَــى قَلْطَبــانٌ مــا علــى قــاذِفِــه حَــدُّ

/ فقال: كذب ابن الفاعلة، بل عليه ثمانون جَلْدَةً، هيه، فقال: [٣٢٩/١٤]

وأعمَــى يشبــه القِــرْدَ إذا مــا عَمِــيَ القِــرْدُ

فقال: والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبّهني بقِرد، حسبُك حسبُك، ثم صفّق بيديه، وقال: ما حيلتي؟ يراني فيشبّهُني ولا أراه فأشبّهه.

وقال: أخبرني بهذا الخبر هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا أبو غسّانَ دَماذ فذكَر مِثلَه، وقال فيه: لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار:

شبيــهُ الــوجــه بــالقــرد إذا مــا عَمِــيَ القِــردُ

بكى بشّار، فقال له قائل: أتبكي من هجاء حمّاد؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنّه يراني ولا أراه، فيصفُني ولا أصفُه، قال: وتمامُ هذه الأبيات:

ولــو يَنْكَــهُ فــي صَلْــدِ صَفــاً لانصــدع الصَّلْــدُ
دنــيٌّ لــم يَــرُح يــومــاً إلــى مجــدٍ ولــم يَغْــدُ
ولــم يحضــرْ مــع الحُضّــا ر فــي خيــرٍ ولَــم يَبْــدُ
ولَــم يُخْــشَ لــه ذمٌّ ولــم يُــرجَ لــه حَمــدُ
/ جَــرَى بــالنَّحْــسِ مــذكــان ولَــم يجــرِ لــه سعــدُ[2]
هــو الكلــب إذا مــا مــا تَ لــم يــوجَــد لــه فقــدُ[3]

[٧٧/١٣]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمرُ بن شبّة قال: حدّثني خلّاد الأرقط قال: أشاعَ بشّار في الناس أن حمّاد عجردٍ كان يُنشِد شعراً ورَجُلٌ بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه، فقال حماد: عَلامَ اجتمعوا؟ فوالله لَما أقولُ أحسنُ ممّا يقول.

قال: وكان بشّار يقول: لمّا سمعت هذا من حمّاد مَقَتُّه عليه.

(١) كذا، وفي ها «العصاب».
(٢) في ب، س «مندكاة» وهو تحريف.
(٣) في جـ: «إذا مات كم».

[١٤/٣٣٠] / **هجاء بشار له**

أخبَرني أحمد بن عُبَيد الله بنِ عمّار قال: أخبَرني أبو إسحاق الطَّلْحي قال: حدّثني أبو سُهَيل عبدُ الله بن ياسين أن بشّاراً قال في حمّاد عجرد وسهيلِ بنِ سالم، وكان سهيلٌ من أشراف أهل البصرة، وكان من عمّال المنصور، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب، وكان حمّادٌ وسهيلٌ نديمَينِ:

ليس النعيمُ وإن كنّا نُـزَنّ بـه ... إلاّ نعيم سُهَيْلٍ ثمّ حمّادِ

نَاكا ونِيكا إلى أن لاح شَيْبُهما ... في غفلةٍ عن نبيّ الرحمة الهادي

فَهْدَيْن طوراً وفَهّادين آونةً ... ما كانَ قبلَهما فَهْدٌ بفَهّاد[١]

سبحانك اللهُ لو شئتَ امتَسَخْتَهُما ... قِردَين فاعْتَلَجا في بيت قَرّاد[٢]

قال: يعني بقوله * ما كان قبلهما فهدٌ بفهّاد * أي لم يكن الفَهد فَهّاداً، كما تقول: لم يكن زيد بظريف، ولم يكن زيدٌ ظريفاً، قال ابن ياسين: وفيه يقول بشار أيضاً:

ما لُمتُ حمّاداً على فِسقِه ... يلومه الجاهل والمائقُ[٣]

وما همَا من أَيْرِه واسْتِه؟ ... مَلّكه إيّاهما الخالقُ

ما بات إلاّ فوقه فاسقٌ ... يَنيكهُ أو تحتَه فاسق

هجاؤه لبشار

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار قال: أنشدني ابنُ أبي سعد لحمّاد عجرد في بشّار ـ قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه ـ:

نهارُه أخبثُ من ليلهِ ... ويومُه أخبثُ من أمسِه

وليس بالمُقلِعِ عن غيِّه ... حتى يُوارَى في ثَرَى رَمْسِه[٤]

[١٤/٣٣١] / قال: وكان أغلظَ على بشّار من ذلك كله وأوجعَه له قولُه فيه:

لو طُلِيتْ جلدتُه عنبراً ... لأفسدتْ جلدتُه العنبَرا

أو طُلِيتْ مِسكاً ذكيّاً إذاً ... تحوّلَ المسكُ عليه خَرا

قال ابن أبي سعد: وقد بالغ بشارٌ في هجاءِ حمّاد، ولكن حكم الناسُ عليه لحمّاد بهذه الأبيات.

اتصاله بالربيع

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني أحمد بن

(١) الفهّاد: صاحب الفهود الذي يعلّمها الصيد.
(٢) اعتلجا: تصارعا وتقاتلا.
(٣) المائق: الأحمق.
(٤) الرمس: القبر.

إسحاق قال: حدثني عثمان بن سُفيانَ العطّار قال: اتصل حماد عجرد بالربيع[١] يؤدِّب ولدَه، فكتب إليه بشارٌ رقعةً، فأُوصلَتْ إلى الربيع، فطرده لمّا قرأها، وفيها مكتوب:

يـــا أبـــا الفضـــل لا تَنَـــمْ ... وقـــعَ الـــذئـــبُ فـــي الغَنَـــمْ
إنّ حمّـــــادَ عَجْـــــردٍ ... إنْ رأى غفلـــــةً هَجَـــــمْ
/ بيـــن فَخْـــذَيْـــه حَـــرْبَـــةٌ ... فـــي غِـــلافٍ مـــن الأَدَمْ[٢]
إنْ خـــلا البيـــتُ ســـاعـــةً ... مجمَـــجَ الميـــمَ بـــالقَلَـــمْ

٧٨/١٣

فلمّا قرأها الربيع قال: صيّرني حمّاد دريئةَ الشعراء، أخرِجوا عنّي حماداً، فأُخرج.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عبّاد بن الممزّق أن حمّاد عجردٍ كان يؤدّب ولدَ العبّاس بن محمد الهاشمي، فكتب إليه بشّارٌ بهذه الأبيات المذكورة، فقال العباس: مالي ولبشّار؟ أخرجوا عنّي حمّاداً، فأُخرِج.

/ هجاؤه لبشار

[٣٣٢/١٤]

أخبرني يحيى بن علي قال: حدّثني محمد بنُ القاسم قال: حدّثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزُّبَيْريّ قال: لما أخرج العباس بن محمد حمّاداً عن خدمته، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشّاراً:

لقـــد صـــار بشّـــار بصيـــراً بـــدُبْـــرِه ... ونـــاظِـــرُه بيـــن الأنـــام ضَـــرِيـــرُ
لـــهُ مقلـــةٌ عميـــاءُ وآســـتٌ بصيـــرةٌ ... إلـــى الأيْـــرِ مـــن تحـــت الثـــيـاب تشيـــر
علـــى وُدِّه أن الحميـــر تَنِيكُـــه ... وأنّ جميـــعَ العـــالَميـــن حَميـــرُ

قال أبو الفرج الأصبَهانيّ: وقد فعل مِثْلَ هذا بعينه حمّاد عجردٍ بقُطْرُب[٣].

شعره في قطرب

أخبرني عمّي عن عبد الله بن المعتزّ قال: حدّثني أبو حفص الأعمى المؤدِّب، عن الزُّباليّ قال: اتُّخذ قطرب النحويُّ مؤدِّباً لبعض ولد المهديّ، وكان حماد عجرد يطمع في أن يُجعَل هو مؤدِّبه، فلم يتمّ له ذلك، لتهتكه وشهرتِه في الناس بما قاله فيه بشّار، فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالمُلْقَى على الرَّضَف[٤]، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها:

قـــل لـــلإمـــام جـــزاكَ الله صـــالحـــةً ... لا تَجمـــع الـــدهـــر بيـــن السَّخْـــل والـــذيـــبِ[٥]

(١) هو الربيع بن يونس وزير المنصور، وتوفي سنة ١٧٠ هـ.
(٢) الأدم: الجلد.
(٣) هو أبو علي محمد بن المستنير البصري النحوي، أخذ عن سيبويه، ولقبه سيبويه بقطرب، لأنه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول له: ما أنت إلا قطرب ليل؛ والقطرب: ذكر الغيلان أو الذئب الأمعط أو صغار الجن أو الخفيف أو طائر أو دابة صغيرة لا تستريح من الحركة وتوفي سنة ٢٠٦ هـ.
(٤) في ج، ط، مط، مب، «الرصد». والرضف: الحجارة المحماة بالشمس أو النار.
(٥) السخل والسخال: جمع سخلة: وهو ولد الشاة عند ولادته ذكراً أو أنثى.

السَّخـلُ غِـرٌّ وَهـمُّ الـذئـبِ فُـرصَتُـه والـذئب يَعلَـم مـا فـي السَّخْـل مـن طِيـب[1]

فلمّا قرأ هذين البيتين قال: انظُروا لا يكون هذا المؤدِّب لُوطيًّا، ثم قال: انفُوهُ عن الدار، فأُخرِج عنها، وجيء بمؤدِّب غيره، ووُكِّل به تسعون خادماً يتناوبون، يحفظون الصبيّ، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى عيسى بن إدريسَ العِجْلي بن أبي دُلَف فأقام معه بالكَرَج إلى أن مات.

[١٤/٣٣٣] / أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ قال: لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار:

ويـــا أقبــحَ مـــن قِــردٍ إذا مـــا عَمِــيَ القــردُ

قال بشّار: لا إله إلاّ الله، قد والله كنت أخاف أن يأتيَ به، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقتُ به خوفاً من أن يُسمَع فأُهجَى به، حتى وقع عليه النَّبَطيُّ ابنُ الزانية.

كان أبو حنيفة صديقاً له

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب عبد الله بن المعتزّ، حدثني العِجْليّ قال: حدّثني أبو دُهْمان قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحمّاد عجرد، فنَسَكَ أبو حنيفة وطلبَ الفقه، فَبَلغ[2] فيه ما بلغ، ورفَضَ حمّاداً وبَسَط لسانَه فيه، فجعل حمّاد يلاطفه حتى يكفَّ عن ذِكره، وأبو حنيفة يذكره، فكتب إليه حمّادٌ بهذه الأبيات:

إن كـــان نسكُـــكَ لا يتـــمّ بغيـــر شَتمـــي وانتقـــاصـــي

[٧٩/١٣] / أو لـــم تكـــن إلاّ بـــه تـرجـو النجـاة مـن القصـاص

فـاقعـد وقـم بـي كيـف[3] شئـــتَ مـع الأدانـي والأقـاصـي

فلطـــالمـــا زكّيْتَنــــي وأنـا المقيـم علـى المعـاصـي

أيّـــام تـــأخـــذهـــا وتُعــطِـي فـي أبـاريـقِ الـرَّصـاصِ

قال: فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه.

كان يحيى بن زياد صديقاً له

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النّضر بن حديد قال: كان حمّاد عجرد صديقاً ليحيى بن زياد، [وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يَجتمع عليه مِثلُهما، ثم إن يحيى بن زياد[4]] أظهر تورُّعاً / وقراءةً ونزوعاً عمّا كان عليه، وهجرَ حمّاداً وأشباهَه، فكان إذا ذُكر عنده ثَلَبه وذكر تهتُّكه ومُجونَه، فبلغ ذلك حمّاداً، فكتب إليه: [١٤/٣٣٤]

هــل تـــذكـــرنْ دَلَجـــي إليــكَ علـى المضمَّـرة القِـلاص[5]

---

(١) في ب، س «وهم الناس».

(٢) ساقطة من ب، س.

(٣) في «ها» «حيث».

(٤) تكملة عن ط، مط، ها، مب. وسقطت من ب، س، جـ.

(٥) الدلج: السير من أوّل الليل. وفي ط، مط «المضبّرة». والمضبّرة: المكتنزة اللحم. والقلوص من الإبل: الشابة أو الباقية على السير، والجمع قلائص وقلص، وجمع الجمع قلاص.

أيّامَ تعطينِي وتـا[1] خُذُ من أباريقِ الرَّصاص
إن كان نسكُكَ لا يتمّ بغير شتمي وانتقاصي
أو كنتَ لستَ بغير ذا كَ تنالُ منزلةَ الخَلاص
فعليك فاشتمْ آمِناً كلَّ الأمان من القِصاص
واقعد وقمْ بي ما بدا لك في الأداني والأقاصي
فلَطالما زكّيتني وأنا المقيمُ على المعاصي
أيّام أنتَ إذا ذُكِرْ تُ مناضِلٌ عني مُناصِي[2]
وأنا وأنت على ارتكا بِ المُوبِقات من الحِراص
وبِنَا مواطنُ ما بُنَا في البِرِّ آهلةُ العِراص[3]

فاتّصل هذا الشعر بيحيى بن زياد، فنَسب حمّاداً إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام، فقال حمّاد فيه:

لا مؤمنٌ يُعرَف إيمانُه وليس يَحيَى بالفتى الكافرِ
منافقٌ ظاهرُه ناسكٌ مُخالِف الباطنِ للظاهر

/ شعره لصديق انقطع عن مجلسه [١٤/٣٣٥]

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال: حدّثنا ابن أبي سعد، عن النضر بن عمرو قال: كان لحمّادِ عجردٍ إخوانٌ ينادمونه، فانقطع عنه الشراب، فقطعوه، فقال لبعضهم:

لستَ بغَضْبانٍ ولكنّني أعرف ما شأنك يا صاحِ
ألَأن فَقدتُ الرّاحَ[4] جانبتَني ما كان حبُّك على الراح
قد كنتَ من قبل وأنت الذي يعنيكَ إمسائي وإصباحي
وما أرَى فِعلَك إلاّ وقد أفسدني من بعد إصلاحي
أنتَ مِن الناس وإن عِبتَهم دُونَكَها منّي بإفصاح[5]

كان من ندماء الوليد بن يزيد

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثني ميمون بن هارون عن أبي محلّم أن الوليد[6] بنَ يزيدَ أمرَ شُراعةَ بن الزَّنْدَبُوذ أن يسمّي له جماعةً ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة/ ، فسَمّى له مطيعَ بنَ إياس وحمّادَ عجردٍ ٨٠/١٣

(١) كذا في جميع الأصول. والذي في مب «فآخذ».
(٢) ناصاه مناصاة: جاذبه فأخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه.
(٣) العراص: جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدار التي ليس فيها بناء.
(٤) في ب، س «الخمر» وما أثبتناه عن باقي الأصول.
(٥) أي خذها كلمة فصيحة صريحة.
(٦) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولي الخلافة سنة ١٢٥ وقتل سنة ١٢٦.

والمُطيعيَّ المغنّي، فكتب في إشخاصهم إليه، فأُشخصوا، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قُتِل، ثم عادوا إلى أوطانهم.

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال: حدّثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السّكونيّ قال: تزوّج حمّادُ عجردٍ امرأة، فدخلْنا إليه صبيحةَ بِنائه بها نهنّئه ونسأله عن خبره، فقال لنا: كنت البارحةَ جالساً مع أصحابي أشرب، وأنا منتظرٌ لامرأتي أن يؤتَى[1] بها، حتى قيل لي: قد دخلتْ، فقمتُ إليها فوالله ما لبِثْتُها[2] حتى افتضضتُها، وكتبت من وقتي إلى أصحابي:

[٣٣٦/١٤] / قد فتحتُ الحِصنَ بعد امتناعِ بمُشيحٍ فاتحٍ للقِلاعِ

ظَفِرتْ كفِّي بتفريقِ شَملٍ جاءنا تفريقُه باجتماعِ

فإذا شَعبي وشَعْب حَبيبي إنما يَلتامُ بعدَ انصداعِ

اجتماعه بوجوه البصرة

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ عن أبيه، وأخبرني الحسن بن عليّ عن القاسم بن محمد الأنباري، قال: حدّثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الأسود بن الهيثم، عن إبراهيمَ بنِ محمّد بن عبد الحميد، قال: اجتمَع عمّي سهم بنُ عبد الحميد وجماعةٌ من وجوه أهل البَصرة عند يحيى بن حُميد الطويل، ومعهم حمّاد عجرد، وهو يومئذٍ هاربٌ من محمد بن سليمان، ونازلٌ على عُقبةَ بن سَلْم وقد أَمِن، وحضر الغَداء، فقيل له: سهمُ بنُ عبد الحميد يصلّي الضحى، فانتظر، وأطال سَهمٌ الصلاةَ، فقال حماد:

ألا أيُّهذا القانِتُ المتهجِّدُ صلاتُك للرّحمن أم ليَ تَسجُدُ؟[3]

أما والّذي نادَى من الطُّور عبدَه لِمَنْ غيرِ ما بِرٍّ تقوم وتقعد

فهلاّ اتّقيتَ اللهَ إذ كنتَ والياً بصنعاءَ تَبْرِي من وَليتَ وتجرُد

ويَشهد لي أنّي بذلك صادقٌ حُرَيثٌ ويَحيَى لي بذلك يَشهد

وعند أبي صَفوانَ فيك شهادةٌ وبَكْرٍ، وبكرٌ مُسلِمٌ متهجِّد

فإن قلتَ زِدْني في الشهود فإنّه سيشهد لي أيضاً بذاك محمّد

قال: فلمّا سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً، فقال له: قبحك الله يا زِنديق، فعلتَ بي هذا كله لشَرَهك في تقديم أكلٍ وتأخيرِه! هاتوا طعامَكم فأطعِموه لا أطعَمَه الله تعالى، فقدِّمت المائدة.

[٣٣٧/١٤] / شعر لمحمد بن الفضل السكوني يعتذر إليه به

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق الموصليّ، عن محمد بن الفضل السَّكُوني[4] قال:

(١) كذا في ط، مط، مب، ها. والذي في جـ، ب، س «يأتوا». والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(٢) في ب، س «لثمها». والتصويب عن باقي الأصول.

(٣) القانت: الطائع. والمتهجد: المصلي بالليل.

(٤) في ب، س، جـ، ط، مط، مب «محمد بن الفضل السلولي» وهو تحريف؛ والتصويب عن ها و «الأغاني» جـ ١٣ طبع دار الكتب المصرية.

لقيت حمّادَ عجردٍ بواسط وهو يمشي وأنا راكب، فقلت له: أنطلِق بنا إلى المنزل، فإني الساعةَ فارغ لنتحدّث، وحبستُ عليه الدّابة، فقطعني شُغْلٌ عَرَض لي لم أقدرْ على تَركه، فمضيتُ وأُنسِيتُه، فلما بلغتُ المنزلَ خفتُ شرَّه، فكتبت إليه:

أبـا عُمـرٍ اغفِـرْ هُـديـتَ فـإنّنـي ... قـد أذنبـتُ ذنبـاً مخطئـاً غيـرَ عـامـدِ

فـلا تَجِـدنْ فيـه علـيَّ فـإنـنـي ... أُقِـرُّ بـإجـرامـي ولسـتُ بعـانـدِ[١]

وهبْـه لنـا تفـديـك نفسـي فـإنّنـي ... أرى نعمـةً إن كنـتَ لسـتَ بـواجِـدِ

وعُـدْ منـك بـالفضـل الّـذي أنـتَ أهلُـه ... فـإنّـكَ ذو فضـل طـريـفٍ وتـالـدِ

فكتب إليّ مع رسولي:

/ محمـدُ يـاَبـن الفَضْـل يـا ذا المحَـامـدِ ... ويـا بهجـةَ النـادي وزيـنَ المَشـاهـدِ[٢]

حقُّـكَ مـا أذنبـت منـذ عـرفتنـي ... علـى خطـإٍ يـومـاً ولا عَمْـد عـامِـدِ

ولـو كـان، مـا أَلفَيْتنـي متسـرّعـاً ... إليـكَ بـه يـومـاً تسـرُّعَ واجِـدِ

أي لو كان لك ذنب ما صادفْتني مسرِعاً إليك بالمكافأة[٣]:

ولـو كـان ذُو فضـل يسمَّـى لفضلِـه ... بغيـر اَسمـه سُميـتَ أُمَّ القـلائـد

/ قال: فبينا رقعتُه في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءني رسولُه برقعة فيها: [٣٣٨/١٤]

قـد غَفـرْنـا الـذنـب يـابـن الـ ... ـفضـلِ والـذنـبُ عظيـمُ

ومسـيءٌ أنـتَ يـاَبـن الـ ... ـفضـل فـي ذاك مُليـمُ[٤]

حيـنَ تخشـانـي علـى الـذنـ ... ـبِ كمـا يُخشَـى اللّئيـمُ

ليـس لـي إن كـان مـا خِفـ ... ـتَ مـن الأمـر حـريـمُ

أنـا ـ والله ـ ولا أفـ ... ـخَـرُ ـ للغيـظِ كَظُـومُ

ولأصحـابـي وَلاءٌ ... رَبُّـه بَـرٌّ رحيـمُ[٥]

وبمـا يُـرضيـهم عـنّـي ويُـرضينـي عليـمُ

مديحه لجلّة من أبناء ملوك فارس

أخبرني يحيى بن عليّ، عن أبيه عن إسحاق قال: خرج حمّادُ عجردٍ مع بعض الأمراء إلى فارسَ، وبها جِلّةٌ من أبناء الملوك، فعاشر قوماً من رؤسائها، فأحمد معاشرتَهم، وسُرَّ بمعرفتهم، فقال فيهم:

(١) وجد عليه يجد بكسر الجيم وضمها موجدة ووجداً: غضب.

(٢) في ب، س، جـ «يا أبا الفضل» وهو خطأ. والصواب عن ط، مط، مب، ها. وفي ها «المساجد».

(٣) المكافأة: المجازاة.

(٤) الام: أتى ما يلام عليه.

(٥) رواية ها: «ولأصحابي ـ ولا منّ به ـ رب رحيم».

ربّ يـوم بفَسـاءِ ليـس عنـدي بـذميـم[(١)]
قـد قـرعـتُ العيشَ فيـه مَـعَ نَـدْمـانٍ كـريـم
مِـن بنـي صَيْهـونَ[(٢)] فـي البيـ ـت المعلّـى والصَّميـم
فـي جِنـانٍ بيـن أنهـا رٍ وتعـريـشِ كُـروم
نَتعـاطَـى قهـوةً تُشْـ ـخِـص يَقظـانَ الهُمـوم[(٣)]
بنـتَ عشـرٍ تتـرك المُكْـ ـثِـرَ منهـا كـالأمِيـم[(٤)]
[٣٣٩/١٤] / فيهـا دَأبـاً أحيِّـي ويحيِّينـي نـديمـي
فـي إنـاءٍ كِسْـرَوِيٍّ مستخِـفٌ للحليـم
شَـرْبـةٌ تَعـدِلُ منـه شـربتـي أمّ حَكيـم
عنـدنـا دِهْقـانَـةٌ حـسـانـةٌ ذاتُ هَميـم[(٥)]
جَمعـتْ مـا شئـتَ مـن حُسْـ ـنٍ ومـن دَلٍّ رَخيـم[(٦)]
فـي اعتـدال مـن قَـوامٍ وصفـاءٍ مِـن أديـم
وبَنـانٍ كـالمَـداري وثَنـايـا كـالنجـوم[(٧)]
لـم أنـلْ منهـا سـوى غَمْـ ـزَةِ كـفٍّ أو شَمِيـم[(٨)]
غيـرَ أنْ أقْـرُصَ منهـا عُكْنَـةَ الكَشْـح الهَضيـم[(٩)]
٨٢/١٣ / وبَلَـى أَلْطِـم منهـا خـدَّهـا لطـمَ رَحيـم
وبنفسـي ذاكَ يـا أسْـ ـودُ مـن خـدٌّ لَطِيـم

يعني الأسودَ بنَ خلف كاتبَ عيسى بن موسى.

حريث بن أبي الصلت يعيه بالبخل وشعر له في ذلك

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه عن أبي النضر قال: كان حريث بن أبي الصلت الحنفيُّ صديقاً لحمّاد عجرد، وكان يعابِثُه بالشّعر، ويَعيبُه بالبخل، وفيه يقول:

(١) كذا في ب، س. وفسا (بالقصر): أنزه مدينة بفارس فيما قيل، بينها وبين شيراز أربع مراحل، مدّه هنا للشعر. وفي ط، مط، جـ، مب، ها «رب يوم لي بفسا».

(٢) كذا في ط، مط. وفي ها. «مهيود».

(٣) القهوة: الخمر. وشخص كمنع: خرج من موضع إلى غيره، وأشخصه: أخرجه.

(٤) يقال: رجل أميم ومأموم، أي يهذي من أم رأسه.

(٥) دهقانة: مؤنث دهقان بالكسر والضم: وهو التاجر وزعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم، معرّب. والهميم: الدبيب.

(٦) الدل: الدلال، ورخم الكلام ككرم ونصر فهو رخيم: لان وسهل.

(٧) المداري: جمع مدري بكسر الميم، وهو المشط.

(٨) الشميم: الشم.

(٩) كذا في ط، مط، مب، ها. والذي في ب، س، جـ «أرقص» وهو تصحيف. والعكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً.

حُريثُ أبو الفضل ذو خِبْرةٍ ... بما يُصلِح المِعَد الفاسدهْ
تخوَّف تُخمةَ أضيافه ... فعوَّدهم أكلةً واحده

/ قوله في رجل حبق في مجلسه [٣٤٠/١٤]

أخبرني هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا عيسى بنُ إسماعيل تينَة، عن أبن عائشة قال: ضَرَط رجل في مجلس فيه حمّاد عجرد ومطيع بنُ إياس، فتجلّد[1]، ثم ضرط أخرى متعمّداً، ثم ثلّث، ليظنوا أن ذلك كلّه تعمُّد، فقال له حماد: حَسبُك يا أخي فلو ضرطت ألفاً لعُلم بأن المُخلِف الأوّل مُفلِت[2].

شعر له في قريش حين صلى به

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال: حدّثني معاذ بنُ عيسى مولًى بني تميم قال: كان سليمانُ بنُ الفُرات على كَسْكَر[3]، ولاّه أبو جعفر المنصور، وكان قُرَيْشٌ مولًى صاحبِ المصلَّى بواسِط في ضِياعِ صالح ـ وهو سِنْدِيّ[4] ـ فحدّثني مُعاذ بنُ عيسى قال: كنّا في دار قريشٍ، فحضرت الصلاةُ، فتقدّم قريشٌ فصلّى بنا وحمّاد عجرد إلى جَنْبي، فقال لي حمّاد حين سلّم: اِسمَع ما قلتُ، وأنشدَني:

قد لقيتُ العامَ جَهْداً ... من هَناتٍ وهَناتِ[5]
من همومٍ تعتريني ... وبلايا مطبِقاتِ[6]
وجَوًى شيّب رأسي ... وحَنى منّي قَناتي
وغُدُوّي ورَواحي ... نحوَ سلْمِ بنِ الفُرات
وأئتمامي بالقَماري ... قريشٍ في صَلاتي[7]

/ خبره مع غلام أمرد [٣٤١/١٤]

أخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال: حدّثنا أبو أيّوب المَدينيُّ عن مصعبٍ الزُّبيريّ قال: حدّثني أبو يعقوبَ الخُرَيمي قال: كنت في مجلس فيه حمّاد عجرد، ومعنا غلام أمرَد، فوضع حمّاد عَيْنَه عليه وعلى الموضع الّذي ينام فيه، فلما كان الليلُ اختلفتْ مواضعُ نومِنا، فقمتُ فنمتُ في موضع الغلام، قال: ودَبَّ حمّاد إليّ يظنُّني الغلامَ، فلما أحسستُ به أخذتُ يدهُ فوضعتُها على عيني العَوْراء ـ لأعلمه أنّي أبو يعقوب ـ قال: فنتر يَده ومضى في شأنه وهو يقول: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

شعره في جوهر

(١) في ب، س «فتخلد» وهو تصحيف؛ والتصويب عن باقي الأصول.
(٢) المخلف: الكريه الرائحة.
(٣) كسكر: كورة واسعة كانت قصبتها واسط التي بين الكوفة والبصرة.
(٤) نسبة إلى السند، وهي من بلاد الهند. وفي ب، س «وهو سيدي» وهو تحريف. والتصويب عن جـ، ط، مط، مب، ها.
(٥) هنات وهنات، أي شدائد وأمور عظام.
(٦) مطبقات، أي مغطية.
(٧) القماريّ: نسبة إلى قمار، وهو موضع ببلاد الهند ينسب إليه العود.

أخبرني عمّي قال: حدّثني مصعب قال: كان حمّاد عجردٍ ومُطيعُ بن إياس يختلفان إلى جوهر جاريةِ أبي عَوْن نافع بنِ عَوْن بن المُقْعَد، وكان حمّاد يحبّها ويُجَنّ بها، وفيها يقول:

إنّـي لأهـوَى جـوهـراً ويُحِـبّ قلبـي قلبَهـا
وأُحِـبُّ مـن حبّـي لهـا مَـن وَدَّهـا وأَحَبَّهـا
وأحـبُّ جـاريـةً لهـا تُخفِـي وتكتُـمُ ذنبَهـا
/ وأحـبُّ جيـرانـاً لهـا وأبـنَ الخبيثـة ربَّهـا

٨٣/١٣

رثاؤه للأسود بن خلف

أخبرني عمّي قال: حدّثني محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال: حدّثني أبيَضُ بنُ عمرو قال: كان حمّاد عجردٍ يعاشر الأسوَدَ بن خلَف ولا يكادان يفترقان، فمات الأسود قبله، فقال يرثيه ـ وفي هذا الشعر غناء ـ:

[٣٤٢/١٤]

/ **صوت**

قلـتُ لحنّـانـةٍ دَلـوحٍ تَسُـحُّ مـن وابـلٍ سَفـوحِ[1]
جـادَت علينـا لهـا رَبـابٌ بـواكـفٍ هـاطـلٍ نَضـوحِ[2]
أُمّـي الضَّـريـحَ الّـذي أسمّـي ثـم استهِلّـي علـى الضَّـريـحِ[3]
علـى صَـدَى أسـودَ المُـوارَى فـي اللّحـد والتُّـرب والصَّفِيـحِ[4]
فـأسقِيـه رِيَّـا وأوطِنيـه ثـم أغتـدِي نحـوَه ورُوحـي[5]
اِغـدِي بسُقْيَـايَ[6] فـأصبِحيـه ثـم أغبِقِيـه مـع الصَّبـوح
ليـس مـن العـدل أن تَشِحّـي علـى أمـرىء ليـس بـالشحيـح

الغناء ليونسَ الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنُسْه.

هجا أبا عون مولى جوهر بشعر

أخبرني عمّي قال: أنشدَنا الكُراني قال: أنشَد مصعبٌ لحمّاد عجردٍ يهجو أبا عَوْن مولَى جَوْهر، وكان

(١) سحابة حنانة: لها حنين كحنين الإبل، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين. وسحابة دلوح: كثيرة الماء. سفوح: مبالغة في سافح أي منصب، من سفح.

(٢) الرباب: جمع ربابة، وهي السحابة التي قد ركب بعضها بعضاً. بواكف، أي بمطر واكف أي سائل. نضوح، أي ينضح بالماء، وفي ط، مط «جاد».

(٣) أمي: اقصدي. استهلي، أي ارفعي الصوت بالبكاء.

(٤) الصدى: جثة الميت. الصفيح: واحد الصفائح، وهي الحجارة العريضة.

(٥) أوطنه: اتخذه وطناً.

(٦) كذا في ط، مط. وفي باقي الأصول: «بسقيا فأصبحيه»: وصبحه كمنع: سقاه الصبوح وهو شرب الغداة، وغبقه كنصر وضرب: سقاه الغبوق وهو شرب العشي. يريد اتصال هطلها عليه ودوامه صباحاً ومساءً.

يُقِيْنُ[١] عليها، وكان حمّاد عجرد يميل إليها، فإذا جاءهم / ثقل، ولم يمكنْ أحداً من أصدقائها أن يخلو بها، [١٤/٣٤٣] فيضرّ ذلك بأبي عون، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجاريته، فحجبها عنه، فقال فيه:

إنّ أبا عون ولن يرعَوِي ... ما رقَّصتْ رَمْضاؤها جُنْدُبا[٢]

ليس يَرَى كَسْباً إذا لم يكن ... من كسبِ شُفْرَيْ جوهرٍ طيّبا[٣]

فسلّط الله على ما حَوَى ... مئزرُها الأفعى أو العقرَبا[٤]

يُنْسَب بالكَشْخ ولا يَشتَهِي ... بغير ذاكَ الإسمِ أن يُنْسَبا[٥]

وقال فيه أيضاً:

إن تكن أغلقتَ دوني باباً ... فلقد فتحتَ للكَشْخِ بابا

وقال فيه أيضاً:

قد تخرطمتَ علينا لأنّا ... لم نكن نأتيك نبغي الصّوابا[٦]

إنّما تُكرِم مَن كان منّا ... لسنانِ الحَقْو منها قِرابا[٧]

وقال فيه أيضاً:

يا نافعُ ابنَ الفاجرهْ ... يا سيِّدَ المؤاجِرَهْ[٨]

/ يا حِلْفَ كلِّ داعِرٍ ... وزوجَ كلِّ عاهرَهْ [١٤/٣٤٤]

ما أَمَةٌ تملكها ... أو حُرَّةٌ بطاهره

تجارةٌ أحدثتَها ... في الكشخِ غيرُ بائره

لو دخلتْ عفيفةٌ ... بيتَك صارت فاجرَهْ

حتّى متى تَرتَع في الـ ... ـخُسْران يابن الخاسرَه

تَجمَع في بيتك بيـ ... ـن العِرْس والبَرابِره[٩]

(١) كذا في ط، مط، مب. والذي في باقي الأصول «يغير».

(٢) الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة. الجندب بفتح الدال وضمها: ضرب من الجراد، والجندب إذا رمض في شدّة الحر لا يقر على الأرض، بل يطير فيسمع لرجليه صرير، والمعنى: ولن يرعوي ما دامت الرمضاء ترقص الجندب.

(٣) الشفر: حرف الفرج.

(٤) المئزر: الإزار.

(٥) ينسب بالكشخ، أي يسمى بالكشخان، وسيأتي في شعره بعد:

فقد أصبحت في الناس ... إذا سميت كشخانا

والكشخان: الديوث.

(٦) تخرطم: يريد اخرنطم.

(٧) الحقو بالفتح ويكسر: الخصر، ومعقد الإزار من الجنب. لسنان الحقو، أي لحقوها الشبيه بالسنان في الرقة والضمور. وفي جـ، ب، س «الحقوا» وهو تحريف، والتصويب عن ط، مط، مب، ها.

(٨) آجر المملوك إيجاراً ومؤاجرة: أكراه.

(٩) العرس: امرأة الرجل.

٨٤/١٣ / وقال يهجوه:

أنـــتَ إنســـانٌ تُسمَّـــى ... دارُه دارَ الـــزّوانـــي
قـــد جـــرى ذلـــك بـــالكَـــرْ ... خ علـــى كـــلّ لســـان(١)
لـــك فـــي دارِ جـــرٌ يَـــزْ ... نِـــي وفـــي دارِ جـــرانِ(٢)

وقال فيه:

تفـرحُ إن نيكَـتْ، وإنْ لـم تُنَـكْ ... بـتَّ حـزيـنَ القلـب مستعبِـرَا(٣)
أسكـــرَكَ القـــومُ فســـاهَلْتَهـــمْ ... وكنـتَ سهـلاً قبـل أن تَسكـرَا(٤)

وقال فيه:

قـل للشقـيِّ الجَـدِّ غيـر الأسعَـدِ ... أتحِـبُّ أنَـكَ فقحـةُ ابـنِ المُقْعَـدِ؟(٥)
لـو لـم يجِـد شيئـاً يسكّنهـا بـه ... يـومـاً لسكّنهـا بـزُبِّ المَسجِـد

وقال فيه:

أبـــا عـــون لقـــد صَفْـ ... ـــرَ زُوّارُك أُذْنَيْكَـــا؟
وعينـــاكَ تَـــرَى ذاكَ ... فـــأعمَـــى اللّـــهُ عينيكـــا

[٣٤٥/١٤] / هجا بشاراً ببيت من الشعر

أخبرني حبيب بنُ نصر المهلَّبي قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: لما قال حمّاد عجردٍ في بشّار:

نُسِبْـتَ إلـى بُـرْدٍ وأنـتَ لغَيْـره ... وَهَبْـكَ لبُـردٍ نِكْـتَ أُمَّـكَ مَـن بُـرْدُ؟

قال بشّار: تهيّأ له عليّ في هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء، قوله «نُسبتَ إلى بُرد» معنًى؛ ثم قوله: «وأنت لغيره» معنًى آخر، ثم قوله: «فهبك لبرد» معنًى ثالث، وقوله: «نكت أمّك» شتمٌ مفرَد، وأستخفافٌ مجدَّد، وهو معنًى رابع، ثم ختمها بقوله: مَنْ بُرْدُ؟ ولقد طَلب جرير في هجائه للفرزدق تكثيرَ المعاني، ونحا هذا النحوَ، فما تهيّأ له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت، وهو قوله:

لمّـا وَضعـتُ علـى الفـرزدقِ مِيسَمـي ... وضَغَـا البَعيـثُ جَـدَعـتُ أنـفَ الأخطـلِ(٦)

---

(١) الكرخ: محلة ببغداد.
(٢) في جـ، ط، مط، مب «خوان» وفي ب، س «حوان» وهو تحريف. والتصويب عن «ها».
(٣) استعبر: بكى.
(٤) ساهله: ياسره.
(٥) الفقحة: حلقة الدبر.
(٦) قبل هذا البيت:

أعـددت للشعـراء سمـا نـاقعـا ... فسقيـت آخـرهـم بكـأس الأوّل

والميسم: المكواة، يريد به أهاجيه التي يكويه بها. وضغا ضغواً: استخذى، وضغا: صاح وضجّ، وضغا السنور والكلب: صوّت وصاح، ثم كثر حتى قيل للإنسان إذا ضرب فاستغاث. وفي جـ «وضعا» وفي «مختار الأغاني» «وصعا»، وفي ب، س «وضع البعيث». والتصويب عن ط، مط، مب، ها.

فلم يُدرِك أكثرَ من هذا.

هجاؤه له أيضاً

أخبرني حبيب بنُ نصر قال: حدّثنا عمر بنُ شبّة قال: قال أبو عبيدة: ما زال بشّارٌ يهجو حمّاداً ولا يَرْفِثُ[(١)] في هجائه إيّاه حتى قال حمّاد:

مَـن كـان مِثـلَ أبيـك يـا ... أعمَـى أبـوه فـلا أبـا لَـه
أنـت ابـنُ بُـرْد مِثـلُ بُـرْ ... دٍ فـي النَّـذالـة والـرذالـة
/ زَحَـرَتْـك مِـن حُجْـر استِهـا ... فـي الحُشِّ خَـارئـةٌ غَـزالـة[(٢)] [٣٤٦/١٤]
مـن حيـث يَخـرج جَعْـرُ مُنـ ... ـتِنـة مـدنَّسـة مُـذالـه[(٣)]
أعمَـى كسَـتْ عينيـه مِـن ... وَذَحِ استِهـا وكَسَـت قَـذالـه[(٤)]
خِنـزيـرةٌ بَظْـراءُ منـ ... ـتنـةُ البُـداهَـة والعُـلالـه[(٥)]
رَسْحـاء خضـراءُ المَغـا ... بِنِ ريحُهـا ريحُ الإهـالـة[(٦)]
عَـذْراءُ حُبلَـى يـا لَقَـوْ ... مي للمِجَـانـة والضَّـلالـه[(٧)]
مَـرَقَـتْ فصـارت قَحبـةً ... بِجعَـالـةٍ وبـلا جِعَـالـه[(٨)]
/ ولقـد أقلتُـك يـا ابـنَ بُـرْ ... دٍ فـاجتـرأتَ فـلا إقـالـه [٨٥/١٣]

فلمّا بلغتْ هذه الأبياتُ بشّاراً أطرق طويلاً، ثم قال: جزى الله ابنَ نِهْيَا خيراً، فقيل له: علامَ تَجزيه الخيرَ؟ أعَلى ما تَسمع؟ فقال: نعم، والله لقد كنت أردّ / على شيطاني أشياءَ من هجائه إبقاءً على المودّة، ولقد أطلقَ من لساني ما [٣٤٧/١٤] كان مقيّداً عنه، وأهدَفَني عورةً ممكِنةً منه، فلم يزل بعد ذلك يَذكرُ أمَّ حمّاد في هجائه إيّاه، ويذكُرُ أباه أقبحَ ذِكر، حتى ماتت أمُّ حمّاد، فقال فيها يخاطب جاراً لحمّاد:

أبـا حـامـدٍ إن كنـتَ تَـزنـي فـأسْعِـدِ ... وَبِـكَّ جِـراً ولَّـتْ بـه أمُّ عَجـرَدِ[(٩)]

---

(١) رفث في منطقه كطلب وضرب وأرفث: أفحش فيه أو صرح بما يكنى عنه.
(٢) يقال: زحرت به أمه وتزحرت عنه: ولدته، والحش: المتوضأ، سمي به لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين.
(٣) الجعر: ما يبس من العذرة في الدبر. وفي ب، س «جعد» وهو تحريف، والتصويب عن ط، مط، مب، ها. والمذالة: الأمة.
(٤) الوذح: ما تعلق بأصواف الغنم من البعر والبول، وفي جـ «ودج» وفي ب، س و «مختار الأغاني» «ودح» وهو تصحيف. والتصويب عن ط، مط، ها، مب. والقذال: جماع مؤخر الرأس.
(٥) البداهة والعلالة: يقال لأوّل جري الفرس: بداهته، وللذي يكون بعده: علالته، قال الأعشى:
إلا بـداهـة أو عـلا ... لـة سـابـح نهـد الجـزاره
والمعنى: أنها منتنة أوّل ما تلقاها وبعد لقائها.
(٦) رسحاء: قليلة لحم العجز والفخذين والقبيحة. والمغابن: جمع مغبن كمنزل وهو الرفع بالضم: أي الإبط وما حول فرج المرأة. ويعني بخضراء المغابن: أنها طويلة العانة. والإهالة: الشحم والزيت.
(٧) في ب، س «للمخانة»؛ والتصويب عن باقي الأصول.
(٨) مرقت، أي خرجت من عفافها. قحبة: فاجرة. الجعالة مثلثة: الجعل وهو الأجر.
(٩) أي فأسعدني وأعنّي بالبكاء. وفي س «وابك» وهو تحريف. والتصويب عن باقي الأصول.

حِـراً كـان للعُـزّاب سَهْـلاً ولـم يكـن أبِيًّـا علـى ذي الـزوجـة المتـودّد
أُصيـبَ زُنـاةُ القـومِ لمّـا تـوجّهـتْ بـه أمُّ حمّـادٍ إلـى المضجَـع الـرَّدِي(١)
لقـد كـان لـلأدنـى وللجـارِ والعِـدا وللقـاعـد المعتـرِّ والمتـزَيِّـد(٢)

راوية بشار ينشده شعراً لحماد

أخبرنا محمد بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال: حدّثنا أبو حاتم قال: قال يحيى بن الجَوْن العبدِيّ راويةُ بشّار: [أنشدتُ بشّاراً](٣) يوماً قولَ حمّاد:

ألا قـل لعبـد الله إنّـك واحـدٌ ومِثلُـك فـي هـذا الـزمـان كثيـرُ
قَطعـتَ إخـائـي ظـالمـاً وهجـرتَنـي وليـس أخـي مَـن فـي الإخـاءِ يَجـور
أُديـمُ لأهـل الـوُدّ ودّي، وإنّنـي لمـن رام هجـري ظـالمـاً لَهَجـور
ولـو أن بَعضِـي رابَنـي لقطعتُـه وإنّـي بقطـع الـرائبيـن جـديـر
فـلا تحسبـنْ مَنْحِـي لـك الـودَّ خـالصـاً لِعـزٍّ ولا أنّـي إليـك فقيـر
ودونَـك حظّـي منـكَ لسـتُ أريـدُه طَـوالَ اللّيـالـي مـا أقـامَ ثَبيـرُ(٤)

[٣٤٨/١٤]/ فقال بشّار: ما قال حمّادٌ شعراً قطُّ هو أشدّ عليّ من هذا، قلتُ: كيف ذاك ولم يَهْجُك فيه؟ وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع. قال: لأن هذا شعر جيّد ومِثلُه يُروى، وأنا أنفَس(٥) عليه أن يقول شعراً جيّداً.

إعجاب محمد بن النطاح بشعره

أخبرني عليّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال: حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني محمد بن النطّاح قال: كنت شديدَ الحبّ لشعر حمّادٍ عجرد، فأنشدتُ يوماً أخي بكرَ بنَ النطّاح قولَه في بشّار:

أسـأتُ فـي رَدّي علـى ٱبـن ٱستِهـا إسـاءةً لَـم تُبـقِ إحسـانـا(٦)
فصـار إنسـانـاً بـذكـري لـه ولـم يكـن مـن قبـلُ إنسـانـا
قـرَعْـتُ سِنّـي نَـدمـاً سـادِمـا لـو كـان يغنـي نـدمـي الآنـا(٧)

(١) في الأصول: «إلى مضجع» وهو تحريف، والتصويب عن «مختار الأغاني».
(٢) في ب، س، ها «وللقاصد المعتل والمتردد. وما أثبتناه عن ط، مط، مب».
(٣) هذه التكملة ساقطة من ب، س، جـ. وقد أثبتناها عن ط، مط، مب، ها.
(٤) ثبير: جبل بظاهر مكة.
(٥) نفس عليه الشيء كفرح نفاسة: لم يره أهلاً له.
(٦) في ب، س «أسأت في ردّي لمن أسأنا» والتصويب عن جـ، ط، مط، مب، ها. ومعنى «على ابن استها» على ابن الأمة، وكانت العرب تسمي بني الأمة: «بني استها» ويقال للذي ولدته أمه: «يابن استها» يعنون است أمة ولدته، أي أنه ولد من استها، قال الأعشى:
أسفهـا أوعـدت يـابـن استهـا لسـت علـى الأعـداء بـالقـادر
انظر («لسان العرب» مادّة سته).
(٧) السدم محرّكة: الهمّ أو مع ندم أو غيظ مع حزن، سدم كفرح فهو سادم وسدمان.

يـا ضيعـةَ الشعـر ويـا سَـوْءَتـا ... لِـي ولإزمـانـيَ أزمـانـا

مـن بعـد شتمـي القِـردَ لا والّـذي ... أنـزلَ تـوارةً وقـرآنـا[1]

مـا أحـدٌ مِـن بعـد شَتْمـي لـه ... أنـذَلُ مِنّـي، كـانَ مَـن كـانـا

/ قال: فقال لي: لمن هذا الشعرُ؟ فقلتُ: لحمّاد عجردٍ في بشّار، فأنشأ يتمثّل بقول الشاعر: [١٤/٣٤٩]

مـا يَضُـرّ البحـرَ أمسـى زاخـراً ... أنْ رَمـى فيـه غـلامٌ بحَجَـرْ

/ ثم قال: يا أخي، إنْسَ هذا الشعرَ فنسيانه أزينَ بك، والخَرَسُ[2] كان أسترَ على قائله. ٨٦/١٣

هجاء بشار أكثر مما هجاه هو

أخبرني عليّ بنُ سليمان قال: حدّثني هرون بنُ يحيى قال: حدّثني عليّ بنُ مهديّ قال: أجمَعَ العلماءُ بالبَصرة أنه ليس في هجاء حمّاد عجردٍ لبشّارٍ شيءٌ جيّد إلا أربعين بيتاً معدودةً، ولبشّار فيه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيّد، قال: وكلّ واحد منهما هو الذي هَتَك صاحبَه بالزّندقة وأظهَرَها عليه، وكانا يجتمعان عليها، فسقط حمّاد عجردٍ وتهتّك بفضل بلاغةِ بشّار وجَوْدة معانيه، وبقيَ بشّارٌ على حاله لم يَسقَط، وعُرِف مذهبهُ في الزندقة فقُتِل به.

مجاشع بن مسعدة يهجو حماداً

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثني عمّي[3] الفضلُ عن إسحاقَ الموصليّ أنّ مُجاشِعَ بنَ مَسعدة أخا عَمرِو بنِ مَسعدة هجا حمّاد عجردٍ وهو صبيٌ حينئذٍ ليرتفع بهجائه حمّاداً، فترَك حمّاداً وشبّب بأمّه، فقال:

راعتْـكَ أمُّ مُجـاشـعٍ ... بـالصـدِّ بعـد وِصـالِهـا[4]

وأستبـدَلـتْ بِـكَ والبـلا ... ءُ عليـك فـي أستبـدالهـا

/ جِنّيّـةٌ مِـن بَـرْبَـرٍ ... مشهـورةٌ بجمَـالهـا [١٤/٣٥٠]

فحـرامُهـا أشهَـى لنـا ... ولَهـا مِـن أستحـلالهـا[5]

فبلغ الشعرُ عَمرو بنَ مَسعدة، فبعث إلى حمّاد بصلة، وسأله الصفحَ عن أخيه، ونال أخاه بكلّ مكروه، وقال له: ثكلتْك أمُّك، أتتعرّض لحمّاد وهو يُناقِف[6] بشّاراً ويقاومهُ، والله لو قاومتَه لمَا كان لك في ذلك فخر، ولئن تعرّضت له ليهتِكَنّك وسائر أهلك، وليفضَحنّا فضيحةً لا نغسلها أبداً عنّا.

شعره في جارية

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال: حدثني أبو عليّ بنُ عمّار قال: كان حمّاد عجردٍ عند

(١) كذا في ب، س، جـ. والذي في باقي الأصول «وفرقانا».

(٢) كذا في جـ، ط، مط، مب، ها، وهو الصواب. والذي في ب، س «والحرمن»؛ وهو تصحيف.

(٣) ساقطة من ب، س، جـ. وقد أثبتناها عن باقي الأصول.

(٤) راعتك: أفزعتك بالصد: وفي جـ، ب، س «والصدق»؛ وهو تحريف، والتصويب عن ط، مط، مب، ها.

(٥) في جـ «أشهى لنا من استحلالها» وفيه سقط من الناسخ.

(٦) المناقفة والنقاف: المضاربة بالسيوف على الرؤوس.

أبي عمرو بن العلاء، وكانت لأبي عَمرو جاريةٌ يقال لها مَنِيعة، وكانت رسحاءَ[١] عظيمةَ البَطْن، وكانت تَسخَر[٢] بحمّاد، فقال حمّاد لأبي عمرو: أَغنِ عنّي[٣] جاريتك فإنّها حَمْقاء، وقد أستغلقتْ[٤] لي، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد:

لــو تــأتّــى لــك التحـوُّلُ حتّــى ... تجعلـي خَلفَـكِ اللطيـفَ أمَـامَـا

ويكـونُ القُـدّامُ ذو الخِلْقـة الجَـزْ ... لـة خَلقـاً مـؤثّـلاً مستكَـامـا[٥]

لَإذاً كنـتِ يَـا منيعـةُ خيـرَ النّـاس خَـلْـفـاً وخيـرَهـم قُـدّامـا

[١٤/٣٥١]/ **شعره في محمد بن طلحة**

أخبرني عمي قال: حدّثني الكراني قال: حدّثني الحسن بن عُمارة قال: نزل حمّاد عجرد على محمد بنِ طلحة، فأبطأ عليه بالطعام، فاشتد جوعه، فقال فيه حمّاد:

زرتُ امـــرأ فـــي بيتـــه مـــسرّةً ... لــه حَيـاءٌ ولـه خِيـرُ[٦]

يَكـــرَه أن يُتخِـم أضيــافَــه ... إنّ أذى التُّخمـة محـذورُ

ويَشتهـي أن يـؤجَـرُوا عنــده ... بـالصَّـوْم والصـالـحُ مـأجـورُ

قال: فلمّا سمعها محمد قال له: عليك لعنة الله، أي شيء حملك على هجائي، وإنما انتظرتُ أن يُفرَغ لك من الطعام؟ قال: الجوعُ وحياتِك حملَني عليه، وإن زدتَ في الإبطاء زدتُ في القول، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة.

ردّه على حفص بن أبي وزة حين طعن على مرقش

٨٧/١٣ أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي / الأزهر قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حفص بن أبي وَزّة صديقاً لحمّاد عجرد، وكان حفص مرمياً بالزّندقة، وكان أعمشَ أفطسَ أغضفَ[٧] مقبّح الوجه، فاجتمعوا يوماً على شراب، وجعلوا يتحدّثون ويتناشدون، فأخذ حفص بن أبي وَزّةَ يطعن على مرقّش ويعيب شعرَه ويلحّنهُ، فقال له حمّاد:

لقـد كـان فـي عينيـك يـا حفـصُ شـاغـلٌ ... وأنـفٌ كَثِيـلِ العَـوْدِ عمّـا تَتبّـعُ[٨]

تَتبَّـعُ لَحنـاً فـي كـلامِ مـرقِّـشٍ ... ووجهُـك مبنـيٌّ علـى اللَّحـنِ أجمـعُ

---

(١) رسحاء: وصف من الرسح بالتحريك، وهو قلة لحم العجز والفخذين.

(٢) كذا في ب، س. والذي في جـ، ط، مط، مب، ها: «تعجرد حماد».

(٣) أغنها عني: اصرفها وكفها، قال تعالى: ﴿لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه﴾ أي يكفه.

(٤) من قولهم: استغلقت عليّ بيعته: إذا لم يكن لي خيار في ردّها.

(٥) في ب، س،

ويكـــون القـــدام فـــي الخلـــف منـــ ... ـــك جبـــركـــي ....

والتصويب عن باقي الأصول. والمؤثل: المجتمع. والمستكام: اسم مفعول من استكام الرجل المرأة: إذا جامعها.

(٦) الخير: الكرم والشرف والأصل.

(٧) الأغضف: المتدلي الأذنين كالكلب على التشبيه.

(٨) الثيل: بالكسر والفتح: القضيب. والعود: الجمل المسن.

فأذناك إقواءٌ وأنفُك مُكْفَأٌ وعيناك إيطَاءٌ فأنت المرقّع[١]

/ **شعره في جبة لبعض الكتّاب** [٣٥٢/١٤]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: ذكر أبو دِعامةَ عن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال: رأى حمّاد عجردٍ على بعض الكتّاب جُبّة خَزّ دكْناء فكتب إليه:

إنّني عاشق لجبّتك الدكـ ـناء عشقاً قد هاج لي أطرابي

فبحقّ الأميرِ إلا أتتني فِي سَراحٍ مقرونةً بالجَواب

ولك اللهُ والأمانةُ أن أجـ ـعَلها أشهُرا أميرَ ثيابي

فوجه إليه بها. وقال للرسول: قل له وأيّ شيء لي من المنفعة في أن تجعلَها أمير ثيابك؟ وأيّ شيء عليّ من الضرر في غير ذلك مِن فِعْلِك، لو جعلتَ مكانَ هذا مدحاً لكان أحسن، ولكنّك رَذُلت لنا شعرك فاحتملناك.

مرض فلم يعده مطيع بن إياس فقال شعراً في ذلك

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ والحسن بن عليّ الخَفّاف، قالا: حدّثنا الحسن بن عليل العَنَزيّ عن عليّ بن منصور قال: مرِض حمّاد عجردٍ فلم يَعُدْه مُطيع بن إياس، فكتب إليه:

كفاكَ عيادتي من كان يرجو ثوابَ الله في صلةِ المريضِ

فإنْ تُحدثْ لك الأيّام سُقْماً يَحولُ جَريضُه دونَ القَريضِ[٢]

يكنْ طُول التأوُّه منك عندي بمنزلةِ الطَّنينِ مِن البَعوضِ

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن أبي سعد قال: زم أبو دِعامةَ أن التَّيّحان[٣] بن أبي التَّيّحان قال: كنت عند حمّاد عجردٍ فأتاه والِبة بن الحباب[٤]، فقال له: ما صنعت في حاجتي؟ فقال: ما صنعت شيئاً، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى عليّ:

/ عثمانُ ما كانت عِدا تُكَ بالعِدات الكاذبة [٣٥٣/١٤]

فعَلامَ ياذا المَكرُما تِ وذا الغُيوثِ الصائبة[٥]

أَخّرتَ وهيَ يسيرةٌ في الرُّزْءِ[٦] حاجةَ والبه؟

فأبُو أسامةَ حَقُّه أحدُ الحقوق الواجبه

---

(١) الإقواء، هو اختلاف حركة الرويّ كأن يكون في آخر البيت كلمة «المحمود» مرفوعاً وفي آخر البيت الثاني «المعدود» مجروراً. والإكفاء: هو أن يخالف الشاعر بين قوافيه فيجعل بعضها ميماً وبعضها نوناً وبعضها دالاً وبعضها طاءً وبعضها حاءً ونحو ذلك. والإيطاء، هو إعادة كلمة الرويّ لفظاً ومعنى، وهو عيب.

(٢) يقال: جرض بريقه، أي ابتلع ريقه على هم وحزن بجهد ومشقة. والقريض: الشعر.

(٣) يقال: رجل تيحان يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد.

(٤) هو أستاذ أبي نواس، من شعراء الكوفة.

(٥) صاب المطر صوباً: انصب.

(٦) في ب، س: «في الرّدّ».

فـأستحي مـن تـزداده في حاجـة متقـاربـه
ليست بكـاذبـة[١] ، ولـو والله كـانـت كـاذبـه[١]
فقضيتها أحمدت غـب قضـائـهـا فـي العـاقبـة
إنـي ومـا رأيـي بعـا دم عـاتـب أو عـاتبـه[٢]
/ لأرى لمثلـك كلمـا نـابـت عليـه نـائبـه
ألا يـرد يـد امـرئ بسطت إليـه خـائبـه

قال: فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلت له: ما صنعتَ؟ فقال: قَضَى حاجتي وزاد.

خبره مع المفضّل بن بلال

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه عن الزبالي قال: بلغ حمّاد عجرد أنّ المفضل بنَ بلالٍ أعانَ بشّاراً عليه وقدَّمه وقرَّظه، فقال فيه.

عَجبـاً للمفضَّـل بـنِ بـلالِ مـا لـه يـا أبـا الـزُّبيـر ومـالـي
عـربـيٌ لا شـكّ فيـه ولا مـو يـة مـا بـالُـه وبـالُ المـوالـي

قال: وأبو الزبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بنُ الزبير، وكان قُبَيْس ويونسُ بن أبي فَروة كاتبُ عيسى بن موسى صديقَين له، وكانوا جميعاً زنادقة، وفي يونس يقول حمّاد عجردٍ وقد قَدِم من غَيبة كان غابها:

/ كيـف بَعـدي كنـتَ يـا يـو نُـسُ لا زلـتَ بخيـرِ
وبغيـرِ الخيـرِ لازا لَ قُبيـسُ بـنُ الـزبيـر
أنـت مطبـوعٌ علـى مـا شئـتَ مـن خَيـرٍ ومَيـر[٣]
وهـو إنسـانٌ شبيـهٌ بكُسَيـر وعُـوَيـر[٤]
رَغْمُـه أهـوَنُ عنـد النـاس مـن ضَـرْطـةِ عيـر[٥]

خبره مع سعاد الجارية

أخبرني عليّ بنُ سليمانَ الأخفش ووَكيع قالا: حدّثنا الفضلُ بنُ محمد اليزيديّ قال: حدّثني إسحاق المَوْصِليّ عن السَّكوني قال: ذَكر محمدُ بنُ سنان أنّ حمّادَ عجردٍ حضر جاريةً مغنّية يقال لها سُعاد ـ وكان مولاها ظريفاً ـ ومعه مطيع بنُ إياس، فقال مطيع:

قبّلينـي سعـادُ بـالله قُبلَـة وأسـأليني لهـا فـديتـكِ نِحلـة[٦]

(١) في ها «بكاريه»، «كاريه».
(٢) كذا في ها. وفي باقي الأصول «غائب أو غائبة» وهو تصحيف. ولعلها «عائب أو عائبه».
(٣) مار عياله: جلب لهم الميرة بالكسر، أي الطعام؛ ويقال: ما عنده خير ولا مير.
(٤) يقال في المثل: «كسير وعوير وكل غير خير»، في الخصلتين المكروهتين.
(٥) العير: الحمار، وغلب على الوحشيّ.
(٦) النحلة: العطية.

فوربِّ السماءِ لو قلتِ لي صَلْ لوجهي جعلتهُ الدهرَ قِبلَه

فقالت لحمّاد: اِكفِنِيه يا عمّ، فقال حمّاد:

إنّ لي صاحباً سواكَ وَفِيّا لا مَلولاً لنا كما أنتَ مَلّة[1]

لا يُباعُ التقبيلُ بَيْعاً ولا يُشْـ ـرَى فلا تَجعلِ التعشُّقَ عِلّه

فقال مطيع: يا حمّاد، هذا هجاء: وقد تعدّيتَ وتعرّضتَ، ولَم تأمرْك بهذا؛ فقالت الجارية ـ وكانت بارِعة[2] ظريفة ـ أجَل؛ ما أردنا هذا كلّه، فقال حماد:

/ أنا واللهِ أشتهي مِثلَها منـ ـكِ بنُحْلٍ، والنُّحْلُ في ذاكَ حِلّة[3] [١٤/٣٥٥]

فأجيبي وأنعِمي وخُذي البَذْ لَ وأطفِي بقُبلةٍ منكِ غُلّه[4]

فرضيَ مطيع، وخجلتْ الجارية، وقالت: اكفِياني شرَّكما اليوم، وخُذا فيما جئتُما له.

خبره مع غلام بعث به إليه مطيع

أخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال: حدّثنا أبو أيّوبَ المَدينيّ، عن مصعب الزبيريّ عن أبي يعقوب الخُرَيمي قال: أهدَى مطيعُ بنُ إياس إلى حمّاد عجرد غلاماً وكتب إليه: قد بعثتُ إليك بغلامٍ تتعلّم عليه كَظْمَ الغيظ.

شعر له ولمطيع في بنت دهقان

أخبرني وكيع قال: حدّثنا أبو أيوبَ المدينيّ / قال: ذكر محمدُ بنُ سِنانٍ أنّ مطيع بنَ إياس خرج هو وحمّاد $\frac{89}{13}$ عجردٍ ويحيى بن زياد في سفر، فلمّا نزلوا في بعض القرى عُرِفوا، ففرِّغ لهم منزل، وأُتُوا بطعامٍ وشراب وغناء، فبينا هم على حالهم يشربون في صحن الدار، إذ أشرفتْ بنتُ دِهْقان مِن سطح لها بوجه مشرِق رائق، فقال مطيع لحماد: [ما][5] عِندَك؟ فقال حماد: «خذ فيما[6] شئت» فقال مطيع:

ألا يا بأبي النّاظـ ـر من بينهمُ نحوِي

فقال حمّاد عجردٍ:

ألا يا لَيتَ فوقَ الحَقْـ ـوِ منها لاصِقاً حَقْوِي

/ فقال مطيع: [١٤/٣٥٦]

وأنّ البُضْعَ يَا حمّا دُ منها شَوْبُك المُزْوِي[7]

(١) رجل ملة: إذا كان يمل إخوانه سريعاً.

(٢) كذا في جـ، ط، مب، ها. والذي في ب، س: «مؤدّية».

(٣) النحل (بضم النون): الهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق. حلة: حلال.

(٤) وخذي البذل، أي ما بذله لك مطيع.

(٥) عن ها، وسقطت من باقي الأصول.

(٦) كذا في ها. والذي في س، ب، جـ، ط، مط، مب: «شبب بها».

(٧) البضع؛ الفرج. والشوب: العسل، واللبن، يقال: سقاه الشوب بالروب، أي العسل باللبن، وسقاه الشوب بالذوب، أي اللبن بالعسل.

فقال يحيى بن زياد:

ويـــا سَقيـــاً لسَطْـــح أشـ ـــرقـتْ مـن بينهـمْ حَـذْوِي[١]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدّثنا حماد بنُ إسحاقَ عن أبيه: أن حمّادَ عجردٍ قال في جوهر جاريةِ أبي عَوْن: ـ قال: وفيه غناء ـ:

صوت

إنِّـــي أحبُّــك فـــاعلمـــي إن لـــم تكـــونـــي تعلمِينَـــا
حبّـــــا أقـــــلُّ قليلِــــه كَجميــــعِ حُـــبِّ العـــالمينَـــا

شعره في وداع أبي خالد الأحول

أخبرني عيسى بنَ الحسين الورّاق قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حمّاد عَجْردٍ صديقاً لأبي خالد الأحوَل أبي أحمد بن أبي خالد، فأراد الخروج إلى واسِط، وأراد وَداعَ أبي خالد، فلما جاءه لذلك حَجَبه الغلام وقال له: هو مشغول في هذا الوقت، فكتب إليه [يقول][٢]:

علـيـك السـلامُ أبـا خـالـدٍ ومـا لِلـوَداع ذكـرتُ السـلامَـا
ولكـــنْ تحيّـــة مستطـــرِبٍ يُحِبُّك حـبَّ الغَـويِّ المـدامـا[٣]
[٣٥٧/١٤] / أردت الشُّخُـوصَ إلـى واسـطٍ ولسـتُ أطيـل هنـاك المُقـامـا
فـإن كنـتَ مكتفيـاً بـالكِتـا ب دون اللِّمـام تـركـتُ اللِّمـامـا[٤]
وإلاّ فـــأوصِ هَـــذاك المَلِيـ ـكُ بـوّابكـم بـي وأوصِ الغـلامـا
[فـإن جئـتُ أُدخلـت فـي الـداخلِيـ ـن إمّـا قعـوداً وإمّـا قيـامـا][٥]
فـإنْ لـم أكـن منـكَ أهـلاً لـذاكَ فـلا لـومَ لسـتُ أحِـبُّ المـلامـا
لأنّـــي أذمّ إليـــك الأنـــا مَ أخـزاهـمُ اللهُ طـرّاً أنـامـا
فـإنّـي وجـدتُهُـم كلَّهـم يُميتـون حمـداً ويُحيُـون ذامـا[٦]
سـوى عُصبـةٍ لسـتُ أعنيهـمُ كـرامٍ فـإنّـي أحـبّ الكـرامـا
وأقلِـلْ عـديـدَهـم إنْ عـددتَ فمـا أكثـرَ الأرذلـيـن اللِّئـامـا

(١) الحذو والحذاء: الإزاء والمقابل.
(٢) عن ط، مط. وسقطت من باقي الأصول.
(٣) استطرب: طلب الطرب.
(٤) ألم به: زاره غبا؛ وهو يزورنا لماماً، أي في بعض الأحايين.
(٥) سقط هذا البيت من ب، س. وقد أثبتناه عن باقي الأصول.
(٦) الذام: العيب.

ممازحته لمطيع بن إياس وشعرهما في ذلك

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال: قال ابن عبد الأعلى الشيبانيّ: حضر حمّاد عجردٍ ومطيعُ بنُ إياس مجلسَ محمد بنِ خالد وهو أمير الكوفة لأبي / العباس، فتَمازَحا، فقال حماد: ٩٠/١٣

يـا مُطيـعٌ يـا مُطيـعُ أنـتَ إنسـانٌ رَقِيـعُ
وعـن الخيـر بطـيءٌ وإلـى الشـرّ سـريـع

فقال مطيع:

إنّ حمّـاداً لئيـمُ سِفْلَـةُ الأصـل عـديـمُ
لا تَـراه الـدهـرَ إلاّ يَهِـن العَيْـرِ يَهيـمُ[1]

/ فقال له حماد: ويلك، أترميني بدائك، والله لولا كراهتي لِتَمادي الشرّ ولجَاج الهجا لقلتُ لك قولاً يَبقَى، ولكنّي [١٤/٣٥٨] لا أفسد مودّتك، ولا أكافئك إلاّ بالمديح، ثم قال:

كـل شـيء لـي فـداءٌ لمطيـعِ بـنِ إيـاسِ
رجـلٌ مستملَـحٌ فـي كـلّ ليـنٍ وشِمـاس[2]
عِـدْلُ رُوحـي بيـن جَنْـبَيّ وعينـيّ بـراسـي[3]
غَـرس الله لـه فـي كِبِـدي أحلَـى غِـراس
لسـتُ دهـري لمطيـع بـنِ إيـاسٍ ذا تنـاسِ
ذاكَ إنسـانٌ لـه فضـلٌ علـى كـلّ أنـاس
فـإذا مـا الكـأس دارتْ واحتساهـا مَـن أحاسِـي[4]
كـان ذِكـرانـا مُطيعـاً عنـدهـا رَيْحـانَ كـاسـي

هجاؤه عيسى بن عمرو

أخبرني أحمد بنُ العبّاس العسكريّ ومحمد بنُ عمرانَ الصَّيْرَفيّ قالا: حدّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنزيّ قال: حدّثنا التَّوزِيّ قال: كان عيسى بنُ عمرو بنِ يزيدَ صديقاً لحمّاد عَجْرد[5]، وكان يواصله أيّامَ خدمته للربيع، فلمّا طرده الربيع واختلّت حالُه جفاه عيسى، وإنما كان يصله لحوائجَ يَسأل له الربيعَ فيها، فقال حمّاد عجرد فيه:

أوصَـلُ النـاس إذا كـانـت لـه حـاجـةُ عيسَـى وأقضـاهـمْ لِحَـقّ
ولِعيسَـى إنْ أتَـى فـي حـاجـة مَلَـقٌ يُنسَـى بـه كـلَّ مَلَـق

(١) الهن: كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة.
(٢) الشماس: النفور والإباء، شمس الفرس شموساً وشماساً: منع ظهره.
(٣) العدل: النظير.
(٤) أحاسي: أساقي.
(٥) في ها «لعجرد».

فـإن أستغنَـى فمـا يَعـدِلُـه نخـوةَ كِسـرَى علـى بَعْـضِ السُّـوَقْ
إن تكـن كنـتَ بعيسـى واثقـاً فبهـذا الخُلْـق مـن عيسَـى فثِـقْ

[١٤/٣٥٩] / **وله يهجوه أيضاً**

قال العَنَزيّ: وأنشدني بعضُ أصحابنا لحمّاد في عيسى بنِ عمرَ أيضاً:

كـم مـن أخٍ لـك لسـتَ تنكِـرُهُ مـا دمـتَ مـن دنيـاكَ فـي يُسُـرِ
متصنّـع لـك فـي مـودّتِـه يلقـاك بـالتّـرحيـب والبِشـرِ
يُطـرِي الـوفـاءَ وذا الـوفـاءِ ويَلـ ـحَـى الغـدرَ مجتهـداً وذا الغَـدْرِ
فـإذا عَـدَا والـدهـرُ ذو غِيَـرٍ دهـرٌ عليـك عَـدَا مـع الـدهـر
فـأرفـض بـإجمـالٍ مـودّةَ[1] مَـن يَقلِـي المُقِـلَّ ويَعشَـق المُثـرِي
وعليـك مـن حـالاه واحـدةٌ فـي العُسْـرِ إمّـا كنـتَ واليسـرِ
/ لا تخلطنّهـمُ بغيـرهـمُ مـن يَخلـط العِقْيَـان بـالصُّفـرِ[2]

٩١/١٣

هجا حشيشاً الكوفي

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال: حدّثني أبن أبي فَنَن قال: حدّثني العتّابي، وأخبرني عمّي عن أحمدَ بن أبي طاهر قال: قال العتّابي: وحديث أبن طاهر أتمّ، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعِثة يقال له حُشَيش وكانت أمّه حارثيّة، فمدحه حمّاد عجرد فلم يُثِبه، وتهاوَن به، فقال يهجوه:

يـا لَقَـومـي للبـلاءِ ومَعـاريـضِ الشَّقـاءِ
قسَمَـتْ ألـوِيـةَ بيـ ـنَ رجـالٍ ونِسـاءِ
ظفـرتْ أخـت بنـي الحـا رث منهـا بِلِـواء
حـادثٌ فـي الأرض يـرتـا عُ لـه أهـلُ السمـاء

قال: فعُرضتْ أسماء العمّال على المنصور فكان فيها أسم حُشيش، فقال: أهو الّذي يقول فيه الشاعر:

يـا لَقَـومـي للبـلاء ومَعـارِيـض الشقـاءِ؟

[١٤/٣٦٠] / قالوا: نعم يا أمير المؤمنين؛ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر، ولم يستعمله، قال: وقال حمّاد فيه أيضاً يخاطب سعيدَ بنَ الأسود ويعاتبه على صحبة حُشَيش وعِشرته:

صـرتَ بعـدي يـا سعيـد مِـن أخِـلاّء حُشيـشِ
أتلـوّطـتَ أم استُخـ ـلِفـتَ بعـدي أم لأيـش[3]

---

(١) في ها «أخوّة».

(٢) العقيان: الذهب. والصفر: النحاس وفي «ها». «من يخلط العقبان بالنسر».

(٣) لاط ولاوط وتلوّط: عمل عمل قوم لوط.

حَلَقِــــيٌّ اِسْتُــــه أو | سعُ مـن إسـتِ بُحَيْـشِ[1]
ثـم بَغَــاءٌ علــى ذا | أبلَـغُ النـاسِ لفَيْـشِ[2]
يـا بَنِـي الأشْعَـث مـا عَيْـ | ـشُكُـم عنـدي بعَيْـشِ
حيـن لا يُـوجـد منكـمْ | غَيْـرَه قـائـدُ جَيْـش

قال: وكان بُحَيْش هذا رجلاً من أهل البَصْرة لم يكن بينه وبين حمّاد شيء، فلمّا بلغه هذا الشعرُ وَفَد من البَصرة إلى حمّاد قاصداً، وقال له: يا هذا، مالي ولك، وما ذنبي إليك؟ قال: ومَن أنت؟ قال: أنا بُحَيْش. أما وجدتَ أحداً أوسعَ دُبُراً منّي يُتمثَّل به؟ فضحك ثم قال: هذه بليّة صبّتها عليك القافية[3]، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله.

هجا أبا عون

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بنُ الحسن بن الحَرون. قال: كان حماد عجرد يعاشر أبا عَوْن جدَّ ابن أبي عون العابد؛ وكان ينزل الكرخ، وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره، فبلغ أبا عون أنه يحدِّث الناسَ أنه يهوَى جاريةً يقال لها جوهر، فحجبه وجفاه واطرحه، فقال يهجو أبا عون:

[١٤/٣٦١]

/ أبـا عَـوْنٍ لحَـاك اللّـ | ـه ـ يـا عُـرّةُ ـ إنسـانَـا[4]
فقـد أصبحـتَ فـي النـاس | إذا سُمِّيـت كَشْخـانـا[5]
بَنَيْـت اليـومَ فـي الكَشْـحِ | لأهـل الكَـرْخ بنيـانـا
/ وشـرَّفـتَ لهـم فـي ذا | لنـا أبـوابـاً وحِيطـانـا

٩٢/١٣

والفَيْـتَ علـى ذاكَ | مـن الفُسّـاق أعـوانـا
ومُجّـانَـا ولَـنْ تَعـدَ | مَ مَـنْ يَمْجُـن مُجّـانـا
فـأخـزَى الله مـن كنـتَ | أخـاه كـان مـن كـانـا
ولا زلـت ولا زال | بـأخـلاقـك خَـزْيـانـا
وعُـرْيـانـا كمـا أصبحـ | ـتَ مـن دِينـك عُـرْيـانـا

وقال فيه أيضاً:

إنّ أبـا عَـوْن ولا | أقـولُ فيـه كَـذبَـا
غـاوٍ أتـى مـدينـةً | فسَـنَّ فيهـا عَجَبـا

(١) الحلقي: صفة سوء في الرجل، من قولهم: أتان حلقية إذا تداولتها الحمر فأصابها بسبب ذلك داء وفي «ها». «تجيش».
(٢) الفيش والفيشة: رأس الذكر.
(٣) في ها «صبها عليك الرويّ».
(٤) العرة: الجرب، والمعنى يا شبيهاً بالعرة. وفي ها «ما عمر».
(٥) الكشخان: الدّيوث.

إخـــوانُـــه قـــد جَعلـــوا ... أُمَّ بَنيـــه مَـــرْكَبـــا
واتّخَـــذوا جـــوهـــرةً ... مِبْـــوَلَـــةً ومَلْعَبـــا
إن نِكتَهـــا أرضيتَـــه ... أو لـــم تَنِكْهـــا غضِبـــا
أحَبهـــمْ إليـــه مَـــن ... أدخَـــل فيهـــا ذَنَبـــا
ومَـــن إذا مـــا لَـــمْ يَنِـــك[1] ... جَـــرَّ إليهـــا جَلَبـــا

هجاؤه غيلان جدّ عبد الصمد بن المعذّل

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثنا اللاّبيّ عن مهديّ بن سابق قال: أستعمل محمد بنُ أبي العبّاس وهو يَلِي[2] البَصرة غَيلانَ جدَّ عبد الصّمد بنِ المعَذَّل على / [١٤/٣٦٢] بعض أعشار البصرة، وظهرَ منه على خيانة، فعزَله، وأخذ ما خانه فيه، فقال حمّاد عجردٍ يهجوه:

ظَهـــرَ الأميـــرُ عليـــكَ يـــا غَيـــلانُ ... إذ خُنتَـــه إنّ الأميـــرَ مُعـــانُ
أمـع الـدمـامـة قـد جَمعـتَ خِيـانـةً! ... قبـحَ الـذّمِيـمُ الفـاجـرُ الخَـوّانُ

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامة قال: أُنشد بشّارٌ قولَ حمّاد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بِشر:

صـوت

أخـي كُـفَّ عـن لـومـي فـإنّـك لا تـدري ... بمـا فعـل الحـبُّ المبـرِّح فـي صـدري
أخـــي أنـــت تَلحـــانـــي وقلبُـــك فـــارغٌ ... وقلبـــيَ مشغـــولُ الجـــوانـــح بـــالفِكـــرِ
أخـــي إنّ دائـــي ليـــس عنـــدي دواؤه ... ولكـــن دوائـــي عنـــد قلـــبِ أبِـــي بشـــر
دوائـــي ودائـــي عنـــد مـــن لـــو رأيتَـــه ... يقلِّـــب عينيـــه لأقصـــرتَ عـــن زَجـــري
فـــأُقســم لـــو أصبحـــت فـــي لـــوعـــة الهـــوى ... لأقصرتَ عـن لـومـي وأطنبـتَ فـي عـذري
ولكـــن بـــلائـــي منـــك أنّـــك نـــاصـــحٌ ... وأنّـــك لا تـــدري بـــأنـــك لا تـــدري

فطرب بشّار ثم قال: وَيْلَكم، أحسنَ واللهِ! مَن هذا؟ قالوا: حمّاد عجرد؛ قال: أَوَّه، وَكَلْتُموني والله بقيّةَ يومي بهَمّ طويل، والله لا أطعَم بقيّةَ يومي طعاماً ولأصوم غمّا بما يقول النَّبَطيّ أبنُ الزانية مِثل هذا.

[٩٣/١٣] في الأول والثاني من هذه الأبيات لحن من الثقيل الأوّل ذَكر / الهشاميُّ أنه لعَطرّد.

أنشدَني جَحظة، عن حمّاد بن إسحاقَ، عن أبيه لحمّاد عجردٍ:

خليلـــي لا يَفـــي أبَـــدَا ... يمنِّينـــي غـــداً فغَـــدَا
[١٤/٣٦٣] / وبعـــدَ غـــدٍ وبعـــدَ غـــدٍ ... كـــذا لا ينقضـــي أبـــدا

(١) في ط، مط «يعف».
(٢) في ب، س «على».

لــــه جَمْـــرٌ علـــى كبِـــدي إذا حَـــرّكتـــه اتّقـــدا

شعره في يحيى بن زياد

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال: حدّثنا الزّباليّ قال: كان المهديّ سأل أباه أن يولّي يحيى بنَ[1] زياد عملاً، فلم يجبه، وقال: هو خليعٌ متخرّق في النفقة ماجن، فقال: إنه قد تاب وأناب، وتضمّنَ عنه ما يُحِب، فولاّه بعض أعمال الأهواز، فقصَدَه حمّاد عجردٍ إليها، وقال فيه:

فمـــن كـــان يســأل أيــنَ الفَعــالُ فعنـــدي شفـــاءٌ لِـــذا البـــاحِـــث

مَحَـــلُّ النّـــدى وفَعـــالُ النُّهـــى وبيـــتُ العُـــلا فـــي بنـــي الحـــارث[2]

[حَلَلْـــن بيَحيـــى فحـــالفْنَـــه حَيَـــاءً مـــن البـــاعـــث الـــوارثِ[3]]

فـــلا تعـــدِلـــنّ إلـــى غيـــره لعـــاجـــلِ أمـــرٍ ولا رائـــثِ[4]

فـــإنّ لـــديـــه بـــلا مِنّـــةٍ عطـــاءَ المـــرحّـــلِ والمـــاكـــثِ

قال: وقال فيه أيضاً:

يحيـــى امـــرؤٌ زيّنَـــه ربُّـــه بفعلـــه الأقـــدَمِ والأحـــدَثِ

إن قـــال لـــم يَكـــذِب، وإن وَدَّ لـــم يَقطَـــع، وإن عـــاهـــدَ لـــم يَنكُـــثِ

أَصبـــحَ فـــي أخـــلاقـــه كلّهـــا موكَّـــلاً بـــالأسهـــل الأدمَـــثِ[5]

طبيعـــةٌ منـــه عليهـــا جَـــرَى فـــي خُلُـــق ليـــس بمستحـــدَث

ورّثَـــه ذاكَ أبـــــوه فيـــا طِيـــبَ ثَنَـــا الـــوارث والمُـــورِثِ[6]

فوصله يحيى بصلة سنيّة وحمَلَه وكساه، وأقام عنده مدّةً ثم انصرف.

/ **شعره في عيسى بن عمرو** [٣٦٤/١٤]

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُراني عن النضر بن عمرو قال: وليَ عيسى بنُ عَمرو إمارةَ البصرة مِن قِبَل محمد بن أبي العبّاس السفّاح لمّا خرج عنها عليلاً، فقال له حمّاد عجرد:

قـــل لعيســـى الأميـــر عيســـى بـــنِ عَمـــرو ذي المســـاعـــي العِظـــام فـــي قَحْطـــانِ

والبنـــاءِ العـــالـــي الّـــذي طـــال حتّـــى قَصُـــرتْ دونَـــه يَـــدا كـــلِّ بـــانِ

يـــابـــنَ عمـــروٍ عمـــروِ المَكـــارم والتقـــوى وعَمـــرو النّـــدَى وعمـــرو الطِّعـــان

(١) من بني الحرث بن كعب، شاعر مترسل بليغ (انظر «الفهرست» «لابن النديم» ص ١٧١).

(٢) النهى: العقل.

(٣) ساقط من ب، س. وقد أثبتناه عن بقية الأصول.

(٤) الرائث: البطيء، من راث يريث.

(٥) الأدمث: الأسهل، من دمث كفرح: سهل ولان.

(٦) الثنا: التحدث عن إنسان بالمدح أو القدح، والمراد هنا الأوّل.

لــك جــارٌ بــالمِصــر لَــم يجعــل اللــ ــــه لــه منــكَ حُــرمــةَ الجيــران
لا يصلُّــــي ولا يصـــــومُ ولا يَقْــ ــــرأ حــرفــاً مــن مُحكَــم القــرآن
إنّمــا مَعــدِن الــزُّنــاة مــن السِّفــ ــلةِ فــي بَيتِــه ومــأوَى الــزَّوانــي
وهــو خِــدنُ الصِّبيــانِ وهــو ابــن سبعيــ ــنَ، فمــاذا يهــوَى مــن الصِّبيــان؟
طَهِّــرِ المصــر منــه يــا أيُّهــا المــو لــى[1] المسمَّــى بــالعــدل والإحســان
وتقــرَّبْ بِــذاك فيــه إلــى اللــ ــــه تَفُــزْ منــه فــوزَ أهــلِ الجِنــان
يــا ابــن بُــرْد إخســأ إليــكَ فمِثــلُ الــ ــكلــبِ فــي النــاس أنــتَ لا الإنســانِ[2]
٩٤/١٣ / ولَعمــري لأنــت شــرٌّ مــن الكَلْــ ــــب وأولَــى منــه بكــلّ هَــوانِ

هجا يقطيناً بشعر

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال: حدّثني محمد بنُ صالح الجَبَلِيّ قال: كان حمّاد عجردِ قد مدح يَقْطِيناً فلم يُثبه، فقال يهجوه:

متــى أرَى فيمــا أرَى دولــةً يَعِــزّ فيهــا نــاصــرُ الــدِّيــنِ
[ميمــونــة مجْــدهــا ربُّهــا بصــادق النيّــة ميمــونِ
تــردُّ يقطينــاً وأشيــاعَــه منهــا إلــى أبــزار يقطيــن

قال: وكان يقطين قبل ظهور الدولة[3] العباسية بخُراسانَ حائكاً.

[١٤/٣٦٥] / قال: ومرّ يوماً بيونسَ بن فَروةَ الذي كان الربيع يزعم أنه ابنُه، فلَم يَهَشَّ له كما عوّده، فقال يهجوه:

أمــا ابــنُ فــروةَ يــونــسٌ فكــأنــه مــن كِبْــره ابــنٌ لــلإمــام القــائــمِ[4]]

وقال فيه:

ولقــد رضيــتَ بعُصبــة آخيتَهــمْ وإخــاؤهــم لــكَ بــالمَعــرّة لازمُ
فعلمــتُ حيــن جعلتَهــم لــك دِخْلــةً أنّــي لِعــرضــي فــي إخــائــك ظــالــمُ[5]

شعره في ولد لبشّار

أخبرني عمّي قال: حدّثني المغيرة بنُ محمد المهلّبيّ قال: حدّثني أبو مُعاذ النُّميريُّ أنّ بشّاراً وُلد له ابنٌ، فلمّا وُلد قال فيه حمّاد عجرد:

(١) كذا في ب، س وفي باقي الأصول «يأيها الوالي».
(٢) خسأ الكلب: طرده وزجره وقال له: اخسأ.
(٣) في ها «الدعوة».
(٤) تكملة عن جـ، ط، مط، مب. وقد سقطت من ها، ب، س.
(٥) دخلة الرجل مثلثة الدال: بطانته.

سـائـلْ أُمـامـةَ يـاَبـن بُـر ... دٍ مـن أبـو هـذا الغـلام؟
أمِـن الحـلالِ أتـتْ بـه ... أم مِـن مقـارَفَـة الحـرامِ(١)
فلتُخبِـرنَّـك أنّـه ... بيـنَ العـراقـي والشـآمـي
والآخَـرِ الـرومـيِّ والـنَّـبَطِـيِّ أيضـاً وابـن حـامِ
أجَعلـتَ عِـرسَـكَ شِقْـوةً ... غـرضـاً لأسهـمُ كـلِّ رامِ

أخبرني أحمد بنُ العبّاس العسكريُّ قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثني مسعود بنُ بشر قال: مرّ حمّاد عجردٍ بقصرِ شِيرينَ، فاستَظلّ من الحرّ بين سِدْرَتين(٢) كانتا بإزاء القصر، وسمع إنساناً يغنّي في شعر مطيع بنِ إياس:

أسعِـدانـي يـا نَخْلتـيْ، حُلْـوانِ ... وأرثيـا لـي مِـن رَيْـب هـذا الـزمـان
أسعِـدانـي وأيقِنـا أنّ نَحسـاً ... سـوف يلقـاكمـا فتفتـرقـان

/ قال شعراً حين سمع بيتي مطيع [١٤/٣٦٦]

فقال حمّاد عجرد:

جعـل الله سِـدرتـيْ قصـرِ شِيـريـ ... ـنَ فـداءً لنخلتـيْ حُلـوانِ
جئـتُ مستسعِـداً فلـم يُسعِـدانـي ... ومطيـعٌ بكـت لـه النَّخلتـانِ

استجازه محمد بن أبي العباس وعداً

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن أبيه، عن إسحاق، عن محمد بن الفضل السَّكوني قال: كان محمد بن أبي العباس قد وعد حمّاد عجردٍ أن يحمله على بغل، ثم تشاغلَ عنه، فكتب إليه حمّاد:

طلبـتُ البَـذْلَ ممّـن خُـ ... ـلقـتْ كفّـاه للبـذل
ومَـن يَنفِـي عـن المُمحِـ ... ـلِ بـالجُـود أذَى المَحْـلِ(٣)
ألا يـاَبـن أبـي العبّـا ... س يـا ذا النـائـل الجـزَلِ
أمـا تَـذكـر يـا مـولا ... يَ ميعـادَك فـي البغـل؟
وذاك الـرِّجْـس فـي الـدار ... جليـسٌ لأبـي سَهْـل(٤)
يـريـك الحـزمَ فـي الإخـلا ... ف للميعـاد والمَطْـلِ

شعره في عثمان بن شيبة

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال: حدّثنا سليمانُ المَدِينيّ قال: كان

(١) قارف الخطيئة: خالطها.
(٢) السدر: شجر النبق.
(٣) المحل: الجدب.
(٤) الرجس: القذر، عنى به عدواً له.

٩٥/١٣ عثمان بنُ شيبةَ مبخّلاً، وكان حمّاد عجردٍ يهجوه، فجاء رجل كان يقول الشعرَ/ إلى حمّاد فقال له:

أَعِنّي مِنْ غِناكَ ببيتِ شِعْرٍ ... على فقري لعثمانَ بنِ شَيْبَهْ

فقال [له حمّاد[1]]:

فإنّك إنْ رَضِيتَ به خليلا ... ملأتَ يديك من فقرٍ وخَيبهْ

[٣٦٧/١٤] / فقال له الرجل: جزاك الله خيراً، فقد عرّفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه، فصنتُ وجهي عنه.

هجاؤه مطيع بن إياس

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال: حدّثنا أبن إسحاقَ عن أبيه قال: كان حمّاد عجردٍ يهوَى غلاماً من أهل البَصْرة من موالي العَتِيك يقال له: أبو بشر الحلو أبن الحلال ـ أحسبه من موالي المهلّب ـ وكان موصوفاً بالجمال، فأندس له مطيع بنُ إياس، ولم يزلْ يحتالُ عليه حتى وطِئَه، فغضب حمّاد عجرد من ذلك، ونَشِب بينهما بسببه هجاء، فقال فيه حمّاد:

يا مطيعُ النَّذْلُ أنتَ الـ ... ـيومَ مخذولٌ جَهولُ

لا يغرَّنْك غَرورٌ ... ذو أفانينَ مَلُولُ

ليس يحلو الفعلُ منه ... وهو يحلو ما يقولُ

مَلِذانيٌّ[2] مع الرِّيـ ... ـحِ إذا مالت يميلُ

وجَوادٌ بالمواعيـ ... ـدِ وبالبَذْل بخيلُ

ليس يُرضِيه من الجُعْـ ... ـل كثيرٌ أو[3] قليلُ

ذاكَ ما اخترت خليلا ... بئس واللّهِ الخليلُ

إنما يكفِيك أن يأ ... تيك في السرِّ رسول

ساخراً منكَ يمنّيـ ... ـك أمانيَّ تطول

وقال في مطيع أيضاً وقد لَجَّ الهجاء بينهما:

عجبتُ للمدَّعي في الناس منزلةً ... وليس يَصلح للدّنيا وللدِّينِ

لو أبصَروا فيك وجهَ الرأيِ ما تركوا ... حتى يَشُدُّوك كَرْهاً شَدَّ مجنونِ

[٣٦٨/١٤] / ما نالَ قطُّ مطيعٌ فضلَ مَنزلةٍ ... إلّا بأن صرتُ أهجوه ويهجوني

ولو تركتُ مطيعاً لا أجاوبُه ... لكان ما فيه م الآفات يكفيني

يختار قربَ الفُحول المُرْد معتمِداً ... جَهْلاً ويترُك قُربَ الخرَّدِ العِينِ[4]

---

(١) ساقطة من ب وس. وقد أثبتناها عن باقي الأصول.

(٢) الملذانيّ: الكذوب الذي لا يصحّ ودّه.

(٣) كذا في ب، س. والذي في ط، مط، مب، «إذا عيف القليل».

(٤) الخرّد: جمع خريدة، وهي البكر لم تمسس. والعين: جمع عيناء، وهي الواسعة العين.

مدحه وتعزيته داود بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس

أخبرني يحيى بنُ عليِّ بنِ يحيى إجازةً عن أبيه عن إسحاق قال: قال حمّاد عجرد في داود بنِ إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزِّيه عن ابنٍ مات له ويستجيزه:

إنَّ أرجى الأنامِ عندي وأوْلا ... هُمْ بمدحي ونصرتي داودُ

إن يعشْ لي أبو سليمان لا أحْـ ... ـفِلُ ما كادني به من يكيد[1]

هدّ رُكني فَقدِي أباكَ فقد شـ ... ـدّ بك اليومَ ركنيَ المهدود

قائلٌ فاعلٌ أبيٌّ وفيٌّ ... مُتلِفٌ مخلِفٌ مُفيدٌ مُبيد

وَفَتى السِّنِّ في كَمالِ ابنِ خمسيـ ... ـنَ دَهاءً وإرْبةً بل يزيد[2]

مِخلَطٌ مِزْيَلٌ أريبٌ أديبٌ ... راتقٌ فاتقٌ قريبٌ بعيدُ[3]

/ وهو الذائد المدافِع عنّي ... وعزيزٌ ممنَّعٌ مَن يَذود[4] 96/13

أخبرني أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال: حدّثني عبد الملك بنُ شَيبان قال: ولّى أبو جعفر المنصورُ محمدَ بنَ أبي العباس السفاح / البَصرة، فقدِمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنِّين منهم حمّاد [٣٦٩/١٤] عجرد، وحكَمَ الوادي ودَحْمان، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وشَرِب الشرابَ وعاث[5]، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، قال: وكان ابن أبي العبّاس كثيرَ الطِّيب، يملأ لحيتَه بالغالية[6] حتى تسيلَ على ثيابه فتسودّ، فلقَّبوه أبا الدِّبس[7]، وقال فيه بعض شعراء أهل البَصرة:

صِرْنا من الرِّبح إلى الوَكْس ... إذْ وَلِي المصرَ أبو الدِّبس

ما شئتَ مِن لُؤمٍ على نفسِه ... وجنسُه من أكرم الجِنْسِ[8]

كان ماجناً زنديقاً

أخبرني أحمد بنُ عبيدِ الله بنِ عمّار قال: حدّثنا عليّ بنُ محمدِ النَّوْفليّ قال: حدّثني أبي قال: كان أبو جعفر المنصورُ يُبغِض محمدَ بنَ أبي العبّاس ويُحبّ عيبَه، فولّاه البَصرة بعقِب مَقتَل إبراهيم[9] بن عبد الله بن حسن،

(١) يقال: ما حفله وما حفل به، أي ما بالى، ورفع هنا جواب الشرط وهو ضعيف.
(٢) الإربة: العقل.
(٣) رجل مخلط مزيل، أي يخالط الأمور ويزايلها، والمزيل: الرجل الكيس اللطيف، والمزيل أيضاً: الجدل في الخصومات الذي يزول من حجة إلى حجة.
(٤) في س «عنه» وهو تحريف.
(٥) عاث: أفسد.
(٦) الغالية: نوع من الطيب مركّب من مسك وعنبر وعود ودهن.
(٧) الدبس: عسل التمر وعصارته.
(٨) في الأصول «في لوم»، «وحبسه»، «الحبس» وهو تحريف، والتصويب عن «مختار الأغاني» ص ٤٢٧ أي أن ذاته وحدها هي المعيبة.
(٩) كان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (الملقب بالنفس الزكية) قد خرج على أبي جعفر المنصور، وغلب على المدينة وعزل عنها أميرها من قبل المنصور، فندب المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله، وكانت الغلبة لعسكر =

فقدِمَها، وأصحبَه المنصورُ قوماً يعاب بِصُحبتهم مُجّاناً زنادِقة: منهم حمّاد عجرد، وحمّاد بنُ يحيى، ونُظَراء لهم، لِيَغُضّ منه ويرتفع ابنُه المهديّ عند الناس، وكان محمد بنُ أبي العباس محمَّقاً، فكان يغلِّف لحيتَه إذا ركِب بأواقٍ من الغالية، فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة، / فلقَّبه أهلُ البَصرة أبا الدِّبس؛ قال ولمّا أقام بالبصرة مدّة قال لأصحابه: قد عزمتُ على أن أعترض أهلَ البصرة بالسيف في يوم الجمعة، فأقتلَ كلّ من وجدتُ، لأنّهم خرجوا مع إبراهيم بنِ عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك، لما يعرفونه منه، ثم جاءوا إلى أمّه سَلمةَ[1] بنت أيوب بنِ سلمةَ المخزوميّة فأعلَموها بذلك، وقالوا: والله لئن هَمّ بها ليُقتلنّ ولنُقْتَلنّ معه، فإنما نحن في أهل البصرة أَكلةُ رأس، فخرجتْ إليه وكشفتْ عن ثدييها وأقسمتْ عليه بحقّها حتى كفّ عمّا كان عزم عليه. [١٤/٣٧٠]

أدّبه محمد بن أبي العباس

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال: حدّثني أبي عن إسحاق الموصلي قال: كان حمّاد عجرد في ناحية محمد بن أبي العبّاس السفّاح، وهو الذّي أدّبه، وكان محمد يهوَى زينبَ بنتَ سليمان[2] بن علي، وكان قد قدم البصرة أميراً عليها مِن قِبَل عمّه أبي جعفر، فخطبها، فلم يزوِّجوه لشيء كان في عَقْله، وكان حمّاد وحَكَم الوادي ينادمانه، فقال محمد لحمّاد: قل فيها شِعراً، فقال حمّاد فيها على لسان محمد بن أبي العبّاس، وغنّى فيه حَكَم الوادي:

صوت

زينبُ ما ذنبي وماذا الّذي	غضِبْتُم منه ولَم تُغضَبوا[3]
واللهِ ما أعرِف لي عندكمْ	ذنباً ففيمَ الهجرُ يا زينبُ؟
إن كنتُ قد أغضبتكُمْ ضَلَّةً	فأستعتِبوني إنّني أُعتِب[4]
عُودُوا على جهلي بأحلامكمْ	إنّي - وإن لم أذنِب - المذنبُ

/ الغناء لحَكَم في هذه الأبيات خفيف ثقيل، الأوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وفيه هَزَج/ يقال: إنه لخليد بن عبيد الواديّ، ويقال لعَريب. [١٤/٣٧١] ٩٧/١٣

نسيب محمد بن أبي العباس بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حدّثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال: حدّثني عمرو بن بانةَ قال: كان لمحمّد بن أبي العبّاس السّفّاح شعر في زينبَ، وغَنّى فيه حَكَم الوادي:

= المنصور، فقتل محمد بن عبد الله وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ. ثم خرج أخوه إبراهيم بن عبد الله ومضى إلى البصرة ودعا إلى نفسه، فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتل أخيه، فالتقوا بقرية يقال لها باخمرى قريبة من الكوفة، فكانت الغلبة لعسكر المنصور أيضاً وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ.

(١) كذا في جميع الأصول. والذي في «مختار الأغاني» ص ٤٢٧ «أم سلمة».

(٢) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور.

(٣) ولم تغضبوا، أي لم آت ما يستوجب غضبكم.

(٤) الضلة: الضلال. استعتبه: أعطاه العتبى وهي الرضا. وأعتبني فلان: ترك ما كنت أجد عليه من أجله، ورجع إلى ما أرضاني عنه بعد إسخاطه إياي عليه.

صوت

قُــولاَ لــزينــبَ لــو رأيـ ـــتِ تشوُّفي لكِ وٱشترافِي[1]

وتلفُّتــــي كيمـــــا أرا كِ وكـان شخصُـك غيـرَ خـافِ

وشَممــتُ رِيحَــكِ ســاطعـاً كـالبيـت جُمِّـر للطُّـوافِ

فتـــركتِنـــي وكـــأنّمـــا قلبـي يغـرَّز بـالأشـافـي[2]

خطبته لها

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال: حدّثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ قال: خطب محمد بنُ أبي العباس زينبَ بنتَ سليمان، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء، إلاّ أنه قال فيه: فقال محمد بن أبي العبّاس فيها، وذكر الأبيات كلّها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمّاداً.

قال أبو الفرج مؤلِّف هذا الكتاب: هذا فيما أُراه غَلَطٌ مِن رواته، لمّا سمعوا ذكر زينبَ ولحنَ حَكَم، نسبوه إلى محمد بن أبي العبّاس، وقد ذَكر هذا الشعرَ بعينه إسحاقُ المَوْصليّ في كتابه، ونسبه إلى ابن رَهَيْمةَ وهو من زَيانِب يونسَ الكاتب المشهورة، معروفٌ ومنها فيه يقول:

فـــذَكـــرتُ ذاكَ ليـــونـــسٍ فـــذكـــرتُـــه لأخٍ مُصـــافِ

/ وذكر إسحاقُ أن لحن يونسَ فيه خفيف رمل بالبِنصر في مجرى الخِنصر، وأنّ لحن حَكَم من الثقيل الأوّل [١٤/ ٣٧٢] بالبِنصر، قال محمد بن يحيى: ولمحمد بن أبي العبّاس في زينبَ أشعارٌ كثيرة ممّا غَنَّى فيها المغنُّون، منها:

صوت

زينـبُ مـا لـي عنـكِ مـن صبـرِ وليـس لـي منـكِ سـوى الهجـرِ

وجهُــــكِ والله وإن شفَّنـــي أحسـنُ مـن شمـسٍ ومِـن بـدرِ[3]

لـو أبصـرَ العـاذلُ منـكِ الّـذي أبصـرتُـه أسـرع بـالعـذر

الغناء في هذه الأبيات لحَكَم خفيف رمل بالوسطى.

غنى دحمان في شعر قيس بن الخطيم

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا الغَلاّبيّ قال: حدّثني عبد الله بنُ الضّحّاك عن هشام بنِ محمد قال: دخل دَحْمانُ المغنّي مولًى بني مخزوم ـ وهو المعروف بدَحمانَ الأشقر ـ على محمد بن أبي العبّاس وعنده حَكَم الوادي، فأَحضر محمدٌ عشرةَ آلاف دِرهم وقال: من سَبق منكما إلى صوت يُطربني فهذه له؛ فابتدأ دَحمانُ فغنَّى في شعر قيس بن الخَطيم:

(١) تشوّف إلى الشيء: تطلع وتطاول وأشرف. والاشتراف: الانتصاب.
(٢) الأشافي: جمع إشفى بكسر الهمزة، وهو المثقب.
(٣) شفه الهم: هزله.

حَوْراءُ ممكورةٌ منعَّمةٌ كأنما شَفَّ وجهَها تَرفُ[1]

فلم يهشّ له، فغنّى حَكَم في شعر محمّدٍ في زينب:

زينبُ مالي عنكِ من صبرِ وليس لي منكِ سوى الهجرِ

قال: فطرب وضرب برِجله وقال له: خُذْها، وأمَر لدَحمانَ بخمسة آلاف درهم، قال: ومن شعرِه فيها الّذي غَنَّى فيه حَكَم أيضاً:

[٣٧٣/١٤]

/ صوت

٩٨/١٣

/ أحببتُ من لا يُنصِفُ ورجوتُ من لا يُسعِفُ

نسبٌ تليدٌ بيننا ووِدادُنا مستطرَف

باللّه أحلِفُ جاهداً ومصدَّقٌ مَن يَحلِف

إني لأكتمُ حبَّها جَهْدي لِما أتخوّف

والحبّ يَنطِق إن سكَتّ بما أُجِنّ ويُعرَف

الغناء في هذه الأبيات لحَكَم الواديّ، ولحنه ثقيل أوّل.

شعر لابن أبي العباس غنى فيه

قال: ومن شعر محمد فيها الّذي غنّى فيه حَكَم:

صوت

أسعِد الصبَّ يا حَكَمْ وأعِنْهُ على الألم

وأدِرْ في غِنائه نَغَماً تشبه النِّعَم

أجميلٌ بأن تُرَى نائماً وهو لم يَنَم

لائمي في هوايَ زيـ ـنبَ أنصِفْ ولا تَلُم

لَبِس الجسمُ حُلّةً في هواها من السَّقَم

غنّاه حَكَم، ولحنهُ هَزَج.

سكر حماد مع حكم الوادي عند محمد بن أبي العباس فناموا دونه

وقد أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثنا أبو أيّوب المَديني قال: قال بُرَيْه الهاشميّ حدّثني من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حمّاد وحَكَمٌ الواديُّ يغنّيه، وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سَكِر وسَكِروا، فكان محمّد أوّل من أفاق منهم، فقام إلى جماعتهم ينبّههم رجلاً رجلاً، فلم يجد فيهم فَضْلاً سوى حمّاد / عجرد وحَكَم الواديّ، فأنتبَها، وابتدءوا يشربون، فقالَ عجردٌ على لسانه، وغَنَّى فيه حَكَم: [٣٧٤/١٤]

أسعِد الصبَّ يا حَكَم وأعِنْهُ على الألَم

(١) امرأة ممكورة: مرتوية الساقين.

أجميــــــلٌ بــــــأن تُــــرى نـــائمـــا وهـــوَ لـــم يَنَـــمْ

هكذا ذَكر هذا الخبرَ الحسن، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً.

محمد بن أبي العباس يشبب بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنشدني أبو خليفة وأبو ذَكْوانَ والغلاّبيّ لمحمد بن أبي العبّاس في زينبَ بنتِ سليمان بن عليّ:

يـا قمـرَ المِـرْبَـد قـد هِجـتِ لـي شـوقـا فمـا أنفَـكّ بـالمِـرْبَـدِ

أُراقـبُ الفَـرقَـد مـن حبّكـمْ كـأنّنـي وُكِّلـتُ بـالفَـرْقـدِ[1]

أهيـم ليلِـي ونهـارِي بكـمْ كـأنّنـي منكـمْ علـى مَـوعـدِ

عُلِّقْتُهـا ريّـا الشَّـوَى طَفلـةٌ قـريبـةَ المولِـدِ مـن مَـولـدي[2]

جَـدِّي إذا مـا نُسِبـتْ جـدُّهـا فـي الحَسَـب الثـاقـب والمحتَـدِ[3]

والله مـا أنسـاكِ فـي خَلـوتـي يـا نـورَ عينـيَ ولا مَشهَـدِي

كان محمد نهاية في الشدّة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني الحارث بن أبي أسامة قال: حدّثني المدائني قال: كان محمدُ بنُ أبي العبّاس نهايةً في الشدّة، فعاتبَه يوماً المهديُّ، فغمَزَ محمدٌ ركابَه، حتى انضغطتْ رِجلُ المهديّ في الركاب، ثم لم تخرج حتى ردّ محمّد الركابَ بيدَه، فأخرَجَها المهديّ حينئذٍ.

/ **حماد يمدح محمد بن أبي العباس** [٣٧٥/١٤]

أخبرني محمد قال: حدثنا أبو ذَكْوانَ قال: حدثنا العُتْبيّ قال: كان محمد بن أبي العبّاس شديداً قوياً جَواداً ممدَّحاً، وكان يلوي العمودَ ثم يلقيه إلى أخته رَيْطَة فتردّه، وفيه يقول / حمّاد عجرد: ٩٩/١٣

أرجـوك بعـدَ أبـي العبّـاس إذ بـانـا يـا أكـرم النـاس أعـراقـا وعِيـدانـا

فـأنـت أكـرمُ مـن يمشِـي علـى قَـدَمٍ وأنضـرُ النـاس عنـد المَحْـل أغصـانـا

لـو مَـجَّ عُـودٌ علـى قـوم عُصـارتَـه لَمَـجَّ عُـودُك فينـا المِسْـكَ والبـانـا

خبر عزل محمد بن أبي العباس عن البصرة

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا الغلاّبيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمن قال: لما أراد محمد بن أبي العبّاس الخروجَ عن البَصرة لمّا عزله المنصورُ عنها قال:

أيـا وقفـةَ البيـنِ مـاذا شَبَبْـتِ مـن النّـار فـي كَبِـد المُغـرمِ!

(١) الفرقد: النجم الذي يهتدى به.

(٢) علقتها: أحببتها. ريا: ممتلئة. الشوى: اليدان والرجلان. الطفلة: الرخصة الناعمة.

(٣) في جـ «ما جدى إذا» وفي ب، س «ما جدى إذ» وهو تحريف، والتصويب عن باقي الأصول. والمحتد: الأصل.

رَميــتِ جــوانحَــه إذ رَميــتِ بقــوسٍ مُســدَّدةِ الأسهُــمِ
وقفنــا لــزينــبَ يــومَ الــوَداعِ علــى مِثـلِ جَمـرِ الغَضَـى المُضـرمِ
فمِـنْ صَـرْفِ دمـعٍ جـرى للفـراقِ لممتــزِجٍ بعــدَه بــالــدمِ

شبب حماد عجرد بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد قال: حدّثنا الفضل بنُ الحُباب قال: حدّثنا أبو عثمانَ المازنيّ قال: قال حمّاد عجردٍ يشبِّب بزينبَ بنتِ سليمان على لسان محمد بن أبي العبّاس:

ألاَ مَــن لقلــبٍ مستهــامٍ معــذَّبِ بحــبِّ غــزالٍ فــي الحِجـال مُـرَبَّـبِ[1]
يــراه فــلا يسطيــع رَدًا لطَــرْفِــه إليــه حِـذارَ الكـاشـحِ المتـرقِّـب
/ ولــولا مليــكٌ نــافــذٌ فيــه حُكمُــه لأدْنَــى وصــالاً ذاهبــاً كــلَّ مَــذهــب [٣٧٦/١٤]
تَغَبـرْتُ خِلْـفَ اللّهـو بعـد صِـراوةٍ[2] فبحــتُ بمــا ألقــاه مــن حــبّ زينــبِ

قال: فبلغ الشعرُ محمدَ بن سليمان، فنذَر دمَه، ولم يقدر عليه لمكانه من محمّد.

رثى حماد محمد بن أبي العباس بشعر

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الغلابيّ عن محمد بن عبد الرحمن قال: مات محمد بن أبي العبّاس في أول سنة خمسين ومائة، فقال حمّاد يرثيه بقوله:

صـرتُ للـدهـر خـاشعـاً مستكينـا بعـد مـا كنـت قـد قهـرتُ الـدهـورا
حيــن أودى الأميــر ذاك الــذي كنــتُ بــه حيـث كنـتُ أُدعَـى أميـرا
كنــتُ إذ كــان لــي أجيـر بـه الـدهــر فقــد صـرتُ بعـدَه مستجيــرا
يــا سمــي النبــي يــا ابــن أبــي العبّــاس حقّقــتَ عنــديَ المحــذورا
سلبتْنــي الهمــومُ إذ سلبتنيــك ســروري فلســت أرجــو ســرورا
ليتنــي مِــتّ حيــن[3] مــوتــك لا بــل ليتنــي كنــت قبلَــك المقبــورا
أنــت ظلّلتنــي الغَمــامَ بنُعمــاك ووطّــأتَ لــي وِطــاءً وَثيــرا[4]
لَــم تَـدَعْ إذ مضيــتَ فينــا نظيــرا مِثـلَ مـا لـم يـدع أبـوك نظيـرا

خبر موت محمد بن أبي العباس

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا محمد بن سلاّم

---

(١) الحجال: جمع حجلة كرقبة، وهي موضع يزيّن بالثياب والستور للعروس. مربب: مربّى.

(٢) ورد هذا الشطر في ب، س هكذا: «وعيرت بالكتمان بعد صراوة» والتصحيح عن باقي الأصول. وتغبر الناقة: احتلب غبرها، والغبر: بقية اللبن في ضرع الناقة. والخلف: حلمة الضرع. والصرار: ما يشد فوق خلف الناقة من خيط لئلا يرضعها ولدها.

(٣) في ب، س «قبل» وما أثبتناه عن باقي الأصول، وهو أولى لسياق الكلام.

(٤) وثير: لين.

الجُمَحي[١] قال: كان خَصيب الطبيب نصرانيًّا نبيلاً، فسقى محمد بن أبي العباس شربة دَواءٍ وهو على البَصرة، فمرِض منها، وحُمل إلى بغداد فمات بها، / واتُّهم خصيب فحُبس حتى مات، وسئل عن علّته وما به فقال: قال جالينوس: إن مثل هذا لا [١٤/٣٧٧] يعيش صاحبه، فقيل: له إن جالينوس ربّما أخطأ، / فقال: ما كنت قطّ إلى خطئه أحوَج منّي اليوم، وفي خصيب يقول ابن [١٠١/١٣] قنبر:

ولقــــد قلـــتُ لأهلـــي ... إذ أتَـــوْنـــي بخَصيـــبِ

ليـــس والله خصيـــبٌ ... لِلّـــذي بـــي بطبيـــب

إنّمـــا يَعـــرِف مـــا بـــي ... مـــن بـــه مِثـــلُ الّـــذي بـــي

تنصله لأخي زينب بشعر

أخبرني حبيبُ بن نصر وأحمدُ بنُ عبد العزيز وإسمٰعيل بنُ يونسَ، قالوا: حدّثنا عمر بنُ شبّة قال: حدّثني عبد الله بن شيبان[٢] وابن داحة، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدّثني أبي عن إسحاق قال: لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بنُ سليمانَ حمّاد عجردٍ لِما كان يقوله في أخته زينبَ من الشعر، فعلم أنه لا مُقام له معه بالبَصرة، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمانَ بن عليّ، وقال فيه:

مِـن مقر بـالـذنـب لـم يـوجـب الـلـ ... ـــه عليـــه بســـيء إقـــرارا

ليـس إلاّ بفضـل حِـلـمِـك يَـعـتـدّ بـلاءً، ومـــا يُعِـــدّ اعتـــذارا[٣]

يــابــن بنــت النّبــي أحمــدَ لا[٤] أجـ ... ـعــلُ إلاّ إليــكَ منــك الفــرارا

غيــر أنّــي جعلــتُ قــبــرَ أبــي أيّــوبَ لــي مــن حــوادث الـدهـر جـارا

وحَـــرِيٌّ مَـــن استجـــار بـــذاكَ الـ ... ـقبـر أن يـأمَـنَ الـردى والعِثـارا

لــم أجــد لــي مــن العبــاد مجيــراً ... فــاستجــرتُ التــرابَ والأحجــارا

/ لستُ أعتاضُ منك في بغيـة[٥] الـعِـزّة قحطـانَ كلّهـا ونِـزارا [١٤/٣٧٨]

فــأنــا اليــوم جــارُ مــن ليــس فــي الأر ... ضِ مجيــرٌ أعــزُّ منــه جِــوارا

يــابــن بيــتِ النبــيّ يــا خيــرَ مــن حـطّـت إليــه الغــواربُ الأكــوارا[٦]

إن أكــن مُـذنبـا فــأنــت ابــنُ مــن كــا ... ن لمــن كــان مُــذنبــا غَفّــارا

فــاعــفُ عنّــي فقــد قَــدرتَ وخيــرُ الـ ... ـعفــوِ مــا قلــتَ كــن فكــان اقتــدارا

---

(١) في ب، س «يسير الحمى» وهو تحريف؛ والتصويب عن باقي الأصول.

(٢) في ب، س «سنان» والتصويب عن باقي الأصول.

(٣) البلاء: الإنعام.

(٤) كذا في ب، س، جـ. والذي في ط، مط، مب، ها:

يــابــن بنــت النبــي لا أجعــل التــو ... بــة إلا ... ...

(٥) كذا في ب، س، جـ. وفي ط، مط، مب، ها:

لســت أعتــاض منكــم فــي ابتغــاء الـ ... ـعــز ... ...

(٦) الغوارب: جمع غارب، وهو أعلى الظهر، وأعلى مقدّم السنام. والأكوار: جمع كور بالضم: وهو الرحل أو بأداته.

ش ٤٥٦٢ع

لـو يطيـل الأعمـارَ جـارٌ لِعـزٌ كـان جـاري يطـوِّل الأعمـارا

اعتذر إلى محمد بن سليمان بشعر

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ ومحمّد بنُ عمرانَ الصَّيْرَفيّ قالا: حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال: حدّثني علي بنُ الصبّاح قال: كان محمد بن سليمانَ قد طلب حمّاد عجردٍ بسبب نَسبيه بأخته زينب، ولم يكن يَقدِر عليه لمكانه من محمد بن أبي العبّاس، فلما هلك محمّد جَدَّ ابنُ سليمانَ في طلبه، وخافَه حمّاد خوفاً شديداً، فكتب إليه:

يـاابـن عـمّ النبـيّ وابـنِ النبـيّ لعلـيّ إذا أنتمَـى وعلـيّ

أنـت بـدرُ الـدّجـى المُضِـيءُ إذا أظـ ـلَـمَ واسـودّ كـلُّ بـدرٍ مُضـيّ

وحَيَـا النـاسِ فـي المُحـول إذا لـم يُجْـدِ غيـثُ الـربيـعِ والـوَسْمـيّ[1]

إنّ مـولاكَ قـد أسـاءَ ومـن أعـ ـتـب مـن ذنبـه فغيـر مُسِـيّ

ثـم قـد جـاء تـائبـا فـأقبـل التـو بـة منـه يـا بـنَ الـوَصِـيّ[2] الـرضِـيّ

[٣٧٩/١٤] / هجاؤه محمد بن سليمان

$\frac{١٠١}{١٣}$ قال ومضى إلى قبر أبيه سلَيمان بن عليّ فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: والله لأبلّنّ قبرَ أبي من / دمه، فهرب حمّاد إلى بغداد، فعاذ بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أرضى أو تهجوَ محمد بنَ سليمان، فقال يهجوه:

قـل لـوجـه الخَصِـيّ ذي العـار إنّـي سـوف أهـدِي لـزينـبَ الأشعـارا

قـد لعمـري فـررتُ مِـن شـدّ الخـو ف وأنكـرتُ صـاحبـيَّ نهـارا

وظننـتُ القبـورَ تَمنَـع جـارا فـأستجـرت التـرابَ والأحجـارا

كنـتُ عنـد أستجـارتـي بـأبـي أيّـ ـوبَ أبغِـي ضـلالـةً وخَسـارا

لـم يُجِـرنـي ولـم أجـد فيـه حظّـا أضـرم اللهُ ذلـك القبـرَ نـارا

قال: وقال فيه:

لـه حَـزْمُ بُـرغـوثٍ وحِلـمُ مُكـاتـبٍ وغُلْمَـةُ سِنَّـوْرٍ بلَيْـل تُـوَلـوِلُ[3]

وقال أيضاً يهجوه

وقال فيه يهجوه:

يـاابـنَ سليمـانَ يـا محمّـدُ يـا مـن يشتـري المكـرُمـاتِ بـالـثّمَـنِ

---

(١) الحيا: المطر. المحول: جمع محل، وهو الجدب. والوسمي: مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات.

(٢) يقول الشيعة: إن النبي ﷺ أوصى بالخلافة من بعده لعلي كرم الله وجهه، فلقبوا علياً بالوصيّ، وهو أوصى بها لمن بعده، وهكذا كل إمام وصيّ من قبله.

(٣) تولول: تعول.

إنْ فخرتْ هاشمٌ بمكرمةٍ ... فخرتَ بالشَّحم[1] منكَ والعُكَنِ
لُؤمكَ بادٍ لمن يراك إذا ... أقبلتَ في العارِضَين والذَّقَنِ
ليتَك إذ كنتَ ضيّقاً نكِرا ... لم تُدْعَ من هاشمٍ ولم تكُنِ
جَدّاك جَدّان لم تُعَب بهما ... لكنّما العيبُ منك في البدن

قال: فبلغ هجاؤه محمدَ بنَ سليمان فقال: والله لا يُفلِتني أبداً، وإنما يزداد حتْفاً بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبدا.

وقد اختُلِف في وفاة حمّاد.

/ خبر مقتله [٣٨٠/١٤]

فأخبرني أحمد بنُ عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني أبو داحة وعبد الملك بنُ شيبان أن حمّاداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتِراً، وبلغ محمداً خبرُه، فأرسل مولًى له إلى الأهواز، فلم يزَل يَطلبُه حتى ظفر به فقتله غِيلة.

شعر له وهو يحتضر

وأخبرني أحمد بن العبّاس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عِمران قالوا: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزي عن أحمد بن خَلّاد أن حماداً نزل بالأهواز على سُلَيم بن سالم فأقام عنده مدّة مستتراً من محمد بن سليمان، ثم خرج من عنده يريد البَصرة، فمرّ بشِيرْزَاذَانَ في طريقه، فمرِض بها، فاضطرّ إلى المُقام بها بسبب علّته، فاشتدّ مرضُه، فمات هناك ودُفن على تَلْعة[2]، وكان بشّار بلغه أن حمّاداً عليل لِما به، ثم نُعِي إليه قبل موته، فقال بشّار:

لو عاش حمّاد لهونا به ... لكنّه صار إلى النار

فبلغ هذا البيتُ حماداً قبل أن يموت وهو في السِّيَاق[3]، فقال يردّ عليه:

نُبِّئتُ بشّاراً نَعاني وللـ ... ـموت بَراني الخالقُ الباري
يا ليتني مِت ولم أهْجُه ... نعمْ ولو صرتُ إلى النار
وأيُّ خِزي هو أخزَى مِن انْ ... يقالَ لي يا سِبَّ بَشّار

قال: فلمّا قَتل المهديُّ بشّاراً بالبَطيحة[4] اتّفق أن حُمل إلى منزله ميتاً، فدفن مع حماد على تلك التّلعة، فمرّ بهما أبو هشام الباهليُّ الشاعر البَصْريّ الّذي كان يُهَاجي بشاراً، فوقف / على قبريهما وقال: ١٠٢/١٣

/ قد تَبِع الأعمى قَفَا عَجردِ ... فأصبحا جارين في دارِ [٣٨١/١٤]
قالت بِقاعُ الأرض لا مَرحبا ... بقُرب حمّاد وبَشّارِ

(١) في ها «أنت».
(٢) التلعة: القطعة المرتفعة من الأرض.
(٣) السياق: نزع الروح.
(٤) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

تجـــاوَرَا بعـــد تَنـــائِيهمـــا مـــا أبغَـــضَ الجـــارَ إلـــى الجـــارِ
صـــارَا جميعـــاً فـــي يـــدَيْ مـــالِـــكٍ فـــي النّـــار والكـــافـــرُ فـــي النـــارِ

صوت

هـل قلبُـكَ اليـومَ عـن شَنْبـاء منصـرِفُ وأنـتَ مـا عشـتَ مجنـونٌ بهـا كَلِـفُ
مـا تُـذكَـرُ الـدهـرَ إلاّ صـدّعـت كَبِـداً جَـرْى عليـكَ وأذْرتْ دمعـةً تكِـف

ذَكر أبو عمرو الشيبانيّ أن الشّعر لحُرَيث بن عتّاب الطائيّ، وذكر عمرُو بنُ بانةَ أنه لإسماعيل بنِ بشار النّساء، والصحيح أنه لحُرَيث، والغناء لغَريض ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو، وذَكَر الهشاميُّ أنه لمالِك.



/ أخبار حُرَيث ونسبه

[٣٨٢/١٤]

نسبه

حُرَيث بنُ عَنّاب (بالنون) بن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف[١] بن عُنَين[٢] بن نائل بن أسوَدان، وهو نبهان بنُ عمرو بنِ الغَوْث بن طيّء، شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية، وليس بمذكور من الشعراء، لأنه كان بدوياً مُقِلاً غيرَ متصدٍّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء، ولا يَعْدو شعره أمرَ ما يخصّه.

يشبب بحبى بنت الأسود

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمّي عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني، عن أبيه، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأوّلين قوله:

يدومُ وُدّي لمن دامت مودّتُه ... وأصرف النفسَ أحياناً فتنصرف[٣]

يا وَيْحَ كلّ محبٍّ كيف أرحمُه ... لأنّني عارف صِدقَ[٤] الذي يصف

لا تأمننْ بعد حُبّي خُلّةً أبداً ... على الخيانة إنّ الخائن الظَّرِف[٥]

كأنها رِيشةٌ في أرض[٦] بَلقَعَة ... من حيثما واجهتْها الريحُ تنصرف

يُنسِي الخليلين طُولُ النأي بينهما ... وتَلتقِي طُرَفٌ شَتّى فتأتلِف

قال أبو عمرو، قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حُبّى بنت الأسود من بني بُحْتُر بن عَتُود، وكان يهواها ويتحدّث إليها، ثم خطبها، فوعَدَه أهلُها أن يزوّجوه / ووعدتْه ألاّ تجيب إلى تزويج إلاّ به، فخطبها رجل من [٣٨٣/١٤] بني ثُعَل وكان موسراً فمالت إليه وتركت حُرَيثاً، وقد خُيّرت بينهما فاختارت الثُّعَليّ، فتزوّجها، فطَفِق حريث يهجو قومَها وقوم المتزوّج بها من بني بُحْتُر وبني ثُعَل، فقال يهجو بني ثُعَل:

بني ثُعَلٍ أهلَ الخنا ما حديثُكم ... لكم منطق غاوٍ ولِلنّاس مَنطِق

كأنكم مِعزَى قَواصعُ جِرّةٍ[٧] ... من العِيّ أو طيرٌ بخَفّانَ يَنعِق

---

(١) في ب، س، جـ: «عون».

(٢) كذا في جـ، ط، مط، مب. والذي في ب، س، ها «عنبر».

(٣) كذا في ط، مط، ها. والذي في ب، س، جـ، مب:

* وأصرف الناس أحياناً فينصرفوا *

(٤) في رواية «كأنني . . . . . . بعض».

(٥) الظرف: الرجل الحديث الشرف.

(٦) كذا في ب، س، جـ، مب. والذي في ط، مط، ها «عرض».

(٧) في ب، س: «مواضع حرة»؛ والتصويب عن باقي الأصول. وقصعت الناقة بجرتها إذا ردّتها إلى جوفها أو مضغتها. أو ملأت بها فاها، يصفهم بالعيّ والفهاهة.

١٠٣/١٣ / دِيـافيّـة قُلْـفٌ كـأنّ خطيبَهـمْ سَـراةَ الضُّحَـى فـي سَلْحِـه يتمطّـق[١]

قال أبو عمرو: ولم يزل حريثُ يهجو بني بُحْتُر وبني ثُعَلٍ من أجل حُبَّى، فبينا هو ذات يوم بخيبَر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بِفنائه ينشِد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثُعَل وبني بُحْتر ابْنَي عَتود، وبخيبر يومئذٍ رجل من بني جُشَم بن أبي حارثة بن جُدَيّ بن تَدُولَ بن بُحْتُر يقال له أوْفَى بنُ حُجْر بن أسيد بن حُيَيّ بن ثُرْمُلة بن ثرغل بن خيثم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش، فمرّ أوفَى هذا بحريث بن عَتّاب وهو يُنشِد شعراً هجا به بني بحتر، فسمعه أوفَى وهو ينشد قولَه:

وإنّ أحَـقَّ النـاسِ طُـرًّا إهـانـةً[٢] عَتـودٌ يُبـارِيـه فَـريـرٌ وثعلـبُ

العَتود: التيس الهَرِم. والفَرير: ولد الظبية. ويباريه: يفعل فعلَه. فدنا منه أوفَى وقال: إني رجل أصمُّ لا أكاد أسمع، فتقرّبْ إليّ، فقال له: ومن أنت؟ فقال: أنا رجل من قيس، وأنا أهاجِي هذا الحَيّ من بني ثُعَلٍ وبني بُحتُر، وأحبّ / أن أرويَ ما قيل فيهم من الهجاء، فأدنَوْه منه، وكانت معه هِراوة وقد اشتمل عليها، فلما تمكّن من ابن عَتّاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفَه فحطَمه، وسقط على وجهه ووثب القرشيّ على أوفَى فأخذه، فوَثَبَ بنو أخته فانتزَعوه من القرشيّ، وكاد أن يقع بينهم شرّ، وأفلتَ أوفَى ودُورِيَ ابنُ عتّاب حتى صَلَح واستوى أنفُه، فقال أوفَى في ذلك: [١٤/٣٨٤]

لاقَـى ابـنُ عَتّـاب بخيبـرَ مـاجـدا يَـزَعُ اللئـامَ وينصـرُ الأحسـابـا

فضـربتُـهُ بِهـراوتـي فتـركتُـه كـالْحِلْـسِ منعفـرَ الجبيـنِ مصـابـا

قال: ثم لحِق أوفَى بقومه، فلمّا كان بعد ذلك بمدّة اتهمه رجل من قريش بأنه سرق عبداً له وباعه بخيبر، فلم يزل القرشيُّ يطلبُه حتى أخذه وأقام عليه البيّنة، فحُبس في سجن المدينة، وجُعلتْ للقرشيّ يدُه، فبعَث ابنُ عتّاب إلى عشيرته بني نَبْهان، فأبوا أن يعاونوه، وأقبل عُرفاء بني بُحْتُر إلى المدينة يريدون أن يؤدّوا صدقاتِ قومِهم فيهم حصن وسلامة ابنا معرِّض، وسعدُ بنُ عمرو بن لأم، ومنصور بنُ الوليد بن حارثة، وجَبّار بن أُنَيف، فَلَقُوا القرشيَّ وانتسبوا له، وقالوا: نحن نعطيك العِوَض مِن عبدك ونرضيك، ولم يزالوا به حتى قَبِل وخَلّى سبيلَه، فقال حُرَيثٌ يمدحُهم ويهجو قومَه الأدنَيْن مِن بني نَبْهان:

لمـا رأيـتُ العبـدَ نَبْهـانَ تـاركِـي بلمّـاعـةٍ فيهـا الحـوادثُ تَخطُـرُ[٣]

نُصِـرتُ بمنصـور وبـابنَـيْ معـرِّضٍ وسعـدٍ وجَبّـارٍ بـل اللّـهُ يَنصـرُ

وذو العـرش أعطـانـي المـودّةَ منهـمُ وثبّـتَ سـاقِـي بعـدمـا كـدتُ أعثـرُ

/ إذا رَكـب النـاسُ الطـريـقَ رأيتَهـم لهـم خـابِـطٌ أعمَـى وآخَـر مُبصِـرُ [١٤/٣٨٥]

لكـلّ بنـي عمـرو بـن غَـوْثٍ[٤] ربـاعـةٌ وخيـرُهُـم فـي الشـرّ والخيـر بُحْتُـر

(١) التمطق: التذوّق، وهو إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت، وذلك عند استطابة الشيء، والفاء في قوله «في سلحه» بمعنى الباء.

(٢) كذا في ب، س. والذي في باقي النسخ: «إلا أهابه».

(٣) اللماعة، الفلاة يلمع فيها السراب.

(٤) الرباعة: السيادة.

مر بنسوة فضحكن منه فقال شعراً

وقال أبو عمرو: مرّ أبن عَتّاب بعدما أسنّ بنسوةٍ من بني قُلَيع وهو يتوكّأ على عَصاً / فضحكن منه، فوقف ١٠٤/١٣ عليهنّ وأنشأ يقول:

هــزئــتْ نســاءُ بنــي قُلَيــع أن رأتْ ... خَلَـقَ القمِيـص علـى العصـا يتـركّـعُ

وجعلْننــي هُــزُؤاً ولــو يعــرفْننــي ... لعلمــن أنّــي عنــد ضيمــيَ أرْوَع(١)

خبر إغارته على قوم من بني أسد

قال أبو عمرو: وكان حريثُ بن عَتّاب أغار على قوم من بني أسد فأستاق إبلاً لهم، فطَلَبه السلطان، فهرب من نواحي المدينة وخَيبَر إلى جَبَلين في بلاد طيىء يقال لهما: مُرّى والشُّمُوس حتى غَرِمَ عنه قومُه ما طلب، ثم عاوَدَ وقال في ذلك:

إذا الـدِّيـن أوْدَى بـالفسـاد فقـل لـه ... يـدَعْنـا ورُكْنـاً مـن مَعَـدٍّ نصـادمُـهْ

ببيـضٍ خِفـافٍ مـرهَفلـتٍ قـواطـع ... لِـداودَ فيهـا أثْـرُه وخَـواتِمُـه(٢)

وزُرْقٍ كستْهـا ريشَهـا مَضْـرَحيّـةٌ ... أثِيـثٌ خَـوافِـي رِيشها وقـوادِمُـهْ(٣)

إذا مـا خـرجْنـا خَـرّت الأكْـم سُجّـداً ... لعـزٍّ عَـلا حَيْـزُومُـه وعـلاَجِمُـهْ(٤)

/ إذا نحـن سِـرْنـا بيـن شـرقٍ ومَغـربٍ ... تحـرَّكَ يقظـانُ التّـراب ونـائمُـهْ [٣٨٦/١٤]

وتفـزَعَ منّـا الإنْـسُ والجـنُّ كلُّهـا ... ويُشـرب مهجـورُ المِيـاه وعـائمـه

ستَمنَـع مُـرّى والشُّمُـوسُ أخـاهمـا ... إذا حكـم السلطـان حُكْمـاً يُضـاجِمـه

يميل فيه. ويروى: يصاحمه، وقال أبو عمرو: يصاحمه: يزاحمه. والأصحم منه مأخوذ.

إلى هنا انتهى الجزء الرابع عشر من كتاب الأغاني

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس عشر منه

وأوّله أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

---

(١) الأروع: الذي يروعك بشجاعته.

(٢) أثر السيف: فرنده وجوهره ووشيه.

(٣) الزرق: النصال. والمضرحية: جمع مضرحيّ، وهو النسر أو السيد الكريم. والأثيث: الكثير العظم. والخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. والقوادم: أربع أو عشر ريشات في مقدّم الجناح.

(٤) الحيزوم هنا: الغليظ من الأرض أو المرتفع منها. العلاجم: جمع علجم وهو الطويل من الإبل.

فهرس موضوعات الجزء الرابع عشر